وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي آفلو

تنوير

للبحوث الانسانية والاجتماعية

مجلة علمية دولية محكمة تصدر عن معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

العدد 14 جوان 2020

ISSN 2571-9793

الهيئة العلمية

أ د/ حسين بوداود.	جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
أ د/ بن طاهر تيجاني.	جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
أ د/طارق الجوازنة	جامعة اليرموك الأردن
أد/ عبد الغني عماد	الجامعة اللبنانية (لبنان)
أد/ بن سعد أحمد.	جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
د/ بوفاتح محمد.	جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
د/ عمومن رمضان.	جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
د/ عون علي.	جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
د/ صخري محمد.	جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
د/ نوري محمد.	جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
د/ حران العربي.	جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
د/ بن عون البودالي.	جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
د/ بكاي رشيد.	جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
د/ سعودي أحمد.	جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
د/ بن جلول هزرشي.	جامعة "زيان عاشور" الجلفة
د/ سعد عبد السلام.	جامعة "زيان عاشور" الجلفة
د/ طحطاح مبروك.	جامعة "زيان عاشور" الجلفة
د/ محيوز كريمة	جامعة الجزائر 02
د/ صباح نوري هادي العبيدي	جامعة ديالى العراق.
د/ صاحب أسعد ويس	جامعة سامراء العراق.
د/ بلبكاي جمال	المدرسة العليا للأساتذة سكيكدة
د/ لطرشي الطيب	جامعة "زيان عاشور" الجلفة
د/ عميره عليه الصغير	جامعة منوبة تونس
د/ غريب حسين	جامعة "زيان عاشور" الجلفة
د/ عمار عبد الله محمود الفريحات	جامعة البلقاء الأردن
د/ رأفات احمد احمد	جامعة دمشق سوريا.
د/ علة مختار	جامعة "زيان عاشور" الجلفة
د / خيالي بلقاسم.	المركز الجامعي آفلو
د/ سعداوي مريم.	المركز الجامعي آفلو
د/ ميلق عبد القادر.	المركز الجامعي آفلو
د / قاسم سعاد.	المركز الجامعي آفلو
د / زروقي ثامر.	المركز الجامعي آفلو
د/ جلالي ناصر.	جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
د/ ناجم مولاي.	جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
د/ رماضنية أحمد	المدرسة العليا للأساتذة الأغواط
د/ صافي محمد.	جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
د / عياط لمين.	جامعة "عمار ثليجي" الأغواط
د/ قروج بولفعة.	المركز الجامعي آفلو
د / مايدي كمال.	المركز الجامعي آفلو
د / شتوح بختة.	المركز الجامعي آفلو
د/بن فارح الميهوب	المركز الجامعي آفلو
د/ بودهري عبد الرحمن	المركز الجامعي آفلو
أ / قريبي مشري.	المركز الجامعي آفلو
أ / تمير بولرباح.	المركز الجامعي آفلو
أ / مهدي محمد.	المركز الجامعي آفلو
أ / يزير جمال.	المركز الجامعي آفلو
أ / بن سعيد جمال.	المركز الجامعي آفلو
أ / بلحماري بشير.	المركز الجامعي آفلو

قواعد النشر

1. تنشر المجلة البحوث العليمة للأساتذة في التخصصات التالية (علم النفس وعلوم التربية، التاريخ، فلسفة، علم الاجتماع).
2. تقدم البحوث على قرص مكتوب بنظام word (**2007**) أو عن طريق البريد الإلكتروني:
revu.tanwir2017@gmail.com
3. يرفق البحث بملخص في حدود 70 كلمة من نفس لغة البحث، وملخص ثان باللغة الفرنسية أو الإنجليزية، مع الكلمات المفتاحية، وكذا ملخص للسيرة الذاتية للباحث.
4. أن لا يكون البحث منشورا من قبل، أو مقدما للنشر في جهة أخرى، ويقدم الباحث تعهدا مكتوبا بذلك.
5. أن لا يكون البحث فصلا من رسالة جامعية.
6. أن لا تقل صفحات البحث عن 12 صفحة، وأن لا تزيد عن 25 صفحة.
7. أن تكتب البحوث العربية باستخدام خط simplified Arabic بحجم 14، والبحوث باللغة الإنجليزية أو الفرنسية باستخدام خط Taime New Romans
8. أن يلتزم الباحث منهجية علمية معتمدة.
9. في التوثيق يمكن اعتماد منهجية (**APA**)أو التهميش أسفل الصفحة ـ استعمال التهميش الآلي ـ هنا يكون في أسفل كل صفحة وبترقيم متسلسل، كما يجب أن تجمع المراجع في نهاية البحث وترتب ألفبائيا.
10. أن يرفق بالبحث أدوات البحث المستخدمة إن وجدت.
11. البحوث التي تخل بأي ضابط من الضوابط أعلاه لا تؤخذ بعين الاعتبار.
12. تخضع البحوث و المقالات لرأي محكمين من مختلف الجامعات الوطنية والدولية.
13. ترتيب البحوث لا يخضع لأهمية البحث و لا لمكانة الباحث.
14. البحوث التي تقدم للمجلة لا ترد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، ولا تلتزم المجلة بأبداء أسباب عدم النشر.

ملاحظة:

جميع الآراء الواردة في المجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها، و لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو المركز الجامعي. كما لا تتحمل المجلة مسؤولية الإخلال بقواعد الملكية الفكرية.

فهرس الموضوعات

الاحتفالات الدينية والشعبية في الجزائر العثمانية من خلال الكتابات الأجنبية. الباحث/ إسماعيل توتة....د/ رضا بن عتو... جامعة الجيلالي بونعامة ـ خميس مليانة ـ الجزائر.	01
التواجد الأندلسي وتأثيره على الحياة الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني (القرن 16م-18م). الطالب الباحث/ زرارقة علي.... جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر.	19
الثورة التحريرية الجزائرية ومشروع الدولة الوطنية من خلال أدبياتها 1962/1954 الباحثة/ كريمة زيتون.... جامعة المسيلة ـ الجزائر.	34
العنف اللفظي في البلاد التونسية من القرن 17 إلى اليوم: رهانات إنتاج التفضيل والتحقير وشبكات المصالح. د/ محمد البشير رازقي ـ جامعة تونس 1 ـ تونس.	49
دور الحركة الوطنية الفلسطينية في تطوير وتنمية المجتمع الفلسطيني (1987- 1994م) الباحث / محمود رفيق محمود الشيخ أحمد... جامعة سوسة ـ تونس.	72
أثر أخلاقيات المعرفة في الحوار الحضاري من منظور إسلامي. أ.د/ حسن حميد عبيد ـ جامعة قطر.... الباحث/ سلمان علي ـ جامعة قطر.	91
الأسرة المعاصرة و دورها في تنمية القيم الاجتماعية. د/ تازي محمد.... جامعة عمار ثليجي ـ الأغواط ـ الجزائر.	113
التراث الثقافي وتحديات العولمة. د/ صادوق الحاج... جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله.	128
التنمية الاجتماعية: إضاءات مفاهيمية. د/ عائشة بن النوي.... جامعة باتنة01 ـ الجزائر.	141
الجريمة الالكترونية ماهيتها ومجالات استخدامها. د/ بن عمار نوال ـ جامعة الحاج لخضر ـ باتنة -1- الجزائر.	158
الجريمة المعاصرة : رؤية سوسيولوجية ،إعلامية للأسباب و الأدوار. د/ كمال صدقاوي... جامعة ابن خلدون ـ ت	183
آليات حماية المرأة العاملة من الاعتداء اللفظي داخل مؤسسات القطاع الخاص. ـ دراسة ميدانية بالمؤسسة الخاصة لتصنيع الحلوى بحمادي ولاية بومرداس ـ د/ زيوش سعيد ..... د/ بومدفع الطاهر .... جامعة الشلف ـ الجزائر.	207
ديناميات الجماعة وإعادة بناء مفهوم العائلة. ـ دراسة ميدانية على عينة من المواطنين الذين كانوا عالقين بمطار اسطنبول الدولي 2020 ـ أ/ كزيز آمال.... جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة ـ الجزائر.	226
طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي لدى موظفي الإدارة المحلية. ـ دراسة ميدانية ببلدية (سيدي خويلد) ولاية ورقلة ـ د/ سليمان خويلدي .... الباحث/ صلاح الدين شيخاوي... جامعة محمد خيضر ـ بسكرة ـ الجزائر.	239
فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري. د/ بوعموشة نعيم... جامعة محمد الصديق بن يحي ـ جيجل ـ الجزائر.	261

283	واقع إنتاج المعرفة العلمية في الحقل السوسيولوجي- الجامعة الجزائرية أنموذجا- د/ إيمان حمري... جامعة أكلي محند أولحاج ـ البويرة ـ الجزائر. د/ حنان بن ضياف....جامعة محمد بوضياف ـ مسيلة ـ الجزائر.
299	أسباب تدني التحصيل الدراسي في اللغة الثانية لتلاميذ المرحلة الثانوية. - من وجهة نظر الأساتذة - الباحث/ حساني مصطفى... المركز الجامعي أفلو ـ الجزائر.
322	استعراض نظري لمفهومي الصدمة العائلية و الإرجاعية العائلية. د/ لمية بن أمسيلي... جامعة عبر الرحمان ميرة ـ بجاية ـ الجزائر.
341	الإطار المفاهيمي للأسباب وأثار العنف الزوجي في الجزائر. الباحثة/ معنصر مسعودة... جامعة وهران 02 ـ الجزائر.
364	القيم السائدة في قصة متى تتجاوز الغرائز؟ للشيخ إبراهيم أبي حميدة. د/ خالدي مزاتي... جامعة أدرار ـ الجزائر.
374	توجهات حديثة في الصحة النفسية. أ.م.د/ حنان فوزي أبو العلا... جامعة المنيا ـ جمهورية مصر العربية.
390	مساهمة الثقافة المرورية في التقليل من ظاهرة حوادث المرور. د/ لحبيب بن عربية ـ جامعة تلمسان ـ الجزائر.
410	دور التدريب المهني في تحسين الأداء الفعال لدى عمال مديرية الصيانة (سوناطراك) بالأغواط. الباحث/ محمد زعيلق. الباحث/ الطيب بوقاية. جامعة وهران 02 ـ الجزائر. د/ طاهر بوجمل. جامعة عمار ثليجي ـ الأغواط ـ الجزائر.
428	مهارة القراءة والعوامل المؤثرة في تعلمها. د/ عيواج صونيا ـ جامعة باتنة1 ـ الجزائر. د/ عمراني زهير ـ جامعة أم البواقي ـ الجزائر.
444	الحوار الديني والتعارف الإنساني بين الأديان الكتابية على أساس قاعدة العمل الاجتماعي. د/ الحسن حما ـ جامعة محمد الخامس ـ الرباط ـ المملكة المغربية.
468	نقد جورج طرابيشي لفكر عبد الرحمان بدوي. الباحث / عمار بوزيزه ـ جامعة الجزائر 2.

الاحتفالات الدينية والشعبية في الجزائر العثمانية من خلال الكتابات الأجنبية

الباحث/ إسماعيل توتة د/ رضا بن عتو

جامعة الجيلالي بونعامة ـ خميس مليانة ـ الجزائر. جامعة الجيلالي بونعامة ـ خميس مليانة ـ الجزائر.

الملخص:

شهدت الجزائر خلال الحكم العثماني تواجد العديد من الأجانب، قناصل، رحالة أو كأسرى، وجلهم تركوا مذكرات حول تواجدهم بالجزائر، فوصفوا الجزائر والمجتمع الجزائري في مختلف المجالات، من بينها الممارسة الدينية التي ذكروا فيها التنوع الديني الموجود بالجزائر، كالاختلاف في الطوائف، سنة وشيعة واباضيون، وكذلك الحرية الدينية للمسحيين واليهود. ووصفوا كيفية الصلاة، وعادات الصوم والإفطار، وكذا طرق الاحتفال بالأعياد المختلفة، كالعيدين، والجمعة والمولد النبوي الشريف، ضف إلى ذلك تحدثوا عن الأطر الدينية للزواج وسهولة الطلاق بالنسبة لهم، وأخيرا ذكرهم مآتم الجزائريين وكيف تتم.

الكلمات المفتاحية: المذاهب الدينية، المناسبات الدينية، الصلاة، الصوم، العيد الأضحى وعيد الفطر، المآتم.

Abstract :

During the ottoman rule, algria witnessed the presence of many foreigners, consuls, traveleror and prisoners, most of whom left memoirs about their presence in algeria, they described algria and algerian society in various fields, including the religious practice in which they mentioned the religious diversity in algeria as well as the religious freedom of jews and Christians. They also discribed how to pray and the habits of fasting and breakfast as weel as the ways to celebrate different festivals suchas eid, Friday, and the prophet’s birth in addition to talk about religions from work for marrieg and the ease of devorse for them, and finally reminded them of the algerians and how they are done.

Keywords: Religious practice, Religious doctrines, Religious events, Prayer, Fasting, Eid al - Adha and Eid al – Fitr, Funerals

مقدمة:

تعتبر الكتابات الأجنبية حول الجزائر العثمانية كمادة خصبة للاطلاع عليها، والوقوف على وضعية المجتمع الجزائري، فهي مصادر أولية بحكم تواجد العديد من الأسرى والقناصل وكذلك الرحالة بالجزائر وعاشوا الحياة اليومية للجزائريين. ما جعلهم يألفون العديد من الكتب والروايات حول المجتمع الجزائري في شتى الميادين، اقتصادية، سياسية واجتماعية وغيرها. ومن بين الميادين التي كتبوا عنها هي الجانب الديني، الذي رأوا بأنه تأثر بقدوم العثمانيين للجزائر، وقد حاولوا دائما ربط المجتمع الجزائري بالمجتمع المشرقي.

فهناك العديد من الكتابات الأجنبية التي سردت لنا الممارسة الدينية في الجزائر العثمانية فذكرت تنوع المذاهب الدينية بالجزائر، وقد ذكروا في مؤلفاتهم المناسبات الدينية، و كيف يقضي سكان الجزائر شهر رمضان، ووصفوا الطقوس الاحتفالية التي يتميز بها عيد الفطر والأضحى، وكذلك مناسك الحج. وتحدثوا عن الضوابط التي تؤطر الزواج وصولا إلى الطلاق وسهولة حله إذا قرر أحد الزوجين ذلك. وكذلك بما يمتاز حفل الختان، ضف إلى ذلك وصفهم لمآتم الجزائريين كيف تتم.

فمن خلال هذه المداخلة حاولنا الإجابة على الأسئلة التالية: ماهي المذاهب الدينية المتعبة في الجزائر العثمانية؟ وكيف سرد لنا الأجانب المناسبات الدينية؟ والاحتفالات الشعبية التي تقام وفق أطر دينية؟

1/ المذاهب الدينية بالجزائر

المحمدية[1]، هي دين الأتراك، عرب وبربر، فالأوائل هم سنيون يعني من طائفة عمر (رضي الله عنه)، ولكن يوجد البعض منهم من يتبع علي(رضي الله عنه).[2]

[1] المحمدية: هو مصطلح يطلقه المسيحيون أو غير المسلمون، على من ينتسب للإسلام بحكم أن الإسلام هو دين محمد، وهذا يعتبر تشبيه بالمسحيين الذين ينسبون إلى المسيح ويعبدونه من دون الله. بالنسبة لله تعالى فلا يوجد إلا دينا واحدا فقط (إن الدين عند الله الإسلام) سورة 3 – آية 19.

انظر: خالد صالح، مسلمون أم محمديون ...الفوارق بين الدين الإلهى وأديان البشر، يوم 2018/02/11، 21:22، http://www.ahl-alquran.com/arabic/printpage.php?doc_type=1&doc_id=1255

[2] Voyage a alger ou description de cette ville de ses environs et du royume d'alger , paris, 1830, p 95.

غير أن هابنسترايت يذكر أن الجزائريين من أتباع الرسول(صلى الله عليه وسلم) الغيورين، يستهجنون المتشيعين لـ علي (رضي الله عنه)[1].

فالمذهب السائد في مدينة الجزائر هو المذهب المالكي، وذلك قبل تأسيس خير الدين عهد الوصاية، فقد عملت الدولة العثمانية على نشر المذهب الحنفي، غير أنهم لم يفرضوه على سكان مدينة الجزائر.[2] كما يوجد المزابيون الذين لا ينتمون إلى أي من المذاهب السنية الأربعة، وإنما يدينون بالمذهب الذي يدين به الوهابيون في الجزيرة العربية، وقد أطلق على هؤلاء اسم بروتستانتي الإسلام، لأنهم لا يتعبون السنة ويرفضون عبادة الأولياء.[3] فهم يخرجون عن المسلمين في عدة مسائل، فالميزابيون يرفضون أداء الصلاة في المساجد العمومية ولهم مسجد خاص بهم، وهناك يعقدون اجتماعاتهم ويؤدون الصلاة، وحسب وليام شالر فالامتناع عن الصلاة في المساجد العمومية، لاعتبارها أماكن غير طاهرة، بسبب شبكة المجاري التي تجري فيها القاذورات تحتها.[4]

إلى جانب هذا يوجد ديانات أخرى كاليهودية والمسيحية، حيث يذكر هايدو أنه كان لليهود أماكن للعبادة وأن الدولة تركت لهم حرية ممارسة دينهم بكل هدوء، وبالنسبة للمسيحيين فقد عاملتهم الحكومة بنفس ما عاملت به اليهود، وقد بنت لهم كنائس خاصة بهم داخل السجون، والتي يقام فيها القداس طول العام وفي أيام الأعياد والاحتفالات.[5] حيث يؤكد هذا الأسير ميتزون بقوله "نادانا احد العبيد، وأخرجنا من مرقدنا... حيث كان صوت صاخب ينادي الأرقاء الكاثوليكيين الرومان لكي يحضروا أداء طقوسهم الدينية. وكان ذلك الصوت الصاخب بديلا عن دقات النواقيس غير المستعملة هنا.[6]

---

[1] ج. أو. هابنسترايت، رحلة العالم الألماني: ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ- 1732م، ترجمة وتحقيق وتعليق، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2008، ص47

[2] شوفالييه كورين، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510- 1541، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص74

[3] هاينريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في غربي شمال أفريقيا، ج1، ترجمة وتقديم: أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2008، ص 82

[4] وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816- 1824، تعريب وتعليق وتقديم، اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص 111، 112.

[5] درقاوي منصور، الموروث الثقافي اللامادي بالجزائر العثمانية على ضوء المصادر الأوروبية، عصور، العدد 34- 35، الجزائر، افريل- جوان، 2017، ص37

[6] ج. ميتزون، يوميات اسر في الجزائر 1814- 1816، تعريب محمد زروال، دار هومة، الجزائر، 2011، ص30

فالحياة الدينية في عهد الجزائر العثمانية تميزت بالبساطة والتمتع بالحرية الواسعة وخير دليل على ذلك هو حرية الطوائف الدينية بالجزائر والتي كانت تمارس شعائرها وطقوسها بكل حرية، ولعل خير شاهد على هذا سيرفانتس الذي صرح قائلا: "إن هناك شيئا يحيرني كثيرا وهو أن هؤلاء الكلاب (العثمانيون) الخونة تركونا نراقب ونمارس ديننا ...".[1]

2/ الصلاة:

أعطى الإسلام الصلاة منزلة كبيرة فهي أول ما أوجبه الله من العبادات، كما أنها هي الركن الثاني من أركان الإسلام، حيث أنها أول عبادة يحاسب عليها المسلم يوم القيامة وقد فرضت ليلة المعراج. فالجزائريون يؤدون صلاتهم في الأوقات المحددة، مثل أي أمة كانت، فهم يساندون أية أمة قبيحة على وجه الأرض. يصلون خمس مرات في أربعة وعشرين ساعة، واحدة قبل طلوع النهار، وأخرى على الواحدة، ثم واحدة مع وقت العصر بعد الظهر، وأخيرا حوالي الواحدة ليلا.[2] وقد ذكر تيدنا، أنه إذا أذن المؤذن (الإمام) للصلاة ونحن جالسين نتحادث يقفون ويؤدون صلاتهم متوجهين نحو مشرق الشمس، هذا إذا كانوا متوضئين، إذ كان لابد من غسل أرجلهم وأيديهم ووجوههم قبل التوجه إلى الصلاة، أو كامل الجسم إذا كانوا قد قاربوا النساء أو أحسوا أنهم قاموا بذنب مدة مابين الصلاتين.[3]

ويروي لنا شلوصر كيفية الوضوء والصلاة قائلا: "يستيقظ عادة في الثالثة صباحا، ويغرف الماء، وهو جالس فوق الأرض، بيده اليمنى –فاليسرى تعتبر غير طاهرة– ويصبه في يده اليسرى، ويغسل يده أولا، ثم يغرف مرة أخرى باليمنى ويمضمض فمه ثلاث مرات، ويستنشق ثلاث مرات كذلك، ويغسل وجهه ثلاثا، ويبل يديه ثانية بنفس الطريقة، ويدخل إبهاميه في أذنيه، ويمرر راحة يديه من أول جبينه إلى مؤخرة رأسه ثلاث مرات. وبعد ذلك يصب الماء باليمنى في اليسرى، ويغسل ذراعه اليمنى من يده إلى المرفق، وتقوم اليمنى بنفس العمل بالنسبة لليسرى، ويمسح رأسه من المقدمة إلى قفاه ويرد المسح إلى المقدمة،

---

[1] شوفاليه كورين، المرجع السابق، ص 74

[2] أخطأ جيمس ولسن ستيفن ربما عن جهل لتوقيت الصلاة فبعد الظهر يأتي المغرب وأخيرا تأتي صلاة العشاء وذلك في حدود العاشر ليلا (في فصل الصيف) وليس الواحدة كما ذكر. **أنظر**: جيمس وليسن ستيفن، الأسرى الأمريكان في الجزائر 1795– 1796، ترجمة علي تابليت، ثالة، الجزائر،2007، ص242.

[3] احميدة عميراوي، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص63.

ويمسح ظاهر أذنيه وباطنها[1]، ثم يؤدي الصلاة واقفا ويديه متشابكتان فوق صدره، ويركع ويسجد عدة مرات.[2]

ويضيف جيمس ولسن ستيفن، بأنه لا توجد في مساجدهم مقاعد خشبية طويلة لها مسند ظهري مثل الكنيسة، بل هي مفروشة بالرخام، وقبل ذلك يضع كل شخص حصيرة قش يسجد عليها. وبعد فترة قصيرة من السكون، وأثنائها تستمر شفاههم في حركة، ويرفعون أيديهم إلى رؤوسهم، بعده يضعونها على ركابهم، يسجدون على الحصيرة، وكلهم ساجدون ورؤوسهم على الأرض في نفس اللحظة، فهم يؤدون هذه الحركات التكاملية بدقة متناهية الخيال، وتستجيب كل حركاتهم بشكل واف وفي وقت واحد أكثر منه عند جيوش ذات تنظيم محكم. يستمر هذا المشهد حوالي خمسة عشرة دقيقة، ثم ينصرفون إلى أعمالهم.[3] بينما يرى ج.ميتزون أن الصلاة هي تقبيل مكان السجود، كما يمكن قضائها عن أخوه فيذكر: "عند طلوع الشمس يغسل النوتي يديه ورجليه ووجهه، ثم يفترش غطاء على سطح السفينة ليؤدي صلاته، وبينما يقبل سطح السفينة ثلاث مرات فإنه يمد يديه ورجليه بعد هذا إلى السماء ويفرك لحيته وهو يهمهم بقوة وقد يتحول أحيانا إلى صيحات ويتكرر هذا ثلاث مرات وإثرهما تنتهي الصلاة. وتعاد هذه الطقوس مرتين أخريين في اليوم، ومن المؤكد أنه يقوم بها أيضا نيابة عن زملائه في السفينة وإخوانه في الدين.[4]

ويتحدث كذلك شلوصر عن وجوب طهارة مكان الصلاة وطهارة المسلم حتى تكون الصلاة صحيحة فيقول: " ليس للبدو مساجد، فهم يؤدون الصلاة جماعة في الهواء الطلق. ويجب أن يكون المكان الذي تؤدى فيه الصلاة طاهرا، ولا يجوز أن ينجس... ولا يجوز للمتزوج أن يصلي إلا بعد أن يغتسل، في حين أن الأعزب يستطيع أن يتوضأ أو يتيمم، عند انعدام الماء. وأقل تلطيخ بالدم أو النجاسة يجعل الصلاة غير ممكنة، وإذا اضطر لترك الصلاة بسبب المرض أو انعدام الماء فإن عليه تعويضها".[5]

---

[1] أخطأ شلوصر في ترتيب الوضوء وهذا عن جهله للطريقة الصحيحة للوضوء فكما هو معلوم لدى عامة المسلمين، يتم الوضوء وفق الترتيب التالي: غسل اليدين، ثم المضمضة، الاستنشاق والاستنصار، غسل الوجه، غسل اليدين (اليمنى ثم اليسرى)، مسح الرأس، غسل الأذنين وأخيرا غسل الرجلين.

[2] فندلين شلوصر، قسنطينة أيام احمد باي 1832- 1837، ترجمة وتحقيق، ابو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 91.

[3] جيمس ولسن ستيفن، المصدر السابق، ص243.

[4] ج. ميتزون، المصدر السابق، ص 20.

[5] فندلين شلوصر، المرجع السابق، ص 91.

3/المناسبات الدينية:

أ/ شهر رمضان:

يتميز شهر رمضان بقداسة كبيرة لدى المسلمين، خاصة وانه شهر القرآن، وشهر المغفرة والرحمة، فقد روى لنا العديد من الأجانب تقاليد ومميزات هذا الشهر. فدوماس(daumas) ذكر بأن رمضان هو القاعدة الثالثة الأساسية في الإسلام[1]، ويأتي بعد شهر شعبان، بعد أن تكون الرؤيا من طرف شاهدان بالغان، ومنذ تلك اللحظة حتى القمر(الشهر) المقبل الصوم إجباري على جميع المسلمين. وللدخول الفعلي في رمضان وجب عقد النية عشية رمضان، وإلا كان الصوم ناقصا، وبعدها تطرق إلى الممنوعات وكذا مبطلات الصوم، من انغماس في الأفكار السيئة أو علاقة الزوج بزوجته أثناء الصيام ضف إلى ذلك التدخين وغيرها، ومن تعمد الأكل وجب عليه الكفارة، بإطعام 60 مسكينا أو صيام شهرين متتاليين أو عتق عبدا. كما ذكر بأن الصائم يفطر بعد غروب الشمس، يأكل أشياء خفيفة، أو حلويات، أو بالتمر مع شرب ثلاث رشفات من الماء، بعد تلاوة دعاء الإفطار، واكل وجبة الفطور على الفور حتى لا يتم تقليد اليهود، الذين يمتنعون طويلا عن الأكل.[2] ويضيف جيمس ولسن قائلا: "أن الصوم هو واجب له أهمية كبرى، ذلك أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) قال عنه: إنه مدخل للدين، وأن عطر فم من يصوم هو أكثر اعترافا لله من رائحة المسك. وحسب رجال الدين الإسلامي هناك ثلاث درجات من الصوم:

الأولى: امتناع البطن وأطراف أخرى من الجسم عن الاستجابة لشهواتهم

الثانية: امتناع الأذنين والعينين، واللسان واليدين والقدمين، وأعضاء أخرى عن فعل معصية.

الثالثة: صيام القلب عن كل هموم الدنيا، والامتناع عن كل الأفكار المتعلقة بالإله."[3]

بينما الرحالة هابنسترايت لاحظ أن المسلمين يمتنعون عن الشرب والأكل أثناء اليوم طيلة الشهر، ورأى بأن هذا الصيام لا ينهك سوى الطبقة الدنيا التي تقوم بالأعمال الشاقة، أما من هم في أرفع منزلة

---

[1] وضع دوماس الصوم في القاعدة الثالثة للإسلام، حيث ذكر أولا الصلاة، ثانيا الزكاة وثالثا الصوم ورابعا الحج والركن الخامس الشهادتين، غير إن الأصح لدى المسلمين الصيام يأتي في الركن الرابع من أركان الإسلام، فالأركان الخمسة للإسلام هي كالآتي: أولا: الشهادتين، ثانيا: الصلاة، ثالثا: الزكاة، رابعا: الصوم، خامسا: حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا.

[2] Daumas, Moeurs et Coutumes de L'ALGERIE, Tell ,Kabylie, Sahara, librairie de l.hachette, 1853, pp 102 – 105.

[3] جيمس وليسن ستيفن،المصدر السابق، ص 246.

يتجنبون هذا الإجهاد.[1] ورأى موريتس فاغنر بأنهم يحسنون استقبال هذا الشهر قائلا: "إن الإعلان عن بدء شهر الصيام يتم بإطلاق مائة طلقة من مدفع كبير، أقيم في الميناء... وبعد هذه الطلقات توقد مصابيح كثيرة فوق منارات المساجد، تضيء الهلال الذي يتوج رؤوسها، ويقف المؤذن بثيابه الجميلة وسط أضواء المصابيح، ويرفع العلم الأبيض ثم يدعو المؤمنين إلى الصلاة. وليس هناك مسلم راشد لا يسرع إلى تلبية النداء، فلا الشيخوخة ولا الثروة تحول بينه وبين المضي إلى بيت الله. وكانت المساجد دائما مكتظة بالمصلين."[2]

ويضيف فاغنر قائلا: "أن طعام الصائمين في الليل الكسكسي بالزيت، ويضاف إليه اللحم المقلي والفواكه، وبعد الطعام ينصرفون لمشاهدة العروض الهزلية المتنوعة، كما يحرصون على سماع الموسيقى طيلة شهر الصيام"[3]. غير أن فاغنر لم يجانب الصواب فمعظم الجزائريين بعد الإفطار يذهبون لأداء صلاة التراويح، وهنا يظهر مدى تناقضه فقد ذكر في موضع سابق بأنه كان يحضر الصلاة بصورة منتظمة بدافع الفضول، وكان يشارك أحيانا في صلاة الجماعة الغامضة بالنسبة إليه.[4] وفي الليلة 27 من الصيام يقومون بمأدبة كبيرة، وتوزع الصدقات للفقراء، والبعض يضعون الطعام في كل ركن وزاوية من المنزل لكي تأتي الأرواح الشريرة لتأكل الطعام وترضى بهذا العرض، هاته الليلة تسمى "ليلة السبعة وعشرين". وآخر يوم من الصيام يأتي العيد الصغير.[5]

ب/ عيد الفطر والأضحى:

تختلف الأعياد الدينية حسب السنة الهجرية، وهي سنة قمرية أقصر من السنة الشمسية، حيث يحل عيد الفطر بنهاية شهر رمضان أما عيد الأضحى وهو عيد التضحية بالخروف تخليدا لذكرى سيدنا إبراهيم (عليه السلام) ويتزامن ذلك مع وجوب القيام بأحد الأركان الخمسة للإسلام وهو أداء مناسك الحج.

ذكر سبنسر أن الأعياد الجزائرية كانت تدعى بيرامات (bayrams). من الكلمة التركية الخاصة بالعطل الدينية، وكان أكبر الأعياد هو قربان بيرامي (kurben Bayrami) أو كيوك بيرامي (kuyuk

---

[1] ج. أو. هابنسترايت، المصدر السابق، ص 48

[2] أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830- 1855، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص ص 114، 115.

[3] نفسه، ص 116

[4] أبو العيد دودو،المرجع السابق، ص 115

[5] Haedo, topographie et histoire générale d'alger, traduit, de l'espagnol par, Monnerau, et Berbrugger, imprimé, valladolid, 1870, p 142.

Bayrami) ومعناه عيد المسلم الكبير للتضحية. وهو العيد الأضحى أو العيد الكبير لدى عالم المسلمين الناطقين بالعربية، ويحتفي فيه بذكرى التضحية المقدسة من قبل إبراهيم (عليه السلام) بكبش بدل ابنه إسماعيل (عليه السلام)، والعيد الآخر هو سكر بيرام (seker Bayram)، أي عيد السكر وقد سمي هكذا بسبب تبادل الهدايا فيه وقطع الحلويات المصنوعة من السكر، وذلك بمناسبة نهاية شهر رمضان.[1]

فهابنسترايت فيقول: "عند رؤية هلال العيد ينقل الخبر على جناح السرعة إلى الداي ليأمر بإطلاق المدافع إعلانا بانتهاء شهر رمضان وحلول العيد، وقد جرت العادة في صبيحة اليوم الأول من عيد الفطر أن يذهب الناس إلى إلقاء السلام وتقديم التهنئة للداي.[2] كما توجه الدعوة إلى قناصل الدول ليشاركوا في الاحتفالات، ولكن ليس كممثلين لدولهم وإنما لكي يقدموا تحياتهم للداي والثناء على قوته وعظمته.[3]

أما عن كيفية الاحتفال بالعيد فالأهالي في أيام العيد الثلاثة يرتدون أجمل ما لديهم من ألبسة، وخاصة الأطفال الذين يرتدون في هذه الأيام الثياب المطرزة بالذهب والفضة، والسراويل المصنوعة من الصوف أو القطن، مما يجعل منظرهم في منتهى الروعة، والنساء والفتيات المحجبات، عددهن في الشوارع والميادين العامة لا يقل عن عدد الرجال، وهن يكتفين بالنظر والتسلية، بينما يعانق الرجال معارفهم في الشوارع، وفي باب الواد ميدان فسيح يقوم فيه تركي عجوز بإدارة عجلة كبيرة، وفوقها عدد من الأطفال يمرحون ويضحكون.[4] ويذكر هاينريش في مذكراته أن المسلمين على اختلاف أجناسهم يحتفلون بعيد الفطر، وتتجلى أشكال الاحتفال في ارتداء المسلم الساكن بالمدينة أجمل الثياب، عكس الريفي الذي لا يأبه بالثياب الجديدة. وفي هذا اليوم تقدم الهدايا للأطفال وغالبا ما تكون في شكل نقود.[5]ويضيف فاغنر قائلا: "يستيقظ الناس في الصباح على أنغام الموسيقى الصاخبة التي يعزفها السود، وهم يرتدون أجمل الثياب. وبأيديهم الطنابير والصفائح الحديدية، وموسيقاهم ذات إيقاع همجي... حيث تعتبر هذه الموسيقى من العادات القديمة في الأعياد. وكان هؤلاء أنفسهم يوقظون الداي من نومه صبيحة العيد، ويعزفون موسيقاهم في قصر القصبة مثلما يفعلون ذلك في الأماكن الأخرى ويتلقون عليها الهدايا.[6]

---

[1] وليم سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تقديم وتعريب، عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص 120.

[2] ج. أو.هابنسترايت، المصدر السابق، ص 48

[3] وليام شالر، المصدر السابق، ص67

[4] ابو العيد دودو، المرجع السابق، ص 118

[5] هاينريش فون مالتسان، المرجع السابق، ص 66

[6] ابو العيد دودو، المرجع السابق، ص 118

يسرد لنا هايدو احتفالات عيد الأضحى فيقول: "الاحتفال هو تخليدا لذكرى إبراهيم (عليه السلام) وكل مسؤول بيت ملزم (إذا استطاع) بذبح الخروف، أما الأغنياء يذبحون أحيانا بقدر ما يوجد من شخص في العائلة، أما كيفية ذبح الخرفان هي كالتالي: عندما تكون الشمس في الأفق منذ ساعتين تقام الصلاة في ساحة مغلقة خارج المدينة، حيث الجميع يجتمع مع الداي. ويكون قد تم تحضير الخراف في المنزل، فيغسل أولا وجه وكمامة الخروف بالماء والرائحة مع البخور، وفورا يذبح أضحيته.[1] بينما يذكر سبنسر بأن احتفالات عيد الأضحى تكون بإطلاق نيران البنادق بكثرة بعد بزوغ الفجر ويستقبل الداي التهاني والهدايا من أعضاء حكومته وممثلي الحكومات الأجنبية المقيمين في العاصمة. ثم يذهب مع وجهاء المدينة وأوجاقها إلى جامع الحواتين، حيث يقع ذبح الأضحيات ويكون ذلك مصحوبا بطلقات البنادق والموسيقى العسكرية، وعند انتهاء الصلاة الرسمية تفتح أبواب قصر الداي على مصراعيها للعامة فيقدم الكسكس.[2] ويضيف هايدو بقوله: "في هذا الاحتفال يسلخون الخروف ثم يتركونه معلق لمدة ثلاثة أيام، وبعدها يوزع قسم صغيرة للفقراء، والباقي للعائلة ويمكن ترك جزء كبير لكي يملح، أو يجفف في الشمس."[3]

ج/ الجمعة:

يعد هذا اليوم آخر أيام الأسبوع وله أهمية دينية كبيرة عند المسلمين، ولا شك في أن يوم الجمعة هو العيد الأسبوعي للمسلمين. فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "إنَ هذا يوم عيد جعله الله للمسلمين فمن جاء الجمعة فليغتسل".[4] فقال شلوصر عن هذا اليوم: " للمسلمين مثلنا يوم مبارك في الأسبوع، وهو يوم الجمعة ويسمونه "نهار لجمعة"، ولكني لم أجد فرقا بينه وبين الأيام الأخرى، فالناس يذهبون كالعادة لأداء الصلاة، ويمارسون أعمالهم"[5]، كما ذكر هايدو أنه من عادتهم في هذا اليوم وضع الحراس الانكشاريين في جميع الحصون وعلى الأسوار، أثناء الذهاب للصلاة التي تقام في الخارج بالريف، لأنهم يخشون أن يستفيد المسيحيون من هذا الابتعاد المؤقت للاستيلاء على المدينة، في منتصف النهار عندما تعلق اللافتات في قمة المساجد وينادي للصلاة، فالمسلمون مضطرون أكثر من أيام الأسبوع لحضور هذه الشعائر.[6] فقد ذكر توماس شاو "أن الإمام كان يصعد على المنبر يوم الجمعة يوم اجتماعهم الديني حتى يشرح بعض

---

[1] Haedo, op.cit , pp 144, 145

[2] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص ص 120, 121

[3] Haedo, op.cit, p 145

[4] رواه ابن ماجة وصححه الألباني.

[5] فندلين شلوصر، المرجع السابق، ص 85

[6] haedo, op.cit, p 147

الآيات من القرآن الكريم أو لحث المصلين على الرحمة و الشفقة والقيام بالأعمال الخيرية"[1]، فهذا الحديث والمراسم الدينية الأخرى، تتواصل في ذلك اليوم من الحادية عشر حتى الواحدة... فجميع المسلمين القاطنين قرب المدينة حال سماعهم آذان المرابط، ورفع الأعلام أو الرايات على المساجد يؤدون الصلاة.[2]

د/ المولد النبوي:

إضافة إلى احتفالات العيدين، يعتبر المولد النبوي الشريف من أهم الأعياد التي يحتفل بها بحكم مولد محمد(صلى الله عليه وسلم)، فتقام العديد من الاحتفالات والطقوس سواء بالمنازل أو في المساجد عن طريق إلقاء الخطب التي تخص سيرة الرسول (صلى الله عليه وسلم).

ذكر هايدو بأن: ميلاد محمد (صلى الله عليه وسلم) يأتي بعد القمر الثالث و13 يوم والذي يسمى (المولود)، في هذا الاحتفال لا يخرجون لأداء الصلاة مثل العيدين، ولكن في تلك الليلة والثلاثة التالية، تضاء جميع مساجد المدينة، لأن الجميع سيزورها للصلاة. كما تنظف جميع المنازل.[3] وتوضع الكثير من الأضواء، يقولون نفعل ذلك لذكرى محمد (صلى الله عليه وسلم) بكل تواضع، لأنه ولد في مكان بسيط ولم يولد في قصور الأغنياء[4]. كما تزين المدارس بالأعلام والأزهار ويقف التلاميذ أمامها، بأيديهم مسدسات، يسددونها نحو المارة، فيدفع لهم النقود كهدية[5]. ومن المعتاد في ذلك اليوم كل تلميذ يقدم هدية لمعلمه، تتمثل في شمعة جميلة جدا. وتحاط تلك الشموع بالزهور المطلية من جميع الألوان، وهذا الاستخدام يشبه استخدام الشموع من قبل المسحيين...أثناء يوم كامل الأطفال منشغلون في المدرسة بغناء الأناشيد التي لقنها لهم المعلمون للثناء على الرسول (صلى الله عليه وسلم).[6]

---

[1] Shaw Tomas, voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'anglais par J.Mac Carthy, éditeur, chez marlin, paris, 1830, p 101

[2] جيمس وليسن ستيفن، المصدر السابق، ص244.

[3] بالغ هايدو كثيرا في وصف عادات وتقاليد الجزائريين في الاحتفال بالمولد النبوي، ونلاحظ في وصفه نوع من الاحتقار لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم حيث ذكر بأن الجزائريين يقوم بتنظيف جميع الأماكن القذرة ومن بينها المراحيض لان الرسول صلى الله عليه وسلم ولد في مكان وضيع ولم يولد في قصور الأغنياء، فلهذا المسلمون ينظفون تلك الأماكن الوضيعة لكي يأتي الرسول ليلا ويجد الكسكس في تلك الأماكن ويأكل منه، وهذا أمر طبيعي بحكم النظرة الضيقة حول الإسلام والمسلمين، غير أن المسلمون يقدسون هذا اليوم وتكون احتفالاتهم عن طريق الخطب والدروس النبوية في المساجد.

[4] Haedo, op.cit, p 146

[5] فندلين شلوصر، المصدر السابق، ص 86

[6] Haedo, op.cit, p 146 , 147

ويضيف هايدو قائلا: "في نفس الوقت تحضر كمية كبيرة من الكسكس باللحم والحمص، وتوضع بعض الأطباق في المنازل والشرفات والساحات وفي الغرف أيضا، وينثر على الطريق القليل من الكسكس وبعض قطع اللحم، وقطع الخبز، في اعتقادهم أن محمد (صلى الله عليه وسلم) هذه الليلة سيأتي للمنزل ويأكل ما وضع شرفا له.[1]

فالملاحظ أن هايدو ركز على الجانب المادي فقط ولم يركز على الجانب العقائدي، بحكم أنه مسيحي وله نظرة ضيقة حول الإسلام، فصور لنا الاحتفالات على أساس أنها تقوم على الخرافات والأسطورة، غير أن المعلوم لدى المسلمين، الاحتفال بمولد الرسول (صلى الله عليه وسلم) الذي له مكان خاصة في قلوب المسلمين، تقام الخطب والدروس في المساجد حول هاته الذكرى، حتى في المنازل يحتفل بمأكولات خاصة فرحا بمولد النبي عليه الصلاة والسلام وليس مثلما صورها هايدو.

هـ/ الحج:

يعتبر الحج فريضة من أهم الفرائض الدينية عند المسلمين، خاصة وانه الركن الخامس من أركان الإسلام، وفي نفس الوقت هو مناسبة اجتماعية هامة لها خصوصياتها في الجزائر العثمانية، وكل المسلمين في العالم لديهم موعد يلتقون فيه لأداء فريضة الحج[2]. فدوتاسي يقول بأن الحجاج يفخرون بقداستهم، حيث يقومون برحلة إلى مكة لزيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وسلم) فهذا مميز جدا بالنسبة لهم ليشاهدوا قدسيتها[3]. وعندما يحين وقت الحج يقوم الداي باستدعاء المجلس العلمي لمدينة الجزائر الذي يعقد اجتماعا احتفاليا رسميا يشارك فيه وكيل الحرمين الشريفين، الذي يسلم للمفتي الصدقات المخصصة لفقراء المدن المقدسة (مكة والمدينة)، والتي تكون قيمتها مرتفعة مع هبات كبار موظفي الايالة.[4]

ويقوم عدد كبير من الجزائريين برحلة إلى مكة سنويا، وتستعمل عدة سفن لنقلهم إلى هذه المدينة المقدسة بغرض أداء الفريضة. فهذا الحج ضروري جدا لأنه ركن من أركان الدين التطبيقية، ذلك أنه حسب حديث محمد (صلى الله عليه وسلم)، أن الشخص الذي يموت من غير القيام بهذا الفرض يعد مثل يهودي أو مسيحي ويعتبر واجبا دينيا خاصا، وقد أمر القرآن به صراحة على جميع أولئك الذين لهم قدرة كافية

---

[1] Ibid p 146
[2] Achile Rofert, la religion musulmane a alger avant la conquéte française, in recueil de la société archéologique de constantine, p 250
[3] De Tassy Laugier, Histoire du royaum d'Alger, chez Henri du Sauzet, Amsterdam, p 93.
[4] Pierre Boyer , L'administration française et la reglementation du pelerinage à la maque(1830-1894), reoue d'histoire maghrebin, 1997, p 275.

للقيام به[1]. ويضيف جيمس ولسن ستيفن أن الحجاج يلبسون ملابس خاصة ومحترمة، وتشمل اثنان من لفاف الصوف، واحدة في الوسط لتغطية عريتهم، والأخرى توضع فوق أكتافهم. وبهذا اللباس يدخلون الأراضي المقدسة، حيث لا يحق لهم لا الصيد ولا الكلام الفاحش. فعلى المرء أن يحافظ بشكل دائم عن كل ما يصدر منه من أقوال وأفعال ويتجنب الخصام، والسب والشتم وأن يوجه كل اهتمامه لعبادة الله والتقوى التي تعهد بها في حجته.[2]

4/ المناسبات الشعبية (الدينية)

أ/ الزواج:

القاعدة المتبعة في الزواج، هي نفس التي يسير عليها المسلمون في كل مكان، فعقد الزواج يحتوي على شروط تساوي نوعا ما بين المرأة والرجل الذي يتزوجها، أو على الأقل تحميها من معاملته التعسفية[3]. فقد شاعت ظاهرة في خصوص عرف الزواج بمدينة الجزائر تتمثل في التوسط، ويتم عادة عن طريق امرأة مسنة صديقة العائلة[4]. فكان للنساء دور كبير للتخطيط في الزواج، حيث كن يلتقين في الزيارات المتبادلة للمنازل وفي الحمامات العمومية، وتلتقي القريبة بالقريبة والصديقة بالصديقة مما تسمح هذه الجلسات بنقل الأخبار حول الفتيات وحول الزواج[5]. ويضيف ولسن ستفن بعدم وجود علاقة جنسية في الجزائر بين الرجل والمرأة قبل الزواج، وأن عقود الزواج يتم التفاوض عليها من قبل امرأة موثوق بها يستعملها الرجال، الذين يعرضون على الآباء مبلغا ماليا محددا طبقا لمطالبهم، وهكذا تشتري السيدة، وكأنها مادة تجارية. ومن هنا فإنه نادرا ما يحدث أن يبقى الزواج متينا بالحب، وهكذا يقع خرق قانون الطبيعة، لأنهما قاما بذلك وبالتأكيد على دسيسة وغيرة، وعواطف صاخبة[6]. فحسب نظر بعض الأجانب المرأة يتم تسليمها كعبده في نزوة بربري، الذي يريد الزواج منها. غير أن عقد الزواج الذي تم وضعه يؤسس بالتالي بعض قدم المساواة مع زوجها، أو على الأقل يحميها ضد سوء المعاملة من البربري.[7]

---

[1] جيمس ولسن ستيفن، المصدر السابق، ص 250.

[2] نفسه، ص ص 250، 251.

[3] وليام شالر، المصدر السابق، ص ص 86، 87

[4] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 116

[5] وليام شالر، المصدر السابق، ص 87

[6] جيمس وليسن ستيفن، المصدر السابق، ص238.

[7] Arséne Berteuil, L'algérie française « histoire- moeurs- coutumes- industrie- agriculture », tome1, dentu, libraire éditeur, paris, 1856, pp 40- 41.

ويتحدث فاغنر عن الطريقة التي تتم بها عقود الزواج، فيقول: أن الشبان يصلون إلى سن البلوغ في الثالثة أو الرابعة عشر، فإذا سمع شاب بفتاة ورغب في مصاهرة أهلها، فإنه يبحث عن خاطبة لها علاقة بأهلها... وتتم خطبة الفتاة الشكلية على يد الخاطبة نفسها فيجتمع الوالدان ويتفقان على الصداق الذي يجب أن يدفعه الشاب للفتاة. وبعدها يذهبان للقاضي إذ يعتبر هذا عقد زواج شكلي، ويحدد يوم العرس وعقب ذلك يقرآن الفاتحة معه، ليتم الزواج على بركة الله[1]. أما بالنسبة لتعدد الزوجات ذكر شالر أن أغلب الرجال المسلمون يكتفون بزوجة واحدة تلحق بها عددا من الأبناء، والقليل منهم من يعيدون الزواج[2]. وفي نفس السياق يضيف فاغنر بأن المسلم له الحق في أربع زوجات، أما الأخريات فهن إماء، إلا أن الجزائر ليس فيها أحد يملك حريما حقيقيا، وهناك عدد قليل من الحضر لهم أكثر من زوجة.[3]

كما يروي لنا سبنسر عن بنانتي تحضيرات الزواج قائلا: "يتجول الزوج بضعة أيام قبل الحفل في نواحي المدينة... وفي يوم الزواج يقوم بجولة أخرى، مرتديا جلبابا أحمر وبجانبه سيف رفيع، كما يوجد خمار ملقى على وجهه للحيلولة دون تأثير عين الشيطان... وفي ذلك اليوم يتجمع الأصدقاء والأقرباء فيقوم الزوج بالصلاة بمحضرهم وينصرف بعدها ليلتحق بالزوجة في بيتها، وهنا يعلن أنهما زوجان لبعضهما بواسطة بعض الصلوات التي يقوم بها الزوج والأئمة..."[4] وقد أتيح لفاغنر أن يحضر أعراس الحضر في الجزائر مرتين، فقد حضر لحفلة عرس تركي في عنابة، وعرس كرغلي في مستغانم، ويصف الحفلات بأنها كانت كلها متشابهة. فبعد أن يعود الرجال من عند المفتي، يذهبون مساءا إلى منزل العروس تصاحبهم الموسيقى والفوانيس الكبيرة، فتتبعهم العروس بلباسها الفخم إلى بيت العريس.[5]

ب/ الطلاق:

في مفهوم قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) أن أبغض الحلال عن الله الطلاق فهذا يدل على مقت شريعتنا للطلاق لما ينجر عنه من أمور سلبية من تفكك الأسر وتشرد الأطفال، وقد قال الله تعالى في محكم تنزيله: "الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ..."[6] فالنساء كثيرا ما يسأمن ويشتكين

[1] ابو العيد دودو، المرجع السابق، ص ص 121، 122
[2] وليام شالر، المصدر السابق، ص 86
[3] ابو العيد دودو، المرجع السابق، ص 122
[4] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 117
[5] ابو العيد دودو، المرجع السابق، ص 120
[6] سورة البقرة، الآية 229.

من معاملة الأزواج لهن، ولكن لا يستطعن تغيير هذا الواقع، لأن الرجال متمسكون بحقوقهم ويرفضون الانصياع[1]. وتيدنا في مذكراته يذكر بأن الزوج إذا قصر في واجباته نحو زوجته، فيكون باستطاعة المرأة أن تذهب إلى القاضي وتفسخ ذلك الارتباط.[2]

فرباط الزوجية يمكن حله بسهولة إذا قرر الزوج أو الزوجة أنه لم يعد رباطا مفيدا، فالرجل يمكنه بسهولة التخلص من المرأة السيئة[3]. ويقول شوفالييه كورين بأن الطلاق ظاهرة مألوفة جدا، والأسباب التي تؤدي الى وقوعه بكثرة من جانب المرأة هو السلوك غير اللائق للرجل. ومن جانب الرجل هي المعاملات السيئة للمرأة تجاه زوجها، الضعف والعياء، عدم قيامها للصلاة.[4]

ج/ حفلة الختان:

من عادة المسلمين في ديانتهم الإسلامية يقومون بتطهير(تختين) الطفل قبل بلوغ سن 10 سنوات،[5] يقول فاغنر عن حفلة الختان بأنها تشبه الحفلات الأخرى تماما، حيث لا يختتن إلا في سن الرابعة، ويسمى الذي يقوم بهذه العملية البشار، وما هو برجل دين وأقصى ما يتسلمه من الأثرياء هدية لا تزيد عن ثمانية "بوجو"، أما الفقراء فإنه يختن أولادهم مجانا، ويتم ختان البادية على يد المرابط. فالختان بالنسبة لعرب الريف حفلة دينية أكثر منها دنيوية، أما الحضر عكس ذلك فهم يطعمون ويكررون نفس الحفلات التي تقام بمناسبة الأعراس.[6]

د/ الجنازة (المأتم):

يقول غرماي (Gramaye) إذا مات الشخص تغسل جثته بالماء الساخن والصابون،[7] مبتدئين بالرجلين ولم يكن يسمح بلمس المكان الذي تم غسله. وبعد الانتهاء من الغسل يكفن الميت في قماش

---

[1] سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تعريب وتقديم، ابو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974، ص 176 .

[2] احميدة عميراوي، المصدر السابق، ص 62

[3] جون ب. وولف، الجزائر وأروبا، ترجمة وتعليق، ابو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1986، ص 170

[4] كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 70

[5] Achile Rofert, op cit , p257.

[6] ابو العيد دودو، المرجع السابق، ص ص 122، 123

[7] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 126

جديد.[1] وإذا كانت الوفاة يوم الجمعة فإنه يصلى على الميت أثناء وقت الصلاة في المسجد، وبعدها يرافق معظم المصلين الجثة إلى المقبرة وهم يرتلون سوراً من القرآن ويمشون بسرعة.[2] وقد ذكر شلوصر بأنهم لا يتركون الميت في بيوتهم أكثر من ليلة واحدة. حيث يغطى النعش بغطاء أبيض، ولا يستعملون التابوت. ويحمل النعش إلى القبر وهو عبارة حفرة متوسطة العمق رشت بالماء ليوضع بها الجثمان ويغطى بالحجارة بكل عناية وترتيب، بحيث لا تسقط ذرة من التراب عليها.[3] ويوضع حجر عند الرأس وأخرى عند القدم وكل منهما تكون منقوشة بآيات قرآنية.[4] وبعد إتمام عملية الدفن يقوم بعض المرابطين بتلاوة هذه الكلمات من غير انقطاع، لا إله إلا الله محمد رسول الله[5] ويضيف جيمس ويلسن قائلا: " يعتقد الجزائريون أنه عند الوفاة ووضع الميت في القبر، تأتي اثنتان من الملائكة إلى الميت وتوقفه على ركبتيه لتحاسبه على أفعاله. فإن عاش حياة فاضلة يأتيه ملكين بلون الثلج... تضيفه بكل المتاع التي يشتهيها في الآخرة. وإن عاش حياة فاجرة يأتيه ملكين بلون أسود مثل زغلة، وهذا الملكين مفوضين بتسليط أقصى العقوبات عليه.[6]

خاتمة:

تميزت الحياة الدينية في الجزائر العثمانية بالتمتع بالحرية الواسعة، والدليل على ذلك أن جميع الطوائف الدينية بالجزائر كانت تمارس شعائرها وطقوسها بكل حرية، بدءا من الأسرى المسحيين إلى اليهود الذين كانوا يعيشون في الجزائر بكل حرية.

من خلال إطلاعنا على جل كتابات الأجانب فيمكن القول أنهم لم يفرقوا بين الشعائر الدينية والعادات، فقط وصف دوماس الوضوء والصلاة بأنها عادات دينية. كما رآها جيزيت. ميتزون بأنها تقبيل للأرض، ورأوا بأن الصوم ضرب من الجوع.

التركيز على الجانب المادي فقط ولم يركزوا على الجانب العقائدي، وهذا بحكم انتمائهم الديني فهم غرباء عن الإسلام، وينظرون للمسلمين بنظرة دونية.

---

[1] احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 62

[2] وليم سبنسر ، المرجع السابق، ص126

[3] احميدة عميراوي، المرجع السابق، ص 62

[4] وليم سبنسر، المرجع السابق، ص 126

[5] جيمس وليسن ستيفن، المصدر السابق، ص158.

[6] نفسه، ص242.

جهلهم بالشريعة وبأركانها فمثلا مهر الزواج يرونه على أساس انه شراء للمرأة كأنها سلعة، وأنها تساق إليه كالعبدة ووصف الزوج بأنه لا يفقه أمور الزواج وانه عصبي مع زوجته. غير أن ذلك ليس صحيح. الصَّداق (المَهر): رُكنٌ من أركان النّكاح، والدّليل عليه الكتاب والسُّنة والإجماع، أما الكتاب فقوله تعالى: (وءاتُوا النِّساءَ صَدُقاتِهِنَّ)، وأما السُنّة: فقول الرّسول عليه الصّلاة والسّلام- : (التَمِسْ ولو خَاتَماً من حديد) ، وذلك يَدُلُّ على أنَّهُ مُشتَرَطٌ، قال الرّسول عليه الصّلاة والسّلام-: (لا نِكاحَ إلا بِوَلي وصَداق وشاهِدَي عَدل)، وقد انعقد الإجماع على ذلك، ولا يَجوز التَّراضي على إسقاطه.

مبالغة الأجانب في تفسير بعض الممارسات الدينية وكأن المسلم لا يعرف حقوقه وواجباته من خلال ما شرع الله.

قائمة المصادر والمراجع:

1/ باللغة العربية:

- **بفايفر سيمون، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تعريب وتقديم، أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974**

- **دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830- 1855، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.**

- **سبنسر وليم، الجزائر في عهد رياس البحر، تقديم وتعريب، عبد القادر زبادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006.**

- **ستيفن جيمس وليسن، الاسرى الامريكان في الجزائر 1795- 1796، ترجمة علي تابليت، ثالة، الجزائر،2007.**

- **شالر وليام، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816- 1824، تعريب وتعليق وتقديم، اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.**

- **شلوصر فندلين، قسنطينة أيام احمد باي 1832- 1837، ترجمة وتحقيق، ابو العيد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.**

- **عميراوي احميدة، الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني (مذكرات تيدنا أنموذجا)، دار الهدى، الجزائر، 2009،**

- فون مالتسان هاينريش، ثلاث سنوات في غربي شمال أفريقيا، ج1، ترجمة وتقديم، أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، ط1، 2008.

- كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر 1510- 1541، ترجمة، جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007.

- ميتزون.ج، يوميات اسر في الجزائر 1814- 1816، تعريب محمد زروال، دار هومة، الجزائر، 2011،

- هابنسترايت.ج. أو، رحلة العالم الألماني: ج. أو. هابنسترايت الى الجزائر وتونس وطرابلس 1145هـ- 1732م، ترجمة وتحقيق وتعليق، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 2008.

- وولف جون. ب، الجزائر وأروبا، ترجمة وتعليق، أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1986

الدوريات:

- درقاوي منصور، الموروث الثقافي اللامادي بالجزائر العثمانية على ضوء المصادر الأوروبية، عصور، العدد 34- 35، الجزائر، افريل- جوان، 2017.

موقع الأنترنيت:

خالد صالح، مسلمون أم محمديون ...الفوارق بين الدين الألهى وأديان البشر، يوم 2018/02/11، 21:22،

http://www.ahl-alquran.com/arabic/printpage.php?doc_type=1&doc_id=1255

2/ بالغة الأجنبية:

- Achile Rofert, la religion musulmane a alger avant la conquéte française, in recueil de la société archéologique de constantine.

- Arséne Berteuil, L'algérie française « histoire- moeurs- coutumes- industrie- agriculture », tome1, dentu, libraire éditeur, paris, 1856

- De Tassy Laugier, Histoire du royaum d'Alger, chez Henri du Sauzet, Amsterdam.

- Daumas, Moeurs et Coutumes de L'ALGERIE, Tell ,Kabylie, Sahara, librairie de l.hachette, 1853.

- Haedo, topographie et histoire générale d'alger, traduit, de l'espagnol par, Monnerau, et Berbrugger, imprimé, valladolid, 1870.

- Pierre Boyer , L'administration française et la reglementation du pelerinage à la maque(1830-1894), reoue d'histoire maghrebin, 1997

- Shaw Tomas, voyage dans la régence d'Alger, traduit de l'anglais par J.Mac Carthy, éditeur, chez marlin, paris, 1830.

- Voyage a alger ou description de cette ville de ses environs et du royume d'alger , paris, 1830.

التواجد الأندلسي وتأثيره على الحياة الثقافية بالجزائر خلال العهد العثماني (القرن16م-18م).

الطالب الباحث/ زرارقة علي

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر.

ملخص:

يعتبر تواجد الجالية الأندلسية بالجزائر خلال الفترة الممتدة مابين القرنين 16م و 18م إحدى المؤثرات الهامة كونها أصبحت تشكل عنصراً بشريا له تأثيره في مختلف مجالات الحياة ، فكانت الجالية متجانسة مع بقية أفراد المجتمع من حيث المعتقد واللغة والانتماء، و لم يقتصر هذا التأثير على الجانب الاجتماعي والاقتصادي بل شمل كذلك الجانب الثقافي الذي ارتكز عليه العنصر الأندلسي في اندماجه بالمجتمع، فقد نقل الأندلسيون العديد من الإنجازات والخبرات العلمية, و تعددت إسهاماتهم في الجانب الفني بنقلهم للموسيقى الأندلسية وغيرها ، ضف إلى ذلك مدى فاعليتهم في الجانب العمراني الذي يعتبر من أكثر الأشياء الشاهدة على التواجد الأندلسي بالجزائر خلال هاته الفترة.

الكلمات المفتاحية: الأندلسيون- الجزائر- الثقافي – المجتمع- العلمي –العمران- الفن .

Abstract:

the presence of the Andalusian community in Algeria during the period between the 16th and 18th centuries, One of the important influences is that it has become a human element that has an impact in various areas of life, The community was in harmony with the rest of society in terms of beliefs language and belonging, This influence was not limited to the social and economic aspect, but also included the cultural aspect on which the Andalusian element was based in its integration into society, The Andalusians have transmitted numerous achievements and scientific expertise, And their artistic contributions have multiplied by the transfer of Andalusian music and others, Add to this the extent of their efficiency on the urban side, which is considered to be one of the most witnesses to the Andalusian presence in Algeria during this period.

Keywords: Andalusians – Algeria – cultural - the society - scientist - the urban – Art

- **توطـئة:**

يعتبر تواجد الجالية الأندلســـية بالجزائر نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م إحدى المؤثرات الهامة كونها أصبحت تشكل عنصراً بشريا له تأثيره في مختلف مجالات الحياة ، فكانت الجالية متجانسة مع بقية

أفراد المجتمع من حيث المعتقد واللغة والانتماء، و لم يقتصـــر هذا التأثير على الجانب الاجتماعي والاقتصادي بل شمل كذلك الجانب الثقافي الذي ارتكز عليه العنصر الأندلسي في اندماجه بالمجتمع، فقد نقل الأندلســيون العديد من الإنجازات والخبرات العلمية, و تعددت إســهاماتهم في الجانب الفني بنقلهم للموسيقى الأندلسية وغيرهـــا ، ضف إلى ذلك مدى فاعليتهم في الجانب العمراني الذي يعتبر من أكثر الأشـــياء الشـــاهدة على التواجد الأندلســـي بالجزائر خلال هاته الفترة, ومن هنا يمكن طرح العديد من التســاؤلات ألا وهي: كيف اســتطاع الأندلســيون الاندماج داخل المجتمع الجزائري باختلاف فئاته؟ وفيما تمثلت التأثيرات الثقافية للأندلسيين على المجتمع؟ وما هي ابرز انعكاساتها عليه؟

- **الهجرة الأندلسية إلى الجزائر :**

عرفت الجزائـر هجـــرة أندلسيـــة واسعة وهامة خلال مراحـل متعددة نحو المنطقة ،حيث وبعـد سقوط غرناطة ســنة 1492 م عرفت الجزائر موجات هامة من هؤلاء المهاجرين ، و بتأســيس الحكم العثماني بالجزائر سنة 1519 م عمل الإخوة بربروسا على إغاثة المورسكيين ونقلهم وهذا ما أعطى للجزائر سمعة وشهرة في المنطقة زادت من حرص فليب الثاني (1556م – 1598م) لتكثيف حملاته للحد من التوسع العثماني في المنطقة، فاستطاع بعد ذلك الأندلسيون ممارسة نشاطهم الاقتصادي الواسع الذي مكنهم من تكوين ثروات ضـخمة سـاهمت في فعاليات اقتصـاد إيالة الجزائر، وكان لهم الدور الفعال في المشـاركة بالمجال التجاري والثقافي وغيرهما[1].

- **التأثيرات الاجتماعية للجالية الأندلسية بالجزائر خلال العهد العثماني :**

تميزت الجالية الأندلسية بالبلاد الجزائرية بكونها أصبحت تشكل عنصراً بشريا له تأثيره في مختلف مجالات الحياة ، فكانت الجالية متجانسة مع بقية أفراد المجتمع الجزائري من حيث المعتقد واللغة والانتماء [2]، فتمكن الأندلسيون بفضـل نشـاطاتهم المختلفة من ربط علاقات مع شـرائح وطوائف المجتمع الجزائري

---

[1]- حنيفي هلايلي،**الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء سجلات المحاكم الشرعية** ، د ط ،جامعة سيدي بلعباس, الجزائر، د ت ، ص ص 1- 3.

[2]- نصر الدين سعيدوني،**ورقات جزائرية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2000، ص 143.

في العهد العثماني[1]،فكانت الجالية الأندلسية تلقب بطبقة الأغنياء في مجتمع إيالة الجزائر فهم يسكنون المدن ويقيمون في منازل كبرى ويملكون الثروة ويتعاطون التجارة[2].

كما كان الأندلسيون يعتبرون أنفسهم أرقى حضارة وألطف أخلاقا مما جعلهم لا يميلون إلى الاختلاط مع غيرهم من السكان [3]، وهذا ما دفع بهم إلى تأسيس جمعية خاصة بهم في شهر محرم عام (1033 هـ 1621 م) [4] ، كما كان أفراد الجالية الأندلسية أكثر ثقافة وتطوراً حيث حافظوا على تقاليدهم الخاصة سواءاً في المعاملات أو في الأفراح وطرق الطبخ ونوعية اللباس و الأكل[5].

استطاع الأندلسيون الحفاظ على لغتهم العربية إضافة إلى شيوع لغة الفرنكا والتي تغلب عليها الكلمات الإسبانية ،أما بالنسبة للعادات والتقاليد فقد حافظ الأندلسيون على تقاليدهم الخاصة سواءاً في المعاملات اليومية أو في الأفراح وطرق الطهي ونوعية اللباس والأكل، كما حافظوا على مظاهر الاحتفال بالأعياد و المواسم الدينية مثل المولد النبوي وليلة القدر و عاشوراء وعيد الأضحى و عيد الفطر...الخ، فكانوا يرددون الأناشيد والقصائد والمدائح الدينية ، كما كانوا مولعين بالغناء وعزف الموسيقى في الأفراح وعند الولادة والختان والخطبة والزفاف وغيرها من المناسبات المختلفة ، وكان العنصر الاندلسي ميال للتأنق في اللباس والحرص على النظافة ،وحمل الأندلسيون عادات كثيرة منها صورة الكف (الخامسة)[6].

نجح الأندلسيون في فرض أذواقهم على غالبية السكان من حيث اللباس (القمجة والطوق والفستان والمحرمة و القندورة ... إلخ [7]،ومن الألبسة التي عمل الأندلسيون على إنقاذها من الاندثار نجد " الشاشية " اذ اختص بلبسها العلماء والطلبة والتجار، أما من حيث الأكلات فقد عرف المطبخ الجزائري بفعل التأثير الأندلسي تنوعا من حيث نوعية الأكل وطريقة الطهي لا سيما ما يتعلق بالحلويات والأطباق التي

---

[1]- حنيفي هلايلي، **المرجع السابق** ، ص 4 .

[2]- Laugier de Tassy , **Histoire du Rayamme d'Alger,** ed loyesel, paris, 1992 , p 69 .

[3] – مفيدة بن يوسف، **الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري (ق16م–17م)**،مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر،2010-2011م، ص 131 .

[4]- حنيفي هلايلي ، **المرجع السابق** ، ص 6.

[5]- مفيدة بن يوسف ، **المرجع السابق** ، ص 135.

[6]- صورة الكف (الخامسة) : معتقد مسيحي رسخ في أذهان المورسكيين ويعني بها كف مريم البتول وتعتبر في معتقداتهم مانعة من الأرواح الشريرة، للمزيد أنظر: مفيدة يوسف، **المرجع السابق** ،ص137.

[7]- مفيدة بن يوسف، **المرجع السابق** ، ص 135 .

امتزجت فيها التقاليد الأندلسية بالأذواق التركية والعربية والأوربية والتي استطاعت العائلات الحضرية الجزائرية المحافظة عليها [1].

•التأثيرات الثقافية للجالية الأندلسية بالجزائر خلال العهد العثماني:

لقد أثر الأندلسيون على جميع المجالات ، إذ أنه لم يقتصر هذا التأثير على الجانب الاجتماعي والاقتصادي بل شمل كذلك الجانب الثقافي الذي ارتكز عليه العنصر الأندلسي في اندماجه بالمجتمع الجزائري ، فقد نقل الأندلسيون العديد من الإنجازات فكان من بينهم العلماء الذين ساهموا مساهمة فعالة من خلال تدريسهم للأدب والفقه والعلوم وغيرها، حيث نشروا التعليم وفق مناهجه ،و تعددت إسهاماتهم أيضا لتشمل الجانب الفني بنقل الموسيقى الأندلسية من موشحات وغيرها ، و مدى فعاليتهم في الجانب العمراني الذي يعتبر من أكثر الأشياء الشاهدة على التواجد الأندلسي بالجزائر بجميع أشكاله .

▪**الحياة العلمية** : توافد المهاجرون الأندلسيون على شواطئ المغرب فكان ذلك خير وبركة على المجتمع المغربي العربي الذي كان دائما يلعب دور الوسيط في الإنتاج الثقافي [2]،إذ تكونت بفعل هجرة الأندلسيين إلى عواصم المغرب مراكز علمية كان للجالية الأندلسية فيها دور الريادة وعامل الإبداع فكان نشاطا ثقافيا وإشعاعا علميا لحواضر المغرب مثل القيروان وتونس وفاس ومراكش وبجاية وتلمسان والجزائر وكان ذلك استمراراً للإسهام الفكري والإنتاج العلمي لها[3].

وتأتي في طليعة المدن الجزائرية والتي كانت أكثر تأثرا بالأندلسيين مدينتا بجاية وتلمسان، فبجاية بعد أن اتخذها ملوك الحماديين عاصمة لهم ،أصبحت محط رحال الأندلسيين الذين شكلوا نسبة كبيرة من سكانها،ثم بعد أن ألحقت بالدولة الحفصية اعتبرت عاصمة إقليمية وبابا لإفريقية الحفصية على الاندلس[4]، وكان في طليعتهم جمع غفير من الفقهاء والعلماء ورجال العلم الذين استقبلهم الحكام

---

[1]– نصر الدين سعيدوني ، **دراسات أندلسية،مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الاندلسي بالجزائر**،دار الغرب الإسلامي ،الجزائر، 2003، ص 138.

[2]– أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**،10 أجزاء،ج 1 ، عالم المعرفة ، الجزائر ،2011 ، ص36.

[3] – نصر الدين سعيدوني ، **دراسات أندلسية**... ، **المرجع السابق** ، ص 101.

[4] – أشار البكري لأهمية بجاية بالنسبة للأندلسيين فقال: "اهلة عامرة بأهل الأندلس، بها مرسى تدخله السفن محملة ..."، انظر : أبي عبيد البكري ،**المغرب في ذكر إفريقيا والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دون تاريخ نشر،ص82.

الحفصيون بكل حفاوة وإكرام، حتى أن الأمير فارس بن عبد العزيز الحفصي اهتم بهم وباحتياجاتهم، وهذا ما يؤكد لنا النهضة العلمية والازدهار الاقتصادي الذي عاشته بجاية في تلك الفترة[1].

كما يعود عامل تماسك الوسط الثقافي البجائي إلى" مشيخة الأندلس"، والتي كانت الرئاسة فيها لأقدر العلماء وأكثرهم نفوذا أو ثروة وجاها[2]،وهذا ما يؤكد أن النهضة العلمية التي عاشتها بجاية الحمادية والحفصية لم يمكن متيسراً لولا قدوم عدد ضخم من العلماء [3]، ونذكر من بين هؤلاء العلماء "أبي بكر بن محرز البلنسي"،و"أبي بكر الأنصاري" المعروف بابن السراج الإشبيلي و"أبي بكر بن سيد الناس العميري الأشبيلي[4]، فكانت بيوتات هؤلاء العلماء مكانا للمناظرة والمذاكرة والمناقشة في المسائل العلمية والأدبية واللغوية والمشورة فيما يهم جماعتهم ،ومن بين العلماء الوافدين أثناء الهجرات الأولى والذي كان لها اثر على الحياة العلمية والتي استقطبتهم بجاية الحفصية نجد:

"الشيخ الفقيه سيدي أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي" (ت1197م)المعروف بابي مدين الغوث دفين تلمسان[5]،و"القاضي محمد بن عبد الله بن حسن المالقي"، والفقيه "أبو العباس احمد بن احمد الغبريني"،والعالم "أبو عبد الله بن إبراهيم الابلي الأندلسي" (ت1356م) وكذلك العالم "محمد بن احمد بن طاهر الأنصاري الاشبيلي" المعروف بابن الخدب(ت 1884م)،هذا جزء من الشخصيات العلمية الأندلسية الوافدة على بجاية الحفصية ،أما بالنسبة لعاصمة الزيانيين فقد عرفت تلمسان ازدهاراً عالمياً كبيراً نظراً لاستقباله عدداً كبيرا من المهاجرين الأندلسيين الذين بلغ عددهم حسب بعض الروايات 50 ألف مهاجر، والذين حملوا إلى تلمسان علومهم و آدابهم وفنونهم ، فقد نظموا حلقات التعليم بالمدارس و المساجد وخاصة " مسجد الجامع " حيث أصبح مركزاً دينيا ومركزا للثقافة العربية الإسلامية لا يقل أهمية عن جامعي الزيتونة والقرويين فبرز علماء في الأصول و التفسير والتوحيد والعلوم اللسانية والرياضية [6].

ومن بين الشخصيات التي وردت على تلمسان عند سقوط غرناطة في يد الإسبان نجد " عبد الله بن الحداد الوادي آشي " و القاضي الشهير "أبو عبد الله بن الأزرق "، وهناك أيضا "قاسم بن سعد بن

---

[1] – نصر الدين سعيدوني،**دراسات أندلسية...**، **المرجع السابق** ،ص19.

[2] – نفسه ، ص 107.

[3] – نصر الدين سعيدوني ، **ورقات جزائرية** ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 2000، ص ص 128 ، 129.

[4]– الغبريني ، **عنوان الدراية لمن عرف من العلماء بالمائة السابعة ببجاية** ، تح: ابن شنب محمد ،الجزائر، 1910، ص93.

[5]– نصر الدين سعيدوني ، **دراسات أندلسية...** ، **المرجع السابق** ، ص 107.

[6] – مفيدة بن يوسف، **المرجع السابق** ، ص 143.

محمد العقباني التلمساني" ، كما توجه القلصادي إلى تلمسان وهي تعيش أزهى أيام حياتها الثقافية فأخذ عن أشهر أعلامها في هذا العهد ومنهم : "محمد بن مرزوق العجيسي" المعروف بالحفيد[1] .

كما يمكن ملاحظة الحياة الثقافية بتلمسان من خلال الوزان إذ قال : ‹‹ توجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة صينية لها أئمة وخطباء ، وخمس مدارس حسنة جيدة البناء ومزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية... والمدينة يوجد بها قضاة ومحامون وعدد كبير من العدول يدخلون في الدعاوي وكثير من الطلبة والأساتذة في مختلف المواد سواء في الشريعة أو العلوم الطبيعية ››[2].

وبالإشارة إلى العلماء وإسهاماتهم في الحياة الفكرية يجب الإشارة إلى الدور المهم للأندلسيين في هذا الجانب ألا وهو التعليم، إذ سمح الوضع الاجتماعي المتميز للجالية الأندلسية وخاصة العلماء منهم تقديم إسهامات فعلية ومشاركة ايجابية في تطوير الثقافة العربية الإسلامية ببلاد المغرب، مما ساعد على تأصيل التراث الأندلسي وإبقاء الطرق والأساليب العلمية الأندلسية حية[3].

إن اللاجئين الأندلسيين مارسوا مهنة التعليم العالي الذي كان يختص به مشاهير العلماء وكذلك التعليم الابتدائي الذي كان يستهدف الصبيان في الكتاتيب ، كما نقلوا طرقهم التعليمية الخاصة فلم يقتصروا على تحفيظ القرآن كما كان الحال قبلهم، بل أضافوا إليه تعليم الحديث والقواعد العامة لمختلف العلوم وتدارس بعضها ، كما علموا روايات القرآن وأنواع قراءاته، و التعليم العالي كان يتم في المساجد والزوايا ودور العلماء ومجالس المناظرة، و يعهد به إلى كبار العلماء، بالإضافة إلى ذلك كانت السلطة تعين للمدارس كبار العلماء الأندلسيين[4].

نشر الأندلسيون خطهم حتى ساد على خط المغرب العربي ، ويشير ابن خلدون إلى هذا قائلا : ‹‹ أما أهل إفريقيا فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ، ومدارسة قوانين العلوم وتلقين

---

[1]- محمد ابن مريم الشريف المديوني التلمساني ، **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان** ، مراجعة : محمد بن شنب ، ط 3 ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر، 1908، ص ص147- 149.

[2] – الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، **وصف إفريقيا** ، تر: محمد حجي و محمد الأخضر ، ط2 ، ج 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1983 ، ص 19- 21.

[3] – نصر الدين سعيدوني ،**دراسات اندلسية...**، **المرجع السابق** ،ص108.

[4]- أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي**... ، ج 1 ، **المرجع السابق** ، ص 36.

بعض مسائلهـــا ... فطريقتهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس لأن سند طريقتهم في ذلك متصل بمشيخة الأندلس... ››[1].

كما نشر الأندلسيون خطهم حتى ساد على المغرب العربي وكان ذلك نتيجة لاستحواذهم على إطار التعليم والتحكم فيه دون غيرهم ، ويشير ابن خلدون إلى هذا قائلا في ذلك ‹‹ ... وصارت خطوط أهل إفريقيـة كلهـم على الرسم الأندلسي ... فصار خط أهل إفريقيـة مـن أحسـن خطـوط أهـل الأندلـس ››[2]، فكانت السـلطة تعين للمدارس كبار العلماء الأندلسـيين وغيرهم، وتجري المرتبات لهم واعتمد في غالب الأحيان على النقل والرواية، إذ برع في النحو أندلسـيان وهما "أبو الحسـن علي بن موسـى الحضـرمي" المعروف بإبن عصفور (1201م-1270م) صاحب المغرب و الممتمع في الإشتياق و المقرب من النحو[3].

أما في الميدان العلمي برز أيضـا "إبراهيم بن أحمد الثغري التلمسـاني" الذي قال عنه إبن مريم أنه كان من تلاميذ أبي عبد الله الشـريف التلمسـاني ، فقد ألف الثغري معجما صـغيراً في الطب رتبه على حروف المعجم ، وله أيضـا رسـالة أخرى في الطب وهي في الأدوية ومنافعها[4]، دون أن ننسـى دور اليهودي الأندلسي " أفراييم بن عنقـاوة " الذي هاجر إلى تلمسـان سنة 1339 م والذي كان طبيبـا و فيلسوفا[5] .

وكان للأندلسيين إسهاماتهم بميدان الطب والصيدلة فظل الأندلسيون محتفظين بتعاليم الأطباء كالزهراوي والقرطبي وغيرهم، وحملوا معهم ذلك وكان لهم تشـجيع من طرف الملوك في علاج المرضـى وصـنع الأدوية وتأليف الكتب، ومن بين هؤلاء: "أبو القاسم الوزير بن محمد الغساني" (ت1610م)عميد الأطباء والصيادلة في عصره، ومن مؤلفاته" حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب والعقار"، وكذلك نجد "علي ابن إبراهيم الأندلسـي" (ت1655م)، فقد كان ماهرا في الطب فباشـر العلاج والتعليم ونظم الأراجيز في طرق التغذية النافعة ومداواة بعض الإمراض[6]، ومن بين الأندلسـيين الذين اختصـوا في الميدان العلمي أيضـا نجد "أبو العباس بن أحمد المالقي " و"أبي القاسـم محمد بن أحمد الأموي المرسـي" الذي تولى

---

[1]- عبد الرحمان ابن خلدون،**المقدمة**،دار الفكر بيروت،2002، ص1012.

[2] - نفسه ،ص760.

[3]- أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي**... ، ج 1 , **المرجع السابق** ، ص ص 105، 106.

[4]- نفسه، ص107.

[5]- مفيدة بن يوسف ، **المرجع السابق** ، ص 149.

[6] -محمد رزوق ،**الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م**، ط3، دار افريقيا الشرق،الرباط،1998 ،ص ص 274-275.

تطبيب الولاة، وكذلك "أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمـــان الخزرجي الشاطبي " الذي أعتبر من أشهر الأطباء في عهده [1].

وكان إضـافة إلى الطب علوم أخرى: فقد برعوا في ميدان الرياضـيات والهندسـة والفلك وكان لهم مجموعة من المؤلفات نذكر منها: "شعور العرب" لأحمد ابن معيوب الأندلسي، وأيضا "السيارة في تعديل السيارة "و"لطيفة الرسائل في العمل بالربع" للشيخ محمد بن احمد الأندلسي[2].

- **المـؤسسـات الثقـافيـة الأنـدلسيـة بالجزائر :**

مضى الأندلسيون بفضل نشاطاتهم الزراعية و الصناعية والتجارية بنفـــوذ على مستوى السلطة الحاكمة وهذا ما جعل هاته الأخيرة تعمل على تشجيعهم لإنشاء عدة مؤسسات خيرية هدفوا من ورائها إلى التضـامن فيما بينهم وإلى خدمة فقرائهم فقد أسـسوا جمعية لهذا الغرض أشـرفت بدورها على إقامة مسجد وزاوية ومدرسة خاصة بهم والتي قام أغنياؤهم بوضع أوقاف لها بلغت حسب الإحصاءات ستين مؤسسة وقف[3] .

حيث تم إنشـاء هذه المدرسـة والمسـجد الذين عرفا فيما بعد بزاوية أهل الأندلس في أوائل محرم من عام (1621 م) من طرف جماعة من الأندلســـيين من بينهم" محمد بن محمد الآبلي" و" إبراهيم بن محمد بوسـاهل" و" المعلم موسـى"، ولقد كان لهذه الزاوية دور كبير في تحفيز الأندلسيين لتأسيس المزيد من المؤسسات الوقفية[4].

- **المؤسسات الوقفية:**

أسـس الأندلسـيون عدة مؤسـسـات خيرية للتضـامن فيما بينهم من جهة وخدمة للفقراء من جهة أخرى، فأقاموا الزوايا والمسـاجد والمدارس[5]،وبتشـجيع من السـلطة التي كانت تتعاطف معهم وخدمة لفقرائهم، فقد أسـسوا جمعية لهذا الغرض أشـرفت على إقامة مسـجد وزاوية ومدرسـة خاصـة بهم، وأوقف أغنياؤهم على

---

[1] – مفيدة بن يوسف، **المرجع السابق**، ص 142.

[2] – محمد رزوق، **المرجع السابق** ، ص277.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي**... ، ج1, **المرجع السابق** ، ص 237.

[4] – مفيدة بن يوسف, **المرجع السابق** ، ص 151.

[5] – أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي**... ، **ج1**, **المرجع السابق** ، ص237.

ذلك العديد من الأوقاف التي بلغت حوالي60وقفا[1]، وقد كانت هاته الزاوية حافزا على تخصـــيص المزيد من الأوقاف، وتكاثرت بعد فترة قصيرة أوقاف الأندلسيون، وكمثال على ذلك وصية الناسك "أبي عبد الله الحاج محمد حبيب بن محمد الأندلسي" بان ينفق من تركاته في شراء وقف يخص لفقراء الأندلس[2].

تمتع الأندلسيون بمكانة خاصة في المجتمع الجزائري خصوصا لدى العثمانيين حتى أن بعضهم كان يعين على أوقاف حنفية عثمانية مثل"حميدة الأندلســي" الذي كان عضــوا في لجنة إدارة ســبل الخيرات، وسـليمان الكبابطي الذي عينه خضـر باشـا وكيلا على أوقاف جامع سـوق اللوح، وكان أغنياء الأندلس يحبسون على ذلك أوقافا داخل مدينة الجزائر وخارجها ، لتنفق على شؤون العبادة وتقديم العون لفقرائهم ، وكانت هذه الأوقاف تشـــمل العديد من الأملاك العقارية والأراضـــي الزراعية ، حيث جعلوا محمد الآثلي وكيلا لأوقاف الأندلس[3] ،وإضـافة إلى زاوية أهل الأندلس سـالفة الذكر هناك زوايا ومعاهد عرفت بمقاطعة الجزائر منها:

زاوية ســـيدي احمد الكبير الأندلســـي بالبليدة والتي تخرجت منها أفواج عديدة من نواحي متيجة وجهات الأطلس البليدي وكذلك زاوية سيدي علي بن مبارك بالقليعة، كما ساهم الأندلسيون أيضا في نشاط العديد من الزوايا ببلاد القبائل مثل :زاوية محمد التواتي وزاوية سيدي عبد الرحمان بن سعيد اليلولي والتي كانت مقصد الفقهاء وملجأ الصالحين منهم[4].

وبالغرب الجزائري أسـس العالم محمد بن علي المجاجي الأندلسـي الأصـل زاوية في مجاجة أصـبحت مشـهورة وعرف أهلها بالتصـوف والتقوى[5]،كما بنى المهاجر الأندلسـي محمد بن الشـريف البولداوي مدرسـة مازونة المشهورة والتي تخرج منها العديد من الفقهاء والعلماء خلال العهد العثماني أمثال الرماصي القلعي وعبد القادر المشرفي وأبي راس الناصري وغيرهم[6].

---

[1] –نفسه ، ص ص236،237.

[2] – حنيفي هلايلي ، **المرجع السابق** ،ص ص6-7.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي**... ، **ج1**, **المرجع السابق** ، ص ص 237،238.

[4] – نصر الدين سعيدوني ، **دراسات أندلسية**... ، **المرجع السابق** ،ص ص62،63.

[5] – مفيدة بن يوسف ، **المرجع السابق** ، ص152.

[6] – أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي**... ، **ج1**, **المرجع السابق** ، ص ص178،179.

▪الآثـار العمرانيـة الأنـدلسيـة بالجزائر :

كان للهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط خلال هاته الفترة انعكاس إيجابي على الحالة العمرانية حيث عرفت نمواً ملحوظاً وتطوراً لم تعرف الجزائر منذ زمن بعيد ، تمثل ذلك في إنشاء مراكز حضرية جديدة [1]، ولقد هاجر الأندلسيون إلى الجزائر وجلبوا معهم صناعة البناء وكان تأثيرهم عظيماً ولا سيما في القلاع والقصور [2] ،و أدخل الأندلسيون استعمال القرميد في سقوف المنازل وهذا ما ميز المدن التي أنشئوها مثل مليانة وتنس [3] و اعتمد الأندلسيون في بناءاتهم على استخدام المجصصات والزخارف والتفنن في ترخيمها وتشكيلها مثلما هو الحال بالنسبة للمسجد الجامع بالجزائر [4].

ولعل أحسن الصور الراقية لهذا الفن نجدها بمساجد تلمسان مثل الجامع الكبير و نجد بتلمسان مسجد أقامه السلطان أبو سعيد عثمان بن يغمراسن وهو يعرف بجامع سيدي أبي الحسن يخلف التنسي وهو مسجد صغير لكنه أية من آيات الفن فيه قاعة للصلاة تحتوي على ثلاث اروقة وصفين من اعمدة كلها اسطوانية تصل ببعضها أقواس، والجدران مغطاة بالزخارف النباتية اللينة المعروفة بالارابسك، وبالفصوص المزينة بالنقوش[5]،وجامع العباد وتلك المجموعة الفنية المحيطة بضريح الشيخ أبي مدين شعيب بن الحسين الأندلسي[6]،و تميز الأندلسيون في عمرانهم بإضفاء الطلاء الأبيض من الجير على المباني وهذا ما ظهر في مدينة الجزائر، وكذلك استخدام القرميد الأجوف كما هو الحال في مدن البليدة وشرشال [7] والقليعة [8].

أما في بجاية فتميزت المباني بالطابع الأندلسي وهذا ما وصفه حسن الوزان قائلاً : ‹‹ ودورها كلها جميلة ... وكلها مشيدة حسنة البناء ، أسواقها جميلة منسقة أحسن تنسيق ... ›› [9]، وقال مارمول كربخال

---

[1] – نصر الدين سعيدوني ، **دراسات أندلسية**...، **المرجع السابق** ، ص 27.

[2]- أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500–1830)**،10 أجزاء، ج 2 ، عالم المعرفة ، الجزائر ،2011 ، ص 446.

[3]– نصر الدين سعيدوني ، **ورقات جزائرية**... ، **المرجع السابق** ، ص 144.

[4]– عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ، **تاريخ الجزائر العام** ، ج2 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2010 ، ص 240 .

[5] –محمد الطمار، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ،2007،ص241.

[6] – مفيدة بن يوسف ، **المرجع السابق** ، ص 155.

[3]-شرشال: بلدة حصينة العمارة قال فيها الإدريسي ((.. ومدينة شرشال صغيرة القدر وبها مياه جارية وآبار معينة عذبة وفواكه حسنة كثيرة ... وأغنام كثيرة ...))للمزيد أنظر : مولاي بلحميسي ، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979 ، ص 97.

[8] – نصر الدين سعيدوني ، **دراسات أندلسية** ...، **المرجع السابق** ، ص 65.

[9] – حسن الوزان ، ،**المصدر السابق**، ص 50.

: ‹‹ وكانت (أي بجاية) محصنة بأسوار عالية ... وقصور على النمط المورسكي لها من المنعة قدر مالهـــا من الرونق ››[1] .

إن أسلوب العمارة الذي ادخله العنصر الأندلسي إلى مقاطعة الجزائر والى أماكن تجمعهم خاصة "شرشال–القليعة –دلس" تميز بطابع خاص وهذا ما اكسبها منظرا لطيفا وهندسة مميزة، فالمنازل اغلبها تتألف من طابق ارضي يعتمد على أعمدة خشبية ومقام بالآجر والطين المعالج وقد تستعمل في الحجارة كما هو الحال في منازل دلس وشرشال، كم يلاحظ أحيانا انه يضاف للطابق الأرضي طابق أخر علوي يخصص غالبا للراحة كما هو الشأن بمدينة الجزائر والجزء العلوي للبليدة القريب من الجبل، وقد توجد في بعض المنازل نوافذ تطل على الأزقة ومحمية بالشبابيك وقد تغطى أرضية الغرف بالزليج ذي الأشكال الهندسية اللطيفة[2].

ولقد شهد على هذا الفن المعماري الأندلسي في مدينة الجزائر عدة لوحات حائطية ومن أشهر بنائيها "علي بن علي الأندلسي" ورفيقه "محمد الأندلسي و "الاسطى موسى" وابنه علي، وهذه اللوحات تشهد لهم على انجازاتهم ومن أهمها ثكنة الخضارين القديمة وإعادة بناء دار الإمارة المسماة "جنينة" والبوابة المطلة على البحر والمسماة "باب الجهاد"[3]، ولهذا فإننا نجد الطراز المعماري الأندلسي حاضرا إلى يومنا هذا بين أروقة وشوارع المدن الجزائرية وخاصة الساحلية منها بحكم تمركزهم بها ،وان شابه في العديد من الأحيان الكثير من التغيرات التي طرأت عليه نتيجة عوامل طبيعة وأخرى بشرية مع مرور الزمن.

- **الآثار الفنية الأندلسية :**

تعتبر الحياة الفنية من أهم ابرز الظواهر الثقافية للمجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية خصوصا بعد التأثير الذي حصل بعد اندماج العنصر الأندلسي الذي أتى بالكثير من الظواهر الفنية حيث يعتبر أول من أدخل الموسيقى الأندلسية إلى إفريقية هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الإشبيلي (1067م – 1134 م) حينما حط الرحال بالمهدية [4]، وبعدما استوطن الأندلسيون ببجاية عرف أهلها بشغفهم

---

[1] – مارمول كربخال ، **إفريقيا** ، تر:محمد حجي وآخرون ،ج 2، دار المعرفة، الرباط،1989، ص 377..

[2] –نصر الدين سعيدوني،**دراسات أندلسية**...، **المرجع السابق** ، ص65.

[3] مهدية طيبي،**مقارنة للوضع الاجتماعي والاقتصادي لأهل الأندلس بمدينة الجزائر (ق17م–ق18م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية**،رسالة ماجستير،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر،2008م، ص 168-169.

[4] – مفيدة بن يوسف ، **المرجع السابق** ، ص 157.

للموسيقى حيث يقول الوزان عنهم : ‹‹ والبجائيون أناس طيبون ميالون إلى المرح والموسيقى والرقص لا سيما منهم الأمراء الذين لم يشهروا الحرب على أحد قط ... ›› ،وقال على أهل دلس التي استقر بهـــا عدد كبير من الأندلسيين أيضا ما يلي ‹‹ هؤلاء السكان ذو بشاشة ومرح ، يحسنون تقريبا كلهم العزف على العود والقيثار... ›› [1]، وكذلك قال عنهم مارمول كربخال ‹‹ والكثير منهم ولع بالعزف على العود أو القيثارة ›› [2].

كما أظهروا في دار السلطان بصمة مميزة تمثلت في نظم الموشحات وتلحين الأغاني التي حافظت على بنائهـــا اللغوي وطريقة إنشادها حسب تقاليدها الأندلسية والتي كانت بداياتها على يد "إبن عبد ربه" في النصف الأول من القرن 14 هـ واكتملت نماذجها في فترة لاحقة على يد أقطاب أمثال "إبن زهر" و " لسان الدين الخطيب " و " إبن زمرك " وغيرهم [3] ، ومن بين أقطاب الموسيقى الأندلسية بدار السلطان خلال العهد العثماني بالجزائر " أبو العباس أحمد بن عمار الجزائري " (1766 م) والذي عرف بقصـــائد الإخوانيات والمولوديات ، وكذلك " عمر بن محمد بن سيدي علي الأندلسي " (1749 م) الذي اشتهر بالمدح ، وكذلك نجد العالم الفقيه " محمد الشـاهد الأندلسـي " (1793 م) والذي اشـتهر بالموشـحات واشـــتهرت في الجزائر آلات كالرباب ، والقيثارة ، والعود ، والقانون ، والكامنجا ، والدف وغيرها من الآلات[4]. وايضـــا من وشـــاحوا القرن 17م نذكر أبو محمد عبد الله بن حجاج الاشـــبيلي الملقب بابن الياسمين[5].

وبتوافد الأندلسـيين على المملكة الزيانية أصـبح أهل تلمسـان من أكبر هواة الأغاني والموسـيقى الأندلسـية فقد اشـتهر في تلمسـان أبي عبد الله محمد بن أحمد بن مسـايب الأندلسـي (ق 17م) بنظم الموشـحات ،كما اشـتهر في أواخر العهد العثماني شـعراء غزليون منهم " بن إسـماعيل " وغيره مثل: " سعيد بن عبد الله المنداسي " وكلهم عاشوا بتلمسان وتوغلوا بها فتغنوا بالمرأة ومدحوا تلمسان وصلاحها والنبي صلى الله عليه و سلم[6].

---

[1]– – الحسن بن محمد الوزان الفاسي ، **المصدر السابق** ، ص ص 42-51.

[2] – مارمول كربخال ، **المرجع السابق** ، ص 372.

[3] – نصر الدين سعيدوني ، **دراسات أندلسية**... ، **المرجع السابق** ، ص 63.

[4] – مفيدة بن يوسف ، **المرجع السابق** ، ص 160 .

[5] –نصر الدين سعيدوني، **دراسات أندلسية**... ، **المرجع السابق**، ص64.

[6] – مفيدة بن يوسف ، **المرجع السابق** ، ص 161 .

فنجد أن تلمسان قد اشتهرت بحب أهلها وتذوقهم للموسيقى الأندلسية، حيث عمل الأندلسيون على بث تراث مدرستي غرناطة وقرطبة للموسيقى بتلمسان أيام "يوسف بن تاشفين" و كذلك "أبي حمو موسى الثاني" الذي كان متأثرا بالبيئة الأندلسية، وهكذا أصبح التلمسانيون من اكبر هواة الأغاني والموسيقى بفضل جمال طبيعتها واندماج الأندلسيين بها وتشجيع الملوك لهذا الفن[1]، وكان في أواخر العهد العثماني شعراء غزليون تغنى بشعرهم أهل الطرب بتلمسان منهم" بن إسماعيل، و"احمد التركي"،و"ابن زكلي"، وسعيد بن عبد الله المنداسي، و مبارك ابو الاطباق وكلهم عاشوا بتلمسان فتغنوا بالمرأة ومدحوا تلمسان وصلاحها والنبي محمد صلى الله عليه وسلم[2].

وبالنسبة للقصائد الدينية والأغاني التقليدية المتوارثة فلقد مهر سكان دلس وشرشال وبعض الأسر من الجزائر والبليدة والقليعة بالعزف على مختلف الآلات الموسيقية الوترية منها العود والرباب والقانون والكامنجا أو الصوتية كالقصبة والزرنة والغيطة أو الإيقاعية كالطبل والدف والطبيلة والطار والدربوكة وغيرها من الآلات ،فبذلك طبع الأندلسيون الحياة الفنية بالبلاد الجزائرية بطابع خاص ومميز فشاعت بين طبقات الشعب الاغاني وتأثرت البلاد بالموسيقى الأندلسية، واستطاع بذلك العنصر الأندلسي ترك موروث ثقافي وفني متميز بالمجتمع الجزائري لاتزال أثاره إلى يومنا هذا.

- **خاتمة:**

مما سبق التطرق إليه يمكننا استنتاج مايلي:

- ساهم الحضور الأندلسي بالجزائر خلال الفترة العثمانية في الرقي بالعديد من المجالات الاجتماعية والثقافية، ويرجع الفضل في ذلك إلى شخصيات أندلسية لعبت دورا بارزا في إحياء بعض الجوانب الثقافية في المجتمع الجزائري ومن بينها تأسيس العديد من المؤسسات الوقفية الخيرية وإنشاء مراكز حضارية جديدة، كما عملوا على فرض أذواقهم الفنية وبثها في أوساط المجتمع الجزائري.

- حضور الحياة الفنية ذات الطابع الأندلسي التي ساهمت في بناء كيان ثقافي بالجزائر الحديثة.

---

[1] -محمد الطمار، **تلمسان عبر العصور**، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984، ص260.

[2] -نفسه،ص261.

-كان للأندلسيين دور في تفعيل الجانب التعليمي والثقافي وذلك لما جلبوه من خبرات علمـية وثقافية من الأندلس. فقد كان من بينهم العلماء الذين ساهموا مساهمة فعالة في الحياة العلمية من خلال تدريسهم للأدب والفقه والعلوم وغيرها.

- أصبحت الجالية الأندلسية تشكل عنصراً بشريا له تأثيره في مختلف مجالات الحياة، فكانت الجالية متجانسة مع بقية أفراد المجتمع من حيث المعتقد واللغة والانتماء.

-كان للأندلسيين دور هام في الجانب الفني بنقلهم للموسيقى الأندلسية المتمثلة في الموشحات وغيرها، ضف إلى ذلك مدى فاعليتهم في الجانب العمراني الذي يعتبر من أكثر الأشياء الشاهدة على التواجد الأندلسي بجميع أشكاله بالجزائر خلال هاته الفترة

- ساهم الأندلسيون مساهمة جادة في النهوض الحضاري من خلال تركهم للعديد من المظاهر الحضارية الاجتماعية، الفكرية والفنية التي استطاعت تشكيل موروث تقافي هام للجزائر خلال الفترة الحديثة.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن خلدون عبد الرحمان ،**المقدمة**، دار الفكر بيروت،2002.
- البكري ابي عبيد،**المعرب في ذكر إفريقيا والمغرب**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دون تاريخ نشر.
- بلحميسي مولاي ، **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979 .
- الجيلالي عبد الرحمن بن محمد ، **تاريخ الجزائر العام** ، ج2 ، دار الأمة ، الجزائر ، 2010.
- رزوق محمد ،**الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16-17م**،ط3،دار افريقيا الشرق،الرباط،1998 .
- سعد الله أبو القاسم ، **تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)**،10 أجزاء، ج 1 ، ج 2 ، عالم المعرفة ، الجزائر ،2011 .
- سعيدوني نصر الدين ، **دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر**، دار الغرب الإسلامي ،الجزائر، 2003.
- ــــــــــــــــ ، **ورقات جزائرية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت،2000.
- الطمار محمد ، **تلمسان عبر العصور**، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984، ص260.

- ـــــــــــــــــ ،**الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ،2007،ص241.
- الغبريني ، **عنوان الدراية لمن عرف من العلماء بالمائة السابعة ببجاية** ، تح: ابن شنب محمد ،الجزائر، 1910.
- كربخال مارمول ، **إفريقيا** ، تر: محمد حجي واخرون ،ج 2، دار المعرفة،الرباط،1989.
- محمد ابن مريم الشريف المديوني التلمساني ، **البستان في ذكر الأولياء و العلماء بتلمسان** ، مراجعة : محمد بن شنب ، ط 3 ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر، 1908 .
- هلايلي حنيفي ،**الحضور الأندلسي بالجزائر في العهد العثماني على ضوء سجلات المحاكم الشرعية** ، د ط ،جامعة سيدي بلعباس, الجزائر، د ت .
- الوزان الحسن بن محمد الفاسي ، **وصف إفريقيا** ، تر: محمد حجي و محمد الأخضر ، ط2 ، ج 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، 1983 .
- Laugier de Tassy **, Histoire du Rayamme d'Alger,** ed: loyesel, paris, 1992
- بن يوسف مفيدة ، **الجالية الأندلسية بالجزائر وتأثيراتها الحضارية على المجتمع الجزائري (ق16م-17م)**،مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر،2010-2011م.
- طيبي مهدية ، **مقارنة للوضع الاجتماعي والاقتصادي لأهل الاندلس بمدينة الجزائر (ق17م-ق18م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ ،جامعة الجزائر،2008م.

الثورة التحريرية الجزائرية ومشروع الدولة الوطنية من خلال أدبياتها 1962/1954

الباحثة/ كريمة زيتون.

جامعة المسيلة ـ الجزائر.

الملخص:

تهدف هذه الدراسة التي بين أيدينا إلى محاولة تسليط الضوء على الجانب الأيديولوجي للثورة التحريرية خلال سنوات 1954 . 1962م، سيما ما تعلقّ بالمسائل الفكرية ومحاولة التنظير لها وتأطيرها كواقع ملموس لا يقبل الجدال، على ضوء هذا تبنّت الثورة التحريرية الجزائرية في مضمون روح أدبياتها ونصوصها عدّة مسائل وقضايا، صبّت مجملها في تشخيص الواقع الجزائري المزمن، ومحاولة إيجاد آليات علاجية كفيلة تضمن له النهوض والصمود والاستمرار، وقد شكّلت مسألة بعث الدولة الوطنية محورا رئيسا في تفاعلات جبهة التحرير الوطني، حيث سطّرت لهذا الأمر عدة برامج وأجندات قصد إعادة الاعتبار لشخصية الدولة المطموسة، وبعثها من جديد وفق المنظور القيمي والأدبي والتاريخي للشعب الجزائري، ولهذا جاء الدّور على مواثيق الثورة الجزائرية الكبرى الثلاث (بيان أول نوفمبر 1954، ميثاق الصومام 1956، ميثاق طرابلس 1962) لتحيي في عمق برامجها شخصية الدولة الوطنية، وتتصوّر في أفق تطلّعاتها " الشاكلة الأنسب" التي يُراد أن تكون عليها مستقبلا.

الكلمات المفتاحية: المجهود الأيديولوجي، الأدبيات، السيادة، الثورة، البناء.

Abstract:

This study aimsattrying to shed light on the ideological side of the liberation revolution duringthe years 1954-1962, especially with regard to intellectual issues and the attempt to theorize the mandframingthem as an indisputable reality.

In light of this, the Algerian Liberation Revolution has embraced the spirit of itsliterature anditstexts on a number of issues and issues.

The issue of the creation of the national state has been a major focus of the National 'sLiberation Front interactions.

This iswhy the role of the threegreat liberation revolution charters (the statement of November 1, 1954, the Charter of Somalia, 1956, and the Tripoli Charter of 1962) isintended torevive in its programs the character of the national state, and envisages in its horizons the "mostappropriate form" itisintended to be in the future.

Keywords: LiberationRevolution, State, Institutions, National Liberation Front, Revolution Charters.

مقدمة:

إنّ التّصوّر الأيديولوجي لمشروع الدولة المستقبلية وفي فترة شهدت فيها الجزائر أعنف مقاوماتها وثوراتها مع الاحتلال الفرنسي، لتكتيك معقّد في بنياته العقائدية والفكرية سيّما ما تعلّق بالجانب التنظيري الذي سعى قادة الثورة التحريرية إلى تجسيده واقعا وممارسة، وحتى يتسنّى لنا تقديم قراءة تحليلية حول هذا المجهود ينبغي علينا محاورة كامل الوثائق التاريخية والأيديولوجية المثيرة التي تخلّلت سنوات 1954. 1962، وتفعيل الحسّ الإدراكي التاريخي تجاه ما تمّ إثارته من ملابسات استفهامية حول طبيعة الدولة المزمع إعادة إحيائها؛ فأدبيات الثورة التحريرية ونخصّ بالذكر هنا بيان نوفمبر 1954 وميثاقي الصومام 1956 وطرابلس 1962 قد أثْرَتْ محتواها الأيديولوجي بعديد المسائل والقضايا ذات البعد الوطني الأصيل، ووجّهت خطابها الثوري نحو شريحة المجتمع الذي ترى فيه العماد والديدن لقوام الدولة المستقبلية، فكان المشروع إذن " مشروع دولة ومجتمع".

وانطلاقا من هذه المعطيات التاريخية سنحاول في معرض هذا المقال الإجابة عن الإشكالية التالية:

فيما تتجلّى الآليات الوظيفية والفكرية التي ارتكزت عليها الثورة التحريرية الجزائرية في تبيان طبيعة الدولة المستقبلية التي تناضل من أجل إحيائها؟، بالأحرى كيف تصوّرت برامج جبهة التحرير الوطني لون الدولة المستقبلية؟، وما هي وسائلها في ذلك؟.

1. الثورة من أجل الدولة: قراءة في المدلولات والمفاهيم

اندلعت الثورة التحريرية الجزائرية في الفاتح من نوفمبر/ تشرين الثاني من عام 1954م، وأحْدثت بذلك قطيعة مع الماضي الاستعماري الموبوء الذي كرّس للظلم والاضطهاد والعنصرية، ولم يُبْق للجزائريين سوى ذكريات مريرة بائسة لا سبيل إلى محوها، اللهم إلاّ إذا تمّ التغيير في الوسائل وطرق التفكير من أجل مجابهة الاحتلال من جديد واعتماد سياسة الكيل بمكيالين مع ممارساته وأساليبه؛ فدولة الجزائريين هدّت أركانها، وهوية الشعب سائرة إلى زوال، والمدّ الاستعماري المسْتفحل لا نهاية لزحفه، ولا حلّ أمام الوطنيين الجزائريين سوى القيام بعصف ثوري مستعجل من أجل استرجاع هيبة الدولة المغمورة ولمّ شتات الشعب المقهور. فما الدولـة؟ وما الثورة إذن؟.

تدلّ الثورة Rèvolution على " تغيير جذري"، عميق وعام، للبنى الاجتماعية لبلد ما، يترافق عموما بحركات شعبية هامة، وينطوي غالبا على استعمال العنف.(أحمد، 2004،ص.114)، أو هي " تغيير سياسي بعيد النطاق، على وجه الخصوص، ونشاط يعمل على الإطاحة بحكم أو حاكم أو نظام واستبداله من قبل المحكوم بحكم أو حاكم أو نظام آخر" (أنور محمود، 2007،ص.271)، المفهوم الأوّل يتطابق أيما انطباق

على حالة الثورة التحريرية الجزائرية التي هدفت إلى تغيير جذري كلّياني، وإزالة نظام قائم غير شرعي البتة، ذاك الذي حكم واسْتحكم بغير سند قانوني أو نصّي وهو ما عبّر عنه المفهوم الثاني" باستبدال النظام " من قبل المحكوم بحكم لم يرْض به منذ البداية، وحسب "البخاري حمانة" فإنّ (كلمة ثورة بالنسبة إلى العالم العربي بخاصة وفي مقدّمته الجزائر قد أخذت ولا تزال تأخذ سحرا ورنينا خاصّين نظرا إلى ارتباطهما بحروب التحرير وبمختلف أشكال المقاومة المسلّحة والغير مسلّحة الأخرى التي قادها بنجاح متفاوت، ضدّ المُسْتَعمِر واستعاد من خلالها استقلاله السياسي)(حمانة، 2012،ص.41) ، وسيادته الوطنية.

أمّا الدولة L'état فقد تجمّع نسيج متشابك من المفهومات والنظريات والأيديولوجيات حول حقيقتها وماهيّتها وتماهيها، وانصبّت في عُمق دلالات الأبحاث والاستقصاءات عدّة أفكار ورؤى، سعت في مجملها إلى بلورة هذا المفهوم وصياغته وِفق ما يتناسب مع اصطلاحه، ولهذا لا غرو أنْ نجد لها عدّة تفسيرات وقراءات، فمثلا يُعرّفها القانون بأنّها" مؤسسة تمارس سيطرتها السياسية على إقليم وشعب محدّدين''، أو أنّها التنظيم السياسي والقانوني للأمّة التي تجسّدها"، ويضيف مؤلّفو معجم الحقوق الدستورية بأنّ الدولة شخصية اعتبارية تمتاز بحيازة سلطات القدرة العامة، وبإخضاع التّبعيات المرتبطة بها"، وبهذه الصفة تكون الدولة شخصا وتتصرّف بجميع خاصيات الحياة القانونية، بيد أنها ليست شخصا كالآخرين، كوْن أنّ مأْسَسة الأمة تفرض على الدولة سيطرتها القانونية والسياسية(باغنار،2002،ص.11)، وهي حسب الباحث الجزائري" سليمان عشراتي" "جماع المرجعيات الاعتبارية والمعدّات التسييرية والوسائط التنفيذية التي يصطنعها المجتمع ويؤدّي بها أنشطته في كنفٍ من النظام والتّوافق الذي يحمي المجموعة المتساكنة من أن تتحمّل أعباء تتفاقم بها الحياة الجماعية والمدنيّة".(الشيخ، 2007،ص.17)، فهي ضرورة تاريخية واجتماعية لا بدّ منها من أجل البقاء والاستمرار ودوام النظام، وبالتالي لا استقامة لحياة الأمم دون توازن في أجهزتها وهياكلها الفوقية؛ ونعني هنا مؤسسة الدولة التي يجب أن تكون غطاء أمينا للأفراد وفي نفس الوقت تكون شريانا روحيا لهم، تغذّيهم بالمبادئ والقيم، وتدفعهم إلى الاكتساب والنظام في ظلّ قوانينها المُسيِّرة. والحديث عن مفهوم الدولة في الجزائر يقودنا بلا ريب إلى محاولة إيجاد تقاربيّة ذهنية حول سياق المصطلح، فالتاريخ أوجد في الجزائر"دولة مراحل"، ولكلّ مرحلة تعلاّتها السّببية وظرفياتها الوقتية، لعلّ "ما اصطلح على تسميته بالدولة الحديثة في شكلها الوطني المعاصر في بلد كالجزائر، إنّما هو استمرارٌ لدولة تقليدية قائمة منذ القرن السادس عشر ميلادي، حيث جُدّدت وتجذّرت من الناحية الرمزية مع قيام "دولة الأمير عبد القادر" (1847/1882)، بالإضافة طبعا إلى ما خبّره الشعب الجزائري طيلة احتلال فرنسا للجزائر (1962/1830) من مقاومات مختلفة ضدّ محاولة اقتلاع جذوره وتدمير مختلف بُناه الاجتماعية والسياسية

والثقافية."(قيزة،2002،ص.82) وهنا تتضح لنا "انتاجات كل مرحلة وتفاعلاتها ومساهماتها في تبيان معالم الدولة الوطنية الجزائر، وهذا باستثناء المرحلة الاستعمارية التي قاد فيها الاحتلال الفرنسي حربا ضدّ العقيدة والوطن"...و مع تبعاته اندثر وتلاشى ما يسمّى بالدولة الجزائرية، ولم يعد ثمّة أثر لكيانها، وإن اختفت عن المسرح العالمي من الناحية الرّسمية، فإنّ صورتها بقيت في الأذهان، وأمل انبعاثها من جديد ضلّ يُراود الوطنيين الذين رفضوا الذلّ والهوان، والخضوع للأمر الواقع"(أحمد،64،2005)، فراهنوا على العمل، وتلاقحت قيمة الجهاد مع الإيمان بوجود الوطن، وصارت التفكير بالمستقبل عقيدة لا بدّ منها.

2. البيان النوفمبري ومشروع" إقامة الدولة الجزائرية الديمقراطية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية"(وزارة المجاهدين،11،2008):

استمرّت روح المقاومة لدى الجزائريين، ولم تنثن عزائمهم أمام موجة الانكسارات التي هزّت البيت السياسي للأحزاب، وعبّروا عن تلك الإرادة باحتضانهم للثورة واستعدادهم التام لاحتوائها وتعبئتها، ويبدو أنّ تسمية جبهة التحرير الوطني بهذا الاسم لم يأت هكذا اعتباطا، وإنّما كان بالفعل جبهة جامعةً وحاضنةً للجميع وليست ملكا لأشخاص معيّنين، وحتى تثبت هويّتها وترسّخ قناعاتها الوطنية، أرْدفت عصفها الثوري ببيان تاريخي مفتوح ربطت فيه بين الماضي (المتعفّن الذي يستوجب التصحيح) والحاضر(المتأزّم الذي لا علاج له إلاّ الإتحاد)، واستشرفت به المستقبل (قضية وهدف الجميع)، وأبانت من خلاله على قيّم وأهداف في غاية الأهمّية، وبالعودة إلى روح البيان النوفمبري . بغضّ النظر عن المناخ الذي وُلد فيه . سنتلمّس حتما أثر التّصوّر الأيديولوجي "للدولة" الذي يتمظهر لنا في عبارات ثورية عميقة تدعوا إلى" الاستقلال الوطني عن طريق إقامة الدولة الجزائرية الاجتماعية ذات السيادة ضمن إطار المبادئ الإسلامية – But « Indépendances nationale par :La restauration de l'Etat algérien souverain ,démocratique et social dans le cadre des principles islamique »(herbi ,2009,p37)، وهذه "دعوة صريحة لا جدال فيها إلى الالتفاف حول هذه الفكرة الوطنية، بمعنى آخر سيادة الدولة والقضاء على قيّم المحتل الغازي التي دأب على غرسها مذ 1830م، كما يعني هذا الأمر ضرورة إلغاء واقع الاحتلال بنُظُمه ومنظومته الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، ورفض كل شكل من أشكال الوصاية أو الفيدرالية أو الحكم الذاتي، فالإقرار بالسيادة يعني إعادة الأرض إلى مالكيها الأصليين دون نقصان، ويعني كذلك بناء الدولة الجزائرية على أرضها"(بوعباش،2011،ص.393).

إذن لقد أشار البيان إلى عدّة مبادئ رئيسة لإقامة . أو إعادة بعث . نظام الدولة المستقبلية، وتشتمل هذه المبادئ على قواعد مركّزة هي:" الجمهورية . الديمقراطية والحرّيات . العدالة الاجتماعية . سيادة الأمة . السيادة التامة للدولة . المبادئ الإسلامية كإطار للدولة . الوحدة المغاربية في إطار انتماء عربي

وإسلامي"(لونيسي ،2012،ص.87،88)، وعليه فقد تمّ الكشف بصورة علنية عن لون الدولة المستقبلية، التي يجب أن تتأطّر في المنظومة القيْمية الإسلامية، تلك المنظومة التي أفردت لها سلطات الاحتلال الفرنسي ترسانة كبيرة من المعدّات الحربية والتكتيكية والنفسية من أجل اقتلاعها من وجدان الشعب الجزائري المسلم ومن امتدادات أرضه العربية الإسلامية، بيد أنّه من جانب آخر ثارت نقاشات أيديولوجية حول المبادئ السالفة الذكر حول (ما إذا تطرّقت إليها برامج أحزاب الحركة الوطنية الجزائرية أم لا، وبالعودة إلى النصوص سنجد طبعا إشارات متقاربة لكن وفق أيديولوجية كلّ حزب)(قاسمي،2012،ص.15).

صراحة "لقد جاء هذا البيان كوصف عام لخصائص الدولة الجزائرية المُزمع بناؤها بعد الاستقلال،...فالليبراليين ديمقراطيتهم وللاشتراكيين شعبيتهم...ولكن في إطار المبادئ الإسلامية، فهو حاوٍ للتّوجّهين الأيديولوجيين الغربيين السائدين شريطة تأطيرهما بالمرجعية الإسلامية، أي تكيّفهما مع المنطلقات الحضارية للجزائر"(قيزة،2002،ص.86)، فهذه الشمولية . حسب البعض . ناتجة أساسا من جهة، من بعض التّوجّهات الغربية لبعض النّخب؛ ومن جهة ثانية من طابع الثورة الجزائرية الشعبي والعاطفة الشعبية القوية التي شكّلت وقود دافعيّة المقاومة الشعبية ضدّ الاحتلال الفرنسي المسيحي، ولذلك فإنّ الدولة الجزائرية الرّاهنة قامت على "عصبيّة الشرعية التاريخية الشعبية" دون عصبية لغوية أو عرقية أو عائلية (قيزة،2002،ص.87)، فبيان أول نوفمبر كان استمرارا لنهج ومشروع قطيعة في ذات الآن، وتكمن جدارته في المبادرة إلى إعلان الثورة المسلّحة، وهذا الأمر الذي تقوم عليه شرعيّته في التعامل مع الفاعلين الآخرين، سواء داخل حزب الشعب الجزائري . حركة انتصار الحريات الديمقراطية . أو مع التيارات السياسية الجزائرية الأخرى من الشيوعيين والمركزيين والعلماء والإتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وحتى أمام فرنسا والعالم، وبهذا تكون جبهة التحرير الممثلة الشرعية والوحيدة للشعب الجزائري(فيلالي،2013،ص.255)، ما يؤكّد بأنّ ذاك الشعب قد أصبح له ممثّلا شرعيا تجلّى بمثابة جهاز سياسي شبابي، سيحاول الفاعلون فيه محاورة فرنسا التي كثيرا ما ادّعت أمام الرأي العام العالمي بأنها لم تجد مع من تتحاور، وهكذا كان البيان الوعاء الأيديولوجي الذي أفرغ فيه الوطنيون الثوريون القضية الوطنية بامتداداتها السياسية والاجتماعية والإقليمية والدولية، وحاولوا عن قناعة شديدة أن يجسّدوا المبادئ والأهداف التي أعلنوها صراحة في بيانهم الخالد، لكن هل ستتحقق تلك التّصوّرات الطبيعية ونرى دولة كتلك التي تمّ الاستوصاء عنها في روح الوثيقة؟ و هل الأيديولوجية التي أفصح عنها البيان كفيلة لقيادة الثورة والشعب إلى معركة ميدانية وفكرية حقيقية تضمن له الاستقلال المنشود؟، ترى هل سيستمرّ الخط الناظم لحركة الأيديولوجية الثورية الذي رأيناه سابقا في

امتدادات ميثاق الصومام؟ ونرى حينها اتفاق على المبادئ الأولى لنوفمبر مع اثراءات جديدة تصبّ في الصالح العام؟.

2. ميثاق الصومام 1956م ومشروع "إقامة دولة ديمقراطية اجتماعية تقوم سياستها الخارجية على عدم التدخل في شؤون الغير والتعامل في إطار المصالح المتبادلة"(وزارة المجاهدين، 2008،ص.29)

إنّ الأفكار النبيلة التي تحملها عقول عظيمة لا تموت بمجرّد انكسار الظروف، وإنّما تبقى نابضة ومتدحرجة نحو الغاية، تماما ككرة الثلج التي كلما تزحزحت زاد وكبُر حجمها، وذات الأمر حدث لفكرة ومشروع الدولة في الجزائر، حيث تبلور هذا الهدف في مناخ البيان النوفمبري وقبله في بعض نصوص الحركة الوطنية، ثم تنوّر واستفحل أمره أكثر في ميثاق الصّومام الذي عُدّ "العُدّة الضرورية للشعب الجزائري ومناضليه لتتمّة باقي مشوار الكفاح وتحقيق الاستقلال المسطّر حتّى النهاية"، ونظراً إلى الظرف التاريخي الخاص الذي ساهم في تحريك العقول الثورية ودفْعِها إلى إيجاد سياق مناسب لوضع ما مرّ من عُمر الثورة على محكّ التقييم، نجد بأنّ هذا الميثاق قد جاء تكملة للنشاط الثوري والفكري ليكون بذلك حلقة وصل بين تفاعلات الميدان العسكري والسياسي الحاصلة، ولا يمكننا أن نحكم على شيء دون الرّجوع إلى أصله، واستقراء تمثّلات حيثياته، ومن ثمّة مواجهة حقائقه(وزارة المجاهدين، 2008،ص.22،15)، والأساس من كلّ هذا والذي يهمّ موضوعنا في هذا الجزء هو ما شاكلة الدولة المُتبنّاة في ميثاق الصّومام؟.

في إطار السيادة الوطنية وطبيعة النظام المستقبلي للدولة الجزائرية، جاءت أهداف الميثاق واضحة وجليّة حدّدها في عبارات صريحة:" للثورة الجزائرية مهمّة تاريخية هي القضاء بصفة نهائية لا رجعة فيها على النظام الاستعماري"، وهو ما أُعْتُبر تكريسا لما جاء في بيان أول نوفمبر، فضلا عن " إعادة بناء "جمهورية ديمقراطية تضمن مساواة حقه بين جميع السّكان بدون تفريق ولا تمييز(بن أزواو،2013،ص.169.166)، وهذا يعني أنّ جبهة التحرير الوطني كانت ترى أنّ الاستقلال المنشود والحقيقي يكمن في إقامة النظام الجمهوري الذي يُجسّد سيادة الشعب في دولته الجديدة، وهي الدولة التي تقوم بتحقيق الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والمساواة بين جميع السكان دون تمييز أو تفريق، أي استقلال لصالح الشعب وليس لفئة تتمتّع بنفوذ أو امتيازات، أو تعصّب لطائفة معيّنة(بن أزواو،2013،ص.160،169)، وما دامت الثورة التحريرية القائمة "ثورة كلّ الجزائريين" فقد توجّب على الجميع الإيمان بذلك، ولكي يتمّ تحاشي الثغرات السياسية، نهج ميثاق الصومام نفس مسلك أول نوفمبر ودعا إلى التمسّك بمبدأ القيادة الجماعية " فنبذ السلطة الفردية وإحلال محلّها قيادة جماعية برجال آمنوا بالثورة وقدّموا أنفسهم فداء بكلّ نزاهة وإخلاص"(وزارة المجاهدين،2008،ص.29)،" أمر سيجنّب حركة التحرير الوطني بروز زعيم يُجسّد شخصية

الثورة".(الشيخ،2003،ص.308)، وبهذا الأسلوب المتأصّل يمكن للميثاق تحقيق مأربه السياسي الوطني في" جمع اللّحمة الوطنية" وتأطيرها من أجل إنجاح مشروع دولة "جمهورية ديمقراطية اجتماعية، وليس إقامة ملكية أو دولة دينية بائدة"(فيلالي ،2013،ص.290)، دولة لا تخرج عن الخطّ الوطني المرسوم، وفي هذا الصدد يقول: "خالفه معمري" (لقد تبيّن وتأكّد خاصة منذ بداية الكفاح أنّ نهوض الدولة الجزائرية لم يكنّ غاية في حدّ ذاتها بل كان ليتجلّى في شكل" جمهورية ديمقراطية واجتماعية وليس في شكل نظام حكم ملكي أو ديني قد ولّى" وفي ذلك إعلان عن برنامج اجتماعي وتقدُمي)(معمري،2008،ص.365) ، لكن هل عرفت الجزائر من قبل حكما ملكيا ودينيا؟، و هل القصد من وراء إطلاق عبارة "الدين" هو الإشارة إلى ما ورد في بيان نوفمبر "إقامة دولة...في إطار المبادئ الإسلامية"؟.

صراحة لقد أثار ميثاق الصومام عدّة نقاط في غاية الأهمية، فقط دعا إلى أمور ونص على التخلّي عن أخرى من منظور أيديولوجية مهندسيه؛ فأمّا المبادئ التي دعا إليها هي إقامة دولة "جمهورية"، وكلمة الجمهورية لم ترد في البيان النوفمبري لأسباب أرجعها "رابح لونيسي" إلى:" أنّ النظام الجمهوري كان بديهيا لدى أغلب الجزائريين لعدم وجود أسرة مالكة قبل الدخول الاستعماري إلى الجزائر عام 1830، فقد كان النظام من قبل هذا التاريخ "جمهوريا أوليغارشيا" باعتراف المؤرّخين الفرنسيين ذاتهم، أي أنّ الجزائر لها ماض جمهوري نوعا ما إن صحّ التعبير"، بالإضافة إلى " خوف أصحاب بيان نوفمبر من الوقوع في التباس لدى الرّأي العام الجزائري على حدّ سواء، لأنّ إيراد عبارة "جمهورية جزائرية" في البيان يمكن أن يعطي انطباعا بأنّ المقصود بها هو" الجمهورية الجزائرية" التي كان يدعو إليها الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري لفرحات عباس والتي يربطها فيدراليا مع فرنسا"(لونيسي ،2012،ص.88)، ومهما يكن أمر فإنّ الباحث لم يستبعد فكرة تمثُّل كلمة الجمهورية في ادراكات النوفمبريين، حيث قال:" لم يرد مصطلح "الجمهورية" في بيان أول نوفمبر، لكن هذا لا يعني أنّ أصحابه يؤمنون بنظام آخر للحكم غير النظام الجمهوري"(لونيسي ،2012،ص.88)، ومن جهة أخرى فقد أثار ميثاق الصّومام إشكاليات تاريخية ومنهجية، تمثّلت في مجموعة من " الانتقادات التي وجّهتها بعض قيادات الثورة .... كونه . حسب وجهة نظرهم أهْمل المبادئ الإسلامية وتراجع عن بيان أول نوفمبر في هذا المجال"(بن أزواو،2013،ص.170)، في هذا الصدد تساءل الباحث الجزائري "عبد السلام فيلالي" حول(الجدل القيْمي والأيديولوجي المُثار من لدن الفاعلين الأساسيين داخل جبهة التحرير الوطني، وثم المقارنة مع بيان أول نوفمبر قائلا: فهل أنّ الأمر هو فعلا انحراف كما ألحّ في القول مُعارضو هذه الوثيقة، أما أنّ الأمر لا يعدو أن يكون اجتهادا في ظلّ

أوضاع استثنائية؟)(فيلالي ،2013،.296)؛ في كلتا الحالتين لا يمكننا الإجابة ب"نعم: أو "لا" لأنّ القضية ليست قضية حسابات ومعادلات ومقارنات سطحية، بل تتعدّاها وبكثير من الأشواط.

إنّ المبادئ الإسلامية بالنسبة للشعب الجزائري هي المُشخّص والمُجسّد لأطر هويتهم وكيانهم والجميع على دراية بذلك، "وعدم إعلان ميثاق الصومام صراحة عنها لا يعني إهْماله أو تخلّيه عن هذه المبادئ بالجملة"(بن أزواو،2013،ص.171)، فلربما تعلّق الأمر برغبة في تجاوز حالات التقادم والسّير ضمن ما يفرضه الواقع الكائن من تغييرات وانبناءات أيديولوجية وحداثية، " فاستقراء المحدّدات الجوهرية التي انبنت عليها أطروحات محرّري وثيقة الصّومام لتكشف بداءة عن تصوّر من يعتقد بقرب نهاية الاستعمار، نظرا للتطوّر السّيكولوجي الذي خلّفته المواجهة المسلّحة ودنوّ ساعة الحسم ومن ثم الاقتراب الوشيك للمفاوضات، إنّ هذا البناء في الإحاطة بمجريات الأحداث هو الذي سيسمح ببروز مقاربة لما ستكون عليه الدولة الجزائرية المستقلة، التي لا بدّ وأن تكون جمهورية ديمقراطية اجتماعية، كما أنّ الثورة ليست رجوعا إلى الاشتراكية..."(فيلالي، 2013،ص.296)، فلكل مرحلة أسبابها وللأسباب مبرّرات.

والجدير بالذكر أنّ ميثاق الصّومام قد اسْتحدث مؤسسات وهياكل تنظيمية للثورة التحريرية تمثّلت في" المجلس الوطني للثورة" الذي يُعدّ "المرجع التشريعي والجهاز الأعلى للثورة الجزائرية"(سليمان،2003: 292)، و"لجنة التنسيق والتنفيذ" المهتمة بتسيير أمور الثورة بصفة جماعية(بوعلام،2012،ص.312)، يُعتبر هذا الأمر فعلا جريئا نظرا للأجواء المشحونة آنذاك، والأساس أنّ "بناء دولة حديثة متمكّنة وسيّدة يقتضي إقامة مؤسّسات شرعية دائمة لها قدرات تكيّفية مع التحدّيات الهيكلية الداخلية، والضغوط النّسقية الخارجية، وتتميّز بالفاعلية لأداء المهمّات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والأمنية والعسكرية، مُلبيّة الاحتياجات الضرورية التي يتطلّع إليها المواطنون، وتحظى بثقتهم"(عبد الرزاق،34،2008)، لكن هذا لا يتأتّى إلاّ بحصول الدولة على سيادتها ومن ثمة يمكنها بمساعدة أفرادها أن تنظّم وتبني، فالثورة التحريرية قامت بخطوة جبارة بتفعيلها للهيكل المؤسّساتي، وهذا إن دلّ على شيء إنّما يدلّ على إيمان الثوريين بقرب الظفر بالاستقلال وبأنّ ما يقومون به شرعي وقانوني على سلطات الاحتلال الفرنسي تقبّله واحترامه، وبهذا تكون قرارات الصومام" قد أرست نظاما شعبا ينفي النظام الاستعماري"(عباس،2005،ص.27)، ومهما قيل في شأنه فسيبقى ميثاقا أيديولوجيا لا غنى عنه في بناء الدولة الجزائرية الحديثة، واستدراج المعاني القيمية التي تشكّل انتماء الفرد الجزائري وهويّته.

4. ميثاق طرابلس 1962 ومشروع إقامة دولة ديمقراطية شعبية في إطار المبادئ الاشتراكية وسلطة في أيدي الشعب. (وزارة المجاهدين، 2008، ص.76)

جاء الحسم أخيرا في شكل الدولة الجزائرية التي يُنتظر انبعاثها من جديد في جوّ وكنف الاستقلال الوشيك، وأُزيح ستار الغموض الذي هدّد بضبابيته نفسية أجيال منهكة عن أعقد مهمّة ناضلت من أجلها جبهة التحرير الوطني، فميثاق "النصر والحصر"(01) هذا الذي لم يأت في ظروف عادية، وإنّما مهّدت له سلسلة من دورات المجلس الوطني للثورة(02) والتي ساهمت كلّها في خدمة المصلحة الوطنية والدفاع على المبادئ وحمايتها رغم بعض ما اعتراها من صعوبات، وتباينات أحيانا في الفعل والفكر والتنفيذ، فما طبيعة البذور الأيديولوجية التي حملها ميثاق طرابلس 1962؟.

اجتمع أعضاء المجلس الوطني للثور الجزائرية في مقرّ مجلس شيوخ الملك الليبي بطرابلس، وترأس هذا الاجتماع محمد الصديق بن يحي(03) ونائبيه العقيد علي كافي وعمر بوداود رئيس فيدرالية فرنسا(الطاهر،2008،ص.278)، أمّا مهمّة صياغة نص البرنامج فقد أوكلت إلى لجنة يترأسها أحمد بن بلة، وتتضمّن إطارات جبهة التحرير المتوفرة في أجهزتها التشريعية والإعلامية(يايوش،2013،ص.207) وقد خرج برنامج الميثاق إلى العلن بعد أن" صاغه محمد حربي . وهو ماركسي . ومصطفى الأشرف . وهو أستاذ سابق في جامعة السوربون ومحمد يزيد . وهو مركزي سابق"(الأزرق،1980،ص.474)، وبذلك حُرّرت الوثيقة الأصلية لوثيقة" ميثاق طرابلس" في مدينة الحمامات بتونس، وتمّ تبنّيها بالإجماع خلال جلسات اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية المنعقد في جوان 1962 بطرابلس(عبد السلام،474،2013)، وتمّ تقديم برنامجها في نهاية الحرب، فكان أوّل إعلان أيديولوجي لجبهة التحرير الوطني بقصد تزويد البلد المستقل حديثا بتوجيه سياسي(الأزرق،1980،ص.139)، وبالعودة إلى روح الميثاق فقد تمّ مناقشة قضية الاختيارات الأساسية للدولة الجزائرية(الطاهر، 2013، ص.14)، وتمّ وضع عنوان كبير لمحور النقاش غايته تجسيد "مشروع برنامج من أجل ثورة ديمقراطية شعبية" projet de programme pour la RévolutionDémocratiquePopulaire(belhadj ,2017 :113)، " مهمّتها أن تخلُف الكفاح من أجل الاستقلال الوطني؛ فالكفاح المسلّح يجب أن يترك المكان للمعركة العقائدية)(وزارة المجاهدين،2008،ص.76)، من خلال هذا الطرح ستتراءى لنا مجموعة من السياقات التاريخية المُؤشكلة:

أولا: انجاز "ثورة ديمقراطية شعبية"، فالمتصفّح الدقيق لفحوى هذه العبارات سيفهم مباشرة بأنّ هذه الدعوة إلى العمل بصورة جماعية كبيرة، إنّما نابعة من "فكر صادر مُؤثّر" داع إلى الاستلهام من المبادئ الغيرية البعيدة عن الإطار المرجعي المعمول به في الجزائر، وحتى نوضّح نربط هذا المنحى بما أكّده الباحث" عبد السلام فيلالي" بأنّ "...ما يُفهم من هذا الإنجاز هو التبنّي الكامل للأطروحات الاشتراكية التي تمّ تطويرها منذ وضع النظام الأساسي لجبهة التحرير الوطني خلال اجتماع المجلس الوطني للثورة الجزائرية المنعقد

في طرابلس في الفترة الممتدة من 16 ديسمبر 1959 إلى 18 جانفي 1960، ثم جعلها، أي الأطروحات بمثابة قاعدة أيديولوجية للجزائر المستقلة تظلّ مرتبطة مع الثورة عبر انتهاج "الديمقراطية الشعبية"(فيلالي،2013،ص.474.475)، وبمعنى عام" الثورة الديمقراطية الشعبية هي البناء المتعمّد للأمة في إطار المبادئ الاشتراكية ووجود السلطة في أيدي الشعب"(الأزرق ،1980،ص.140)، وبتبني هذه المبادئ تتضح لنا معالم الدولة المستقبلية والتي يتوخّى أن تكون" ديمقراطيةٌ شعبيةٌ قائمة في إطار المبنى الاشتراكي"، لكن هل يعدّ هذا الخيار الاشتراكي الحل الأنسب لتحديات المرحلة الحاسمة؟، في هذا المنحى اعتبر "فرحات عباس"(04) النقاش الدائر في الاجتماع " نوعا من الشيوعية غير المطحونة جيدا بيد أنه قبل به"، استجابة لظرف وحساسية المرحلة(محمد،1983،ص.278).

ثانيا: الكفاح المسلّح يجب أن يترك المكان للمعركة العقائدية: إنّ الجليّ من هذا الكلام هو أنه آن الأوان لتغيير التكتيك الذهني في الممارسات المنتظرة لبناء لدولة ما بعد الاحتلال، والانتقال من العمل المسلح إلى العمل العقائدي، والخفيّ منه هو ما إذا كان هذا الكلام نابع من تشبّع أيديولوجي وتخمة فكرية إلى حدّ الإحساس بأنّ المشاكل انتهت مع صافرة إعلان النصر المبين، ألا يوحي هذا الكلام إلى إثارة مشكلة الأيديولوجية في الثورة التحريرية الجزائرية؟ بمعنى هل امتلكت هذه الثورة أيديولوجية واضحة منذ بداياتها وما تلاها من مسيرة؟، نعتقد بأنّ هذا الأمر لا يمكن استهلاكه كله في هذا المقام، وذلك نظرا لجدّيته ودقّته، ونكتفي بما أكّده برنامج طرابلس" في محاولة الرّد على النّقص القائل بأنّ جبهة التحرير الوطني لم تكن لها أيديولوجيا أنه لا توجد أيديولوجية جاهزة، هناك جهد أيديولوجي خلّاق مستمر"(الأزرق،1980،ص.141)، وبالتالي فالخط الأيديولوجي موجود ولكنه يتطوّر مع تطوّر الأحداث وتسارعها، وتفاعلها مع الظروف والمعطيات، (فالثورة آن لها أن تستكمل معناها الأوفى المتمثل في الخط العقائدي الذي لابد منه ...مع نهاية الحرب واستعادة الاستقلال فإنه من المهم تمديدها دون تأخير على الصعيد العقائدي)(وزارة المجاهدين، 2008، ص.76).

على الرغم من أنّ برنامج طرابلس قد أثار عدة نقاط مسّت جوانب هامة من الحياة السياسية والاجتماعية المنتظرة قريبا تفعيلها لصالح الجزائر المستقلة، إلاّ أنه قد شهد تذبذبا في قراراته، فمثلا "انفض المجلس دون المصادقة على تشكيلة المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني، وإنْ كان قد حصل الاتفاق على تبنّي النهج الاشتراكي في تسيير الدولة الجزائرية المستقلة، بالإضافة إلى توسّع الشرخ بين قادة الثورة" (الطاهر،2008،ص.279)؛(05)، بالإضافة إلى أنّ الملاحظ على أرضية هذا البرنامج هو غياب البعد الأيديولوجي الذي قامت على أساسه ثورة التحرير؛ ومن ثمة إهمال لأرضية مؤتمر الصومام وبيان نوفمبر،

من هنا بدأت في الأفق ملامح المآلات المستقبلية لجزائر ما بعد الاستقلال(يايوش،2013،ص.208)، وألقت الاشتراكية بظلالها على الموقف كتصوّر جديد تخمّر في ذهنيات المنادين بها، ليتلخّص بذلك (البعد الأيديولوجي في هذا التوجّه، من دون دراسة موسّعة أو رؤية فاحصة لأبعاد التوجّه الأيديولوجي...)، وبالنسبة للعامل الديني الذي تمّ التأكيد عليه في بيان أول نوفمبر، وتحاشيه في أرضية الصومام؛ فإنّ ميثاق طرابلس قد أشار إليه ضمن" الثقافة والشخصية"، وهنا أبان الميثاق على أهمية الإسلام والحضارة الإسلامية ودورهما في نهضة الإنسانية وتقدّمها، وفي هذا الصدد جاء في برنامجه ما تأويله:" إنّنا ننتمي حقا إلى الحضارة الإسلامية التي أثّرت حقا في تاريخ البشرية تأثيرا عميقا ومستمرا، غير أننا نتنكّر لهذه الحضارة ونسيء خدمتها..."(وزارة المجاهدين،2008،ص.82)، وأضاف الميثاق:" ...وبالنسبة إلينا فإنّ الإسلام الذي يتخلّص من البدع والأوهام التي خنقته وحرّفت وهزّت جوهره يجب أن ينعكس علاوة على كونه دينا في هذين العاملين الأساسيين: الثقافة والشخصية"(وزارة المجاهدين،2008،ص.83)؛ وعليه فإنّ الإسلام كمبدأ رئيس لدى الشعب الجزائري يُمكن أنْ يُفْهَمَ من خلال ميثاق طرابلس بأنه موجود ضمنيا في سياق عبارتين تشكّلان أصلا الإطار الهوياتي للشعب، وحسبنا أنّ الشخصية الوطنية لا يمكنها أن تتأقطب خارج أسوار المبدأ الإسلامي، وكذاك ثقافتنا كمركّب مُدعّم لا يمكنها أن تتكامل دون نظرية دينية تتمثّل في إسلامنا الحق، وحول هذا الأمر يقول "بن جامين ستورا ": (أنّ البرنامج أكّد البعد الديني للشخصية الإسلامية للجزائر" بالنسبة إلينا، يجب على الإسلام، المُنقّى من جميع الزوائد الفطرية والخرافات التي خنقته أو شوّهته، أن يترجم بالإضافة، إلى أنه دين كما هو عليه، بالعاملين الرئيسيين التاليين: الثقافة والشخصية)(بن جامين،2012،ص.14).

بهذه المنطلقات والمفاهيم يكون ميثاق طرابلس قد كرّس لأبعاد جديدة لصالح قيم أيديولوجية أثارت حفيظة المؤرخين، وقادت إلى التخبّط في مأزق فكري رهيب على الرغم من صيحته بإحداث ثورة ديمقراطية شعبية تحقق للمجتمع مناه السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

صراحة لقد كان الانتقال من عهد الجهاد والنضال إلى عهد البناء والتشييد في غاية الصعوبة، إن لم نقل أشبه بمعجزة أحدثها الجزائريون وقتذاك عندما تغلّبوا على قوات الاحتلال، لكن ليت عرق الثورة بقي نقيا ولم يصب بشرخ، وكتم الجميع غيضه حتى لا تؤول الأمور إلى ما آلت إليه، فالثمن كان باهظا، والواقع يوضح أنّ: "المسار الطبيعي للانتقال من جزائر الثورة إلى جزائر الدولة، واجهته أزمة ذات أبعاد عديدة، أهمّ ملامحها تنامي مستويات الصراع السياسي بين المكوّنات السابقة للحركة الوطنية ممّا وضع مشروع بناء الدولة أمام مأزق سياسي امتدت آثاره على فترات زمنية لاحقة"(كواش،2018،ص.176).

وهكذا تطوّر مفهوم الدولة في أدبيات الثورة التحريرية الجزائرية، ومن قبلها في نصوص الحركة الوطنية، لتشكّل كمفهوم أيديولوجي امتدادا طبيعيا لتصوّرات عقائدية ناضجة ونامية من عمق اجتهادات وطنية كرّست مبدأها الخاص في النضال كعقيدة ذاتية أحيانا وظرفية أحيانا أخرى، ومن هذا المنظور كانت حلقات الفكر الثوري في جزائر الثورة والجهاد مصاغة في مفاهيم الاستقلال والتغيير والمستقبل، لتكشف عن توجّهات صانعي القرار الثوري والسياسي وانتماءاتهم الأيديولوجية، وبذلك تبقى معالم " دولة المستقبل" منوطة برهان الأقوى فكرا وتأثيرا، لا بل قوّة ونزعة، لتتتالى معطيات التحديد المستقبلي لتلك الدولة التي تأخّر انبعاثها ردحا من الزمن، مترهّلة ومبهمة، يتوجّب على أبناءها إعادة تصحيح الرؤية وتقويمها من جديد.

إذن لقد كان الهدف واحدا وهو إقامة دولة، لكن بأيّة وسيلة؟، صحيح أنّ النضال العقائدي يُعدّ بمثابة استمرار للنضال المسلّح، وصحيح أيضا أنّ الثورة الجزائرية فتحت جميع أبوابها للشرائح الوطنية بما فيها الفئة المثقفة لتشاركها صناعة الاستقلال، لكن مبادئ الثورة لم تدعو لتوظيف الأيديولوجيات المكتسبة ضدّ أبناء الوطن الواحد وتمريرها لخدمة مآرب ضيقة جدا، وإنّما بينت هدفها بكل وضوح، وألحّت على مواجهة عدوّ واحد وهو الاحتلال الفرنسي، ولهذا ليس علينا أن نستغرب سبب الانبعاث المشوّه لدولة 1962!.

خاتمة:

نصل في نهاية هذه الورقة البحثية إلى القول بأنّ الثورة التحريرية الجزائرية قد ساهمت أيما مساهمة في إعادة رسم المعالم المستقبلية للدولة الوطنية التي غيّبتها أدبيات الاحتلال الفرنسي قهرا من الوجود والتاريخ؛ فجبهة التحرير الوطني الرّاعية الأمينة لهذه الثورة لم تتوان في سبيل تكريس البعد المستقبلي لهذه الدولة وراحت في مختلف مواثيقها وبرامجها تنظّر لها، وتقترح ما يليق بها وبالمجتمع الجزائري، آخذة بعين الاعتبار كلّ الظروف والأحوال التي مرّت بها الجزائر في صراعها المرير مع الإدارة الكولونيالية، ولئن اختلفت الأيديولوجيات حول اللّون السياسي والاجتماعي لهذه الدولة، فإنّ المجهود الأيديولوجي المبذول في سبيل تحريك فكرة المشروع من التنظير إلى الممارسة قد أخذ طريقا طويلا نحو التّحقق والإدراك، لكن بصيغ وبنْيات متعدّدة، وعليه أمكننا حصر ذلك في:

ـ سعي الثورة التحريرية الجزائرية من خلال بيان نوفمبر 1954 إلى الإفصاح عن "دولة ديمقراطية شعبية لا تخرج عن إطار المبادئ الإسلامية"؛ وهذا أمر معقول بالنسبة للفترة التي شهدت فيها الجزائر حملة شعواء ضدّ عقيدتها ودينها، وبالتالي لا يمكن للشعب الجزائري أن يتقبّل أيّ إطار سيادي خارج عن دينه الإسلامي، ثمّ إنّ هذا الشعب قد كافح وتحمّل أكثر من مئة وثلاثين سنة أساليب الاضطهاد من أجل الحفاظ على هويته، فأنّى له أن يقبل بدولة لا يكون إطارها العام قائم على المبادئ الإسلامية.

ـ الاختلاف الجزئي حول طبيعة الدولة الذي أقرّه مؤتمر الصومام، كان له وقْع كبير على النشاط الفكري الأيديولوجي للثورة، حيث تباينت الآراء حول الأنموذج الأنسب لدولة الاستقلال، وهو الأمر الذي امتدت تبعاته إلى مؤتمر طرابلس الأخير (1962) الذي كشف عن صيغة أخرى لهذه الدولة.

ـ إنّ تنامي الوعي الفكري وانتظام الخط الأيديولوجي في أواخر عمر الثورة التحريرية، لا يعني بأنّ الثورة قد كسبت الحرب العقائدية كلها، وإنما كان هذا التبلور الأيديولوجي في الآراء والمواقف نتاج تطوّر عميق لمستحدثات الثورة على الصعيدين الفكري والسياسي، ومن ثمة وضوح أهداف كل طرف وسعيه إلى تحقيقها دون ربطها بجميع المحاولات المنصبّة حول الغاية المشتركة الواحدة.

ـ إنّ الرهان على تحديد الدولة التي يريدها المجتمع الجزائري، كان سباقا أيديولوجيا شديد المراس، ولئن كشف لنا الميدان العملي عن تلك المغامرات الأيديولوجية الكبرى التي خاضها أبناء الوطن الواحد عبر جهاد طويل، وما آلت إليه الأمور في نهاية المطاف، لسوف نتأكّد بأنّ " الدولة التي ناضل الجميع من أجل إحيائها، قد أضحت بلا منازع لعبة مجهولة القدر في أيدي جماعة لا مجتمع"، فهل سيتمّ إرجاء أمر إصلاحها بعد تحقيق الاستقلال؟.

ـ التعليقات والشروح:

1/أوردنا هذه الفكرة من منطلق أنّ ميثاق طرابلس الذي تزامن مع استرجاع السيادة الوطنية، قد عُقد في وقت الحسم، وكان بمثابة شهادة ميلاد لانتصار الثورة التحريرية المظفّرة، لكنه احتوى على عدّة نقائص، أو بالأحرى قدّم بعض التصوّرات التي ستؤثر على مستقبل البلاد، ناهيك عما تضمّنه من تجاوزات أيديولوجية حصرت المعنى الواسع لمفهوم السيادة الذي ناضلت لأجله جبهة التحرير الوطني.

2/ نعني هنا بدورات المجلس الوطني للثورة التالية: الدورة الأولى للمجلس الوطني بالقاهرة في أوت 1957؛ مؤتمر طرابلس الأول ديسمبر 1959/ جانفي 1960، مؤتمر طرابلس الثاني للثورة في أوت 1961، مؤتمر المجلس الوطني للثورة في أوت 1961؛ وفي هذه الدورات التي سطرتها جبهة التحرير الوطني تمّ تبنّي المبادئ الإسلامية كإطار شرعي لطبيعة النظام المستقبلي للدولة الجزائرية، ما يؤكّد وفائها لما جاء في بيان أول نوفمبر 1954؛ (أحمد مسعود ، 2012،ص.56.52).

3/ محمد الصديق بن يحي (1982،1932)، وزير الشؤون الخارجية (1979. 1982)، ولد في 03 جانفي 1932 بجيجل، شارك في تأسيس الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين رفقة بلعيد عبد السلام، لمين خان ورضا مالك، مسعود آيت شعلال؛ عضو المجلس الوطني للثورة الجزائرية والحكومة المؤقتة للجمهورية

الجزائرية... voir :achour cheurfi, la classe politique algèrienne,alger: casbah editions,2001,p 99,100 .

4/ ولد فرحات عباس في 24 أوت 1899 في الطاهير (ولاية جيجل)، رجل سياسي كبير، وصيدلي، عُرف بنضالاته السياسية وفكره الاندماجي، له عدة مواقف تجاه القضية الوطنية، انتقل من فكرة " فرنسا هي أنا إلى رأس الحكومة المؤقتة. وافته المنية في 24 ديسمبر 1985، ودفن بمقبرة العالية. voir :messaoud djennas de l'èmir khaled au 1 novembre 1954,alger: casbah Edition , 2018

5/ في هذا المحور يرى أحمد بن بلة بأنّ " إنهاء مؤتمر طرابلس بإعلان تركيب المكتب السياسي لجبهة التحرير الوطني ومعارضة الحكومة المؤقتة به حتى قبل أن يُسْفر الاستفتاء عن إعلان الاستقلال كان سيخدم منظمة الجيش السري ويشجّعها في أحلامها بتقسيم التراب الجزائري، ويشجع أيضا المجلس التنفيذي المؤقت على الاستمرار الطويل على السلطة ممثلا دور الحَكَم، ولذا فقد تمّ الاتفاق على أنّ الصدع الذي لا يُجْبَر والذي حصل في صفوف جبهة التحرير الوطني، والذي تتحمّل مسؤولياته الحكومة المؤقتة، لا يُعْلَن على رؤوس الأشهاد قبل نتيجة الاستفتاء" انظر: أحمد بن بلة، مذكرات أحمد بن بلة، تر: العفيف الأخضر، بيروت:منشورات دار الآداب، دت،ص 137.136.

قائمة المصادر والمراجع:

- **أحمد مسعود، سيد علي.(2012). بصمات تيارات الحركة الوطنية الجزائرية في مختلف الاثراءات التي عرفتها أيديولوجية جبهة التحرير الوطني إبان الثورة التحريرية 1954. 1962، *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، (العدد 02)،**
- **الأزرق، مغنية.(1980).*نشوء الطبقات في الجزائر*، تر: سمير كرم.(ط01). بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.**
- **باغنار، جاك.(2002).*الدولة مغامرة غير أكيدة*، تر: نور الدين اللباد، (ط1)، القاهرة: مكتبة مدبولي.**
- **بن أزواو، فتح االدين.(2013).*أيديولوجية الثورة الجزائرية 1954. 1962*، الجزائر: دار الإرشاد للنشر والتوزيع.**
- **بن بلة، أحمد.(دت).*مذكرات أحمد بن بلة*، تر: عفيف الأخضر، بيروت: منشورات دار الآداب.**
- **بن حمودة، بوعلام.(2012). *الثورة الجزائرية*، الجزائر: دار النعمان للنشر والتوزيع.**
- **بناسي، أحمد.(2005).*فلسفة الثورة الجزائرية أسس ومبادئ*، الجزائر: دار سمر.**
- **بوعباش. مراد.(2011).*الدولة والمجتمع في برنامج الحركة الوطنية الجزائرية 1919. 1962*. أطروحة دكتوراه غير منشورة مقدمة في العلوم السياسية والعلاقات الدولية، فرع التنظيم الإداري. الجزائر: جامعة الجزائر.**
- **جعفر، يايوش.(2013).مؤتمر طرابلس ومشروع المستقبل المحدّدات والتجليات، *مجلة عصور*(العدد 20)،**
- **حربي، محمد.(1983).*جبهة التحرير الأسطورة والواقع*، تر: كميل قيصر داغر، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.**
- **حمانة، البخاري.(2012).*فلسفة الثورة الجزائرية*. (ط1)، الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.**

- زبيري،الطاهر.(2008).*مذكرات آخر قادة الأوراس التاريخيين*، الجزائر: ANEP .
- الزناتي، أنور محمود.(2007). *قاموس المصطلحات التاريخية*(ط1)، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- سطورا. بن جامين.(2012). *تاريخ الجزائر بعد الاستقلال 1962. 1988*، تر: ممدوح كعدان، دمشق: منشورات الهيئة العامة السّورية للكتاب.
- سعود، الطاهر.(2013). *الحركة الإسلامية الجزائرية إرهاصات النشأة والتشكّل*، مصر: وحدة الدراسات المستقبلية.
- سعيفان، أحمد.(2004). *قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية*(ط1)، بيروت: مكتبة ناشرون.
- الشيخ سليمان.(2003).الجزائر تحمل السلاح. تر: محمد حافظ الجمالي،(ط1).الجزائر. دار القصبة.
- صغور، عبد الرزاق.(2008). *بناء الدولة الحديثة في الجزائر. دراسة تقييمية*، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه غير منشورة في العلوم السياسية. الجزائر: جامعة الجزائر.
- عباس محمد، من وحي نوفمبر مداخلات وخطب،(الجزائر: وزارة المجاهدين. دار الفجر،2005)؛
- عشراتي سليمان، الشخصية الجزائرية، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية،2007)؛
- فيلالي عبد السلام، الجزائر الدولة والمجتمع، ط1،(الجزائر: دار الوسام العربي للنشر والتوزيع،2013)؛
- قاسمي يوسف، قراءة فكرية وسياسية في بيان أول نوفمبر، ورقة مقدّمة في أشغال الملتقى الدولي حول الثورة التحريرية الكبرى 1954.1962، 2012، جامعة قالمة: الجزائر؛
- قيزة إسماعيل، مستقبل الديمقراطية في الجزائر، ط1،(بيروت: الوحدة العربية،2002)؛
- كواش منال، إشكالية بناء الدولة والمجتمع في الجزائر قراءة نقدية، مجلة تحولات، العدد الثاني،2018؛
- لونيسي رابح، دراسات حول أيديولوجية وتاريخ الثورة الجزائرية،ط1،(الجزائر. دار كوكب العلوم،2012)؛
- معمري خالفة، عبان رمضان. تعريب: زينب زخروف،(الجزائر: منشورات ثالة،2008)؛
- وزارة المجاهدين، النصوص الأساسية لثورة نوفمبر 1954، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال النشر والإشهار، 2008)؛

-BELHADJ SALAH,LES ORIGINES DU POUVOIR ALgèrien, edition : benmerabet,2014 ;
-Cheurf iachour,.la classe politique algèrienne, alger : casbah editions,2001 ;
-Djennas messaaoud, De l'èmir au novembre , alger : casbah editions ;2018 ;
-Herbi Mohammed et Gilbert Meynie, le FLN documents et histoire, alger : casbah,2004;

العنف اللفظي في البلاد التونسية من القرن 17 إلى اليوم:

رهانات إنتاج التفضيل والتحقير وشبكات المصالح.

د/ محمد البشير رازقي ـ جامعة تونس 1 ـ تونس.

الملخّص :

يندرج عملنا وهو بعنوان "العنف اللفظي في البلاد التونسية من القرن 17 إلى اليوم: رهانات إنتاج التفضيل والتحقير وشبكات المصالح"، ضمن دراسة حقل العنف اللفظي باعتباره من أهمّ ممارسات التحقير وتصنيف الآخر، حيث يُعدّ من أبرز تجلّيات التوتّرات المجتمعيّة، كما أنّ الممارسات اللغويّة تعتبر مصدرا مهمّا لفهم التمثّلات والرهانات وتأسيس شبكات العلاقات. وقد وزّعنا عملنا على ثلاثة فترات أساسيّة ومتميّزة في تاريخ البلاد التونسيّة. القرن 17 باعتباره قرنا شهد رهانات عديدة أحاطت بالبلاد التونسيّة، والقرن 19 باعتباره قرن الإصلاحات والأزمات أيضا، والفترة الأخيرة كانت بداية من انتصاب الحماية الفرنسيّة (1881) إلى اليوم، وهذه فترة زمنيّة شهدت عدّة أحداث مهمّة مثّلت انقطاعات راسخة في تاريخ البلاد التونسيّة.

الإشكاليّة الرئيسيّة لهذا المقال هي تبيّن علاقة الظرفيّات والبنى في إنتاج العنف اللفظي، وبالتّالي التصنيف والتحقير، في البلاد التونسيّة من القرن 17 إلى اليوم، وعلاقة هذا العنف اللفظي المُنتج بتأسيس شبكات المصالح والنّفوذ.

الكلمات المفاتيح: البلاد التونسيّة– الفترة الحديثة والمعاصرة– العنف اللفظي– التفضيل– التحقير– شبكات المصالح

Résumé :

Notre travail, intitulé "La violence verbale en Tunisie du XVIIe siècle à nos jours: les enjeux de la production des préférences, du mépris et des réseaux d'intérêts", fait partie de l'étude du domaine de la violence verbale comme l'une des plus dégradantes et catégorisant l'autre, car c'est l'une des manifestations les plus marquantes des tensions sociétales et les pratiques linguistiques sont une source. Il est important de comprendre les représentations, les paris et le réseautage. Nous avons divisé notre travail en trois périodes distinctes et fondamentales de l'histoire de la Tunisie. Le 17ème siècle, comme un siècle qui a vu de nombreux enjeux entourer le pays tunisien, et le 19ème siècle comme un siècle de réformes et de crises également, et la dernière période a été de l'érection du protectorat français (1881) à aujourd'hui, et c'est une période qui a vu plusieurs événements importants qui ont représenté des coupures profondes dans l'histoire des pays tunisiens.

La principale problématique de cet article est la relation entre Les circonstances et les structures dans la production de la violence verbale, et par conséquent la classification et le mépris, dans les pays tunisiens du XVIIe siècle à nos jours, et la relation de cette violence verbale produite avec la mise en place de réseaux d'intérêts et d'influence.

Mots-clés: Tunisie- période moderne et contemporaine - violence verbale - préférence - avilissement - réseaux d'intérêt

مقدّمة:

مرّت البلاد التونسيّة بداية من القرن 16 بعدة مصاعب وظرفيات غير مناسبة داخليا وخارجيا.[1] ولم يكن العنف سواء اللفظي أو المادي بداية من "حقبة الحداثة المبكّرة" (منذ القرن 16) حكرا على منطقة معيّنة، فقد كان العنف وسيلة للحكم وتسيير الحياة اليوميّة[2]. وقد حرص العثمانيون في البلاد التونسيّة خلال القرن 16 على ترسيخ منطق الدولة المحتكرة للعنف والجباية والحكم، وقد حاول الفاعل الاجتماعي ليس في تونس فقط وإنما في أوروبا أيضا في مقاومة هذا المنطق الجديد للحكم[3]. ونشير إلى أنّ الفاعلين الاجتماعيين في العالم الإسلامي تحرّزوا كثيرا من سياسات وممارسات الدولة الحديثة لما أبداه الدولة الجديد منذ القرن 16 من إرادة للهيمنة والسيطرة وعزل لكلّ مرتكزات أخلاقيّة[4].

ويندرج العنف اللفظي ضمن ممارسات التحقير وتصنيف الآخر، حيث يُعدّ من أهمّ تجلّيات التوتّرات المجتمعيّة[5]، كما أنّ الممارسات اللغويّة تعتبر مصدرا مهمّا لفهم التمثّلات والرهانات[6]. فاختراع الآخر وابتكاره

---

[1] لطفي عيسى، "تونس إيالة عثمانية: القرن السادس عشر"، ضمن: **تونس عبر التاريخ، الجزء الثاني: من العهد العربي الإسلامي إلى حركات الإصلاح**، إشراف: خليفة شاطر، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2007، صص.185- 203

[2] وليام. ت. كافانو، **أسطورة العنف الديني: الإيديولوجيا العلمانية وجذور الصراع الحديث**، ترجمة: أسامة غاوجي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017، ص.193- 288

[3] جويل. س. مجدال، **الدولة في المجتمع: دراسة كيف تحوّل والمجتمعات وتشكّل بعضها بعضا**، ترجمة: محمد صلاح عليّ، عالم الأدب للترجمة والنشر، مصر، 2018، ص.81- 86+ ص.106- 185. هندريك سبروت، **الدّولة ذات السيادة ومنافسوها: تحليل لتغيّر الأنظمة**، ترجمة: خالد بن مهدي، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، 2018، ص.35- 40+ ص.419- 440

[4] وائل حلاّق، **الدولة المستحيلة: الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي**، ترجمة: عمرو عثمان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، الطبعة الرابعة، 2016، ص.57-83+ ص.275-297

[5] Daniel Moatti, « La communication par la violence », in, *Communication et Langages*, Année 2000, N123 pp. 80-96

[6] عبد الأحد السبتي (تنسيق وتقديم)، **التاريخ واللسانيّات: النصّ ومستويات التأويل**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط: جامعة محمد الخامس، الرباط، 1992

كان هاجسا إنسانيا قديما[1]. وقد لعب العنف اللفظي والعنصري والمعنوي والرمزي دور المحور والمرتكز الأساسي ضمن منظومة صناعة الصور النمطية تجاه الآخر[2]. وقد كان رهان العنف المادي والمعنوي يمثّل وسيلة مهمّة للحكم والشرعنة وبسط النفوذ، وظرفيّة الفاعل الاجتماعي ومحيطه الثقافي والاجتماعي هو الذي يشجّع أو يكبت هذا العنف، حيث أنّه "ليس ثمّة أسباب تحمل على الاعتقاد بأنّ فريقا من النّاس أجنح إلى العدوان أو الحرب أو العنف من فريق آخر لأسباب بيولوجية...ولكن ثقافة المجتمع (أي معتقداته وأديانه وسننه) هي التي تمجّد العدوان أو تكبته، والثقافة دائما هي التي توجّه العدوانيّة في أشكال شتّى"[3]. والرهانات الاجتماعيّة والأخلاقيّة والدينيّة التي تحيط بالعنف اللفظي حثّت الفاعل الاجتماعي على ابتكار مجموعة من آليّات الرّدع، والمثير هنا أنّ الردع والعقاب نفسه استبطن العنف المعنوي من خلال تطبيقه مثل عقوبة "التوبيخ" أو "التشهير" مثل حالة رجل وُضع فوق رأسه "طرطور" من أجل "تحقير الجاني"، أو "تسويد الوجه" بغبار الفحم، أو إركاب الجاني دابّة بشكل معكوس أو "حلق الرأس واللحية" ممّا يجعل "المجرم فاقدا لهويّته بوصفه إنسانا"، وهذا أخطر وأعنف أشكال التحقير[4]. كما يمكن أن تتشابك العقوبة المعنوية مع العقوبة الجسدية من خلال "التعزير"[5].

ومن خلال هذا المقال سوف نحاول أن نتبيّن الرهانات الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة التي صاحبت إنتاج العنف اللفظي من قبل الفاعل الاجتماعي في البلاد التونسيّة من القرن 17 إلى اليوم.

1. العنف اللفظي في البلاد التونسيّة خلال القرن 17: بداية الحذر من منطق الدولة

ترجم لنا مجتمع البلاد التونسيّة خلال القرن 17 من خلال تاريخ العدواني أزمته من خلال تعدّد ممارسات العنف اللفظي. فقد نشأ العدواني في ظرفيّة صعبة عايشتها البلاد التونسيّة، فقد شهدت البلاد خلال القرن 17 صراعات متعدّدة بين مختلف الفاعلين الاجتماعيين من فقهاء ومفتين وأولياء وسلطة عثمانية وأعيان[6]،

---

[1] منذر كيلاني، "الاستشراق والاستغراب: اختراع الآخر في الخطاب الأنثروبولوجي"، ضمن: **صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه**، تحرير: الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية– الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت، الطبعة الثانية، 2008، صص.75– 82

[2] جاك ماهو، "العنصريّة: منطق الاقصاء العام"، ضمن: **صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه**، تحرير: الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية– الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت، الطبعة الثانية، 2008، صص.83– 87

[3] كافين رايلي، **الغرب والعالم: تاريخ الحضارة من خلال موضوعات**، ترجمة: عبد الوهاب المسيري/ هدى عبد السميع حجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، جوان، 1985، عدد 90، الجزء الأول، ص.203

[4] كرستيان لانغ، **العدالة والعقاب في المتخيّل الإسلامي خلال العصر الوسيط**، ترجمة: رياض الميلادي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2016، ص.140– 156. رودولف بيترز، **الجريمة والعقاب في الشريعة: النظريّة والتطبيق من القرن السادس عشر حتى القرن الحادي والعشرين**، عالم الأدب للترجمة والنشر/ منشورات ابن النديم، مصر، 2018، ص.72– 74

[5] كرستيان لانغ، **العدالة والعقاب في المتخيّل الإسلامي خلال العصر الوسيط**، مرجع مذكور، ص.349– 394

[6] المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي، **نور الأرماش في مناقب القشاش**، دراسة وتحقيق: لطفي عيسى/ حسين بوجرّة، المكتبة العتيقة، تونس، 1998، ص.64–74

خاصّة في ضلّ حضور الرهانات السياسية والاجتماعية للفاعلين الاجتماعيين، بين سلطة تركيّة وبداية الاستقلال عن المركز الإمبراطوري، ودولة عثمانية متوجّسة تجاه نوايا حكّام تونس، وأهل البلاد المحليّين[1]. وهذا ما يبرز لنا في "تاريخ العدواني" من خلال تعدّد قصص المعارك والحروب[2]، حيث نسجّل تشابكا بين أحداث الكتاب و"الصراع بين السلطة والخارجين عليها، بين المدينة والبادية، بين السياسيّين والمرابطين"[3]. وتعدّد الفاعلون الاجتماعيّون بين أهل المدينة والبادية والأتراك الوافدون والشابيّة والأولياء الصالحون[4].

نلاحظ اشتمال مجتمع العدواني على أنواع مختلفة من العنف اللفظي كاللّعن مثل "لعنة الله عليه"[5]، أو اطلبوا هذا اللّعين"[6]، وعنف لفظي ذو أبعاد دينيّة مثل "يا ابن اليهوديّة"[7]، ونُعت "النصارى" بكونهم "الملاعين"[8]. ونجد عنفا لفظيّا مستلاّ من المعجم الحيوانيّ مثل "من أكابر البغال"[9]، ونجد وُصف بكونهم "كلاب العشيرة"[10]. ونجد عنفا لفظيّا من خلال تحقير الوالدين مع التركيز على جانب الشرف والعرض، ونجد مثلا "يا ابن الزّانية"[11]. ونجد أيضا "ثكلتك أمّك...يا ظالم وأبوك ظالم...يا قلال الخير...أنتم الظالمون..."[12]، أو " ذريّة العبيد"[13]. كما كان الجسد محورا لأشكال من العنف اللفظي مثل "ما أشْوم هذه الطلعة...احرج عنّا يا وجه المشماش"[14]، أو " يا طويل الذّقن"[15]. ونجد عنفا لفظيّا متأثّرا بالمعايير المجتمعيّة

---

[1] Leila Temime Blili, *Sous le toit de l'Empire : La Régence de Tunis (1535-1666). Genèse d'une province ottomane au Maghreb*, Editions Script : Collection Histoire, Tunis, Tome 1, p.344- 346

[2] محمد بن محمد بن عمر العدواني، **تاريخ العدواني**، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، 1996، ص. 45

[3] نفس المصدر، ص.44

[4] مصطفى التليلي، **قفصة والقرى الواحية المجاورة: حول الحياة الجماعوية من بداية القرن 18 إلى 1881**، نشر وتوزيع جمعية صيانة مدينة قفصة، 2009، ص.436.

- Abdelhamid Hénia, « Mémoire d'origine d'un lignage dominant le pouvoir local à Tozeur (XVIe – milieu XIXe s.) », in, *Mélanges offerts à Mohamed Talbi à l'occasion de son 70e anniversaire*, Tunis : Pub. De la Faculté des Lettres de la Manouba, 1993, pp. 125-148

[5] العدواني، ص.224.

[6] العدواني، ص.118

[7] العدواني، ص.120

[8] العدواني، ص.227

[9] العدواني، ص.146

[10] العدواني، ص.231

[11] العدواني، ص.208

[12] العدواني، ص.178

[13] العدواني، ص.98

[14] العدواني، ص.114- 115

[15] العدواني، ص.227

مثل "إنّهم أهل غشّ"[1]، أو "أنت الهادف المنافق"[2]، و"هؤلاء أقلال الخير"[3]. ونجد عنفا لفظيّا متركّزا حول أهميّة الذّكاء ورجاحة العقل مثل "يا شيخ ما أغباك"[4]، أو "يا غافل"[5]، و"عقولنا أكمل من عقولهم"[6].

كما احتوى تاريخ العدواني على تمظهرات متعدّدة للعنف اللفظي. فالكتاب يعرض عليها تحقير أهل البادية لأهل المدن حيث أنّ "...إفريقية (أي شمال البلاد التونسيّة) لا خير فيها لأنّ أهلها يأكلون لحم الدّجاج أورثهم ذلّ الأجساد وشرّ القلوب"[7]. فمجتمع العدواني الرّعوي لا يخفي نُفوره من أهل المدن والاستقرار حيث أنّ "البناء يُورث الذلّ...وأنا راعي بإبلي وغنمي فيه كفاية"[8]. وهذا العنف اللفظي والجهد التحقيري النابع من مجتمع العدواني يقابله عنف لفظيّ معاكس أنتجه أهل المدينة، حيث يتحدّث "صاحب تونس" عن الخارجين عن سيطرته: "إنّهم أهل بغي وفساد، ولا يصلحون بأرض الحكم لأنّهم أهل غرض وفساد...إن لو كان فيهم خيرا ما خرجوا من الشّام إلى المغرب"[9]. وفي إطار آخر وُصف أهل البادية بكونهم " الفرقة الباغية الكافرة التي تعبد ظهور أجودتها"[10]، أي هم رحّل ومحاربين ودائما على ظهور الجواد والحصان، ورزقهم على رماحهم، ونلاحظ هنا تشابك العنف اللفظي بالتحقير والتصنيف وطبيعة البنية الاقتصادية والاجتماعية وتنوّع المصالح والرهانات وتقابلها. وتحقير أهل البادية شمل أيضا عاداتهم وممارسات حياتهم اليوميّة، حيث يقول أحد الفاعلين الاجتماعيّين "لم آكل من طعامهم شيئا لأنّهم بوادي، وطعامهم لم يكن خاليا من الحرام"[11]، ويقول آخر "أنت رجل بدوي وتشرب لبان لبقر، وتناموا على الحلفاء، وتتوسّد العرعار. قال له الغرام: اسكت يا كلب الأمير"[12]. ومن أنواع العنف اللفظي المتأثّر بالرهانات السياسيّة نجد "أركب بنفسي إلى الشابي نقاتله ونأخذه أسيرا ونشوي لحمه في القدور ونأكله"[13].

---

[1] العدواني، ص.189.
[2] العدواني، ص.202.
[3] العدواني، ص.186.
[4] العدواني، ص.235.
[5] العدواني، ص.329.
[6] العدواني، ص.147.
[7] العدواني، ص.88.
[8] العدواني، ص.136.
[9] العدواني، ص.95.
[10] العدواني، ص.115- 116
[11] العدواني، ص.153.
[12] العدواني، ص.179.
[13] العدواني، ص.183.

ولا نستغرب تعدّد أنواع العنف اللفظي المتبادل بين أهل المدينة وأهل البادية خاصّة وأنّ ظرفيّة القرن 16 و17 أجّجت هذا الصراع خاصة بعد دخول العثمانيين إلى البلاد التونسية. حيث نجد في أحد وثائق المهمّة دفتري بتاريخ 1576 تؤكد هذا الطرح وخاصّة خطر "الأعراب" على استقرار السلطة الحاكمة المدينيّة بامتياز[1]. ومنطق الدولة، الرّافض لمنطق الأعراب، مستند على موروث فقهيّ متين وعريق يبرز من خلال فتاوي الفقهاء خاصة حول بعض القضايا مثل "الحرابة"، وهو مصطلح يبرز خاصة من عند فقهاء الإسلام الرسمي. نجد ابن عرفة ينظر إلى الحرابة كونها تستلزم "القتل، أو الصلب، أو القطع من خلاف، أو النفي"[2]. ولهذا يكثر مصطلح "الأعراب" في المدوّنات الفقهيّة أو "العُصاة"، بل نلاحظ أن الفقهاء ساهموا في هذا التصنيف التحقيري تجاه أهل البادية، فكما ورد لدى الونشريسي مثلا نجد أنّ "أموال العُصاة من بوادي إفريقيّة مُباحة"[3]. وتمدّنا شخصيّة قاسم عظّوم بنموذج مهمّ لساكن المدينة وممثّل بارز عن الإسلام الرسمي، فهو يتحرّز تارة من عدد كبير من الممارسات والطقوس الولائيّة، وتارة أخرى لا يُخفي امتعاضه من تصرّفات أهل "البادية" مثل قبيلة طرود[4]. فساكن المدينة المستقرّ يحمل دائما هاجس الخوف من فقدان أملاكه وأرزاقه[5]، خاصّة وأنّ "العرب" "لا ينالهم حكم ولا تجري بينهم أحكام الشرع"[6]. فمن خلال تتبّع تمثّلات المدوّنة الفقهيّة المالكيّة لأنواع السرديّات مثل سردية العدواني نتبيّن أنّها تحمل نظرة تحقيريّة، حيث نجد مثلا عند الونشريسي سؤال: "سئل بعضهم عن كتب السخفاء والتواريخ المعلومة كذبها كتاريخ عنترة ودلهمة والهجر والشعر والغنى وغير ذلك، هل يجوز بيعها أم لا؟"، فأجاب "لا يجوز بيعها ولا النظر فيها"، وسُئل عمّن يسمع حديث عنترة هل تجوز إمامته؟ فقال: لا تجوز إمامته ولا شهادته. وكذلك حديث دلهمة لأنّهما كذب، ومستحلّ الكذب كاذب"[7].

نلاحظ إذا أنّ النظرة الرسميّة التي تحملها المؤسسة الفقهية، وهي مؤسسة أولا مدينيّة عكس كتاب العدواني الذي هو سرديّة أهل البادية البعيدة عن المدن، هي نظرة تحقيريّة. وضمن هذا الإطار التاريخي لا يمكن

---

[1] عبد الجليل التميمي، **دراسات في التاريخ العثماني المغاربي خلال القرن السادس عشر**، مرجع مذكور، ص304

[2] محمد بن محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي، **المختصر الفقهي**، حقّقه وضبط ووثّق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: أبو الفضل الدمياطي أحمد بن علي، مركز التراث الثقافي المغربي/ دار ابن حزم، الدار البيضاء/ بيروت، الطبعة الأولى، 2016، الجزء الخامس عشر، ص.326

[3] أبي العبّاس أحمد بن يحيى الونشريسي (توفّي 914 هجري/ 1509 ميلادي)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقيّة والأندلس والمغرب**، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجّي، 1981، الجزء 6، ص. 156+ ص.153-161

[4] الأجوبة، جزء 1، 226 + إحالة عدد 1

[5] الأجوبة، جزء 3، 5

[6] الأجوبة، جزء 1، 146

[7] أحمد بن يحيى الونشريسي، **المعيار المُعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب**، مصدر مذكور، الجزء 6، ص. 70

لنا فصل إنتاج العنف اللفظي والتحقيري وصناعة الصور النمطية والوصم بعيدا عن رهانات الفاعلين الاجتماعيين والمدينيين وأهل البادية الاقتصاديّة. فمن "من أنسب تعريفات الثقافة النّظر إليها باعتبارها جماعا لأفراد يتشاركون ذات الدلالات الرمزيّة للأساطير والمعتقد الديني والفنون والتاريخ والسلوكيات والاتجاهات الأخلاقيّة إزاء ما هو حقّ وما هو باطل"[1]. و"لا يغيب عن البال أن السياق الاجتماعي يحدّد على الدوام طبيعة السلوكيات المحتملة من هذا الفرد أو ذاك".[2] ومن هنا نلاحظ أنّ القاعدة الماديّة للفاعل الاجتماعي في كتاب العدواني تعتمد أساسا على الفلاحة والتجارة، وهذا ما تعبّر عنه بوضوح عبارة وردت في الكتاب وهي أنّ "الدراهم من غير الجدار ناقصة" والجدار هنا يعني النخيل والحقول[3]. وهذا التمثّل يُخالف تماما تمثّل أهل المدن والمستقرّين للثورة فهي تعتمد على تملّك العقّار حيث يُورد قاسم عظّوم "الثمن الدنانير أو الدراهم وهو غير مأمون، والعقّار والربع مأمون"[4]. فالعقّار وهو المعطى الذي يُحيل إلى الاستقرار هو الشيء المأمون بالنسبة لأهل المدن حيث أنّ "قاعدة المذهب أن المال المأمون هو الرباع والعقّار"[5]. ولهذا يخبرنا قاسم عظّوم بطريقة جليّة بالطلب الكبير على تملّك الأراضي من قبل الفاعل الاجتماعي لدرجة الندرة حيث في "هذا الزمان عزّ الملك ... وصار مشتهي وصار يَسْوى أكثر من ذلك"[6]. وأمّا الفاعل الاجتماعي لدى العدواني فهو يرى أنّ الدراهم تُحيل إلى التجارة والجدار إلى الفلاحة. وفي موضع آخر نجد: "قال له: اشتري النخيل كسب من الإبل والدراهم خير، فمن كان عنده النخيل فلا عدوّ عنده يتقرّب ناحيته، وإن لم يكن له خيل فيأخذ العدوّ إبله وغنمه ولا يصيب شيئا يمنعه"[7].

والكتاب يقدّم لنا معطى جيوبولوتيكي هام جدّا وعميق، حيث نجد إشارة إلى أنّه "لا يجتمع الحرمة وتمام النعمة"[8]، أي أنّ الأماكن العصيّة عن السلطة عادة ما يكون رزقها صعبا عكس افريقيّة مثلا وهي القاعدة الأساسيّة ومرتكز السلطة، بالمقابل نجد منطقة سُوفْ مثلا "ساكنها مْشومْ، ولكن لا تخاف من أحد إلا من بعضها بعضا"[9]. وقد كان الفاعل الاجتماعي يسعى إلى أماكن "متّسعة غاية وخالية من المخزن وتصلح

---

[1] جيروم كيغان، **الثقافات الثلاث: العلوم الطبيعية والاجتماعية والإنسانية في القرن الحادي والعشرين**، ترجمة: صديق محمد جوهر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المركز القومي للترجمة/ مصر، سلسلة عالم المعرفة، جانفي 2014، عدد 408، ص.139.

[2] جيروم كيغان، **الثقافات الثلاث**، مرجع مذكور، ص.183.

[3] تاريخ العدواني، ص. 252

[4] الأجوبة، جزء 7، 118

[5] الأجوبة، جزء 5، 421

[6] الأجوبة جزء 8، 61- 62

[7] تاريخ العدواني، ص. 253

[8] تاريخ العدواني، ص. 254

[9] تاريخ العدواني، ص. 254

لرعاية الإبل والغنم"[1]. نلاحظ هنا اختلاف تمثّلات ورهانات الفاعلين الاجتماعيين وتباينا بين منطق الدولة التي يفرض الحكم المركزي والمراقبة والعقاب والسيطرة على منابع الثورة وحاملا لهاجس الجباية[2]، والمنطق القبلي الساعي إلى المحافظة على ثرواته وقاعدته المادية ووسائل إنتاجه وهي أساسا الثروة الحيوانيّة والأرض. فمنطق التنقّل الدائم من أجل الرعي الذي تفرضه القاعدة المادية المرتكزة على تملّك الإبل والماشية يتنافى مع منطق الدولة الساعي إلى الاستقرار، فهاجس الرعاة هو الاستقلال[3]، والحريّة في التنقّل، حيث يشير النصّ في أحد مواضعه "بقينا في البلاد: الشتاء بأرض النازيّة، والربيع بواد ريغ، والصيف بالزّاب والخريف بأرض الجريد"[4]. فالقاعدة الماديّة للرحّل تفترض عليهم عدم الاستقرار والمراهنة على التجارة وتملّك الإبل، وتجنّب تملّك الماشية وخاصّة الأبقار لأنّها تستلزم الاستقرار، وهذا ما قالته طرود بوضوح في أحد المرويّات في تجادلها مع الشّابي: " نحن لا منك ولا منه وإنّما نحن أصحاب دراهم ودنانير...نحن عباد الله راكبين على الخيل وإمانا الإبل طوال الأعناق والسيقان، ولا نملك باقي المشي(أي الماشية) مثل البقر والغنم لأنّها مال ذلّ"[5]. فتربية الماشية والأبقار تجبر مالكها على الاستقرار ومن ثمّة تحمله على "الذلّ"، فالاستقرار يعني "الذلّ" للسلطة المركزيّة. وهذا المنطق لا يتطابق مع منطق الدولة التي تراهن على الاستقرار لأسباب سياسيّة وتجاريّة وجبائيّة. فالفاعل الاجتماعي في تاريخ العدواني هو مجتمع بدوي و"البوادي للرعاة"[6]. واستنادا إلى هذه السياقات يصبح بناء المكانة الاجتماعيّة خاضعا إلى الإطار المعرفي الذي يحتاجه ويطلبه المجتمع، وهنا تظهر أهميّة الإقدام والشجاعة في الحرب والقتال[7]، والذي يستلزم أساسا توفير الخيل والإبل وأماكن رعيهم وعلفهم، هذا إلى جانب السيولة المادية التي توفّرها التجارة بحكم أهميّة الطرقات ومعابر القوافل التجاريّة التي عادت ما تكون تحت عين القبائل. وفي هذا الإطار تُصبح الفروسيّة ضرورة حيويّة ووجوديّة، فقد قال أحد المحاربين "أنا فارس افريقيّة طولا وعرضا"[8]. وردّ عليه منافسه لمّا قال له فارس أولاد

---

[1] تاريخ العدواني، ص. 93- 94

[2] تاريخ العدواني، ص. 334

[3] تاريخ العدواني، ص. 108

[4] تاريخ العدواني، ص. 108

[5] تاريخ العدواني، ص. 185

[6] تاريخ العدواني، ص. 234

يتجنّب "الرّعاة" أيضا تربية الدّجاج لأنّ لأنّها حيوانات استقرار. ولهذا نجد في تاريخ العدواني: "...إفريقية لا خير فيها لأنّ أهلها يأكلون لحم الدّجاج أورثهم ذلّ الأجساد وشرّ القلوب". أنظر: تاريخ العدواني، ص.88.

[7] تاريخ العدواني، ص. 178

[8] تاريخ العدواني، ص. 178

سعيد "تأخذ مال الأمير"، ردّ عليه وقال: "ما هو بأمير علينا، وإنّما هو أمير على افريقيّة وعمّالها ونحن أفضل منه دنيا وآخرة "[1].

تنوّع رهانات الفاعلين الاجتماعيين المدينيين والبدويّين نتفهّمه من خلال الظرفيّة التاريخيّة التي مرّ بها البحر الأبيض المتوسّط والبلاد التونسيّة خلال القرن 16. فالبلاد التونسيّة تأثّرت بظرفيّة القرن السادس عشر بحكم تموقعها في قلب المتوسّط، وتأثّرت كثيرا بتغيّر الطرق التجارة وبداية احتكار الأطلسي لدور المتوسّط التجاري والاقتصادي[2]. فقد تميّزت الفترة المدروسة بتحولات كبرى "شملت العالم بأسره...تمكن البرتغال من الوصول لمعادن الذهب غرب افريقية...عرفت التجارة الافريقية المغربية تراجعا كبيرا"[3]، فالأوروبيون تمكّنوا من الوصول الى مواقع استخراج الذهب في افريقيا عن طريق البحر" مستغنين عن دور الوساطة التي كانت تقوم بها التجارة القوافلية الصحراوية"[4]. هذه الظرفيّة أبرزت رغبة من قبل الحكّام الأتراك للسيطرة على أراضي الدواخل لتعويض خسائرهم البحريّة سواء من خلال الاستغلال المباشر أو من خلال فرض الجباية، فلا يمكن عزل ظاهرة التطوّر المديني عن ظهيرها الريفي[5]. هذه الرغبة قابلها رفض صارم من قبل سكّان "البادية" كما أبرز ذلك بوضوح تاريخ العدواني. فالفاعل الاجتماعي عند العدواني يعتمد أساسا على الرّعي وتملّك الخيل والإبل مع تقديس ممارسة الحرب والسيطرة على عقد مواصلات التجارة الداخليّة. هذا المنطق بعتد على التنقّل وعدم الاستقرار. و هذه البنية الاقتصاديّة تُخالف بُنية سكّان المدينة التي كان هاجسها السيطرة على "الرّباع والعقّار" كما أبرز عظّوم[6]. فالتجارة القوافليّة والبحريّة تراجع مدخولها، فمنطق الدولة هنا تشابكت مع ظرفيّة القرن 16 وأصبح يُراهن على وجوبيّة استقرار السكّان من أجل السيطرة على الأرض والجباية.

نقول في آخر هذا الفصل أن العنف اللفظي الذي احتواه تاريخ العدواني أبرز لنا جغرافيّة اجتماعيّة معقّدة وشبكات نفوذ متداخلة. فقد برز لنا من خلال هذه الممارسات اللفظية تضادّ مصالح الفاعلين الاجتماعيّين، المدينيّين من ناحية وأهل البادية من ناحية أخرى. فالمدينة وما تشتمل عليه من قوّة معنويّة ورمزيّة (رجال

---

[1] تاريخ العدواني، ص.178.

[2] عبد الحميد هنية، **تونس العثمانية. بناء الدولة والمجال**، تبر الزمان، الطبعة الثانية، 2016، ص. 75

[3] الموّاق، محمد، محمد الرصّاع، **الأجوبة التونسيّة على الأسئلة الغرناطيّة (سنة 1481)**، تحقيق محمد حسن، دار المدار الإسلامي 2007، ص.9.

[4] نفس المصدر، ص. 16

[5] أندريه ريمون، "اقتصاد المدينة التقليدية"، ضمن الكتاب الجماعي: **المدينة في العالم الإسلامي**، تحرير: سلمى الخضراء الجيوسي- ريناتا هولود- أتيليو بيتروشيولي- أندريه ريمون، المجلد الثاني، مركز دراسات الوحدة العربية، 2014، ص. 987- 1012

[6] الأجوبة، جزء 5، 421

الدّين) وقوّة سياسيّة وعسكريّة (السلطة العثمانيّة) وقوّة اقتصاديّة (خاصّة هواجس السيطرة على أراضي دواخل وتملّكها واستغلالها) حاولت إرساء منطق جديد للحكم وهو منطق الدولة المركزيّة، وهذا الذي برز خاصّة مع وصول العثمانيين للبلاد التونسيّة (1574) وصولا إلى زمن العدواني. من ناحية أخرى أبرز مجتمع العدواني توجّسا وحيطة من منطق الدولة الجديد المهدّد للمنظومة الاجتماعيّة والاقتصادية والسياسيّة لأهل البادية. فالعنف اللفظي من خلال إنتاج الصور النمطيّة والتحقير والوصمْ برز كوسيلة لإبراز تقابل منظومتين معيشتين متضادّتين وجود إحداها متنافٍ مع وجود الأخرى.

العنف اللفظي والبلاد التونسية خلال القرن 19: مأسسة الهامش وتدوين التحقير والتصنيف

1. ظرفيّة القرن 19:

عاشت البلاد التونسيّة القرن التاسع عشر من مجموعة من الأزمات الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة[1]، وقد اعتمد المجتمع المحلّي خلال الفترة المدروسة على تقنيات عديدة للتصنيف والوصم والمعرفة خاصّة الاسم والكنية ومكان الإقامة والأوصاف الجسديّة[2]، مثل حالة "محمد بن عبد القادر...الوسلاتي نسبا القروي مسكنا"، هذا الرجل هرب من سجن "المجلس لازال يجتهد في البحث عنه وقد عرف اسمه ولقبه ونسبه ومسكنه"[3]. وإلى جانب هذه الركائز التصنيفيّة الأربعة يُضاف نجد الاعتماد على الرؤية بالعين وذلك كما ورد في أحد الوثائق حيث "...شهود يشهدون...معرفة الأجل...معرفة صحيحة وتامة عينا واسما ونسبا وموطنا"[4]. والتعرّف على الفرد يتمّ عبر "الوجه أو الصفة أو العينين أو اللباس أو الطول و القصر"[5]. ويُشير الأستاذ خليل الساحلي في أحد مقالاته التي تناول فيها وثائق المحاكم الشرعيّة التي تحتويها محكمة بورصا في تركيا إلى أنّ "كان القاضي يحتاج في الدعاوي التي كانت تخصّ الرقيق لتعريفه لعدم وجود التصوير حينئذ. وكانوا يكتفون بخمسة خصائص هي: اللون ولون العينين واقتران أو افتراق الحاجبين والقامة والمنشأ أو الأصل"[6]. وضمن هذا الهاجس من أجل التعرّف الذي كان مرافقا للفاعلين الاجتماعيين نُنزّل العنف

---

[1] محمد الهادي الشريف، **تاريخ تونس**، (تونس، سيراس للنشر، 1993)، ط.3، ص.96-99

[2] Laurent Lopez, « Noiriel Gerard (éd), L'identification : Genèse d'un travail d'État », *Crime- Histoire, et Société- Crime, History and Societies*, Vol. 12, N1, (2008), 137- 140

[3] الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 13. رقم الوثيقة 71365 (1862 ميلادي)

[4] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 66. الملف عدد 793. عدد الوثيقة 12 (1864 ميلادي)

[5] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 219 مكرّر. الملف عدد 337 مكرّر. الملف الفرعي 7/3. رقم الوثيقة 158 (1862 ميلادي)

[6] خليل الساحلي، "من سجلات محاكم الشرع في بورصة: مغاربة في تركيا في أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر"، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 3، (1975)، 47- 59، 51

اللفظي كتقنية مهمّة للتصنيف الاجتماعي وبناء المكانة الاجتماعيّة أو الحطّ منها، حيث نسجّل عدّة عناصر ساهمت في بناء التمايز والمكانة الاجتماعية للأفراد والعائلات مثل الاسم واللباس ومكان السكن[1]، والوجاهة الدينيّة والولائيّة والشرف[2]، أو العلاقة السياسية الجيّدة مع السلطة ولعب دور الوسيط المحلّي[3]، والثروة[4]. وقد وُظّف العنف اللفظي لإنتاج أو ترسيخ تمايز مجتمعي مستند على صور نمطيّة موروثة في البلاد التونسيّة على المدى الطويل.

2. العنف اللفظي: تنوّع المصطلحات

تساعدنا دراسة ممارسات الفاعلين الاجتماعيين اللفظيّة والخطابيّة، خاصّة من خلال العنف اللفظي والتصنيفات التحقيريّة، على فهم مجهري للمجتمع ورهاناته[5]. فمن المصطلحات التي تُعبّر على العنف الفظي خلال القرن 19 هي "القباحة" مثل رجل "تقبّح" على امرأة "وشتمها"[6]. كما يُعوّض مصطلح الشتم بكلمة "السّفاهة"[7]، أو "اللسان الفاحش"[8]. ومن المصطلحات المستخدمة في العنف اللّفظي نجد "يا سارق"[9]، و"يا كلب"[10]، أو "يا ابن الكلب"[11]، كما يُستخدم كثيرا مصطلح "وبش"[12]، و"زنديق"[13]، و"الفسايدي"[14]. ومن

---

[1] عبد الواحد المكني، **النخب الاجتماعية التونسية زمن الاستعمار الفرنسي (1881- 1956): الأشراف والبلدية مثالا**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، 2004، ص.31-98

[2] Houssein Boujarra, « Ulama et awliya dans l'Algérie et la Tunisie de 16e 17e siècle », In, *Etre notable au Maghreb : Dynamique des configurations notabiliaires*, I.R.M.C, Maisonneuve et Larose, Paris, 2006, pp.89-107

[3] Abdelhamid Hénia, « Les notables dans la Tunisie de l'intérieur (18e-19e siècle) », In, *Etre notable au Maghreb : Dynamique des configurations notabiliaires*, I.R.M.C, Maisonneuve et Larose, Paris, 2006, pp.141-151

[4] محمد الأزهر الغربي، "الأرضية الاقتصادية لفئة العلماء بالبلاد التونسية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر"، ضمن: **النخبة والسلطة في العالم العربي خلال العصر الحديث والمعاصر**، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية، سلسلة التاريخ عدد 5، تونس، 1992، صص.369-382

[5] Rachida Tlili- Sellaouti, « Le conflit social dans la Tunisie précoloniale: La gestion du conflit à travers le discours », *Villes et territoires au Maghreb : Itinéraire d'une recherche*, Coordination : Abdelhamid Hénia, Cahier de L'IRMC, N1, I.R.M.C, Tunis, 2000, pp.45- 46

[6] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9. عدد الوثيقة 70783

[7] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9. عدد الوثيقة 70244

[8] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 11. عدد الوثيقة 70726

[9] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9. عدد الوثيقة 70003

[10] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9. عدد الوثيقة 68093

[11] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 12. عدد الوثيقة 70874

[12] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 11. عدد الوثيقة 70624

[13] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9. عدد الوثيقة 70032

[14] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9. عدد الوثيقة 70227

تجلّيات العنف اللفظي هو نسب الشخص إلى أصل غير مسلم، فقد "اشتكت الحاجّة فاطمة بنت الحاج حسن بمحمد بن أحمد الزغواني مدّعية أنّه شتمها وقال لها أبوك مالطي"[1]. ونسجّل العنف الفظي بسبب رائحة الجسد مثل "يا خادم يا مسنانة" أي ذات الرائحة الكريهة، وأخرى " مصفارة" أي لونها أصفر وغير جميلة[2]. ونجد امرأة "كبرت واحراشت" أي "تجعّدت"[3]. كما نلاحظ التحقير بسبب اللون مثل "أنت كيف غراب البوم"[4]. ويُعدّ التكفير من أهمّ أنواع العنف اللفظي مثل "يا خارج الدّين"[5]. كما يُستخدم الموروث الديني لتبيري العنف اللفظي والمادي، حيث نجد جماعة من العسكر "أخذوا يضربون في رجل جريدي" وهو تحت حماية فرنسا "ويقولون الجهاد في سبيل الله"[6].

نلاحظ من خلال هذه الأمثلة استخداما كثيفا للمعجم القرآني خلال العنف اللفظي مثل مصطلح "الزنديق" و"الفاسق" و"الخبث" و"قاطع الطريق" وعقوبته المشهورة في القرآن كونه من الذين "يسعون في الأرض فسادا"[7]، أو من "اللذين يُفسدون في الأرض"[8]. وكل هذه المصطلحات وردت في آيات قرآنيّة في سياقات مختلفة. وتوظيف المصطلح القرآني من طرف الفاعلين الاجتماعيّين هدفه تبرير تصنيف أو ممارسة ردعيّة من طرف ضدّ آخر وشرعنة هذه الممارسات. ونجد من يُوجّه عنفه اللفظي إلى غير الأفراد مثل رجل مخمور أخذ "يشتم في البلاد وحكّامها"[9]. ورجل مالطي "يسبّ في الدين وفي الدُّول كافّة وجعل خوضة كبيرة"[10]. ونلاحظ أنّ الظرفيّة الصعبة التي عاشتها مدينة تونس خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر أثّرت أوّلا في مفهوم المؤانسة الاجتماعيّة وقلّل من نسبة تقبّل السكّان لبعضهم البعض. وثانيا يخبرنا هذا النّوع من العنف أنّ أهل الحاضرة بيّنوا، من خلال شتم "البلاد" وخاصّة أعوان الدولة، بأنّ لديهم وعي بالدور المهمّ بالدور الذي لعبته السلطة الحاكمة في التدهور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والأزمة التي عاشتها البلاد التونسية.

---

[1] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9. عدد الوثيقة 70008

[2] هانس شتومه، **أشعار وأغاني تونسية من القرن التاسع عشر**، ترجمة: محمود كبيبو، دار الوراق للنشر، بيروت، 2015، ص.25- 28

[3] نفس المصدر، ص.30+ إحالة عدد 4

[4] نفس المصدر، ص.42

[5] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9. عدد الوثيقة 70273- 70313

[6] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 17. عدد الوثيقة 72485

[7] القرآن الكريم، سورة المائدة، الآية 33

[8] **القرآن الكريم**، سورة الرعد، الآية 25

[9] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9. عدد الوثيقة 69020

[10] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9. عدد الوثيقة 70118

وساهم التدفق المتواصل للأوروبيين على مدينة تونس خلال النصف الثاني من القرن 19 في إنتاج عنف لفظيّ تجاههم مثل "أوباش الطليان والانقليز"[1].

وقد ارتكز جانب مهمّ من العنف اللفظي على الأحكام القيميّة والمعايير التي يؤمن بقيمتها المجتمع مثل الحياء والتربية والأخلاق والاحترام. وفي هذا الإطار نجد عبارات من قبيل "ما أقلّ حياؤك"[2]، و"ناقص تربية"[3]. ومصطلح "القطعيّة" أي الفاسد والمقتبس من كلمة قاطع الطريق ولكنّه يشمل كلّ فعل "فاسد"[4]، و"الأوباش"[5]، و"الهُمّال"[6]، و"ما تستحيش"[7]. ويعدّ "سبّ الدّين"[8] من أهمّ أشكال العنف اللفظي، حيث نجد من "شتم له دينه وإيمانه"[9]، ورجل آخر "لازال يتزايد في السبّ إلى أن سبّ الأنبياء والمرسلين وآدم وحوّاء عليهم السلام"[10]، وهناك من يشتم "العرض"، مثل "شتمه بما يُشين عرضه"[11]. وهناك من يستخدم اللّعن في العنف اللفظي، مثل "لعنه ولعن تابعه"[12]. ونجد من يشتم الشخص ويلعن والديه مثل "لعن والديه"[13]، أو "تعدّى عليه بالسبّ والشتم ولعن دينه وأبويه وبلاده"[14]. كما يُمكن أن تُشتم والدة أحد طرفي النّزاع مثل "شتمه وشربه وسبّ له أمّه"[15]. كما نجد الدّعاء بالشرّ مثل رجل تمنّى لخصمه "العما"[16]. ومن تجلّيات العنف اللفظي هو الاستهزاء[17].

من خلال هذه النماذج نلاحظ أنّ العنف اللفظي في البلاد التونسيّة خلال النصف الثاني من القرن 19 كان دليلا مهمّا على تمكّن التوتّرات الاجتماعيّة من الفاعلين الاجتماعيّين. فقد عايشت البلاد التونسيّة

---

[1] السلسلة التاريخية. الحافظة.55 الملف. 602.الملف الفرعي. 29. عدد الوثيقة.75468

[2] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 11. عدد الوثيقة 70611

[3] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 248 مكرّر. الملف عدد 6. عدد الوثيقة 87

[4] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 219 مكرّر. الملف عدد 337 مكرّر. الملف الفرعي 7/3. عدد الوثيقة 19

[5] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 11. عدد الوثيقة 70755

[6] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 219 مكرّر. الملف عدد 337 مكرّر. الملف الفرعي 7/3. عدد الوثيقة 208

[7] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 24. عدد الوثيقة 74145 مكرّر

[8] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9. عدد الوثيقة 69038

[9] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9. عدد الوثيقة 70156

[10] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 120. الملف عدد 421. عدد الوثيقة 1227

[11] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9. عدد الوثيقة 69040

[12] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9. عدد الوثيقة 68987

[13] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 11. عدد الوثيقة 70534

[14] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 248 مكرّر. الملف عدد 6. عدد الوثيقة 145 (شوال 1292)

[15] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 9. عدد الوثيقة 69090

[16] دفتر عدد 3458، ذي القعدة 1276

[17] السلسلة التاريخية. الصندوق عدد 55. الملف عدد 602. الملف الفرعي 25. عدد الوثيقة 74191

خلال هذه الفترة أزمات عميقة اقتصاديّا وسياسيّا واجتماعيّا، ولم يكن أهل البلاد التونسيّة في معزل عن هذه الظرفيّات القاسية، بل تشابكوا معها واندمجوا فيها وأنتجوا ممارسات وعنف لفظيّ متنوّع ترجم لنا هواجس الفاعل الاجتماعي اليوميّة.

العنف اللفظي خلال الفترة المعاصرة: التحقير والتصنيف وتشكيل العرق والجندر والطبقة

يُخبرنا الطّاهر الحدّاد خلال الفترة الاستعماريّة بأنّه دائما ما يُسمع "في المقاهي وفي الشوارع ما خبث من الألفاظ والمعاني"[1]. كما نلاحظ أنّ الحاضرة خلال الفترة الاستعمارية شهدت تشابك عدّة لغات خلال الحيز العام مثل الإيطالية والفرنسية والمالطية إلى جانب العربية[2]. هذا التنوّع أثّر بالضرورة على تنوّع الممارسات اللغوية والعنفيّة. كما يُشير أحد الباحثين الفرنسيين "إنّ التطاول على الذّات الإلهيّة يشتّى الصيغ لدى أهل شمال إفريقيا يؤكّد التهاون بتعاليم القرآن عند بعضهم"[3]. كما أبرز لنا الأستاذ عبد الواجد المكني في دراسة له حول أحد قصائد عبد الرحمان الكافي (1885- 1934) التنوّع الكبير الذي يتميّز به العنف اللفظي في البلاد التونسيّة خلال الفترة الاستعماريّة التي اشتدّت وطئتها وثقلها على كاهل أهل البلاد، فقد كان العرض والجسد والشّرف والمكانة الاجتماعيّة عرضة لهذا العنف[4].

وخلال الزمن الرّاهن "يتّصف واقع المجتمع التونسي بظاهرة تنوّع وتعدّد السلوكات العنيفة والعدوانية بين التونسيين أنفسهم" خاصة على مستوى "العنف اللفظي" "فخطاب الشتم والسبّ والسفاهة عند التونسي ... مشهود له ببذائته زكثرة تداوله أثناء التفاعلات الاجتماعية مع الغريب والصديق على حدّ سواء"[5]. ونلاحظ وعي الفاعل الاجتماعي بخطورة الممارسات اللفظيّة والشفويّة وأهميّة التثبّت من الكلام الملفوظ: "قبل ما تتكلّمْ دوّرْ لسانكْ في فمّكْ أربعْ دوراتْ وبعدْ اتّكلّمْ".[6] ونجد أيضا "سلامة الانْسانْ في حلاوة اللّسانْ".[7] كما

---

[1] الطاهر الحدّاد، **امرأتنا في الشريعة والمجتمع**، كتاب الدوحة عدد 13، جون 2012، ص.199.

[2] Rafika Amri- Abbes, « Langues et représentations dans la Tunisie de l'entre-deux-guerres », In, *Usages et représentations des cultures pendant la période coloniale*, Textes réunis et présentes par : Rabaa Abdelkefi, Cahiers du C.E.R.E.S, Série littérature N10, Tunis, 2009, pp.107-115, p.111

[3] عبد الرزّاق الحمّامي، "المجتمع التونسي من خلال مجلّة إيلا"، ضمن: **ظواهر حضاريّة في تونس القرن العشرين**، إشراف: عبد المجيد الشرفي، منشورات كليّة الآداب: منّوبة، تونس، 1996، صص.297-336، ص.306. نقلا عن:

M.P, « Devoirs de l'homme envers Dieu dans le Coran », *IBLA*, N3, 1937, pp.47- 53

[4] عبد الواحد المكني، "شهر قصيدة بذيئة في تاريخ تونس زمن الاستعمار الفرنسي : أدب الهامشية أم صنف من النضال"، موقع أنطولوجيا السّرد العربي: http://alantologia.com/page/21727/

[5] محمود الذوادي، محاولة تنظيريّة في الشخصية التونسية المستنفرة"، **الكرّاسات التونسية**، تونس، العدد 159- 160، 1992، صص.263-286، ص.270.

[6] نفس المصدر، ص.992، مثل عدد 8540

[7] نفس المصدر، ص.1020، مثل عدد 8812

أنّ "ابنادم يتربطْ من لسانهْ والبهيمْ من أقدامهْ".[1] وفي هذا الإطار نجد مثلا تونسيّا معبّرا عن هذه الحالة وهو: "الكلام المسْموعْ هو المدْموعْ"، أو "الكلامْ الوجّاعْ نقّاعْ".[2] ونلاحظ أنّ العنف اللفظي يسبّب العنف اللفظي حيث نجد "لا تعايرْني لا نعايْركْ الهمّ طايلْني وطايْلكْ"،[3] أو "اللّي حبّكْ حبّه كيفْ المحبّة كيفْ، واللي سبّكْ سبّهْ ولو يكون بوهْ شريفْ".[4] فقد بقي العنف اللّفظي حاملا لرهانات عديدة، نجد العنف اللفظي الذي يقال في قالب مزاح، ونجد عنفا تهكميّا، وآخر مقصودا نابعا من كره وإرادة للتحقير والتبخيس. ونجد عنفا لفظيّا يقال فقط من أجل القول بدون كره أو محبّة للمضرّة، ونجد أمثلة شعبية تدعّم هذه الفكرة مثل: "تدْعي على ولدي والقلبْ يقولْ بعيدْ الشرّ"، أو "تدعي على ولدي ونكْرهْ اللي يقولْ آمينْ"، أو "تدعي عليكْ يا كرْشي توجعيني".[5] إذا فإنّ العنف اللفظي يحمل عدّة أبعاد ورهانات وتختلف هذه الرهانات باختلاف زوايا النظر وطبيعة الفاعل الاجتماعي وظرفيّة إنتاج هذا العنف. ومن هنا نسجّل وعي الفاعل الاجتماعي بخطورة العنف الرمزي يبرز من خلال بعض الأمثال الشعبيّة: "فجْعانْ الذّيبْ ولا قتْلانهْ".[6] ويكثر العنف اللفظي خاصة في ظلّ عدم توافر الثقة بين الفاعلين الاجتماعيّن حيث أنّ "ابْنادمْ والزّمانْ ما فيهم أمانْ".[7]

وسعي الفاعل الاجتماعي لتوريث واستدامة العنف الرمزي: "الفحلْ يجيبْ الفحلْ، والبهيمْ يجيبْ بهيمْ كيفهْ وإلاّ بغلْ"[8]. وفي إطار آخر نجد ما يُشبه هذا المعنى: "السّلالهْ سلالهْ والعرقْ جبّادْ" وهذا يعني "احتفاظ الفرع بصفات الأصل وتأثيرها على سلوكه".[9] أو "ولدْ الحنشْ ثُعْبانْ"، أو "ولدْ الذّيبْ ما يتْربّاشْ"[10]. ومن ناحية أخرى نجد "ولدْ العزيزْ عزيزْ".[11] وقد أبرز الفاعل الاجتماعي وعيه بقسوة العنف اللفظي على النفس: "الحُقْرانهْ تُثْقُبْ المُصْرانهْ". (أي الاحتقار يؤثّر كثيرا على النفس).[12] ومن ناحية أخرى نلاحظ هاجس وخوف الفاعل الاجتماعي من العنف اللفظي خاصة المرتبط بالعرض: "خيف من لكّت العرض وشميتتْ الأعداء

[1] نفس المصدر، ص.33، مثل عدد 160
[2] نفس المصدر، ص.600، مثل عدد 4931+ 4932
[3] نفس المصدر، ص.681، مثل عدد 5670
[4] نفس المصدر، ص.120، مثل عدد 836
[5] نفس المصدر، ص.853، مثل عدد 7229+ 7230+ 7231
[6] نفس المصدر، ص.937، مثل عدد 8028
[7] نفس المصدر، ص.33، مثل عدد 157
[8] نفس المصدر، ص.938، مثل عدد 8031
[9] نفس المصدر، ص.1020، مثل عدد 8810
[10] نفس المصدر، ص.1081- 1082، مثل عدد 9427+ 9429
[11] نفس المصدر، ص.1083، مثل عدد 9439
[12] نفس المصدر، ص.398، مثل عدد 3213

فيّ". ("لكّت العرض: أن تتناوله الألسن بالسّوء").[1] خاصّة وأنّ الفاعل الاجتماعي لديه وعي بأهميّة انتشار الخبر في المجتمع: "الخبرْ يسْري بيه الجنّ"، و"يقال في سرعة انتشار الخبر وقابليّة الشيوع فيه".[2] وهذا الوعي المفرط والخوف من الفضيحة والعار والحاجة إلى السترة يبرز من خلال أمثلة متعدّدة مثل: "خبّي عاركْ في داركْ".[3] ونلاحظ أيضا وعي الفاعل الاجتماعي برهانات التحقير المجتمعيّة الأخرى إلى جانب العنف اللفظي مثل: "خدمة الرّجالْ تحتْ الرجالْ مُوتْ والعينْ تخزرْ".[4] ولا ننسى أنّ العنف اللفظي يرتكز أساسا على التصنيف والتحقير المجتمعي وتشكيل الصور النمطيّة. ونلاحظ أمثلة أخرى تبرز وعي الفاعل الاجتماعي بنظرة المجتمع وتمثّلات: "خْذينا لا يقُولوا باروا، ضْنينا لا يقولوا عقْروا".[5] ونلاحظ علاقة العنف اللفظي بالتحقير المجتمعي: مثل علاقة الظروف الاجتماعية بالتخلّي أو العجز عن توفير ممارسات غذائيّة معيّنة: "خبزْ السّوقْ ما ياكلهْ كان البرّاني" أو "خبزْ السّوقْ والهمّ يْلوقْ".[6]

ونسجّل عنفا لفظيّا ذو أبعاد طبقيّة مثل "لا تحلْ عينْ البدوي لا تُوحلْ معاهْ".[7] ونجد مثل آخر يبرز ثقل التقسيم التاريخي في البلاد التونسي بين البلدية و"الأعراب": "اللّيلْ طويلْ والعربْ قتّالهْ".[8] وهذا التحقير تجاه غير البلديّة يُقابل بضدّه حيث نجد :"ما بلْدي كان الجرْبوعْ"، أي "يضرب لتفنيد رأي من يرى نفسه متفوّقا لأنّه حضري من سكّان المدينة"[9]. ويقال أيضا "ما ثمّ ولدْ بْلادْ كان الفارْ"[10]. كما وُصف من همّ ليسوا من المدينة أي "الحضر" بالبقر: "يعْملوها الحَضَرْ ويُوحْلو فيها البقرْ".[11] ونلاحظ تواصل واستمرار علاقة العنف اللفظي بالانتماء الجغرافي في البلاد التونسيّة: "القِبْلي سُلطان، والشرقي وزيرهْ، والغربي طحّانْ والظهْري مْثيلهْ"[12]. فالانتماء الجغرافي يعبّر ويُترجم في ضمنيّا عن توازنات ومصالح اقتصاديّة واجتماعية وسياسيّة. ورغم كثرة الأمثلة التي ترسّخ تفوّق "البلدي" على غيره، إلا أنّ المجتمع أنتج أمثلة أخرى حقّرت من فئة البلديّة مثل وصمهم بقلّة الكرم: "نعْجةْ البلدي ما التّاومشْ"، وهذا المثل "يضرب تعبيرا عمّا في طبع سكّان

[1] نفس المصدر، ص.409، مثل عدد 3298
[2] نفس المصدر، ص.410، مثل عدد 3304
[3] نفس المصدر، ص.412، مثل عدد 3324
[4] نفس المصدر، ص.413، مثل عدد 3332
[5] نفس المصدر، ص.415، مثل عدد 3354
[6] نفس المصدر، ص.411، مثل عدد 3312+ 3313
[7] نفس المصدر، ص.679، مثل عدد 5644
[8] نفس المصدر، ص.724، مثل عدد 6067
[9] نفس المصدر، ص.732، مثل عدد 6148
[10] نف المصدر، ص.747، مثل عدد 6273
[11] نفس المصدر، ص.1140، مثل عدد 10017
[12] نفس المصدر، ص.992، مثل عدد 8542

المدن من بعد عن الكرم وما يعرفون به من بخل".[1] ودائما ما يحرص الفاعل الاجتماعي على التذكير بأنّ "ما يعْرفْ الأصْل كانْ ولدْ الأصْل"،[2] أو "ما يعْفْ الجِيدْ كان ولدْ الأجْوادْ".[3] وهذا البعد التحقيري لفئة من المجتمع تُحيلنا إلى مثل آخر وهو "ألف جانْ ولا شوشان"،[4] والشوشان هو الخادم الأسود البشرة.

كما ارتباط عدد كبير من العنف اللفظي بالشّرف والعرض سببه وعي الفاعل الاجتماعي لأهميّة الشرف في المجتمع لعامل لبناء المكانة الاجتماعية أو الحطّ منها والتحقير والتصنيف، خاصّة في ظلّ وعي الفاعل الاجتماعي بأهمية "السترة" وتجنّب الفضيحة: "اللّيل بُوذيناته (أي له أذن) والنّهار بعْويناتهْ"،[5] أو "كلّ شيء يُوفى إلاّ العار مايُوفاشْ"،[6] أو "العارْ أطْولْ من الأعْمارْ".[7] ونجد في أحد الأمثلة: "الشّرفْ لا تْهانْ ما يغسْلهْ كان الدّمْ".[8] وظلّ هاجس العار والعرض مصاحبا للمجتمع التونسي بداية من العنف اللفظي قبل 1881 وصولا إلى اليوم: نجد مثلا: "لزْ للحاوي حتّى يسترجلْ". (الحاوي هو: "الناقص رجولة").[9] كما أنّ "العرضْ كيفْ البلاّرْ إذا تكسّرْ ما عادْ يتجبّرْ"، أو "العرضْ كيفْ الكتّانْ الأبيضْ آشء ما جا يسوّخو".[10] ومسألة العرض والشّرف تسجّل حضورها الدائم في الأمثال الشعبيّة كهاجس أساسيّ. والفاعل الاجتماعي استرجع مكانة الخنزير كحيوان "ديوث" وربط هذا بموروث فقهيّ يعيب كثيرا على الرّجل الديوث، ومن هنا نجد مثلا شعبيّا يشير إلى: "من هو بُوكْ يا خنْتوشْ؟". هذا التساؤل يحيل إلى العار الذي يصاحب مجهول الأب، فالخنتوش هو صغير الخنزير.[11] فالمجتمع هنا يصبح آلة لإنتاج وإعادة هذا العار، حيث نجد في مثل شعبي: "منْعوتْ بالصّبع".[12]

---

[1] نفس المصدر، ص.857، مثل عدد 7265
[2] نفس المصدر، ص.777، مثل عدد 6554
[3] نفس المصدر، ص.777، مثل عدد 6555
[4] نفس المصدر، ص.93، مثل عدد 609
[5] نفس المصدر، ص.723، مثل عدد 6066
[6] نفس المصدر، ص.621، مثل عدد 5114
[7] نفس المصدر، ص.870، مثل عدد 7374
[8] نفس المصدر، ص.1043، مثل عدد 9044
[9] نفس المصدر، ص.706، مثل عدد 5913
[10] نفس المصدر، ص.881، مثل عدد 7490+ 7491
[11] نفس المصدر، ص.818، مثل عدد 6906
[12] نفس المصدر، ص.819، مثل عدد 6924

وقد تنوّعت مصادر العنف اللفظي مثل العنف اللفظي ذو المرجعية الحيوانية مثل: "آفة رقطة" أي "تشبيها بالحيّة الرقطاء".[1] أو "ابْنادمْ والذّيبْ لا يطيّحْ بيهمْ حبيبْ"،[2] أو "الأبيضْ في لكلابْ منجوسْ".[3] وهذا المثل يشير إلى أنّ "أحسن أصحاب السّوء سيّء". وعنف ذو مرجعيّة نباتيّة مثل "إلّي إصلهْ دفْلهْ ما يحلى ولو يُسقى بالعسلْ".[4] ونجد اللّعن مثل: "نلْعنْ البيْ في غِيبتهْ، كيفْ يحْضرْ نْبُوسله رْكيبتهْ".[5] ورغم كثرة ممارسات اللّعن إلا أنّ المجتمع يبرز رفضه لهذه الممارسات الشفويّة: "النّعله تْدورْ تْدُورْ وترْجعْ لْمُولاها".[6]ونجد عنفا لفظيّا أُنتج بسبب تمثّلات مرتبطة بالفاعلين الاجتماعيّين مثل تمثّل التطيّر أو العين أو الحسد. نجد مثل "العينْ الحاسْدهْ فاسْدهْ"،[7] أو "عِينه حرشهْ"[8]، ووعي المجتمع بخطر العين ولحسد أنتج عنفا لفظيا من ناحيته: "عين الحسودْ فيها عُودْ".[9] وتيمة العّين وتوجّس الفاعل الاجتماعي منها يبرز من خلال أمثلة أخرى مثل "عينيه تلمعْ كيف عينينْ القنْفودْ تحت الزّعترْ"، أو "عينيهْ تقولشْ عليهْ قتّالْ أرواحْ"، أو "عينيه عينينْ مخاور" (المخاور هو المخادع)[10].

ونلاحظ علاقة العنف اللفظي بالظروف الاجتماعيّة مثل العنف الرمزي: "فسْبِتْ (أي إطلاق الريح) بِيتيمْ فوّاحهْ". وهذا المثل "يضرب لتضخيم هفوة من يعيش كِلاّ على غيره كاليتيم"، ويقال أيضا في هذا الإطار: "لُقْمة لِيتيمْ معبْرهْ حتّى من خُدّيهْ اكْبارْ".[11] أو "أكحلّ وفحّامْ واسمهْ سخطْ الله"،[12] ويقال هذا المثل لمن اجتمعت فيه كل المساوئ. ونجد عنفا لفظيّا يستند إلى أوصاف جسديّة مثل "آش باش تعمل الماشطهْ في الوجهْ المشومْ".[13] وعنفا آخر يرتكز على التحقير والحطّ من المكانة مع الاستعانة بالثقافة الماديّة مثل فلان "أجْهلْ من صبّاطهْ".[14] ونجد عنفا لفظيّا متأثّرا بطبيعة المعايير المجتمعيّة مثل "اخدمّ يا تاعسّ على هاكْ

[1] نفس المصدر، ص. 16، مثل عدد 9
[2] نفس المصدر، ص.32، مثل عدد 156
[3] نفس المصدر، ص.35، مثل عدد 173
[4] نفس المصدر، ص.103، مثل عدد 691
[5] نفس المصدر، ص.855، مثل عدد 7251
[6] نفس المصدر، ص.857، مثل عدد 7269
[7] نفس المصدر، ص.915، مثل عدد 7845
[8] نفس المصدر، ص.919، مثل عدد 7873
[9] نفس المصدر، ص.917، مثل عدد 7858
[10] نفس المصدر، ص.919- 920، مثل عدد 7879+ 7880+ 7882
[11] نفس المصدر، ص.947، مثل عدد 8128
[12] نفس المصدر، ص.91، مثل عدد 594
[13] نفس المصدر، ص.16، مثل عدد 16
[14] نفس المصدر، ص.37، مثل عدد 184

الرّاقدْ النّاعسْ"،[1] أو "إذا تنجّمْ تخدم قفّاف تولّي عرفّ من الأعرافْ".[2] وعنف لفظي ذو مرجعيّة نباتيّة مثل "إذا تحسبني فولهْ، أنا نحسبكْ قشرتها"،[3] أو "إذا كان أمّك البصلْ وبوكْ الثّومْ، من فمّك الرّيحهْ يا مْشُومْ".[4] وعنف لفظيّ متأثّر بالثقافة الماديّة اليوميّة مثل "اللّي برجه بالمرمّهْ يموتْ بسطلْ بغلي"،[5] أو "كيفْ سرْوالْ العسكري من ترْمهْ لترْمهْ".[6] ونجد عنفا لفظيّا يُنتج بسبب أمراض وإعاقات جسديّة مثل "أعورْ وزادهْ نقشْ الجدري"،[7] أو أنا نقول حاوي وهو يقولْ قدّاش عندك أولادْ".[8] (الحاوي هو العقيم).

جندر	طبقة	عرق
"اللي ماخذْ مرا قبيحهْ أُو ماشي للمندبهْ لاش والمندبهْ في داره".[11]	"اللّي مْوالفْ بالحفا يْضربهْ الصبّاطْ".[10]	"ألف جانْ ولا شوشان".[9]
"اللي ما عندهْ لا ولِيدْ لا بْنيّهْ كيفهْ كيفْ الوليّهْ".[14]	"شاورْ البخيلْ يرجعْ لكْ دبيرْ".[13]	"اللي ما يعرف بُوك ينعلْ جدّكْ".[12]
"اللي عنده البناتْ عنده الهمّ بالحفناتْ".[17]	"انفقْ بعينكْ يا زليط".[16] (الزليط هو الفقير).	"اللّي ما يعرفْ بُوهْ ولد حرامْ".[15]
"الأنثى زرّيعةْ ابليسْ فيسعْ تكبرْ".[20]	"اعطيني وجهكْ المشومْ نخلّص بيه الديونْ".[19]	"الأسمرْ عسلْ والأبيضْ بصلْ".[18]

[1] نفس المصدر، ص.43، مثل عدد 227
[2] نفس المصدر، ص.52، مثل عدد 292
[3] نفس المصدر، ص.51، مثل عدد 285
[4] نفس المصدر، ص.61، مثل عدد 353
[5] نفس المصدر، ص.105، مثل عدد 706
[6] نفس المصدر، ص.666، مثل عدد 5536
[7] نفس المصدر، ص.239، مثل عدد1890
[8] نفس المصدر، ص.221، مثل عدد 1748
[9] نفس المصدر، ص.93، مثل عدد 609
[10] نفس المصدر، ص.157، مثل عدد 1237
[11] نفس المصدر، ص.140، مثل عدد 1105
[12] نفس المصدر، ص.152، مثل عدد 1197
[13] نفس المصدر، ص.225، مثل عدد 1786
[14] نفس المصدر، ص.143، مثل عدد 1126
[15] نفس المصدر، ص.152، مثل عدد 1196
[16] نفس المصدر، ص.226، مثل عدد 1793
[17] نفس المصدر، ص.166، مثل عدد 1310
[18] نفس المصدر، ص.247، مثل عدد 1949
[19] نفس المصدر، ص.234، مثل عدد 1857
[20] نفس المصدر، ص.225، مثل عدد 1785

"شكونْ يحمل الضرّة كان المرا العرّة".[3]	"أفقرْ من فارْ السّليسلةْ".[2] وهذا المثل "يضرب لمن بلغ الغاية من الفقر والاحتياج، السليسلة: قناة مكشوفة تصل ما بين ضفّتي فرع من فروع الوادي".	"البيوضةْ وقلّة البركةْ كيف جوامعْ جربةْ".[1] ("يضرب لمن حسن ظاهره وساء باطنه...جوامع جربة كناية عن بيعات اليهود").
"أولاد الهجّجلْ قليل صلاحهمْ".[7] (الهججل هو جمع: هجّالة هي الأرمل).	"الاسم العالي والمراحْ الخالي".[5] ويقال أيضا "الاسم كبير، والعشا صغيرْ".[6] "يضرب لمن شاع ذكره وقلّ ما عنده".	"تْلمْ أنْتنْ ونتّونْ والاثنينْ أنتنْ من بعضْ".[4]

جدول عدد 2: العرق والطبقة والجندر من خلال العنف اللفظي

يتبيّن لنا من خلال ممارسات إنتاج العنف اللفظي خلال الفترة المعاصرة حضور عدّة هواجس مجتمعيّة أهمّها ثلاثيّة "الجندر/الطبقة/العرق"، فعلى مستوى المنهج لا يمكن لنا فصل هذه الثلاثيّة عن العنف الذي يتعرّض له "التّابع" والمهمّش عادة[8]. فقد بقيت هذه الثلاثية مصاحبة لهاجس الباحثين في كل القطاعات[9].

خاتمة:

تبرز خطورة العنف اللفظي في كونه يتجاوز تأثيره العنف المادي، فتأثيره لا ينحصر في الألم الجسدي الظرفي، بل يتمثّل في ترسيخه لألم معنوي دائم خاصّة عندما يؤسّس العنف اللفظي للصور النمطيّة وصناعة الوصم Stigmatisation، فسلطة الكلمة هنا تجمع في الآن نفسه العنف المادي والمعنوي المرتكز أساسا

[1] نفس المصدر، ص.302، مثل عدد 2400
[2] نفس المصدر، ص.241، مثل عدد 1904
[3] نفس المصدر، ص.252، مثل عدد 1981
[4] نفس المصدر، ص.314، مثل عدد 2505
[5] نفس المصدر، ص.247، مثل عدد 1951
[6] نفس المصدر، ص.247، مثل عدد 1950
[7] نفس المصدر، ص.257، مثل عدد 2024
[8] Thamy Ayouch, « Genre, classe, « race » et subalternité : pour une psychanalyse mineure », In, *Pour un regard neuf de la psychanalyse sur le genre et les parentalités*, Sous la direction de : Laurence Croix/ Gerard Pommier, Éditions érès- Collection : Point hors ligne, France, 2017, pp.171- 203
[9] Lorenzo Barrault-Stella, « Clémentine Berjaud et Safia Dahani, Les pratiques électorales entre classe, genre et race », In, *Travail, genre et sociétés*, N.40/2, 2018, pp.51- 68

على عامل الديمومة[1]. لا يمكن منهجيّا فصل هذه الثلاثيّة خاصة عندما تتشابك مع معطى الدولة القوميّة[2]، أو العولمة وما تفرزه من صراعات ورهانات ومصالح[3]. وهذه الممارسات التصنيفية والتحقيرية يواكبها وعي نضاليّ مثل بروز نقد دراسات التابع[4]. ومن خلال هذه المعطيات يحضر بقوّة تاريخ البلاد التونسيّة خاصّة بعد الفترة الاستعماريّة، فقد تركّزت بقوّة منظومة الدولة القوميّة، وبداية بروز العولمة. وصناعة الاختلاف (مثل التقسيم الجندري) خاضع للتمثّلات وظرفيّات إنتاجها والمصالح التي تقف وراءها. فالتمثّل يتأثّر بالبنية والظرف، والسيرورة التاريخية ورهانات فاعليها الاجتماعيّين هي التي تصنع طبيعة النظر والتمثّل[5]. والظرفيّة هنا، مثل الظرفية السياسيّة، هي التي تساهم في إنتاج العنف اللفظي وتكرّسه وتجعله ممارسة لغويّة يوميّة متداولة بين الفاعلين الاجتماعيّين[6]. ويحرص الفاعل الاجتماعي بسبب رهانات عديدة ومتنوّعة (مصالح اقتصادية وسياسيّة واجتماعيّة...) على ابتكار وخلق الاختلاف. من هنا تبرز الاختلافات الجندرية والطبقية والعرقيّة[7]، التي تكون خاضعة إلى المصالح والرهانات وبعيدة كلّ البعد عن كلّ حقيقة علمية أو بيولوجيّة[8].

فالعنف اللفظي في البلاد التونسيّة تدرّج من القرن 17 من عنف يُبرز بوضوح تضاد المصالح بين مدينة/ريف ودولة/قبيلة، إلى عنف مُؤسس ومقنّن خلال القرن 19 من خلال تكفّل وثائق الشرطة التونسيّة بداية من سنة 1861 في تشكيل التصنيف والتحقير وإنتاج الصور النمطيّة العنيفة، وصولا إلى عنف آخر برز لنا

---

[1] George Olusola Ajibade, « Violence in Dialogue: Yorùbá Women in Actions», *Cahiers d'études africaines*, N.204, 2011, pp.847- 871

[2] Mara Viveros Vigoya, « Les bénéfices de la masculinité blanche : entre race, classe, genre et nation », In, *Les couleurs de la masculinité : expérience intesexionelles et pratiques de pouvoir en amérique latine*, édition la découverte, France, 2018, pp.136- 166

[3] Sabine Masson, « Sexe/genre, classe, race : décoloniser le féminisme dans un contexte mondialisé. Réflexions à partir de la lutte des femmes indiennes au Chiapas », Nouvelles Questions Féministes, 2006, Vol. 25- N.3, p. 56-75, p.71-72

[4] Warren Montag, « "Les subalternes peuvent-illes parler ?" et autres questions transcendantales », *Multitudes*, 2006, N.26, pp,133- 141

[5] Marie Rodet, « C'est le regard qui fait L'histoire : Comment utiliser des archives coloniales qui nous renseignent malgré elles sur l'histoire des femmes africaines (archives) », *Terrains et travaux*, 2006, N.10, pp.18-35

[6] Natalie Petiteau, « Violence verbale et délit politique. 1800-1830 », *Revue d'histoire du XIXe siècle*, 2008, N.36 : L'enquête judiciaire et ses récits - Mots, violence et politique – Varia, pp.75- 90

[7] Candace West et Sarah Fenstermaker, « « Faire » LA Différence », Traduction de Laure de Verdalle et Anne Revillard, *Terrains et travaux*, 2006, N.10, pp.103- 136, p.130-133

[8] Anne Revillard et Laure de Verdalle, « Faire » le genre, la race et la classe Introduction à la traduction de « Doing Difference », *Terrains et travaux*, 2006, N.10, pp.91- 102

بداية من الفترة الاستعماريّة (1881–إلى اليوم) يتجلّى فيه بوضوح أبعاد جهويّة و"عنصريّة" وطبقيّة وجندريّة.

المصادر والمراجع:

–أبي العبّاس أحمد بن يحيى الونشريسي (توفّي 914 هجري/ 1509 ميلادي)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقيّة والأندلس والمغرب**، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجّي، 1981

–أبي العبّاس أحمد بن يحيى الونشريسي (توفّي 914 هجري/ 1509 ميلادي)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل افريقيّة والأندلس والمغرب**، خرّجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجّي، 1981

–جويل. س. مجدال، **الدولة في المجتمع: دراسة كيف تحوّل والمجتمعات وتشكّل بعضها بعضا**، ترجمة: محمد صلاح عليّ، عالم الأدب للترجمة والنشر، مصر، 2018

–رودولف بيترز، **الجريمة والعقاب في الشريعة: النظريّة والتطبيق من القرن السادس عشر حتى القرن الحادي والعشرين**، عالم الأدب للترجمة والنشر/ منشورات ابن النديم، مصر، 2018

–عبد الأحد السبتي (تنسيق وتقديم)، **التاريخ واللسانيّات: النصّ ومستويات التأويل**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط: جامعة محمد الخامس، الرباط، 1992

–كافين رايلي، **الغرب والعالم: تاريخ الحضارة من خلال موضوعات**، ترجمة: عبد الوهاب المسيري/ هدى عبد السميع حجازي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، جوان، 1985، عدد 90، الجزء الأول، ص.203

–كرستيان لانغ، **العدالة والعقاب في المتخيّل الإسلامي خلال العصر الوسيط**، ترجمة: رياض الميلادي، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2016، ص.140– 156

–كريستيان غراتالو، **هل يجب التفكير في تاريخ العالم بطريقة أخرى؟**، ترجمة: الهادي التيمومي، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة، 2018.

–لطفي عيسى، "تونس إيالة عثمانية: القرن السادس عشر"، ضمن: **تونس عبر التاريخ، الجزء الثاني: من العهد العربي الإسلامي إلى حركات الإصلاح**، إشراف: خليفة شاطر، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2007

–محمد بن محمد بن عمر العدواني، **تاريخ العدواني**، تقديم وتحقيق وتعليق: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، 1996

–محمد بن محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي المالكي، **المختصر الفقهي**، حقّقه وضبط ووثّق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: أبو الفضل الدمياطي أحمد بن علي، مركز التراث الثقافي المغربي/ دار ابن حزم، الدار البيضاء/ بيروت، الطبعة الأولى، 2016

–المنتصر بن المرابط بن أبي لحية القفصي، **نور الأرماش في مناقب القشاش**، دراسة وتحقيق: لطفي عيسى/ حسين بوجرّة، المكتبة العتيقة، تونس، 1998

–منذر كيلاني، "الاستشراق والاستغراب: اختراع الآخر في الخطاب الأنثروبولوجي"، ضمن: **صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه**، تحرير: الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية– الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت، الطبعة الثانية، 2008

–وائل حلاّق، **الدولة المستحيلة: الإسلام والسياسة ومأزق الحداثة الأخلاقي**، ترجمة: عمرو عثمان، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، الطبعة الرابعة، 2016

–وليام. ت. كافانو، **أسطورة العنف الديني: الإيديولوجيا العلمانية وجذور الصراع الحديث**، ترجمة: أسامة غاوجي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2017

-Anne Revillard et Laure de Verdalle, « Faire » le genre, la race et la classe Introduction à la traduction de « Doing Difference », *Terrains et travaux*, 2006, N.10, pp.91- 102

-Candace West et Sarah Fenstermaker, « « Faire » LA Différence », Traduction de Laure de Verdalle et Anne Revillard, *Terrains et travaux*, 2006, N.10, pp.103- 136, p.130-133

-Natalie Petiteau, « Violence verbale et délit politique. 1800-1830 », *Revue d'histoire du XIXe siècle*, 2008, N.36 : L'enquête judiciaire et ses récits - Mots, violence et politique – Varia, pp.75- 90

دور الحركة الوطنية الفلسطينية في تطوير وتنمية المجتمع الفلسطيني

(1987- 1994م)

الباحث / محمود رفيق محمود الشيخ أحمد

جامعة سوسة ـ تونس.

الملخص:

لعبت الحركة الوطنية الفلسطينية ممثلة بكافة التيارات والأحزاب السياسية (الوطنية والاسلامية) دوراً مهماً في التصدي للاحتلال الاسرائيلي، وكانت الحركة الوطنية الفلسطينية تتصدي بشدة لسياسات الاحتلال مثل سياسة الاحتلال في الملاحقة والابعاد والنفي والسجن وقتل المتظاهرين وسياسة الضرائب، وكانت الحركة الوطنية الفلسطينية تنوع في مقاومتها للاحتلال الاسرائيلي فتارة تستخدم السلم وتارة تستخدم الكفاح العسكري المسلح وتارة بالمظاهرات التي تندد وتفضح سياسة العدو الصهيوني تجاه الفلسطينيين في الضفة الغربية قطاع غزة وأراضي 1948م، كانت علاقة الأحزاب الفلسطينية مع بعضها البعض تتسم بالتباين والاختلاف خاصة بين التيار الوطني والاسلامي في الايدلوجيا وفي طرق التصدي للعدو الاسرائيلي، كما كانت علاقة الحركة الوطنية الفلسطينية مع الدول العربية والاسلامية تمتاز بالقوة، ومع بعض الدول كانت متذبذبة، ومن أهم العلاقات التي توترت، العلاقات الفلسطينية- الكويتية عقب قيام العراق باجتياح الكويت، بالرغم من سياسة العدو الاسرائيلي المتمثلة بالشدة والضغط والتهديد، إلا أن الحركة الوطنية الفلسطينية استطاعت أن تسطر صفحات مشرفة من مقاومة الاحتلال الإسرائيلي.

الكلمات المفتاحية: الحركة الوطنية، منظمة التحرير، الاحتلال، الاغتيال، الفلسطيني، الانتفاضة.

Abstract:

The Palestinian National Movement represented by all its factions and political parties (national and Islamic) has played an important role in confronting the Israeli occupation. Moreover, it disagreed with the policies of the occupation, such as the occupation policy of persecution, deportation, exile, imprisonment. The Palestinian national movement was diverse in its resistance to the Israeli occupation as it was sometimes holding up peace process, being involved in a military fight or staging demonstrations to condemn and expose the policy of the Zionist enemy against the Palestinians in the West Bank, the Gaza Strip and the 1948 territories. The relationship between the Palestinian factions with each other was characterized by diversity and contradiction , especially between the national and Islamic trends in ideology and ways of confronting the Israeli enemy. The Palestinian national movement's relations with the Arab and Islamic countries were also characterized by strength with some countries and volatile with

others like Kuwait after the invasion of Iraq. the Palestinian national movement have shown impressive example in resisting the Israeli enemy despite the Israeli enemy's policy of severity, pressure and threats.

key words: The National Movement, Liberation Organization, Occupation, Assassination , Palestinian, Intifada

مقدمة:

تعد الحركة الوطنية الفلسطينية من أهم وأبرز الحركات التحررية في العالم، فقد أثرت وتأثرت بالحركات التحررية العالمية، ولعبت دوراً كبيراً في إدارة الصراع الفلسطيني- الاسرائيلي، وقد وجهت كافة الطوائف وفئات الشعب الفلسطيني، لمقاومة الاحتلال الصهيوني، بكافة الوسائل المتاحة للفلسطينيين سوآءا كانت وسائل سلمية أو غير سلمية؛ حتى يحصل الفلسطينيون على كافة حقوقهم المسلوبة، منها حق تقرير المصير، وحق العودة، في الشعب الفلسطيني العديد من الأحزاب الفلسطينية التي لعبت دورا كبيرا في التصدي للاحتلال الاسرائيلي منذ الاحتلال عام 1948م، ومن أبرز هذه الحركات منظمة التحرير الفلسطينية، وحركتي حماس والجهاد الاسلامي، وفي الانتفاضة الأولي (1987-1994م)، شاركت هذه الأحزاب والفصائل في مقاومة وقرع الاحتلال الصهيوني، وهبت كافة شرائح الشعب الفلسطيني للتصدي للاحتلال، بأبسط ما تملكه مثل الحجارة، وكانت الهبة من الفلسطينيين سواءً بتوجيه من الأحزاب أو بشكل عفوي، وسنتعرف في هذه الدراسة عن دور الحركة الوطنية الفلسطينية في الانتفاضة الأولي 1987-1994م.

ثانياً: أهمية الدراسة: ترجع أهمية الدراسة إلى:

1- التعرف على طبيعة العلاقات بين الفصائل الفلسطينية.
2- إيضاح علاقة الفصائل الفلسطينية بالمحيط العربي والإسلامي والإقليمي والدولي.

ثالثاً: أهداف الدراسة:

1- التوثيق لمرحلة مهمة في تاريخ القضية الفلسطينية.
2- تفسير سبب لجوء الشعب الفلسطيني للقيام بالانتفاضة.
3- ضرورة توثيق عمل الحركة الوطنية الفلسطينية خلال الانتفاضة الفلسطينية1987.
4- إبراز صورة العمل الفلسطيني المقاوم المتكامل على الساحة الفلسطينية.

رابعاً: منهج الدراسة:

اعتمد الباحث في دراسته منهج البحث التاريخي.

خامساً: حدود الدراسة:

1- **الحد الزماني:** تبدأ الدراسة من أواخر عام 1987م، وهو العام الذي انطلقت به الانتفاضة، وتنتهي الدراسة بعام 1994م، وهو بداية قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية لأرض الوطن.

2- **الحد المكاني:** قطاع غزة.

المبحث الأول

دور الحركة الوطنية الفلسطينية التعليمي، الاجتماعي، الاقتصادي

شكل الطلاب النسبة العظمى من الشهداء والجرحى والمعاقين، وترك آثاراً سلبية على الطلبة عند سماع خبر استشهاد زميلهم أو إعاقته أو تعطيله عن الدراسة، مما أعاق العملية التعليمية، وأثر على مستقبل الطلبة الدراسي(أبو جابر وأخرون،2002 :121).

أولاً / على صعيد التعليم:

لعبت الحركة الوطنية الفلسطينية دوراً كبيراً في تطوير التعليم، وعملت على فتح المدارس، وتقديم المساعدات لطلاب الجامعات في الداخل والخارج، وشاركت في ورش عمل لتطوير المناهج الدراسية عبر مختصين أكفاء، لذلك نجد أن التعليم قد انتقل نقلة نوعية في الانتفاضة الأولى بفعل دعم الحركة الوطنية الفلسطينية للتعليم، لكنه عانى في قطاع غزة خلال الانتفاضة الاولى من عدة مشاكل ومنها النقص في الدوام والأدوات والأجهزة والعيادات الصحية المدرسية، والمكتبات والمختبرات والنقص في عدد المدارس ، واكتظاظ الطلبة داخل الفصول، وتلف الأثاث المدرسي، وتصدع وتشقق جدران المدارس، و شكل واقعاً نفسياً واجتماعياً سيئاً على تربية التلاميذ وتعليمهم، بالإضافة إلى المشكلات البنيوية التي يعاني منها قطاع التعليم من حيث التجهيزات والامكانيات، وإغلاق المدارس من قبل الاحتلال(الجدي، 2008 :67).

فقد بادرت الحركة الوطنية والجماهير الشعبية والنقابات بطرح وتنفيذ تجربة التعليم الشعبي، وشكلت لجان التعليم الشعبي في القرى والمخيمات، والمدن التي أخذت على عاتقها مسؤولية مواصلة تعليم الطلاب وعلى مختلف مراحلهم التعليمية، ونظم التعليم الشعبي برامج دارسة في المنازل والمساجد والكنائس في قطاع غزة (المدهون، 1989 :23)، وكانت تقام على شكل حلقات دراسية، وبالتناوب في كل بيت من البيوت الحي مرة في كل أسبوع، وتم توفير معلمين حتى يمكن المضي قدماً في العملية التعليمية، فكان تعليمهم لهؤلاء الطلاب نابعاً من حس وطني وواجب حضاري ولا مكان للناحية المادية فيه، مما جعل العطاء أصدق وأخلص ونجحت تلك المدارس الشعبية في مساعدة الطلبة على متابعة الدروس، التي حرموا منها طوال فترة إغلاق مدارسهم(التعليم في قطاع غزة، 1990 :93).

وقد اعتبرت السلطات الإسرائيلية التعليم الشعبي نشاطاً محظوراً واعتقلت عدداً من المدرسين، واعلنت بأن جميع النشاطات التعليمية غير قانونية، وغير شرعية (حبايب:68)

ولم تتمكن مؤسسة التعليم العالي الجامعة الاسلامية (1978م) وجامعة الأزهر من استيعاب كل الأعداد المتوقع التحاقها بالتعلم العالي، وتعرضت لعقبات وصعوبات كثيرة كانت ناتجة عن قيود وممارسات سلطة الاحتلال بهدف تحجيم عمل مؤسسات التعليم العالي، والعمل على افشالها والتدخل في شؤونها الداخلية وعرقلة مسيرتها، ومنع دخول الأموال لها، وعدم السماح لها بالبناء فيها، والقيام بعمليات الاقتحام والتفتيش والابعاد (السنوار وآخرون، 2009 :32).

فعلى الرغم من سياسة الاحتلال القمعية التي مورست على الطلبة والمدرسين، فكان تحدي من الحركة الوطنية لتلك الممارسات، فلما أغلقت المدارس والجامعات، حلت المساجد والمؤسسات محلها، وبمساعدة أبناء الشعب الفلسطيني تم المحافظة على الميرة التعليمية. وصمدت وتحدت وتخرج المئات حتى في سنوات الإغلاق لها.

ثانياً / على الصعيد الاجتماعي:

تحركت الحركات الوطنية في العمل الاجتماعي من خلال المساجد و الجمعيات وتشكيل اللجان لمحاربة سياسية التجهيل ورعاية أسر الشهداء والعناية بالجرحى، ومساعدة عائلات الأسرى، وتقديم العون للفئات المتضررة ممن هدمت بيوتهم من خلال إجلائهم عنها، والاهتمام باستصلاح الأراضي الزراعية، ومن تلك الجمعيات جمعية الهلال الأحمر، والمجمع الاسلامي، واتحاد الكنائس، وجمعية الاتحاد النسائي، وجمعية الإغاثة الزراعية، وجمعيات آخري، التي ساهمت من خلالها الحركة الوطنية في التصدي للاحتلال الإسرائيلي، والتنبيه إلى الأخطار التي تهدد المجتمع الفلسطيني (الواوي، 2013 :67)

لقد واجهت الجمعيات جملة من المشاكل والعراقيل جراء اجراءات الاحتلال الاسرائيل وقوانينه التعسفية، ووضعت العراقيل في وجه نشاط الحركة الوطنية من خلال هذه الجمعيات في القطاع، ولكن على الرغم من ذلك قدمت الحركة الوطنية الكثير من المساعدات لأهالي قطاع غزة (الواوي، 2013: 71)، وعمل الاحتلال على تفتيت الوحدة الوطنية الفلسطينية، خاصة تدمير الروابط العائلية التي تلعب دوراً مهماً في الحفاظ على الروابط والتماسك الاجتماعي، وقد ظهرت الكثير من المشاكل الاجتماعية، مثل الضبط الاجتماعي داخل الأسرة نتيجة غياب الأب لفترات طويلة عن البيت، كما أن الاحتكاك باليهود في العمل أدي إلى ظهور انحرافات خلقية واضحة لدى أعداد متزايدة من الناس(الشيخ خليل،2010 :102).

ثالثاً / دور الحركة الوطنية الفلسطينية في تنمية النشاط الاقتصادي1987-1994م:

لقد أصبح قطاع غزة يعتمد بالتدريج منذ احتلال الكيان 1967م، على الاقتصاد الإسرائيلي إلى تهميش الحضور الوطني الفلسطيني، مما أسهم في استفزاز المشاعر الوطنية الفلسطينية، حيث شعروا أن قوتهم وحياتهم اليومية، متوقفان على الاقتصاد الإسرائيلي، وساد نمط من التبادل غير المتكافئ بين الاقتصاديين، لصالح الاقتصاد الإسرائيلي، ويُعد استغلال الاحتلال للضفة والقطاع (إيتان، المذكرات،1989 :67)، وجعلهما كمصدرين لليد العاملة الرخيصة، ولبعض المواد الخام، وللقليل من الصناعات البسيطة الضرورية للصناعة الإسرائيلية، نموذجاً للتبعية والامتهان للاقتصاد الفلسطيني. (צבי לניר تسابي لنير، 1983: 114)

ولجأت قوات الاحتلال لحصار الشعب الفلسطيني اقتصاديا في عدة مجالات :

مصادرة الأراضي ، بلغت مساحة الأرض المصادرة 834 و457 دونم ، منها 10 آلاف دونم عام 1988 ، و75 ألف دونم عام 1989 ، و335 و227 دونم عام 1990 ، و594 و 80 دونم عام 1991 ، و669 و 14 دونم عام 1992 ، و 662 و 494 دونم عام 1993 ، و770 دونما من بداية عام 1994 حتى شهر حزيران منه 1992.smrth :153)

وحاولت قوات الاحتلال كسر الإضراب التجاري ، خاصة في مراحل الانتفاضة الأولى فقد لجأ جنود الاحتلال إلى إجبار التجار في المدن الرئيسية كنابلس والخليل وغزة وجنين وطولكرم ورام الله وبيت لحم وغيرها على فتح محلاتهم التجارية في الأسواق الفلسطينية تحت تهديد السلاح وترهيبهم بسرقة أموالهم وبضائعهم (مصادرتها أو الاستيلاء عليها)، وسرق وأحرق جنود الاحتلال وعملائه مئات المحلات التجارية فعليا والحقوا خسائر مالية جسيمة بآلاف التجار (الحمد،1998 :412)، وتم تدمير الأراضي المزروعة بعشرات آلاف الدونمات من محاصيل شتوية وصيفية ، مثل مزروعات الحبوب والبقول الشتوية والمحاصيل الصيفية الأخرى (البديري، 1978 :274)، وقطعت الأشجار المثمرة كالزيتون واللوز وأشجار الحمضيات والفواكه . فقد بلغ عدد الأشجار المقطوعة والمجروفة بجرافات الاحتلال 489 و 185 شجرة مثمرة ، وتم قطع التموين عن المواطنين في حالات إغلاق الأراضي الفلسطينية ومنع التجول، وزادت البطالة في صفوف الحركة العمالية الفلسطينية بنسبة كبيرة (حداد، 1993 :163).

وهدمت قوات الاحتلال الصهيوني البيوت فقد بلغ عدد البيوت المهدمة خلال فترة الانتفاضة 1987 – أيار 1994 ، 2401 بيتا منها 510 بيوت بذرائع أمنية ، و107 بيوت بحجة العمليات العسكرية ، وتم إغلاق

382 بيتا ، وهدمت سلطات الاحتلال 1402 بيتا بحجة عدم الترخيص، أغلقت الأسواق الفلسطينية ودمرت المحلات التجارية.

وتم تخفيض السيولة النقدية التي يسمح للمواطن الفلسطيني بنقلها عبر الجسور حيث حددت بمبلغ 2000 دينار ، ثم قلصت الحوالات المالية ل 400 دينار أردني فقط ، في محاولة للقضاء على تمويل فعاليات الانتفاضة الفلسطينية من خارج فلسطين ، مما أضطر المواطنون إلى دفع مبلغ نسبة وصلت 10 % لمن يدرج اسمه على حوالة مالية قادمة من خارج البلاد .

ولم يهتم الاحتلال، في هذا السّياق، بالبنية التحتية لاقتصاد المنطقتين المحتلتين (خطوط المواصلات، وشبكات الكهرباء، والمياه، والهاتف، والبريد)، وتآكلت خطوط المواصلات، واحتكرت شركة الكهرباء الإسرائيلية إمداد المناطق المحتلة بالكهرباء بما فيها القدس(المدهون، 2005: 193)، وقد عانت تجارة الضفة والقطاع مع إسرائيل، من عجز كبير لصالح إسرائيل (السلطة الوطنية،(د.ت)، 27)، وتم اغلاق مقار المؤسسات والجمعيات كالغرف التجارية والمصانع والمطابع وغيرها (حمدان، 1989 :331)، لقد أحدثت الانتفاضة تغيرات كبيرة في مختلف جوانب حياة الشعب الفلسطيني في قطاع غزة، وتحملت الحركة الوطنية مسؤوليات كبيرة لملائمة التطورات الجديدة.(الزاغة وآخرون، 1990: 157).

وقد دعت الحركة الوطنية من خلال بيانتها بمقاطعة جميع المنتوجات الإسرائيلية، التي أخذت في التدفق على الأسواق المحلية الفلسطينية وبأسعار باهظة في الوقت الذي بمنع أهلنا من تسويق منتوجاتهم تضيقاً عليهم في أرزاقهم، كما حاربت الحركة الوطنية من خلال بيانتها ظاهرة المفسدين التي برزت خلال الانتفاضة وحذرت بأنها ستتعامل معهم بكل شدة وحزم، وستعمل على حماية الشعب من تسلط أولئك الذين يعملون على طعن الشعب من الخلف. (الحمد، 1998 :414)

ودعت إلى الاعتماد على الاقتصاد الوطني، بتشجيع الزراعة المحلية وأحياء الأرض، وتبني الصناعات المحلية، ونددت بسياسة الضرائب المتضاعفة التي تتبعها سلطات الاحتلال.

كما ناشدت الشعب الإقبال على الأرض واحيائها وعمارتها واستغلالها زراعياً وحيوانياً، والتمسك بكل شبر من الأرض، وطالبت التجار عدم استغلال الشعب برفع الأسعار والاكتفاء بالربح القليل والوقوف بجانب الشعب (بيان حركة المقاومة الاسلامية حماس، كانون ثاني، 1988)، ونادت أصحاب المصانع والشركات وكل المنتجين بالمزيد من العمل والانتاج لتقوم الصناعة في وجه انتاج سلطات الاحتلال، وإلى استيعاب أكبر عدد من العمال، والعمل على رفع رواتبهم، ودعت جميع أفراد الشعب على التكافل الاجتماعي، ومحاربة كل الخارجين عن الصف الوطني، ونبذ الصراع والخلاف بين صفوف الشعب (نداء

منظمة التحرير الفلسطينية، أيلول، 1988)، والواضح مما سبق أن استخدام الحركات الوطنية في بيانتها أسلوب تحذير من لم يلتزم بأيام الإضراب، ولم يقاطع المنتج الإسرائيلي، وخصت التجار، ومن يخالف النظام العام، واستخدمت الوازع الديني في التحذير من التعامل مع الاحتلال، كما سعت لتطبيق الشرع الاسلامي في معاقبة من يرتكب أي مخالفات.

رابعاً / دور الحركة الوطنية الفلسطينية السياسي والاعلامي و العسكري:

تواصلت الانتفاضة ، تخف حيناً لتشتد آخر، وقد تهدأ في مكان لتنشط في آخر، وقد يلتقط الحركة الوطنية أنفاسها، ليأخذوا فترة راحة يطورون فيها أساليبهم ووسائلهم لذلك مرت الانتفاضة في ثلاث مراحل متداخلة، ولكن يغلب على كل مرحلة فيها اتجاه معين، أو أسلوب محدد، وقد تطول كل مرحلة أو تقصر، من غير تقيد بزمن محدد، وهو أمر ما لا يمكن تخطيطه وتنفيذه، حسب دراسة وتخطيط، لإحداث ثورة شعبية، تتوزع على عشرات المدن والمخيمات ومئات القرى، مع تعدد المنظمات، التي تشارك فيها و هذه المراحل هي:

أ. المرحلة الأولى:

هي مرحلة المواجهة الجماهيرية الشّاملة، حيث الإضرابات العامة، والتظاهرات العارمة المنظمة، والاشتباك مع جنود الاحتلال، برجمهم بالحجارة، وقذفهم بالزّجاجات الحارقة، وزرع المسامير في طريق سياراتهم، وخرق منع التّجول. وفيها أيضاً تمت تعبئة المجتمع الفلسطيني كله، للقيام بهذا المجهود. وقد تميزت هذه المرحلة ببعض التدابير، الهادفة إلى إلحاق الخسائر الاقتصادية بالاحتلال الإسرائيلي. فقد أعلن الشّعب الفلسطيني مقاطعة انتقائية للسلع الإسرائيلية، التي يوجد لها بدائل محلية، اعتباراً من مايو 1988، كما حض قادة الحركة الوطنية للانتفاضة المواطنين على عدم دفع الضرائب للاحتلال، ودعوا التجار إلى خفض مشترياتهم من السوق الإسرائيلية، ثم امتدت المقاطعة إلى جهاز الحكم والإدارة المدنية والبلديات والمجالس، التي يديرها إسرائيليون (الشاعر،1999 :30).

ب. المرحلة الثانية:

كانت هذه المرحلة مرحلة المواجهة الجماهيرية، مع تنامي التكتيكات الموازية، هي من جانب الكوادر التنظيمية للفصائل الفلسطينية العاملة في الانتفاضة. وركزت على ضرورة الاعتماد على الذات، وبناء المؤسسات الوطنية، حيث تزامنت الدعوة إلى مقاطعة الإدارة المدنية، واستقالة الموظفين الفلسطينيين في دوائر الاحتلال، مع مضاعفة المساعي لتطوير أساليب جديدة لملء الفراغ المؤسساتي، الذي سينتج عن ذلك، في إدارة الشؤون المدنية للشعب الفلسطيني (الكيالي،1990 :92).

ج. المرحلة الثالثة:

اتسمت هذه المرحلة بتراجع النشاطات الجماهيرية، وتنامي العمليات المسلحة من قبل التنظيمات الفلسطينية، حيث بدأ هذا النوع من المواجهة بالتصاعد المنظم، منذ أوائل عام 1992، في ظل التراجع الجماهيري مع فعاليات الانتفاضة، بعد انعقاد مؤتمر مدريد للسلام في الشرق الأوسط، بحضور ممثلين فلسطينيين، وموافقة منظمة التحرير، ودول المواجهة العربية (دائرة الثقافة،1978: 382)، وقد بدأ هذا التراجع منذ أوائل عام 1991، بسبب انشغال العرب بحرب الكويت وكثرة الأعمال الوحشية في قمع الانتفاضة، واعتقال الآلاف من العناصر النشيطة في الانتفاضة، ولكن العمليات النوعية التي كانت تنفذ بين حين وآخر، ظلت تحرك الجماهير، وتبقى جذوة الانتفاضة متوهجة، فقد شهدت هذه المرحلة عمليات متطورة، هزّت الكيان الإسرائيلي هزاً عنيفاً، وشغلت النظام الدولي، وعاشت الضّفة والقطاع، أجواء حرب حقيقية في أعقاب سلسة العمليات، التي نفذتها حماس في الذكرى الخامسة لانطلاق الانتفاضة (الدباغ،1965 :85).

واتخذت إسرائيل قرارات بإبعاد جماعي للمسؤولين في حركة حماس واعتقلت قوات الاحتلال 1500 معتقل فلسطيني، و في 17 ديسمبر 1992 غادرت ثماني حافلات، تقل 417 معتقلاً من حماس والجهاد الإسلامي، متجهة إلى لبنان (سردخاي موته، 1982: 104)، وألقت بهم عبر الحدود، في مكن نال شهرة بعد ذلك، هو "مرج الزهور"، حيث أصر المبعدون على البقاء فيه، قريباً من الحدود (الإبعاد سياسة وليس عقوبة ، فلسطين الثورة، العدد 922، 1993/1/24) ودخلت قضية إبعادهم المحافل الدولية، وناقشها مجلس الأمن الدولي، واستعملت أمريكا حق النقض "الفيتو"، بعد أن أعلنت إسرائيل أنها توافق على إعادتهم بعد سنة، وقد أثر هذا الإبعاد على الأحداث، خلافاً لما توقعت إسرائيل وخططت له. فقد كان إبعادهم مدعاة إلى تصاعد العمليات الاستشهادية، والمواجهات المسلحة، التي نفّذها المجاهدون من كتائب القسّام والجهاد الإسلامي (أبو معمر وآخرون، 1996 :111).

وكانت التضحيات، التي قدمتها الجماهير المنتفضة كبيرة. وظلت الانتفاضة في الاستمرار، وتقديم الشهداء والجرحى والمعتقلين. حتى وصل عدد الشهداء نهاية يونيه 1994 حوالي 1392 شهيداً، منهم 353 طفلاً، وإذا كان عدد الشهداء قد قل في النصف الثاني من عمر الانتفاضة، فقد بقى شلال الدم متدفقاً (المدني،1990: 63).

اكتسبت البيانات أهمية بالغة، لفهم ما يدور من فعاليات وتطورات سياسية وعسكرية خلال الانتفاضة، وفرضت البيانات شكل الحياة في غزة وحددت ما هو مسموح وما هو ممنوع، وحددت للجماهير

متى وكيف يقومون بالأحداث، وكانت تصدر بشكل دائم وشبه دوري، وتتزامن تلك البيانات مع ذكرى معينة من التاريخ الفلسطيني، أو ذكرى وفاة قائد أو حدث سياسي كبير ومهم، فلقد كان لتلك المناشير تأثير كبير على المجتمع، حيث كانت محركاً أساسياً للأحداث اليومية، وأداة إعلامية سياسية في يد التنظيمات وكانت توزع على كافة المناطق في نفس الوقت، مما دلل على وجود ترتيب تنظيمي داخل تلك المنظمات (مشعل، وآخرون:35).

اهتمت المناشير بتوجيه أحداث الانتفاضة اليومية، والحديث عن بعض الظواهر الاجتماعية والسياسية اليومية، والتوجيهات كانت تعني مختلف الفئات الاجتماعية في الوطن، واحتوت بيانات القيادة الوطنية الموحدة وجميع الفصائل الاسلامية على مواقف سياسية ونداءات للجماهير، وتبدأ البيانات بآية قرآنية، وتحمل عبارات لاستنهاض الهمم، " يا شعب البطولة والفداء"، وغيرها من الشعارات الوطنية التي كانت لها أثراً كبيراً في تحريك الجماهير (بيان حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين بيت المقدس بتاريخ 1989/3/18)، كما شملت البيانات على مجمل التوجيهات العامل لسير الفعل الشعبي ومنجزاته، والمطالبة والمناشدة بتعزيز وثمنت صموده في وجه أشكال القمع الارهابية من قتل وجرح وابعاد وحصار وتجويع وهدم منازل وحظر تجوال، وتضمنت البيانات على النص السياسي المكثف والموجز، الذي يزخر بالأفكار والرؤى (نداء القيادة الوطنية الموحدة في الأرض المختلة، منظمة التحرير الفلسطينية، رقم 37، 1989/3/29).

وزعت أجهزة الاحتلال الاسرائيلي خلال الانتفاضة، بيانات مزورة منتحلة اسم الفصائل الفلسطينية، ولقد كانت تلك البيانات جزاءاً من الحرب الشاملة ضد الانتفاضة، وقد هدفت إلى إثارة المشكلات والفتن بين مختلف التنظيمات الفلسطينية وفي اوساط الشعب وإلى تشويش إرباك البرامج النضالية اليومية، إضاقة إلى جو من التوتر الاجتماعي بين مختلف الطبقات والطوائف الاجتماعية (الحمد، 1998: 473).

المبحث الثاني

العلاقات الداخلية والخارجية للحركة الوطنية الفلسطينية

أولاً / العلاقات الداخلية للحركة الوطنية الفلسطينية:

حرصت منظمة التحرير الفلسطينية على بناء شبكة من العلاقات الايجابية، مع كافة الجهات محليا، وعربيا، ودوليا، للحصول على الشرعية السياسية المؤثرة في الساحة الفلسطينية، وقدرت حركة المقاومة الاسلامية (حماس)، منظمة التحرير الفلسطينية على دورها المميز في الصراع مع العدو الصهيوني، ومساهمتها التاريخية في الكفاح الوطني، وانجازاتها السياسية، إلا أن حركة حماس أصرت على موقفها من اسلامية فلسطين، ورفضت تجاوب المنظمة مع الفكر العلماني(عز الدين،1991 :229)، واعتبرت أن

منظمة التحرير الفلسطينية من أقرب المقربين إلى حركة حماس، ففيها الأب أو الأخ أو القريب أو الصديق، وهل يجفو المسلم أباه أو أخاه، أو قريبه، أو صديقه، فوطننا واحد ومصابنا واحد وعدونا واحد(ميثاق حركة المقاومة الاسلامية حماس، المادة 27)، ومع انعقاد المجلس الوطني الفلسطيني في دورته التاسع عشر بالجزائر في تشرين ثان(نوفمبر) عام 1988م، أبرقت حركة المقاومة الاسلامية (حماس) رسالة له، أوضحت فيها مواقفها المتمثلة في رفض كل المشاريع السياسية المطروحة لحل قضية فلسطين، والتي تصب في مصلحة العدو الصهيوني على المدى البعيد، والتزامها الجهادي حتى تحرير كامل فلسطين، مع التزامها بالعمل على وحدة الشعب الفلسطيني، مؤكدة رفضها لكافة المواقف الداعية للمفاوضات مع العدو المحتل، والاعتراف به، والتعايش معه، والتنازل له عن جزء من فلسطين، وقبولها بإقامة دولة فلسطينية مستقلة على أي جزء يتم تحريره من فلسطين، دون التنازل عن ذرة منها(رسالة موجهة من حركة المقاومة الاسلامية حماس إلى المجلس الوطني الفلسطيني التاسع عشر بتاريخ 1988/11/12م).

قامت فصائل منظمة التحرير الفلسطينية وحركة حماس والجهاد الاسلامي بإصدار بيانات رسمية منها مفردة ومنها بالتنسيق الموحد لدعم الانتفاضة، واستقطاب الجماهير، وكانت هذه الدعوات تلقى استجابة تامة كون قوات الانتفاضة تابعت عملية التنفيذ على أرض الواقع، وكانت هناك خطابات رسمية سنوية وموسمية لرئيس منظمة التحرير الفلسطينية ياسر عرفات يحث فيها على الجهاد في سبيل الله لتحرير فلسطين من الاحتلال الاسرائيلي (علاونة،2013 :12)، لم تبد حماس استعداداً لدخول القيادة الوطنية الموحدة بل آثرت المشاركة في الانتفاضة وحدها، كونها حركة اسلامية فلسطينية تجاهد من أجل الحرية وتخليص فلسطين الاسلامية من الاحتلال الاسرائيلي (علاونة،2013 :17)، احتكمت حماس إلى مبادئها وإلى قاعدة التعاون والتنافس في تحرير فلسطين وفي ضرب المشروع الصهيوني، ورفض الاعتراف بالكيان الاسرائيلي، وقد واجهت في البداية مصاعب كبيرة في التعامل مع حركة فتح التي كانت تخشى من النفوذ المتزايد لحماس على حسابها، ولكن الأمر لم يكن يخلو من حالات احتقان متبادلة كانعكاس طبيعي للتنافس بين أكبر فصيلين فلسطينيين، وتعاونت حماس مع الفصائل الوطنية الأخرى، وخصوصاً المعارضة لاتفاق أوسلو، حيث كانت العمود الفقري لتحالف الفصائل الفلسطينية العشر الذي تشكل في أواخر سنة 1993م، لمواجهة اتفاق أوسلو(صالح، 2002 : 241)، ولحماس علاقة أكثر تميزاً مع حركة الجهاد الاسلامي بوصفها الأقرب من الناحية الأيديولوجية، وكثيرا ما ينسق الطرفات مواقفهما السياسية ويتحالفان في الانتخابات الطلابية، ويتعاونان أحياناً في تنفيذ العمليات العسكرية (مقابلة مع حسن شقورة بتاريخ2019/7/6)، كما أن حركة الجهاد الاسلامي لم تفضل الدخول في وحدة تنظيمية تحت إطار القيادة

الوطنية الموحدة كونها هي الأخرى تنطلق من منظور اسلامي، وتريد إثبات وجودها وفعاليتها على الساحة الفلسطينية العامة، وفي الوقت ذاته كان هناك تنسيق بين الجهاد الاسلامي وحركة حماس في بعض البيانات المشتركة، وتنظيم دعوات مشتركة للإضراب العام، والمواجهة مع الاحتلال (علاونة،2013 :17-18).

أ- علاقة حركة المقاومة الاسلامية(حماس) بحركة الجهاد الاسلامي:

تشكلت حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين سنة 1980م، بقيادة الدكتور فتحي الشقاقي، وكان أعضاؤها المؤسسون أفراداً سابقين في الاخوان المسلمين، ونشطت في القيام بعدد من العمليات، وقام تنظيم سرايا الجهاد(الذي اندمج مع الجهاد الاسلامي) بتنفيذ عملية باب المغاربة في 1986/10/16م، والتي أوقعت حوالي ثمانين إصابة في الجنود الإسرائيليين (صالح،2012 :99)، التقت كل من حركة المقاومة الاسلامية حماس، وحركة الجهاد الاسلامي على المنهاج الاسلامي، الذي رسم لكلاهما الرؤى الفكرية والبرنامج السياسي(الحروب،1996 :113)، عبرت حركة حماس في ميثاقها أنها تنظر إلى حركة الجهاد الاسلامي نظرة احترام وتقدير، وان اختلفت معها في جانب أو تصور(ميثاق حركة حماس، المادة23)، لكن العلاقة بينهما تميزت بالفتور ووصلت في بعض الأوقات إلى حد القطيعة خاصة ما قبل الانتفاضة الفلسطينية(الحروب،1996 : 143)، ونظراً لاتفاق الرؤية نحو رفض مشروع التسوية السياسية التقت كل من حركة المقاومة الاسلامية حماس وحركة الجهاد الاسلامي في تجمع عرف بالفصائل العشر في 22 تشرين أول(أكتوبر) عام 1991م(بيان صادر عن ممثلي الفصائل الفلسطينية ما عدا حركة فتح في طهران بتاريخ 1991/10/24م)، وعرضت حركة الجهاد الاسلامي مشروعاً يدعو إلى التنسيق المتدرج للوصول إلى صيغة قريبة من الصيغ الجبهوية، تأخذ طابعاً إسلامياً وطنياً ببرنامج سياسي، وبناء تنظيمي، عرف بتحالف القوى الفلسطينية مساء الأربعاء 5 كانون ثان(يناير) عام 1994م(رفعت،1997 :ج2،ص902)، وقدمت حركة المقاومة الاسلامية حماس مشروعا لحركة الجهاد الاسلامي حول الوحدة والاندماج الكامل وذوبان تنظيم الجهاد الاسلامي في حركة حماس(الحروب،1996 : 146).

ب- موقف حركة حماس من السلطة الفلسطينية:

ترى حماس أن سلطة الحكم الذاتي في الضفة والقطاع هي إفراز من إفرازات اتفاق أوسلو(سعيد، 2003 :20)، وأن الصهاينة وافقوا على إنشائها لأنها تؤمن لهم الكثير من المكاسب، وتعارض حماس المشاركة في المؤسسات السياسية للحكم الذاتي فقد قاطعت انتخابات المجلس التشريعي للسلطة، كما رفضت المشاركة في حكومتها(مقابلة مع حسن شقورة بتاريخ2019/7/6)، وفي الوقت نفسه رفضت حماس الدخول في مواجهات مع السلطة، وأكدت على حرمة الدم الفلسطيني، وعدم الانجرار إلى حرب أهلية تخدم في النهاية المشروع الصهيوني، وقد اضطرت أن تعض على جراحها لسنوات عندما قامت السلطة بالعديد من

حملات الاعتقال والتعذيب والملاحقة لعناصر حماس، ورفضت الرد على ذلك رغم شدة المعاناة، وكانت عادة من توجه انتقامها إلى الكيان الاسرائيلي باعتباره جوهر المشكلة، والمسئول أساس عن دفع السلطة إلى سياساتها التعسفية ضد المعارضة(صالح، 2002 :241).

ثانياً / **العلاقات الخارجية للحركة الوطنية الفلسطينية:**

أ- **مع الدول العربية:**

في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات حدثت تغيرات على المستوى العربي والدولي أضعفت كثيراً الموقف الفلسطيني والعربي، فقد حدث مزيد من الضعف والتفكك في الساحة العربية، خصوصاً إثر الاجتياح العراقي للكويت في 1990/8/2م، وما نتج عنه من عداء بين البلاد العربية (مقابلة مع محمد الهندي بتاريخ2019/7/12) ، واستنزاف الموارد والثروات العربية، وتدمير البنية العسكرية للعراق، وتهجير وهجرة مئات الألاف من الفلسطينيين من الكويت في أثناء الاجتياح العراقي، وبعد انسحابه منها وما تلاه من حجب الدعم عن منظمة التحرير الفلسطينية وبشكل عام فإن حرب الخليج كان لها أثار كارثية على قضية فلسطين(صالح،2012 :110).

ب- علاقة حركة المقاومة الاسلامية (حماس) بالدول العربية والاسلامية:

اهتمت حماس بالبعد العربي والاسلامي فهو جزء من إيمانها العقدي بالحل الاسلامي للقضية وتوسيع دائرة الصراع ضد العدو الصهيوني، وحرصت حركة حماس على إقامة علاقة ايجابية وبناءه مع مختلف الأطراف العربية والاسلامية، سوآءا على المستوى الرسمي أو الشعبي، بما يخدم القضية الفلسطينية، وأكدت على ذلك في المادة(14) من ميثاقها والتي نصت على تحرير فلسطين مرتبط بدوائر ثلاث، الدائرة الفلسطينية، والدائرة العربية، والدائرة الاسلامية، وكل دائرة لها دورها في الصراع مع الصهيونية، وعليها واجبات ففلسطين أرض اسلامية، وتحريرها فرض عين على كل مسلم حيثما كان(ميثاق حركة المقاومة الاسلامية حماس، المادة 14)، وبذلك أصلت العمق العقائدي للقضية الفلسطينية ووضعت المسلمين أمام مسئولياتهم للعمل من أجل انتزاع الحق المغتصب وتحرير فلسطين ورفع راية الجهاد وبث روح الجهاد في الأمة ومنازلة الأعداء والالتحاق بصفوف المجاهدين (ميثاق حركة المقاومة الاسلامية حماس، المادة 15)

وكان أبرز معالم سياستها:

- تبادل التأييد والمؤازرة مع الحركات الاسلامية وتوثيق العلاقات معها على خلفية الاهتمام بإنجاح المشروع الاسلامي في أقطارها باعتباره خطوة في طريق التحرير وعلى خلفية دفعها باتجاه الاسهام في العمل لفلسطين وقضيتها(بيان صادر عن حركة حماس، المكتب الاعلامي بتاريخ 1991/10/22م).

- عدم التدخل في الشئون الداخلية للدول العربية والاسلامية وعدم الدخول في محاور صراع بين هذه البلدان، أو تأييد طرف ضد أخر(الحروب،1996 :172).
- عدم انشاء تنظيمات لحماس خارج فلسطين إلى الأن مما قلل من فرص الاحتكاك والانزعاج الأمني العربي(بيان صادر عن حركة حماس بتاريخ 1994/04/18م).
- محاولة بناء علاقات سياسية مثمرة مع الدول العربية تمكن حماس من العمل بحرية سياسيا واعلاميا، توفر لها الدعم غير المشروط، وتسهم في تصليب مواقف هذه الدولة ضد التسوية وضد التطبيع.

وقد نجحت حماس في تحقيق درجات متفاوتة من العلاقة مع عدد من الدول العربية مثل سوريا والسعودية واليمن والكويت والعراق وليبيا وقطر ولبنان، ولها علاقة جيدة بإيران وتذبذبت علاقتها مع الأردن بين الترحيب وإنشاء المكاتب وبين الاعتقال والطرد وسحب الجنسيات ولحماس شعبية كبيرة في الأوساط العربية والاسلامية، حيث يلقى تركيزها على العدو الصهيوني وعملياتها الاستشهادية وتجنبها خوض الصراعات الجانبية تقديراً كبيراً (صالح، 2002 : 242-243)، حرصت حركة المقاومة الاسلامية حماس على إقامة علاقات مميزة مع المحيط العربي الذي يعد سنداً لها في معركة التحرير الفاصلة، إلا أن مجموعة من العوامل ساهمت بشكل أو بأخر في تعرض تلك العلاقة لحالات المد والجزر منها، وقوع حماس تحت التصنيف الإخواني، والاعتراف العربي الواسع بمنظمة التحرير الفلسطينية (مقابلة مع حسن شقورة بتاريخ2019/7/6).

ثالثاً : موقف الاحتلال الاسرائيلي من الحركة الوطنية الفلسطينية:

أ- موقف الاحتلال الاسرائيلي من فصائل منظمة التحرير الفلسطينية:

عانت م.ت.ف من استضعاف سياسي إثر المحاولات المتوالية لاجتثاثها عسكرياً ووصلت حالة تهميشها مدى كبيراً في مؤتمر القمة العربي في عمان في تشرين الأول/أكتوبر 1987م، وعندما اندلعت الانتفاضة المباركة عدتها م.ت.ف رافعة سياسية لها، فحاولت استثمارها بشكل مبكر، فقامت بتشكيل القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة (بعد شهر من اندلاعها)، وشاركت الفصائل الفلسطينية وخصوصاً فتح بفعالية في الانتفاضة، ورد الكيان الصهيوني باغتيال أبو جهاد (الرجل الثاني في م.ت.ف وفي فتح) في تونس في 1988/4/16م، وذلك ضمن حملته الشرسة لقمع الانتفاضة، وقد استفادت م.ت.ف من قيام الأردن بفك روابطه الادارية والقانونية مع الضفة الغربية في 1988/7/31م، لتؤكد تمثيلها الرسمي الوحيد لأهل الضفة الغربية، ولتخوض ما أسمته" هجوم السلام الفلسطيني".

وفي المجلس الوطني الفلسطيني التاسع عشر(12-1988/11/15م) الذي يتبع م.ت.ف، تم وضع برنامج فلسطيني قائم على الاعتراف بقرار الأمم المتحدة رقم 181 لسنة 1947 القاضي بتقسيم فلسطين

لدولتين عربية ويهودية، واعترفت م.ت.ف لأول مرة بقرار 242 الصادر عن مجلس الأمن في تشرين الثاني/نوفمبر 1967م، ودعت إلى تسوية سياسية من خلال مؤتمر دولي وحتى يتجرع الفلسطينيون كل هذه المرارات فقد أعلن المجلس استقلال فلسطين، ولقد لقي هذه الاعلان ترحيبا دوليا واسعا، حيث اعترفت بهذه الدولة حوالي 120 دولة خلال بضعة أشهر وبالرغم من أن الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية لم تعترف بها، وبالرغم من أنها عمليا كانت أملاً لم يقم بعد على أرض الواقع، إلا أن ذلك أعاد تحريج القضية دولياً، وأعاد لمنظمة التحرير الفلسطينية حضورها السياسي، بعد أن رضيت لنفسها بتقزيم مطالبها وقصقصة برامجها النضالية(صالح،2012 : 109-110).

ب-موقف الاحتلال الاسرائيلي من حركة حماس وحركة الجهاد الاسلامي:

ترى حماس أنه في مثل هذه الظروف من العلو الصهيوني والتآمر الدولي والضعف السياسي الفلسطيني، والتمزق والتشرذم العربي والاسلامي، فإن عملها لا يستهدف تحرير فلسطين عاجلا ومباشرة، وإنما يتعامل معها كمعركة تتداولها الأجيال، وفي هذه الأجواء فإنها تسعى إلى تجاوز المرحلة بالمحافظة على الحق وإبقاء جذوة الجهاد، وقد أمكن لها مواجهة التحديات من خلال نوعية الرجال الذين قدمتهم والمستعدين للتضحية والاستشهاد، حتى إن المحللين الاسرائيليين يعترفون أن حماس قد صكت نماذج جديدة للإنسان الفلسطيني وهم الاستشهاديون الجدد، وأشار أحد خبراء الصهاينة إلى ما تتمتع به حماس من ديناميكية ومبادرة، كما اعترف الجنرال أوري ساغي رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية السابق بأن لدى حماس أساليب عمل متطورة، ومستوى عال من السرية، وأنها تنفذ عمليات بارزة قاسية، وقد استطاعت حماس أن تتمتع بحيوية مكنتها من تبديل عدد من الأجيال القيادية في وقت قصير، فكلما كشفت أو استشهدت أو سجنت قيادتها، ظهر من يحل مكانها ويواصل العمل.

كان الجهاز العسكري لحماس" المجاهدون الفلسطينيون" خلال الانتفاضة المباركة بقيادة الشيخ صلاح شحادة، قد تمكن من خطف وقتل الرقيب الصهيوني آفي ساسبورتس في 1989/2/3م، الجندي إيلان سعدون في 1989/5/3م، لكن سرعان ما ضرب هذه الجناح العسكري في ايار/مايو 1989م، إثر الحملة الشرسة التي قادتها سلطات الاحتلال، ثم شكلت حماس جناحها العسكري الحالي" كتائب الشهيد عز الدين القسام" في أيار/مايو 1990م، الذي حل محل "المجاهدون الفلسطينيون"(صالح،2012 :105-106).

ومن جهة أخرى فإن حركة الجهاد الاسلامي قامت بعدد من العمليات النوعية والاستشهادية مثل علميات نتساريم في تشرين الثاني/نوفمبر 1994م، وبيت ليد في كانون الثاني/يناير 1995م، وتل أبيبفي أذار/مارس 1996م، وهي تتعرض لنفس ما تتعرض له حماس من ضغوط ومطاردة، وقد استشهد قائدها فتحي الشقاقي

في عملية نفذها الموساد الاسرائيلي في 1995/10/26م، وتشير الانتخابات الطلابية إلى تمتع هذه الحركة بنحو 3-5% من أصوات الناخبين(مقابلة مع محمد الهندي بتاريخ2019/7/12).

رابعاً : سياسة الاحتلال الاسرائيلي القمعية خلال الانتفاضة الأولي في قطاع غزة (1987-1994م):

تعددت أنواع الارهاب والقمع الصهيوني ضد الفلسطينيين في قطاع غزة واتخذ أشكال مختلفة من القتل والاعتقال والهدم ومنع التجوال والابعاد والاعتداء على السكان والممتلكات، لقد تعددت أدوات ووسائل القمع والعقوبات التي استخدمتها سلطات الاحتلال الإسرائيلي، وتنوعت بين العقوبات الفردية والجماعية والإدارية، وغالبيتها يمكن إدراجها تحت بند وسائل وممارسات محرمة دولياً ويعاقب عليها القانون الدولي (المدني وآخرون، 1990 :60) ومنها:

أ- **الاعتقالات والسجن:**

منذ انطلاقة الانتفاضة الفلسطينية في كانون أول (ديسمبر) عام 1987م، شنت قوات الاحتلال الاسرائيلي حملة اعتقالات واسعة ضد أهالي قطاع غزة ونفذ أغلبها ليلاً (يشوفي، موقع بتسليم،57)، وفرضت سلطات الاحتلال الغرامات المالية والأحكام العالية بالسجن لمدة خمسة أشهر جزاء من يثبت عليه المشاركة في المظاهرات، ومن ثلاث إلى خمس سنوات سجن جزاء رمي زجاجات حارقة على قوات الاحتلال(Anita vitullo , joelbeinin, Intifada,p 48)، وبلغ عدد المعتقلين في سجون الاحتلال الاسرائيلي حوالى 1155 معتقل(أرشيف وزراة الأسرى بغزة)، واعتقلت اسرائيل في الفترة من كانون أول/ ديسمبر 1987م، حتى كانون أول/ديسمبر 1993م، حوالي 116 ألف فلسطيني منهم عدد كبير من الحركة الوطنية الفلسطينية، وحماس والجهاد الاسلامي (صالح،2012 : 105)، نلاحظ أن أجهزة الاستخبارات الصهيونية هدفت من حملات الاعتقال إسكات الصوت المقاوم، وإبعاد رجالاته عن الساحة الفلسطينية.

ب- **الملاحقة والاغتيال:**

اعتمد الاحتلال الاسرائيلي على نشر الرعب بين أهالي قطاع غزة (البيادر السياسي،ع487، 39)، واستخدم الاحتلال الصهيوني إطلاق الأعيرة النارية والمطاطية كوسيلة للقضاء على الانتفاضة، وأطلق النار على المدنيين المتظاهرين سليماً(جيسكا بوش،1993 : 9-19)، كما استخدمت أساليب أخرى مثل أسلوب الضرب بالهروات البلاستيكية الطويلة حتى الموت(حبيب الله وآخرون،1990 : 63)، واستخدم العدو الاسرائيلي القنابل المسيلة للدموع التي تسبب الوفاة والأمراض المزمنة والتي أدت لاستشهاد العديد من الأطفال حنقاً، واجهاض النساء واختطاف الأطفال وتعذيبهم ودفن الأحياء(حبيب الله،1990 :63-64), وبلغ عدد الشهداء في قطاع غزة 601 شهيداً خلال سنوات الانتفاضة(أبو عامر،2005 :98)، وفي عام 1994م، قام الاحتلال بإرتكاب مجزرة الحرم الابراهيمي بتاريخ 1994/2/25م، تم الرد بخمس عمليات

عنيفة أدت إلى قتل ما مجموعه 39 اسرائيليا، وجرح 158 فردت اسرائيل بإغتيال الشهيد يحيي عياش مهندس العمليات الاستشهادية، وقامت باغتيال عدد كبير من التيار الاسلامي من حركة حماس والجهاد الاسلامي مثل محي الدين الشريف، وعادل وعمار عوض الله(صالح،2012، 108).

ج- الابعاد:

انتهج الاحتلال سياسة الإبعاد من قطاع غزة كأسلوب عقاب للمواطنين المتهمين بأعمال فدائية ضد الاحتلال الاسرائيلي(يشوفي، 1990 :90-91)،هدفت قوات الاحتلال من الابعاد افراغ قطاع غزة من أبنائها بالتدريج والقضاء على الانتفاضة، وقد تم إبعاد 30 شخصاً من قطاع غزة منذ ديسمبر 1987م، وحتى أكتوبر 1991م، ومن أكتوبر 1991م حتى 1992م،174شخصا(أبو عامر،2005 :141)، وفي 1992/12/13م، قامت حماس بإختطاف الجندي نسيم توليدانو، والمطالبة في مقابل الافراج عنه بالإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، وعلى إثر رفض رئيس وزراء العدو اسحق رابين التجاوب مع مطالبها قامت الحركة بتصفية الجندي، وهو ما دفع رابين للإعلان في الكنيست عن الحرب الشاملة على حركة حماس فتم اعتقال 1300 من أنصار حماس، كما أقدمت السلطات الاسرائيلية على أكبر عملية تهجير وإبعاد بعد حرب 1967م، عندما قامت بإبعاد 415 شخصا غالبيتهم الساحقة (نحو380) من القيادات الاسلامية المدنية المحسوبة على حماس(مجلة فلسطين المسلمة، لندن،1993)، واعتقد جيش الاحتلال أن عملية الابعاد عقاباً حقيقياً للفدائيين(أبو عامر،2005 :140)، غير أن رفض المبعدين للإبعاد وصمودهم في مرج الزهور على الحدود مع لبنان، أكسبهم المعركة الاعلامية الدولية ضد الاحتلال، ووسع دائرة الاهتمام بحركة حماس، وزاد من شعبيتها مما اضطر السلطات الاسرائيلية إلى الموافقة على العودة التدريجية للمبعدين، والتي اكتملت بعد عام من الابعاد(مقابلة مع حسن شقورة بتاريخ 2019/7/6 ؛ صالح،2012 : 107).

يتبين مما سبق استخدام سلطات الاحتلال شتى أنواع الانتهاكات ضد أهالي قطاع غزة خلال الفترة من 1987-1994م، وقد عملت قوات الاحتلال على تدمير كل جوانب الحياة وأطلقت الرصاص على المدنيين العزل والأطفال وشنت حملة اعتقالات واسعة وأبعدت العشرات من الفدائيين إلى خارج الوطن.

خاتمة

تم بعون الله وفضله الانتهاء من هذا البحث وقد توصل الباحث من خلاله إلى العديد من النتائج أهمها:

- تعزيز ثقة الفلسطينيين بأنفسهم في مواجهة قوات الاحتلال، معتمدين على قدراتهم وإمكانياتهم الذاتية، دون الاتكال على آخرين، كما كان عليه الحال سابقاً.
- بلورة الهوية الوطنية الفلسطينية، فأصبحت القضية الفلسطينية قضية شعب له حقوقه الثابتة التي

يجب أن تحترم.

- ساهمت الانتفاضة في بلورة الحركة الوطنية، وتعزيز خصوصياتها، (وطنية – إسلامية) وغير ذلك.
- زادت الانتفاضة من تعاطف وتأييد الرأي العام العربي والعالمي مع الفلسطينيين وقضيتهم، وفي المقابل أحدثت الانتفاضة أضراراً كبيرة في صورة إسرائيل وسمعتها دولياً، بسبب ممارساتها القمعية والوحشية ضد الفلسطينيين.(العلمي، 1995 : 107).
- نجحت الانتفاضة في تنظيف البيت الفلسطيني من العملاء الذين أفرزهم الاحتلال.
- أعادت الانتفاضة لمنظمة التحرير الفلسطينية مكانتها ودورها على الساحتين العربية والدولية، ومكنت القيادة الفلسطينية للمنظمة من وضع تصورها السياسي المستقبلي، وهو ما اتضح في الدورة التاسعة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني التي عقدت في الجزائر في شهر تشرين ثاني 1988، التي تم فيها الإعلان عن وثيقة الاستقلال، وتبني المجلس للمبادرة الفلسطينية للسلام.
- أعادت الانتفاضة الأولوية الدولية للقضية الفلسطينية، وضرورة إيجاد حل لها، وأصبحت على رأس النزاعات الإقليمية في العالم. (قاسم وآخرون،2009 : 203)
- ساهم احتضان الشعب الفلسطيني للمقاومة الاسلامية، وتوفير الدعم اللوجستي لها في بقاءها ونموها وتطورها واستمرارها.

أهم التوصيات:

- دعوة الباحثين إلى التعمق بشكل أكبر في تلك التجربة المهمة من تاريخ الشعب الفلسطيني، وضرورة الاهتمام بتأريخ فترة الانتفاضة الفلسطينية الأولي1987–1994م.
- ضرورة قيام المكتبات الفلسطينية بتوثيق وأرشفة المصادر والوثائق لتلك الفترة، وفي مقدمتها بيانات التنظيمات والمجلات كمجلة البيادر السياسي.
- اعداد مزيد من الدراسات العلمية عن الحركة الوطنية الفلسطينية وتأثيرها على الاحتلال الصهيوني.
- تعميق العلاقات الفلسطينية العربية والاسلامية، والدولية لفضح صورة الاحتلال الصهيوني، والخروج بموقف سياسي موحد.
- اعتماد الوثائق الرسمية والتاريخ الشفوي لإبراز الحقائق والمواقف في تاريخ القضية الفلسطينية.
- دعوة الفصائل الفلسطينية إلى تعزيز التعاون فيما بينها لحل المشاكل الداخلية الفلسطينية–الفلسطينية للوصول الكامل أو الجزئي لوحدة وطنية ومجتمعية.
- الاستفادة من الدروس التي مر بها الشعب الفلسطيني للتخطيط لمستقبل سياسي واعد خالٍ من المشاكل والصراع الداخلي.

قائمة المراجع:

أولاً: المراجع العربية/

- إبراهيم أبو جابر، وأخرون، الانتفاضة تغير معدلات الصراع في المنطقة، مركز دراسات الشرق الأوسط، عمان،ط1، 2002م.
- أبو معمر وآخرون: الأبعاد الديمغرافية الاجتماعية لمبعدي مرج الزهور وعلاقاتها بالحالة الاجتماعية، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، يناير 1996م.
- أحمد العلمي: يوميات الانتفاضة، منشورات وزارة الإعلام الفلسطينية، مطبعة المعارف، القدس، 1995.
- أحمد الواوي: دور الجمعيات الأهلية الفلسطينية في تحقيق معدلات الفقر في قطاع غزة، دراسة حالة جمعية الصلاح الإسلامية، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2013.
- انظر أعداد مجلة فلسطين المسلمة، لندن، التي غطت عملية الابعاد وأخبار المبعدين بالتفصيل طوال سنة 1993.
- البيادر السياسي،ع487، 1992م.
- بيان حركة الجهاد الاسلامي في فلسطين بيت المقدس،1989/3/18.
- بيان حركة المقاومة الاسلامية حماس، كانون ثاني، 1988.
- بيان صادر عن حركة حماس بتاريخ 1994/04/18م.
- بيان صادر عن حركة حماس، المكتب الاعلامي بتاريخ22 /1991/10م.
- بيان صادر عن ممثلي الفصائل الفلسطينية ما عدا حركة فتح في طهران بتاريخ 1991/10/24م
- جواد الحمد: المدخل إلى القضية الفلسطينية، مركز دراسات الشرق الأوسط، الأردن، ط3، 1998.
- خالد الحروب، حماس الفكر والممارسة السياسية، ط1، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1996م.
- خالد عز الدين: الصحافة الفلسطينية في الصحافة العبرية- دراسة حول حركة المقاومة الاسلامية حماس، المؤسسة العربية للدراسات والبحوث، بيروت، 1991.
- ربعي المدهون: الانتفاضة الفلسطينية الهيكل التنظيمي وأساليب العمل، دار الأسوار، عكا، ط2، 1989.
- رفائل إيتان: (مذكرات الجنرال) شخصيات صهيونية رقم واحد، ترجمة غازي السعدي، الأردن، دار الجليل، 1989.
- زكريا السنوار وآخرون: تاريخ الجامعة الإسلامية بغزة خلال ثلاثين عاما 1987-2008، دراسة وثائقية، غزة، 2009.
- سمير سعيد، حركة المقاومة الاسلامية حماس، جهاد نصر أو استشهاد، دار الوفاء، المنصورة ، مصر، ط2، 2003م.
- السيد رفعت: نجوم فوق الجبين، الملف الوثائقي لشهداء حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين، ج1، مركز يافا للدراسات والأبحاث، مصر، 1999.
- السيد رفعت، الأعمال الكاملة للشهيد الدكتور فتحي الشقاقي،ط1، مركز يافا للدراسات والأبحاث، القاهرة، مصر، 1997م.
- شؤول مشعل: ليس على الحجارة لوحدها- الانتفاضة وسلاح المناشي، الكيبوتس الموحد، 1989.
- عادل الزاغة وآخرون: المجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، تحرير ليزاتراكي، دار الأسوار، عكا، 1990.

- عبد الستار قاسم وآخرون: دراسات فلسطينية، جامعة النجاح، نابلس، 2009.
- عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج7، بيروت، 1990.
- عدنان أبو عامر، الانتفاضة الفلسطينية الكبرى في قطاع غزة 1987-1993م، انتهاكات صهيونية، وثائق، شهداء، جرحي، معتقلون، مبعدون، المركز العربي للبحوث والدراسات، غزة، 2005م.
- علي حبايب: واقع التعليم الفلسطيني في المرحلة الأساسية 1987-1991، مركز الدراسات والتطبيقات التربوية، نابلس،(د. ت).
- غانم حبيب الله ، رشاد المدني، فلسطين، والانتفاضة، شركة قينوس للطابعة والنشر، الناصرة، ط1، 1990م.
- غسان حمدان: الانتفاضة المباركة – وقائع وأبعاد الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، (د. ب) 1989.
- كمال إبراهيم علاونة : انتفاضة فلسطين الكبرى الأولى 1987-1994م، نابلس،2013.
- محسن محمد صالح: فلسطين سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ماليزيا، ط1، 2002.
- محمد الجدي: فصول من تاريخ التعليم بقطاع غزة في الخمسين عاما الماضية، ج1، (د. ب)، 2008).
- مقابلة مع حسن أحمد شقورة بتاريخ 2019/7/6م. (مقابلة أجراها الباحث).
- مقابلة مع محمد الهندي بتاريخ 2019/7/12م. (مقابلة أجراها الباحث).
- هند البديري: أراضي فلسطين بين مزاعم الصهيونية وحقائق التاريخ، الامانة العامة لجامعة الدول العربية، القاهرة، 1998.
- وثيقة موجهة من حركة المقاومة الاسلامية حماس إلى المجلس الوطني الفلسطيني التاسع عشر بتاريخ 1988/11/12م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Anita vitullo, Intifada: the palestinian uprising against Israeli occupation by Byzacharylockman , joelbeinin, 1989.
- جيسكا بوش، شرون دوفيك، تامي باس، انتهاكات حقوق الانسان في المناطق، موقع بيسليم.

أثر أخلاقيات المعرفة في الحوار الحضاري من منظور إسلامي.

أ.د/ حسن حميد عبيد ـ جامعة قطر.

الباحث/ سلمان علي ـ جامعة قطر.

الملخّص :

تبحث هذه الدراسة في تأثير أخلاقيات المعرفة في الحوار الحضاري من منظور إسلامي، ورمت إلى التعريف بمفهوم أخلاقيات المعرفة، وبيان مصادرها ومبادئها، والبحث عن مصاديقها في القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتراث الإسلامي، ثم تتبع تأثيراتها في مجال الحوار الحضاري على مستوى التأسيس وبين الأطراف المتحاورة وصولًا إلى إدارة هذا الحوار وتطويره، وتوصّلت الدراسة إلى أنّ الإسلام خصّ المعرفة بنصيب كبير من الأخلاقيات، وضمّ ذلك في القرآن الكريم، والسنّة النبوية، وأمّا عن تأثير أخلاقيات المعرفة في الحوار الحضاري، فهي تؤسّس لحوار مؤطّر بأخلاقيات ضابطة تحكم أطرافه، وتوسّع الآفاق أمام موضوعات معرفية كثيرة قابلة للحوار والنقاش المتجدّد، وتسهم في إبعاد صور التعصب والعنف من الحوار؛ فتديره إدارةً أخلاقيةً.

الكلمات الدالة: أخلاقيات المعرفة | حوار الحضارات | نظرية المعرفة | فلسفة الأخلاق | الأخلاق الإسلامية | القيم المعرفية | آداب العلم | أخلاق العلماء.

Abstract:

This study examines the effect of the ethics of knowledge on civilized dialog from an Islamic perspective. It aims to introduce the concept of the ethics of knowledge, to identify its sources and principles, to seek its endorsement in the Holy Quran, the Sunnah of Prophet, and the Islamic heritage. It then follows its effects in the field of civilized dialog at the foundation level and among the dialog parties and then leads to the management and development of this dialog.

The study concluded that Islam singled out knowledge with a large share of ethics, including in the Holy Qur’an and the Sunnah of the Prophet, and as for the influence of knowledge ethics in civilized dialogue, it establishes dialogue framed with disciplined ethics governing its parties and expanding horizons in front of many knowledge subjects subject to dialogue and renewed debate, It contributes to removing images of intolerance and violence from the dialogue.

Keywords: Ethics of Knowledge | Dialogue of Civilizations | Knowledge Theory | Philosophy of Ethics | Islamic Ethics | Cognitive Values | Ethics of Science | The ethics of scientists.

مقدّمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. أمّا بعد:

فإنّ المعارف المعاصرة أحوج ما تكون إلى تطعيمها بأخلاقيات تهذّبها، وتشذب السيّئ منها، فقد تعقّدت في شبكة واسعة من المجالات والتخصّصات الدقيقة والفريدة، وأُستُخدمت فيها وسائل متقدّمة أسهمت في تدفّق المعلومات، وأنتجت أفكارًا مكثّفة، واختراعات مادّية مذهلة، ولكن دون أيّ قيد ضابط حتّى تحوّلت إلى طوفان جارف، فباتت المعرفة تعاني في كلّ ميادينها، وعلى الأصعدة المختلفة، فما من مجال معرفيّ إلّا تحدث فيه خروقات للقيم الأخلاقية كالانتحال والتزييف في النتائج العلميّة، وإفساد المجتمعات المعرفية بزجّها في مشاريع مصلحية ليست لها غاية أخلاقية بل تحرّكها أهواء شخصيّة أو أطماع فئوية تخدم رؤساء المال وأرباب السياسة، ويقف خلفها صراع المصلحة بين العلم والعمل، فانعكس ذلك سلبًا على قيمة المعرفة نفسها، وثقة الناس بأهلها.

لا بدّ من اتّخاذ مواقف أخلاقيّة ذات أبعاد حضاريّة تساعد على تنقية المعرفة من أيّ خرق غير أخلاقيّ، وهذا مطلب نبيل يسعى إليه حثيثًا المجتمع الدوليّ عبر منظماته المناهضة لاستخدام المعرفة في بناء أسلحة الدمار الشامل، وبيع الأعضاء البشرية، أو إجراء تجارب سرّية على البشر، أو انتهاك حقوق الملكية الفكرية أو توظيفها في انتقاص حقوق الإنسان وحريته عمومًا، وفي ظلّ هذا التطلّع الإنسانيّ إلى بناء فضاء معرفي تحكمه الأخلاق ظهرت مواثيق الشرف والنزاهة، فلا تكاد تخلو مؤسّسة مرموقة تشتغل في مجال المعرفة إلّا لديها ميثاقها؛ لتعمل به، وتحافظ على سمعتها، وتعميم هذا الأمر ليشمل مجال الحوار الحضاري سيكون له أثره الإيجابي على المدى البعيد، فالسعي إلى تخصيص مواثيق أخلاقية بين الحضارات في تعاملاتها، وحواراتها ضرورةٌ عصريةٌ لا مفرّ منها خاصّةً مع تأزّم العلاقات الحضارية، وميلها إلى الصراع نتيجة طغيان منطق الهيمنة بدلًا من الندّية التي تكفل لكلّ الأطراف حقوقًا والتزامات متساوية.

ولقد أرسى الإسلام دعائم أخلاقيات المعرفة، ووظّفها في كلّ مجالات الحياة، وفرض عليها التزاماتٌ دينيّةٌ ودنيويةٌ، وشدّد على الامتثال لها، وأغلظ في بيان عاقبة مخالفتها، وحمّل أهل العلم والمعرفة مسؤوليةَ الوفاء بها، واتّخاذها مسلكًا لاكتساب أيّ معرفة والعمل بها، فكان المنظور الإسلامي شاملًا ومتوسّعًا، فالشريعة الإسلامية عبر مصادرها المتمثّلة بالكتاب والسنة أكّدت قيمة المعرفة على المستوى الأخلاقي، فعدّتها فضيلة، وقبّحت صفة الجهل ومن تحلّى بها، وحثّت على طلب العلم، ورفعت من قدر العلماء،

وأمرتهم بالاتّصاف بأخلاقيات معرفية – نظرًا وتطبيقًا – كالصدق والأمانة في النقل، وطلب الدليل، والابتعاد عن الهوى، والترفّع عن الكبر والغرور، والاستخفاف بالآخرين، والتنابز بالألقاب، وهذه الأخلاقيات المعرفية التي تحدّث عنها الإسلام جميعها مطلوبة في كلّ مجال معرفي وحوار حضاري.

إنّ أخلاقيات المعرفة تبدأُ من الإنسان أولًا كما قالت فيلسوفة الأخلاق البريطانية ماري ميدجلي (1919 – 2018): «**لا تفرض أخلاقيات المعرفة نفسها على الإنسان بل على النقيض، فالإنسان هو الذي يفرضها على نفسه جاعلًا منها حالة بديهية من الموثوقية لكلّ حوار وفعل**»[1]، ونجاح أيّ حوار حضاري يبدأ من بناء الإنسان أولًا، وعندما تجتمع الإرادة الإنسانية على مجموعة مُثل وقيم في تعاملاتها، فإنها ستتحوّل إلى أخلاقيات عامّة تفرض نفسها عرفًا بين الحضارات، وعلى هذا ينبغي النظر في الأسس الأخلاقيّة للحوار الحضاري، وإزالة الأشواك المعرفية من طريق هذا الحوار من أجل التوصّل إلى صيغة حديثة تقلّل من حجم الصراعات الحضارية إن لم تنهيها تمامًا، فنمط الحياة المعقّد اليوم، وازدياد حاجات البشر، والتنافس على موارد الطبيعة، وفقدان العدالة الاجتماعية في أكثر دول العالم، وضعف الأنظمة الاقتصادية كلّها من التحدّيات الجسيمة أمام الحضارات، ولا سبيل لمعالجتها إلّا بالحوار البنّاء المنضبط بأخلاقيات تُراعي الخصوصيات، وتعمّم الفائدة دون إقصاء أو فرض لنوع معين من رأي أو فكر.

مشكلة البحث وأسئلته:

تأسيسًا على المقدمّة الآنفة، فإنّ مشكلة البحث تكمُن في الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي: ما أثر أخلاقيات المعرفة في الحوار الحضاري؟ وعنه تتفرّع عدّة أسئلة، وهي: ما مفهوم أخلاقيات المعرفة؟ وما مصادرها ومبادئها؟ وكيف ينظر الإسلام إليها من خلال القرآن الكريم والسنّة النبوية والتراث الإسلامي؟ وما تأثيراتها في الحوار الحضاري؟

أهمية البحث:

تنبع أهمية البحث من:

- ندرة الدراسات التي تربط بين أخلاقيات المعرفة والحوار الحضاري، وقد تساهم هذه الدراسة في سدّ جانب من هذا النقص في البحث عن هذا الموضوع.

([1])ماري ميدجلي، **رهبان نظرية التطور: هل اتخذ البعض نظرية التطور كدين؟** (ترجمة: ناديا عطار وأسماء العصاميصي، القاهرة: دار دون للنشر والتوزيع، ط1، 2019)، ص127.

- معالجة الموضوع المبحوث فيه من منظور إسلامي، وهذا من شأنه أن يعزّز للطرح الإسلامي في النظر إلى القضايا المعرفية الرائجة خصوصًا فيما يتعلّق بالعلاقات الحضارية.
- حاجة المجال المعرفي إلى تأصيل أخلاقيات ترمي بظلالها على الحوار الحضاري الذي يعدّ من ضرورات هذا العصر المتّسم بانفجار المعلومة، وثورة المعرفة بصورة متسارعة ومذهلة.

أهداف البحث:

تصب أهداف البحث في النقاط الآتية:

- التعريف بمفهوم أخلاقيات المعرفة، ومصادرها، ومبادئها.
- استعراض المنظور الإسلامي لأخلاقيات المعرفة؛ وذلك من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية، والتراث الإسلامي.
- بيان تأثيرات أخلاقيات المعرفة في الحوار الحضاري على مستوى التأسيس، وبين أطرافه، وفي إدارته وتطويره.

الدراسات السابقة:

بعد الاطّلاع على قواعد البيانات المتاحة على الشبكة العنكبوتية الخاصّة لم نقف على دراسة مخصّصة في الحوار الحضاري من جانب أخلاقي معرفي علمًا أن مفهوم "أخلاقيات المعرفة" عُولج في دراسات عديدة، منها:

- **دراسة أحمد محمد حسين الدغشي الموسومة بـ"نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية" (2001م)**: تعدّ من أهمّ الأطروحات العلمية التي قُدّمت حول نظرية المعرفة الإسلاميّة، وهي دراسةٌ واسعةٌ، تتكوّن من أربعة أبواب، وخُصّص الفصل الأوّل من الباب الثاني لموضوع "أخلاق المعرفة ووحدتها"، وطرحت جملة من الأخلاقيات التي ستوظفها دراستنا، وتبني عليها ولكن في إطار الحوار الحضاري.
- **دراسة أحمد رجب الأسمر المعنونة بـ"النبي المربي" (2001م)**: تتكوّن من مقدّمة وثمانية فصول (635 صفحة)، وقد تطرّقت بصورة عابرة إلى أخلاقيات المعرفة في نقطة "ج" من الفصل الخامس (التربية المعرفية)، وربطت هذه الأخلاق بالعلماء فقط مع أنّها أوسع من ذلك، ولم تقدّم تفصيلات لهذه الأخلاقيات في المنظور الإسلامي كما أنّها لم تعالج المسألة من زاوية الحوار الحضاري كدراستنا هذه.
- **دراسة نور أبوتايه "أخلاقيات المعرفة وعلاقته بهجرة العقول في العالم العربي" (2010م)**: تطرّقت إلى مفهوم الأخلاق ومصادرها، ثم عرّفت بأخلاقيات المعرفة وشروطها، وطرحت جملة من الاختراقات غير الأخلاقية في مجالات المعرفة، ومن ثم تناولت موضوع الملكية الفكرية، ومدى

ارتباطها بأخلاقيات المعرفة، وتتقاطع هذه الدراسة مع دراستنا في البحث عن شقّ "أخلاقيات المعرفة"، ولكنّها تختلف في تناول المفهوم نفسه، وارتباطه بالحوار الحضاري.

- **دراسة محمد أمين عبد الصمد مرغلاني وعبد الله خازم الشهري بعنوان "أخلاقيات المعرفة: المفهوم والمبادئ" (2016م):** رمت هذه الدراسة إلى التعريف بمفهوم أخلاقيات المعرفة، ومبادئها، وأهميتها، وركّزت على استخلاص تلك الأخلاقيات من الدراسات التي بحثت عنها من قبل أي إنّها جمعت الجهود المقدّمة في المكتبة العربية أو الأجنبية للبحث في مفهوم "أخلاقيات المعرفة"، وعلى هذا تكون هذه الدراسة قدّمت أوليات المفهوم ومبادئه إلّا أنّ دراستنا تسير نحو توظيف المفهوم في سياق الحوار الحضاري.

تبقى هذه الدراسة فريدة عن سابقاتها في ربطها لأخلاقيات المعرفة بالحوار الحضاري، ثم معالجتها بمنظور إسلامي، وهذه إضافة جديدة تقدّمها بغية بناء رؤية إسلاميّة في حوار الحضارات، تُطبّق شروط المعرفة الأخلاقية.

منهج البحث:

نظرًا إلى طبيعة الموضوع المبحوث فيه، فإنّ المناهج المتّبعة في هذا البحث تشمل على المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستقرائي، والمنهج النقدي.

خطّة البحث:

يتوزّع البحث على مقدّمة، وثلاثة مباحث، وتحت كلّ مبحث ثلاثة مطالب، ويتناول المبحث الأول في ثلاثة مطالب: مفهوم أخلاقيات المعرفية، ومصادرها، ومبادئها، ومن ثمّ يتطرّق المبحث الثاني إلى أخلاقيات المعرفة في المنظور الإسلامي، وذلك في مطلب أوّل عن أخلاقيات المعرفة في القرآن الكريم، ثم مطلب ثانٍ عن أخلاقيات المعرفة في السنّة النبوية، ثم مطلب ثالث عن أخلاقيات المعرفة في التراث الإسلامي، وأمّا المبحث الثالث، فيبيّن تأثيرات أخلاقيات المعرفة في الحوار الحضاري بناءً على ما قُدّم في المبحثين السابقين، ثم تختم الدراسة باستنتاجات، وفي الأخير ثبتٌ بقائمة المصادر والمراجع المعتمد عليها.

المبحث الأول

مفهوم أخلاقيات المعرفة ومصادرها ومبادئها

ينظر هذا المبحث في أخلاقيات المعرفة من حيث المفهوم المركّب من مصطلحي "أخلاقيات" و"المعرفة"، ويقدّم تعريفًا له، ثم يتتبّع المصادر التي كوّنت هذه الأخلاقيات، ومن ثم يستعرض المبادئ العامّة التي تُضفي القيمة الأخلاقية للمعرفة كما توضّح المطالب الثلاثة القادمة:

المطلب الأول: مفهوم أخلاقيات المعرفة:

يتكوّن مفهوم "أخلاقيات المعرفة" Ethics of knowledge من مصطلحين، هما:

1. **أخلاقيات:**

- في اللغة: جمعٌ للمصدر الصناعي "أخلاقيّة" التي أصلها من كلمة "أخلاق"، ومفردها "خُلُق"، وتأتي بعدّة معانٍ في المعاجم العربية، مثل: «**السجية، والطبع، والمروءة، والدين**»[1] إلّا أنّ مصطلح "الأخلاقيات" تحديدًا مُعرّب، ويعدّ الفيلسوف الإنجليزي جيريمي بنثام (1748 – 1832) أوّل من صكّه في عام 1793م، وذلك عندما استعمله في مؤلّفه "الأخلاقيات وقواعد السلوك" المنشور عام 1834م، وقد بيّن فيه أنّ هذا المصطلح مكوّن من كلمتين يونانيتين: Deontos (لياقة)، و Logos (الضمير)، وباتّحادهما يكون المعنى اللغوي في أصله اليوناني "لياقة الضمير"[2].
- في الاصطلاح: تتعلّق تعريفات "الأخلاقيات" الاصطلاحية بمنظومة قيميّة معياريّة تحدّد سلوك الأفراد في مجتمعٍ ما، وقد عرّفها رونالد شنزنجر ومايك مارتن بأنّها: «**ترمز إلى معتقدات خاصّة أو مواقف متعلّقة بالمبادئ الأخلاقية، ومُصادق عليها من قبل مجموعة من الأفراد**»[3]، وأمّا كلايد كنج، فنظر إليها على أنّها: «**نظام من المبادئ الأخلاقية التي تحدّد السلوك الصواب والسلوك الخطأ، وذلك بالنسبة لمجتمع أو أمّة أو جماعة معيّنة**»[4]، وفي السياق نفسه يُعرّفها علي فلاح الزعبي بأنّها: «**مجموعة القواعد والمبادئ المحدّدة التي يخضع لها الإنسان في تصرفاته، ويحتكم إليها في تقييم سلوكه، وتُوصف بالحسن أو القبح**»[5]، وهذه التعريفات شديدة التقارب في اللفظ والمعنى إلّا أنّنا نفضّل تعريف محمد سرور الحريري؛ لأنّه جامع ومانع، فقد ذكر أنّ الأخلاقيات هي: «**القيم والمعايير الأخلاقية التي يستند لها أفراد المجتمع لغرض التمييز بين ما هو صحيح وما هو خطأ**»[6].

([1])محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، **قاموس المحيط** (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986)، ص1137.

([2])يُنظر: مزوزي ياسين، **أخلاقيات مهنة القضاء** (الجزائر: دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، 2015)، ص7.

([3])رونالد شنزنجر ومايك مارتن، **مدخل إلى أخلاقيات مهنة الهندسة** (الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2011)، ص30.

([4])أحمد أنور بدر، "أخلاقيات المهنية في المكتبات وأجهزة المعلومات" في **الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات** (القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ع10، مج5، 1998)، ص14.

([5])علي فلاح الزعبي، **إدارة المبيعات: منظور تطبيقي وظيفي** (عمّان: دار اليازوري للنشر والتوزيع، 2009)، ص363.

([6])محمد سرور الحريري، **ثقافة العلاقات الإستراتيجية في إدارة الشركات العالمية والمؤسسات الدولية والخاصة** (عمّان: الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، 2016)، ص184.

2. المعرفة:

- في اللغة: ذكرها ابن فارس في قوله: «**العين والراء والفاء أصلان صحيحان، يدلّ أحدهما على تتابع الشيء متّصلًا بعضه ببعض، والآخر على السكون والطمأنينة**»[1]، وأمّا الجوهري، فقد قال عنها: «**عرفته معرفةً وعرفانًا، وقولهم: ما أعرف لأحد يصرعني أي ما أعترف. وعرفت الفرس أي جززت عرفه. والعرف: الريح طيبة كانت أو منتنة**»[2].
- في الاصطلاح: قال التهانوي: «**المعرفة تُطلق على معانٍ: منها العلم بمعنى الإدراك مطلقًا تصورًا كان أو تصديقًا، ولهذا قيل: كل معرفة وعلم، فإمّا تصور أو تصديق ...**»[3]، وأمّا عبد الكريم بليل، فقد عرّفها بقوله: «**إدراك ما لصور الأشياء، أو صفاتها، أو سماتها، أو علاماتها، أو للمعاني المجرّدة سواءً كان لها في الذهن وجود أم لا**»[4]، وذهب كيث دفلين إلى أنّ: «**المعرفة هي المعلومات المختزنة في ذات الإنسان، والتي يستطيع أن يستعملها بشكل فوري، ويضعها موضع التنفيذ**»[5] في حين قالت عائشة شتاتحة إن المعرفة: «**معلومات أو حقائق يمتلكها الشخص في عقله عن شيء ما**»[6]، وكلّ التعريفات السابقة تصدق على المعرفة إلّا أنّنا نميل إلى تعريف أحمد رجب الأسمر؛ لشموليته ودقّته، فقد ذكر أنّ المعرفة: «**تعني الإحاطة بمكونات شيء ما، أو معنى ما، واستيعاب خصائص هذه المكونات، ومميزاتها، ونقائصها**»[7].

عند تركيب "أخلاقيات" مع "المعرفة"، فيدلّ على ربط مطلق المعرفة الإنسانية بضوابط أخلاقية، وهذا المصطلح حديث، وقليل التداول إلّا أنّه بدأ ينتشر مؤخّرًا، ويقاربه في التراث الإسلامي مصطلحا "أخلاق العلماء"، و"آداب العلم"، وتعريفاتها ليست بكثيرة نوعًا ما، فقد عرّفتها وجيهة العاني بأنّها: «**مجموعة المبادئ التي تحدّد ما هو صائب أو خاطئ فيما يتعلّق بالمعرفة أو السلوك المعرفي لأصحاب المعرفة**»[8]، وفي المقابل توسّع محمد مرغلاني وعبد الله الشهري أكثر في تعريفها، فقالا إنّها: «**المبادئ، والقوانين،**

([1])أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة** (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل، كتاب العين، باب العين والراء وما يثلثهما، مادة عرف، ط1، 1991)، 281/4.

([2])إسماعيل بن حمّاد الجوهري، **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية** (تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، باب الفاء، فصل العين، مادة عرف، بيروت: دار العلم للملايين، ط3، 1984)، 1401/4.

([3])محمد علي التهانوي، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم** (بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ج2، ط1، 1996)، ص1583.

([4])عبد الكريم بليل، **المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن الكريم** (أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2015)، ص334.

([5])محمد فقيه، **المعرفة وتضخم المعلومات: دراسة في الرؤيتين الإسلامية والغربية** (بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، 2020)، ص52.

([6])عائشة شتاتحة، **الأولوية التي يحتلها رأس المال البشري في ظل اقتصاد المعرفة** (عمّان: دار اليازوري للنشر والتوزيع، 2019)، ص15.

([7])أحمد رجب الأسمر، **النبي المربي** (عمّان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 2001)، ص305.

([8])وجيهة ثابت العاني، **القيم التربوية وتصنيفاتها المعاصرة** (إربد: دار الكتاب الثقافي، ط1، 2014)، ص87.

والتشريعات، والأنظمة التي تضبط السلوك المعرفي للعاملين في مجال المعرفة، والمتعاملين، والمستفيدين من المعرفة في مختلف المؤسّسات والقطاعات»[1]، وهذه التعريفات جيّدة إلّا أنّ يعيبها الاستطراد، ولهذا نقول إنّ أخلاقيات المعرفة تعني: **كل قاعدة أخلاقية تنظّم المجال المعرفي، وتحكم العاملين فيه**. وتعريفنا على إيجازه إلا أنّه جامع ومانع، فيربط كل قاعدة أخلاقية منظمة متفق عليها بالمجال المعرفي مطلقًا دون تخصيص، وتشمل كذلك كلّ العاملين في هذا المجال من أفراد وجماعات ومؤسّسات.

المطلب الثاني – مصادر أخلاقيات المعرفة:

تتولّد أخلاقيات المعرفة من جملة ينابيع تضخّ في مسار النشاط المعرفي؛ لكيلا يخرج عن إطاره الأخلاقي، وهذه المصادر تمثّل مرجع الإنسان الأخلاقي، فتوجّه سلوكه طبقًا لمنظوماتها القيميّة التي تطرحها، وقد تتّصف بصفة العمومية، فلا يختلف إنسان حولها مهما كانت خلفيّته الثقافيّة، ومرجعيّته الفكريّة:

- **الفطرة:** لقد فطر الله سبحانه وتعالى خلقه بأخلاقيات عامّة لا يختلف عليها مخلوق، وإن اختلفت المرجعيات، فالإنسان بفطرته لديه شغف لمعرفة أسرار وجوده، أو اكتشاف وسائل تُيسّر حياته من مأكل ومشرب، وملبس، وتنقّل، ويحب الصدق في المعاملة، ويذمّ الكذب، وينشد العدل، ولكن لما تفسد هذه الفطرة بالأهواء، وتضارب المصلحة تُنزع هذه الأخلاقيات عنه، وقد أثبت الإسلام هذا المصدر في قوله تعالى: ﴿**فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾[2].
- **الأديان:** تمثّل رأس هذه المصادر، فهي رافد مهمّ من الروافد المغذّية للمعرفة الأخلاقية خاصّةً عندما تكون إلهيّة الأصل، تدفع إلى المعرفة وتبصرة الحقائق، وعلى اختلاف الأديان وتنوّعها في الغايات والوسائل إلّا أنّها تتّفق في تهذيب معتنقيها أخلاقيًّا، وسدّ حاجاتهم المعرفيّة في هذه الحياة طبقًا لرؤاها الخاصّة، وعلى مرّ الأزمان تبقى الأديان المصدر الرئيس الذي يرجع إليه المعتنق لأحدها، فالدين شَغَل – وما زال – مساحةً كبيرةً من المعرفة الإنسانية[3] .
- **القوانين العادلة والأعراف الرشيدة:** ترمي القوانين العادلة التي تفرضها السلطات السياسية، ومعها الأعراف الاجتماعية الرشيدة المتّفق عليها إلى ضبط سلوك الإنسان، وتصويب معرفته؛ ليكون عنصرًا نافعًا في المجتمع الذي ينتمي إليه، وتفرض عليه من القيم الأخلاقية ما تبعده عن أيّ

([1])محمد أمين بن عبد الصمد مرغلاني وعبد الله خازم الشهري، "أخلاقيات المعرفة: المفهوم والمبادئ". (**مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية**، مج22، ع2 (سبتمبر 2016): 73 – 102)، ص76.

([2])الروم: 30.

([3])للمزيد عن مصدرية الأديان في الأخلاق، يُنصح بـ: كريمة دوز، **الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية**. لندن: مركز براهين للأبحاث والدراسات، ط2، 2016.

انتهاك لها، وهذا المصدر له من الإلزام المعنويّ والمادّي ما يصعب على الإنسان خرقه، وإن اجترأ عليه صار منبوذًا وعوقب[1].

- **بصائر الحكماء وتجارب العلماء:** يسترشد الإنسان في خلقه من فتوحات الآخرين المعرفية وتجاربهم، فكم من مقولات حكيمة وقعها عظيم في نفس الإنسان وفكره؟! وفي هذا المصدر الطيّب من الحكم الأخلاقية ما تنير العقول المظلمة، وتوقظ العيون النائمة، وهي أمثال تجري على الألسنة، وتعطي دروسًا قيّمة، ولهذا سعت كلّ أمّة إلى حفظ سيرة حكمائها العظام؛ لتستضيء منها.

تجدر الإشارة إلى أن هذه المصادر تختلف في ترتيبها وتوزيعها من شخص إلى آخر، فقد يقدّم أحدهم الدين في منظومة أخلاقه المعرفية، ويُؤخّره الآخر، وقد يُهمل النظر إلى آراء الحكماء، ويُعمل بغيرها، وفي هذا كلّه تفاوت بين البشر إلّا أنّ بجمع هذه المصادر وتداخلها كلّها تتكامل المنظومة الأخلاقية في المجال المعرفي، وإليها يعود الإنسان، وعليها يبني معرفته، ويضبطها، ويديرها ويطوّرها.

المطلب الثالث – مبادئ أخلاقيات المعرفة:

لا تختلف مبادئ أخلاقيات المعرفة عن مجمل الأخلاقيات العامّة المتعارف عليها في أيّ مجال يشتغل فيه الإنسان، فهي تخرج كلّ شيء غير أخلاقي من دائرتها، وتدور حول إضفاء قيمة أخلاقية على المعرفة؛ لتكون أخلاقيةً أكثر، وذات مردود خيّر على فكر الإنسان وسلوكه، ويمكن تحديد أهم المبادئ كما يأتي:

- **مبدأ الخيرية وعدم الضرر:** لا بدّ أن تكون أيّ معرفة خيّرة في مصادرها، ومضموناتها، وموضوعاتها، ووسائلها، وغاياتها، فلا تكون سلاحًا يضرّ به الإنسان نفسه أو غيره، فالمعرفة في ذاتها قيمة نبيلة رفيعة، واستخدام الأدوات غير الأخلاقية فيها تفقدها تلك القيمة، وهذا المبدأ نفسه المعروف بقاعدة "جلب المنفعة ودفع المفسدة" التي تعدّ من القواعد الشرعية المهمّة في الإسلام، وعليه يمكن القول إنّ أي معرفة خيرة، فهي أخلاقية، وأي معرفة تشعل نيران الشرور بين البشر، فهي غير أخلاقية، وعلى البشر أن يسعوا في معارفهم إلى جلب الخير ما أمكن ودفع الشرّ؛ لكيلا تتحوّل المعرفة إلى أسلحة دمار شامل تُؤذي الإنسانيّة بدلًا أن تنفعها[2].
- **مبدأ مراعاة حقوق الإنسان:** يجب ألا تحطّ المعرفة من كرامة الإنسان، فتسلب حقوقه، وتضيّق حريّته، أو تستخدم في امتهان الأمم كما عمل الاستعمار عندما أنتج معارف مغرضة كانت غايتها إذلال الشعوب المستعمرة، وسلب مقدراتها، وشل إرادتها؛ لتكون تابعةً معرفيًّا لمراكز المعرفة

([1])أُشير إلى هذا المصدر دون تفصيل كثير في: أبو بكر محمود الهوش، **إستراتيجيات إدارة المعرفة** (القاهرة: مجموعة النيل العربية، ط1، 2016)، ص270.

([2])يُنظر: أبو بكر محمود الهوش، **مرجع سابق**، ص272.

الاستعمارية التي فرضت انحيازًا لذاتها مقابل نبذ الآخر "المتخلّف" عن ركب الهيمنة الاستعمارية، واليوم مع تزايد أهمية حقوق الإنسان، ونظرًا لارتفاع درجة الانتهاكات لها، فإنّه يحتم أن تكون المعرفة أكثر إنسانيةً، وفي خدمة الإنسان مطلقًا[1].

- **مبدأ تحمّل المسؤولية المعرفية:** البحث عن المعرفة، وحمل رسالتها، والتطوير منها، وإنتاجها، ونشرها، وكل صور العمل بها مسؤولية كبيرة تقع على عاتق العاملين في ميادين المعرفة، والشعور بهذه المسؤولية الأخلاقية تدفعهم إلى أن يترفّعوا عن الانحدار إلى الاستخدامات السيئة للمادّة المعرفية في أي تخصّص، فالمعرفة عمومًا أمانة تحمّل صاحبها المسؤولية في القول والعمل[2] .
- **مبدأ تعزيز السلام والتنمية:** يتجسّد بتسخير المعرفة الطبية والفلكية والهندسية والصناعية والعسكرية وغيرها في إرساء السلام وتنمية هذا الكوكب الذي يمثّل البيت الجامع للأسرة الإنسانية، فالبشر اليوم باتوا أقرب إلى بعضهم بعضًا، فأي أذى يتعرض له أقصى الشرق يصل تأثيره إلى أقصى الغرب، ولهذا لا بدّ من التكاتف الإنساني لمواجهة التحديات المشتركة، وتوفير الجهود والموارد في تعزيز السلام بدلًا من إهدارها في إشعال فتيل الصراعات التي لا تنتهي، وتزيد من الكوارث، وتعدم الحياة[3] .

المبحث الثاني

أخلاقيات المعرفة في المنظور الإسلامي

يصعب الإلمام التامّ بموضوع أخلاقيات المعرفة في الإسلام في صفحات قليلة كهذه، فهذا الموضوع واسع وكبير، ويحتاج إلى مؤلّفات مفصّلة، وجهد كبير من الباحثين، فالإسلام في رؤيته الشاملة التي لا تفرق بين الديني والدنيوي أولى المعرفة أهميةً عظيمةً، وباطّلاع يسير على القرآن الكريم، والسنّة النبوية المطهّرة، وكتابات علماء المسلمين تُستخرج صنوف من الأخلاقيات التي تحمي المعرفة من العبث غير الأخلاقي، وفي هذه المطالب القادمة إطلالة سريعة على بعضها:

المطلب الأول – أخلاقيات المعرفة في القرآن الكريم:

ضمّ القرآن الكريم بين دفتيه أصولًا أخلاقية عامّة تمسّ كلّ شأن إنساني خاصّة المعرفة وطلب العلم، وحدّد ذلك في آيات كثيرة اُستُخلصت منها أخلاقيات معرفية كثيرة، وقد نظر القرآن إلى تلك الأخلاقيات بنظرة شاملة، وفي النقاط الآتية توضيحٌ أكثر لذلك:

([1])المرجع نفسه، ص275.

([2])يُنظر: أحمد فؤاد باشا، **رؤى إسلامية في فلسفة العلم والتنمية الحضارية** (القاهرة: روابط للنشر وتقنية المعلومات، ط1، 2018)، ص282.

([3])يُنظر: أحمد فؤاد باشا، **مرجع سابق**، ص289 - 291.

- **طلب الدليل**[1]: يقوم المنهج القرآني على التثبّت من صدق المعلومة، وقيام الأدلّة عليها قبل بناء المواقف المعرفية، والدليل إمّا يكون خبرًا نقليًّا، وإمّا من المسلّمات العقلية، وقد وردت المطالبة بالدليل في مواطن المعرفة في آيات كثيرة، ومن أهمّها الآية الصريحة في ذلك: ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾[2]، وعلى هذا كل ما لم يقم عليه دليل من معرفة يعدّ مرذولًا غير مقبول.
- **الاعتماد على المصادر الصحيحة**[3]: أضاف القرآن الكريم ضابطًا منهجيًّا مهمًّا بأن يُعتمد على مصادر صحيحة، فلا يُؤخذ الدليل من أيّ مصدر، فلا بدّ أن يكون من مصدر معتمد صحيح في مجاله، فلكل تخصّص مصادره الخاصّة به، ويجب الأخذ من المصدر الصحيح، وقد أرشد القرآن الكريم إلى التوجّه للمصادر المعرفية في قوله تعالى: ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾[4].
- **الالتزام بالموضوعية**[5]: أي التخلّي عمّا لا يرتبط بموضوع المعرفة المبحوث فيها، وقد يصعب تحقيقها تمامًا، ولكن يجب الالتزام بشروطها الأخلاقية، وذلك بالتخلّي عن كلّ أمر غير أخلاقي لا يرتبط بالموضوع المعرفي، ومن صور هذه الموضوعية في القرآن الكريم بيان محاسن أهل الكتاب إلى جانب المساوئ التي وقعوا فيها، فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿**لَيْسُوا سَوَاءً ۗ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ**﴾[6].
- **حرمة كتمان المعرفة**[7]: حرّم الشارع الحكيم كتم المعرفة الحقّة، وتلبيسها على الناس، فقد قال سبحانه في محكم كتابه المجيد: ﴿**وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[8]، ومتى ما عرف الإنسان الحقّ والصواب في أيّ مجال معرفي يجب ألا يكتم ما عرفه بل يشيعه؛ لينتفع الناس منه، وكم من المعارف كُتمت، فذهبت مع أصحابها دون أن ينتفع العالم منها؟
- **اجتناب التعامل بالظنون**[9]: حرص القرآن الكريم على بناء معارف تقوم على اليقين لا إعمال الظنّ، واتّباع الهوى؛ لكيلا تكون مجانبة للحقّ، ونتائجها لا توصل إلى حقائق، فتصير من التخريص والوهم كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ**﴾[10].

([1])عبد الكريم بليل، **مرجع سابق** ص406.

([2])البقرة: 111.

([3])المرجع نفسه، ص419.

([4])النحل: 43.

([5])للمزيد، يُنظر: أحمد محمد حسين الدغشي، **نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية** (دمشق: دار الفكر، 2004)، ص107.

([6])آل عمران: 113.

([7])للمزيد، يُنظر: أحمد محمد حسين الدغشي، **مرجع سابق**، ص111.

([8])البقرة: 42.

([9])للمزيد، يُنظر: أحمد محمد حسين الدغشي، **مرجع سابق**، ص108.

([10])النحل: 116.

- **الابتعاد عن التزييف والتحريف**[1]: أنكر القرآن التزييف والتحريف في تقرير المعارف، والتنظير لها، وعدّ ذلك جريمةً أخلاقيةً، وحرّم الكذب، وبيّن أنّ المنهج المعرفي المبني على أكاذيب تكون نتائجه وخيمة، وتسهم في تفشي الغش، والخداع، والكذب، والتكلّم بغير علم، وقد أشارت إلى ذلك آيات كثيرة منها، قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ**﴾[2].

المطلب الثاني – أخلاقيات المعرفة في السنة النبوية:

حثّ النبي ﷺ على أخلاقيات عظيمة جدًّا، وفي اتّباعها تتحقّق المنفعة، وهي اليوم شائعة في الأوساط الأكاديمية، وإن كانت بعناوين مغايرة أحيانًا، ومن جملة الأخلاقيات الواردة في السنّة النبوية المطهّرة:

- **الأمانة**: إذا كانت الخيانة ملازمة للباطل والظلم، فإن الأمانة تعني ملازمة الحق والحقيقة، فالمشتغل بالعلم، والباحث عن المعرفة ينطلق في عمله وسلوكه وتصرفه من الحق، وإنّ التزم أصحاب المعرفة بالأمانة التي يحملونها كانوا موضع ثقة الناس، وعمّ صلاحهم، وأفادوا حضاراتهم، فقد قال ﷺ: **((إذا حدث الرجل الحديث ثم التفت، فهي أمانة))**[3].
- **الإخلاص**: تعلق بنفوس أهل المعرفة شوائب كثيرة كالنفعية التي تسخر المعرفة للإضرار، والتضليل، والخداع مقابل حسابات مادّية أو للتباهي، والتفاخر، وتلميع الذات، وجلد الآخر، ولإزالة هذه الشوائب لا بدّ من الإخلاص في المعرفة، وقد حذّر النبي ﷺ من طلب العلم بغير إخلاص حيث قال: **((من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله تعالى لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا، لم يجد عرف الجنة يوم القيامة))**[4].
- **التواضع**: به تُبنى العلاقات، وتستقيم المعاملات، وتتعمّق المحبّة، ويزداد التقدير، وفيه نفع للعلم، فإن ساد في المعرفة أصلحها، وبالكبر تختل كلّ الموازين الأخلاقية، فتظهر آفات النفس، ويكثر التحاسد، ويعظم البلاء في الفكر والسلوك، وفي التواضع قال ﷺ: **((ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله))**[5].

([1])للمزيد، يُنظر: أحمد محمد حسين الدغشي، **مرجع سابق**، ص110.

([2])النحل: 116.

([3])يُنظر: محمد بن عيسى الترمذي، **سنن الترمذي** (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج3، 1998)، ص405.

([4])يُنظر: عبد العظيم المنذري، **الترغيب والترهيب** (بيروت: دار الكتب العلمية، ج1، ط1، 1996)، ص65.

([5])يُنظر: محمد بن عيسى الترمذي، **مرجع سابق**، ص444.

المطلب الثالث – أخلاقيات المعرفة في التراث الإسلامي:

اهتم التراث المعرفي الإسلامي بموضوع أخلاقيات المعرفة اهتمامًا واسع النطاق، فقد ألفت مؤلفات كثيرة[1] تدعو إلى الالتزام بمجموعة من الالتزامات الأخلاقية في المعرفة التي متى ما التزم بها غدت نافعةً، وعمّت فائدتها، واستخلاص تلك الأخلاقيات من التراث الإسلامي الواسع صعب في هذه السطور القليلة؛ إذ يحتاج إلى جهد كبير، وعمل جماعي، ولكننا سنشير إلى أبرز ما وقفنا عليها سريعًا:

- **أدب السؤال:** السؤال مفتاح العلوم ومحرّكها واختبار لقدرة الإنسان المعرفية، والتقليل منه جهل، والإكثار منه هذيان، وضبطه اتّزان وعين الصواب، وقد تطرّق ابن حزم – رحمه الله – إلى أدب السؤال بكلام نفيس يقطع أي تعقيب، فقد قال: «**صفة سؤال المتعلّم أن تسأل عما لا تدري لا عما تدري، فإن السؤال عما تدريه سخف، وقلة عقل، وشغل لكلامك، وقطع لزمانك بما لا فائدة فيه لا لك ولا لغيرك، وربما أدى إلى اكتساب العداوات. وهو – بعد – عين الفضول، فيجب عليك أن لا تكون فضوليًّا، فإنها صفة سوء**»[2].
- **فساد التعصّب:** ما يفسد المعرفة على صاحبه حتى لا ينتفع منها سوى التعصّب، وهو صفة ذميمة، ومسلك وخيم، والاتصاف به مثلبة، وقد حذّر منه علماء المسلمين أشد التحذير، ونبهوا إلى سوء عاقبته، فالمتعصب لا يطيق سماع ما يخالف رأيه الذي تشبّث به، ولا يدخل في مسألة إلا ليفرض وجهة نظره، ومن لا يقلّده فيما ذهب إليه يُسقطه، وإن زاد في تعصبه رفع يده، وفي العصبية هلاك العلوم، وضياع المعارف كما قال الجاحظ: «**العصبية التي هلك بها عالم بعد عالم، والحمية التي لا تبقي دينًا إلا أفسدته، ولا دنيا إلا أهلكتها**»[3].
- **الاهتمام بالرأي الآخر:** في اختلاف الأفكار وتعارض الآراء تمايز بين الرديء والجيّد، والخبيث والطيب، فلولا الرأي الفاسد لما عرفت قيمة الرأي الحسن، والطريق إلى المعرفة يحتاج التعرض إلى الآراء المختلفة، ومعرفة مواطن الخلاف والاختلاف في القضايا المعرفية للتوصل إلى الحقائق، ولهذا اعتنى التراث الإسلامي بتقصي الآراء المختلفة مع صميم عقائد الإسلام، يقول ابن حزم: «**أعلم أنه لا يوصل إلى معرفة حقيقية بالاستدلال إلا بالبحث، والبحث يكون من فكر واحد،**

([1])للمزيد، يُنظر: عبد الإله الشايع، **معجم ما ألف عن طلب العلم**، ملتقى أهل الحديث، 5 أغسطس 2003، على: http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=11168. (10 أبريل 2020).

([2])فتحي حسن ملكاوي، **نصوص من التراث التربوي الإسلامي** (أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2018)، ص249.

([3])أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، **رسائل الجاحظ** (تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ج1، 2013)، ص16.

ويكون عن تذاكر إما من معلم إلى متعلم، وإما من متناظرين مختلفين متباحثين وهذا الوجه هو آخر ما نتوصل به إلى بيان الحقائق بكثرة التقصي فيه»[1].

- **إبعاد الهوى:** الهوى يضلّ صاحبه، ويدفعه إلى اتّباع أساليب غير أخلاقية، ويشل قدرات عقله الإدراكية حتى لا يرى إلا نفسه، فيقبّح ويجمّل نظرته المعرفية بمحض الهوى والأنانية كما قال مسكويه: «**الهوى عدو العقل، والخطأ أبدًا مع الهوى؛ فإذا حضر الهوى غاب العقل، وحيث يغيب العقل يغيب الخير كلّه، فالإنسان أبدًا أسير في يد الهوى يريه ما يقبح جميلًا، والخطأ صوابًا»**[2].

المبحث الثالث

تأثيرات أخلاقيات المعرفة في الحوار الحضاري

لأخلاقيات المعرفة تأثيرات كبيرة في الحوار الحضاري القائم على معرفة الذات والآخر بوساطة التعارف المتبادل، ولينجح هذا الحوار، ويحقّق غاياته ينبغي تطعيمه بأخلاقيات معرفية من شأنها أن ترتقي به إلى مستويات عالية، فتنعكس فائدته على الأطراف المتحاورة، وهذا المبحث يعتني بتأثيرات أخلاقيات المعرفة في الحوار الحضاري على ثلاثة أصعدة: التأسيس للحوار الحضاري، ثم العلاقة بين أطراف الحوار الحضاري، ثم إدارة الحوار الحضاري وتطويره كما يأتي:

المطلب الأول – تأثير أخلاقيات المعرفة في التأسيس للحوار الحضاري:

لكلّ معاملة إنسانية أخلاقيات، فهناك أخلاقيات للسلم، وأخلاقيات للحرب، وأخلاقيات في تعامل الإنسان مع أقرانه من البشر، والتعاطي مع المعرفة والحوار مع الآخر المختلف حضاريًّا له أخلاقيات أيضًا، ويجب مراعاتها، والالتزام بها[3]، والتأسيس الصحيح لأيّ حوار حضاري يحتاج إلى منهج أخلاقي محكم، وقد دعا الإسلام إلى التعارف بين البشر في قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[4]، والعلاقة بين المعرفة

([1])ابن حزم الأندلسي، **التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية** (تحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت دار الكتب العلمية، ط1، 2002)، ص169.

([2])مسكويه أحمد بن محمد بن يعقوب الرازي الأصفهاني، **الهوامل والشوامل: سؤالات أبي حيان التوحيدي لأبي علي مسكويه** (تحقيق: سيد كسروي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2012)، ص181.

([3])فيصل العوامي، "من أخلاقيات المعرفة"، 1 أبريل 2017م، د. الشيخ فيصل العوامي Dr. Faisal Alawami، على: https://youtu.be/er3HKZI3rCw. (24 مارس 2020).

([4])الحجرات: 13.

والتعارف تكاملية، ولهذا يجب أن تؤسّس أخلاق المعارف لهذا التعارف، وتضع شروطًا واضحةً، وخطّةً بيّنةً؛ لنجاح هذا النوع من الحوار حتّى تتحقّق الغاية المرجوة منه، وتظهر منفعته.

إن التأسيس لحوار حضاري مؤطّر بأخلاقيات معرفية «**يقف في وجه كلّ تعصّب، ويمنع بروز أي تطرف**»[1]، ويعزّز للانفتاح على الآخر، واحترامه، والتعاون معه بغية «**بناء عالم أفضل يُليق بالإنسان المكرّم بالعقل، وهذه في الحقيقة قناعة مشتركة تتجاوز أحقاد الماضي وتراكماته السلبية**»[2]، فالحوار الحضاري يجب أن ينبني على نسق أخلاقي معرفي يحوّل العالم من دوائر الصراع السلبية إلى مجالات التفاعل الإيجابية، ويتحوّل من مجرد أمنية أو تنظير سامج إلى ثقافة مؤصّلة وأخلاقيات عامّة شائعة، وفي هذا الصدد يقول محمد القباج إن: «**القول بحوار الحضارات أو حوار الثقافات هو من قبيل الوهم؛ إذ لا يصحّ أن يكون هناك حوار بين مجردات لذلك أميل إلى أن يكون الحوار حضاريًّا يتأسس على قيم أخلاقية، وفكرية، وروحية، وذلك شأن الإنسان المتمدّن**»[3]، وفي أجواء الحوار الحضاري المحتكّم إلى أخلاقيات المعرفة لا مكان لتضخيم الأخطاء وتكبيرها، والميل مع النيّات السيئة، والانفعالات النفسية المتقلّبة، والتقسيم غير العادل بين قوي مهيمن وضعيف تابع، ولهذا فإن الوظيفة المنوطة بأخلاقيات المعرفة المساعدة على تلطيف أجواء الحوار الحضاري وتهيئته؛ ليتأسّس بأصول وقواعد منضبطة وحاكمة، فإن لم تؤخذ بعين الاعتبار تفقد قيمتها والحاجة إليها، ويصير هذا الحوار تحاملًا، وتشنيعًا، وممارسةً سلبيةً.

لا يشترط عند التأسيس للحوار الحضاري أن يكون في قضية طابعها عقدي بحت قد تثير العواطف، وتشحن النفوس، وتشتد فيها حدّة الاستقطاب، وتنعدم فرص التحاور المعرفي المثمر، فالقضايا المعرفية التي تشغل الإنسانية كثيرة، ويمكن إجراء الحوارات فيها بأسلوب حضاري رفيع بناءً على مبدأ الوضوح في الطرح والمعالجة لأيّ مسألة تمسّ الشأن المعرفي بحيث لا تكون معالجتها بمزيد من الغموض والالتباس أو توليد للتعصّب والعنف، فينتهي الحوار إلى تراشق لفظي أو اقتتال عنيف بدلًا من التفاعل الخلّاق الذي يثري القضية المناقش فيها بوجهات نظر متعدّدة لا تتسبّب في الإلغاء والتسفيه والصراخ والعويل، فهذا ليس دليلًا على صحّة أي رأي وصوابيّته، ويضاف إلى ذلك أنّ التأسيس للحوار الحضاري يكون في المسائل المعرفية المختلف عليها، وأمّا المتفق عليها، فلا معنى للحوار فيها، ثم يجب ألا يكون حوارًا دفاعيًّا شرسًا

([1])محمد مصطفى القباج، "أخلاقيات الحوار مع الآخر المختلف في الفكر العربي الإسلامي". (**المسار**، ع58 (1 أغسطس 2002): 72 – 77)، ص76.

([2])محمد مصطفى القباج، **مرجع سابق**، ص76.

([3])محمد مصطفى القباج، **مرجع سابق**، ص72.

يزيد من وتيرة الاستقطاب الشعوبي غير العقلاني بل ينبغي أن يسهم في التوصّل إلى قناعات مشتركة تحول دون الوقوع في أي مناوشات تخالف الذوق الأخلاقي، وبهذا كلّه تظهر أهمية أخلاقيات المعرفة في الحوار الحضاري إذا تنظر في جدوى أي حوار ومدى ارتباطه بالبُعد الأخلاقي، فلو كان الحوار مسببًا للمزيد من الصراع، وتأجيج الكراهية، فلا فائدة من إقامته بتاتًا.

المطلب الثاني – تأثير أخلاقيات المعرفة في العلاقة بين أطراف الحوار الحضاري:

تساهم أخلاقيات المعرفة في إحكام أداء طرفي الحوار الحضاري، وتعزيز روح الحوار بينهما، ومعرفة كلّ طرف ما له وما عليه، فلا يجور أو يستقوي طرف على آخر، فالحوار ليس حربًا، وأداته الفهم والإدراك والوعي لا التعصّب والتزمّت، وإشهار السيف والسلاح؛ لمجرد الاختلاف في التوجّه المعرفي، ولهذا يحتم على كلّ الأطراف التحلّي بالأصول الأخلاقية للحوار، ومن المهمّ أن تحدّد موضوع الحوار وفائدته المعرفية، وأن تكون لديها من النضج المعرفي اللازم لدخول الحوار المزمع كما يجب ألا تظهر شعور الانتفاء والامتلاء بل تدخل الحوار؛ لتضيف إلى الآخر مما لديها، والآخر يضيف إليها مما لديه، فالحوار الحضاري تشارك في المعرفة، وليست محاكمة أو إدانة للآخرين بسبب أفكارهم وتوجهاتهم، فهذا شطط، وخروج على الأطر الأخلاقية للمعرفة، وسلب الآخرين حقّهم في التعبير عمّا يعرفون.

إن من أصول الالتزام بأخلاقيات المعرفة في الحوار الحضاري لدى أطرافه، عدم معرفة الآخر بقراءات مؤدلجة، ومن مصادر منحازة كُتبت للنيل منه، بل معرفته تكون كما هو يعبّر عن نفسه، فالمسلم مثلًا وحده المعبّر عن دينه اعتمادًا على الكتاب المنزل والسنة الصحيحة، ولا يصحّ الاستناد إلى ما كُتب عن الإسلام من خصومه، ومعاملة المسلمين بناءً على طرح هؤلاء الخصوم، ثم لا يستدعي الحوار الحضاري أن تنتهي الأطراف المتحاورة حضاريًّا إلى الاندماج في بوتقة واحدة بل يكفي إدراك الحقائق لدى كل طرف، واحترامها دون التعدّي عليها، وإفساح المجال لمناقشتها إن دعت الحاجة، وبذل الجهود لتكوين صروح معرفية متفاعلة ومشتركة، فيكون كل طرف في تواصل معرفي مستمرّ مع الآخر كي تتحسّن العلاقة بينهما، ويزداد التعاون، وتبادل المنافع، ومواجهة التحدّيات المشتركة.

ومن الآفات التي تصيب أطراف الحوار الحضاري عند تركها لأخلاقيات المعرفة، الاستخفاف بمعرفة ما وحامليها أو التنقّص من اختصاصات معرفية أخرى، فهذه خصلة غير أخلاقية، ومغالطة كبيرة، ومن مظاهرها الواقعية إبراز النظرات المريبة، والابتسامة الصفراء، وتوزيع الاتّهامات الجاهزة، وسدّ الآذان عن الاستماع للآخر وما لديه، وتقزيم كل جهوده، واستصغار أي قيمة للمعارف التي يكتشفها وإن كانت

نافعة، ولكن؛ لأن الآخر اكتشفها، فهذا كافٍ لردّها جملةً وتفصيلًا، وأيضًا إظهار عدم الحاجة إلى معرفة الآخرين، والاكتفاء بالذات فقط تعظيمًا أعمى لها، وهذا ما يولّد التعصب، فعندما يشعر المرء أنّه مالك العلوم وباقرها، ووحيد الدهر، وفائق علماء زمانه علمًا، وأكثرهم اطّلاعًا وأوسعهم فهمًا، يطغى، فلا يضع في منهجه المعرفي أي احتمالات ظنية بل دائمًا ما يدور في اليقينيات حتى يغدو الوصول إلى الحقائق ليست غايته بل الوصول إلى إثبات ذاته مرامه، ولذا يرى دائمًا أنه صائب، وليس مقاربًا للصواب خاصةً عند حديثه عن رأيه إذ يعطيه مكانةً عاليةً، ويتحدّث بأسلوب منمّق، ويعدّه الحقّ المحض، ويمتلئ بالعجب والتفاخر، والاعتداد بالنفس، والتشدّق في الكلام، فلا أحد يفهم غيره، فيقلل بكل الآراء المخالفة له، ويتعامل مع المفاهيم والنظريات التي لدى الآخر على أنّها ساذجة لا قيمة لها[1]، وهذه الفرعنة لا مكان لها في ميادين المعرفة الأخلاقية والحوار الحضاري، وكلما غُرست في النفوس أنبتت الكبر حتّى يشعر صاحبها بأن لا أحد على وجه البسيطة يعرف شيئًا سوى هو، فيرى خير المعارف معرفته، وأقوم المناهج منهجه، وهذا منطق إبليس كما في القرآن الكريم: ﴿**قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾[2]، والطرف الذي هذه أخلاق لا طريقة مجدية للحوار معه، والعلماء يطهرون أخلاقهم وسلوكياتهم من هذا المنظور الفاسد.

ومما ينتج عن انتهاك أخلاقيات المعرفة وعيوب استخدامها الخاطئ على مستوى أطراف الحوار الحضاري شيوع ظاهرة "الإسقاط"، ووضع الحجب بين معرفة الذات ومعرفة الآخر، وتجاهل سائر العلوم والمعارف وأصحابها، والتركيز على القائل بدلًا من القول نفسه، واستشراء صفة التكبّر والشعور بجنون العظمة، وعكسها أيضًا أي صفة الضعف، والشعور النفسي بالقلق، وعقدة النقص التي تشعر بفقدان الهمّة المعرفية، والاكتفاء بتقليد الآباء، واتّباع المحيط المعرفي الشائع والموروث كما بيّن الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه المجيد: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**﴾[3]، وكذلك يؤدي الشعور بالنقص إلى التبعية للأقوياء كالغرب الذي يعبّر عن اللحظة المعرفية الحاضرة، والسعي إلى إنتاج معارف ترضي هذا القوي، والتخوّف من نقده، وافتقاد

---

(1)حيدر حب الله، "أخلاق المعرفة". 20 نوفمبر 2015م، إضاءات الشيخ حيدر حب الله، على: https://youtu.be/hF9XGDFeaQw(23 مارس 2020) .

(2)الأعراف: 12.

(3) البقرة: 170.

الجرأة العلمية في الدفاع عن الحقائق المبرهنة، وعدم التحلّي بصفة الشجاعة التي تكسب صاحبها رؤيةً معرفيةً مستقلّةً يتبناها، ويدافع عنها.

المطلب الثالث – تأثير أخلاقيات المعرفة في إدارة الحوار الحضاري وتطويره:

لا يتمّ أي حوار حضاري دون أخلاقيات معرفية تديره وتطوّر منه، وهذه الأخلاقيات لا بدّ أن تكون تطبيقية لا نظرية، ولهذا تحتاج إلى دربة، وتطوير مستمر، وتأصيل منهجي، والاستفادة من أهل العلم والمعرفة لاستبعاد أي طريقة تنتهك المعايير الأخلاقية للمعرفة، ومن شأنها أن تؤثّر سلبًا وإيجابًا في نتائجها وتطبيقاتها، واليوم تتّسم الشؤون المعرفيّة في مجالاتها المختلفة كالفكر، والسياسة، والاجتماع، والدين بانتشار طغيان العنف، والروح العدائية، والابتعاد عن الموضوعية، والمتابع للحوارات التي تناقش القضايا التي تخصّ الهوية، والتحديات الحضارية يراها تفتقد إلى أدنى مبادئ المعرفة الأخلاقية، فجلّ تلك الحوارات لا تقف عن نقاط الاختلاف؛ لفحصها والتثبّت منها، ومن دقّة استدلالاتها بل تقفز إلى الشخصنة، والتراشق بالتهم والسباب، وبثّ روح الفرقة، والتعصّب الأعمى، وإلغاء الآخر ونفيه، وبهذا تنتهي الحوارات دون تحقيق أي فائدة مرجوة[1].

إن اقتران أخلاقيات المعرفة بالحوار الحضاري يثري المجال المعرفي بموضوعات متجددّة تلامس الواقع، ويجعل الحوار فعّالًا حقًّا لا مجرد صور مثالية، وتمييع للمفاهيم، وتلبيس الحق بالباطل، وإذا كانت غاية المنطق ضمان سلامة تفكير الإنسان من الوقوع في الخطأ، فإن أخلاقيات المعرفة غايتها تقديم ضمانات لسلامة الحوار الحضاري من العثرات غير الأخلاقية، فتديره على قيم متّفق عليها سلفًا، فتفتح الأبواب للنقاش في موضوعات تمثل تحديات جماعية واقعية مشتركة لكل الحضارات، فتقرّبها أكثر، وتدفعها نحو المزيد من البحث والاستقصاء، فالمنظومات المعرفية الحضارية عمومًا مع مرور الزمن تشعر بالضعف، والتجمّد، والنقص، ولا خيار أمامها سوى التكامل المعرفي لا الكمال المعرفي الذي لا يجد الطرف الحضاري نفسه في حاجة للبحث، فيتوقف، وبهذا ينصرف عن طلب المعرفة مكتفيًا بذاته على الرغم أن الشعور بالنقص المعرفي ليس معيبًا بل ينبغي أن يدفع إلى المزيد من البحث والاطّلاع على تجارب الآخرين، واكتشاف أساليبهم ووسائلهم في مواجهة الصعوبات التي تلم بالمعرفة، وهذا ما يعطي للحوار الاستمرارية، فالاستفادة من الأخطاء تجعله عمليةً مستمرّةً لا تتوقف، ولا تستسلم.

([1])باقر جاسم، **الفكر النقدي وأسئلة الواقع** (عمّان: مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، 2013)، ص186.

ويجب التنبه أخيرًا إلى أهمية المراجعة النقدية المستمرّة في مجال الحوار الحضاري، فهي ضرورة أخلاقية؛ لأنها تفتح آفاق المعرفة، وتطوّرها، وتكمّل نقائصها، وترفع من مستوى المسؤولية البحثية، وتدفع لاستكشاف الجديد، وتروّض النفوس للاعتياد على التواضع، واكتشاف الخطأ، والاعتراف به، وعدم إدمان النقد في كل صاعدة ونازلة بتتبّع عثرات الآخرين التي تعمي عن النظر إلى الذات ونقدها، والالتزام بأخلاقيات المعرفة كفيل بتطوير العقلية المنفتحة التي تميل إلى التواضع في الحوار الحضاري، وتنبذ التعصّب، وترفض منطق الثنائيات القائم على "إن لم تكن معي، فأنت مع عدوي"، وتصفّي الذات أخلاقيًّا؛ لتكون النفس لينة طائعة للدليل، ومتقبّلة لشتّى صنوف المعارف، ومسلّمة للمبادئ العقلية والحقائق الثابتة، ومندفعة نحو الاطّلاع على كلّ جديد وفريد، وجاهزة للحوار مع أيّ مختلف دون تشدّد أو انعزال، ولديها الاستعداد التامّ للتطوّر والتجديد، والخروج من الأطر الجامدة التي تُعيق العقل من التفكير السليم.

خاتمة :

عند هذا الحدّ، تُختم هذه الدراسة بأهمّ الاستنتاجات التي توصّلت إليها مما سبق بحثه في الصفحات السابقة إضافةً إلى التوصيات والاقتراحات:

الاستنتاجات:

- قدّم الإسلام قيمًا أخلاقيةً تمسّ كل جوانب الحياة، وخصّ الجانب المعرفي بنصيب كبير منها، ولكن تحتاج تكريسها وتوظيفها مجددًا في القضايا الحوارية المعاصرة التي تشغل الحضارات، ففي الشريعة الإسلاميّة من السعة والشمول ما ليس في غيرها، ويجب الاعتماد عليها، والاستفادة منها.
- ضمّ القرآن الكريم مجموعةً كبيرةً من أخلاقيات المعرفة، منها: طلب الدليل الذي لا يكون إلا من مصادر صحيحة معتمدة في مجالها المعرفي، والالتزام بالموضوعية بالتخلي عن كل ما يضر نتائج البحث المعرفي، وحرمة كتمان المعرفة وعدم الانتفاع منها، واجتناب التعامل بالظنون، والتزييف، والتحريف.
- دعا النبي ﷺ على التحلي بأخلاقيات معرفية عظيمة كالأمانة، والإخلاص، والتواضع، والإيجابية، وعلى إثره سار علماء المسلمين، فكتبوا عن آداب العلم وأخلاق المعرفة، وتطرّقوا إلى أدب السؤال، وبيّنوا فساد التعصّب، ودعوا إلى الاهتمام بالرأي المخالف، وإبعاد الهوى في أثناء تناول أي شأن معرفي.
- أخلاقيات المعرفة كاللوحة الإرشادية والتخلي عنها سيؤدي إلى ابتعاد الحوار الحضاري عن غاياته، ويحوّله إلى مبارزات كلامية، وتراشق الاتهامات المتبادلة، والاحتكام إلى الميول الشريرة التي لا تجني أي منفعة للطرفين المتحاورين، ولا فائدة من حوار يسقط كل طرف فيه الآخر.

- أخلاقيات المعرفة شرط لتأسيس حوار حضاري منطلقه أخلاقي يحوْل دون إثارة النزاعات والتأجيج للصراعات، وتساعد على تهيئة المناخ المناسب لإجراء الحوار، وتحكم أطرافه بجملة من الأخلاقيات المتفق عليها سلفًا حتى لا يخترقها أي طرف كما تدير الحوار وتطوّره باستمرار.

التوصيات والاقتراحات:

توصّي الدراسة الجهات المعنية بالحوار الحضاري أن تشرع في بناء منظومة من الأخلاقيات المعرفية الحاكمة لأي حوار حضاري؛ لتكون بمنزلة الدستور والمرجع على هيئة مدونات أخلاقية، ومواثيق شرفية، ولكن على نطاق الحضارات المختلفة، وتقترح على الباحثين من شتى المشارب أن يعزّزوا لقيمة المعرفة الأخلاقية في مجال الحوار الحضاري، فالعالم اليوم يشهد انتهاكًا واسعًا في مجالات معرفية كثيرة، ومشاركة أهل العلم في دفع المخاطر الناجمة عن الاستخدامات الخاطئة للمعرفة واجب إنساني، وينبغي للمسلمين أن يبيّنوا قيمة المساهمات الإسلامية في التأصيل لأخلاقيات معرفية تحتاجها الحضارات.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

- **القرآن الكريم.**
- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف. **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله.** بيروت: دار الفكر، ج1، د.ت.
- ابن فارس، أحمد. **معجم مقاييس اللغة.** تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الجيل، ط1، 1991.
- الأسمر، أحمد رجب. **النبي المربي.** عمّان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط1، 2001.
- الألباني، محمد ناصر الدين. **صحيح الترغيب والترهيب.** الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ج1، ط1، 2000.
- الأندلسي، ابن حزم. **التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية.** تحقيق: أحمد فريد المزيدي، بيروت دار الكتب العلمية، ط1، 2002.
- البصري، أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب. **رسائل الجاحظ.** تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ج1، 2013.
- بليل، عبد الكريم. **المفاهيم المفتاحية لنظرية المعرفة في القرآن الكريم.** أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2015.
- الترمذي، محمد بن عيسى. **سنن الترمذي.** بيروت: دار الغرب الإسلامي، ج3/ج4، 1998.
- التهانوي، محمد علي. **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم.** بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، ج2، ط1، 1996.
- التوحيدي، أبو حيان. **كتاب الإمتاع والمؤانسة.** تحقيق: عبد المنعم فريد، بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 2016.

- جاسم، باقر. **الفكر النقدي وأسئلة الواقع**. عمّان: مركز الكتاب الأكاديمي، ط1، 2013.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد. **الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية**. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط3، 1984.
- الحريري، محمد سرور. **ثقافة العلاقات الإستراتيجية في إدارة الشركات العالمية والمؤسسات الدولية والخاصة**. عمّان: الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، 2016.
- حمود، خضير كاظم. **منظمة المعرفة**. عمّان: دار صفاء للنشر والتوزيع، 2010.
- الدغشي، أحمد محمد حسين. **نظرية المعرفة في القرآن الكريم وتضميناتها التربوية**. دمشق: دار الفكر، 2004.
- دوز، كريمة. **الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية**. لندن: مركز براهين للأبحاث والدراسات، ط2، 2016.
- الرازي الأصفهاني، مسكويه أحمد بن محمد بن يعقوب. **الهوامل والشوامل: سؤالات أبي حيان التوحيدي لأبي علي مسكويه**. تحقيق: سيد كسروي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 2012.
- الزعبي، علي فلاح. **إدارة المبيعات: منظور تطبيقي وظيفي**. عمّان: دار اليازوري للنشر والتوزيع، 2009.
- شتاتحة، عائشة. **الأولوية التي يحتلها رأس المال البشري في ظل اقتصاد المعرفة**. عمّان: دار اليازوري للنشر والتوزيع، 2019.
- شنزنجر، رونالد؛ ومايك مارتن. **مدخل إلى أخلاقيات مهنة الهندسة**. الرياض: مكتبة العبيكان، ط1، 2011.
- العاني، وجيهة ثابت. **القيم التربوية وتصنيفاتها المعاصرة**. إربد: دار الكتاب الثقافي، ط1، 2014.
- عبد الهادي، محمد فتحي (محرّر). **الاتجاهات الحديثة في المكتبات والمعلومات**، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ع10، مج5، 1998.
- الفضلي، عبد الهادي. **الإسلام والتعدد الحضاري: بين سبل الحوار وأخلاقيات التعايش**. تقديم: حسين منصور الشيخ، بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، 2014.
- فقيه، محمد. **المعرفة وتضخم المعلومات: دراسة في الرؤيتين الإسلامية والغربية**. بيروت: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، ط1، 2020.
- فؤاد باشا، أحمد. **رؤى إسلامية في فلسفة العلم والتنمية الحضارية**. القاهرة: روابط للنشر وتقنية المعلومات، ط1، 2018.
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. **قاموس المحيط**. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1986.
- ملكاوي، فتحي حسن. **نصوص من التراث التربوي الإسلامي**. أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط1، 2018.
- المنذري، عبد العظيم. **الترغيب والترهيب**. بيروت: دار الكتب العلمية، ج1، ط1، 1996.
- ميدجلي، ماري. **رهبان نظرية التطور: هل اتخذ البعض نظرية التطور كدين؟** ترجمة: ناديا عطار وأسماء العصاميصي، القاهرة: دار دون للنشر والتوزيع، ط1، 2019.
- الهوش، أبو بكر محمود. **إستراتيجيات إدارة المعرفة**. القاهرة: مجموعة النيل العربية، ط1، 2016.
- ياسين، مزوزي. **أخلاقيات مهنة القضاء**. الجزائر: دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، 2015.

المجلات المحكمة:

- أبو تاية، نور. "أخلاقيات المعرفة وعلاقته بهجرة العقول في العالم العربي." **Cybrarians Journal: البوابة العربية للمكتبات والمعلومات**، ع 24 (2010): 61 – 80.
- القباج، محمد مصطفى. "أخلاقيات الحوار مع الآخر المختلف في الفكر العربي الإسلامي". **المسار**، ع58 (1 أغسطس 2002): 72 – 77.
- بمرغلاني، محمد أمين بن عبد الصمد؛ وعبد الله خازم الشهري، "أخلاقيات المعرفة: المفهوم والمبادئ". **مجلة مكتبة الملك فهد الوطنية**، مج22، ع2 (سبتمبر 2016): 73 – 102.

المواقع الإلكترونية:

- حب الله، حيدر. "أخلاق المعرفة". 20 نوفمبر 2015م، إضاءات الشيخ حيدر حب الله، على: https://youtu.be/hF9XGDFeaQw. (23 مارس 2020)
- الشايع، عبد الإله. **معجم ما ألف عن طلب العلم**، ملتقى أهل الحديث، 5 أغسطس 2003، على: http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=11168. (10 أبريل 2020).
- العوامي، فيصل. "من أخلاقيات المعرفة"، 1 أبريل 2017م، د. الشيخ فيصل العوامي Dr. Faisal Alawami، على: https://youtu.be/er3HKZI3rCw. (24 مارس 2020).

الأسرة المعاصرة و دورها في تنمية القيم الاجتماعية.

د/ تازي محمد.

جامعة عمار ثليجي ـ الأغواط ـ الجزائر.

الملخص:

من خلال هذه الدراسة سوف نتطرق إلى موضوع الأسرة والدور الفعال الذي تلعبه في غرس وتنشئة الأفراد منذ الصغر في بيئة اجتماعية قائمة على القيم بكل أنواعها التي ورثتها واكتسبتها من المجتمع في فترات سابقة والتي تعايشت معها، ودور الأسرة في نقل وتنمية هذه القيم الاجتماعية السوية إلى الأجيال اللاحقة والمحافظة عليها في ظل التغيرات التي طرئت على المجتمع في عصر التطور الثقافي والتكنولوجي.

الكلمات المفتاحية: الأسرة – المجتمع – القيم – القيم الاجتماعية.

Abstract :
Through this study we will go with the issue of the family and its effective role in raising individuals since childhood in a social environment based on different values that had been inherited and acquired from society in previous periods and which had been lived with it. And the role of the family in the transfer and development of these strict social values to the next generation and protect it in the light of the changes that was occurred in society in the era of the cultural and technological development.

Keywords : The family – community – Values - Social values.

مقدمة:

تعتبر الأسرة اللبنة الأولى في تكوين المجتمعات فبواسطتها تتجدد وتنمو وتتطور عبر الزمن، ولهذا فإنها تحاول وتقوم على نقل الأسس والقواعد التي تقوم عليها من جيل لآخر من أجل الحفاظ على هذه القيم التي اكتسبتها من الأجيال السابقة، حيث تقوم القيم الاجتماعية بوضع ضوابط وقوانين معنوية للأفراد من أجل السيطرة عليهم وتسوقهم في رواق خاص بالمجتمع، وتقوم بإدماج الأفراد وفرض قوتها عليهم لكي لا يخرجوا عن السيطرة والأعراف المتفق عليها بين أفراد المجتمع ككل.

أولا: الأسرة

1: تعريف الأسرة:

الأسرة عبارة عن ارتباط وثيق بين ذكر وأنثى به تتحقق الإشباعات الجنسية التي يقبلها الشرع ويرضي عنها المجتمع، ومن خلال هذا الارتباط ينشأ النسل الذي يمثل وحدة اجتماعية وبه تتحقق الإشباعات الأخرى.

وتعرفها سناء الخولي "أنها تتكون في مجموعها على شخصين بالغين هما الذكر والأنثى اللذان يعرفان أنهما الأبوان البيولوجيان للأطفال، إلا أنهما يقومان بالالتزامات الاقتصادية اتجاه الوحدة الأسرية وكذلك الضغوط الاجتماعية التي تفرض طاعة هذه القواعد وهذه المعايير للأبناء والأزواج والآباء، بطريقة سلوكية وتعامله وشعورهم في هذا النوع من الوحدة الاجتماعية.[1]

أما محمود حسن فيرى" بأنها تمثل صورة المجتمع الإنساني الأول وهي حماية أولية، بمعنى أنها أساس الإنجاب والتطبيع الاجتماعي للجيل التالي وهي كذلك الأصل الأول لعادات التعاون والتنافس التي تربط بإشباع الحاجات كالحب والأمان والمراكز الاجتماعية.

ويعرفها عبد المنعم شوقي "فإنها نسق اجتماعي يقوم على: معيشة رجل وامرأة أو أكثر معا في مكان مشترك.

- قيام علاقات جنسية يقرها الدين والمجتمع وإنجاب الأطفال ورعايتهم
- علاقات متينة تتم بالخصوصية والاستمرار – سلسلة من الحقوق والواجبات.[2]

وقد أبرز هذا التعريف أن الأسرة هي جماعة بشرية تتصف بقواعد التنظيم ويظهر هذا في شكل أدوار الموكل بها من أفراده كما يبرز أنه يقع على الأسرة عبء المسؤولية واستقرار الحياة الاجتماعية وهي دعامة أساسية يعتمد عليها المجتمع لتطوره ونموه .

---

[1]- سناء الخولي: **الأسرة والحياة العائلية**، دار النهضة، 2009، ص 39.
[2]- عبد القادر القصير: **الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية**، دار النهضة العربية، ط1، 1999، ص33.

2- مقومات و وظائف الأسرة:

باعتبار الأسرة مؤسسة اجتماعية فإن لها مقامات أساسية تحمل ثباتها واستمرارها وذلك بفضل تكاملها كما تساعدها على تأدية أدوارها المختلفة في الحياة وتمكنها من تحقيق توافقها الاجتماعي باعتبارها تتكون من مجموعة أفراد إضافة إلى أنها كل النظم الاجتماعية وأن نجاحها يتوقف على هذه المقومات والتي سنتناولها بشيء من التفصيل:

1- المقوم الاجتماعي:

تعتبر العلاقة الاجتماعية أساس الاستقرار والاطمئنان في الجو الأسري، وتقوم الحياة الأسرية على التكيف المتبادل بين الأدوار الزوجية وعندما نريد التحدث عن المقومات الاجتماعية للأسرة فإننا نتناول شبكة العلاقات الأسرية والتي تتضمن الأنظمة المتعددة للعلاقات السائدة في الأسرة وهذه الأنظمة تتمثل في:

- النظام الزواجي: ويقوم على العلاقة بين الزوجين .
- النظام الأبوي: تعتبر الأبوة والأمومة من الوظائف الخاصة في الحياة الاجتماعية وهي من الأدوار الخاصة في الأسرة التي يكرس الرجل والمرأة أنفسهم لها وعندما يقوم الزوجان بهذه الوظائف فإنهما لا يفعلان ذلك لمصلحتهما فقط وذلك من أجل الأبناء كذلك.
- النظام الأخوي: والذي يشمل العلاقة بين الإخوة داخل الأسرة الواحدة وهي نماذج يسهل الاتصال بها وتبعث في النفس الراحة والأمن والاطمئنان.[1]

2- المقوم الاقتصادي :

تعتمد الأسرة في حياتها على عدد من المقومات، والمقوم الاقتصادي هو من أبرزها بحيث تتمثل أهميته على: توفير الدخل الاقتصادي الملائم الذي يسمح للأسرة بإشباع حاجاتها الأساسية من مسكن ومأكل وملبس، بحيث أن معظم المشكلات الاجتماعية ترتبط بعجز الأسرة المادي على توفير احتياجات أفرادها، ومن ثم أصبح من الأمور المنطقية ربط المشكلات الاجتماعية بالضيق الاقتصادي وقد حاولت الكثير من الدراسات أن تثبت أن الفقر هو السبب الأساسي للانحراف الاجتماعي، فقد أشارت الدراسات التي قام بها وليام بونجز هي تأكيد ارتباط كافة المشكلات الاجتماعية بالنقد وعلى هذا نجد أن الافتقار المادي يلعب دورا خطيرا في حياة الأسرة ويشعر أفرادها بالحرمان ويقعون في الرذائل والشرور.[2]

---

[1]- سلوى عثمان: **الأسرة و السكان**، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، 2001، ص 27.
[2]- سامية محمد فهمي وآخرون: **مدخل إلى الخدمة الاجتماعية**، دار المعرفة الاجتماعية، الإسكندرية، 2005، ص160 .

3- المقوم الصحي:

إن سلامة الأبوين من الأمراض الجسدية من أهم المقومات التي تؤدي إلى نسل سليم باعتبار أن الخصائص الوراثية تنتقل عن طريق الأبوين إلى الأطفال، وذلك من حيث الصحة والمرض، ومن الدراسات العلمية التي تهدف إلى تطبيق برنامج يضمن لكل تكوين وراثي سليم الدراسة "لغالتون" أطلق عليها اسم "علم تحسين النسل" وتهدف دراسته إلى إعداد الأفراد المقبلين على الزواج وحثهم على الوراثة الصالحة والاستعداد الجسمي فإنه الركيزة الأساسية في تكوين أسرة سليمة.[1]

3- **وظائف الأسرة:**

1- **تنظيم السلوك الجنسي:** تعتبر الأسرة البنية التي اصطلح عليها المجتمع ونصت عليها الشرائع المنزلة لتحقيق الغرائز الجنسية بصورة يقرها المجتمع، ويتعرف بمثيرات هذا الاتصال.

ومع أنها هناك عدد من المجتمعات يسمح بممارسة الجنس قبل الزواج دون معارضة، وأن المجتمعات الأخرى تضع عقبات كبيرة إزاء هذا النوع من العلاقات الجنسية قبل الزواج ونذكر على سبيل التمثيل أن المجتمعات العربية لا تسمح بالخبرة الجنسية قبل الزواج ولا تعترف بثمرة هذه الخبرة على الإطلاق وتقيد النظم الاجتماعية حرية الفرد في اِختيار الزوجة، ولا يتيح له هذا الاختيار إلا في طبقات أو فئات معينة وتحضره في طبقات أو فئات أخرى وتختلف المحرمات من الفساد من ثقافة إلى أخرى وتخضع للنظم الاجتماعية السائدة في المجتمع، وهناك قيود ترجع إلى اختلاف الدين.[2]

2- **التناسل:** تقوم الأسرة بإنجاب الأطفال وهم الوحدات البشرية التي يقوم عليها المجتمع، هذا مما يضمن للمجتمع نموه واستمراره وهي أيضا تواصل مهمتها نحو الأعضاء الجدد فتتولى الإشراف على رعايتهم، وتربيتهم تمهيدا لتقديمهم إلى المجتمع ليحتلوا مكانهم ووظائفهم فيه.[3]

3- **الوظيفة الاجتماعية:** كانت الأسرة ولا تزال أقوى سلاح يستخدمه المجتمع في عملية التطبيع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية ويمكن وصف هذه العملية التي تشكل خلالها معايير الفرد ومهاراته ودوافعه واتجاهاته وسلوكه، لكي تتوافق وتتفق مع تلك التي يعتبرها المجتمع مرغوبة ومستحسنة لدوره الراهن أو المستقبل في المجتمع وتبدأ هذه العملية الحيوية منذ اللحظة التي يرى فيها الطفل الحياة على هذه الأرض ويستقبل الحياة أما عن طريق الأم بحيث تهتم برضاعته و

---

[1]- سلوى عثمان: مرجع سبق ذكره، ص 21.
[2]- عبد القادر القصير: مرجع سبق ذكره، ص 70.
[3]- السيد عبد العاطي السيد: **الأسرة والمجتمع**، دار المعرفة الجامعية، 2006، ص 12.

تدفئته، وإشباعه، ومؤدى هذه إن عملية التنشئة الاجتماعية تتضمن مهارات الفرد إلى جانب قيمه ومثله ومعاييره وأنماط سلوكه وهي تبدأ منذ إن يولد الطفل وتستمر مدى الحياة وتختلف أساليب التنشئة الاجتماعية من مجتمع إلى آخر ومن عصر إلى عصر كما تختلف داخل المجتمع الواحد باختلاف الطبقات الاجتماعية.

يمكن أن تستخدم الأسرة كأداة لتحديد وضع الفرد في نظام طبقي معين، فوضع الفرد الاجتماعي يتحدد من خلال انتمائه الأسري كما أن شخصيته الثقافية والاجتماعية تتكون وتأخذ ملامحها وسط الجماعات التي ينتمي إليها وأهمها الأسرة.[1]

4- **الوظيفة الاقتصادية:** كانت الأسرة قبل عصر التصنيع مثل وحدة تنتج بوفرة كل ما يلزم لاستهلاك أعضائها وكان الزوج ينظر إلى زوجته ليس كزوجة فقط بل كشريك له في أعماله، كما كان الأبناء أيضا يشاركون في مختلف الأنشطة الإنتاجية للأسرة شيئا فشيئا أخذت الأسرة تفقد وظائفها الإنتاجية بظهور هيئات أخرى تضطلع بتلك الوظائف، وكان إنتاج الآلات والأدوات هو أول ما فقدته الأسرة أنشطتها الاقتصادية ثم تلي ذلك إنتاج الأدوية ومواد التنظيف ومع الثلاثينات من القرن الماضي أفرج عن خطط الأسرة العديد من الأنشطة الاقتصادية.[2]

ولكن تبقى الأسرة تقوم بأعباء اقتصادية في تعلم الموازنة بين دخلها واحتياجاتها وهذا سيساعد على استقرارها.

5- **الوظيفة الدينية:** تلعب الأسرة دورا كبيرا في تكوين أخلاق الطفل وفي التأثير عليه من جميع النواحي، وإذ تعتبر الأسرة أول مجتمع يتصل بالطفل ويعده لتقبل قضايا واجتناب الرذائل، كما أن أولياءه هم المسئولون عن تربيته على الخلق الحميد وذلك بإبعادهم عن الأطفال المنحرفين وعزلهم عن برامج وسائل الإعلام التي قد تغير وتفسد أخلاقهم، أما التربية الدينية فالأسرة دائما هي المسؤولة عن تلقين المبادئ الإسلامية لأفرادها، والتي تعتبر من الركائز الأساسية لحفظ كيان المجتمع. وبواسطتها تدفع الأفراد إلى أعمال الخيرية الايجابية.

6- **الوظيفة الثقافية الأخلاقية:** أن الأسرة هي مكان نشأة العقائد الدينية واستمرارها وهي البنية الأولى لتعليم اللغة القومية وهي المؤسسة التي تكون الطفل وتعمل على تكامل شخصيته وتربطه بأفراد مجتمعه ولذلك من المطلوب أن نعد الطفل أخلاقيا من النواحي النظرية والتطبيقية، "إن تعلم الطفل

---

[1]- محمد مهدي القصاص: **علم الاجتماع العائلي**، جامعة المنصورة، القاهرة، 2008، ص 30.

[2]- عبد القادر القصير: مرجع سبق ذكره، ص66.

السلوك المقبول و توضيح الصواب من الخطأ يتشرب الطفل المعايير الاخلاقية الأسرية"[1]، فالأخلاق ليست مفاهيم وشعارات فحسب بل سلوكيات ولذلك ينبغي على الأسرة تعليم الأطفال تلازم الأقوال بالأفعال، وذلك من خلال القدوة الحسنة للأب والأم بدلا من النهي والأمر والعقاب.

7- **الوظيفة المعرفية الترويحية:** تعد الأسرة عقل الطفل منذ لحظة ولادته وخاصة في الخمس سنوات الأولى وتدربه على العادات الفكرية الصحيحة كالتفكير والمحاكاة والتصرف الذكي في المواقف المختلفة ولأنه مثلما يحتاج الطفل للعمل يحتاج كذلك للراحة واللهو، فالاتزان والتوازن في الشخصية يتطلب قيامها بالعمل تارة والراحة تارة أخرى.[2]

4- خصائص الأسرة:

إن الأسرة مؤسسة اجتماعية تنبعث عن ظروف الحياة الطبيعية التلقائية للنظم والأوضاع الاجتماعية وهي ضرورة حتمية لبقاء الجنس البشري ودوام الوجود الاجتماعي. فقد أودعت الطبيعة في الإنسان هذه الضرورة بصفة فطرية، ويتحقق ذلك بفضل اجتماع كائنين لا غنا لأحدهما عن الآخر وهما الرجل والمرأة والاتحاد الدائم المستقر بين هذين الكائنين بصورة يقرها المجتمع هو الأسرة. وترجع أهم مقومات الأسرة وخصائصها بصفة عامة إلى الاعتبارات الآتية:

1- الأسرة أول خلية يتكون منها البنيان الاجتماعي وهي أكثر الظواهر الاجتماعية عمومية وانتشار، فلا نكاد نجد مجتمعا يخلو بطبيعة من النظام الأسري، وهي أساس الاستقرار في الحياة الاجتماعية إذ لا يمكننا أن نتصور حالة الإنسانية إذا لم تكن منتظمة في أسر.

2- تقوم الأسرة على أوضاع ومصطلحات يقرها المجتمع، فهي ليست عملا فرديا أو إراديا ولكنها من عمل المجتمع وثمرة من ثمرات الحياة الاجتماعية، وهي في نشأتها وتطورها وأوضاعها قائمة على مصطلحات المجتمع، فمثلا الزواج ومحور القرابة في الأسرة والعلاقات الزوجية والواجبات المتبادلة بين عناصر الأسرة كل هذه الأمور وما إليها يحددها المجتمع ويرسم اتجاهاتها للأفراد ويفرض عليها الالتزام بحدودها ومن يخرج عن ذلك يقابله المجتمع بقوة وعنف ويفرض عليه عقوبات رادعة.[3]

3- تعتبر الأسرة الإطار العام الذي يحد تصرفات أفرادها فهي التي تشكل حياتهم وتضفي عليهم خصائصها وطبيعتها فإذا كانت قائمة على أسس دينية تشكلت حياة الأفراد بالطابع التقديري والتعاقدي، والأسرة هي عربة الوعي الاجتماعي والتراث القومي والحضاري فهي التي تنقل التراث من جيل إلى جيل.

---

[1]- غريب السيد و آخرون: **الدراسات في علم الاجتماع العائلي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995، ص 38.
[2]- عبد القادر القصير، مرجع سبق ذكره، ص 13.
[3]- محمد صفوح الأخرص: **علم اجتماع العائلة**، مطبعة الطبرية، دمشق، 1990، ص 30.

4- تعتبر الأسرة وحدة اقتصادية وتبدو هذه الطبيعة واضحة إذا رجعنا إلى تاريخ الأسرة فقد كانت قائمة في العصور القديمة في كل مستلزمات الحياة واحتياجاتها، وكانت تقوم بكل مظاهر النشاط الاقتصادي وهو الاقتصاد المغلق أي الإنتاج لغاية الاستهلاك فإن التداول (الاستبدال) لم يكن قد ظهر بعد أو اتسع نطاقه وكان كل إنتاج أفراد أسرة رهن استهلاكها.

5- إن الأسرة هي الوسط الذي يحقق فيه الفرد إشباعاته الطبيعية والاجتماعية بصورة شرعية يقرها المجتمع وذلك تحقيقا لبقاء النوع وتحقيقا لغاية الوجود الاجتماعي وإشباعا لعواطف الأبوة والأمومة والأخوة.

تمتاز الأسرة بأنها تمارس قواعد للضبط الاجتماعي على أفرادها ويتم هذا الضبط الاجتماعي على أفرادها من خلال التنشئة الاجتماعية التي توفرها الأسرة في أفرادها، فالأسرة ترتبط بتطبيق قواعد التنشئة الاجتماعية السليمة تستطيع أن تكسب أفرادها صفات صادقة من الأمانة والإخلاص والإيثار وذلك على عكس قواعد الضبط الاجتماعي الخاطئ الذي يعكس صفات لا يرضى عنها المجتمع.[1]

ثانيا: القيم الاجتماعية

1- تعريف القيم الاجتماعية:

تعرف بأنها المعتقدات حول الأمور والغايات وأشكال السلوك المفضلة لدى الناس، توجه مشاعرهم وتفكيرهم ومواقفهم و تصرفهم واختياراتهم، و تنظم علاقتهم بالواقع والمؤسسات والآخرين وأنفسهم والمكان والزمان، وتسوغ مواقعهم، وتحدد هويتهم ومعنى وجودهم. بكلام بسيط ومختصر، تتصل القيم بنوعية السلوك المفضل وبمعنى الوجود وغاياته. وعلى سبيل التحديد، وبالنسبة لشخص ما، تعني القيمة أن نوعا معينا من السلوك (الكرم مثلا) هو أفضل من غاية أخرى (البخل) أو أن غاية مثلى تحدد معنى حياته (مثل إنقاذ الوطن) هي أفضل من غاية أخرى (مثل الحصول على الثورة). وفي جميع الحالات والاحتمالات تشكل القيمة مقياسا يوجه سلوكنا فنعتمده في عمليات إصدار الأحكام والمقارنة والتقويم والتسويغ والاختيار بين بدائل في المناهج والوسائل والغايات.

وتميز العلوم الاجتماعية بين القيم الوسيلة والقيم الغاية، وفي الحالتين توجه القيم سلوك الإنسان وتنظم علاقاته بالآخرين، والواقع والزمن ونفسه، وفي علاقته بالواقع قد تحثه القيم على السعي والجهاد في سبيل

[1]- جابر عوض السيد: **الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة والطفولة**، المكتبة الجامعية، 2000، ص 11.

السيطرة على الواقع و تغييره، أو على العكس على القبول به كما هو والتلاؤم معه. قد تشكل القيم عند الإنسان مبادئ عامة كلية يطبقها على الجميع دون تمييز على أساس العنصر أو الدين أو غيره.[1]

هي مجموعة من الاتجاهات المعيارية المركزية لدى الفرد في المواقف الاجتماعية تحدد له أهدافه العامة في الحياة، والتي تتضح من خلال سلوكه. أو هي عبارة عن الأحكام التي يصدرها الفرد بالتفضيل أو عدم التفضيل للموضوعات أو الأشياء، و ذلك في ضوء تقييمه أو تقديره لهذه الموضوعات أو تلك الأشياء. وتتم هذه العملية من خلال التفاعل بين الفرد بتجاربه وخبراته، وبين ممثلي الإطار الحضاري الذي يعيش فيه ويكتسب من خلاله هذه الخبرات والمعارف.

القيم هي محك نحكم بمقتضاه ونحدد على أساسه ما هو مرغوب فيه أو مفضل في موقف توجد به عدة بدائل. وتحدد من خلال هذه القيم أهداف معينة وغايات، ووسائل لتحقيقها. وتأخذ هذه البدائل احد أشكال التعبير الوجداني والإلزام.

و نسق القيم هو مجموعة القيم المترابطة التي تنظم سلوك الفرد وتصرفاته من خلال العقل الواعي، أو من خلال اللاشعور.[2]

2- وظيفة القيم على المستوى الفردي و الاجتماعي:

يمكن تناول وظائف القيم على المستوى الفردي والاجتماعي كما يلي:

أولا: وظيفة القيم على المستوى الفردي:

1. إن القيم تنمي لدى الفرد الإحساس بالأمان، إذ تمنحه الفرصة المناسبة في التعبير عن ذاته وبالتالي مساعدته على فهم الآخرين والتوافق و التكيف معهم.
2. تعمل القيم كموجهات للسلوك ومعايير يستخدمها الفرد لتقويم نشاطه، فهي تحكم سلوكه وتجعله يتسم بالتوحد والتناسق وعدم التناقض في كل ما يصدر عنه وكل ما يقوم به من أنشطة.
3. القيم تمثل قوة دافعة للعمل وأدائه على خير وجه وفي أحسن صورة، وبذل كل جهد لإنجازه.

---

[1]- حليم بركات: **المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2006، ص 324.
[2]- محمد الجزار: **القيم في تشكيل السلوك الإنساني**، ط1، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2008، ص 96.

4. تعمل القيم على إصلاح الفرد أخلاقيا و اجتماعيا و تربويا إذ تزوده بشعور عال من التوجه الداخلي النابع من صميم الذات يدفعه لتحسين إدراكه ومعتقداته لتصبح الرؤيا أمامه واضحة لفهم العالم المحيط به.
5. تساعد على التنبؤ بسلوك الأفراد ليسهل التعامل معهم في ضوئها من خلال تحديد ما لديهم من قيم أو أخلاقيات في المواقف المختلفة.

ثانيا: وظيفة القيم على المستوى الاجتماعي:

1. تحفظ للمجتمع تماسكه الاجتماعي والأخلاقي، حيث تحدد له أهداف حياته ومثله العليا ومبادئه الثابتة المستقرة التي توفر له التماسك والثبات اللازمين لممارسة حياة اجتماعية سليمة. فكلما زادت وحدة القيم داخل المجتمع زاد تماسكه وترابطه وكلما ضعف ترابطه زاد تفككه الاجتماعي.
2. تدفع القيم الأفراد في المجتمع إلى العمل وتوجه نشاطهم وتعمل على حفظ هذا النشاط موحدا ومتماسكا وتصونه من التناقض والاضطراب.
3. وقاية المجتمع من الانحرافات والآفات الاجتماعية. لذلك فإنها تعمل على إصلاح الفرد خلقيا ونفسيا و وجدانيا وتوجهه نحو عمل الخير والإحسان والعمل الصالح.
4. تزود القيم المجتمع بالكيفية التي يتعامل بها مع المجتمعات الإنسانية الأخرى إذ تحدد له أهداف ومبررات وجوده فيسلك أفراده في ضوئها الطريق المناسب فتعطي المجتمع شكله المتميز وتحدد له ما يجب أن يكون عليه والطريق الذي ينبغي على أفراده أن يسلكوه.
5. تساعد القيم على التنبؤ بمستقبل المجتمعات، إذ هي الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الحضارات الإنسانية، وهي مؤشرات للحضارة. فالمجتمع الذي يلتزم أفراده بالقيم الأخلاقية الأصيلة يتنبأ له بحضارة و رقي و ازدهار، بينما المجتمع الذي تنهار قيمه الأخلاقية تسقط حضارته ويسير في طريق التخلف والتمزق الاجتماعي والانحطاط.[1]

3- الأسرة و تنمية القيم الاجتماعية:

الأسرة هي الوعاء الاجتماعي والوسيط الأساسي في عملية التنشئة الاجتماعية، حيث تتلقى الطفل في مهده وينمو في حضنها ويتفاعل معها وتكسبه عضوية في الجماعة، ويتعلم منها كيف يتعامل مع غيره، والأسرة توجهه من خلال القيم التي تحتويها ثقافة المجتمع وبذلك يتمرن على كيفية مواجهة مواقف الحياة

[1]- عبد الكريم علي اليماني: **فلسفة القيم التربوية**، ط1، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2009، ص ص 89- 90.

من خلال ما يحمله من قيم تربها من أسرته، حيث أن التنشئة الاجتماعية الصحيحة عن طريق الأسرة تكسبه القيم بطريقة صحيحة، والعكس صحيح، وبالتالي يقع عليها العبء الأكبر من التنشئة، وتتحدد أهميتها في تنمية وإكساب القيم الاجتماعية لأطفالها من خلال ما يلي:

أ- مساعدة الطفل على تمثل القيم والحقائق وإمداده بالخبرات الاجتماعية.

ب- مساعدة الطفل على توجيه قيمه واتجاهاته وكذلك مشكلاته.

جـ- تهيئة المناخ المناسب لاكتساب القيم عن طريق صلاح الأسرة.

د- العدل بين الأطفال والمساواة بينهم، وتعويدهم على الآداب الاجتماعية بالممارسة العملية وليس الكلام، وكذلك استخدام أسلوب الإقناع.

هـ- توجيه الأبناء إلى الصحبة الصالحة خوفا عليهم من الانحراف.[1]

و- تأديب الأطفال وتزويدهم الفضائل الخلقية امتثالا لهدي النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يقول: " لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع".

ومنه فإن الأسرة هي اللبنة الأولى التي ينهض بها المجتمع، ويرسخ بنائه ويثبت أركانه ويقوي صفوفه بتوحد أفراده من خلال ما تغرسه في داخلهم من قيم اجتماعية رفيعة تزيد في تماسك المجتمع وصلابة نسيجه الاجتماعي، ولن تحقق أهدافها إلا بالالتزام بدورها الفاعل في تنشئة أبنائها، وذلك من خلال طرق تراعي التدرج في تنمية هذه القيم عبر مراحل متوالية وهي كما يلي:

أولا: التوعية: ويقصد بها إثارة انتباه الطفل وتحفيز ذهنه للحصول على قدر كبير من المعرفة عن القيمة المراد تنميتها، وتعريفها وعناصرها وأهميتها عاقبة التخلي عنها، وتطبيقاتها العملية في سلوكه، وجذب عواطفه وعقله إليها، وتمريرها إلى وجدانه بالتتابع والتدرج المناسب وتحفيزه على التمسك بها والنجاح في تطبيقها في حياته.

ولذا فمرحلة التوعية مرحلة مهمة جدا كونها الأساس، والأرضية التي تبنى عليها القيم، ولذا ينبغي إحاطتها بعناية مركزة هذا من جهة، ومن جهة أخرى أنها المرحلة الأولى وإن تحقق النجاح فيها فتصير

[1]- أبو العينين علي خليل: **القيم الإسلامية و التربية**، مكتبة إبراهيم حلمي، المدينة المنورة، 1998، ص 162.

الأرضية ممهدة للمراحل الأخرى، وتزداد أهميتها أنها تبدأ من سن مبكرة فيدرب الطفل خلالها على بعض القيم وذلك من خلال أساليب من بينها القصص حيث يتلقاها الصغار بالقبول وتركيز الانتباه.

ثانيا: الفهم: وقصد به الفهم الصحيح الخالي من الشبهات والانحراف الذي يمنح الفرد القدرة الجيدة على التطبيق الصحيح.

وحتى يتسنى للطفل الفهم السليم لمنافع القيمة الحسنة ويتشربها ينبغي الإشارة إلى القيمة السيئة على سبيل المقارنة بينهما لتركيز الفهم الدقيق لديه بمحاسن القيم لأن بضدها تتبين الأشياء كما يقال، ومن ثم يسهل استيعابها وذلك من خلال أساليب التنشئة الوالدية السوية وليس المنحرفة والمتناقضة التي تزرع الشك في نفس الطفل وازدراء القيمة المراد تنميتها في نفسه، ولذا فالتطبيق الصحيح للقيمة يتم من خلال الفهم الصحيح لها وممارستها في مواقف عملية لا تدفع على الريبة والشك.

ثالثا: التطبيق: الممارسة الحقيقية للقيمة في مجال المشاعر والأحاسيس والأفكار والاهتمامات والألفاظ والكلمات.

وهذه المرحلة تمثل التجسيد العملي للقيمة وتمثلها من خلال سلوك الطفل مما يدل على أن المرحلتين السابقتين حققتا مرادهما، وهذه المرحلة تعد مرحلة التقويم والاختبار الفعلي لما تقدمها من مراحل، وبالتالي من خلالها يعاد النظر فيما سبق من انجاز إن كانت النتائج سلبية أو الاستمرار إن أعطت المرحلة أكلها مما يثبت القيمة في نفس الطفل ويرسخها فهما وعملا، فالتطبيق العملي يدعم القيمة في نفس الطفل، ويعطيها قدرا من الهيبة والإجلال في وجدانه.

وفي مرحلة التطبيق ينبغي أن تكون على مرأى ومسمع من المربي وتحت ملاحظته سواء كان الوالدان أو المعلم أو المرشد أو غيرهم.

فالأسرة ينبغي لها أن تمارس التطبيق العملي للقيم من خلال آليات تنمي في الطفل حب الممارسة وإثبات ذاته، وملاحظته أثناء ذلك وتعديله وتشجيعه إن أحسن الإنجاز.[1]

[1]- إبراهيم الذيب: **أسس و مهارات بناء القيم التربوية**، ط2، مؤسسة أم القرى، مصر، 2005، ص ص 104-105.

رابعا: التعزيز: وهو تعميق الفهم وتجويد مستوى التطبيق مع دعم مستوى الذاتية في ممارسة القيمة وتقديم نموذج القدوة في التمسك بها، و تطبيقها مع دعوة الآخرين للتمسك بها في إطار من التعزيز الإيجابي والسلبي الذي يدعم و يحفز الطالب نحو التعميق والتجويد والذاتية.

وهو أحد الأساليب المهمة في تنمية القيم الاجتماعية، ورفع وتحسين مستوى التطبيق العملي للقيمة، مع فسح المجال للطفل لإبراز ذاته وتحقيقها من خلال الممارسات العملية للقيمة ودعمها عن طريق محاكاة النموذج والقدوة الحسنة، والتعزيز بواسطة الترغيب والترهيب لتعميقها في ذاته وإجادة تطبيقها بعد ذلك.

4- كيفية تكوين القيم:

لتكوين القيم عمليا هناك عدة مراحل هامة:

1 جذب انتباه المتعلم نحو القيم: أي إيقاظ الإحساس بالقيمة التي تختار كهدف تربوي، وهنا تستخدم كافة الإمكانيات في سبيل عرض القيمة واضحة التفصيل، محددة المعالم، فالمهم هو جذب الاهتمام والانتباه كدرجة أولى لتكوين الوعي بها، وإثارة الرغبة في التلقي لتتم عملية تركيز الانتباه والمراقبة، وبالتالي الاستجابة بعد ذلك، ويظهر المتعلم اهتماما قليلا بالظاهرة، أي يظهر نوعا من الاهتمام، ثم تأتي بعد ذلك الاستجابة النشطة كطاعة أو مسايرة ليأتي بعد ذلك الأمر طوعا .

2 تقبل القيمة: في هذه المرحلة تستمر الاستجابة، بدرجة تكفي لجعل الآخرين يميزون القيمة في الشخص، ويكون سلوكه ثابتا وملتزما بدرجة تكفي لجعله راغبا في أن يتم التعرف عليه بهذا الشكل، ومعنى هذا أن القيمة أصبحت ممثلة بدرجة كافية من العمق، بحيث تصبح قوة مسيطرة باستمرار على السلوك. فقيمة الصلاة مثلا حين نريد غرسها في نفس الناشئ فلابد من جذب انتباهه والاستحواذ عليه وتستخدم في ذلك كافة الوسائل الممكنة، بحيث نبين له أهمية الصلاة مرة بعد مرة بحيث يتوفر لديه وعي بها، ويتطلب ذلك اطلاع المتعلم على تلك الأهمية وكيفية أداء الصلاة، وبعد ذلك تتكون لديه رغبة مستمرة في تطوير قدرته على أدائها بعد تقبله لها.

3 تفضيل القيمة: وهي تهيئ للأفراد اختيارات معينة تحدد السلوك الصادر عنهم، فهي تلعب دورا هاما في تشكيل الشخصية الفردية وتحديد أهدافها في إطار معياري صحيح[1]، وتعني هذه المرحلة أن الفرد أصبح ملتزما بالقيمة لدرجة تجعله يتابع القيمة ويسعى وراءها ويريدها، وهنا تظهر عدة استجابات معينة، تعبر

[1]- ماجد الزبود: **الشباب و القيم في عالم متغير**، ط1، دار الشروق للنشر و التوزيع، الأردن، 2006، ص 46.

عن هذا التفضيل ففي حالة القيمة التي مثلنا بها، يسعى الفرد لتكوين أرضية واسعة عنها، أو يهتم بدعوة غيره إلى الصلاة، وبالذهاب إلى المسجد طواعية

4 الالتزام: في هذه المرحلة يصل الفرد إلى درجة عالية من اليقين، فيصل إلى الاقتناع والتأكد الذي لا مجال فيه للشك، ومن ثم إلى التقبل (الإيجابي) الوجداني الكامل، ومن ثم يعمل لتقدير القيمة وتتعمق مشاركته في هذا التقرير، وفي الأشياء الممثلة له كما ويبحث عن أشباهه المؤمنين بالقيمة وهنا لابد من إدراك عدة أمور:

4-1 أن الالتزام ليس مجرد حماس أو عاطفة وقتية عابرة، توجد وتتلاشى لتحل محلها عاطفة مؤقتة أخرى، بل يعني الاستمرار العاطفي لتأكيد الالتزام .

4-2 أن اعتناق قيمة ما فترة طويلة من الزمن لا يدل على الالتزام بها، فلابد من استغلال قدر من طاقة الفرد العاطفية حتى يتم الالتزام الحقيقي.

4-3 أن الأعمال المؤيدة للقيمة أمر مهم لأنها تعني وتدل على الالتزام بحكم طبيعتها.

5 التنظيم: ويعني ترتيب القيم في نظام معين ذلك أنه حين يؤخذ في تمثيل القيم بصورة متتابعة، فإنه يواجه مواقف ذات علاقة بأكثر من قيمة واحدة، وهنا تنشا الضرورة لأمور ثلاثة: تثبيت القيم في نظام واحد وتحديد العلاقات المتبادلة بينها، وإقامة قيم مسيطرة متغلغلة، وفي هذه المرحلة يكون التجريد و يكون التعبير عن القيمة رمزا أو عملا، وتشمل عملية التجريد على تحديد الأشياء العامة التي تعتمد على التحليل والمفاضلة، مكونا أحكامه على الأبناء والعلاقات من حوله.

6 التمييز: في هذه المرحلة يصبح الفرد متميزا، حيث يصل إلى التصرف السلوكي الذاتي الثابت طبقا للقيم التي تمثلها والتي أصبحت تسيطر على تصرفاته وتراقبها، فهي تقوم بدور الرقابة لسلوكه وتصرفاته، بحيث يمكن وصفه وتقديره عن طريق هذه القيم المتغلغلة، والمتعلم في هذه المرحلة يكون قد دمج قيمه وأفكاره ومواقفه واتجاهاته، في وجهة نظر متكاملة تشكل نظرته للعالم المحيط به وتشكل استجاباته الدائمة والثابتة اتجاه المواقف والأشياء بصورة مترابطة، بمعنى تشكل توجها سلوكيا أساسيا يمكن الفرد من التحكم في العالم المعقد من حوله والعمل بثبات وفعالية في هذا العالم ويربط هذا التوجه الأساسي بين سلسلة من المواقف والاتجاهات والقيم، وهكذا يصل الفرد إلى تمثيل القيم ودمجها في ذاته بحيث تصبح من الملامح المميزة له

ويحدث له تقبل للمواقف والاتجاهات والقوانين والمبادئ التي تشكل جزء منه وذلك في تكوين أحكام القيم، أي في تحديد سلوكه.

ولذلك فعملية تنمية القيم وتكوينها ليست سهلة ولا بسيطة كما قد يتصور البعض، لذا فإن تركها لعوامل الصدفة أو العشوائية ليس من صالح تنميتها، إذ يجب أن تخضع لعملية تخطيط دقيقة وإتاحة الفرصة لتزويد المتعلمين ببعض القيم الصريحة وفي نفس الوقت تتاح لهم الفرصة لاكتشاف القيم الأخرى غير المعلنة.

خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة نجد أن للأسرة الدور الفعال والأساسي في غرس القيم الاجتماعية الصحيحة وتكييفها حسب متطلبات المجتمع لكون رسالتها ومهمتها هي نقل الموروث القيمي من جيلها إلى جيل جديد يعتمد على القيم لبداية حياته حيث تكون هي اللبنة الأولى لتطوره وحفاظه على هويته ومبادئه التي اكتسبها من أسرته منذ فترة الطفولة وإلى غاية مرحلة الاستقلالية من الأسرة، ولكون القيم الاجتماعية مقدسة عند المجتمعات فلها الأفضلية والأولوية في دور الأسرة التربوي.

قائمة المراجع:

1- إبراهيم الذيب: **أسس ومهارات بناء القيم التربوية**، ط2، مؤسسة أم القرى، مصر، 2005.

2- أبو العينين علي خليل: **القيم الإسلامية والتربية**، مكتبة إبراهيم حلمي، المدينة المنورة، 1998.

3- جابر عوض السيد: **الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة والطفولة**، المكتبة الجامعية، 2000.

4- حليم بركات: **المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2006.

5- سامية محمد فهمي وآخرون: **مدخل إلى الخدمة الاجتماعية**، دار المعرفة الاجتماعية، الإسكندرية، 2005.

6- سلوى عثمان: **الأسرة والسكان**، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة، 2001.

7- سناء الخولي: **الأسرة والحياة العائلية**، دار النهضة، 2009.

8- السيد عبد العاطي السيد: **الأسرة والمجتمع**، دار المعرفة الجامعية، 2006.

9- عبد القادر القصير: **الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية**، دار النهضة العربية، ط1، 1999.

10- عبد الكريم علي اليماني: **فلسفة القيم التربوية**، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2009.

11- غريب السيد و آخرون: **الدراسات في علم الاجتماع العائلي**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995.

12- ماجد الزبود: **الشباب والقيم في عالم متغير**، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، 2006.

13- محمد الجزار: **القيم في تشكيل السلوك الإنساني**، ط1، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، 2008.

14- محمد صفوح الأخرص: **علم اجتماع العائلة**، مطبعة الطبرية، دمشق، 1990.

15- محمد مهدي القصاص: **علم الاجتماع العائلي**، جامعة المنصورة، القاهرة، 2008.

التراث الثقافي وتحديات العولمة.

د/ صادوق الحاج.

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله.

الملخص:

في ظلّ العولمة والاستراتيجيات الجديدة المتخذة لإرساء قواعد النظام الجديد برزت إلى السّطح قضيّة التّراث التي تعدّدت وتباينت إزاءها الآراء والرّؤى من زوايا مختلفة. ولئن كان التراث يشكّل معينا متدفقا ومخزونا ثريا من تراكمات وتفاعلات وتجارب الأمم والشعوب فإنّ الأجيال تختلف في كيفية استثماره وأساليب التعامل معه وفي تحديد علاقتها به من بلد إلى آخر ومن عصر إلى آخر.

وتحدّيا لهذه العولمة لابدّ من العمل على إرساء استراتيجيّة تتوخّى منهجيّة علميّة قوامها، إعادة قراءة التراث ودعمه ودفعه إلى حضيرة التطوّر والتقدّم دون الذوبان، كي نساهم من خلاله في تثبيت مقوّمات الهوية.

الكلمات المفتاحية: التراث الثقافي– العولمة– النظام الجديد– الاستراتيجية– التقدم– الذوبان.

Summary :

In light of globalization and the new strategies taken to lay the foundations of the new system, the issue of heritage has come to the fore, and opinions and visions have been varied about it from different angles. While the heritage constitutes a certain flowing and rich storehouse of accumulations, interactions and experiences of nations and peoples, the generations differ in how they invest and methods of dealing with it and in determining their .relationship with it from one country to another and from one age to another

In defiance of this globalization, it is necessary to work on establishing a strategy that envisages a scientific methodology based on it, re-reading the heritage, supporting it, and pushing it to the stage of development and progress without melting, so that we can contribute through it to stabilizing the elements

Key words: Cultural Heritage - Globalization - New System - Strategy - Progress – Melting

مقدمـــة:

إن اتجاهات العولمة تسير نحو التأثير السلبي في التراث الوطني ولعل أول ما يثير الانتباه عند التأمل في موقف الغرب من التراث الوطني، هو جمعه بين موقفين متناقضين، فهو من جهة شديد الاعتزاز بتراثه حريص عليه، ومن جهة ثانية رافض للاعتراف بالتراث الوطني لشعوب العالم، لإحساسه بأن العولمة من شأنها أن تؤدي إلى مزيد من الوعي بالخصوصية التراثية الوطنية.

وفي ظل هذه المعطيات التي تشكل معضلة تتطلب المعالجة بطرح السؤال الآتي: هل هذه العولمة التي تسعى إلى تذويب التراث وطمس معالمه، هي صيغة جديدة من صيغ المواجهة الحضرية التي يخوضها الغرب، بالمفهوم العام للغرب، ضد تراث الشعوب وثقافات الأمم، ومن أجل فرض هيمنة ثقافية واحدة وإخضاع العالم لسيطرة حضارة واحدة؟

والعولمة بهذا المفهوم الشمولي ذي الطابع القسري، ستؤدي إلى فوضي على مستوى العالم في الفكر والسلوك، وفي الفنون والآداب والعلوم والتكنولوجيا.

وفي ظل هذا المناخ الدولي غير المستقر يتعاظم الخطر الذي يهدد المجتمعات الإنسانية في تراثها الحضاري وهو خطر يتضاعف.

إن تراثنا أمانة في أعناقنا، والحفاظ عليه مسؤولية مشتركة بين جميع فئات الأمة، ولا تعارض مطلق بين الاتجاه إلى المستقبل، والمحافظة على التراث، بل أن التركيز على التراث كقاعدة إنما يجعل النظرة إلى المستقبل أكثر قوة ووضوحا.

1- مفهوم التراث وهويته:

يأخذ مفهوم التراث مكانه المميز في نسق المفاهيم التي ترتبط بحياة الناس وتاريخهم ومؤثرات وجودهم، ويشكل هذا المفهوم أحد العاصر الأساسية للهوية الثقافية عند الشعوب والجماعات والأمم، وينهمك الباحثون والمفكرون العرب اليوم في مقاربة مسألة التراث والموروث الشعبي بالعلاقة مع مختلف إشكاليات الحياة الفكرية والثقافية المعاصرة، وقد شهدت الساحة الفكرية فيضا غامرا متدفقا من الدراسات الجادة حول العلاقة بين التراث والحداثة، كما بين التراث والهوية والأصالة وتأسيسا على ذلك قد بدأ مفهوم التراث يحتل مكان

الصدارة في الخطاب الفكري المعاصر وهذا ما يؤكد الجابري بقوله: "أن تداول كلمة تراث لم يعرف في أي عصر من عصور التاريخ العربي من الازدهار ما عرفه في هذا القرن.[1]

تدل كلمة تراث في الأصل على المال الذي يورثه الأب لأبنائه أو كل ما يرثه الأبناء من خيرات وأموال عن أبائهم، وقد تطور مدلول هذه الكلمة لتدل على كل ما يرثه الإنسان من الأبناء والأجداد أكان هذا الموروث ماديا أو معنويا وتجد لفظة(التراث) جذورها العربية في ألفاظ: ورث فلورث والإرث والوارث والتراث...كلها بمعنى واحد. وتبين بعض مناحي البحث في كلمة تراث أن أصل التاء فيها حرف الواو، فهي الوارث وهي تعني حرفيا: ما يتركه الإنسان لورثته الذين أتوا من بعده، وقد اتسع مضمون هذه اللفظة لتشتمل على دلالات ثقافية ومعرفية وتاريخية يتوارثها أبناء المجتمع أجيالا بعد أجيال، وتشير اليوم هذه الكلمة إلى الإرث الفكري الذي تراكم بفعل جهود الأجيال السابقة عبر قرون الحضارة والثقافة. وفي ضوء المصطلح اللغوي "نرى أن التراث لفظ يشمل الأمور المادية والمعنوية، ويتمثل في جميع ما يبقيه الآباء والأجداد للأبناء والأحفاد، فهو قبل كل شيء هذه الأرض التي نعيش عليها ويجب أن يحتفظ الوارث بها"[2]. ويتجلى أجمل تعبير عن هذا الإرث المتوارث في قول الشاعر العربي عمر بن كلثوم:

وَردت دوارعاً وخرجن شعثاً كأمثال الرضائع قد بلينا

ورثناهن عن أباء صدقٍ ونورثها إذا متنا بنينا

ولم يكن السابقون يطلقون على موروث سابقيهم كلمة تراث فقد كانوا ينظرون إلى هذا الموروث باعتباره ممتداً فيهم، وهو الامتداد الجاري عبر اللغة، والمفاهيم والتصورات العامة.

ويعد البيروني من أقدم المفكرين الذين وظفوا هذه الكلمة بمعناها التراثي المعاصر، ويتجلى هذا التوظيف في عنوان كتابه المشهور(الآثار الباقية عن القرون الخالية) الذي يستعرض فيه التراث الفكري للحضارة الفارسية والهندية وغيرهما من الأمم.[3]

وغالبا ما يتفق الباحثون على أن التراث ينتمي إلى الزمن الماضي، وأن التراث هو كل وصل إلينا من الماضي القريب والبعيد[4] وعلى هذا الأساس يعرف الجابري التراث بأنه "الجانب الفكري في الحضارة العربية

[1] محمد عابد الجابري، **"التراث والحداثة"**، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1999م، ص21.
[2] محمود السيد، "عصرنة التراث"، **مجلة التعريب**، العدد 20، ديسمبر 2000م، ص-ص122-123.
[3] يوسف زيدان، "مفهوم التراث"، **موقع إسلام أون لاين**.
[4] فهمي جدعان، **"نظرية التراث"**، دار الشروق، عمان، 1985م، ص-ص97-98.

الإسلامية: العقيدة، الشريعة، واللغة والأدب والفن، والكلام، والفلسفة والتصوف[1]، ويؤكد الجابري على خصوصية هذا المفهوم في اللغة العربية دون اللغات وعلى جدتها في الحياة الثقافية كما يشير إلى شحنتها الوجدانية بقوله أن التراث هو "الموروث الثقافي والفكري والديني والأدبي والفني وهو المضمون الذي تحمله هذه الكلمة داخل خطابنا العربي ملفوفا في بطانية وجدانية إيديولوجية لم يكن حاضرا في خطاب أسلافنا ولا في حقل تفكيرهم، كما أنه غير حاضر في خطاب أية لغة من اللغات الحية المعاصرة التي تستورد منها المصطلحات والمفاهيم الجديدة علينا.[2]

وكثيراً ما يطابق بعض المفكرين بين التاريخ والتراث "فالتاريخ هو مجموعة التراكمات الحضارية التي ورثناها من المصادر المكتوبة أو الشفوية والتي تناقلناها جيلا عن جيل والتي تعيشها أجيالنا الحاضرة، فيضم الأصول الأولى مثل القرآن والسنة والعلوم الدينية والفقه والعلوم العقلية مثل الكلام والفلسفة والعلوم الطبيعية مثل : الطب والكيمياء والعلوم الرياضية مثل الجبر والحساب والهندسة والفلك والعلوم الإنسانية مثل الجغرافيا والتاريخ".[3] وكم هو جميل في هذا المقام أن تردد مع الشاعر العربي في التأكيد على عمق العلاقة بين التاريخ والتراث قوله :

اقرأ التاريخ إذا فيه العبر ضَاعَ قَوْمٌ لَيْسَ يَدرُونَ الخَبَرُ

فالتراث هو التاريخ الذي يعيش فينا فيه في كل لحظة واحدة.[4] وهذا يدل في النهاية على أن التراث يشكل البوتقة التي تتشكل فيها عقلية المجتمع وتصورات الجماهير وقيمها ومثلها وعاداتها.[5]

وتأسيسا على ما تقدم يمكن تعريف التراث تعريفا جامعا بالقول "إن التراث هو الموروث الثقافي والاجتماعي والمادي المكتوب والشفوي، الرسمي والشعبي، اللغوي وغير اللغوي، الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب، وهذا التعريف يراعي الشمولية في تحرير التراث، فهو يضم مقومات التراث جميعها، الثقافة منها مثل: علم الأدب والتاريخ واللغة والدين والجغرافية، والعوامل الاجتماعية مثل: الأخلاق والعادات والتقاليد، ومن ثم العناصر المادية: كالعمران، وأخيراً ما يتضمنه من تراث شعبي يتمثل في المكتوب والشفوي

---

[1] محمد عابد الجابري، **المرجع السابق**، ص30.
[2] نفسه، ص23.
[3] حسن حنفي، **"الجذور التاريخية لأزمة الديمقراطية في وجداننا المعاصر"**، ضمن مركز دراسات الوحدة العربية الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي، بيروت، 1986م، ص175.
[4] حسن حنفي، **المرجع السابق**، ص176.
[5] نفسه، ص 177.

واللغوي وغير اللغوي[1]، "فالتراث ينبض بالحياة وهو إذن ليس كما يتصور البعض مسألة متحفية يتم معها التعامل وفق نفس الظروف والطرائق التي ينقب فيها عن قبر من قبور الآرميين أو حدث من أحداث الفراعنة، وإنما هو اللغة والأفكار والعادات والتقاليد والأذواق والآداب والعلوم والفنون والعلاقات الاجتماعية والمواقف النفسية الرؤى الذهنية للعام والحياة.[2]

والتراث على ما تقدم ذكره هو كل ما وصل إلى الأمم المعاصرة من الماضي البعيد أو القريب سواء تعلق الأمر بماضيها هي أو بماضي غيرها من الشعوب أو بماضي الإنسانية جمعاء، فهو أولاً: مسألة موروث، وهو ثانياً: مسألة معطى واقعي يضيف إلى ثلاثة مستويات :

1- مستوى مادي يتمثل في المخطوطات والوثائق والمطبوعات والآثار والقصور والمعابد...
2- مستوى نظري يتحدد في مجموعة من التصورات والرؤى والتفاسير والآراء التي يكونها كل جيل لنفسه عن التراث إنطلاقا من معطيات اجتماعية وسياسية وعلمية وثقافية تعززها مقتضيات المرحلة التاريخية التي يجتازها أبناء ذلك الجيل.
3- مستوى سيكولوجي والمقصود به الطاقة الروحية الشبيهة بالسحر التي يولدها التراث في عقول الناس والجماهير، حيث تحتكره نخبة من المنتفعين والمتسلطين قصد استغلاله له في ميدان التوجيه السياسي والتعبئة الإيديولوجية نظراً لما يزخر به التراث من مفاهيم وتصورات ...الخ.[3]

2-التراث الثقافي بين الحداثة والمعاصرة

إذا كان الموقف من التراث الحضاري للأمة يقع في صلب التضارب والتجاذب بين الرافضين والمؤيدين، فإن التراث الشعبي الذي يشكل جانبا حيويا ومهمها في بنية التراث الثقافي للأمة يواجه رفضاً مزدوجا من قبل الحداثيين والأصوليين معا، فالتراثيون أو الأصوليون ينتصرون للتراث الديني في غالب الأحوال، وهذا لا يعني أنهم يناصرون أو ينتصرون للتراث الثقافي بل يرفضون هذا التراث جملة وتفصيلا وخاصة الشعبي منه ويعملون على استئصال شافته، ويضاف إلى ذلك أن التراث وخاصة التراث الثقافي الشعبي يواجه مخاطر ثلاثية التكوين تتمثل في الحداثة والأصالة والعولمة، فالتيارات الحداثية الأصولية ترى المأثورات الشعبية باعتبارها ضد العلم والحداثة، والأصوليون يرون في هذا التراث صورة لتكوينات ثقافية مضادة للدين والقيم الإسلامية، وغالبا ما يضعون التراث الشعبي في دائرة التراث الوثني المعادي للقيم الإسلامية وذلك

[1] محمد رياض وتار، **"توظيف التراث في الرواية الغربية المعاصرة"**، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، 2002م، ص154.
[2] عبد الله فهد النفيسي، **"التراث وتحديات العصر**، الريعان للنشر والتوزيع، ط1، الكويت، 1986م، ص16.
[3] محمد رياض وتار، **المرجع السابق**، ص-ص155-157.

لأنه يتضمن الأساطير والحكايات الشعبية والعادات والتقاليد والفلكلور الذي يتنافر مع معطيات الشريعة الإسلامية.[1]

إن غالباً ما يقف الحداثيون والتراثيون في خندق واحد من حيث "نظرتهم إلى التراث الشعبي بوصفه مجرد خرافات، وهروبا من العلم والمعرفة، وأداة ماضوية (رجعية) وثقافية بدائية متخلفة، وحفرية من حفريات الإنسان البدائي الأول، ومرد كل هذه النظرة الانتقاصية التي ترى أن هذا المأثور ينتمي لثقافة البدائيين، و"ثمة من يرجع سبب الانتكاسات والهزائم إلى الانغماس في التراث الشعبي القديم، وجعله في التأثير على الشأن العام"، إن كلا من الرأيين العلماني، والديني يرجعان إلى ثنائيتين متضادتين قاصمتين، ما تكون مع العلم لوحده الصرف بمعزل عن أمور محيطنا ودنيانا وثقافتنا فنتقدم ونشتري الدنيا، وأما أن نرجع إلى منابع الدين، فنشتري الآخرة".[2]

والهجوم على التراث وخاصة الشعبي منه يتواتر في كثير من البلدان خاصة العربية إلى حد تدمير بعض الكتب التراثية مثل ما قامت وزارة التربية والتعليم في فلسطين بإعدام كتاب "**يا طير يا اللي طاير**" وهو كتاب تراثي فلكلورب، فإذا كانت "ألف ليلة وليلة" وغيرها قد دونت في عصر الخلافة العباسية، مع ما تحتويه من استعمالات من لغة عام، ومضامين جنسية واضحة فمن غير المعقول أن يتم إعدام الحكايات الشعبية العربية في القرآن الواحد والعشرين.[3]

وإزاء هذه المعضلة والمأزق الحضاري "فإن المطلوب هو العثور على المعادلة الصحيحة بين الاحتماء بالتراث والانفتاح على النظام العالمي وهي مسألة تتضمن تحديات نظرية وتطبيقية ونحتاج إلى انفتاح فكري وإلى جهود جماعية من المثقفين العرب على مختلف اتجاهاتهم"[4]، ومن المؤكد اليوم أم مشاكل الحاضر في ساحتنا الثقافية الراهنة ترجع في جزء كبير منها، إن لم يكن معظمها إلى مشاكل الماضي،[5] وبالتالي فإن التحرر من التبعية للآخر لا يمكن أن يتم إلا من خلال التحرر من التبعية للماضي ماضينا نحن[6]،

---

[1] نفسه، ص158.

[2] وضاح المقطرى، "بحثا عن المستقبل للهوية: الموروث الشعبي، كيف يجيء الماضي في الحاضر، ولا تختطف المستقبل"، **موقع يمان الالكتروني، يوم 04 فيفري 2009م.**

[3] جميل السلحوت، "الموقف العقلاني من التراث ومجزرة الطير اللي طاير"، **موقع دنيا الرأي**، يوم 09 مارس 2007م، ص240.

[4] عبد الله فهد النفيسي، **المرجع السابق**، ص18.

[5] محمد عابد الجابري، **"إشكالية الفكر العربي المعاصر"**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1989م، ص 40.

[6] نفسه، ص 43.

التحرر من التراث لا يعني الهروب منه وإلقائه في سلة المهملات مثلما أن التحرر من ثقافة الغرب لا يعني الانطلاق من دونها.[1]

3-التراث والعولمة:

تطرح العولمة نفسها نقيضا كليا للهوية، فالعولمة تعني ذوبان الخصوصية والانتقال من الخاص إلى العام، ومن الجزئي إلى الكلي، ومن المحدود إلى الشامل، ومن المتعين إلى اللامتعين، وعلى خلاف ذلك، يأخذ مفهوم الهوية إتجاها متقاطبا كليا مع مفهوم الشمولية والعمومية، فالهوية انتقال من العام إلى الخاص، ومن الشامل إلى المحدود، ومن اللامتعين إلى المتعين.

فمفهوم الهوية يبحث أن التمايز والتباين والمجسد والمشخص والمتفرد والمعين، أما العولمة فهي بحث لا ينقطع عن العام والشامل والمجرد والمتجانس واللامحدود.

والسؤال المركزي الذي يطرح نفسه في سياق هذه العلاقة هو: هل تعمل العولمة على تذويب التراث وتهميشه؟ يذهب أغلب المفكرين والباحثين إلى الاعتقاد بأن العولمة فعل يقلص امتداد الكون في هوية واحدة متجانسة ثقافيا واقتصاديا واجتماعيا، فالعولمة وفقا لهذا المنظور تعمل على بناء ثقافة واحدة وتسعى إلى تذويب الحدود والحواجز الثقافية والفكرية والاقتصادية بين الأمم، إنها سعي لبناء المجتمع الإنساني على مقياس الثقافة الواحدة والحياة الاقتصادية الواحدة، وبالتالي فإن ثقافة العولمة هي ثقافة الشركات العابرة للجنسية والقوميات والثقافات.

ويمثل هذا الاتجاه الطيب التيزيني الذي يعرف العولمة "بأنها نظام اقتصادي سياسي اجتماعي وثقافي يسعى إلى ابتلاع الأشياء والبشر في سبيل تمثلهم وهضمهم وإخراجهم سلعاً"[2]، وهذا يعني أن هذا النظام يعمل باتجاه تفكيك التراث بكل أنواعه بهدف التمكين لتراث واحد هو تراث السلعة" (...) كي يتسنى له الهيمنة غير المشروطة على العالم من خلال تراث سوقي سلعي كون عالمي.[3] ففي دائرة العلاقة بين الغرب والعرب يميز التيزيني العالمين هي علاقة غير متكافئة تسمح باختراق العالم الأول للعالم الثاني اختراقا يتسع باستمرار مع تعاظم قوة الغرب وتضاؤل قوة العرب. وفي إطار هذه العلاقة يتحول الطرف العربي إلى

[1] محمد عابد الجابري، **المرجع السابق**، ص 43.
[2] الطيب التيزيني، **"الواقع العربي والألفية الثالثة"**، ضمن: ندوة دورات في الفكر، الواقع العربي وتحديات الألفية الثالثة، مراجعة وتدقيق ناصيف نصار، مؤسسة عبد الحميد شومان، العدد03، عمان، 2001م، ص-ص-ص 17- 21- 42.
[3] نفسه، ص21.

واقع مستباح بحيث يقوم الطرف الأول الذي هو الغرب بتفكيك معالم الطرف الثاني الغربي وإعادة بنائه وفقا لمقتضيات السوق.[1]

فالحضارة الغربية بامتدادها العولمي الجديد تهتدي بروح القوة، وهي الروح الفاوستية التي ترى بأن الوطن هو أي مكان في الأرض يمكن السيطرة عليه بمنطق القوة والحرب، فالحياة وفقا لهذا العرف تجري وفقا لمبدأ الصراع والنزال من أجل السيطرة والسيادة، وهذا يعني أن الروح الغربية الفاوستية تتجسد في معاني الغلبة والصراع والتحدي والانتصار والقوة، وتلك هي الروح التي حدت بفلاسفة الغرب الفاوستيين أمثال هيجل ونيتشيه إلى تمجيد القوة وروح الحرب والانتصار، وهي التي دفعت أشبنجلر إلى الاعتقاد بأن الحرب هي الخالقة لكل ما هو عظيم وأن كل ما له معنى في الحياة قد ولد ونشأ عن النصر والهزيمة، وهذه الحضارة تسعى إلى هدم الحضارات القائمة وتذويب الخصوصيات الثقافية في سبيل بناء ثقافة غربية واحدة تكون لها السيادة والسطوة والهيمنة.

إن الخطر الأكبر في عملية العولمة أنها تفرض من الخارج، فهي ليست نتاجاً لتفاعلات بين الحضارات والمذاهب المتباينة على مستوى العالم ككل، وذلكم هو الأمر الذي يكشف بشكل أو بآخر، إن العولمة مرحلة معاصرة من مراحل الرأسمالية، أو كما يصفها منظرو ما بعد الحداثة بأنها مرحلة متأخرة من مراحل الحداثة في ظل ليبرالية جديدة أشار إليها البعض بأنها تمثل نهاية التاريخ، كما أشار إليها آخرون بأنها هجمة معاصرة للرأسمالية تستهدف تنميط العالم بالشكل الذي يخدم مصالح القوى الرأسمالية العالمية المسيطرة، وبالذات الشركات متعددة الجنسيات.[2] ومن هذا المنطق تشتد نزعة المعارضة والمقاومة لثقافة العولمة التي تحاول أن تعمم نموذجها التراثي وتفرضه على العالم بكل الوسائل الممكنة.

والتراث بوصفه الروح الداخلية للهوية يواجه تحديات العولمة التي تعمل على تفككه واختراقه وتدميره وإفراغه من محتواه الإنساني، حيث تتجه عمليات إحياء التراث...التي تتمثل في تعزيز النشاطات الثقافية التراثية التي خيرها الآباء والأجداد وإلى تأكيد الخصوصية الثقافية وتأصيل الهوية التراثية للمجتمعات العربية، ومع أهمية هذا الاحياء إلا أن هذه العمليات الإحيائية تتم بروح عولمية بمعنى أنها تعزز ما هو عالمي في الوقت الذي أريد لها أن ترسخ الخصوصية الثقافية وتؤكد الهوية الذاتية لهذه المجتمعات ويمكن

[1] الطيب التزيني، **المرجع السابق**، ص20.
[2] أحمد مجدي حجازي، "العولمة وتهميش الثقافة الوطنية"، **مجلة عالم الفكر**، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ديسمبر 1999م، ص139.

أن نقدم نموذجا عصريا لمثل هذا الاختراق التراثي الذي تمارسه ثقافة العولمة في التراث ويتمثل في سباق كأس دبي العالمية للخيول، فالغاية من هذا المهرجان هي خصوصية التراث العربي الأصيل بقيمه التراثية التي تتمثل في سباق الخيول وهو تقليد عربي قديم أصيل في التجربة والوعي والوجدان، بل هو في أصله نمط يومي من أنماط الحياة العربية في القرون التي حلت، ولكن عندما نلقي نظرة إلى مختلف مظاهر هذا المهرجان نجده أنه يأتي تأكيدا لمظاهر العولمة وبالتالي فإن هذا المهرجان بكامله لا يمت بصلة إلى التراث في عمقه فالمشرفون على السباق، وحكامه، ومنظموه، ومديروه، والأطباء والمعلقون جميعهم من الأجانب وليسوا من المواطنين أو حتى العرب، والأدهى من ذلك كله أن المتسابقين أغلبهم من الأوروبيين والآسيويين، ولا يفوتنا أبدا أن مدربي هذه الخيول والقائمين عليها هم من الأجانب بالمنطق، فما هي القيم التراثية التي يعنيها مثل هذا السياق؟ هل يعزز قيما تراثية مؤكدة للخصوصية أم هذه التي تؤكد القيم العالمية الزاحفة؟ أليس من المدهش أنه وفي الوقت نريد فيه أن نعزز تراثنا وخصوصيتنا تأتي جهودنا لتعزيز مظاهر العولمة والاختراق التراثي.[1]

وعلى هذا المنوال تأتي أغلب طقوسنا التراثية التي تأتي لتعزز العولمة وقيمها وأنماط الحياة الغربية في الوقت التي أريد لها أن تعزز قيمنا الثقافية ذات الطابع التراثي، ومثال ذلك أيضا رحلات التخييم التي تلجأ إليها أغلب الأسر عندما تخرج إلى البادية وهناك تضرب خيما للعيش حينا من الدهر على طريقة الآباء والأجداد، ولكن في هذه الخيم نجد كل مظاهر الحضارة الغربية من فيديو وتلفزيون وأطباق فضائية وسيارات وأفخم الطعام الذي يجلب من المطاعم والسؤال ما الذي بقي من قيم التراث ومن مظاهره في هذه الطقوس؟ هذا المثال وغيره من الأمثلة تؤكدان قيم الحضارة الغربية تتغلغل في أعماق حياتنا الثقافية وإننا في الوقت الذي نريد فيه إحياء تراثنا وتأكيد خصوصيتنا فإننا نفعل ذلك بأدوات غربية عولمية ولامناص من ذلك، وهنا يمكن القول مع عبد الخالق عبد الله "لم يعد بالإمكان إجراء فصل تعسفي بين المحلي والعالمي وبين الخاص العام وبين الذاتية والعالمية، لقد توصلت العالمية مع عالمنا الداخلي وأثرت على التصورات والمفاهيم والعادات والمتطلبات، كما أنها أثرت على السلوكيات والعلاقات والرغبات والطموحات.[2]

[1] سليمان نجم خلف، "العولمة والهوية الثقافية: تصور نظري لدراسة نموذج مجتمع الخليج والجزيرة العربية"، **المجلة الغربية للعلوم الإنسانية**، العدد61، السنة16، 1986م، ص-ص 53-91.

[2] عبد الخالق عبد الله، "البعد العالمي للثقافة الوطنية"، **دراسات**، العدد 09، السنة السادسة، 1995م، ص207.

إن دخول العولمة المجتمعات سيفقدها حتما جزءا كبيرا من ذاكرتها وهذا بدوره سيؤدي إلى كارثة تراثية يمكنها أن تدمر أهم عناصر الهوية في مجتمعاتنا العربية.

وهذا يعني أنه يجب علينا المحافظة على الذاكرة التراثية وحماية الثقافة الأصلية المتجددة التي تأخذ أشكالا فنية متعددة تبدأ من الحكايات والأساطير الشعبية والأغاني الشعبية سواء تلك الطقسية كأغاني البحارة والحصادين أو أغاني الأمهات للأطفال، حكايات المعارك، والأزياء الفلكلورية وأدوات الحصاد، والأدوات التقليدية التي يستخدمها الصناع وأرباب العمل، أدوات الحرب التي تحتاج لذاكرة تحفظها كصورة قبل حفظها ماديا، وصولا إلى نداءات الباعة المتجولين وحكايات المارات، وهي التي تشكل بمجموعها نسقا من الموارد التراثية المعرفية الضرورية لبناء ثقافة الأمة وهويتها.[1]

4-تحديات التراث الثقافي للعولمة:

يمكن تشبيه العولمة بالمصباح والتراث بالفراشة وفي علاقة الفراشة بالمصباح يجب على الفراشة ألا تقترب كثيرا فتحترق وألا تبتعد كثيرا فتموت من الصقيع وهذا يعني أنه عليها أن تحافظ على مسافة تمكنها من أن تحض بالدفء، دون أن تحترق ودون أن تموت من البرد.

أن تبني ثقافة العولمة يعني الذوبان فيها وبالتالي فإن الهروب منها إلى الأمام أو إلى الخلف يعني الالتحام بها فإن أنت أقدمت عليها تعرضت للذوبان فيها وإن أنت هربت تعرضت للتجميد، وإنك أن هربت منها هربت إليها لأنها تحيط بالمجتمعات الإنسانية من الأعلى إلى الأدنى ومن العمق إلى السطح وهي تعتمد في قوتها على قوة الضوء والصورة والومض والإختراق، حيث تحيط بالكون الإنساني في ثورة إشعاعات فتخترق الجدران والأعماق ولا تستطيع المجتمعات أن تهرب منها لأنها قد أصبحت قدرا ثقافيا، وبالتالي فإن أية محاولة للهروب منها هي مجازفة.

وفي هذا السياق هناك نص تراثي حيث يقول هذا النص التراثي: "بينما كان وزير شاب يتجول في سوق بغداد، التقى في طريقه بامرأة ذات نظرة مزعجة مرعبة وكأنها ملك الموت بنظرته المرعبة، فتأكد بأنها الموت الذي يبحث عنه، وذهب مذعوراً إلى خليفة البلاد فحكى له ما رآه وباقتناع الخليفة والوزير بأن موت هذا الأخير سيكون في بغداد، أصبح من الحكمة أن يغادر الوزير بغداد إلى مكان آخر. وهكذا نصحه أن

[1] مهند صلاحات، "تراثنا...الأمانة التي نفرط بها حول ضرورة توثيق الذاكرة الشفوية"، **مجلة الحوار الممدن**، العدد 2009م، يوم 05 ديسمبر 2007م، ص-ص142-143.

يختار أحسن فرس في الأساطيل ويرحل إلى سمرقند، وعند آخر النهار خرج الخليفة ذاته إلى ساحة السوق والتقى بملك الموت الذي أخاف الوزير فسأله قائلا: "لماذا أخفت وزيري هذا اليوم؟ وأجاب ملك الموت: "لم أرد تخويفه بل وببساطة فوجئت بلقائه هنا في بغداد لأن موعدي معه في سمرقند وسأنتظره هذا المساء هناك".[1]

في هذه الرائعة الأدبية إشارات وتلميحات بأن العولمة أصبحت قدراً ثقافيا وبأننا عندما نهرب من العولمة نلاقيها إلى حيث تردي هي، وهي تريد بالتأكيد تجميد تراثنا وتدميره بفعل التجمد والتقلص والتصدع والانفجار، فالوزير الذي فرّ من الموت في بغداد واجه الموت في سمرقند وكأنه كان يسعى إلى موته بإرادته وجهده وأن جهده في تجنب المصير لم يؤخر ولم يقدم، والعبرة أنه لا يمكن لإنسان إن ينفلت من مصائر الأقدار، وما كان على الوزير أن يسعى إلى تجنب المصير بل كان عليه أن يواجه ويتحدى لأن في المواجهة فرص أكبر للنجاة.

ويعلمنا التراث كثيرا من الحكمة في مواجهة الخطر حيث يقول المثل الشعبي "إذا واجهت الأسد فلا تهرب منه لان الهروب يعني الموت المحتم وفي الوقوف أمامه بحذر دون مقتل الخوف فرصة للنجاة أكبر. وتفيد هذه الأمثلة أن الموقف الصحيح من العولمة تكون بالمواجهة النقدية وبامتلاك القدرة على المشاركة فيها إبداعاً ونشاطا وحيوية لا هروبا منها أو هروبا إليها، وقدر المجتمعات التي تريد أن تحافظ على وجودها التراثي أن تبتدع دينا مكيات جديدة ومبتكرة لمواجهة العولمة دون هاجس السيادة والندبة أو هاجس القضاء عليها كما يفكر البعض أو الهيمنة على حركتها ومسارها، وهنا يصح المثل الشعبي الذي يقول:"إذا نجوت من الأسد فلا تطمع في صيده".

خاتمـــة :

التراث هوية ثقافية إنسانية جامعة إنه التاريخ الذي يحيا بين جوانحنا ويتأصل في وجدان أمتنا نبضا بالحياة والحب والجمال والحكمة والعطاء الإنساني، أنه نواة الهوية الوطنية ونسخ وجودها، منه ننهل حكمتنا ونستلهم فيض قدرتنا على الحياة نستوجب أفاقها الإنسانية عبر الفن واللغة والقصة والأدب والأسطورة والتاريخ، والتراث كينونة فينا نصقله وندفعه بأمانة إلى الأجيال التي تلينا إرثا إنسانيا ينير لهم دروب الحياة في مواجهة الحب والحياة والموت والفرح والأحزان، والتراث لا نرثه بل نحن مؤتمنون عليه وديعة ثقافية

[1] محمد بو بكري، "التربية والحرية، من أجل رؤية فلسفية للفعل البيداغوجي"، **مجلة إفريقيا الشرق**، بيروت، 1997م، ص 111.

لأطفالنا وأحفادنا من بعدنا يضمن لهم هويتهم ويضفي على حياتهم معنى ودلالة وقيمة إنسانية. وهنا وليس يجد علينا أن نجدد فيه ونطور في فنونه وعلومه ونبدع في تقديمه للأجيال دفئا ثقافيا يمكنهم من الحفاظ على هويتهم ووجودهم، وإذا كنا لا نستطيع أن نجدد فيه فإننا يجب علينا حمايته من الاندثار والتداعي والسقوط وهكذا يجب علينا أن نعمل على تدوينه وتصنيفه، كما يجب علينا تدريسه وتعليمه وتأكيد أهميته صونا له من الاندثار والهزيمة والاندحار.

وعلينا في هذا المستوى من أهمية الحفاظ على تراثنا وإحيائه وأن نستفيد من تجارب الأمم الأخرى التي حافظت على هذا الأخير وضمنت له أسباب الحياة والبقاء، فالفكر الأوروبي كان ولا يزال يتجدد من داخل تراثه وفي الوقت نفسه يعمل على تجديد هذا التراث، تجديده بإعادة بناء مواده القيمة واغنائه بمواده الجديدة، لقد أعاد الأوروبيون كتابة تاريخهم ولقد رتبوه حسب العصور وجعلوا من كل قرن حقبة تتميز بخاصية معينة، لقد عملوا على سد الثغرات وإبراز عناصر الوحدة وتاريخهم الثقافي مبرزين منه ما سيتجيب لاهتماماتهم مهمشين ما لا يستجيب، مستعملين المقص لإضفاء المعقولية على صيرورته وتموجاته.

وأخيرا يمكن القول أن الاهتمام بالتراث يشكل ضرورة تاريخية حيوية بأنه يشكل العمق التاريخي الحي لوجودنا وكنزا ثقافيا ثري لا يفن لأجيال تريد أن تحقق وجودها وهويتها أن لابد من العمل على تنمية القيم الايجابية في هذا التراث والاستفادة منها في بناء الحاضر والمستقبل، ولابد لنا في ذلك كله من الانفتاح على الآخر والاستفادة من حضارته وقيمه وعلومه الإنسانية وأن نعمل على أن ننطلق من هذا التراث الخلاق لا أن ننغلق فيه.

قائمة المراجع:

1. بو بكري محمد، "التربية والحرية، من أجل رؤية فلسفية للفعل البيداغوجي"، **مجلة إفريقيا الشرق**، بيروت، 1997م.
2. التيزيني االطيب، "الواقع العربي والألفية الثالثة"، ضمن: **ندوة دورات في الفكر، الواقع العربي وتحديات الألفية الثالثة**، مراجعة وتدقيق ناصيف نصار، مؤسسة عبد الحميد شومان، العدد03، عمان، 2001م.
3. الجابري محمد عابد، "**التراث والحداثة**"، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت، 1999م.
4. جدعان فهمي، "**نظرية التراث**"، دار الشروق، عمان، 1985م.
5. حجازي أحمد مجدي، "العولمة وتهميش الثقافة الوطنية"، **مجلة عالم الفكر**، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ديسمبر 1999م.
6. حنفي حسن، "**الجذور التاريخية لأزمة الديمقراطية في وجداننا المعاصر**"، ضمن مركز دراسات الوحدة العربية الديمقراطية وحقوق الإنسان في الوطن العربي، بيروت، 1986م.

7. خلف سليمان نجم، "العولمة والهوية الثقافية: تصور نظري لدراسة نموذج مجتمع الخليج والجزيرة العربية"، **المجلة الغربية للعلوم الإنسانية**، العدد61، السنة16، 1986م.

8. السلحوت جميل، "الموقف العقلاني من التراث ومجزرة الطير اللي طاير"، **موقع دنيا الرأي**، يوم 09 مارس 2007م.

9. السيد محمود، "عصرنة التراث"، **مجلة التعريب**، العدد 20، ديسمبر 2000م.

10. صلاحات مهند، "تراثنا...الأمانة التي نفرط بها حول ضرورة وثيق الذاكرة الشفوية"، **مجلة الحوار الممدن**، العدد 2029م، يوم 05 ديسمبر 2007م.

11. زيدان يوسف، "**مفهوم التراث**"، موقع إسلام أون لاين.

12. عبد الله عبد الخالق، "البعد العالمي للثقافة الوطنية"، **دراسات**، العدد 09، السنة السادسة، 1995م.

13. المقطرى وضاح، "بحثا عن المستقبل للهوية: الموروث الشعبي، كيف يجيء الماضي في الحاضر، ولا تختطف المستقبل"، **موقع يمان الالكتروني**.

14. النفيسي عبد الله فهد، "**التراث وتحديات العصر**"، الريعان للنشر والتوزيع، ط1، الكويت، 1986م.

15-وتار محمد رياض، "**توظيف التراث في الرواية الغربية المعاصرة**"، منشورات إتحاد كتاب العرب، دمشق، 2002م

التنمية الاجتماعية: إضاءات مفاهيمية

د/ عائشة بن النوي.

جامعة باتنة01 ـ الجزائر.

الملخص:

وتهدف الورقة البحثية إلى معالجة ضمنية لمفهوم التنمية الاجتماعية، وما يميز مفهوم التنمية عن النمو ثم اتسعت الدراسة فبينا أن مفهوم التنمية قد اتسم بنزعة تطورية خرج بها من منطق الثبات والإطلاق، إلى القدرة على التطور والتغيير ليتلاءم مع مستجدات الحياة، ومع ديناميات التطور المعرفي في مجال الفكر التنموي، وضمن هذه الدراسة استطعنا أن نرصد تطور مفهوم التنمية الاجتماعية وبما اكتسبته من خصائص ودلالات متغايرة بتغاير الظروف، وتطور الأحوال الاجتماعية، وقد تبين لنا أن المفهوم يؤكد لنا ارتباطه المتين بالأطر التاريخية والثقافية والاجتماعية وبتطور الحياة المجتمعية ضمن المفاهيم الأممية والإقليمية وبعض المؤسسات الدولية، وهذا كله يفسر الحضور الكبير للمعاني والتدفق في الدلالات عبر أهدافها ليتبلور في الأخير في أرقى نماذجها

الكلمات المفتاحية: التنمية، النمو، التطور، التغير الاجتماعي، التنمية الإجتماعية

Abstract:

The research paper aims to tacitly address the concept of social development, and what distinguishes the concept of development from growth and then widened the study, showing that the concept of development was characterized by an evolutionary tendency emerged from the logic of stability and release, to the ability to evolve and change to fit with the developments of life, and with the dynamics of cognitive development In the field of developmental thought, and within this study we were able to monitor the evolution of the concept of social development and the acquired characteristics and connotations varying with different circumstances, and the development of social conditions, it has been shown to us that the concept confirms our strong link to historical, cultural and social frameworks and development Community life within the UN and regional concepts and some international institutions, all this explains the large presence of the meanings and connotations in the flow through its objectives to materialize in the latter in the finest models

Keywords: development, growth, development, social change, social development

مقدمة:

التنمية مهما اختلفت تعاريفها فهي عملية ترمى إلى إحداث التغير في المجتمع من حالة إلى أخرى، ومن الصعوبة الاعتماد على تعريف واحد للتنمية، قد يتناول جانبا واحدا، أو عدة جوانب من التنمية دون البعض الآخر، ولقد أخذ المفكرون في تصور أبعاد اصطلاح التنمية كل بحسب المنطلق الذي ينطلق منه، فأصحاب نظرية التحديث يعتبرون أن الدول النامية حاليا توجد في مرحلة متخلفة عن تلك التي بلغتها الدول الصناعية المتقدمة، ويأخذون بفكرة النمو التدريجي المستمر، ويسود الاعتقاد بأن العالم الغربي هو الذي يقوم بنشر التنمية ويساعد الجزء الآخر من العالم المتمثل في أسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، فالدول المتقدمة هي أمل المستقبل بل هي المثل الذي يجب أن تسير الدول النامية على خطاه، ويذهب "فرانك " ان الرأسمالية تفترض أن التنمية ما هي إلا عملية تطور من دول نامية إلى دول متقدمة.

مما لاشك فيه أن موضوع التنمية الاجتماعية، أصبح يشغل مكان الصدارة بين موضوعات الاهتمام في العلوم الاجتماعية حتى أن بعض الدراسين يعتقد أنه موضوع العصر وقضيته، وتزداد أهمية هذا الموضوع لمجتمعات الدول النامية التي أصبحت تعتمد على التنمية أساسا لرفع مجتمعاتها نحو الأخذ بأساليب التقدم والتحديث، لذلك فإننا كمجتمع نام نجد أنفسنا ملزمين في كافة جوانب المجتمع، والتنمية هي عملية شاملة تتصل بالعلاقات الاجتماعية والبنى المؤسسية والثقافية والقيم والأطر الثقافية وبحجم الإنتاج، ووسائله والتنمية عملية حضارية تستهدف في جانبها الثقافي أساليب الحياة وطرائق العيش لأفراد المجتمع، وعليه فإن مفهوم التنمية يعني انبثاق ونمو كل الإمكانات والطاقات الكامنة في كيان معين بشكل كامل و شامل ومتوازن(**هناء حسن هناء سدخان، 2016 ، ص 272**)، سواء كان هذا الكيان فردا أم جماعة أم مجتمعا، ومن هذه الإمكانات طاقة الموارد البشرية التي تتطلب إزاحة كل العوائق التي تحول دون انبثاق إمكاناتها والتي تتطلب توفير ما يكفل تنميتها، وضمن هذا السياق ونتيجة للتطورات على مستوى النظري وكذا المشاهدات المرتبطة بمفهوم التنمية و تحقيقها، دخل مصطلح التنمية الإجتماعية، حيز التداول كما ان تحديد تعريفا محددا للمصطلح فإن ذلك يبقى وحتى اليوم يخضع لإتجاهات وتيارات وزوايا نظر مختلفة تتحدد تبعا للتخصصات والاهتمامات العلمية

1.إشكالية الدراسة:

ترتسم إشكالية الدراسة على إيقاعات الإشكالية التي يطرحها المفهوم نفسه بما ينطوي عليه من صعوبات وتعقيدا نظرا للتطورات الهائلة التي أيقظت مضاجعه منذ نصف الثاني من القرن التاسع عشر

حتى اليوم حيث شكل مفهوم التنمية والتنمية الاجتماعية، جدلا وحورا وصراعات إيديولوجية ما انقطعت يوما، وقد لا تنقطع في قادم الأزمنة، فمفهوم التنمية الاجتماعية مفهوم مصيري وثيق الصلة بمفهوم التطور والنهضة والحضارة، ومن هنا تنشأ ملحمة التعقيد والصعوبة حيث يميل هذا المفهوم، لا بل يعتمد في قياس دورات تطور الأمم كما يشكل الرافعة التي تنطلق منها الشعوب في بناء حضارتها و نهضتها، ويتمثل هذا المفهوم في ذاته الصبغة التطورية فهو من أكثر المفاهيم قدرة على التغير والتغاير لأنه يرتبط بالتطور الإنساني ولذا فهو في تجديد دائم من ناحية تشكله وإعادة إنتاج نفسه في صور مختلفة تناسب كل مرحلة تاريخية من مراحل التطور الإنساني

وعليه فإن التساؤل الذي نود طرحه والذي هو إجابة لإشكالية الدراسة و يتمثل فيمايلي: ماهي اهم السمات والملامح مفهوم التنمية؟ وماذا نقصد بالتنمية الاجتماعية؟ وماهي أهم الإضاءات النظرية والمفاهيمية المفسرة لها ضمن إختلاف التوجهات؟ وماهي أهدافها و نماذجها؟

2.سمات وملامح مفهوم التنمية

1.2 التنمية لغة واصطلاحا:

***مفهوم التنمية لغة**

مفهوم التنمية كغيره من المفاهيم والمصطلحات المرتبطة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية حيث التعدد والتباين في المعنى والمضمون خاصة في المصطلحات المترجمة، ونجد أن المفهوم في اللغة العربية يختلف عنه في اللغة الإنجليزية حيث يشتق لفظ (التنمية) من نمى، وورد في لسان العرب النماء: الزيادة نمى، ينمى، نميا ونميا ونماء زاد وكثر أي بمعنى الزيادة و الإنتشار–وربما قالوا ينمو نموا(**لسان العرب، 2005 ، ص363**)، أما مفهوم التنمية في اللغة الإنجليزية Development يعني: توسيع والتطور والذي ربما يتطلب التغيير الجذري للنظام القائم واستبداله بنظام آخر أكثر كفاءة وفعالية وقدرة على تحقيق الأهداف المرجوة والمنشودة، وذلك وفقا رؤية المخطط الاقتصادي الامر الذي أعطى المفهوم البعد الاقتصادي أو التقدم الاقتصادي(**مالك عبد الله المهدي، 2016، ص3**)

***مفهوم التنمية اصطلاحا**

في الاصطلاح التنمية لا ينتمي إلى علم واحد بل إلى عدد من العلوم و التخصصات المتباينة و لقد اختلف المفكرون الاجتماعيون فيما بينهم حول تحديد مفهوم التنمية وأبعادها و هناك العديد من التعريفات للتنمية وسنشير منها على سبيل المثال إلى الآتي:

التعريف الذي يرى أن التنمية تعني النمو المدروس على أسس علمية، والذي قيست أبعاده بمقاييس علمية سواء كان تنمية شاملة ومتكاملة، ذو تنمية في احد الميادين الرئيسية مثل: الميدان الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، أو الميادين الفرعية كالتنمية الزراعية، والصناعية والتقنية فالتنمية تغيير اجتماعي مخطط يقوم بها يقوم بها الإنسان للإنتقال بالمجتمع أو المجتمع المحلي من وضع إلى وضع أفضل بما يتفق مع احتياجاته و إمكانياته الاقتصادية و الاجتماعية والفكرية(**عبد الهادي الجوهري، 1999، ص69-70)**

أما **تنمية المجتمع المحلي:** تعني في الاصطلاح الذ يستعمل في ترجمة كلمة community والتي تناظر مصطلح مجتمع society والتفريق بين الاصطلاحين في علم الاجتماع يرجع أن المجتمع المحلي يشير إلى البناء الاجتماعي المعين الذي يتسم بالعلاقات الخاصة، والتي تتميز بالتشابه في التكوين و بالقوة في نسيج العلاقات التي يغلب عليها طابع المواجهة والصبغة الشخصية وسيادة التقاليد والقيم المحلية في السلوك وبدرجة عالية من الضبط الاجتماعي

2.2مدخل في مفهوم ومضمون التنمية

برز مفهوم التنمية Development بداية في علم الاقتصاد حيث استخدم للدلالة على عملية إحداث مجموعة من التغيرات الجذرية في مجتمع معين، وذلك بهدف إكسابه القدرة على التطور الذاتي المستمر وبمعدل يضمن التحسن المتزايد في نوعية الحياة لكل أفراده، بمعنى زيادة قدرة المجتمع على الاستجابة للحاجات الأساسية والحاجات المتزايدة لأعضائه، بالصورة التي تكفل زيادة درجات إشباع تلك الحاجات عن طريق الترشيد المستمر لاستغلال الموارد الإقتصادية، وحسن توزيع عائد ذلك الاستغلال، وقد أخذت مفاهيم ومقاربات محددة على فترات، نستعرض أبرزها:

1.2.2.مرونة مفاهيم التنمية: يصف البعض مفهوم التنمية بالغموض ويبرر ذلك بكونه يتضمن ثلاثة صور ذهنية متلازمة في كل جهد يبذل من أجل فهم ظاهرة التنمية والتعامل معها وهي التنمية كظروف حياة، وكهدف يراد بلوغه وكقدرة على النمو والتغير والتطور

ولتمييز مفهوم النمو الاقتصادي عن مفهوم التنمية الاقتصادية عرف كل من "شومبيتر" و"مسز يورسولا هيكس"، الأول على أن المراد به تحقيق الارتفاع المستمر في متوسط دخل الفرد الحقيقي كما هو عليه في الدول الرأسمالية المتطورة، أما الثاني فيتطلب إجراء تغيري في الهيكل الاقتصادي والاجتماعي لتحقيق تغيير جذري في أسلوب الإنتاج السائد وفي سلوك الأفراد الإقتصادية، إضافة إلى تحقيق ارتفاع مستمر في متوسط دخل الفرد(**الهادي عبدو أبوه، 2015 ، ص 147**)

كما كانت **التنمية** تعرف بأنها الزيادة السريعة والمستمرة في مستوى الدخل الفردي عبر الزمن(**ضياء مجيد الموسوي، 2013، ص72**) بل إن البعض قد ذهب إلى إعطاء تحديد كمي للزيادة السنوية المطلوبة في الناتج القومي المحلي، استنادا إلى خبرة الدول المتقدمة في مراحل تطورها المبكرة وإلى معدلات التزايد السكاني في الدول النامية. فعرفت **التنمية** بأنها الحالة التي يكون فيها الاقتصاد القومي قادر على توليد زيادات متواصلة في الناتج القومي المحلي بمعدل يتراوح بين 5%و 7% سنويا وهو ما يعني تحقيق زيادة متواصلة في مستوى الدخل الفردي الحقيقي بمعدل يتراوح بين 2% و4% سنويا (بفرض أن معدل النمو السكاني هو 3% سنويا)

انتقل مفهوم **التنمية** في حقل السياسة منذ الستينيات من القرن العشرين حيث ظهر كحقل منفرد يهتم بتطوير البلدان بتطوير البلدان الغير الأوروبية تجاه الديمقراطية، وتعرف **التنمية السياسية:** بأنها عملية تغيير اجتماعي متعدد الجوانب، غايته الوصول إلى مستوى الدول الصناعية"، ويقصد بمستوى الدولة الصناعية إيجاد نظم تعددية على شاكلة النظم الأوروبية التي حققت النمو الاقتصادي والمشاركة الانتخابية والمنافسة السياسية، وترسيخ مفاهيم الوطنية والسيادة والولاء للدولة القومية، تطور مفهوم **التنمية** ليرتبط بالعديد من الحقول المعرفية، فأصبح هناك **التنمية الثقافية** التي تسعى لرفع مستوى الثقافة في المجتمع وترقية الإنسان، وكذلك التنمية التي تهدف إلى تطوير التفاعلات المجتمعية بين أطراف المجتمع: الفرد، الجماعة، المؤسسات الاجتماعية المختلفة، المنظمات الأهلية، بالإضافة أُستحدث مفهوم **التنمية البشرية**(**إبراهيم العيسوي، 2001، ص18**) الذي يهتم بدعم قدرات الفرد وقياس مستوى معيشته و تحسين أوضاعه في المجتمع

–وتعرف **التنمية** على أهنا العملية التي يمكن بها توحيد جهود كل من المواطنين والحكومة لتحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية في المجتمعات المحلية، لمساعدتها على الاندماج في حياة الأمة والمساهمة في تقدمها بأقصى ما يمكن(**كامل عبد الملك، 2008، ص20**)

–والمهم من منظور تحديد "**مفهوم التنمية** "هو أن خبرة التنمية في الخمسينيات والستينيات قد جعلت الاهتمام يتحول من النمو الاقتصادي إلى قضايا التفاوت والعدالة في توزيع الدخل وإزالة الفقر والقضاء على التعطل، وبعد ما كان النمو الاقتصادي هو الملك المتوج الذي ينفرد وحده بعرش التنمية، اشتد الهجوم عليه وتصاعدت موجات المطالبة بخلعه من العرش أو على الأقل بإفساح مكان على عرش التنمية إلغاء الفقر وتضييق الفجوة بين الأغنياء والفقراء وتوسيع فرص العمل وإشباع الحاجات الأساسية، وذلك إلى جانب النمو الاقتصادي(**إبراهيم العيسوي، 2001، ص 16**)

–فيما عرف "**مفهوم التنمية**" المؤتمر الدولي الحادي عشر للخدمة الاجتماعية الذي عُقد في البرازيل عام 1962 ،بأنه يعني "النمو زائد التغيير في الإتجاهات السلوكية والاجتماعية و الاقتصادية–وعرفت الأمم المتحدة "**التنمية**"(**الأمم المتحدة، 1988 ، ص1**) في الإعلان العالمي "**الحق في التنمية**" بأنها عملية اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية شاملة تستهدف التحسين المستمر لرفاهية السكان بأسرهم والأفراد جميعهم على أساس مشاركتهم النشطة والحرة والهادفة، في التنمية وفي التوزيع العادل للفوائد الناجمة عنها.

–وحسب تقرير **برنامج الأمم المتحدة الإنمائي** عن **التنمية** للعام 1992 ،فإن التنمية هي: "عملية توضع في إطارها السياسات الاقتصادية والمالية والتجارية والزراعية والصناعية لتفضي إلى تنمية لها أثر باقي من النواحي الاقتصادية والسياسية والبيئية، ومع ذلك فالتنمية تتطلب المشاركة الايجابية لجميع أعضاء المجتمع كما أنها تشمل عناصر الإنتاجية والإنصاف والعدالة الاجتماعية، والاستدامة، والتمكن حيث أن(**الصندوق الاجتماعي للتنمية، 2011، ص14**):

- عنصر الإنتاجية يعني توفير الظروف للإنسان ليتمكن من رفع إنتاجيته وإشراكه مشاركة فاعلة في توليد الدخل و في العمالة بأجر
- عنصر الإنصاف والعدالة يعني تساوي الناس في الحصول على نفس الفرص
- الاستدامة وهي مؤسسة بمفهومها الشامل من خلال تعزيز دور المؤسسات الحكومية وغير الحكومية مما يجعلها تساهم في ديمومة التنمية.
- ويقصد بالتمكين تعزيز قدرات الأفراد في مختلف المجالات والمستويات حتى يستطيعون المشاركة الفاعلة في التنمية

–أما **التنمية**(**الهنداوي حسن، 2008 ، ص26**) من منظور إسلامي فتعنى "عملية تطوير وتغيري قدر الإمكان نحو الأحسن فالأحسن وتكون مستمرة وشاملة لقدرات الإنسان ومهارته المادية والمعنوية تحقيقا لمقصود

الشر من الاستحلاف في الأرض برعاية ولي الأمر ضمن تعاون إقليمي وتكامل أممي بعيد عن أي نوع من أنواع التبعية"

3.الإختلافات ما بين المفاهيم وعلاقتها بمفهوم التنمية

1.3 مفهوم التخلف و علاقته بمفهوم التنمية:

ويستلزم التعرض لمفهوم التنمية و دراسة مفهوم التخلف Underdevelopment والذي يرجع التداول وظهور مفهوم التخلف إلى التغير السريع في المجالات السياسية والاقتصادية، وبتحليل مفهوم التنمية والتخلف نجدهما يشتملان على عناصر غير محددة من الأوزان المندمجة مع بعضها البعض، في مصطلح الفقر الذي يدفع إلى التنمية للخروج من دائرته، فلا يقصد بالتخلف غياب عنصر التنمية، فقد يعني به أن الدولة متخلفة إذا ما قورنت بمستويات التنمية في الدول الأخرى، ومن أهم وظائف دراسة التنمية والتخلف بحث حدود العلاقات الموجودة داخل النسق الإجتماعي إذ تعتبر تلك العلاقات مؤشرا لمستوى التخلف وقد تتناول دراسة التخلف إجراء مقارنة بين فترتين زمنيتين في تاريخ مجتمع ما، أو بإجراء مقارنة بين مجتمعين متزامنين من حيث حالة التخلف التي يعانيان منها، وقد ذهب فرانك" إلى أن "التنمية "والتخلف" ما هما إلا وجهان لعملة واحدة، فكلاهما هو النتيجة الحتمية والمظهر المعاصر للتناقض الداخلي**(Gunder, 1971, p33-34)**

2.3 مفهوم النمو وعلاقته بمفهوم التنمية

وننتقل إلى نقطة أخرى وهى أن مفهوم التنمية development يختلف عن مفهوم النمو growth فهذا الأخير يمكن أن يكون كما وتراكميا لا يشترط المساواة بل ويمكن أن ينطوي على الاستغلال كما أن النمو بهذا المعنى يمكن أن يكون غير متوازن ويمكن أن يكون طفيليا يضر بالكيانات المحيطة التي ينمو على حسابها، بينما "**التنمية**" بمعناه التحرر تنطوي على التوازن والشمول والمساواة، فإذا انطوت (التنمية بمعناها التحرري) على تراكم فهذا التراكم يكون كيفيا وكميا على السواء ولا ينطوي على استغلال كيان لكيان آخر(**فؤاد موسى، 1977، ص68**) وعلى ذلك "فالنمو" يشير إلى الزيادة الثابتة أو المستمرة التي تحدث من جانب معين من جوانب الحياة، بينما التنمية عبارة عن زيادة سريعة وتراكمية ودائمة خلال فترة من الزمن "فالنمو" يحدث عادة عن طريق التطور البطيء والتحول التدريجي، بينما التنمية تمثل الدفعة القوية Big push لكي تخرج المجتمع من حالة الركود والتخلف وهذه الدفعة هي عكس عملية التطور والتدرج، أن التغير الذي يحدث عل عملية النمو يكون ضئيل

وهي قرب إلى التغير الكمي منه إلى التغير الكيفي، بينما التغير الذي يسبق عملية التنمية أو يتحصل عنها فهو تغير يتناول الجوانب البنائية والوظيفية**(World Development Rapport, 1980 , p6)** أي أنه أقرب إلى التغير الكيفي منه إلى التغير الكمي فضلا عن أن النمو يعنى بجانب واحد من الحياة كالنمو الاقتصادي أو النمو السياسي في حين أن التنمية تمثل جوانب الحياة على اختلاف صورها وقد تحدث تغيرات كيفية عميقة وشاملة فيها

3.3 مفهوم التقدم وعلاقته بالتنمية

مفهوم التقدم هو Progress مفهوم زاخر بالمدلولات التي تعنى التغير... والتغير هنا من المفترض أن يؤدى إلى الأفضل ويحقق إيديولوجيات التقدم، إن الفكرة العصرية عن التقدم تتميز بتصورها للإنسان أنه خالق المعرفة والعمل الرئيسي في عملية التقدم، وفى تصورها للبشرية جمعاء بوصفها هي الفاعل والمستفيد النهائي من هذه العملية

إن إيديولوجيات التقدم في صورتها الأوربية الغربية لأمريكية قد سلمت واعترفت جزئيا بمجموعة من التغيرات المترابطة ببعضها والتي يمكن توضيحها فيما يلي

لقد تسبب تطور وانتشار المعرفة والعلم والتكنولوجيا في تزايد الرخاء المادي، وكل هذا معا قد أدى إلى تزايد المشاركة السياسية وظهور التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الحديثة، وبالمثل فإن تطور التنظيمات الحديثة أسهم بالتالي في نمو وانتشار المعرفة ونمو التكنولوجيا وفى تزايد الرخاء بمعنى أن العلاقة والتأثير متبادلات بينهما (التقدم والرخاء المادي) إلا أن ذلك لم يقترن بتزايد الشعور بالرضاء لدى الإنسان نتيجة لحدوث هذا التقدم**(Almond et all, 1982, p8-9)**، وإن إشكالية التقدم لا يمكن أن ننسبها إلى فشل (نسق التقدم) لأن هذا النسق قد حقق في بعض الجوانب نجاحا غير عادى خاصة في الغرب.

وبمعنى أن التقدم وهو استمرار وتزايد تعميم الرخاء المادي قد بدأ يقترب من حدوده القصوى بالنسبة للغرب ولكن ليس بالنسبة للدول النامية الفقيرة، والتقدم هو ما يتحقق من مكاسب في مجال المعرفة الإنسانية في تمكين الإنسان عالم الطبيعة، غير أن هذه المكاسب لم تكن ممكنة فحسب بغير إزالة كافة القيود الممكنة التي تحقق حرية الفرد في التفكير والعمل والإبداع .وهكذا صار مقياس التقدم هو درجة ما يتمتع به شعب ما أو أمه من الحرية، إن التقدم هو التغير نحو الاتجاه المرغوب فيه، من قبل المجتمع وهو تغيير في اتجاه التحسن يتعذر منعه، وهو بدء التنمية من الريف وارتفاع مستوى الخدمات الضرورية

بها، وتحسين مستوى المعيشة للأفراد في الريف والحضر، وتحقيق الأمن الغذائي والاهتمام بمشروعات تحقيق الأمن الغذائي والتنمية الزراعية، والحافظ على الأراضي الزراعية ومنع استفادة أقلية من أصحاب هذه الأراضي على حساب المصلحة العامة، وحل المشكلة السكانية فهي أولى المشكلات التي تعوق التقدم والتنمية، وثقة الشباب بمقدرتهم على التغيير إحداث التقدم في المجتمع عن طريق الاستفادة منهم (الشباب) وإدماجهم في تحقيق أهداف التنمية وفى صنع التقدم(**Nisbet, 1980, p190**)

4.ماهية التنمية الاجتماعية:

1.4.توجهات أكاديمية في تعريف التنمية الإجتماعية

يعتبر المتخصصون بالعلوم الإنسانية والاجتماعية التنمية الاجتماعية أنها تحقيق التوافق الاجتماعي لدى أفراد المجتمع، ويشمل ذلك الإشباع البيولوجي والنفسي الاجتماعي، بينما لدى المختصين في العلوم السياسية والاقتصادية هي الوصول بالإنسان إلى حد أدنى لمستوى المعيشة لا ينبغي أن ينزل عنه باعتباره حقا لكل مواطن تلتزم به الدولة.

*ويُعرفها المصلحون الاجتماعيون (**الهادي عبدوأبوه، 2015، ص148**) على أنها توفير التعليم والصحة و المسكن الملائم و العمل المناسب لقدرات الإنسان، وكذلك الأمن و التامين الاجتماعي، والقضاء على الاستغلال وعدم تكافؤ الفرص، في حني يرون الرجال الدين أنها الحفاظ على كرامة الإنسان باعتباره خليفة في أرضه، و تحقيقا للعدالة

*وتعرف أيضا على أنها تدل على عمليات التغير الاجتماعي" Social Change " التي تصيب البناء الاجتماعي عن طريق التطور الطبيعي والتحول التدريجي واستخدام مفهوم التنمية في المجال الاجتماعي يشير إلى الجهود التي تبذل لإحداث سلسلة من التغيرات الوظيفية والهيكلية اللازمة لنمو المجتمع عن طريق زيادة قدرة أفراد المجتمع على استغلال الطاقة المتاحة إلى أقصى حد ممكن لتحقيق أكبر قدر من الحرية والرفاهية للأفراد وبأسرع من معدل النمو الطبيعي.

* وتعرف "**التنمية الاجتماعية**" حسب مجالاتها ومبادئها على أنها "الجهود المنظمة التي تبذل وفق تخطيط مرسوم للتنسيق بين الإمكانات البشرية والمادية المتاحة في وسط اجتماعي معني بقصد تحقيق مستويات أعلى للدخل القومي والدخول الفردية ومستويات أعلى للمعيشة والحياة الاجتماعية في مختلف نواحيها.

وعلى هذا الأساس تكون **التنمية الاجتماعية** وسيلة ومنهجا يقوم على أسس عملية مدروسة لرفع مستوى **الحياة(نبيلة فالي، 2008، ص8)** وإحداث تغيير في طرق التفكير والعمل والمعيشة في المجتمعات المحلية النامية ريفية وحضرية مع الاستفادة من إمكانيات تلك المجتمعات المادية وطاقتها البشرية بأسلوب يوائم حاجات المجتمع وتقاليده وقيمة الحضارة والمدنية

في حين يرى علماء الاجتماع في **التنمية الاجتماعية** ما يخالف ذلك فهي في نظرهم " العملية التي تبذل بقصد ووفق سياسة عامة لإحداث تطور اجتماعي واقتصادي للناس وبيئاتهم سواء كانوا في مجتمعات محلية أو إقليمية أو قومية بالاعتماد على المجهودات الحكومية والأهلية المنسقة، على أن يكتسب كل منهما قدرة أكثر على مواجهة مشكلات المجتمع نتيجة لهذه العمليات**(شوقي عبد المنعم، 1961، ص43)**

وقصدت بعض الدراسات بالتنمية الاجتماعية ما أسمته ذلك المعنى المتعارف عليه في أدبيات علم اجتماع التنمية**(نبيل السمالوطي، 1970، ص119)** الذي يعرف **التنمية الاجتماعية** بأنها تغيير البنية الاجتماعية التي أصبحت غير قادرة على مسايرة أنماط الحياة المتطورة، وما يتبع ذلك من نشوء علاقات اجتماعية جديدة تحقق للأفراد المجتمع كل ما يطمحون إليه من إشباع حاجاتهم المعنوية والمادية

تعرف "**التنمية الاجتماعية**" أنها العملية الهادفة إلى إحداث تغييرات هيكلية ليتحقق بموجبها لأغلبية أفراد المجتمع مستوى مرتفع من الحياة الكريمة، التي تزول في ظلها بالتدريج مشكلات البطالة والفقر والجهل و الأمراض ويتوفر للمواطن قدرا أكرب من فرص المشاركة في توجيه مسار وطنه ومستقبله، أي أهنا عملية تغيير بنائي شامل، مقصودة ومخططة، ترمي إلى تحقيق عدة أهداف أهمها الارتقاء بالمستوى الاقتصادي والاجتماعي، ومن تحسين خصائص الأفراد المتنوعة، وبالتالي فالتنمية الاجتماعية ليست مجرد تقدم نوع معين من الخدمات و إنما تشتمل على حلقتين أساسيتين مها:

- تغير الأوضاع القديمة التي لم تعد تساير الأنماط الجديدة؛
- إقامة بناء اجتماعي يختلف عن البناء الاجتماعي القديم

كما يلخصها البعض في المحاور التالية **(الهادي عبدو ابوه، 2015، ص 150)**:

- تحقيق التوافق الاجتماعي (بمعنى تخفيف حدة الصراع داخل الشخص وبينه وبين البيئة إلى أقل حد ممكن)
- تنمية طاقات الفرد، وإكساب وتعميق القيم الروحية بما يؤدي إلى إحداث تأثيرات عميقة وإيجابية في بناء الشخصية وبالتالي في أنماط الممارسات السلوكية

- تأكيد الأمن والتامين الاجتماعي
- تحقيق العدالة و إتاحة تكافؤ الفرص
- تعديل الإتجاهات بما يتفق مع القيم الروحية

ويقسم عبد الباسط محمد حسن (**عبد الباسط محمد حسن، 1982 ، ص 92-95**) الإتجاهات النظرية التحليلية لمختلف تعريفات التنمية الاجتماعية إلى ثلاثة:

- **الإتجاه الأول:** وهي مرادف بين مصطلحي التنمية الإجتماعية والرعاية الاجتماعية(التي تعتبر أضيق)

الإتجاه الثاني: يقتصر هذا الإتجاه لمصطلح التنمية الاجتماعية، على الخدمات الاجتماعية التي تشمل التعليم والصحة والإسكان والتدريب المهين، وتنمية المجتمعات المحلية. وهذا المفهوم للتنمية الاجتماعية من أكثر المفاهيم شيوعا واستخداما، فالتنمية الاجتماعية تستثمر رأس المال في الطاقات البشرية وتسعى إلى تقديم الخدمات التي تعود بالفائدة المباشرة على الأفراد، وهذه الخدمات ينعكس أثرها على رفع المستويات الاجتماعية والمعيشية للأفراد من ناحية، وعلى زيادة كفايتهم الإنتاجية من ناحية أخرى(**اليمين بن منصور، 2010، ص39**)

- **الإتجاه الثالث:** يذهب منظور هذا الإتجاه إلى مفهوم أوسع، يناقش التنمية الاجتماعية في ضوء هدفها الرئيسي المتمثل في إشباع حاجات الأفراد وما يمكن أن يحدثه ذلك من تغيير على مستوى البناء الاجتماعي؛ وهذا الإتجاه يتجاوز الخدمات الاجتماعية التي أقتصر الاتجاه الثاني التنمية الاجتماعية عليها، فيضيف عليها:
  - تغير الأوضاع الاجتماعية القديمة التي لم تعد تساير روح العصر
  - تأسيس بناء اجتماعي جديد يؤسس لعالقات جديدة، وقيم حديثة، مما يمكن الأفراد من تحقيق أكبر قدر ممكن من رغباتهم

2.4.تعاريف مؤسسات الأمم المتحدة وبعض الدوائر الرسمية والإقليمية

يمكننا تحديد ثلاثة مفاهيم تدور حولها تعاريف الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية في مواثيقها

- **المفهوم القطاعي:** يتصدر مفاهيم الأمم المتحدة المفهوم القطاعي، الذي يهتم بشكل خاص بالخدمات كأحد غايات التنمية ومرتكزاتها، والتي هي هدف الاستراتيجيات التنموية، و تعبر عن علاقة وثيقة بين البعدين الاقتصادي والاجتماعي للتنمية(**طلعت مصطفى السروجي، 2001 ، ص28**)

- **المفهوم الفئوي**: يعتبر المفهوم الفئوي أحد المفاهيم الذي تسعى الأمم المتحدة من خلالها إلى معاجلة التهميش المبني على أساس فئوي. وتدخل في الفئات المستهدفة النساء والأطفال والشباب والعجزة، وأصحاب الاحتياجات الخاصة والمهاجرين والأقليات.
- **المفهوم الشكلي**: الذي يتناول مشاكل معينة متراكمة وبلغت حد الخطر يطلق عليها المواضيع ذات الأولوية، التي أخفقت الاستراتيجيات التنموية في معاجلتها، وتفاقمت حتى أصبحت تشكل خطر حقيقي .ينص أحد تعاريف الأمم المتحدة للتنمية الاجتماعية على أنها مجموعة الوسائل والطرق التي تستخدم بقصد توحيد جهود الأفراد مع السلطات من أجل تحسن مستوى المعيشة وإخراج المجتمعات من عزلتها لتشارك إيجابيا في الحياة القومية والتقدم الإنساني.

وتعرفها **إدارة الشؤون الاقتصادية والاجتماعية بالأمم المتحدة** على" أنها عملية تربوية تنظيمية، ذلك أنها في نهاية الأمر مجموعة من الإجراءات لتطوير الإتجاهات الاجتماعية لدى الأهالي وتشجيعهم على تقبل الأفكار الجديدة واكتساب المعلومات النافعة والمهارات العملية سواء بالنسبة للأفراد أو الجماعات. حيث يمثل كل هذا أبعادا أساسية في سبيل التوصل إلى عملية الانطلاق الذاتي(**نبيلة فالي، 2008 ، ص8**)

ومن خلال ديباجة إعلان كوبنهاجن و الذي أعطى تعريفا **للتنمية الاجتماعية** الذي يشير إلى أنها إعطاء الأولوية في السياسات والتدابير الوطنية والإقليمية والدولية للنهوض بالتقدم الاجتماعي والعدالة و تحسين حالة الإنسان، على أساس المشاركة الكاملة للجميع

وحسب **مؤتمر وزراء الشؤون الاجتماعية في أفريقيا (إبريل 1967)** والذي عُقد بالقاهرة فإن التنمية الاجتماعية عملية شاملة للتغيري والنمو"، حيث تقتضي عالجا متكاملا ومتوازنا بالنسبة لجميع مظاهر الرفاهية الخاصة بأعضاء المجتمع مع إدخال التغييرات في البناء الاجتماعي للوصول إلى هذه الغاية.

5. أهداف التنمية الاجتماعية

تهدف التنمية الاجتماعية في الأساس إلى تطوير التفاعلات المجتمعية في الإتجاه الإيجابي بين أطراف المجتمع، الفرد، الجماعة، المؤسسات الاجتماعية المختلفة، المنظمات الأهلية، وتستهدف التنمية الاجتماعية بشكل محدد و مجمل التغيير على مستوى البنائي من خلال استحداث أدوات اجتماعية تعمل بشكل إيجابي بما ينعكس على النظم و العلاقات السائدة في المجتمع وقد حدد مؤتمر الشؤون الاجتماعية

في إفريقيا في إبريل 1967 أهداف التنمية الاجتماعية(**عبد الباسط محمد حسن، 1982، ص96-97**) في الآتي:

- محو الأمية، وتعميم و تحسين التعليم، و التدريب المهني و العام على جميع المستويات و توفير تسهيلا التعليمية و الثقافية لجميع قطاعات السكان.
- ضمان حق كل فرد في العمل، والقضاء على البطالة ورفع مستويات العمالة في كل المناطق الريفية والحضرية مع توفير الظروف العادلة والملائمة للعمل.
- القضاء على الجوع ورفع مستويات التغذية.
- النهوض بالظروف السكنية و خدمات المجتمع و خاصة بين الفئات ذات الدخل المنخفض.
- القضاء على الظروف التي تؤدي إلى الجريمة والانحراف.
- تشجيع التوسع في ميدان التصنيع مع اتخاذ التدابير اللازمة لما يترتب على ذلك من مشكلات اجتماعية والقضاء على العقبات الاجتماعية التي تعوق التنمية الاقتصادية.
- مساعدة الأفراد والجماعات على مواجهة حاجاتهم وطموحاتهم المتغيرة حتى يتمكنوا من تأدية دورهم في النضال من اجل التنمية.

و تعتمد التنمية الاجتماعية على مجموعة من الحقائق في تحقيق الأهداف المنشودة للمجتمع تتمثل تلك الحقائق(**جمال حلاوة وآخرون، 2009، ص145**) في الآتي:

- إن الإنسان هو هدف التنمية وهو بؤرة التركيز في كل عملياتها.
- احترام كرامة الفرد والإيمان بقدرة الفرد والجماعة على تحقيق مستوى معيشي أفضل.
- محور التنمية هو شخصية الإنسان ذاته، وشخصية المجتمع من جميع النواحي، فالتنمية عملية متكاملة.
- إن المشاركة في السلوك الحقيقي للديمقراطية المشاركة في الحكم والعمل و تحقيق الإتجاهات هي أساس التنمية الإجتماعية الشاملة.
- التنمية الاجتماعية عمل إنساني ينسجم و طبيعة الإنسان كمخلوق اجتماعي سياسي يسعى دائما إلى القاء و الإستمرار مستعينا في ذلك بما يتمتع به من صفات اجتماعية.
- الإيمان بفاعلية التخطيط الموجه نحو عمليات التعامل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات والهيئات داخل المجتمع بشكل يسهم في معالجة مشاكل هذا المجتمع.

- ترتكز الدعوة إلى بناء مجتمع سليم يحقق لأبنائه توافقهم الاجتماعي، فالتنمية الاجتماعية هي محصلة الفضائل التي عرضها الإنسان منذ بدء الخليقة و على مر العصور والأجيال و التي تتمثل بعلاقة الإنسان بخالقه وبنفسه و بأسرته و جماعته، و لتحقيق هذه العلاقات يتجلى دور التنمية الاجتماعية في ذلك من خلال العمل على تغيير النظم بما يتفق و احتياجات الإنسان.
- تؤمن التنمية الاجتماعية بان المجتمع بناء و كيان اجتماعي يتكون من عناصر و أجزاء و نظم متماسكة و مترابطة و أن أي خلل في أي جزء منه يؤثر في الأجزاء الأخرى، وكذلك أي تعبير في أي جزء منه يعود على الأجزاء بالأثر القوي و التطور.

6. نماذج التنمية الاجتماعية

تتعدد آراء المفكرين والعلماء المهتمين بالتنمية الإجتماعية في وضع نماذج تتفق ومسار مراحل التنمية الاجتماعية، قصد الوصول إلى تنمية وتقدم المجتمع بما يتفق مع أيديولوجيته السائدة، و تختلف وجهات النظر حول المسمى ما بين النموذج الأكثر شيوعا و تتمايز النماذج حسب طريقة معالجتها للمشاكل المجتمعية ونظراتها للمجتمع(**الهادي عبدو أبوه، 2015، ص 161**) ويمكننا تفريق بين النماذج التالية حسب الآتي:

1.6 النموذج المرحلي: الذي يركز على مراحل سير العملية التنموية و الطريقة الأمثل للتعامل مع وضعيات المجتمع المستهدف المختلفة، بدون إهمال البناء الثقافي للمجتمع المستهدف ويتشكل هذا النموذج من مجموعة من مراحل:

أ. مرحلة ثبات المجتمع: في هذه المرحلة يكتفي المجتمع بأنماطه الثقافية السائدة فيه و يرفض غيرها

ب. مرحلة التركيز على العوامل الفردية: يتزايد احتياجات أفراد المجتمع بتزايد قدرته على إشباعها بتوازي مع نمو الأنماط الثقافية و تطورها مما يؤدي إلى قبول استخدام البرامج التنموية اللازمة

ت. مرحلة دخول بعض الأنماط الثقافية الجديدة: تبرز في هذه المرحلة حاجة المجتمع و تقبله أيضا لأنماط ثقافية جديدة لكن هذه الأنماط الوافدة تحتاج إلى عملية معالجة بما يتوافق مع ثقافة المجتمع المستهدف حتى يستفاد منها في برامج التنمية

ث. مرحلة التوازن: يسعى المجتمع في هذه المرحلة إلى معالجة الأنماط الثقافية الوافدة والاستفادة منها يتماشى مع ثقافته الأصلية مما يدعم برامج التنمية المختلفة

ج. مرحلة الاستقرار: يستقر المجتمع في هذه المرحلة و يسعى لإشباع احتياجات أفراده بما يتماشى مع أيديولوجيته مستفيدا من مراحل التطور التي مربها بما يحقق الأهداف

2.6. النموذج السلوكي: الذي يركز على الفرد في اتجاهاته وسلوكه و درجة مشاركته ومساهمته في فعاليات المجتمع و ينطلق من فكرة "تالكوت بارسونز" في الفعل الاجتماعي على أساس ما يصدر من الفرد ويكون له معنى لدى الآخرين ويتحدد هذا الفعل في ضوء معايير الجماعة و المجتمع

ويتم التركيز في هذا النموذج على الأفعال الاجتماعية لأفراد المجتمع والتي تتجسد في المشاركة في برامج التنمية والمساهمة في تحقيق الأهداف، مما يتطلب دراسة و تحليل نسق المجتمع لتحديد الأنماط السلوكية لأفراده

3.6 النموذج البنائي: يركز هذا النموذج على بنية المجتمع و كيفية تحسينها، بتكامل مع اجزائه المختلفة و أنساقه الفرعية ويركز هذا النموذج على دراسة العناصر البنائية التالية:

- ♣ احتياجات أفراد المجتمع وضرورة إشباعها
- ♣ دراسة المشكلات المتوقعة
- ♣ دراسة الآثار المترتبة عن المشكلات المتوقعة وكيفية حلها

5.4 النموذج المثالي: يحيل هذا النموذج إلى إمكانية تشكل نمط مثالي من خلال دراسة وتحليل المجتمع وتغيره الاجتماعي مما يمكن من تحديد العوامل الإيجابية في تنمية المجتمع و معوقات التنمية، ثم إيجاد الحلول المفضية إلى نمط مثالي يحقق اهداف المجتمع، وقد اثير جدل بين العلماء حول نمط المثالي لجميع المجتمعات وانه من الصعوبة وضع نموذج المثالي لجميع المجتمعات لاختلاف ظروفها ولنسبية المثالية.

خاتمة:

نخلص مما تقدم إلى ان مفهوم التنمية والتنمية الإجتماعية بصفة خاصة، وبجميع ابعادها ومراحلها مازال بعيدا عن التحديد النهائي لأن مفاهيم التنمية الاجتماعية مفاهيم فضفاضة لذلك كثرت تعريفاتها واختلطت في بعض الأحيان مع بعض المفاهيم السوسيولوجية كالتطور الاجتماعي، والتقدم الإجتماعي وعلى أنها تتضمن تفسيرا خاصا بالتغير الاجتماعي، وباعتبارها من بين المفاهيم متغيرة مع تغاير المعطيات الاقتصادية والاجتماعية، وهذا التغاير يتطلب من الباحثين متابعة مستمرة وبحث دائم في ملامحه وسماته المتغيرة، وهذا يعني أنه ولابد من إستمرار البحث فيه و تفكيك بنيته التركيبية ورصد حركته

الذاتية من ناحية والكشف عن علاقاته المتشابكة بالواقع المتحرك والمتموج من ناحية أخرى في تفاعله مع الواقع بأبعاده السياسية والاجتماعية والثقافية، والاقتصادية والتاريخية ضمن خط تصاعدي يتسم بالقدرة على التجاوز والاحتواء، ومن رصد بعض الأسرار الخفية الكامنة في تطور المفهوم ونموه في إتجاهات متصاعدة

قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية

1.المهدي مالك عبد الله(2016)، "**مفهوم التنمية الاجتماعية رؤية مستقبلية**، مجلة دراسات مستقبلية، المجلد17، العدد1، جامعة أسيوط، مصر

2.الجوهري عبد الهادي وآخرون(1999)، **دراسات في التنمية الإجتماعية: مدخل إسلامي**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر.

3.العيسوي إبراهيم(2001)، **التنمية في عالم متغير دراسة في المفهوم ومؤشراتها**، ، ط2 دار الشروق ، القاهرة، مصر

4.الأمم المتحدة(1988)، **إعلان الحق في التنمية**، قرار الجمعية العامة رقم128/41، 4 كانون الأول

5. الصندوق الاجتماعي للتنمية(2011)، "**الخلفية النظرية في أساسيات العمل التنموي للجمعيات والمؤسسات الأهلية**، الإصدار الأول، 5 فبراير، اليمن.

6. الهنداوي حسن بن إبراهيم(2008)، "**مفهوم التنمية وخصائصها من وجهة نظر إسلامية**"، مجلة التنوير، مركز التنوير المعرفي، العدد5 ، السودان

7.السمالوطي نبيل(1970)، **علم الاجتماع التنمية**، دار النهضة، بيروت، لبنان

8.السروجي طلعت مصطفى وآخرون(2001)، **التنمية الاجتماعية–المثال والواقع**، مركز نشر وتوزيع الكتاب الجامعي، جامعة حلوان، مصر.

9.الموسوي ضياء مجيد(2013)، **أسس علم الاقتصاد**، الجزء الأول، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، الجزائر

10.ابوه الهادي عبدو(2015)، **الإقتصاد التضامني والتنمية الإجتماعية الإمكانيات والواقع في موريتانيا**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في العلوم الإقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية و التجارية وعلوم التسيير، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر

11.بن منصور اليمين(2010)، **دور القيم الدينية في التنمية الاجتماعية-دراسة ميدانية حول الميزابين بمدينة باتنة)**، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع، تخصص علم الاجتماع الديني، قسم علم الاجتماع والديمغرافيا، كلية العلوم الاجتماعية ولعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر.

12.حلاوة جمال، على صالح(2009)، **مدخل إلى علم التنمية**، دار الشروق للنشر و التوزيع، ط1، عمان، الأردن

13.حسن عبد الباسط محمد(1982)، **التنمية الاجتماعية**، ط4، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر

14.سدخان هناء حسن هناء(2016)، "**المعوقات الاجتماعية لدور المرأة في التنمية الاجتماعية-دراسة اجتماعية ميدانية لمجموعة من الموظفات في مدينة الديوانية**"، كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، العدد27، جامعة بابل، العراق

15.عبد المنعم شوقي(1961)، **تنمية المجتمع وتنظيمه**، مكتبة القاهرة الحديثة، القاهرة، مصر

16.عبد الملك كامل(2008)، **ثقافة التنمية**، دراسة في أثر الرواسب الثقافية على التنمية، دار مصر المحروسة، القاهرة، مصر.

17.فالي نبيلة(2008)، **التنمية من النمو إلى الاستدامة، ورقة مقدمة في المؤتمر الدولي" التنمية المستدامة و الكفاءة الاستخدامية للموارد المتاحة**، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير، مخبر الشراكة و الإستثمار في المؤسسات الصغيرة و المتوسطة في الفضاء الأورو مغاربي، جامعة سطيف، 8/7 أفريل.

18.لسان العرب(2005)، دار صادر بيروت، ط4، لبنان

19.موسى فؤاد(1977)، **محاولة لتحديد المفهوم المادي للتنمية الاقتصادية في استراتيجية التنمية في مصر-أبحاث و مناقشات**، المؤتمر العلمي السنوي الثاني للاقتصاد بين المصريين من 24-26 مارس

المراجع باللغة الأجنبية

1.Almond, Gabriel A, and Marivn, chodorow and Ry, Harvery Pearce(1982): Progress and Its Discontents. University of California press

2.Gunder Frnak Ande(1971), **Capitalism and under development In Latin America Historical studies of Chile and Brasil**, penguin Books

3.Nisbet, Robert(1980), **History of the Idea of progress**, Basic Books, publishers New York

4.World development Report, (1980), The world Bank. Washington. D.C. August.

الجريمة الالكترونية ماهيتها ومجالات استخدامها.

د/ بن عمار نوال ـ جامعة الحاج لخضر ـ باتنة -1- الجزائر.

ملخص:

إن مواكبة عصر المعلومات يفرض على الجزائر التحكم في تكنولوجيا الإعلام والاتصال مع ضمان بيئة آمنة نظرا للمخاطر الموجودة على مستوى شبكة الانترنت بمختلف مكوناتها وحتى على مستوى المستعملين في حد ذاتهم سواءا أكانوا أفرادا أم مؤسسات.

حيث بات من السهل اختراق الأنساق المعلوماتية المختلفة وتكسير الحواجز الأمنية التي تحمي المعلومة خصوصا بشكلها الرقمي واستغلال نظمها في ارتكاب ما يسمى **بالجريمة الناشئة أو الجريمة المعلوماتية.**

من جهة أخرى فإن مكافحة الجريمة الالكترونية ليست بالأمر الهين وذلك لخصوصية مرتكب الجريمة الالكترونية وطبيعة الجريمة الالكترونية في حد ذاتها، ولمكافحة الجريمة الالكترونية تقتضي تحسين التعاون الدولي من خلال بناء سياسة جنائية مشتركة من أجل مكافحتها في جميع أنحاء العالم من خلال تنسيق وانسجام التشريعات الوطنية ببعضها البعض، وجاءت هذه الدراسة بهدف معرفة الجريمة الالكترونية ومجالات استخداماتها.

الكلمات المفتاحية: الجريمة الالكترونية، أنواع الجريمة الالكترونية، المجرم المعلوماتي، مجالات استخدام الجريمة الالكترونية.

Abstract:

Keeping pace with the information age imposes on Algeria control of information and communication technology while ensuring a secure environment due to the dangers that exist at the level of the Internet in its various components and even at the level of users themselves, whether individuals or institutions.

It has become easy to penetrate the various information formats and break down security barriers that protect information, especially in digital form and the exploitation of their systems to commit the so-called emerging crime or information crime.

On the other hand, the fight against cybercrime is not easy because of the specificity of the cybercrime and the nature of cybercrime as such. This study came with the aim of knowing cybercrime and its uses.

Keywords: cybercrime, types of cybercrime, cybercriminal, areas of use of cybercrime.

مقدمة:

تعد جرائم الكمبيوتر والانترنت أو ما يطلق عليها بالجريمة الالكترونية من الجرائم المعلوماتية المعاصرة والعابرة للحدود والتي ظهرت مؤخرا مع الانتشار التكنولوجي خاصة لارتباطها بجهاز الحاسب الآلي، وتعتبر الجريمة المعلوماتية "الابن الغير شرعي الذي جاء نتيجة للتزاوج بين ثورة تكنولوجيا المعلومات والعولمة" وإن حماية المجتمع من هذا النوع من الجرائم يقتضي وضع تشريعات فاعلة تواجه هذه الظاهرة الإجرامية، وملاحقة مرتكبيها وإنزال العقوبات المناسبة بحقهم.

ويمكن القول أن التطور التاريخي لمجالات الحاسب الآلي قد بدأت بالظهور في الستينات حيث أصبحت الحاسبات الآلية تستخدم للتقليل من العمالة، وكان وجود هذه الحاسبات مقتصرا على الشركات الكبرى، وذلك نظرا لارتفاع ثمنها من جهة، ولما تتطلبه من أماكن مجهزة تجهيزا خاصا ومتخصصين من جهة أخرى. أما في السبعينات طرأ تطور آخر فصل بين البرامج المسؤولة عن تشغيل الحاسبات الآلية وبين المكونات المادية ومن هنا بدأ التطور في صناعة الحاسب الآلي بصورة كبيرة، بالتالي أصبح هناك انخفاض في أسعار الحاسب الآلي مما كان له الأثر في تمكن الشركات الكبرى والصغرى من استعمال هذه الحاسبات.

وبالثمانينات ظهر ما يسمى الحاسب الآلي الشخصي الذي أحدث ثورة في تقنية المعلومات، وبناءا عليه أصبحت هذه الحاسبات متاحة للجميع، والسبب وراء تطوير الحاسبات الآلية هو ظهور ما يعرف بالمعالجة الآلية للمعطيات وما يرتبط بها من بنوك المعلومات، وبلغ هذا التطور ذروته بالتسعينات حيث أصبحت لهذه الحاسبات الآلية قيمة كبرى لقدرتها على تخزين المعلومات واسترجاعها في ثوان معدودات.

وقد واكب هذا التطور بروز خبراء يتمتعون بالخبرة والحرفية لتطويع هذه التقنية للقيام بأعمال إجرامية ذات طابع معاصر يتمثل باستخدام أسلوب تقني في تنفيذ الفعل المجرم بأساليب مبتكرة وطرق جديدة لم تكن معروفة من قبل، وبناء عليه لا بد من مواكبة التشريعات المختلفة هذا التطور الإجرامي الملحوظ المتمثل في استخدام الحاسب الآلي وشبكات الانترنت فأحيانا قد يؤدي هذا الاستخدام إلى خلق شلل كامل للأنظمة المدنية والعسكرية، وتعطيل المعدات الإلكترونية، اختراق النظم المصرفية، وبذلك يصل الجاني إلى أي مكان يرغب به دون أن يترك المجرم المعلوماتي أثرا ملموسا، وعليه تعتبر جرائم الحاسب الآلي من الآثار السلبية التي خلفتها التقنية العالية.

1- الإشكالية:

مما لا شك فيه أن تطور وسائل الاتصال الالكتروني بمختلف أنواعه صاحبه تطور في الجريمة يتماشى وهذا التطور التكنولوجي، وأصبح الحاسوب على مدى العقود الماضية ركيزة أساسية لأهداف التطور في كل مجالات الحياة بما فيها من أنشطة مختلفة سواء اقتصادية أو علمية أو اجتماعية...الخ، ولقد قدم الحاسب الآلي والانترنت للبشرية الرقي في جميع مناحي الحياة، إلا أن هذا التقدم المذهل واكبه من جهة أخرى تطور الفكر والعقل البشري الإجرامي، مما أدى إلى إفراز أنواعا جديدة من السلوك الإجرامي تمثلت في ظهور الجريمة المعلوماتية أو الالكترونية، وبذلك أصبحت الجريمة الالكترونية لا تقل خطورة عن الجريمة العادية والتي أدت إلى حدوث خسائر فادحة غير مسبوقة لمستخدمي هذه الحواسيب ولصناع برمجياتها، ويرتكز هذا النوع من الإجرام على محورين أحدهما ضد المال والآخر ضد الأشخاص ويستمد نشاطه من الإمكانيات الهائلة للحاسوب.

فهذه الجريمة بطبيعتها مخالفة لنظام المجتمع حيث ترتكب ضد أفراد أو جماعات بدافع جرمي ونية الإساءة لسمعة الضحية أو لجسدها أو عقليتها، سواء كان ذلك بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ومن حيث الأساس فإن الجريمة الالكترونية تتشابه مع الجريمة التقليدية في أطراف الجريمة إلا أن الجريمة الالكترونية عالية التقنية، كما أن المجرم لا يحتاج إلى التنقل الحركي لمكان وقوع الجريمة، بل يقوم بالفعل الإجرامي عن بعد (من حيث الزمان والمكان)، باستخدام خطوط وشبكات الاتصال بين الجاني ومكان وقوع الجريمة.

وعمدت عدة دول في سبيل مواجهة الجرائم الالكترونية إلى وضع سياسات جنائية تتنوع بين الوقاية والمواجهة من خلال سن مجموعة من القوانين من أجل وضع حد للانفلات في مجال الجرائم المعلوماتية، هذه الأخيرة أحدثت انقلابا هاما في النظريات التقليدية بما فيها نظرية الإثبات الجنائي، ومن هذا المنطلق نطرح تساؤلا مفاده: **ما المقصود بالجريمة الالكترونية؟ وما هي مجالات استخدامها؟ وما هي خصائصها؟ وفيما تتمثل صورها؟**

2- ماهية الجريمة الالكترونية:

لقد أضحى الفضاء السيبراني في عصرنا الراهن قوة كبيرة لا يستهان بها نظرا لتأثيرها الفعال على الأفراد والمجتمعات، ونتيجة لعدم القدرة على ضبط ومراقبة والتحكم في هذا الفضاء الالكتروني فتح هذا الأخير المجال أمام ظهور نوع جديد من الجرائم تسمى بالجرائم الالكترونية التي تجاوزت كل الحدود وأضحت تثير العديد من الإشكاليات، كالصعوبة في اكتشافها ومحاولة إثباتها نظرا لعدم وجود دليل مادي

يدين مرتكبيها خاصة وأن مرتكب الجريمة يقوم بفعله الإجرامي عن بعد وباستخدام وسائط الاتصال الحديث، وذلك يعود لعدم وجود آليات واستراتيجيات فعالة لمكافحة الجريمة الالكترونية والوقاية منها، وعليه فهذا النمط المستحدث من الجرائم لا بد وأن يرافقه تنظيم قانوني يضبطه وبحاجة إلى إصدار تشريعات تواءم وتتماشى مع التطور التكنولوجي.

1.2 مفهوم الجريمة الالكترونية:

تعددت الآراء بشأن تعريف الجريمة الالكترونية، كل رأي تبنى مفهوما بالنظر إلى الزاوية التي رآها، فهناك جانب من الفقه عرفها زاوية فنية، وأخرى قانونية، وهناك جانب آخر يرى تعريفها بالنظر إلى وسيلة ارتكابها أو موضوعها أو حسب توافر المعرفة بتقنية المعلومات لدى مرتكبها أو استنادا لمعايير أخرى حسب القائلين بها[1]، وهذا ما حددته الأمم المتحدة في "مدونتها بشأن الجريمة المعلوماتية" إلى عدم التوصل لتعريف متفق عليه دوليا، ولكن رغم صعوبة وضع تعريف لهذه الجريمة وحصرها في مجال ضيق، إلا أن مكتب تقييم التقنية في الولايات المتحدة الأمريكية عرفها من خلال تعريف الحاسب الآلي بأنها: "الجرائم التي تقوم فيها بيانات الحاسب الآلي والبرامج المعلوماتية بدور رئيسي"، كما عرفت أيضا بأنها: "نشاط جنائي يمثل اعتداء على برامج وبيانات الحاسب الالكتروني."، وعرفت أيضا بأنها: "كل استخدام في صورة فعل أو امتناع غير مشروع للتقنية المعلوماتية، ويهدف إلى الاعتداء على أي مصلحة مشروعة، سواء أكانت مادية أو معنوية." [2]

تعتبر الجريمة المعلوماتية من بين الجرائم التي تباينت تسمياتها عبر المراحل الزمنية لتطورها التي ارتبطت بتقنية المعلومات، فقد اصطلح على تسميتها بداية "بإساءة استخدام الكمبيوتر"، ثم "احتيال الكمبيوتر"، "فالجريمة المعلوماتية"، بعدها "جرائم الكمبيوتر"، و"الجريمة المرتبطة بالكمبيوتر"، ثم "جرائم التقنية العالية"، إلى "جرائم الهاكرز" ، "فجرائم الانترنت" وأخيرا "السيبر كرايم". [3]

وتعرف كذلك على أنها جريمة ذات طابع مادي، والتي تتمثل في كل سلوك غير قانوني من خلال استخدام الأجهزة الالكترونية، وينتج منه حصول المجرم على فوائد مادية أو معنوية مع تحصيل الضحية

[1] عبد الفتاح بيومي حجازي (2009)، **الدليل الجنائي والتزوير في جرائم الكمبيوتر والانترنت**، دار مدبولي، القاهرة، ص115.

[2] عمر الفاروق الحسيني (1989)، **تأملات في بعض صور الحماية الجنائية لبرامج الحاسب الآلي**، مجلة المحاماة، عدد نوفمبر، القاهرة، ص13.

[3] ياسمينة بونعارة (2015)، **الجريمة الالكترونية**، مجلة المعيار، العدد39، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، ص3- 4-

خسارة مقابلة وغالبا ما يكون هدف الجرائم هو القرصنة من أجل سرقة أو إتلاف المعلومات الموجودة في الأجهزة ومن ثم ابتزاز الأشخاص باستخدام تلك المعلومات.[1]

وتعرف أيضا على أنها الجريمة التي تتم باستخدام جهاز الكمبيوتر من خلال الاتصال بالإنترنت، ويكون هدفها اختراق الشبكات وتخريبها والتحريف والتزوير والسرقة ، مهتمة بتعريف دقيق للمصطلح، فمن أصل 200 مكون منبثقة من التشريعات الوطنية التي استشهدت بها البلدان في الرد على الاستبيان الدولي في تحديد معنى الجريمة الالكترونية، استخدم أقل من 5 % كلمة "**الجرائم الالكترونية**" في العنوان أو في السياق التشريعي وبدلا من ذلك فالاستخدام الأكثر شيوعا في التشريعات هو مصطلح "**جرائم الكمبيوتر**" و"**الاتصالات الالكترونية**"، و"**تكنولوجيا المعلومات**" أو "**الجريمة ذات التقنية العالية**"، وفي الممارسة العملية فإن العديد من هذه المفردات من التشريعات التي تم إنشاؤها للجرائم الجنائية والتي هي المدرجة في مفهوم الجريمة الالكترونية، مثل الدخول غير المصرح به لنظام الكمبيوتر، أو التدخل في نظام الكمبيوتر أو البيانات، حيث لم تستخدم التشريعات الوطنية على وجه التحديد مصطلح "**الجريمة الالكترونية**" في عنوان فعلي أو قانون مثل: "**قانون الجرائم الالكترونية**".[2]

1.2.2. الاتجاه الذي يضيق مفهوم الجريمة الالكترونية:

ومن التعريفات المضيقة لمفهوم الجريمة المعلوماتية تعريفها على أنها: "كل فعل غير مشروع يكون العلم بتكنولوجيا الحاسبات الآلية بقدر كبير لازما لارتكابه من ناحية ولملاحقته وتحقيقه من ناحية أخرى"[3]، وحسب هذا التعريف يجب أن تتوافر في مرتكب هذه الجريمة المعرفة الفنية والتقنية باستخدامات الحاسب الآلي، وهو نفس التعريف الذي أوردته وزارة العدل الأمريكية إذ ركزت في تعريفها على أساس سمات شخصية مرتكب الفعل، حيث عرفت الجريمة المعلوماتية على أنها: "أية جريمة لفاعلها معرفة فنية بالحاسبات تمكنه من ارتكابها".

وكذلك عرفها الفقيه دافيد تومسون (**David Thompson**) بأنها: "أية جريمة يتطلب لاقترافها أن تتوفر لدى فاعلها معرفة بتقنية الحاسوب."[4]

---

[1] المديرية العامة للاتصالات والمعلوماتية، **الجريمة الالكترونية**، العراق، ص2.

[2] ذياب موسى البدانية (2014)، **الجرائم الالكترونية:المفهوم والأسباب**، ورقة علمية مقدمة في إطار الملتقى العلمي الجرائم المستحدثة في ظل المتغيرات والتحولات الإقليمية والدولية، المنعقد خلال 02-04 سبتمبر، كلية العلوم الإستراتيجية، الأردن، ص5.

[3] عبد الفتاح بيومي حجازي(2009)، **نحو صياغة نظرية عامة في علم الجريمة والمجرم المعلوماتي**، منشأة المعارف، مصر، ص22.

[4] خالد عياد الحلبي (2011)، **إجراءات التحري والتحقيق في جرائم الحاسوب والانترنت**، دار الثقافة، الأردن، ص30.

وطبقا للتعريفات سابقة الذكر فإن جريمة تكنولوجيا المعلومات الحديثة تنحصر في الحالات التي تتطلب قدراً من المعرفة التقنية في ارتكابها وهو إن تحقق في بعض الأحوال، فإنه لا يتحقق في كثير منها، ففي كثير من الحالات يُرتكب الفعل بالضغط على زر واحد فقط دون الحاجة إلى هذا القدر من المعرفة التقنية."[1]

وفي هذا الاتجاه أيضا عرفها جانب من الفقه بالنظر إلى معيار نتيجة الاعتداء، إذ يرى الأستاذ **Mass** أن المقصود بالجريمة المعلوماتية هي تلك الاعتداءات التي ترتكب بواسطة المعلوماتية بغرض تحقيق ربح، كما عرفها **Parker** الجريمة المعلوماتية بأنها: "كل فعل إجرامي متعمد أيا كانت صلته بالمعلوماتية ينشأ عنها خسارة الحق بالمجني عليه أو كسب يحققه الفاعل."

وهناك جانب آخر أخذ في تعريفه للجريمة المعلوماتية بمعيار موضوع الجريمة وذلك كما ذهب إليه الفقيه (**Rosenblatt**)[2] على أنها: "نشاط غير مشروع موجه لنسخ أو الوصول إلى المعلومات المخزنة داخل الحاسوب أو تغيرها أو حذفها."[3]

أما تريدمان (**Tredman**) فيرى أنها جرائم تكنولوجيا المعلومات تشمل أي جريمة ضد المال، مرتبطة باستخدام المعالجة الآلية للمعلومات.[4]

والملاحظ أن التعريفات المتقدمة تضيق على نحو كبير من الجريمة المعلوماتية، حتى أن البعض يرى أن الجريمة المعلوماتية في ظل هذا الاتجاه سوف تصبح أشبه بالخرافة فحصرها مثلا في الحالات التي تتطلب أن يكون مقترف هذه الجريمة متمتعا بقدر كبير من المعرفة التقنية لارتكابها وهو إن تحقق في بعض الأحوال فقد لا يتوفر في كثير منها، إذ قد يرتكب الفعل غير المشروع في البيئة الرقمية دون أن يكون فاعله بحاجة إلى هذا القدر من المعرفة، ورغم ذلك فإنه لا يمكن إنكار أن هذه الأفعال تدخل في عداد جرائم المعلوماتية، فالقيام مثلا بإتلاف البيانات المخزنة داخل نظام الكمبيوتر لا يتطلب من فاعله قدراً كبيرا من العلم بتكنولوجيا الحاسبات الآلية، وعلى الرغم من ذلك فقد جرمته الكثير من التشريعات العقابية.

---

[1] علي عبود جعفر (2013)، **جرائم تكنولوجيا المعلومات الحديثة الواقعة على الأشخاص والحكومة (دراسة مقارنة)**، منشورات زين الحقوقية، لبنان، ص85..

[2] نهلا عبد القادر المومني (2010)، **الجريمة المعلوماتية**، الطبعة الثانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ص48.

[3] محمد أمين الشوابكة (2009)، **جرائم الحاسوب والانترنت (الجريمة المعلوماتية)**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ص8-9.

[4] علي عبود جعفر (2013)، مرجع سابق، ص78.

لذلك فإنه يؤخذ على هذه التعريفات السابقة أنها جاءت قاصرة عن الإحاطة بأوجه ظاهرة الإجرام المعلوماتي، فالبعض من فقهاء هذا الاتجاه ركز على معيار موضوع الجريمة والبعض الآخر ركز على وسيلة ارتكابها والبعض الآخر ركز على معيار النتيجة.

2.2.2. الاتجاه الموسع لمفهوم الجريمة الالكترونية:

إزاء الانتقادات التي وجهت للاتجاه الأول حاول بعض الفقهاء تعريف الجريمة المعلوماتية على نحو موسع لتفادي أوجه القصور التي شابت تعريفات الاتجاه المضيق في التصدي لظاهرة الإجرام المعلوماتي.

فيعرفها البعض على أنها: "كل سلوك إجرامي يتم بمساعدة الكمبيوتر "أو هي "كل جريمة تتم في محيط أجهزة الكمبيوتر."[1]

أو هي "كل سلوك غير مشروع منافي للأخلاق أو غير مسموح به يرتبط بالمعالجة الآلية للبيانات أو نقلها"،[2] ويعتمد هذا التعريف على معيارين أو لهما وصف السلوك الإجرامي، أما الثاني اتصال السلوك بالمعالجة الآلية للبيانات أو نقلها.[3]

فالاتجاه الموسع من مفهوم جرائم المعلومات لا يقيم وزنا لربط بين ارتكاب الجريمة المعلوماتية وتحقيق نتيجتها وبين إلمام الفاعل أو الشركاء معه بتقنية الحاسب الآلي، وهم لا يقيمون وزنا لمدى براعة الفاعل وإجادته التقنية أو خبرته ومقدرته، المهم أن تقع الجريمة ولذلك فهم يرون أن جرائم التقنية هي كل فعل غير مشروع يتم بمساعدة الحاسب الآلي.[4]

عرفت في إطار المنظمات الأوروبية للتعاون والتنمية الاقتصادية بأنها: "كل فعل أو امتناع من شأنه أن يؤدي على الاعتداء على الأموال المادية أو المعنوية، يكون ناتجا بطريقة مباشرة عن تدخل التقنية المعلوماتية الالكترونية."[5]

وجاء في توصيات مؤتمر الأمم المتحدة العاشر لمنع الجريمة ومعاقبة المجرمين المنعقد في فينا سنة 2000 تعريف الجريمة الالكترونية كما يلي: "يقصد بالجريمة الالكترونية أي جريمة يمكن ارتكابها

---

[1] خالد ممدوح إبراهيم (2008)، **أمن الجريمة الالكترونية، الدار الجامعية الجديدة، مصر، ص42.**

[2] عبد الله عبد الكريم عبد الله (2007)، **جرائم المعلوماتية والانترنت دراسة مقارنة في النظام القانوني لمكافحة جرائم المعلوماتية والانترنت مع الإشارة إلى جهود مكافحتها محليا وعربيا ودوليا**، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان، ص16.

[3] علي عبود جعفر/ مرجع سابق، ص82.

[4] جلال محمد الزعبي، أسامة المناعسة(2010)، **جرائم تقنية نظم المعلومات الالكترونية (دراسة مقارنة)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ص62.**

[5] حنان ريحان مبارك المضحاكي (2014)، **الجرائم المعلوماتية، ط1، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ص26-27.**

بواسطة نظام حاسوبي أو شبكة حاسوبية، أو داخل نظام حاسوبي، والجريمة تلك تشمل من الناحية المبدئية جميع الجرائم التي يمكن ارتكابها في بيئة الكترونية."

2.2 التعريف التشريعي للجريمة الالكترونية:

تأثر المشرع الجزائري بغيره من التشريعات الأجنبية الأوروبية منها والعربية، فيما يخص القواعد التي أستند إليها أو أتى بها لمكافحة الجرائم المعلوماتية، حيث اتجه إلى خلق نصوص جديدة وخاصة المتعلقة بهذا النوع من الإجرام، رغبة منه في تأمين أنظمة المعلومات من اعتداءات المجرمين.

إذ نجد أنه ضمن موضوع الجريمة المعلوماتية في قانون العقوبات أو بموجب نصوص خاصة على السواء، ويعتبر نظام المعالجة الآلية للمعطيات الشرط الأولي للبحث في توافر أو عدم توافر أي جريمة من جرائم الاعتداء على نظام المعالجة، فإذا تخلف هذا الشرط لا يكون هناك مجال للبحث في مدى توافر أركان أي جريمة من الجرائم الماسة بأنظمة المعالجة الآلية للمعطيات.[1]

إن نظام المعالجة الآلية للمعطيات تعبير تقني يصعب على المشتغل بالقانون إدراك حقيقته بسهولة، فضلا على أنه تعبير متطور يخضع للتطورات السريعة والمتلاحقة في مجال الحاسبات الآلية، لذلك فالمشرع الجزائري على غرار المشرع الفرنسي لم يقم بتعريف نظام المعالجة الآلية للمعطيات بل أوكل مهمة تعريفه لكل من الفقه والقضاء.[2]

أما المشرع الجزائري فقد اصطلح على تسمية الجريمة المعلوماتية بمصطلح الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الإعلام والاتصال، وتبنى في ذلك التعريف الذي جاءت به الاتفاقية الدولية للإجرام المعلوماتي، بموجب المادة الثانية من الفانون 04-09 المتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الإعلام والاتصال ومكافحتها، وعرفتها على أنها: "جرائم المساس بأنظمة المعالجة الآلية للمعطيات المحددة في قانون العقوبات وأي جريمة أخرى ترتكب أو يسهل ارتكابها عن طريق منظومة معلوماتية أو نظام للاتصالات الالكترونية."[3]

وبالتالي تكون الجريمة المعلوماتية أيضا، تلك الجرائم المرتكبة عن طريق أي نظام منفصل أو مجموعة من الأنظمة المتصلة ببعضها البعض أو المرتبطة، يقوم واحد منها أو أكثر بمعالجة آلية للمعطيات

---

[1] رابح وهيبة (2014)، **الجريمة المعلوماتية في التشريع الإجرائي الجزائري**، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد 4، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم، ديسمبر، ص321.

[2] قارة أمال (2006)، **الحماية الجنائية للمعلوماتية في التشريع الجزائري**، ط1، دار هومه، ص101.

[3] المادة الثانية الفقرة رقم 09-04 المؤرخ في 05 أوت 2009، ج.ر، عدد 47، المتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الإعلام والاتصال ومكافحتها، الصادر في 16 أوت 2009.

تنفيذا لبرنامج معين،[1] والمرتكبة عن طريق أي تراسل أو إرسال أو استقبال علامات أو إشارات أو كتابات أو صور أو أصوات أو معلومات مختلفة بواسطة أي وسيلة الكترونية.[2]

ويلاحظ على هذا التعريف ما يلي:

- أن المشرع الجزائري قد اعتمد على الجمع بين عدة معايير لتعريف الجريمة الالكترونية أولها معيار وسيلة الجريمة وهو نظام الاتصالات الالكتروني، وثانيها معيار موضوع الجريمة والمتمثل في المساس بأنظمة المعالجة الآلية للمعطيات، وثالثها معيار القانون الواجب التطبيق أو الركن الشرعي للجريمة المنصوص عليها في قانون العقوبات.
- كما اعتمد المشرع الجزائري على معيار رابع في تحديد نطاق الجريمة الالكترونية، كونه أقر أن هذه الجريمة ترتكب في نظام معلوماتي أو يسهل ارتكابها عليه، وهذا ما يوسع نطاق مجال الجرائم المعلوماتية في القانون الجزائري.

وترتيبا على كل هذه التعاريف الفقهية والتشريعية يمكننا القول أن الجريمة المعلوماتية هي كل سلوك غير مشروع يقع على النظام المعلوماتي أو بواسطته ويمس بالأشخاص أو الأموال أو أمن الدولة، وهي على غرار الجرائم التقليدية تعرف من خلال أركانها بتوافر القصد الجنائي لارتكاب هذه الجريمة والركن المادي للجريمة وركنها المعنوي.[3]

3- خصائص الجريمة الالكترونية:

إن ارتباط الجريمة الالكترونية بالأنترنت جعلتها تتميز عن الجريمة التقليدية وهذا ما نوجزه على سبيل المثال لا الحصر فيما يأتي:

جريمة عابرة للحدود، يعيش العالم اليوم في "قرية صغيرة"، تلاشت فيها الحدود الجغرافية مما سهل من عملية نقل وتبادل المعلومات بين الأفراد والمجتمعات عبر شبكات تخترق الزمان والمكان، فأي جرائم ترتكب عبر شبكة الانترنت تتخطى حدود الدولة التي ارتكبت فيها لتتعدى أثارها كافة البلدان على مستوى العالم،[4]

---

[1] المادة الثانية الفقرة ب من القانون نفسه.

[2] المادة الثانية من القانون و من القانون نفسه.

[3] نمديلي رحيمة (2017)، **خصوصية الجريمة الالكترونية في القانون الجزائري والقوانين المقارنة**، ورقة علمية مقدمة في إطار أعمال المؤتمر الدولي الرابع عشر :الجرائم الالكترونية، المنعقد في طرابلس، لبنان، 24-25 مارس، ص100.

[4] Mascala Corrine (2000), **Criminalité et contrat Elect**ronique, IN, Le contrat Electronique, travaux de L'Association CAPITANT Henri Journée National, Paris, p119.

كما أن أماكن متعددة في دول مختلفة قد تتأثر بالجريمة المعلوماتية الواحدة في آن واحد[1] مما يؤدي إلى تشتيت جهود التحريات في إطار التنسيق والتعاون الدولي.

أ. **جريمة صعبة الاكتشاف والإثبات:** نظرا لكون الجريمة المعلوماتية لا تترك أثرا ماديا ظاهرا يصعب اكتشافها وإثباتها أيضا، لأن التحقيق في الجرائم المعلوماتية يتطلب الإلمام بتقنيات تكنولوجيات الإعلام والاتصال والتحكم فيها مع مواكبة التطورات السريعة التي تعرفها.

ب. **الجريمة الأقل عنفا في التنفيذ:** تعتبر من الجرائم النظيفة والهادئة ، حيث ترتكب دون استعمال العنف أو الإيذاء مثلما هو الأمر في الجرائم التقليدية كالسرقة أو القتل، حيث يتم نقل المعلومات بالنبضات الالكترونية لجهاز الحاسوب وملحقاته.

ت. **جريمة خفيفة وسريعة التطور في الارتكاب:** تتميز الجرائم المعلوماتية عن التقليدية في كونها منتشرة في غالب الأحيان، كون الضحية لا يكتشفها ولا يلاحظها رغم وقوعها أثناء وجوده في الشبكة، مثلما هو الأمر عند إرسال الفيروسات المدمرة وإتلاف البيانات الخاصة أو سرقة الأموال أو التجسس والتنصت على المكالمات.

وعموما يحرص المجرمون في الفضاء الالكتروني كل الحرص على أن تبقى هويتهم مجهولة، لذلك نجد الكثير من المواقع تعاني من مسألة "**الأمن المعلوماتي**"، وعليه ينبغي على الحكومات أن تعمل بالتعاون مع القطاع الخاص على منع واكتشاف ومواجهة الجرائم السيبرانية وإساءة استعمال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

لهذا أوجدت العديد من برامج حماية المعلومات ووقايتها من الضرر إلى جانب خطوات علمية مهمة يمكن تطبيقها لهذا الغرض، نجد على سبيل المثال لا الحصر ما يعرف (ببرامج مكافحة الفيروسات)، وكذا استعمال أدوات التخزين الاحتياطي للمعلومات، وأخذ الحذر في التعامل مع المراسلات واستعمال برامج التصفية (**Filtres**)، التي لها القدرة على التعرف على الإعلانات والمراسلات المزعجة غير المرغوب فيها، وترسل إليها ردودا تفيد بعدم الإزعاج مرة أخرى[2]لكن هذا غير كاف، الأمر الذي يتطلب إيجاد إطار فعال يضمن استحداث آليات للتعاون الدولي في مجال مكافحة هذا النوع من الجرائم.

---

[1]أمير فرج يوسف (2011)، **الجريمة الالكترونية والمعلوماتية والجهود الدولية والمحلية لمكافحة جرائم الكمبيوتر والانترنت**، ط1، مكتبة الوفاء القانونية، مصر، ص16.

[2]رحومة علي محمد (2005)، **الانترنت المنظومة التكنو-اجتماعية، بحث تحليلي في الآلية التقنية للانترنت ونمذجة منظومتها الاجتماعية، الطبعة الأولى، سلسلة أطروحات الدكتوراه "53"، مركز دراسات الوحدة العربية، ص161.**

4- أركان الجريمة الالكترونية:

تنهض الجريمة الالكترونية على ركنين رئيسيين هما الركن المادي والركن المعنوي، فلا بد للجريمة المعلوماتية إذن من ركن مادي يمثل كيانها الملموس ويعبر عن إرادة الفاعل بصورة يمكن إثباتها، ولا بد أيضا من ركن معنوي يعبر عن إرادة المجرم المعلوماتي.

1.4 الركن المادي للجريمة الالكترونية:

لا بد من فعل أو امتناع يمكن إثباته إذ لا عبرة بما خلد الإنسان من أفكار لأنها لا تدخل دائرة التجريم، والركن المادي هنا يختلف من حال لآخر حسب التصنيف الذي يقع على الفعل، وعليه لا يمكن حصر الجريمة المعلوماتية تحت تكييف واحد، فقد تشكل الواقعة المرتكبة والتي تحمل وصف الجريمة المعلوماتية واقعة قذف أو تهديد أو تحريض وبشكل مطابق تمام لما يجري عليه قانون العقوبات من خلال بعض القواعد التي ينطبق حكمها حتى على الجرائم الواقعة عن طرق جهاز الكمبيوتر، وهذا لا يسبب إشكالا إذ يمكن تطبيق نصوص قانون العقوبات على هذه السلوكيات التقليدية، إلا أن هناك أنواعا من السلوك يتطلب التمييز بينها وبين سابقتها وهذا ما يدعو للتدخل التشريعي.[1]

يتكون الركن المادي للجريمة الالكترونية من السلوك الإجرامي والنتيجة والعلاقة السببية، علما أنه يمكن تحقق الركن المادي دون النتيجة كالتبليغ عن الجريمة قبل تحقيق نتيجتها (مثلا إنشاء موقع للتشهير بشخص معين دون طرح هذا الموقع على الشبكة إلا أنه لا مناص من معاقبة الفاعل)، يتخذ الركن المادي في هذه الجريمة عدة صور بحسب كل فعل إيجابي مرتكب، مثل جريمة الغش المعلوماتي الركن المادي فيها هو تغيير الحقيقة في التسجيلات الالكترونية أو المحررات الالكترونية.[2]

2.4 الركن المعنوي للجريمة الالكترونية:

تعد الجرائم المعلوماتية كغيرها من الجرائم والتي تفترض بالأساس وجود القصد العام (العلم، والإرادة) لتحديد المسؤولية الجنائية، ولا يمكن تصور قصد خاص بالجريمة دون أن يسبقه القصد العام، أما

---

[1] بن غدفة شريفة، القص صليحة (2017)، **الجريمة الالكترونية الممارسة ضد المرأة على صفحات الانترنت وطرق محاربتها**، أعمال الملتقى الوطني "آليات مكافحة الجرائم الالكترونية في التشريع الجزائري"، الجزائر 29 مارس، ص48.

[2] فضيلة عاقلي (2017)، **الجريمة الالكترونية وإجراءات مواجهتها من خلال التشريع الجزائري**، المؤتمر الدولي الرابع عشر "الجرائم الالكترونية"، طرابلس، يمي 24-25 مارس، ص119-120.

عن وجود القصد الخاص في الجرائم المعلوماتية، فهذا يرجع بالدرجة الأولى إلى طبيعة الجريمة المرتكبة والنية الخاصة لدى الجاني من وراء القيام بالفعل غير المشروع أو ارتكاب الجريمة.[1]

يتكون الركن المعنوي للجريمة الالكترونية من عنصرين هما العلم والإرادة.

- العلم: هو إدراك الفاعل للأمور.
- أما الإرادة، فهي اتجاه السلوك الإجرامي لتحقيق النتيجة.

طبقا للمبادئ العامة المعروفة في قانون العقوبات، قد يكون القصد الجنائي عاما وخاصا، **القصد الجنائي العام** نقصد به الهدف المباشر للسلوك الإجرامي وينحصر في حدود ارتكاب الفعل، أما **القصد الجنائي الخاص** فهو يتطلب توافره في بعض الجرائم دون الأخرى فلا يكتفي الفاعل بارتكابه الجريمة، بل يذهب إلى التأكد من تحقيق النتيجة مثل جريمة القتل لا يكتفي الجاني بالفعل بل يتأكد من إزهاق روح المجني عليه) وعليه ما هو القصد الجنائي الذي يجب توافره في الجريمة الالكترونية؟

الأصل إن الفاعل في الجريمة الالكترونية يوجه سلوكه الإجرامي نحو ارتكاب فعل غير مشروع أو غير مسموح به مع علمه وقاصدا ذلك ومهما يكن لا يستطيع انتفاء علمه كركن للقصد الجنائي العام.

إذن فالقصد الجنائي العام متوافر في جميع الجرائم الالكترونية دون أي استثناء ولكن هذا لا يمنع أن بعض الجرائم الالكترونية تتوافر فيه القصد الجنائي الخاص مثل جرائم تشويه السمعة عبر الانترنت، وجرائم نشر الفيروسات عبر الشبكة، وفي كل الأحوال يرجع الأمر للسلطة التقديرية للقاضي.[2]

أما عن الإثبات في توافر الركن المعنوي في الجرائم المعلوماتية فهو يقع على عاتق النيابة العامة والمحكمة المختصة بالنظر في مثل هذا النوع من القضايا، والمحكمة صاحبة الصلاحية بتقدير وجود سوء النية من عدمها ووزن البيانات وتمحيصها بما لها من صلاحية باعتبارها صاحبة القرار النهائي بالفصل في الدعاوى المرفوعة أمامها.[3]

5- أنواع الجرائم الالكترونية

من بين أنواع الجرائم الالكترونية نذكر ما يلي:

---

[1] لورنس سعيد الحوامدة (2016)، "**الجرائم المعلوماتية أركانها وآلية مكافحتها" دراسة تحليلية مقارنة**، مجلة ميزان للدراسات القانونية والشرعية، الأردن، ص24.

[2] فضيلة عاقلي ، مرجع سابق، ص120.

[3] لورنس سعيد الحوامدة، مرجع سابق، ص25-26.

شكل رقم 01: أنواع الجرائم الالكترونية.

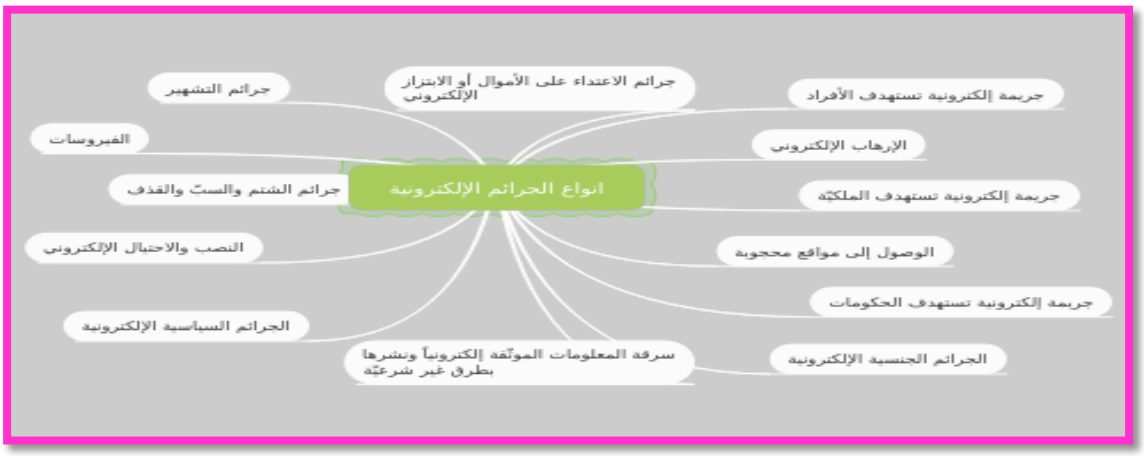

Source : www.google.com

1.5 جرائم التجسس الالكتروني:

يعتمد هذا النوع من الجرائم على تقنيات عالية التقدم حيث لم يعد يقتصر التجسس على ما يتعلق بالمعلومات العسكرية أو السياسية بل تعداه إلى المجال الاقتصادي والتجاري والثقافي، ولقد ظهر هذا النوع من الجرائم خصوصا أحداث الحادي عشر من سبتمبر التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية، ومن الأساليب المعتمدة أسلوب إخفاء المعلومات وذلك بإخفاء المعلومات المهمة والمستهدفة داخل معلومات عادية في جهاز الحاسب الآلي ومن ثم يتم تهريبها باستعمال أساليب متطورة لا يتم اكتشافها ولو ضبط الشخص متلبسا، ومثال ذلك قيام شبكة دولية ضخمة للتجسس الالكتروني التي تعمل تحت إشراف وكالة الأمن القومية الأمريكية بالتعاون مع أجهزة الاستخبارات في كندا وبريطانيا لرصد المكالمات الهاتفية بهدف التعامل مع الأهداف غير العسكرية، ولا يقتصر الرصد على المحطات الموجهة إلى الأقمار الصناعية والشبكات الدولية بل يشمل الاتصالات التي تجرى عبر أنظمة الاتصالات الأرضية.[1]

2.5 الإرهاب الالكتروني:

الإرهاب الالكتروني يعد أحد أشكال وصور الإرهاب فلقد أصبح الإرهاب الالكتروني هاجس يخيف العالم الذي أصبح عرضة لهجمات الإرهابيين عبر الانترنت الذين يمارسون نشاطهم التخريبي من أي مكان في العالم، وهذه المخاطر تتفاقم بمرور كل يوم، لأن التقنية الحديثة وحدها غير قادرة على حماية الناس من العمليات الإرهابية الالكترونية والتي سببت أضرارا جسيمة على الأفراد والمنظمات والدول، ولقد سعت

[1] ليندا شرابشه (2009)، **السياسة الدولية والإقليمية في مجال مكافحة الجريمة الالكترونية "الاتجاهات الدولية في مكافحة الجريمة الالكترونية"**، المجلد 01، العدد 01، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ص242.

العديد من الدول إلى اتخاذ التدابير والاحترازات لمواجهة الإرهاب الالكتروني، إلا أن هذه الجهود قليلة ولا تزال بحاجة إلى المزيد من هذه الجهود المبذولة لمواجهة هذا السلاح الخطير.[1]

3.5 جرائم التحرش الالكتروني:

يصنف الخبراء "التحرش الالكتروني" بأنه الظاهرة الناتجة عن الاستخدام المستمر لوسائل التكنولوجيا، والتي تتأطر في أشكال عدة كالهاتف والبريد الالكتروني والمواقع الالكترونية، ومواقع التواصل الاجتماعي، إضافة إلى هواتف "الآي فون" المحمولة، والتي أتاحت للمراهقين نشر قصص الإيذاء البدني أو النفسي التي يعيشونها وتبادل أرائهم في هذه القصص، وكذلك المنتديات الخاصة بنشر الثقافة الجنسية والمواقع الإباحية التي تساعد على الانحراف وغيرها من المواقع والمنتديات التي تسعى لإثارة الغرائز عن طريق الصور التعريفية أو المشاركات الصريحة والمبطئة، والتي تستقصد الفتيات والأطفال وكذلك الرجال. [2]

6- المجرم المعلوماتي:

إن مظاهر الخطورة التي تتجلى بها الجريمة المعلوماتية أن مرتكبيها يتسمون بالذكاء والدراية في التعامل في مجال المعالجة الآلية للمعطيات والإلمام بالمهارات والمعارف التقنية، وإذا كان الشخص الذي يرتكب الفعل غير المشروع ويعتدي فيه على حق من حقوق الغير بالمعنى الواسع يعد في نظم القانون مجرما ويتعرض للعقاب، وكما هو معروف فإنه لا يمكن للعقوبة أن تحقق هدفها ما لم تضع في الاعتبار شخصية المجرم، وإذا كنا في مجال الإجرام المعلوماتي فيجب أن ننظر إلى المجرم المعلوماتي من حيث صفاته وسماته وكذا من حيث أصنافه وأنماطه.

7- خصائص المجرم المعلوماتي:

يتميز المجرم المعلوماتي عن غيره من المجرمين بصفات وسمات معينة جعلت منه محل العديد من الأبحاث والدراسات، واختلف الباحثون في تحديد هذه الخصائص كما اختلفوا في مدى انطباق وصف جرائم ذوي الباقات البيضاء[3]، على مجرمي المعلوماتية ذلك أن كلا من هؤلاء المجرمين قد يكون من ذوي

---

[1] حسنين شفيق (2015)، **الإعلام الجديد والجرائم الالكترونية "التسريبات ، التجسس، الإرهاب الالكتروني"**، دار فكر وفن للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ص183.

[2] حسنين شفيق، نفس المرجع السابق، ص221.

[3] مصطلح المجرمين ذوي الباقات البيضاء مصطلح حديث نسبيا وأول من أطلقه هو عالم الاجتماع Suther Lanc أين وضح أن هذه الجرائم ترتكب من قبل الطبقة الراقية في المجتمع وذوي المناصب الإدارية الكبيرة وتشمل أنواعا مختلفة من الجرائم كغسيل الأموال، وغير ذلك من الجرائم التي يقومون بارتكابها وهم جالسون في مكاتبهم.

الكفاءات، ولهم القدرة على التكيف الاجتماعي، ومع ذلك يمكن أن نستخلص من هذه الأبحاث[1] مجموعة من السمات التي يتميز بها المجرم المعلوماتي والتي يساعد التعرف عليها في مواجهة هذا النمط الجديد من المجرمين ومن أهم هذه الصفات

1.7 المجرم الالكتروني ذكي ومتخصص:

في الغالب يتميز المجرم الالكتروني بالذكاء، حيث يمتلك هذا المجرم من المهارات ما يؤهله للقيام بتعديل وتطوير في الأنظمة الأمنية الالكترونية، حيث يستطيع المجرم الالكتروني تصور كامل لجريمته حتى لا يتمكن ملاحقته وتتبع أفعاله الإجرامية من خلال الشبكات أو داخل أجهزة الكمبيوتر، فالمجرم الالكتروني عادة يمهد لارتكاب جرائمه بالتعرف على كافة الظروف المحيطة به، لتجنب ما من شأنه ضبط أفعاله والكشف عنه.[2]

كما أنه يتمتع بقدرة ومهارة تقنية يستغلها في اختراق الشبكات وكسر كلمات المرور أو الشفرات بغاية الحصول على البيانات والمعلومات الموجودة في أجهزة الكمبيوتر ومن خلال الشبكات.[3]

2.7 المهارة:

تعد المهارة المتطلبة لتنفيذ النشاط الإجرامي أبرز خصائص المجرم المعلوماتي والتي قد يكتسبها عن طريق الدراسة المتخصصة في هذا المجال أو عن طريق الخبرة المكتسبة في مجال تكنولوجيا المعلومات أو مجرد التفاعل الاجتماعي مع الآخرين، ومستوى المهارة التي يكون عليها المجرم المعلوماتي هي التي تحدد الأسلوب الذي يرتكب به الجرائم التي قد يرتكبها لا تتعد الإتلاف المعلوماتي أو نسخ البيانات والبرامج،[4]ما إذا كان المجرم المعلوماتي على درجة أعلى في المستوى المهاري فإن أسلوب ارتكابه للجرائم يختلف، إذ يمكنه عن طريق استخدام الشبكات بالدخول إلى أنظمة الحاسب الآلي لسرقة الأموال وارتكاب جرائم تجسس وزرع الفيروسات وغيرها من الجرائم التي تتطلب مهارة عالية في ارتكابها.

كما أن المهارة التي يتميز بها المجرم المعلوماتي تمكنه من تكوين تصور كامل لجريمته، إذ يستطيع أن يطبق جريمته على أنظمة مماثلة كتلك التي يستهدفها وذلك قبل تنفيذ جريمته، حتى لا يتفاجأ

---

[1] يعد الأستاذ Parker واحدا من أهم الباحثين الذين عنوا بالجريمة المعلوماتية بصفة عامة وبالمجرم المعلوماتي بصفة خاصة ويرى الأستاذ Parker أن المجرم المعلوماتي وإن كان يتميز ببعض السمات الخاصة به إلا أنه لا يخرج في النهاية عن كونه مرتكبا لفعل إجرامي يستوجب توقيع العقاب عليه، ويرمز باركر لهذه الصفات بكلمة SKRAM وهي تعني المهارة SKILLS المعرفة، KNOWLEDG الوسيلة Ressources ، السلطة Autority وأخيرا الباعث Motives.

[2] طارق إبراهيم الدسوقي عطية (2009)، **الأمن المعلوماتي (النظام القانوني لحماية المعلوماتي)**، دار الجامعة الجديدة، القاهرة، مصر، ص177.

[3] محمد علي قطب، **الجرائم المعلوماتية وطرق مواجهتها**، مركز الإعلام الأمني، الأكاديمية الملكية للشرطة، عمان، الأردن، ص14.

[4] خالد ممدوح إبراهيم (2009)، **الجرائم المعلوماتية**، الطبعة الأولى، دار الفكر الجامعي، ص135.

بأمور غير متوقعة من شأنها إفشال مخططاته أو الكشف عنها، فعادة ما يلجأ المجرم المعلوماتي إلى التمهيد لارتكاب جريمته بالتعرف على المحيط الذي تدور فيه، وكذا الظروف التي تحيط بالجريمة المراد تنفيذها وإمكانيات نجاحها واحتمالات فشلها، ويساعده في ذلك درجة المهارة التي يتمتع بها. [1]

3.7 التنظيم والتخطيط:

تتميز الجريمة المعلوماتية عادة بوجود أكثر من فاعل للنشاط الإجرامي الواحد، إذ ترتكب أغلب الجرائم المعلوماتية من عدة أشخاص يحدد لكل شخص منهم دور معين، ويتم العمل بينهم وفقا لتخطيط وتنظيم سابق على ارتكاب الجريمة، فقد تحتاج جريمة نسخ برامج الحاسب الآلي مثلا إلى متن يقوم بنسخ تلك البرامج وإلى من يقوم بعملية بيعها، كما أنه من الملاحظ أن الأشخاص الذين يقومون بخلق أو تعديل البرامج لأغراض غير مشروعة ليسوا دائما المستفيدين بطريقة مباشرة من النشاط الإجرامي، فجرائم المعلوماتية تتطلب عادة شخصين على الأقل أحدهما متخصص في الحاسبات الآلية يقوم بالجانب الفني من المشروع الإجرامي وشخص آخر من المحيط ذاته أو من خارج المؤسسة المجني عليه لتغطية عملية التلاعب وتحويل المكاسب[2]، وأحيانا أخرى يمكن تجنيد المجرم المعلوماتي القادر على اختراق نظم المعلومات ضمن عصابات الجريمة المنظمة عن طريق شبكة الانترنت، ويمكن من خلال هذه الشبكة تبادل أفكار ومعلومات التطرف والإرهاب، كما يمكن الاتفاق معه على ارتكاب الجرائم الأخلاقية أو التلاعب في الحسابات أو بطاقات الائتمان.[3]

4.7 المجرم الالكتروني شخص سوي واجتماعي:

يتميز بأنه إنسان اجتماعي، فهو لا يضع نفسه في حالة عداء مع المجتمع الذي يحيط به بل على العكس من ذلك نجده إنسان متوافق مع مجتمعه[4] ولكنه يقترف هذا النوع من الجرائم التي يتم تشغيله بها، أو بدافع الحصول على الأموال أو بهدف الانتقام.

8- مجالات استخدام الجريمة الالكترونية:

يتسع نطاق مجال الجريمة الالكترونية ليشمل جميع مناح حياة المجتمع وأفراده، بداية من التدخل في حياته الخاصة وصولا إلى أمنه، فنطاق الجريمة الالكترونية تطال حياة الأشخاص الخاصة، كما تطال

---

[1] نائلة عادل محمد فريد قورة (2005)، **جرائم الحاسب الآلي الاقتصادية**، الطبعة الأولى، منشورات الحلبي، ص58.

[2] نائلة محمد فريد قورة، مرجع سابق، ص61.

[3] عبد الفتاح بيومي حجازي، **الجريمة في عصر العولمة دراسة في الظاهرة الإجرامية المعلوماتية**، الطبعة الأولى، دار الفكر الجامعي، ص105.

[4] عبد الصبور عبد القوي (2007)، **الجريمة الالكترونية**، الطبعة الأولى، دار العلوم للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ص88.

أيضا أو تقع على أموال الأفراد والمؤسسات، وأخرى تطال أمن الدولة وسلامتها، ذلك ما يعالج في النقاط الجزئية التالية:

الفرع الأول: الجرائم الالكترونية الواقعة على الأشخاص:

من المتعارف عليه أن المشرع في مختلف النظم القانونية يسن قوانين بغرض حماية الأشخاص من كل اعتداء قد يطالهم، وبظهور العالم الالكتروني أصبحت حياة الأشخاص الخاصة في خطورة نتيجة توافر إمكانية السطو والإطلاع على أدق تفاصيل المعلومات عنهم والاستخدام السيئ لها، ذلك ما يفصل في التالي:

أولا: التهديد والمضايقة: يقصد بالتهديد والمضايقة زرع الخوف في نفس الإنسان من ضرر قد يلحق به شخصيا أو بمن تحت رعايته أو بمن لهم صلة به أو بماله[1] حيث يقوم المجرم الالكتروني بإرسال رسالة الكترونية للمجني عليه تنطوي على ما يرعبه كيفما كان شكله أو مضمونه، وذلك رغبة منه في التحكم في الضحية أو ابتزازه أو لأي سبب آخر.

ثانيا: انتحال شخصية الغير والاستدراج: يتم ذلك من خلال استخدام المجرم الالكتروني لشخصية الضحية أو المجني عليه بغرض الاستفادة من سمعته أو سلطته أو ماله أو غيره من الأسباب، فقد تتم انتحال شخصية المجني عليه أو انتحال شخصية المواقع، ويكثر استخدام هذه الأنماط في الوسط التجاري.[2]

أم الاستدراج فغالب ضحاياه هم صغار السن، حيث يوهمون من قبل المجرم الالكتروني برغبته في تكوين صداقة عبر الشبكة تتحول إلى لقاء واقعي بينهما،[3] وقد تتم الجريمة في إقليم الدولة الواحدة، وقد تكون مخترقة حدود الدولة أي أن المجرم الالكتروني في دولة والضحية موجود بدولة أخرى.

ثالثا: نشر الإباحة: يقصد بنشر الإباحة كل إرسال أو نشر عمل إباحي أو بإعداد أو حفظ أو معالجة أو عرض أو طباعة أو نشر أو ترويج أنشطة أو أعمال إباحية أو اتصال بالدعارة أو الأعمال الإباحية.[4]

---

[1] محمد عبيد الكعيبي (2009)، **الجرائم الناشئة عن استخدام غير المشروع لشبكة الانترنت، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ص31.**

[2] عمرو موسى (2006)، **الجرائم المعلوماتية (جرائم الحاسب الآلي في مصر وفي الدول العربية)**، المكتب الجامعي، الإسكندرية، مصر، ص102.

[3] عمرو موسى، **الجرائم المعلوماتية**، مرجع سابق، ص102.

[4] أحمد محمد اللوزي ومحمد عبد المجيد الذنيبات (2015)، **الجريمة الإباحية الإلكترونية كما نظمها قانون جرائم أنظمة المعلومات الأردني**، مجلة دراسات ، كلية علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، مجلد 42، العدد 03، ص853.

ويتم ذلك من خلال المواقع الالكترونية الموجودة على الشبكة، والتي تستخدم بغرض الإثارة الجنسية من خلال قيام المجرم الالكتروني بنشر صور جنسية فاضحة وأفلام جنسية، وكثيرا ما تستهدف الأطفال والشباب لأن هذه الفئة أقل تحصينا.[1]

رابعا: جريمة الكترونية ماسة بشخص الإنسان وكرامته: تعد الجرائم الالكترونية واسعة الانتشار عبر الشبكات، حيث تستخدم أسلوب القذف والسب وتشويه السمعة وغيرها من الأفعال اللاأخلاقية، بغرض المساس بشرف الشخص أو النيل من كرامته، وقد يكون عبر خطوط الاتصال أو عبر البريد الالكتروني أو عبر صفحات الويب، أو عبر غرف المحادثة أو الدردشة.[2]

الفرع الثاني: جريمة الكترونية تطال الأموال

من المعلوم أنه باتت الكثير من المعاملات المالية في وقتنا الحاضر تتم بواسطة الشبكات الالكترونية، مما زاد من تطور وسائل الدفع الالكتروني، الأمر الذي أدى إلى تطور الجريمة الالكترونية بغية الحصول على الأموال بأقل تكلفة ممكنة.

أولا: جرائم الكترونية تطال بطاقات الائتمان والتحويلات المالية الالكترونية: تتم الجريمة الالكترونية في هذه الحالة من خلال الحصول على كلمة السر المدرجة في أنظمة الكمبيوتر الخاصة بالمجني عليه، مما يسهل على المجرم الالكتروني الولوج إلى النظام المعلوماتي، ويكون ذلك سواء بالتواجد على الشبكة أثناء إتمام عملية ما، أو بإدخال بيانات إلى ذاكرة الجهاز[3]، ويكون ذلك باستخدام الاحتيال وكذلك الاحتيال بواسطة بطاقات الدفع الالكتروني.

---

[1] عبد الكريم خالد الشامي، **جرائم الكمبيوتر والانترنت في التشريع الفلسطيني، في الموقع الالكتروني التالي:** www.pal-ip.org 2019/09/28.

[2] محمد عبيد الكعيبي، مرجع سابق، ص114.

[3] صغير يوسف (2013)، **الجريمة المرتكبة عبر الانترنت**،مذكرة لنيل درجة الماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ص44.

شكل رقم02: متوسط قيمة صفقات البطاقات الائتمانية ومتوسط قيمة الاحتيال فيها في الربع الأول من 2018.

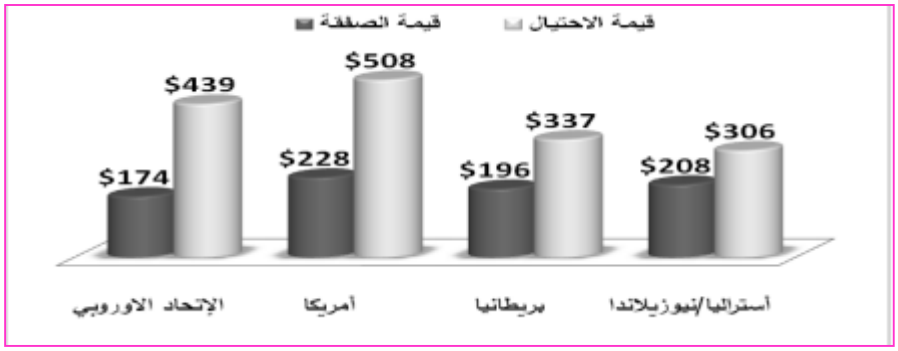

Source: RSA, « **RSA QUARTERLY FRAUD REPORT** », volume1, Issue1,Q1 2018, p9 http://www.nu.co.za/images/docs/rsa-fraud-report-q1-2018.pdf

1. الاحتيال

يتم الاحتيال على الضحية من خلال تضليله بوجود مشروع يحصل من وراءه على أموال مما يدفعه إلى الانسياق وراء تغرير المجرم الالكتروني، هذا الأخير يحصل بواسطة استعماله أفعال تضليلية على أموال ملك للغير دون مسوغ قانوني، ويكون ذلك سواء باتصال عبر الشبكة بين الجاني الالكتروني والمجني عليه، أو من خلال استخدام المجرم الالكتروني البيانات الكاذبة التي تساعده على إيهام الكمبيوتر والاحتيال عليه بغاية الحصول على الأموال.[1]

2. الاحتيال بواسطة بطاقات الدفع الالكتروني

يتم الدفع الالكتروني بواسطة بطاقة الدفع الالكتروني بتحويل مالي من المصدر وهو بنك العميل إلى رصيد متعامل آخر قد يكون تاجر أو دائن، كل ذلك بواسطة شبكة التسوية الالكترونية الدولية مثل (ماستر كارد)، حيث يقوم المجرم بكسر كلمة السر للبطاقة الالكترونية أو خداع الصراف الآلي، وبالتالي يتمكن من الحصول على السلع والخدمات من خلال ماء نموذج الكتروني ببيانات بطاقة الائتمان الخاصة بالمشتري.[2]

ثانيا: سرقة أموال البنوك: وتتحقق بواسطة استخدام المجرم الالكتروني الكمبيوتر بغرض الدخول إلى الشبكة والوصول غير المشروع إلى البنوك وغيرها من المؤسسات المالية، وتحويل الأموال من الحسابات الخاصة

[1] يونس عرب (2006)، **قراءة في الاتجاهات التشريعية للجرائم الالكترونية**، ورشة عمل تطوير التشريعات في مجال مكافحة الجرائم الالكترونية، مسقط عمان، ص16.

[2] صغير يوسف (2013)، مرجع سابق، ص45.

بالعملاء إلى حسابات أخرى، وقد يتم ذلك بكميات بسيطة بصفة متكررة بحيث لا يلفت الانتباه، وقد يتم دفعة واحدة.[1]

ثالثا: غسيل الأموال: يعد غسيل الأموال من أبرز الأنشطة التي تقوم بها شبكات منظمة تحترف الإجرام الالكتروني، وتأخذ درجة عالية من التنسيق والتخطيط والانتشار في كافة أنحاء العالم، وتشير إحصائيات الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي إلى أن 30 مليار دولار أمريكي من الأموال تغسل سنويا عبر الشبكات الالكترونية مخترقة حدود ما يقارب أو يزيد عن 76 دولة في العالم.[2]

الفرع الثالث: جريمة الكترونية تطال أمن الدولة

وتتمثل في جرائم الإرهاب والتجسس والجريمة المنظمة:

أولا: الإرهاب والجريمة الالكترونية: مما لا شك فيه أن ظاهرة الإرهاب أضحت عالمية، حيث ظهرت الكثير من التنظيمات التي تتبنى هذا الفكر في مختلف دول العالم وبمختلف التسميات، وتظهر العلاقة بين الإرهاب والجريمة الالكترونية من خلال تجنيد وتجيش أعضاء جدد في التنظيم أو حشد الهمم بواسطة استخدام مختلف وسائل التواصل الالكتروني.

كما يتم تبني العمليات الإرهابية والدعاية لهذه التنظيمات وأعمالها من خلال مختلف الوسائط والمواقع الالكترونية بما يحقق أهدافها.

ثانيا: التجسس والجريمة الالكترونية: غير خاف أن التطور في المجال الالكتروني المعلوماتي سهل من مهمة التجسس، فالمجرم الالكتروني سواء كان شخص واحد أو تنظيم يمكنه التجسس سواء على الأشخاص أو المنظمات وحتى الدول أو أجهزتها، ويأخذ التجسس عدة صور فقد يكون تجسس اقتصادي أو سياسي أو عسكري.

ثالثا: الجريمة المنظمة والجريمة الالكترونية: غني عن البيان أن أعضاء الجريمة المنظمة يستفيدون من خلال استغلال الإمكانات المتاحة الكترونيا في التخطيط والتوجيه وتنفيذ المخططات الإجرامية بسهولة مخترقة حدود الدول بأقل تكلفة ممكنة ودون مخاطرة.[3]

---

[1] محمود حجازي، مرجع سابق، ص18.

[2] محمود حجازي، مرجع سابق، ص96.

[3] يوسف الصغير، مرجع سابق، ص96.

9- أهم الإحصائيات المتعلقة بالجرائم الالكترونية

1.9 أكثر الدول عرضة للجرائم الالكترونية:

حسب تقرير أعدته RSA العالمية لأمن المعلومات، فإن الربع الرابع من سنة 2017 سجل أكبر فترة تمت فيها هجمات التصيد الالكتروني بحوالي 29.347 هجمة أما الر بع الأول لسنة 2018 يشهد هو الآخر حوالي 24.581 هجمة الكترونية، فعدد الهجمات الالكترونية تحافظ على استقرار نسبي لها مما يدل على استمرار الظاهرة بشكل مكثف حتى سنة 2018.

شكل رقم03، مجموع هجمات التصيد الالكتروني التي تم اكتشافها (الربع الأول 2017–الربع الأول 2018)

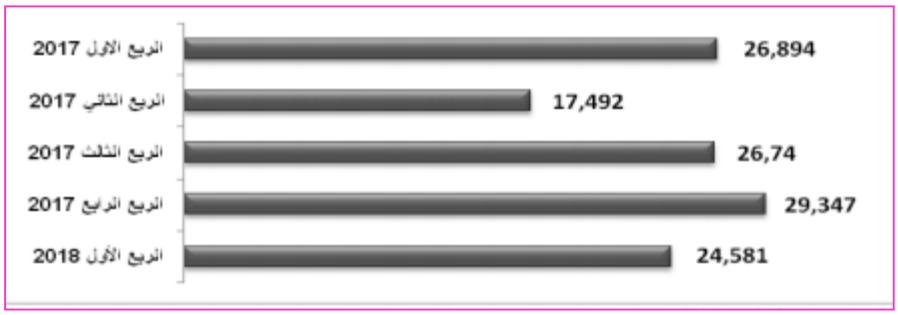

Source: RSA, « **RSA QUARTERLY FRAUD REPORT** », volume1, Issue1,Q1 2018, p5 http://www.nu.co.za/images/docs/rsa-fraud-report-q1-2018.pdf

وحسب نفس التقرير للربع الأول والثاني من سنة 2018 فإن الدول الأكثر استهدافا لهجمات صيد المعلومات هي الولايات المتحدة الأمريكية وكندا، أما الدول الأكثر استضافة للهجمات هي الولايات المتحدة، كما شهدت هولندا واسبانيا زيادة في هجمات التصيد في الربع الثاني من 2018، مما دفعهما للوصول إلى أكثر خمس بلدان استهدافا، فرنسا هي الوافدة الجديدة لقائمة أفضل 10 بلدان استهدافا.

جدول رقم 01: الدول المستهدفة والمستضيفة للهجمات الالكترونية للربع الأول والثاني من 2018.

الدول المستضيفة للهجمات الالكترونية (الربع الأول 2018)		الدول المستهدفة من قبل الهجمات الالكترونية (الربع الأول 2018)		الدول المستضيفة للهجمات الالكترونية (الربع الثاني 2018)		الدول المستهدفة من قبل الهجمات الالكترونية (الربع الثاني 2018)	
الو.م.أ	.1	كندا	.1	الو.م.أ	.1	كندا	.1
روسيا	.2	الو.م.أ	.2	الهند	.2	الو.م.أ	.2
الهند	.3	الهند	.3	كندا	.3	هولندا	.3
أستراليا	.4	البرازيل	.4	روسيا	.4	الهند	.4
كندا	.5	هولندا	.5	ألمانيا	.5	اسبانيا	.5
فرنسا	.6	كولومبيا	.6	هولندا	.6	البرازيل	.6
لوكسمبورغ	.7	إسبانيا	.7	استراليا	.7	كولومبيا	.7
ألمانيا	.8	المكسيك	.8	ماليزيا	.8	فرنسا	.8
الصين	.9	ألمانيا	.9	ايطاليا	.9	البيرو	.9
إيطاليا	10	جنوب إفريقيا	10	فرنسا	.10	المكسيك	.10

Source: RSA, « **RSA QUARTERLY FRAUD REPORT** », volume1, Issue1, Q1 2018, p5 http://www.nu.co.za/images/docs/rsa-fraud-report-q1-2018.pdf
-http://www.arame.com.mx/wp-content/uploads/2018/08/rsa-fraud-report-q218.pdf

الآثار الناجمة عن الجرائم الالكترونية: فحسب تقرير Ponemo Institue [1] لسنة 2017 شهد متوسط التكلفة العالمية للجريمة الالكترونية على مدار الخمس سنوات الماضية (2013إلى غاية 2017) زيادة ثابتة في السنوات الثلاث الأولى، ثم زيادة كبيرة قدرها 27.4% مقارنة بالعام الماضي، حيث وصل متوسط التكلفة العالمية للجريمة الالكترونية سنة 2017 ذروته بـ11.7 مليون دولار.

شكل رقم04: متوسط التكلفة العالمية للجريمة الالكترونية على مدار خمس سنوات (2013–2017)

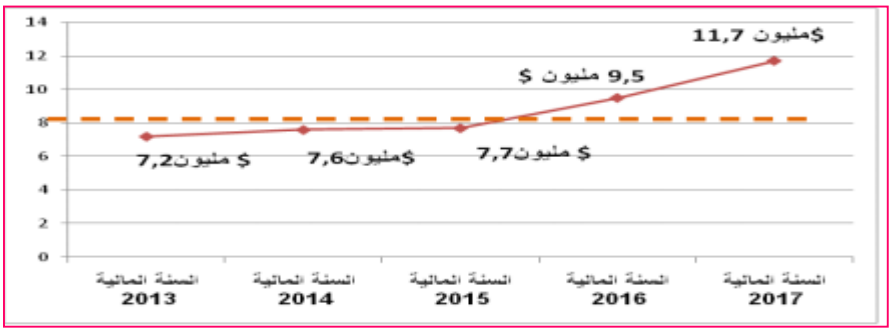

Source: Ponemo Institute, "**2017 Cost of Cyber Crime Study**", Date of view, 30/09/2018, online: https://www.accenture.com/t20171006T095146Z__w__/us-en/_acnmedia/PDF-62/Accenture-2017CostCybercrimeUS-FINAL.pdf

[1] https://www.accenture.com/t20171006T095146Z__w__/us-en/_acnmedia/PDF-62/Accenture-2017CostCybercrimeUS-FINAL.pdf

خاتمة:

إن الجريمة الالكترونية لاعتبارها من الجرائم المعلوماتية المعاصرة التي واكبت عصر التقدم التكنولوجي خصوصا بعد ظهور شبكة المعلومات الدولية "انترنت"، بسبب التقدم العلمي الحاصل ساعد على انتشار وتنوع هذا السلوك الإجرامي والذي أصبح يهدد الإنسان في مختلف المجالات لا سيما الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والأخلاقية وحتى المعتقدات الدينية لذلك وأمام الانتشار الواسع لهذا النمط الإجرامي الجد متطور والذي تستخدم فيه أحدث التقنيات التكنولوجية العالية والمتطورة، وسرعة وحيلة وبداهة مرتكبيه والتي تجعلهم دائما يفلتون من العقاب في ظل غياب الدليل المادي للجريمة إضافة إلى غياب منظومة تشريعية وطنية تحدد الفعل، تجرمه ثم تحدد العقوبة المناسبة لمرتكبه انعكس ذلك سلبا على المستوى الدولي، فعلى الرغم من وجود العديد من الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالجريمة الالكترونية إلا أنها تبقى غير كافية في غياب تظافر للجهود الدولية والتي تسعى في مجملها إلى اتخاذ التدابير اللازمة للحد من هذه الجرائم بالنظر إلى أن تسعى إلى تعديل قوانينها الداخلية وجعلها تواكب التطور العلمي والتكنولوجي، والعمل على إبرام اتفاقيات دولية ثنائية ومتعددة الأطراف لاحتواء الجريمة والتخفيف منها.

قائمة المراجع:

1. أحمد محمد اللوزي ومحمد عبد المجيد الذنيبات (2015)، **الجريمة الإباحية الإلكترونية كما نظمها قانون جرائم أنظمة المعلومات الأردني**، مجلة دراسات ، كلية علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، مجلد 42، العدد 03.
2. أمير فرج يوسف (2011)، **الجريمة الالكترونية والمعلوماتية والجهود الدولية والمحلية لمكافحة جرائم الكمبيوتر والانترنت**، ط1، مكتبة الوفاء القانونية، مصر.
3. المادة الثانية الفقرة رقم 09-04 المؤرخ في 05 أوت 2009، ج.ر، عدد 47، المتضمن القواعد الخاصة للوقاية من الجرائم المتصلة بتكنولوجيا الإعلام والاتصال ومكافحتها، الصادر في 16 أوت 2009.
4. المديرية العامة للاتصالات والمعلوماتية، **الجريمة الالكترونية**، العراق.
5. [1]بن غدفة شريفة، القص صليحة (2017)، **الجريمة الالكترونية الممارسة ضد المرأة على صفحات الانترنت وطرق محاربتها**، أعمال الملتقى الوطني "آليات مكافحة الجرائم الالكترونية في التشريع الجزائري"، الجزائر 29 مارس.
6. جلال محمد الزعبي، أسامة المناعسة(2010)، **جرائم تقنية نظم المعلومات الالكترونية (دراسة مقارنة)، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ص62.**
7. [1]حنان ريحان مبارك المضحاكي (2014)، **الجرائم المعلوماتية، ط1، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت.**
8. خالد عياد الحلبي (2011)، **إجراءات التحري والتحقيق في جرائم الحاسوب والانترنت**، دار الثقافة، الأردن.
9. خالد ممدوح إبراهيم (2008)، **أمن الجريمة الالكترونية، الدار الجامعية الجديدة، مصر.**
10. خالد ممدوح إبراهيم (2009)، **الجرائم المعلوماتية**، الطبعة الأولى، دار الفكر الجامعي.

11. ذياب موسى البدانية (2014)، **الجرائم الالكترونية:المفهوم والأسباب**، ورقة علمية مقدمة في إطار الملتقى العلمي الجرائم المستحدثة في ظل المتغيرات والتحولات الإقليمية والدولية، المنعقد خلال 02-04 سبتمبر، كلية العلوم الإستراتيجية، الأردن.

12. رابح وهيبة (2014)، **الجريمة المعلوماتية في التشريع الإجرائي الجزائري**، مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية، العدد 4، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم، ديسمبر.

13. رحومة علي محمد (2005)، **الانترنت المنظومة التكنو-اجتماعية، بحث تحليلي في الآلية التقنية للانترنت ونمذجة منظومتها الاجتماعية، الطبعة الأولى، سلسلة أطروحات الدكتوراه "53"، مركز دراسات الوحدة العربية.**

14. صغير يوسف (2013)، **الجريمة المرتكبة عبر الانترنت**، مذكرة لنيل درجة الماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.

15. طارق إبراهيم الدسوقي عطية (2009)، **الأمن المعلوماتي (النظام القانوني لحماية المعلوماتي)**، دار الجامعة الجديدة، القاهرة، مصر.

16. عبد الكريم خالد الشامي، **جرائم الكمبيوتر والانترنت في التشريع الفلسطيني، في الموقع الالكتروني التالي:** www.pal-ip.org

17. عمرو موسى (2006)، **الجرائم المعلوماتية (جرائم الحاسب الآلي في مصر وفي الدول العربية)**، المكتب الجامعي، الإسكندرية، مصر.

18. عبد الصبور عبد القوي (2007)، **الجريمة الالكترونية**، الطبعة الأولى، دار العلوم للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

19. عبد الفتاح بيومي حجازي، **الجريمة في عصر العولمة دراسة في الظاهرة الإجرامية المعلوماتية**، الطبعة الأولى، دار الفكر الجامعي.

20. عبد الله عبد الكريم عبد الله (2007)، **جرائم المعلوماتية والانترنت دراسة مقارنة في النظام القانوني لمكافحة جرائم المعلوماتية والانترنت مع الإشارة إلى جهود مكافحتها محليا وعربيا ودوليا**، منشورات الحلبي الحقوقية، لبنان.

21. علي عبود جعفر (2013)، **جرائم تكنولوجيا المعلومات الحديثة الواقعة على الأشخاص والحكومة (دراسة مقارنة)**، منشورات زين الحقوقية، لبنان.

22. عبد الفتاح بيومي حجازي(2009)، **نحو صياغة نظرية عامة في علم الجريمة والمجرم المعلوماتي**، منشأة المعارف، مصر.

23. عمر الفاروق الحسيني (1989)، **تأملات في بعض صور الحماية الجنائية لبرامج الحاسب الآلي**، مجلة المحاماة، عدد نوفمبر، القاهرة.

24. عبد الفتاح بيومي حجازي (2009)، **الدليل الجنائي والتزوير في جرائم الكمبيوتر والانترنت**، دار مدبولي، القاهرة.

25. فضيلة عاقلي (2017)، **الجريمة الالكترونية وإجراءات مواجهتها من خلال التشريع الجزائري**، المؤتمر الدولي الرابع عشر "الجرائم الالكترونية"، طرابلس، يمي 24-25 مارس.

26. قارة أمال (2006)، **الحماية الجنائية للمعلوماتية في التشريع الجزائري**، ط1، دار هومه.

27. لورنس سعيد الحوامدة (2016)، "**الجرائم المعلوماتية أركانها وآلية مكافحتها" دراسة تحليلية مقارنة**، مجلة ميزان للدراسات القانونية والشرعية، الأردن.

28. ليندا شرابشه (2009)، **السياسة الدولية والإقليمية في مجال مكافحة الجريمة الالكترونية "الاتجاهات الدولية في مكافحة الجريمة الالكترونية"**، المجلد 01، العدد 01، مجلة دراسات وأبحاث، جامعة زيان عاشور، الجلفة.

29. محمد أمين الشوابكة (2009)، **جرائم الحاسوب والانترنت (الجريمة المعلوماتية)**، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن.

30. محمد علي قطب، **الجرائم المعلوماتية وطرق مواجهتها**، مركز الإعلام الأمني، الأكاديمية الملكية للشرطة، عمان، الأردن.

31. محمد عبيد الكعيبي (2009)، **الجرائم الناشئة عن استخدام غير المشروع لشبكة الانترنت، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر.**

32. نهلا عبد القادر المومني (2010)، **الجريمة المعلوماتية**، الطبعة الثانية، دار الثقافة للنشر والتوزيع.

33. نمديلي رحيمة (2017)، **خصوصية الجريمة الالكترونية في القانون الجزائري والقوانين المقارنة**، ورقة علمية مقدمة في إطار أعمال المؤتمر الدولي الرابع عشر:الجرائم الالكترونية، المنعقد في طرابلس، لبنان، 24-25 مارس.

34. نائلة عادل محمد فريد قورة (2005)، **جرائم الحاسب الآلي الاقتصادية**، الطبعة الأولى، منشورات الحلبي.

35. يونس عرب (2006)، **قراءة في الاتجاهات التشريعية للجرائم الالكترونية**، ورشة عمل تطوير التشريعات في مجال مكافحة الجرائم الالكترونية، مسقط عمان.

36. ياسمينة بونعارة (2015)، **الجريمة الالكترونية**، مجلة المعيار، العدد39، كلية أصول الدين، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.

37. Mascala Corrine (2000), **Criminalité et contrat Elect**ronique, IN, Le contrat Electronique, travaux de L'Association CAPITANT Henri Journée National, Paris.

38. Ponemo Institute, "**2017 Cost of Cyber Crime Study**", Date of view, 30/09/2018, online: https://www.accenture.com/t20171006T095146Z__w__/us-en/_acnmedia/PDF-62/Accenture-2017CostCybercrimeUS-FINAL.pdf

39. http://www.nu.co.za/images/docs/rsa-fraud-report-q1-2018.pdf

الجريمة المعاصرة : رؤية سوسيولوجية ،إعلامية للأسباب و الأدوار.

د/ كمـال صدقاوي.

جامعة ابن خلدون ـ تيارت ـ الجزائر.

الملخص:

يناقش هذا البحث موضوعًا في غاية الأهمية مرتبط بميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية ألا وهو ظاهرة الجريمة المعاصرة، فالتطور السريع الذي شهدته الجزائر في عدة مستويات أثر إيجابا أو سلبا على المعايير الاجتماعية (قيم المجتمع و أخلاقه..)، و كذا المنظومات السلوكية التي كان الجميع يمتثل لها ... حيث تعتبر هذه الظاهرة من أعقد المشاكل التي تواجه المجتمعات في الوقت الراهن ، ولا يكاد ينجو منها أي مجتمع سواء كان متقدماً أو ناميًا، و في غياب إحصائيات دقيقة جدا وضبابية كبيرة عن نسبة الجريمة ، التي طالما اعتبرناها غريبة و دخيلة على مجتمعنا الجزائري وعلى اعتبار أنها من أهم المشاكل التي تواجه الأسرة والمجتمع بصفة عامة في أي مجتمع ، والتناول النظري سواء الاجتماعي منه أو الإعلامي لهذه الظاهرة مهم جدا في تفسيرها ، فتسليط الضوء على الطرق المعتمدة من طرف وسائل الإعلام في معالجة الجريمة في الجزائر والتي لا شك بأن لها دور في انتشار هذه الظاهرة وتفشيها في المجتمع، ومع قلة الدراسات الأمبريقية التي اهتمت بالموضوع، كان لزاما على الباحثين الوقوف عند هذه الظاهرة بالبحث و التقصي .

الكلمات المفتاحية: الجريمة، التناول الاجتماعي، التناول الإعلامي، الإطار النسقي، المعايير الاجتماعية الآثار.

Résumé :

Cette recherche aborde un sujet très important lié au domaine des sciences sociales et humaines, à savoir le phénomène de la criminalité. Le développement rapide observé par l'Algérie à plusieurs niveaux a un effet sur les normes sociales ..Ce phénomène est l'un des problèmes les plus complexes auxquels les sociétés sont confrontées à l'heure actuelle, pratiquement aucune société ne survit, et en l'absence de statistiques très précises sur la proportion de crimes. le phénomène de la criminalité est l'un des problèmes les plus importants auxquels la famille et la société en général sont confrontées.L'approche, sociale ou médiatique, est très importante pour l'interpréter, soulignant les méthodes adoptées par les médias pour faire face au crime en Algérie, qui joue sans aucun doute un rôle dans la propagation de ce phénomène dans la société. Ce qui, il fallait que les chercheurs tiennent tête à ce phénomène de recherche et d'investigation.

Mots-clés: criminalité, interaction sociale, couverture médiatique, cadre de coordination, normes sociales, effets.

01-الاشكالية:

يناقش هذا البحث موضوعًا في غاية الأهمية مرتبط بميدان العلوم الاجتماعية والإنسانية ألا وهو ظاهرة الجريمة. فلما كانت أهم ميزة يتميز بها أي مجتمع هو التغير المستمر[1] ،الذي يطال كل مناحي الحياة الاجتماعية[2]، مما قد يساهم في ظهور بعض الظواهر التي شغلت و مازالت تشغل بال أفراد المجتمع والباحثين على الخصوص وهي الجريمة التي يعاني منها الكثير من المجتمعات بما فيها المجتمع الجزائري. والتي لاتزال واحدة من الظواهر والمعضلات التي تهدد كيان الفرد والمجتمع على حد سواء، فلا يخلو أي مجتمع من هذه الظاهرة سواء كانت هذه المجتمعات متقدمة أو متخلفة، وما يزال الإنسان عاجزا حتى اليوم للحد منها وكيفية التعامل معها والتصدي لها، هذا ما دفع بالكثير من علماء الاجتماع إلى دراسة هذه الظاهرة من أجل الوقوف على أسبابها والعوامل المؤثرة فيها[3]. حيث يرى علماء الاجتماع بأن الجريمة ظاهرة اجتماعية وأن التجريم بحد ذاته هو الحكم الذي تصدره الجماعة على بعض أنواع السلوك بصرف النظر عن نص القانون وفي هذا الاتجاه ميز جارد فالو بين الجريمة الطبيعية التي لا تختلف عند الجماعات في الزمان والمكان لتعارضها مع المبادئ الإنسانية والعدالة كجرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال، والجريمة المصطنعة التي تشكل خرقا للعواطف القابلة للتحول كالعواطف الدينية والوطنية واعتبر الأولى بأنها تدخل في المعنى الحقيقي للإجرام ودراساته التحليلية ويقدر البعض الآخر بأن الجريمة عبارة عن السلوك الذي تحرمه الدولة ... وهو بوجه عام يشكل السلوك المضاد للمجتمع والذي يضر بمصالحه. فالتطور التكنولوجي على الرغم من آثاره الإيجابية إلا أن له العديد من السلبيات التي تهدد أمن واستقرار المجتمع في العالم بأسره [4]. فالتحول السريع الذي شهدته الجزائر في عدة مستويات (اجتماعية، إقتصادية..)، أثر إيجابا أو سلبا على المعايير الاجتماعية (قيم المجتمع و أخلاقه..)، و كذا المنظومات السلوكية التي كان الجميع يمتثل لها .. فلقد قدم كتاب دراسات في علم الاجتماع الجنائي لمؤلفه طلعت ابراهيم لطفي، مدخلاً لدراسة علم الاجتماع الجنائي[5]، الذي يعتبر أحد تخصصات علم الاجتماع الذي ظهر منذ منتصف القرن التاسع عشر على يد مجموعة من علماء الاجرام مثل انريكو فيري ، فيرى كتليه لا كساني وجيري وغيرهم ويدرس هذا التخصص الجريمة والانحراف من الناحية الاجتماعية بمعنى أنه يهتم بتوضيح العلاقة

---

[1]- منال محمد عباس(2011)، « **الانحراف والجريمة في عالم متغير**»، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

[2]- السيد عوض(2001)، « **الجريمة في مجتمع متغير**»، المكتبة المصرية، الإسكندرية.

[3] - مصطفى زيكيو (2018)، « **دراسة إحصائية للجريمة في الجزائر** »، مجلة العلوم الاجتماعية ، المجلد 4 العدد07، ص 75-89.

[4]- السيد عوض(2004) ، « **التطور التكنولوجى والجريمة** »، المؤتمر السنوي الرابع والثلاثون قضايا السكان والتنمية 19- 22 ديسمبر القاهرة.

[5]- طلعت ابراهيم لطفي (2009)، « **دراسات في علم الاجتماع الجنائي**»، دار الطباعة للنشر و التوزيع .

الموجودة بين ظاهرة الجريمة وبين الظروف الاجتماعية التي تدفع بالأفراد الى ارتكاب الجريمة واتيان سلوك مناف للقواعد العرفية التي يسير عليها المجتمع. كما قدم كتاب "الجرائم المستحدثة. تحليل سوسيولوجي"[1] إضاءة على الجرائم العصرية التي أفرزتها وأدت إلى تأججها التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المصاحبة للتقدم الفني في الآونة الأخيرة وهو الأمر الذي أنتج، حسب المؤلف، وفي ظل زيادة تطلعات الأفراد وإحداث تغيرات جذرية عميقة في نمط معيشتهم وعلاقاتهم الإنسانية والاجتماعية، دعوات ملحة إلى التصدي للمفاعيل السلبية المتأتية عن واقع هذه النتائج المتمخضة عن نوعيات الأذى المادي والمعنوي لما يصدر عن تلك التغييرات العصرية وتغلغلها في المجتمعات المعاصرة، والتي بقدر ما كانت لها جوانب إيجابية، فإنها قد انعكست بصورة أو بأخرى على الجريمة وطبيعتها، فظهرت صور وأنماط عدة وجديدة من الجرائم عرفت باسم "الجرائم المستحدثة".. في مجالات متعددة في المجتمع. حيث تعتبر هذه الظاهرة من أعقد المشاكل التي تواجه المجتمعات في الوقت الراهن، ولا يكاد ينجو منها أي مجتمع سواء كان متقدماً أو ناميًا، و في غياب إحصائيات دقيقة جدا وضبابية كبيرة عن نسبة الجريمة ، التي طالما اعتبرناها غريبة و دخيلة على مجتمعنا الجزائري – رغم أنها قديمة قدم البشرية–.وعلى اعتبار أن ظاهرة الجريمة المعاصرة من أهم المشاكل التي تواجه الأسرة والمجتمع بصفة عامة بما فيها المجتمع الجزائري، والتناول النظري سواء الاجتماعي منه أو الإعلامي لهذه الظاهرة مهم جدا في تفسيرها ، فتسليط الضوء على الطرق المعتمدة من طرف وسائل الإعلام في معالجة الجريمة في الجزائر و التي لا شك بأن لها دورا إيجابيا أو سلبيا في انتشار هذه الظاهرة وتفشيها في المجتمع ، وهنا لابد من الوقوف على الاختلاف بين مختلف وسائل الإعلام الجزائرية في معالجة هذه القضية .. وعلى اعتبار أن ظاهرة الجريمة المعاصرة من أهم المشاكل التي تواجه الأسرة والمجتمع بصفة عامة بما فيها المجتمع الجزائري، والتناول الاجتماعي منه أو الأمني أو الإعلامي لهذه الظاهرة مهم جدا [2]، في تفسيرها ولابد منه ولا يمكن الاستغناء عنه ، أين كشفت الشرطة في الجزائر عن ارتفاع معدلات الجريمة داخل المجتمع الجزائري منذ بداية هذه السنة، حيث ارتفعت بنسبة 16% مقارنة مع نفس الفترة من السنة الماضية.وبحسب بيان الشرطة الجزائرية، فقد تمت معالجة 9685 قضية منذ بداية العام من بينها 6151 متعلقة بجرائم القانون العام أي ما نسبته 64% من العدد الإجمالي للقضايا، من بينها أيضا 10%، متعلقة بالجريمة المنظمة، غالبيتها تتعلق بقضايا تهريب المخدرات والسرقة والقتل والتسبب في الحرائق، وحمل الأسلحة البيضاء.كما أشار البيان ذاته إلى توقيف

[1]– ناجي محمد سليم (2015)، « **الجرائم المستحدثة..تحليل سوسيولوجي**».

[2]- بورياحي بلال ، بوطالبي كريم (2017)، « **المعالجة الاعلامية لجريمة القتل في المجتمع الجزائري** »، مذكر ماستر في علوم الاعلام و الاتصال جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة.

10 آلاف و533 شخصا، وُضع منهم 952 في الحبس المؤقت، ما يعني ارتفاع مستوى الجريمة داخل المجتمع الجزائري بنسبة 16%. تأتي هذه المعلومات والأرقام الرسمية بعد أيام فقط عن تصنيف الجزائر في المرتبة الـ 49 عالميا والسادسة عربيا في مؤشر الجريمة العالمي لسنة 2017 من أصل 125 دولة[1]. برسم التقرير السنوي لمؤشر الجريمة العالمي، المنشور على موقع موسوعة قاعدة البيانات "نامبيو"، حلت الجزائر في الصف الثالث في شمال إفريقيا، بينما تواجدت الجزائر في المرتبة الـ49 عالميا والسادسة عربيا، فيما جرى تصنيف الشقيقة تونس في الصف العاشر عربيا. وجرى تصنيف الجزائر خلف مصر وليبيا بنسبة 49.57 % من مقياس الجريمة، على مقياس الأمان والسلامة، وحصلت سوريا الأولى، ثمّ الصومال، ليبيا، العراق، ومصر على المراكز الخمسة الأولى في الدول الأعلى لمستويات الجريمة في الشرق الأوسط.وعلى المستوى العالمي، جاءت فنزويلا في مقدمة الدول الأعلى في معدلات الجريمة عالميا، تلتها في المركز الثاني دولة غينيا الجديدة، ثمّ الهندوراس، وجنوب السودان رابعا، ثم جنوب إفريقيا في المركز الخامس.واحتلت قطر المركز الأخير، لتصبح أقل دول العالم عرضة للجريمة، بينما تموقعت سنغافورة في المركز قبل الأخير، ثم تايوان.وتعدّ موسوعة قاعدة البيانات "نامبيو"، أحد أكبر قواعد البيانات على شبكة الإنترنت في العالم، وتتضمن تصنيفا لـ 125 دولة عبر العالم، كما تقوم بترتيب الدول التي تتركز فيها معدلات الإجرام المرتفعة بأشكالها المختلفة، إلى الدول الأقل في معدلات الجريمة.ويعتمد التصنيف على معايير القتل والسطو والسرقة والاغتصاب، وغير ذلك من أشكال الإجرام...ارتفاع مستويات الجريمة في المجتمع الجزائري بهذه النسبة الكبيرة رغم التعزيزات الأمنية التي تخصصها السلطات الجزائرية في مختلف المناسبات، ورغم الكم الهائل من الدراسات الأكاديمية التي حاولت في مجملها تشريح أسباب الظاهرة في الجزائر، وإعطاء حلول عملية للحد منها[2].فتسليط الضوء على الطرق المعتمدة من طرف وسائل الإعلام في معالجة الجريمة في الجزائر حيث أن هذه المعالجة لا شك بأن لها دورا إيجابيا أو سلبيا في انتشار هذه الظاهرة وتفشيها في المجتمع [3]، وهنا لابد من الوقوف على الاختلاف بين مختلف وسائل الإعلام الجزائرية في معالجة هذه القضية سواء كانت هذه الوسائل مكتوبة آو سمعية بصرية وحتى الكترونية ، وفي نفس الوقت تحديد الاختلاف بين وسائل الإعلام العمومية والخاصة في عرض مواد إعلامية تتناول الجريمة شكلا و مضمونا .وهنا لابد من التأكيد على أن وسائل الإعلام بعرضها مختلف مشاهد العنف سواء على

[1]– لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع للموقع https://eldjazair365.com

[2]– لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع لبوابة العين الاخبارية al-ain.com/article/algeria-high-crime-rate

[3]– محمد بن عودة (2013)، « **دور الاعلام في الوقاية من الجريمة و الانحراف** »، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية ، المجلد 03، العدد 05، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، ص 80– 89.

شكل رسوم متحركة ، آو حتى على شكل أفلام ومسلسلات مثيرة للأطفال و المراهقين ، تعمل على تعزيز الروح الفردية وحب الذات ، وكذا التمرد على القيم والضوابط الاجتماعية ، التي كثيرا ما يتأثر بها الأحداث في مختلف المجتمعات خاصة إذا كان ذلك بعيدا عن الرقابة الأسرية والاجتماعية [1]، ويساهم الإعلام كذلك في هذه القضية عندما يبحث عن الإثارة من أجل جذب المتلقي دون مراعاة المهنية المطلوبة في استهجان السلوكيات السلبية وتسليط الضوء على جانب الردع والملاحقة القانونية. ولقد تعددت الأبحاث حول العلاقات ومختلف التناولات السوسيولوجية، الاعلامية...التي يمكن الوقوف عندها عند دراستنا للجريمة ، تناولتها العديد من الدراسات ، فمن الباحثين من تناول بعض جوانبها، فيما اشتملت أبحاث بعضهم الآخر على جميع الجوانب منها دراسات علي مانع[2]، بلعيوز الطاهر[3]، لمزي جميلة، حبة وديعة[4]، بوفولة بوخميس[5]، محمد بن عودة[6]، ياسمينـــــة كتفي، حنان بونيف[7]، غنو آمال[8]، بورياحي ، بوطالبي[9]، مصطفى زيكيو[10]... وقد إهتم علماء النفس بدراسة هذه الظاهرة مثلهم مثل رجال القانون وعلماء التربية، ذلك أن للخصائص النفسية للفرد تأثير مهم في صقل سلوكه وتوجيهه إلى منحى معين، كما للبيئة الاجتماعية من أسرة ومدرسة وجماعة الرفاق ووسائل الاتصال والإعلام دور مهم أيضا في بلورة النموذج السلوكي المنتهج سواء كان سويا أو منحرفا...و نظرا لهذه الأهمية ، كان اهتمام الباحثين و المتخصصين في العديد من المجالات (النفسية، الاجتماعية، القانونية، الإعلامية ..)، ومع قلة الدراسات الأمبريقية التي اهتمت بالموضوع بالجزائر ، كان لزاما على الباحثين الوقوف عند هذه الظاهرة بالبحث و التقصي ...و في هذا الإطار تدخل هاته المداخلة المقترحة محاولة الإجابة على بعض الإستفهامات من خلال 03 استفهامات أراها أساسية في تناول محور الجريمة المعاصرة و هي :

- « إلى أي مدى التناول الاجتماعي لظاهرة الجريمة مهم »

---

[1]- بوفولة بوخميس (2009)، «**الأسرة وانحراف الأحداث** »، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد21 ، ص 53

[2]- علي مانع(2002)،«**عوامل جنوح الأحداث في الجزائر :نتائج دراسة ميدانية** »، الجزائر :ديوان المطبوعات الجامعية، 2002 ص100

[3]- بلعيوز الطاهر (2008)، « **رؤية سوسيولوجية لظاهرة الجريمة** »، مجلة العلوم الانسانية ، المجلد 30 العدد02، ص 117-126.

[4]- لمزي جميلة ، حبة وديعة (2008)، « **قراءة سوسيولوجية لظاهرة الجريمة المعاصرة بالمجتمع الجزائري** »، مجلة الدراسات و البحوث الاجتماعية جامعة الوادي ، العدد 07 ، ص 172-189.

[5]- بوفولة بوخميس (2009)، مرجع سبق ذكره، ص 53

[6]- محمد بن عودة (2013)، مرجع سبق ذكره ، ص 80- 89.

[7]- ياسمينة كتفي ، حنان بونيف (2013)، « **دور الاعلام في الوقاية من الجريمة و الانحراف** »، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية ، م 03، العدد 05، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، ص 115- 124.

[8]- غنو أمال(2016)، « **الجريمة و الانحراف بين الشباب الجزائري**»، آفاق للعلوم ، م01، العدد 02، جامعة زيان عاشور الجلفة، ص170.

[9]- بورياحي بلال ، بوطالبي كريم (2017)، مرجع سبق ذكره ،.

[10]- مصطفى زيكيو (2018)، « **دراسة إحصائية للجريمة في الجزائر** »، مجلة العلوم الاجتماعية ، المجلد 4 العدد07، ص 75-89.

- « إلى أي مدى التناول الإعلامي لظاهرة الجريمة يفيد في الفهم الأعمق للظاهرة »
- «أليس من الضروري الاعتماد على السياق النسقي لظاهرة الجريمة لفهمها أكثر »

02- أهداف البحث .

نهدف من خلال هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على :

- الوقوف عند الأهمية النفسية، الاجتماعية و الاعلامية للجريمة المعاصرة.
- الوقوف على أهم العوامل و الأسباب التي تقف وراء ارتكاب مختلف الجرائم.
- الوقوف عند الاتجاهات النظرية للجريمة المعاصرة.
- توضيح التأثير السلبي للجريمة على السلامة الجسمية والنفسية والذهنية للأفراد.
- التكفل بدراسة الجريمة المعاصرة لأهميتها في تحقيق النمو النفسي و الإجتماعي للأفراد.

03- أهمية البحث .

- تفيد في ضرورة إدراك أفراد المجتمع أهمية دراسة الجريمة المعاصرة في أي مجتمع.
- المساعدة في بناء برامج نفسية اجتماعية بناء على ما توصلت له نتائج وتوصيات المداخلة
- إعداد مناهج و برامج دراسية تتماشى ومتطلبات العصر الحالي مع إشراك مختلف الأطراف الفاعلة محاولة تلبية حاجات اجتماعية وتقديم خدمات جديدة من خلال الفهم أكثر للجريمة.

04- مصطلحات البحث .

04- 01 الجريـــــــمة .

يتفق معظم الباحثون بمختلف تخصصاتهم العلمية و منطلقاتهم الفكرية على أن الجريمة ظاهرة خطيرة وسلوك إجرامي في مختلف المجتمعات و ذلك بارتكاب فعل جرمه القانون، أو الامتناع عن فعل أمر به القانون .غير أنهم رغم اختلافهم في تحديد مفاهيمها النظرية ، و اختلاف تخصصاتهم الأكاديمية مما يفسر الى درجة ما اختلاف النتائج المتوصل لها ..حيث عرفت الجريمة بمفاهيم عامة بأنها .. عمل غير مشروع، ويعاقب عليه القانون، لأنها تعتبر تجاوزاً لكافة أحكامه، أو أنها انحراف، وخروج عن المعايير، والمبادئ الأخلاقية، والدينية من أجل تحقيق هدف ما، لا يتوافق مع التشريعات، والنصوص في القانون، مما يؤدي إلى حدوث نتائج ذات تأثيرات سلبية على الأفراد، والمجتمع.تعد الجريمة من الظواهر الاجتماعية القديمة،

والتي تحدث عند توافر كافة مقومات حدوثها، لذلك فإن أي فرد معرضٌ لارتكاب الجريمة، طالما أن العوامل المؤدية لوقوع الجريمة متوفرة، ويعتمد التأثير السلبي المرتبط بالجريمة على ظروف تنفيذها، والوسائل، والأدوات المرتبطة بها. وتعرف أيضا بأنها « سلوك ينتهك القواعد الأخلاقية التي وضعت لها الجماعة جزاءات سلبية ذات طابع رسمي ».[1] كما تعرف كذلك الجريمة بالإنجليزية Crime، بأنها« أيّ انحراف عن مسار المقاييس الجمعيّة، التي تتميّز بدرجةٍ عاليةٍ من النوعيّة والجبريّة والكليّة، ومعناه أنه لا يُمكن للجريمة أنْ تكون إلّا في حالة وجود قيمة تحترمها الجماعة فيها، كما أنّها توجّه عدواني من قِبل الأشخاص الذين يحترمون القيمة الجمعيّة، تجاه الأشخاص الذين لا يحترمونها»[2]. و كخلاصة يمكننا تناول تعريف الجريمة المعاصرة انطلاقا من عديد العلوم منها:

04- 01-1 المفهوم القانوني للجريـــــــمة .

ينتمي مفهوم الجريمة الى القانون الجنائي وهو يقدم العديد من التعاريف النظرية للجريمة من المنطلق القانــوني الذي يعتبر الجريمة أنها عملٌ غير مشروع ناتج عن إرادة جنائيّة، ويُقرّر القانون لها عقوبةً أو تصرّفاً احتياطيّاً ... « سلوك يحرمه القانون و يرد عليه بعقوبة جزائية أو تدبير احترازي..»[3] أو أنها« الفعل الذي يقع مخالفا لقانون العقوبات [4]» أو أنها « فعل غير مشروع صادر عن ارادة جنائية يقرر له القانون عقوبة أو تدبيرا احترازيا [5]» .ان الجريمة بهذا المعنى هي سلوك مادي يقوم به الانسان ، و هذا السلوك يكون مخالفا لقانون العقوبات الذي وضع لمعاقبة الانسان أو كل من تسول له نفسه القيام بأفعال تمس بالمجتمع بمفهومه الواسع ..و يمكن أن نستنتج من التعاريف القانونية السابقة للجريمة مايلي[6]:

- لا يعد الفعل جريمة ما لم يكن مخالفا لنص القانون.
- لا يكون الانسان مجرما مالم يكن معاقبا عليه بنص القانون.

04- 01-2 المفهوم السوسيولوجي للجريـــــــمة .

يتفق أغلب علماء الاجتماع على أن الجريمة ظاهرة اجتماعية لا يخلو منها أي مجتمع، و عابرة للحدود...و بالتالي تحديد على أن الجريمة ظاهرة خطيرة وسلوك اجرامي في مختلف المجتمعات .رغم اختلاف الباحثين

---

[1]- غيث محمد عاطف(2006)، « **قاموس علم الاجتماع** » ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، دون طبعة، ص 84.

[2]- إيناس محمد راضي (2015)، « الجريمة».

[3]- عبد الله عبد الغني غانم(1994)، « **الجريمة و المجرم من المنظور الاسلامي نحو نظرة اسلامية عامة للجريمة** » ، الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث، ، ص 26.

[4]- بركات النهر المهيرات(2000)، « **جغرافيا الجريمة، علم الاجرام الكارثوجرافي** » ، دار مجدلاوي للنشر، عمان ، ط01، ص31.

[5]- سليمان عبد المنعم سليمان(1994)، « **أصول علم الاجرام القانوني** » ، الجامعة الجديدة للنشر ، ص144.

[6]- بلعيوز الطاهر (2008)، مرجع سبق ذكره ص 118.

في تحديد مفاهيمها النظرية، واختلاف وجهات نظرهم مما يفسر النتائج المتوصل لها... حيث عرفت الجريمة بمفاهيم عامة حيث عرفها هيربرت و سميث Herbert & Smith بأنها« شكل من أشكال السلوك الانحرافين يهدف الى فساد النظام الاجتماعي القائم » [1] .أما غاروفالو فيرى بأنها « فعل غير اجتماعي ، أو كل فعل ترى الاتجاهات أو الأراء الساندة في المجتمع أنه ضار ، أو كل فعل يتعارض مع الأفكار و المبادئ السائدة في المجتمع، أو كل فعل يتضمن اعتداء على حق أو مخالفة لواجب، أو كل فعل يتعارض مع الأخلاق »[2].كما تعرف الجريمة اجتماعيا بأنها « رد فعل يخالف الشعور العام للجماعة ، أو أنها فعل فردي أو جماعي يشكل خرقا للضبط الاجتماعي التي أقرها المجتمع و الذي يمكن التعبير عنه بمجموعة من القيم والتقاليد والأعراف السائدة في المجتمع »[3].و حسب عبد القادر القهواجي فقد تباينت الأراء حول الجريمة عند علماء الاجتماع و قد أشار الى وجود اتجاهين[4]:

– الاتجاه الأول : فالجريمة وفقا لهذا الاتجاه هي كل فعل يتعارض مع المبادئ الخلقية .

– الاتجاه الثاني : يقوم على أساس الربط بينها و بين القيم الاجتماعيـة والجريمة عند ايميل دوركايم هي كل فعل أو امتناع يتعارض مع القيم والأفكار التي استقرت في وجدان الجماعة.

04– 01-3 المفهوم النفسي للجريـــــــمة .

يتفق أغلب الباحثين في علم النفس في تفسيرهم للجريمة التركيز على الجوانب النفسية التي تلعب دورا كبيرا في تشكيل سلوك المنحرف، و ذلك بتأكيدهم على أن الجريمة عبارة عن نشاط نفسي يعبر عن ارادة اجرامية نتيجة تفاعلات نفسية و قد يكون هذا النشاط النفسي عاديا أو مرضيا. ووفق هذا التفسير يرى أنصار التحليل النفسي للجريمة على أنها شذوذ نفسي أو تعبير عن مرض نفسي أو اضطراب عقلي[5]. أو أن السلوك الإجرامي إنما هو انعكاس لصراعات نفسية داخل الفرد، تدفعه حتما إلى ارتكاب الجريمة، بل إن هناك من يعتبر السلوك الإجرامي مظهرا من مظاهر اللاشعور، أي سيطرة العقل الباطن على السلوك، و في هذا الصدد يعتقد "فرويد" أن الجريمة ظاهرة من الظواهر السيكولوجية الحتمية حيث يعتقد أن الظاهرة العقلية مهما كانت تافهة أو مؤقتة، لا شك في أنها ذات سوابق محددة مسببة لها ملخصا إياها في مفهوم الخبرة المخزونة في اللاشعور، و عليه فقد عرف فرويد السلوك الإجرامي على أنه "انعكاس تحتويه شخصية

---

[1]– محمد زكي(1985)، « **دراسة في علم الاجرام و العقاب** » ، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ص43.

[2]– محمد ابراهيم(1964)، « **علم الاجتماع و التعريف الاجتماعي للجريمة** » ، المجلة الجنائية القومية، المجلد 05، العدد 02،ص 278.

[3]– حسن اسماعيل عبيد(1993)، « **سوسيولوجيا الجريمة** » ، شركة ميدلات الحدودة، لندن، ص97.

[4]– علي عبد القادر القهواجي(1985)، « **علم الاجرام و علم العقاب** » ، الدار الجامعية للطباعة و النشر، بيروت، ص 13– 14.

[5]– بلعيوز الطاهر (2008)، مرجع سبق ذكره ص 121.

الفرد من مرض نفسي الذي هو عبارة عن اضطرابات وظيفية في شخصية الفرد المريض، و هو تعبير عن صراعات انفعالية لا شعورية لا يعرف المرء صلتها بالأعراض التي يعاني منها[1].و يعتبر سيجموند فرويد أن الجريمة ترجع إلى عجز الأنا عن تكييف ميول و نزعات الذات مع متطلبات القيم و التقاليد الاجتماعية، أو عن تصعيد النشاط الغريزي أو عن رده و كبته في اللاشعور، و إما إلى انعدام الأنا العليا أو عجزها عن أداء وظيفتها في الرقابة و المساءلة[2] . و في كلتا الحالتين حسب فرويد تجد الذات الإنسانية نفسها بغير رقيب، فتنطلق شهواتها و رغباتها فيحاول الانسان أن يشبعها عن طريق سلوكات يجرمها النظام الاجتماعي. إلى جانب ذلك فقد أشار علماء النفس إلى الجريمة على أنها سلوك معاد للمجتمع كأي نوع آخر من أنواع السلوك الشاذ أو الغير السوي الذي يحتاج إلى العلاج كباقي الأمراض العقلية الأخرى، من صراعات نفسية تدفع للجريمة. و قد أشار ابراهيم حمداوي في كتابه « الجريمة في المجتمع المغربي»[3]، إلى برت الذي يرى بأن « التصرفات الإجرامية ما هي إلا انطلاق للدوافع الغريزية انطلاقا مرا لا يعيقه عائق وأنه من الممكن النظر إلى أنواع الاغتصاب والجرائم الجنسية وغيرها على أنها تعبيرات لغرائز معينة»، ويتجه الكسندر أيضا إلى أن « السلوك الإجرامي يكون نتيجة للاضطراب في قوى الشخصية الثلاث : الهو والأنا والأنا الأعلى في تكيفها مع القانون الأخلاقي السائد في المجتمع».وبصفة عامة يرى أصحاب المدرسة النفسية أن كل فعل إجرامي يعبر عن صراعات نفسية تدفع للجريمة.

04- 01-3 المفهوم الديني للجريـــــــمة .

من المسلمات البديهية القول بعدم خلوّ مجتمع من المجتمعات الماضية والحالية من الجريمة، ذلك أن تاريخ الجريمة قديم قدم الإنسان وملازمة له على الأرض، ولا يوجد مجتمع من المجتمعات إلا وبه جرائم وإن تفاوتت.

لما كانت الشريعة الإسلامية من الأهداف التي تصبو إليها تنظيم وتسهيل حياة الناس من خلال تحريمـــها القيام ببعض الأعمال التي تمس بالأشخاص والمجتمعات، و من بين هذه الأعمال المحرمة الجريمة. وذلك بقوله تعـــالى في سورة طه ، الآية 74« **إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها و لا يحيى** »،و من هذا المنطلق يمكن اعتبار الجريمة في الشريعة الاسلامية هي انحراف دنيوي و معصية دينية و مرتكبها لا يفلت من العقاب في الدنيا و الآخرة[4]. وفي ضوء هذا البيان يمكن تعريف الجرائم في الشريعة

---

[1]- أحسن طالب(2002)، « **الجريمة و العقوبة و المؤسسات الإصلاحية**»، دا الطليعة للطباعة و النشر، بيروت، ط01 ، ص 32.

[2]- فتوح عبد الله الشاذلي(2006)، « **أساسيات علم الاجرام و العقاب** » ، منشورات الحلبي الحقوقية، الطبعة الأولى، ص 67.

[3]- ابراهيم حمداوي . ندى بوخبزة (2013)، « الجريمة في المجتمع المغربي »، منشورات دار القلم الرباط . ""

[4]- بلعيوز الطاهر (2008)، مرجع سبق ذكره ص 120.

الاسلامية بأنها محظورات شرعية زجر الله عنها بحد ... كما يجد الباحث في الشريعة الإسلامية أنها لم تنظر إلى المجرم على أنه شيطان، أو عضو فاسد في المجتمع يجب بتره والقضاء عليه، والتخلص من شره، ولكنها اعتبرت المجرم حالة مرضية يحتاج إلى الرعاية والعناية والمساندة حتى يشفى ويستعيد عافيته، ويسترد مكانته فيعمل وينتج وينفع نفسه ومن حوله بما يحقق الأمن والاستقرار في المجتمع. ومن ثم فإن الشريعة الإسلامية وهي في سبيل محاربتها للجريمة لم تبدأ بالمجرم، ولكنها بدأت بعلاج الأسباب ومحاولة إزالتها، فنبهت أولي الأمر إلى ضرورة توفير الأمن ، والغذاء ، والدواء لكافة أفراد المجتمع على السواء. وقد روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لأحد ولاته الجدد : ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب ؟ فأجاب : أقطع يده . فقال عمر : إذن إن جاءني منهم جائع أو عاطل فسوف يقطع عمر يدك[1].

04- 02 الجريـــــــمة المعاصرة.

ليس هناك تعريف قانوني لهذا النوع من الجرائم ولكن مجمل القول أنها كل الجرائم المعقدة والمتعددة الأشكال، والتي تتميز بها المجتمعات الحالية ولم تكن موجودة في المجتمعات البدائية، من أمثلة ذلك جرائم تبييض الأموال هذا النوع لم يكن موجود من قبل، فالجريمة المعاصرة مصاحبة وملازمة لتطور و عصرنة المجتمع، كما أن أساليبها متطورة وعصرية مما يزيد من خطورتها وحدة تأثيرها على شبكة العلاقات الاجتماعية والأبنية بالمجتمع[2].

05- أهميـــــــــة التناول الاجتماعي لظاهرة الجريمة المعاصرة.

يتفق أغلب علماء الاجتماع على أن الجريمة ظاهرة اجتماعية لا يخلو منها أي مجتمع، و عابرة للحدود... وبالتالي تحديد على أن الجريمة ظاهرة خطيرة وسلوك اجرامي في مختلف المجتمعات، رغم اختلاف الباحثين في تحديد مفاهيمها النظرية، واختلاف وجهات نظرهم مما يفسر النتائج المتوصل لها. وأن التجريم بحد ذاته هو الحكم الذي تصدره الجماعة على بعض أنواع السلوك بصرف النظر عن نص القانون وفي هذا الاتجاه ميز جارد فالو بين الجريمة الطبيعية التي لا تختلف عند الجماعات في الزمان والمكان لتعارضها مع المبادئ الإنسانية والعدالة كجرائم الاعتداء على الأشخاص والأموال. والجريمة المصطنعة التي تشكل خرقا للعواطف القابلة للتحول كالعواطف الوطنية... واعتبر الأولى بأنها تدخل في المعنى الحقيقي للإجرام ودراساته التحليلية ويقدر البعض الآخر بأن الجريمة عبارة عن السلوك الذي تحرمه الدولة بسبب ضرورة ويمكن أن ترد عليه بفرض جزاء وهو بوجه عام يشكل السلوك المضاد للمجتمع والذي

---

[1]- أحمد درويش عبد السيد (2017)، « موقف الشريعة الإسلامية من الجريمة»، دار الناشري للنشر الالكتروني .

[2]- لمزي جميلة ، حبة وديعة (2008)، مرجع سبق ذكره ، ص 174.

يضر بصالحه .و من جهة أخرى عرفت الجريمة بمفاهيم عامة حيث عرفها هيربرت و سميث Smith & Herbert بأنها« شكل من أشكال السلوك الانحرافين يهدف الى فساد النظام الاجتماعي القائم » [1] .أما غاروفالو فيرى بأنها « فعل غير اجتماعي ، أو كل فعل ترى الاتجاهات أو الأراء السائدة في المجتمع أنه ضار ، أو كل فعل يتعارض مع الأفكار و المبادئ السائدة في المجتمع، أو كل فعل يتضمن اعتداء أو مخالفة لواجب، أو كل فعل يتعارض مع الأخلاق »[2].كما تعرف الجريمة اجتماعيا بأنها « رد فعل يخالف الشعور العام للجماعة ، أو أنها فعل فردي أو جماعي يشكل خرقا للضبط الاجتماعي التي أقرها المجتمع، و الذي يمكن التعبير عنه بمجموعة من القيم و التقاليد و الأعراف السائدة في المجتمع »[3].و حسب عبد القادر القهواجي فقد تباينت الأراء حول الجريمة عند علماء الاجتماع و قد أشار الى وجود اتجاهين[4]:

– الاتجاه الأول : يربط بين الجريمة و قواعد الأخلاق، فالجريمة وفقا لهذا الاتجاه هي كل فعل يتعارض مع المبادئ الخلقية ، الا أن أنصار هذا الاتجاه انقسموا على أنفسهم الى قسمين:

– القسم الأول ..الذي يجعل العلاقة بين الجريمة و الأخلاق قاصرة على مخالفة بعض قواعد الخلقية لا كلها و منهم من يجعل هذه العلاقة شاملة لكل القواعد الخلقية دون تمييز، و يتزعم هذا الاتجاه جارا فالو و هو أحد أقطاب المدرسة الوضعية الايطالية.

– القسم الثاني ... يذهب أنصار هذا القسم الى تعريف الجريمة بأنها كل فعل أو امتناع يتعارض مع القيم الأخلاقية المتعارف عليها في المجتمع. ومن أنصار هذا القسم فيري و هو أيضا أحد أقطاب المدرسة الوضعية و جير سبيني.

– الاتجاه الثاني : التعريف الاجتماعي للجريمة في هذا الاتجاه يقوم على أساس الربط بينها و بين القيم الاجتماعية والجريمة عند ايميل دوركايم هي كل فعل أو امتناع يتعارض مع القيم والأفكار التي استقرت في وجدان الجماعة، الاجتماعية والجريمة عند ايميل دوركايم هي كل فعل أو امتناع يتعارض مع القيم و الأفكار التي استقرت في وجدان الجماعة، وحسب عديد الدراسات والأبحاث التي أجريت في هذا المجال المرتبط بشكل كبير ببعض الظروف المجتمعية الصعبة سمير يونس[5]، لمزي جميلة ، حبة وديعة[6]، بلعيوز

---

[1]– محمد زكي(1985)، « **دراسة في علم الاجرام و العقاب** » ، مرجع سبق ذكره، ص43.

[2]– محمد ابراهيم(1964)، « **علم الاجتماع و التعريف الاجتماعي للجريمة** » ، مرجع سبق ذكره، ص 278.

[3]– حسن اسماعيل عبيد(1993)، « **سوسيولوجيا الجريمة** » ، مرجع سبق ذكره، ص97.

[4]– علي عبد القادر القهواجي(1985)، « **علم الاجرام و علم العقاب** » ، مرجع سبق ذكره، ص 13– 14.

[5]– سمير يونس (2006)، « **ظاهرة العود إلى الانحراف :دراسة للظروف الأسرية**»، ماجستير علم الاجتماع ، جامعة باجي مختار عنابة.

[6]– لمزي جميلة ، حبة وديعة (2008)، مرجع سبق ذكره ، ص 174.

الطاهر[1]، عماد بن تروش[2]، عزيز أحمد صالح الحسني[3]، محمد السعيد تركي، نسيغة فيصل[4]، نبيل رحال [5]التي أضحت تعيشها شريحة كبيرة من أفراد المجتمع، منها ما يلي:

05-01 عامل الظروف الاجتماعية و الاقتصادية السيئة.

لاشك في للجريمة بوجه عام عوامل وظروف تغذيها، فمنها داخلية منها و خارجية، ، وسواهما يميل إلى ردها عوامل مجتمعية بيئية، ، خاصة وأن الإجرام في الجزائر وحسب الدراسات والأبحاث التي أجريت في هذا المجال مرتبط بشكل كبير ببعض الظروف المجتمعية الصعبة التي أصبحت تعيشها شريحة كبيرة من أفراد المجتمع[6] . فالمتأمل للتركيبة الاجتماعية للمجتمع الجزائري، يلاحظ أن هناك شريحة لا بأس بها من الأفراد تعيش في ظل وضعية اجتماعية متأزمة تصنف وفق المعايير الدولية تحت عتبة الفقر، وغالبا ما تستقر هذه الفئة في الأحياء الشعبية العتيقة، أو في القرى الفقيرة والتجمعات السكانية الفوضوية المتاخمة للمدن الكبرى. وأن طبيعة الظروف المجتمعية الصعبة التي تعيشها أغلب الأسر الفقيرة في الجزائر، .. ضيق السكن، وعدم استجابته لمتطلبات الحياة الكريمة، وسوء التغذية، وانخفاض الدخل، وانتشار البطالة على نطاق واسع بين الشاب قد ولد مناخا اجتماعيا ملائما لظهور ما يعرف بالجماعات المهمشة وفي هذا الصدد يقدم الباحث الاجتماعي إسماعيل قيرة وصفا دقيقا للجماعة الهمشة حيث يقول ...« وعلى أية حال تشكل الفئات الهامشية عالما واسعا، يمتد عبر الشرائح المختلفة المرابضة في قاع المدينة، وتنتشر في أماكن متعددة، عالم له علاقاته ولغته ونمطه المعرفي والقيمي، وأفراده خليط من العناصر الرثة المعدمة كليا والمحرومين والفقراء وممتهني الأنشطة غير الرسمية والمستخدمين ذوى الأجور المنخفضة، العاطلين عن العمل المتسولين، ساكني الأحياء المتخلفة، الأحداث المتشردين، وكل من يلتقط رزقهم من قلب علاقات الشارع القذرة[7].يمكن أن نعبر عن مظاهر التباين الاجتماعي من خلال الاحتكار المفرط لأقلية معينة للثروة، وازدياد عدد الفقراء، وتراجع الطبقة المتوسطة التي أصبحت تزداد فقرا وتعاني من محدودية

---

[1]- بلعيوز الطاهر (2008)، مرجع سبق ذكره، ص 117-126.

[2]- عماد بن تروش (2011)، «**العوامل المؤثرة في ظاهرة الجريمة بالمجتمع الجزائري**»، م الواحات للبحوث ،ع 13، ص 124- 136.

[3]- عزيز أحمد صالح الحسني (2015)، « انحراف السلوك و أثره على أمن المجتمع في اليمن – دراسة تحليلية-» ، مجلة جامعة الناصر، العدد الخامس ، المجلد الثاني ، ص 257- 300.

[4]- محمد السعيد تركي، نسيغة ف (2018)، « **سياسة الوقاية و المنع من الجريمة** »، م البحوث والدراسات ، م 15ع 01 ص 233.

[5]- نبيل رحال (2019)، « الضبط الاجتماعي ، ماهيته، وسائله ودوره في مكافحة الجريمة والانحراف» ، مجلة الحقوق و العلوم السياسية المجلد 06 ، العدد 01، ص 312 – 336.

[6]- أحمد الربايعة (2016) ،« **أثر العوامل الإجتماعية في الدافع إلى إرتكاب الجريمة دراسة استطلاعية من منظور اجتماعي على عينة من المسجونين في المجتمع الأردني** »، على الموقع http://www.startimes.com

[7]- .إسماعيل قيرة (بدون تاريخ)،« **أي مستقبل للفقراء في البلدان العربية** »، مخبر الإنسان والمدينة، الجزائر، دار الهدى، ص79.

الإمكانيات والقدرة الشرائية، وبالتالي أصبح النسيج الاجتماعي بمثابة هرم يمتاز بكونه حاد وضيق في أعلاه، وبالشساعة والعرض في أسفله، فرغم التوفر المالي الذي عرفته البلاد، إلا أنه لم يكن في صالح الفئات الاجتماعية المحرومة، مع العلم أن هذا الفارق بين عوائد الأغنياء وعوائد الفقراء يزداد تباينا وتمايزا وذلك من سنة إلى أخرى، وعليه فإن الطبقة المتوسطة قد أخذت في التآكل والتراجع وبصفة خطيرة وظاهرة للعيان[1] . وأمام هذه الوضعية الاجتماعية الصعبة التي تعيشها هذه الجماعات، وفي ظل رواج ثقافة اليأس والقنوط بين أفرادها، وانعدام أي أمل في إيجاد حلول جدية كفيلة بتغيير أوضاعهم نحو الأفضل، يصبح الوضع مهيأ أمام هذه الجماعات لتشكيل تكتل ثقافي فرعي معارض للثقافة العامة السائدة في المجتمع، تجيز وتشجع أفرادها على إتباع أساليب غير شرعية في سبيل تحقيق أهدافها .وتحسين أوضاعها، كاللجوء إلى أسلوب السرقة والنهب والاختلاس، والاعتداء على الأملاك العامة والخاصة[2].

05-02 عامل ضعف مؤسسات التنشئة الاجتماعية في أداء دورها.

تعتبر عملية التنشئة الاجتماعية من العوامل الرئيسية في تحديد وتشكيل سلوك الفرد ، ضمن هذا السياق، سعى الباحثون إلى إبراز أهداف التنشئة الاجتماعية [3]... وتقرر أنستازي في هذا الصدد أن «التكوين النفسي للفرد لا يتحدد بفعل ما يرثه من عنصر أو جنس أو بنيه جسمانية وإنما يتحدد بفعل المجموعة الحضارية التي نشأ فيها وما يكون لها من تقاليد واتجاهات وقيم وبفعل ما تنميه فيه وتشجعه عليه من قدرات وإمكانيات». و بالتالي تأثيرها في عملية الضبط الاجتماعي التي تفرضه على أي مجتمع. وقد تناول المفكر الجزائري ابن خلدون هذه المسألة ، وشدد على أهميتها في تنظيم العلاقات الاجتماعية ودفع عدوان الأفراد عن بعضهم البعض، وضمان حياة اجتماعية آمنة ومستقرة، وفي هذا الصدد يقول ...«إن الآدميين بالطبيعة الإنسانية يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع حاكم يزع بعضهم عن بعض ... » « إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قررنا وتم عمران العالم بهم فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم وليست السلاح التي جعلت دافعه لعدوان الحيوانات كافية عن دفع العدوان عنهم، لأنها موجودة لجميعهم فلا بد من شيء آخر يدفع عدوان بعضهم على بعض ولا يكون من غيرهم لقصور جميع الحيوانات عن مداركهم وإلهاماتهم، فيكون ذلك الوازع واحدا منهم يكون

[1]- غنو أمال(2016)، « **الجريمة و الانحراف بين الشباب الجزائري**»، مرجع سبق ذكره ، ص 179.

[2]- غنو أمال(2016)، « **الجريمة و الانحراف بين الشباب الجزائري**»، مرجع سبق ذكره ، ص 180.

[3]- حمزة عبد المطلب كريم المعايطة (2018)، « دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في المجتمع – نحو آليات للوقاية من الجريمة »،المجلة الجزائرية للأمن الانساني، المجلد 03، العدد 02، ص 214 – 244.

له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان[1]». لقد أثبتت عديد الدراسات مسعودة خنونة[2] ، عماد بن تروش [3]، أمين جابر الشديفات[4] ، عماد بن تروش[5]، حمزة عبد المطلب[6] ،وأن كل خلل أو إضطراب يعرقل مؤسسات التنشئة الاجتماعية..، عن أداء رسالتها في تربية الأفراد على الوجه الأكمل، يؤدي غالبا في المستقبل إلى حالات الإنحراف و الإجرام . فالأسرة مثلا هي الجماعة الأولية و البيئة الصالحة التي يشبع الطفل حاجاته البيولوجية و الاجتماعية و النفسية، لذلك فالعامل الأسري له دور كبير في توجيه سلوك الحدث سواء نحو الاستقامة أو نحو الانحراف و استواء الأسرة من عدمه يتوقف على بنياتها و القيم السائدة فيها، وعلاقة أفرادها، و المستوى الاجتماعي و الاقتصادي للوالدين[7].

05-03 عامل تراجع القيم في المجتمع و أثره على الجريمة المعاصرة.

أجمعت مختلف التقارير الصادرة سواء عن مختلف وسائل الإعلام والمؤسسات الأمنية المهتمة بعالم الجريمة في المجتمع الجزائري، على أن هذه الأخيرة قد أخذت منحى خطيرا تجاوز كل التوقعات، أين كشفت الشرطة في الجزائر عن ارتفاع معدلات الجريمة داخل المجتمع الجزائري منذ بداية هذه السنة، حيث ارتفعت بنسبة 16% مقارنة مع نفس الفترة من السنة الماضية.وبحسب بيان الشرطة الجزائرية، فقد تمت معالجة 9685 قضية منذ بداية العام من بينها 6151 متعلقة بجرائم القانون العام أي ما نسبته 64% من العدد الإجمالي للقضايا، من بينها أيضا 10%، متعلقة بالجريمة المنظمة، غالبيتها تتعلق بقضايا تهريب المخدرات والسرقة والقتل والتسبب في الحرائق، وحمل الأسلحة البيضاء.كما أشار البيان ذاته إلى توقيف 10 آلاف و533 شخصا، وُضع منهم 952 في الحبس المؤقت، ما يعني ارتفاع مستوى الجريمة داخل المجتمع الجزائري بنسبة 16%. تأتي هذه المعلومات والأرقام الرسمية بعد أيام فقط عن تصنيف الجزائر في المرتبة الـ 49 عالميا والسادسة عربيا في مؤشر الجريمة العالمي لسنة 2017 من أصل 125 دولة[8]. برسم التقرير السنوي لمؤشر الجريمة العالمي، المنشور على موقع موسوعة قاعدة البيانات "نامبيو"، حلت

---

[1]- عماد بن تروش (2011)، مرجع سبق ذكره، ص 130 – 131.

[2]- مسعودة خنونة-بيطام (2004)، « **دور التنشئة الاجتماعية في تكوين شخصية الفرد**»، ، مجلة العلوم الانسانية ، ع 21،ص 07 .

[3]- عماد بن تروش (2011)، « **العوامل المؤثرة في ظاهرة الجريمة بالمجتمع الجزائري**»، م الواحات للبحوث، ع 13، ص 124 – 136.

[4]- أمين جابر الشديفات، منصور عبدالرحمن الرشيدي (2016)، « **العوامل الاجتماعية المؤثرة في ارتكاب الجريمة في المجتمع الأردني من وجهة نظر المحكومين في مراكز الإصلاح والتأهيل** »، العلوم الإنسانية والاجتماعية، م 43، الملحق 05 ، ص 2123-2137.

[5]- عماد بن تروش. (2017)، « دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تحصين الحدث من الانحراف»، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، م ، المجلد 01 ، العدد 02، ص 45-62.

[6]- حمزة عبد المطلب كريم المعايطة (2018)، مرجع سبق ذكره، ص 214 – 244.

[7]- عوامل الظاهرة الإجتماعية في الجزائر http://www.startimes.com

[8]- لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع للموقع https://eldjazair365.com

الجزائر في الصف الثالث في شمال إفريقيا، بينما تواجدت الجزائر في المرتبة الـ49 عالميا والسادسة عربيا، فيما جرى تصنيف الشقيقة تونس في الصف العاشر عربيا. وجرى تصنيف الجزائر خلف مصر وليبيا بنسبة 49.57 % من مقياس الجريمة. ويرجع البعض التغيرات التي تطال ثقافة الشباب إلى جملة آليات تشكل في مجموعها عوامل انتشار العولمة مثل التقنية العالية الفضائيات ،الانترنت..، غير أن الخطورة لا تكمن في الانفتاح على ثقافة الآخر، وإنما في الانغماس في هذه الثقافة والانبهار بها إلى درجة تفضيلها على ثقافة مجتمعه و هذا الانبهار يولد آليات لاختراق ثقافي يستهدف النسيج المجتمعي ويهدده بالذوبان في ثقافة الآخر المغايرة. مما يخلق حالة من التناقض الاجتماعي في المجتمع الواحد بفعل ضعف الانسجام بين ثقافة الشباب وثقافة والمجتمع. ولاشك أن هذا هو أحد أهم أهداف العولمة بمنظوماتها المختلفة التي ترمي على المدى البعيد إلى تشكيل سلوك الإنسان وتغيير عاداته وقولبة أفكاره، بما يستجيب لمتطلبات النموذج الاجتماعي الغربي، بكل ما يتضمنه ذلك من اغتراب الإنسان العربي المسلم عن ذاته الثقافية واستلابه من أصالته الحضارية[1]. ومع تعمق هذه التناقضات واستدامتها مع توالي الأزمات على المجتمعات العربية، انعكست هذه الوضعية على الشباب العربي عامة ومنه الجزائري الذي بات يشعر بحالات من الاغتراب عن الذات والمجتمع، وأكثر من ذلك يعاني من حالة ضياع ثقافي.ولعل أبسط دليل على ذلك ليس فقط جهلهم بتراث آبائهم، بل حبهم وتذوقهم و تقمصهم لهوية بعيدة عنهم و لا تمت بصلة لهم[2] .أورد سلطان بلغيث أن بعض التقارير أشارت[3]،إلى أن الشباب بين15-24 سنة في المنطقة العربية يقعون تحت ضغط الإحباط .. التي تحدثها بشكل جزئي لمؤثرات الإعلام والتكنولوجيا والديناميكيات التحولية في البنى الأسرية، بالإضافة إلى الصراعات السياسية والأزمات المستمرة التي تعيشها معظم بلدان المنطقة.فهؤلاء الشباب في ظل ظروف الانسداد التي يشهدها الواقع العربي، يعيشون حالة من عدم الاستقرار النفسي ،وكأنهم عالقـون بـين عالمين أحدهما واقعي مؤلم لا يرضيهم ولا يلبي تطلعاتهم، والآخر افتراضي حالم يتشربونه عبر آليات العولمة المختلفة فضائيات ،انترنت...الخ. فلقد أشارت نتائج استطلاع رأي الشباب أجري سنة 2002 ،أن 51%، من الشباب العرب الأكبر سنا، و 45 %،من المراهقين الأصغر سنا يرغبون في الهجرة معبرين عن عدم رضاهم عن الواقع العربي، ولا يحدوهم تفاؤل بالمستقبل في أوطانهم[4].فالشباب يمارس هجرة مزدوجة إحداهما داخلية، وأخرى خارجية بحثا عن مستقبل آمن يريدون

---

[1]- سلطان بلغيث،(بدون تاريخ)، « **تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب**» مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعيــة، جامعة تبسة.

[2]- الزيود ماجد(2006)، « **الشباب والقيم في عالم متغير**» دار الشروق ،عمان، ص105.

[3]- سلطان بلغيث،(بدون تاريخ)، « **تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب**» مرجع تم ذكره.

[4]- سلطان بلغيث، (بدون تاريخ)، مرجع تم ذكره ص 357.

صنعه بأيدهم لا أن يصنع لهم أو يفرض عليهم. فالعولمة دشنت طورا جديدا في الفتك بالنظام الثقافي و نظام الهويات، فالسيطرة الغربية ليست حديثة عهد، فالاختراق الثقافي لمجتمعاتنا العربية عريق منذ القرن الثامن عشر، وزحف هذه المدنية لم تكن من نتائجها تدمير البنى السياسية و الاقتصادية ...فحسب، و إنما فاق ذلك فقد أحدث شروخا و تصدعات مع النظام الثقافي والقيمي و من هنا ظهر في الوطن العربي شبه صراع بين دعاة الأصالة و دعاة التجديد و التي تحولت إلى صراعات و مضاربات سياسية و التي سماها عبد الاله بلقزيز عصر الحرب الأهلية الفكرية في البلاد العربية [1]، و في نفس السياق حاولت الباحثة بسمة المومني[2]، في كتابها « فجر العرب، شبابه وعائده الديمغرافي » أن تنزع الصورة السوداء المرتسمة في الغرب عن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، اعتمدت في كتابها على ادارة مناقشات مع مجموعات شبابية من بلدان المنطقة، وشددت على أن يكونوا من مختلف المناطق ، ومن شرائح اجتماعية متنوعة، فحاورتهم وناقشتهم في واقعهم ومستقبلهم. تقول أنها فوجئت بأنه وعلى رغم الاختلاف في أساليب حياتهم و تجاربهم الحياتية، يتشارك الشباب الذين ينتمون إلى أطياف اجتماعية – اقتصادية وتعليمية مختلفة في الكثير من التوقعات...كما تعرضت لمسألة الهوية، و كيف يرى الشباب العرب أنفسهم، و مكانهم في المجتمع؟.

06- أهمية التناول الإعلامي لظاهرة الجريمة المعاصرة.

تؤكد الكثير من الدراسات الإعلامية والاجتماعية أن الناس في معظم حالاتهم يتجهون إلى وسائل الإعلام لإرضاء حاجات معينة في نفوسهم ، أو إنهم يتجهون إلى محتوى معين في هذه الوسائل لإرضاء تلك الحاجات ولذلك لابد أن تعمل وسائل الإعلام على توظيف تكنولوجيا الإعلام من أجل تطوير قوى الإنسان في منطقة ترغب أن يكون لها دورها الحضاري في عالم تكتنفه المخاوف والمفاجآت[3] .. محاولة بذلك القضاء على أهم ثروة حقيقية ألا وهي ثروة الشباب في عالمنا العربي بشكل خاص[4] .وعلى اعتبار أن البرامج و المسلسلات و الأفلام التي تعرضها وسائل الإعلام المختلفة المسموعة و المرئية منها، ذات تأثير مباشر على السلوك الفردي والاجتماعي لمشاهديها حيث تدفعهم في بعض الأحيان إلى تقمص الشخصيات التي يشاهدونها (في المسلسلات الكرتونية أو الأفلام..)، خاصة ما اتصل منها بالمغامرات والحركة والعنف وقد تتحول حالات التقليد والمحاكاة إلى ممارسة فعلية لأعمال العنف التي يترتب عليها انسياق متابعيها في

---

[1]- عبد الاله بلقزيز (2017)، « **أزمة الهوية في عصر العولمة** » محاضرة مقدمة في منتدى شومان الثقافي 30 تشرين الأول.

[2]- بسمة المومني(2016)، « **فجر العرب: شبابه و عائده الديموغرافي**» ترجمة فادي ملحم المركز العربي للأبحـــاث بيروت.

[3]- بشريف وهيبة (2017)، « دور الإعلام ومؤسسات المجتمع المدني في مكافحة جريمة اختطاف الأطفال وسبل الوقاية منها »، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية ، المجلد 10 ، العدد 03 ، ص 252-266.

[4]- **سمير شعبان(2009)**، «**الإعلام ودوره في نشر الجريمة والوقاية منها**»، دفاتر السياسة و القانون ، ورقلة، العدد 02.

مسار الجنوح وارتكاب الجرائم. وتقول بعض الإحصائيات الأمريكية[1] أن معدل ما يشاهده الطفل الأميركي بين سن الخامسة والرابعة عشر من عمره يزيد على ثلاثة عشر ألف جريمة قتل يراها على شاشة التلفزيون. وقد أجرت جامعة " ستانفورد " بولاية كاليفورنيا الأمريكية دراسة علمية إحصائية على أربع محطات تلفزيونية في الولاية جاء فيها أن هذه المحطات الأربع عرضت في فترة خمسة أيام عادية المشاهد التالية (12) جريمة قتل عمد ، (16) مشاجرة بالسلاح ، (21) إصابة بطلق ناري ، (4) شروع في الانتحار ثلاثة منها ناجحة (4) أشخاص يسقطون من قمم الجبال أو من سطوح البنايات ، (2) سيارتان تتدحرجان من قمة الجبل ، (2) حادثتان دهس بصورة عمدية ، (21) معركة بالأيدي أو بالسكاكين ، (2) حادثة قتل بالخنق ، (37) معركة بالأيدي والسلاح الناري والسكاكين وبوسائل أخرى ، (1) قتل بالخنق غرقا ، ومجموعة متفرقة من القتل الإجرامي والسرقة بالإكراه والسرقة بالكسر والسرقة في وسائط النقل والإعدام بالشنق. وانطلاقا من هذا يجمع مختلف المهتمين بالشأن الإعلامي والممارسة الإعلامية بوجه عام في المجتمعات الحديثة، أن وسائل الإعلام بمختلف أنواعها قد تعاظم دورها وازدادت أهميتها بشكل لافت وغير مسبوق، وأضحت لديها قدرة خارقة على تحريك الرأي العام والسيطرة على توجيهاته، فضلا عن دورها الفعال في تسويق مختلف القيم والمعايير والاتجاهات و الايدولوجيات لدى الجمهور، حتى أن بعضهم ذهب إلى حد القول أن أي تغيير اجتماعي أو ثقافي يشهده المجتمع ما هو إلا ثمرة من ثمار وسائل الإعلام .وضمن هذا السياق المعرفي نستطيع التأكد على أن وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمطبوعة تلعب دورا بارزا في تكوين شخصية الفرد وتطبيعه الاجتماعي على أنماط سلوكية معينة، وذلك بما تعرضه من برامج هادفة ومعلومات متنوعة عن كافة المجالات التي تهم الطفل/الحدث في مختلف مراحل حياته، فضلا عن ذلك وضمن الإطار نفسه لا يمكن أن نغفل حقيقة أن لوسائل الإعلام دورا محوريا أيضا في إشباع بعض الحاجات النفسية الضرورية لاستكمال تنمية الطفل خاصة الحاجات المتعلقة بالمعلومات، التسلية، الترفيه، الأخبار، والمعارف والثقافة العامة .كما تدعم أيضا الاتجاهات النفسية الايجابية لديه، وتعزز فيه القيم والمعتقدات السائدة في المجتمع كما تقوم في ذات الوقت بتعديل هذه القيم والمعتقدات بشكل يتساوق والتغييرات القيمية والثقافية التي تطرأ على المجتمع من حين إلى آخر، فتكون وسائل الإعلام في هذا الإطار أفضل وسيلة لترسيخ هذا التغيير والتعديل[2].ومن ثم ضمان توافق الطفل وتكيفه المستمر مع كل التغييرات التي تعرفها الأنساق القيمية والثقافية والمجتمعية [3]. لذلك نعتقد اليوم أن وسائل الإعلام الجماهيرية أضحت أداة فاعلة من أدوات التنشئة

---

[1]- **سمير شعبان(2009)**، « نفس المرجع السابق.

[2]- عماد بن تروش. (2017)، مرجع سبق ذكره ص 57.

[3]- محد شفيق(1997)، « **الانسان و المجتمع**» المكتب المجتمعي الحديث ، الأسكندرية، مصر ، ص 38.

والتربية والتهذيب فمن خلال برامجها وثراء معلوماتها التي تنشرها بين الأطفال في كل زاوية من زوايا المجتمع تستطيع رسم أطر التفاعل الإنساني بين المنشئ المسؤول عن عملية التنشئة الاجتماعية والمنشأ الذي تستهدفه هذه العملية .ومثل هذه الأطر إنما تقوى العلاقة بين الطرفين إلى درجة أن المربي يندفع نحو التأثير في الطفل تأثيرا عميقا و فاعلا، وأن الطفل يثق بالوسيلة الإعلامية ويؤمن برسالتها إذ يستوعبها ويلم بجميع جوانبها دلالاتها[1].

07- دور المقاربة النسقية كاستراتيجية للتكفل الأعمق بظاهرة الجريمة المعاصرة ؟.

كما أسلفت القول فيما سبق يجب أن لا تبقى محاربة ظاهرة الجريمة المعاصرة بمقاربة ردعية فقط ، ولا يمكن أن يكون إصلاحا جزئيا أو مرحليا ، بل أثبتت التجارب المتكررة فشل هذه المقاربة في الحد من الظاهرة، ولهذا يستوجب أن تتم معالجتها ضمن مقاربة شاملة تنطلق من الكشف عن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء تفشيها، لأن الجريمة مهما كانت سلوك غير مقبول، بل يشكل ابتعادا عن القيم والمثل العليا للمجتمع. والتكفل يبدأ من التركيز على إصلاح التمثل القيمي عند أفراد هذا المجتمع ، وإحداث تغيير جوهري على مستوى تربية الأفراد، واعتبار بناء القيم مدخلا رئيسا نحو صناعة جيل الغد، إذ المطلوب تنشئة الأجيال تربية فعالة . وليست شكلية أو عارضة على قيم المساواة وتكافؤ الفرص والنزاهة والعدل والإنصاف والعفة والأمانة والإخلاص والصدق والإحساس بالمسؤولية ..وهذه التربية لا يكفي فيها التلقين أو التدريس، بل ينبغي أن تبنى انطلاقا من وضعيات مختلفة تقوي حضورها في ذات الفرد، وتعزيز السلوك الإيجابي لديه، ولا يمكن حصرها ضمن منهاج أو استراتيجية واحدة فقط، بل ينبغي تعميمها على جميع مستويات التناول، وهذا لا يعني أن نجعلها مدخلا يسترشد به فقط، بل ينبغي أن يُتخذ ككفاءة ختامية ممتدة يسعى الجميع لتحقيقها...مع تظافر جهود مختلف المتدخلين في ميدان الأسرة، المسجد، التربية، المجتمع ككل ..، و أن يكون التكفل من منظور نسقي بدءا من الأسرة و بالمدرسة، ومرورا بمؤسسة المسجد ووسائل الإعلام ومؤسسات المجتمع المدني التي ينبغي أن تقوم بدور التحسيس والتأطير والتوعية بخطورة الظاهرة، بل إن الأمر يتطلب نوعا من التعاقد والالتزام الجماعي . كل حسب اختصاصه. للحد من انتشار ظاهرة الجريمة المعاصرة ، لأن المسألة تهم المجتمع كله، وليس الأسرة أو المدرسة فقط. وأتصوره وفق هذا المنظور و ما خلصت إليه العديد من الدراسات المقدمة في البحث.

[1]- احسان محمد الحسن(2005)، « **علم الاجتماع العائلة**» دار وائل للنشر، عمان ، الأردن،الطبعة الأولى، ص 211.

07- 01 دور الأسرة و المجتمع في التكفل بظاهرة الجريمة المعاصرة:

دور الأسرة هام جدا، فعليها تقع عليها مسؤولية كبيرة ، فالإنسان يولد في أسرة وينشأ في كنفها، وتتحمل أسرته تربيته وإعداده للحياة العادية بالمجتمع، والتي يعيش فيها كل أفراد المجتمع، وكذلك تعمل الأسرة علي توفير كافة الامكانات لهذا الإعداد، من إلحاق بالمدارس واستكمال التعليم علي مراحله المختلفة، و الابتعاد عن بعض السلوكات غير المستحبة في العلاقة مع الأبناء كون المحيط العائلي للتلميذ يؤثر عليه من خلال ما يعانيه من عدم تفاهم و انسجام بين والديه، والابتعاد عن الالحاح المستمر للآباء على الأبناء وطلباتهم المستمرة .. حيث يضطر بعض الأبناء إلي إرضاء رغبات آبائهم حتى ولو كان ذلك بطرق غير مشروعة أو بارتكاب جنحة، مما يعني أن بعض الآباء يدفعون بأبنائهم إلي ممارسة بعض السلوكيات السلبية عن غير قصد حينما يطلبون منهم أموراً تفوق إمكاناتهم. بالإضافة إلى عوامل أخرى مثل معاناة بعض التلاميذ من علاقات أسرية مفككة...

07- 02 دور المدرسة و المعلم في التكفل بظاهرة الجريمة المعاصرة:

يمكن أن تسهم المدرسة بدور فعال في تحقيق التكفل الأحسن بظاهرة الجريمة المعاصرة من خلال :

- إعداد وتدريب المدرسين المتميزين : يجب العمل على تدريب المعلمين على العمل مع التلاميذ و مرافقتهم.

- توجيه برامج التدريب التربوي بحيث تناسب الاتجاهات التربوية الموجودة ... و دور المعلم أو الأستاذ محوري من خلال ضرورة اعداده تربويا وتعليميا بطريقة جيده وقادر على تقديم العون والمساعدة للتلاميذ والتكفل الأفضل بمرافقة الأفراد والمساهمة في تربيتهم من خلال التحكم في تعليمية المادة وطرائق التدريس، إلى جانب تعزيز الرقابة والإشراف على التلاميذ .

07- 03 دور وسائل الاعلام في التكفل بظاهرة الجريمة المعاصرة:

نعيش في هذه الآونة عصرا صار الإعلام فيه ضرورة من ضروريات الحياة نتيجة الثورة الإعلامية الكبيرة التي أثرت على المجتمع بشكل كبير وفرضت أنماطا جديدة من السلوكات على الأفراد لم تكن معهودة من قبل، الأمر الذي زاد من تعقد الحياة وتنوع العلاقات بين الأفراد والمؤسسات الاجتماعية الأمر الذي يستدعي إعلاما يواكب تطورات العصر ومستجداته، وحتى تساهم وسائل الإعلام بصفة عامة في العمل على الحد من الجريمة والوقاية منها، عليها أن تقوم بواجباتها في التنشئة الاجتماعية السوية الهادفة لأفراد المجتمع، ونشر الوعي بين الجماهير والعمل على التصدي لثقافة الجريمة في المجتمع.و ذلك نظر لأن للإعلام دور فعال في التأثير على المجتمع باعتبارها عنصر أساسيا من حياتنا، له قوة التأثير على المجتمع إما بشكل

إيجابي أو سلبي من خلال نقل الثقافات التي تدعو إلى تبني ثقافة تتماشى مع ديننا وثقافتنا وعاداتنا وتقاليدنا الاجتماعية. وعن دور وسائل الإعلام في التكفل بظاهرة الجريمة...حيث تعد وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية ومكتبات، إحدى مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تسهم في تشكيل سلوك الفرد وصياغة منظومة قيمه. والمفترض فيها أن ترسخ لدى الأفراد الفضائل والقيم الحميدة كالصدق والأمانة وإتقان العمل.ولا شك أن كثيرا من أجهزة الإعلام تقوم بهذه المهمة فيما تنشره أو تبثه من مواد جيدة. ولكن بعض هذه الأجهزة قد تساهم في تكريس ظاهرة الجريمة من خلال ما تبثه من رسائل تحمل كثيرا من العنف. ومنه على وسائل الاعلام تقديم بعض الأعمال الفنية التي تتضمن ممارسات سلوكية محبذة تحث على الابتعاد عنه .

07- 04 دور العلوم الاجتماعية في التكفل بظاهرة الجريمة المعاصرة:

07- 04-1 دور علم النفس و علم الاجتماع :

يرجع اهتمام علماء النفس و الاجتماع على حد سواء بعمليات الجريمة المعاصرة إلى محاولات فهم أفعال الأفراد وتعديلها، لذلك فرغم الصلة الوثيقة بين الاقتصاد والسياسة والدراسات الاجتماعية القانونية وعلم الاجتماع – جميعها من ناحية – ودراسة الجريمة والإجرام من ناحية أخرى، فإن صميم الجرائم كلها هو البشر.و بالتالي العلوم الاجتماعية بإمكانها المساهمة في التقليل من الجرائم و كذا التكفل الأحسن بمرتكبيها نفسيا و اجتماعيا.

07- 04-2 دور الأنثروبولوجيا الجنائية :

لقد انتقل الفكر الأنثربولوجي مع بداية النصف الثاني من القرن العشرين من البحوث التاريخية و التطورية إلى البحوث الميدانية حيث تم دراسة الواقع الحقيقي ...فلقد كانت المشكلات التي درسها علم الأنثروبولوجيا في وقت قريب بعيدا عن مجال الحياة اليومية وكان من الصعب التوفيق بين المشكلات النظرية والتطبيقية ومع دخول الأنثروبولوجيا مجال القرن العشرين، بأحداثه وتغيّراته العلمية والاجتماعية والسياسية، طرأت عليها تغيّرات جوهرية في موضوعه ومنهج دراسته، حيث تخلّى عن المنهج النظري وأخذ بالمنهج التطبيقي باعتباره ظاهرة علميّة، إضافة إلى تحديد علاقة التأثير والتأثّر بينها وبين منظومة العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى. حيث أصبحت النظرة الشاملة تميّز المنهج الأنثروبولوجي، الذي يتطلّب دراسة أي موضوع – مهما كانت طبيعته وأهدافه– دراسة كليّة متكاملة، تحيط بأبعاده المختلفة، وبتلك التفاعلات المتبادلة بين أبعاد هذا الموضوع وجوانب الحياة الأخرى السائدة في المجتمع. و بالتالي كانت له مساهمات في دراسة ظاهرة الجريمة المعاصرة .

07-04-3 دور العلوم الشرعية في التكفل بظاهرة الجريمة المعاصرة:

وجد بعض علماء النفس أن التوجيه والإرشاد الديني للفرد صاحب المشكلة غالبا ما يساهم في الحد من هذه الظاهرة ومواجهتها وخاصة إذا كان لهذه الظاهرة جنبا أخلاقيا أو جانبا دينيا ،كما أن الدين له أثره الواضح في النمو النفسي وفي الصحة النفسية والفكرية والاجتماعية لدى الفرد والتعاليم الدينية عندما تتغلغل في النفس تدفع الفرد إلى السلوك الإيجابي كما أنها تساعد الفرد على الإحساس بالأمن والطمأنينة والاستقرار كما يمكن النظر إلى الدين كأحد أبعاد الشخصية يتناول جميع أبعاد حياة الفرد وسواء كان الاتجاه نحو الدين موجبا أو سالبا فان الدين يعتبر قوى دافعة للفرد.

07- 04-4 دور برامج المرافقة في التكفل بظاهرة الجريمة المعاصرة:

نظام المرافقة التربوية من الأنظمة التي أثبتت نجاعتها من حيث التكفل بالانحراف و الجريمة ، والمرافقة ترتكز أساسا على الأخذ بيد الفرد لمساعدته على تصور بناء وتحقيق مشروعه المستقبلي ، مع الأخذ بعين الاعتبار استعداداته وقدراته وميولاته وطموحاته المستقبلية.. يتولاها العديد من المتدخلين (علماء النفس ،الاجتماع ، رجالات القانون...)، و جميع المتدخلين في الميدان بصفة خاصة ومن جهة أخرى يتم التدخل في جميع المؤسسات ذات الطابع التربوي الاجتماعي، الاقتصادي والمحيط الخارجي بأبعاده المختلفة بصفة عامة

07- 04-5 دور المشرع في التكفل بظاهرة الجريمة المعاصرة:

أقر المشرع الجزائري في تعامله مع ظاهرة الجريمة المعاصرة عدة اجراءات مواكبة للظاهرة ...و ينتظر أن تساير القوانين الردعية مختلف هذه الجرائم التي تمس أفراد المجتمع في حياتهم...و بالتالي يبقى موقع المشرع الجزائي له أهمية كبيرة في تعامله مع مختلف الأطراف من جهة و تحيين مختلف القوانين من جهة أخرى.

خاتمة:

على اعتبار أن ظاهرة الجريمة المعاصرة من أهم المشاكل التي تواجه أي مجتمع بصفة عامة، والتناول الاجتماعي منه أو الأمني أو الإعلامي لهذه الظاهرة مهم جدا. لاشك أن للجريمة بوجه عام عوامل وظروف تغذيها، فمنها داخلية منها و خارجية، ، وسواهما يميل إلى ردها عوامل مجتمعية بيئية، خاصة وأن الإجرام في الجزائر وحسب الدراسات والأبحاث التي أجريت في هذا المجال مرتبط بشكل كبير ببعض الظروف المجتمعية الصعبة التي أصبحت تعيشها شريحة كبيرة من أفراد المجتمع، فتسليط الضوء على الطرق المعتمدة من طرف وسائل الإعلام في معالجة الجريمة في الجزائر لا شك بأن لها دورا إيجابيا أو

سلبيا في انتشار هذه الظاهرة وتفشيها في المجتمع، وهنا لابد من الوقوف على الاختلاف بين مختلف وسائل الإعلام الجزائرية في معالجة هذه القضية، سواء كانت هذه الوسائل مكتوبة آو سمعية بصرية وحتى الكترونية ، وفي نفس الوقت تحديد الاختلاف بين وسائل الإعلام العمومية والخاصة في عرض مواد إعلامية تتناول الجريمة شكلا و مضمونا. وهنا لابد من التأكيد على أن وسائل الإعلام بعرضها مختلف مشاهد العنف سواء على شكل رسوم متحركة، أو حتى على شكل أفلام ومسلسلات مثيرة للأطفال والمراهقين، تعمل على تعزيز الروح الفردية وحب الذات، وكذا التمرد على القيم والضوابط الاجتماعية، التي كثيرا ما يتأثر بها الأحداث في مختلف المجتمعات خاصة إذا كان ذلك بعيدا عن الرقابة الأسرية والاجتماعية، و انطلاقا منه كل ما تقدم كان لزاما التكفل بظاهرة الجريمة المعاصرة انطلاقا من عدة تناولات نسقية ، و علوم ، متفاعل فيما بينها .

قائمة المراجع:

-السيد عوض(2001)، « **الجريمة في مجتمع متغير**»، المكتبة المصرية، الإسكندرية.

-أحسن طالب(2002)، « **الجريمة و العقوبة و المؤسسات الإصلاحية**»، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط01 ، ص 32.

-السيد عوض(2004) ، « **التطور التكنولوجى والجريمة** »، المؤتمر السنوى 34 قضايا السكان والتنمية 19- 22 ديسمبر 2004 ،القاهرة .

-احسان محمد الحسن(2005)، « **علم الاجتماع العائلة**» دار وائل للنشر، عمان ، الأردن، الطبعة الأولى، ص 211.

-الزيود ماجد(2006)، « **الشباب والقيم في عالم متغير**» دار الشروق ،عمان، ص105.

-ابراهيم حمداوي . ندى بوخبزة (2013)، « **الجريمة في المجتمع المغربي** »، منشورات دار القلم الرباط .

-أحمد الربايعة (2016) ،« **أثر العوامل الإجتماعية في الدافع إلى إرتكاب الجريمة دراسة استطلاعية من منظور اجتماعي على عينة من المسجونين في المجتمع الأردني** »، على الموقع http://www.startimes.com

-أمين جابر الشديفات، منصور عبدالرحمن الرشيدي (2016)، « **العوامل الاجتماعية المؤثرة في ارتكاب الجريمة في المجتمع الأردني من وجهة نظر المحكومين في مراكز الإصلاح والتأهيل** »، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 43، الملحق 05 ، ص 2123-2137.

-أحمد درويش عبد السيد (2017)، « **موقف الشريعة الإسلامية من الجريمة**»، دار الناشري للنشر الالكتروني .

-بركات النهر المهيرات(2000)، « **جغرافيا الجريمة، علم الاجرام الكارثوجرافي** » ، دار مجدلاوي للنشر، عمان ، الأردن ، ط01، ص31.

-بلعيوز الطاهر (2008)، « **رؤية سوسيولوجية لظاهرة الجريمة** »، مجلة العلوم الانسانية ، م 30 ع02 ، ص 117-126.

-بوفولة بوخميس (2009)، «**الأسرة وانحراف الأحداث** »، مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد21 ، ص 53

-بسمة المومني(2016)، « **فجر العرب: شبابه و عائده الديموغرافي**» ترجمة فادي ملحم المركز العربي للأبحـــاث بيروت.

-بشريف وهيبة (2017)، « **دورالإعلام ومؤسسات المجتمع المدني في مكافحة جريمة اختطاف الأطفال وسبل الوقاية منها**»، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية ، المجلد 10 ، العدد 03 ، ص 252-266.

-بورياحي بلال ، بوطالبي كريم (2017)، « **المعالجة الاعلامية لجريمة القتل في المجتمع الجزائري** »، مذكر ماستر في علوم الاعلام و الاتصال جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة.

-حسن اسماعيل عبيد(1993)، « **سوسيولوجيا الجريمة** » ، شركة ميدلات الحدودة، لندن، ص97.

-حمزة عبد المطلب كريم المعايطة (2018)، « **دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في المجتمع – نحو آليات للوقاية من الجريمة**»، المجلة الجزائرية للأمن الانساني، المجلد 03، العدد 02، ص 214 – 244.

-سلطان بلغيث،(بدون تاريخ)، « **تمظهرات أزمة الهوية لدى الشباب**» مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعيــة، جامعة تبسة.

-سليمان عبد المنعم سليمان(1994)، « **أصول علم الاجرام القانوني** » ، الجامعة الجديدة للنشر ، ص144.

-فتوح عبد الله الشاذلي(2006)، « **أساسيات علم الاجرام و العقاب** » ، منشورات الحلبي الحقوقية، الطبعة الأولى، ص 67.

-سمير يونس (2006)، « **ظاهرة العود إلى الانحراف :دراسة للظروف الأسرية**»، رسالة ماجستير علم الاجتماع ، جامعة عنابة.

-سمير شعبان(2009)، «**الإعلام ودوره في نشر الجريمة والوقاية منها**»، دفاتر السياسة و القانون ، ورقلة، العدد 02.

-طلعت ابراهيم لطفي (2009)، « **دراسات في علم الاجتماع الجنائي**»، دار الطباعة للنشر و التوزيع .

-علي عبد القادر القهواجي(1985)، « **علم الاجرام و علم العقاب** » ، الدار الجامعية للطباعة و النشر، بيروت، ص 13- 14.

-عبد الله عبد الغني غانم(1994)، « **الجريمة و المجرم من المنظور الاسلامي نحو نظرة اسلامية عامة للجريمة** » ، الاسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث، ، ص 26.

-علي مانع(2002)،«**عوامل جنوح الأحداث في الجزائر :نتائج دراسة ميدانية** »، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص100

-عماد بن تروش (2011)، « **العوامل المؤثرة في ظاهرة الجريمة بالمجتمع الجزائري**»، مجلة الواحات للبحوث،ع 13، ص 124

-عزيز أحمد صالح الحسني (2015)، « **انحراف السلوك و أثره على أمن المجتمع في اليمن – دراسة تحليلية**-» ، مجلة جامعة الناصر،العدد الخامس ، المجلد الثاني ، ص 257- 300.

-عماد بن تروش. (2017)، « دور مؤسسات التنشئة الاجتماعية في تحصين الحدث من الانحراف»، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، م ، المجلد 01 ، العدد 02، ص 45-62.

-عبد الاله بلقزيز (2017)، « **أزمة الهوية في عصر العولمة** » محاضرة مقدمة في منتدى شومان الثقافي 30 تشرين الأول.

-غيث محمد عاطف(2006)، « **قاموس علم الاجتماع** » ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، دون طبعة،ص 84.

-غنو أمال(2016)، « الجريمة و الانحراف بين الشباب الجزائري»، آفاق للعلوم ، م01، ع 02، جامعة زيان عاشور الجلفة، ص170.

-لمزي جميلة ، حبة وديعة (2008)، « **قراءة سوسيولوجية لظاهرة الجريمة المعاصرة بالمجتمع الجزائري** »، مجلة الدراسات و البحوث الاجتماعية جامعة الوادي ، العدد 07 ، ص 172-189.

-محمد ابراهيم(1964)، « **علم الاجتماع و التعريف الاجتماعي للجريمة** » ، المجلة الجنائية القومية، م 05، ع 02،ص 278.

-محمد زكي(1985)، « **دراسة في علم الاجرام و العقاب** » ، دار المطبوعات الجامعية، الأسكندرية، ص43.

-محد شفيق(1997)، « **الانسان و المجتمع**» المكتب المجتمعي الحديث ، الأسكندرية، مصر ، ص 38.

-مسعودة خنونة-بيطام (2004)، « **دور التنشئة االجتماعية في تكوين شخصية الفرد**»، ، مجلة العلوم الانسانية ،العدد 21، ص 07 – 15.

-منال محمد عباس(2011)، « **الانحراف والجريمة في عالم متغير**»، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

-محمد بن عودة (2013)، « **دور الاعلام في الوقاية من الجريمة و الانحراف** »، مجلة العلوم الانسانية و الاجتماعية ، المجلد 03، العدد 05، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، ص 80- 89

-محمد السعيد تركي، نسيغة ف (2018)، « **سياسة الوقاية و المنع من الجريمة** »، م البحوث والدراسات ، م 15 ع 01 ، ص 233-250.

-مصطفى زيكيو (2018)، « **دراسة إحصائية للجريمة في الجزائر** »، مجلة العلوم الاجتماعية ، المجلد 4 ع07، ص 75-89.

-ناجي محمد سليم (2015)، « **الجرائم المستحدثة...تحليل سوسيولوجي**»،ط1 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر.

-نبيل رحال (2019)، « **الضبط الاجتماعي ، ماهيته، وسائله ودوره في مكافحة الجريمة والانحراف**» ، مجلة الحقوق و العلوم السياسية المجلد 06 ، العدد 01، ص 312 – 336.

-ياسمينة كتفي ، حنان بونيف (2013)، « **دور الاعلام في الوقاية من الجريمة و الانحراف** »، مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية ، م 03، العدد 05، جامعة محمد بوضياف المسيلة ، ص 115- 124

-لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع لبوابة العين الإخبارية al-ain.com/article/algeria-high-crime-rate

-لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع للموقع https://eldjazair365.com

-عوامل الظاهرة الإجتماعية في الجزائر.http://www.startimes.com

آليات حماية المرأة العاملة من الاعتداء اللفظي داخل مؤسسات القطاع الخاص.

ـ دراسة ميدانية بالمؤسسة الخاصة لتصنيع الحلوى بحمادي ولاية بومرداس ـ

د/ زيوش سعيد ـ جامعة الشلف ـ الجزائر.

د/ بومدفع الطاهر ـ جامعة الشلف ـ الجزائر.

الملخص:

إن التغييرات التي مست المجتمع الجزائري في الآونة الأخيرة وبالأخص ما يتصل بالجانب الاقتصادي ونعني هنا القدرة الشرائية للمواطن، انتشار البطالة وغيرها من الظواهر الأخرى التي ساهمت بشكل أو بآخر في ازدياد عدد النساء اللواتي يعملن في كافة القطاعات، ونظرا لكون التوظيف في القطاع العام قد أصبح صعب المنال فإنهن توجهن للعمل لدى القطاع الخاص، الأمر الذي نتج عنه عدة تجاوزات في حقهن، من اهمها العنف اللفظي الذي يتعرضن له، وأمام الاحتياجات المادية الواجب توفرها في محيط المرأة العاملة فإنها قد تضطر إلى قبول صور وأشكال عديدة من العنف اللفظي، والورقة التي بين أيدينا توضح بالبحث والتحليل كيفية حماية المرأة العالمة لدى القطاع الخاص من أشكال العنف اللفظي.

الكلمات المفتاحية: آليات، حماية، المرأة، المجتمع، العنف، اللفظي، القطاع، الخاص، الاحتياجات.

Abstract :

The changes that have affected Algerian society in recent times, particularly in relation to the economic aspect, here we mean the purchasing power of citizens, the spread of unemployment and other phenomena that have contributed in one way or another to the increase in the number of women working in all sectors, and given the fact that employment in The public sector has become difficult to achieve, as they are going to work for the private sector, which has resulted in several abuses against them, the most important of which is verbal violence to which they are subjected, and in the face of the material needs to be provided within the framework of working women, they may be forced to accept many forms of verbal violence, this paper, research and analysis show how women in the private sector are protected from verbal violence .

Keywords: mechanisms, protection, women, society, violence, verbal, private, private, needs.

1- مقدمة:

ان العنف من أكبر المشكلات التي تعاني منها المجتمعات في عصرنا الحالي، ومع التغيرات التي تمر بها هذه المجتمعات ومنها الجزائر اتسعت دائرة العنف وتنوعت انماطه، فأصبح هناك عنف ضد

الأطفال، عنف ضد النساء، عنف ضد كبار السن ...، مما استدعى التدخل وبصفة استعجالية في دراسة هذه الظاهرة التي تتزايد بشكل كبير، فهو يمثل مشكلة اجتماعية ذات آثار نفسية واجتماعية سلبية على الأفراد بصفة خاصة، وعلى المجتمعات بصفة عامة، هذا ما جعل دائرة الاهتمام به تتسع، ويحظى باهتمام كبير في ميدان البحث الاجتماعي.

وتزداد ضرورة القيام بهذه الدراسات والبحوث نظراً لتعدد أشكاله، وارتفاع معدلاته في الفترة الأخيرة بشكل رهيب وواضح في جل المجتمعات، ومجمل الإحصائيات تشير إلى مدى زيادة وانتشار واستفحال هذا السلوك خاصة لدى فئة الشباب التي تمثل أحد ركائز المجتمع، والعنصر الغالب فيه، وهو ما يحتم على المتخصصين في هذا المجال الاهتمام بهذه المشكلة ودراستها من كل جوانبها المختلفة.

ولم يأت هذا الاهتمام من فراغ، فهناك الكثير من العوامل التي أدت إلى انتشار هذه الظاهرة، فمثلاً الفجوة القائمة بين فئات المجتمع المختلفة أدت بدورها إلى تطور العديد من أشكال العنف وسط المجتمعات النامية، أما المجتمعات المتقدمة فقد خرجت من الأطر التقليدية لوظائفها الأساسية التي تمارس فيها وللعنف أشكاله المتعددة والمتنوعة، فيها ما هو عنف جسدي، وفيها ما هو عنف لفظي وهو الأكثر شيوعا وظهوراً خاصة في مجتمعنا الجزائري.

2-الإشكالية:

على هذا الأساس نجد أن العنف اللفظي عند المرأة العاملة أو العاملات في القطاع الخاص بشكل ملحوظ من بين أنواع العنف الأكثر شيوعاً وانتشارا داخل محيط المؤسسة الخاصة، حيث يبرز جلياً في عدة مظاهر كالشتم والسب والألفاظ البذيئة وغيرها من النبذ والشتائم، وتعنيف الآخر ببعض الصفات الشخصية أو العيوب الخلقية كالعاهات، أو صفات الحيوانات، ناهيك عن الإهانة والكلمات الجارحة، والتحرش الجنسي وغيرها، ونجد كل هذه الصفات والمظاهر تمارس ضد العاملات في القطاع الخاص سواء من طرف الموظفين، أو الإداريين، أو من قبل بعض العاملات الأخريات من أقرانهن نظراً للانحلال الخلقي وسوء التنشئة والبيئة التي نشئن منها، وبهذا يصبح العنف اللفظي عبارة عن لغة التخاطب الممكنة مع الواقع والآخرين حيث يعجز أي عنصر في محيط العمل من إيصال صوته بوسائل الحوار العادي، فيلجأ إلى العنف اللفظي لإيصال ما يرغب في توصيله للعاملة نتيجة موقف معين، لتجنب العدوانية التي تدين الذات بالفشل، وهذا ما يؤثر في نهاية المطاف على شخصية وسلوك العاملات مما قد يولد وينتج لديهن سلوك انحرافي لا يتوافق مع قيم ومعايير المجتمع الذي نشئن فيه، كما أنه لا يتوافق مع البيئة التي يقطن

فيها، وهذا بدوره يؤدي بهم لتغير جذري في تصرفاتهن وطريقة حوارهن وأماكن تواجدهن، نظراً للسلوكيات التي يتم اكتسابها والتأثر بها نتيجة تعرضهن لبعض المعاملات اللفظية العنيفة.

واستنادا إلى تقارير مصالح الأمن خلال السداسي الأول من عام 2006، سجلت 3865 قضية عنف ضد المرأة، تصدرتها قضايا الاعتداءات الجسدية ب 2497 قضية يليها التحرش الجنسي ب 151 قضية والاعتداء والتحرش الجنسي ب 124 قضية والقتل العمد ب 16 قضية. إلى جانب تورط ما يزيد عن 3 آلاف شخص في تلك القضايا خلال ذات الفترة على رأسهم الأزواج والآباء والإخوة وهو عرف تراجعا بعد أن كان عدد النساء ضحايا العنف خلال 2005، حوالي 7419 امرأة منهن 5179 تعرضن لعنف جسدي و34 للقتل العمدي فيما تعرضت 1753 لسوء المعاملة و176 للتحرش الجنسي.

أما في سنة 2009 فأظهرت دراسة حديثة قامت بها الوزارة المكلفة بشؤون الأسرة وقضايا المرأة، أن كل امرأتين من مجموع 10 نساء يتعرضن للعنف داخل الأسرة، وأن 10 % من النساء الجزائريات يتعرضن إلى عنف جسدي الممارس في أغلب الأحيان من قبل الأزواج وتعتبر النساء المطلقات والأرامل من بين النساء الأكثر عرضة للعنف في الأسرة حيث أن 20 % منهن يتعرضن إلى الإهانة و5 % يتعرضن إلى عنف مادي. أما بخصوص عدد النساء ضحايا العنف واللاتي تم استقبالهن من قبل مصالح الشرطة على المستوى الوطني فيقدر ب9 آلاف ضحية عنف بمختلف أشكاله خلال سنة 2009، وفيما يتعلق بأنواع العنف الزوجي خلال 12 شهرا الأخيرة، حل الضغط النفسي في المرتبة الأولى بنسبة 31,3 % ، في حين جاء العنف اللفظي بنسبة 19,1 % في المرتبة الثانية أما العنف الجنسي احتل المرتبة الثالثة بنسبة 10,9 %، وفيما يتعلق بالمؤشر العام لأعمال العنف في الأسرة وأسرة الزوج فيقدر ب17,4 % كما يحتل العنف اللفظي نسبة 10,8% في الفضاءات العمومية ويليه العنف الجسدي ب4,7 %. ولو أنها أرقام تبعث على التفاؤل إلا أنها لا تزال إحدى القضايا الشائكة في المجتمع.[1]

والورقة التي بين أيدينا تحاول القاء الضوء على هذه الظاهرة بالبحث والتمحيص من خلال الدراسة الميدانية التي قمنا بها على المؤسسة الخاصة لتصنيع الحلوى "صوفيا"، الواقعة بحي عبان رمضان، حمادي، الجزائر، حيث كانت العينة المدروسة 50 امرأة وهو عدد كل العاملات الفعليات في هذه المؤسسة الخاصة، وفي ضوء هذه المشكلة يتبادر إلى أذهاننا تساؤل نلخصه فيما لي:

ما هي آليات حماية المرأة العاملة من العنف اللفظي داخل مؤسسات القطاع الخاص؟

[1] نوال. "العنف ضد المرأة في الجزائر ...إلى أين؟". موقع جزايرس. نشر في موقع الأيام الجزائرية يوم 28-11-2009، أطلع عليه يوم 24-11-2019

وبطبيعة الحال يتفرع عن هذا التساؤل مجموعة من التساؤلات كالآتي:

-هل للعنف اللفظي الممارس من طرف إدارة المؤسسة له تأثير على سلوك العاملات؟

- هل التبليغ عن العنف اللفظي الممارس ضد المرأة العاملة قد يؤدي إلى نتائج حسنة؟

- كيف يمكن حماية المرأة العاملة في القطاع الخاص من العنف اللفظي؟

3- الفرضيات:

- للعنف اللفظي الممارس من طرف إدارة المؤسسة علاقة بسلوك العاملات.

- التبليغ عن العنف اللفظي لدى السلطات المختصة قد يؤدي إلى حماية حقوقهن.

- يمكن حماية المرأة العاملة في القطاع الخاص عن طريق التوعية وكسر حاجز الخوف.

4- مفهوم العنف:

تعرّف الأمم المتحدة العنف الممارس ضد المرأة بأنّه "أيّ فعل عنيف تدفع إليه عصبية الجنس ويترتب عليه، أو يرجح أن يترتب عليه، أذى أو معاناة للمرأة، سواء من الناحية الجسمانية أو الجنسية أو النفسية، بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو القسر أو الحرمان التعسفي من الحرية، سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة."

العنف الممارس من قبل الشريك المعاشر يعني سلوك منتهج ضمن علاقة معاشرة او من قبل شريك سابق يتسبّب في حدوث ضرر جسدي أو جنسي أو نفسي، بما في ذلك الاعتداء الجسدي والعلاقات الجنسية القسرية والإيذاء النفسي وسلوكيات السيطرة[1].

ونستطيع أن نعرف العنف على انه كل سلوك يتميز باستخدام أي وسيلة تؤدي إلى معاناة المرأة، سواء كانت هذه الوسيلة مادية أو معنوية أو غير ذلك.

5- مفهوم العنف اللفظي الممارس ضد المرأة العاملة:

يمكننا ان نعرف العنف اللفظي بأنه يتمثل في كل السلوكيات المصاحبة للإهانة اللفظية والتقليل من قيمة المرأة، ويمكن أن تكون بالاحتقار والتأثير على نفسيتها وذلك إما بالسب والشتم أو المعاكسات، والتي غالبا ما تؤثر في المرأة العاملة، إما من حيث قدرتها على ممارسة نشاطها الانتاجي، أو من حيث تعرضها للضغوط النفسية أو حتى تعرضها لبعض الأمراض النفسية الناجمة عن تلك التصرفات السيئة التي تتلقاها ضمن محيط عملها، وشير في هذا الصدد إلى أن تعرض المرأة العاملة للعنف اللفظي ليس

[1] منظمة الصحة العالمية، العنف الممارس ضد المرأة، 29-11-2017، https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/violence-against-women

فقط محصورا في المؤسسات الخاصة وإنما قد تعد ذلك في كل المؤسسات التي تعمل فيها المرأة، بما في ذلك الحي الذي تسكنه والطريق الذي تسلكه والأماكن التي قد تتبضع منها.

إذن العنف اللفظي الممارس ضد المرأة العالمة في المؤسسة الخاصة قد يكون له نمط خاص، وذلك أن المؤسسة الخاصة لها قوانين داخلية، والهدف من توظيف النساء في القطاع الخاص هو اقتصادي بالدرجة الأولى، حيث لا يمكن للمرأة العاملة أن تطالب بزيادة الأجر أو تحسين ظروف العمل أو الاهتمام بالخدمات الاجتماعية أو غير ذلك من المطالب المشروعة والمكفولة قانونيا لأنها ببساطة تعيش ظروف مزرية ولا يمكن أن تتخلى عن عملها من أجل أسرتها، وبالتالي ترضخ لمطالب رب العمل ولا تبدي أي معارضة للأمر.

حيث قد يكون العنف اللفظي هنا مصاحباً لنوع من الاحتقار والتقليل من قيمة المرأة العاملة، خاصة إذا كانت تلك المرأة في بداية عملها (جديدة)، إذ لا يمكن أن تعترض على أي سلوك مشين تجاهها مهما كان نوعه من سب وشتم وإذلال وقد يصل الأمر إلى درجة التحرش الجنسي.

6- مظاهر العنف اللفظي:

إن العنف اللفظي يتخذ نوعين، وهما العنف المصرح به، ويعرف بالعنف الظاهر، والعلني والذي يتخذ صفة المباشرة، وهناك العنف اللفظي غير المصرح به، ويعرف كذلك بالعنف اللفظي الرمزي، فالعنف المصرح به هو عنف ظاهر في الأقوال، كما قد يظهر بالأفعال المتعلقة بالثرثرة والاسترسال الزائد في الكلام، والألفاظ البذيئة، وغير المهذبة تكون مضرة وفظة عندما تستعمل بصفة مستفزة ومتكررة من فرد إلى فرد، أو من جماعة إلى فرد، أو من فرد إلى جماعة منه، فهو بذلك مبني على ثنائية وظيفية للكلمة، أي فقدان الفعل للكلمة، لأن الفعل يحل محل الكلام المستحيل ويصبح الاحتفاظ به عن طريق الصمت، وبالتالي الاحتفاظ به يقتضي محاربة الضغوطات الداخلية في بعض الأحيان، فعند وقوع خطأ بسيط قد يطلق الفرد وينفس عن هذه الأخيرة بفظاظة في الألفاظ، والتي تعني المرور للفعل والتي ترتبط بالتحدث بصوت مرتفع مع الخلط في الكلام، لكن ليس بصورة متكررة أو متعمدة، أو ما أسماه البعض يحدث له خطأ في الألفاظ نظراً لحالته المتلبكة والمحيرة، وهي بمثابة حالة صحية للفرد للتخفيف عن شدة هذه الضغوطات وإلا أصيب بالجنون أو الانهيار العصبي نتيجة للكبت الدائم[1].

[1] نسيمة عيساوي، **العنف اللفظي الأسري من المنظور السوسيولوجي**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم علم الإجتماع، جامعة الجزائر2، 2011/2010، ص103،102.

لذلك يعتبر العنف اللفظي الصريح سلوك يؤدي إلى حدوث أذى مباشر أو غير مباشر، يهدد شعور وإحساس الفرد بقيمته الذاتية وقدرته على السيطرة على حياته، مثل التهديد، والإهانة والتحقير والشتم والحرمان، واستخدام الألفاظ واللوم والتهديد والتشكيك في قدراته، والذي من شأنه أن يؤدي إلى الشعور بالدونية واليأس والاكتئاب بدرجات مختلفة.

كما يظهر هذا النوع من العنف بصورة مباشرة عن طريق المواجهة اللغوية الصريحة، أو بصورة غير مباشرة من خلال ما تحمله الرموز اللغوية للشخص المعتدي من إشارات تتسم بالعدوان، ذات مشاعر التبخيس والاستهزاء والكراهية، حيث تشكل ضرر نفسي للمعتدي عليه، وتوحي له بالإقصاء وعدم الاعتراف بأفكاره ومشاعره وكيانه الإنساني ككل.[1]

7- العنف ضد المرأة:

سلوك أو فعل موجّه إلى المرأة يقوم على القوة والشّدة والإكراه، ويتسم بدرجات متفاوتة من التمييز والاضطهاد والقهر والعدوانية، ناجم عن علاقات القوة غير المتكافئة بين الرجل والمرأة في المجتمع والأسرة على السواء، والذي يتخذ أشكالاً نفسية وجسدية متنوعة في الأضرار.

ويتنوع العنف ضد المرأة بين ما هو فردي ويتجسد بالإيذاء المباشر وغير المباشر للمرأة باليد أو اللسان أو الفعل أياً كان، وبين ما هو جماعي (العنف الجمعي) الذي تقوم به مجموعة بشرية بسبب عرقي أو طائفي أو ثقافي والذي يأخذ صفة التحقير أو الإقصاء أو التصفيات، وبين ما هو رسمي (عنف السلطة) والذي يتجسد بالعنف السياسي ضد المعارضة وعموم فئات المجتمع.

وحينما تقع المرأة ضحية الاضرار المعتمد جرّاء منهج العنف فإنها تفقد إنسانيتها، وبفقدانها لإنسانيتها ينتفي أي دور بنّاءٍ لها في حركة الحياة. إنَّ من حق كل إنسان ألا يتعرض للعنف وأن يُعامل على قدم المواساة مع غيره من بني البشر باعتبار ذلك من حقوق الإنسان الأساسية التي تمثل حقيقة الوجود الإنساني وجوهره الذي به ومن خلاله يتكامل ويرقى، وعندما تُهدر هذه الحقوق فإنَّ الدور الإنساني سيؤول إلى السقوط والاضمحلال، والمرأة صنو الرجل في بناء الحياة وإتحافها بالإعمار والتقدم، ولن تستقيم الحياة وتُؤتي أُكلها فيما لو تم التضحية بحقوق المرأة الأساسية وفي الطليعة حقها بالحياة والأمن والكرامة، والعنف أو التهديد به يقتل الإبداع من خلال خلقه لمناخات الخوف والرعب الذي يُلاحق المرأة في كل مكان.

إنَّ العنف على تنوع أشكاله كالعنف الشخصي والمنزلي وعنف العادات والتقاليد الخاطئة وعنف السلطة وعنف الحروب.. يتطلب تشريعات قانونية وثقافة مجتمعية تحول دون استمراريته لضمان تطور المجتمع

[1] علي أسعد وصفة، **الطاقة الاستقلابية للعنف الرمزي**، مركز الشرق العربي للدراسات، لندن، 2012، ص16.

بما في ذلك الحق في اللجوء لسبل الإنصاف والتعويض القانوني، والحصول على التعليم والرعاية الصحية، والحماية من الدولة ومؤسسات المجتمع المدني[1].

8- أسباب العنف:

يمكن إرجاع العنف إلى الأسباب التالية:

1- النظرة القيمية الخاطئة والتي لا ترى أهلية حقيقية وكاملة للمرأة كإنسانة كاملة الإنسانية حقاً وواجباً.. وهذا ما يُؤسّس لحياة تقوم على التهميش والاحتقار للمرأة.

2- التخلّف الثقافي العام وما يفرزه من جهل بمكونات الحضارة والتطوّر البشري الواجب أن ينهض على أكتاف المرأة والرجل على حدٍ سواء ضمن معادلة التكامل بينهما لصنع الحياة الهادفة والمتقدمة.

3- التوظيف السيء للسلطة سواء كان ذلك داخل الأسرة أو الطبقة الاجتماعية أو الدولة، إذ يقوم على التعالي والسحق لحقوق الأضعف داخل هذه الأُطر المجتمعية.

4- التقاليد والعادات الاجتماعية الخاطئة التي تحول دون تنامي دور المرأة وإبداعها لإتحاف الحياة بمقومات النهضة.

5- ضعف المرأة نفسها في المطالبة بحقوقها الإنسانية والوطنية والعمل لتفعيل وتنامي دورها الاجتماعي والسياسي والاقتصادي.

6- الاستبداد السياسي المانع من تطور المجتمع ككل والذي يقف حجر عثرة أمام البناء العصري للدولة والسلطة.

7- انتفاء الديمقراطية بما تعنيه من حكم القانون والمؤسسات والتعددية واحترام وقبول الآخر.. كثقافة وآلية تحكم المجتمع والدولة بحيث تكون قادرة على احترام مواطنيها وتنميتهم وحمايتهم.

8- ثقل الأزمات الاقتصادية الخانقة وما تفرزه من عنف عام بسبب التضخم والفقر والبطالة والحاجة، ويحتل العامل الاقتصادي 45% من حالات العنف ضد المرأة.

9- تداعيات الحروب الكارثية وما تخلقه من ثقافة للعنف وشيوع للقتل وتجاوز لحقوق الإنسان، وبما تفرزه من نتائج مدمرة للاقتصاد والأمن والتماسك والسلام الاجتماعي.

10- الآثار السلبية للتدهور التعليمي والتربوي والصحي والبيئي الذي يشل نمو وتطور المجتمع بكافة شرائحه.

[1] حسين درويش العادلي، العنف ضد المرأة، مجلة النبأ الالكترونية، العدد 78، أوت 2005.

9- مجتمع البحث:

لا تخلو أي دراسة من الدراسات من منهج يتبعه الباحث للارتقاء بعمله وأدائه البحثي، كون أن المنهج يعتبر أهم طريقة من الطرق التي يتبعها الباحث في دراسة أي مشكلة، أو موضوع بحث معين، وهذا بغرض تحقيق هدف البحث، والوصول إلى حقائق ومعارف علمية وفحص الظاهرة محل الدراسة وتحليلها علمياً وموضوعياً، والذي يعتبر من أهم القواعد العامة التي يتم وضعها قصد الوصول إلى الحقيقة [1]، ومن أجل تحقيق وبلوغ اهداف الدراسة تم الاعتماد على **المنهج الوصفي التحليلي**، كونه يخدم موضوع بحثنا بدرجة كبيرة، حيث يعتبر المنهج أحد أهم المناهج الأساسية الذي يعتمد في الدراسات العلمية على مستويين: **المستوى الأول:** هي مرحلة البحوث أو الدراسات الاستكشافية أو الاستطلاعية، حيث تهدف هذه البحوث إلى التعرف على أهم الفروض التي ينبغي أن توضح موضوع البحث أو التجربة في **المستوى الثاني**.

فالمنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج المناسب لدراسة هذا الموضوع الذي نحن بصدد دراسته، يسعى إلى دراسة ووصف خصائص وأبعاد الظاهرة في إطار معين أو في وضع معين، يتم من خلاله تجميع البيانات والمعلومات اللازمة عن الظاهرة، وتنظيم هذه البيانات وتحليلها للوصول إلى مسببات الظاهرة والعوامل المتحكمة فيها وبالتالي استخلاص نتائج يمكن تعميمها مستقبلاً.

ويستخدم هذا المنهج في العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية ويعتمد على الملاحظة بأنواعها بالإضافة إلى عمليات التصنيف والإحصاء مع بيان وتفسير تلك العمليات، ويعد أكثر مناهج البحث ملائمة للواقع الاجتماعي كسبيل لفهم الظواهر واستخلاص سمات كل مرحلتين، مرحلة الاستكشاف والصياغة والتي تتلخص بدورها إلى ثلاث خطوات متمثلة في تلخيص تراث العلوم الاجتماعية، فيما يتعلق بموضوع البحث والاستناد إلى ذوي الخبرة العلمية بموضوع الدراسة، ثم تحليل بعض الحالات التي تزيد استبصارنا بالمشكل وتلقي الضوء عليها[2].

لذلك اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي في دراستنا، كونه يهتم بوصف ظاهرة العنف اللفظي الممارس ضد النساء العاملات لدى القطاع الخاص، والتعبير عنها كما توجد في الواقع، وصفها وتحليلها، وقراءتها إحصائيا، واستخلاص النتائج ثم تعميمها.

10- العينة وكيفية اختيارها وحدود ومجالات الدراسة:

تعرف العينة على انها ذلك الجزء من المجتمع التي يتم اختيارها وفق قواعد وطرق علمية، حيث تمثل المجتمع تمثيلاً صحيحاً ، والبحث عن طريق العينة هو في الحقيقة اختصار للوقت والجهد والمال،

[1] محمد الغريب عبد الكريم، **البحث العلمي**، مكتبة نهضة الشروق، د.ب، ط3، 1996، ص139

[2] جمال محمد أبو شنب، **قواعد البحث العلمي والإجتماعي(1) المناهج والطرق والأدوات**، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط، 2009، ص.199

وهذا من شأنه تخفيض تكاليف المشروع أو البحث، إن استخدام العينة يسهل من عملية الحصول على النتائج بالسرعة الممكنة، وعلى الرغم من أن أسلوب العينة يوفر على الباحثين الجهد والوقت، إلا أن من الناحية النظرية يتطلب أن تكون العينة ممثلة للمجتمع الذي تسحب منه وإلا فلا يصدق على المجتمع ما صدق على تلك العينة، لذا فإن الحصول على العينة ممثلة بصورة مرضية للمجتمع تعد مشكلة رئيسية عند تقنيين الاختبارات.[1]

وفي مجال دراستنا فقد تم اختيار كل العاملات في المؤسسة الخاصة وعددهن 50 إمرأة عاملة في المؤسسة الخاصة "صوفيا" لإنتاج الحلوى الكائن مقرها في 21 شارع عبان رمضان، دائرة حمادي، ولاية بومرداس، وقد تأسست هذه المؤسسة منذ 5 سنوات تقريبا وكان نشاطها مقوراً في البداية على تغليف مواد الحلويات فقط ثم بدأت في توسيع نشاطاتها إلى غاية انتاج وتسويق الحلوى الموجهة للأطفال.

وقد بدأنا دراستنا في شهر 15 جانفي 2018 وانتهت يوم 25 ماي 2018، وقد تم استخدام المقابلة وتوزيع استمارة الاستبيان على بعض العاملات اللواتي لم نستطع مقابلتهن، كما أننا نشير في هذا الصدد إلى بعض الصعوبات التي واجهتنا منها مضايقات من طرف بعض الإداريين الذين أصروا على مرافقتنا خلال المقابلات مما ادى إلى احجام النساء العاملات على الادلاء بكل عفوية على الأسئلة الموجهة لهن، مما اضطرنا إلى انتظارهن حتى خروجهن من العمل وتوزيع الاستمارات عليهن، وكانت صعوبة في عملية جمعها بالنظر لظروف كل عاملة.

11- عرض وتحليل البيانات العامة:

الجدول رقم 01: يمثل توزيع المبحوثات حسب السن.

السن	التكرارات	النسبة %
من 25 إلى أقل من 28سنة	12	% 24
من 28 إلى أقل من 31 سنة	22	% 44
من 31 إلى 34 سنة	14	% 28
34 سنة فأكثر	2	% 4
المجموع	**50**	**% 100**

[1] مروان عبد المجيد إبراهيم، **أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية**، مؤسسة الورق، عمان، الأردن، ط1، 2000، ص 157.

يبين لنا الجدول رقم1 توزيع المبحوثات حسب السن، حيث وجدنا أعلى نسبة والتي تقدر ب 44% من نصيب النساء العاملات اللواتي يتراوح سنهن بين 28 سنة واقل من 31 سنة، ثم تليها فئة النساء اللواتي يتراوح سنهن من 31 سنة إلى أقل من 34 سنة بنسبة 28%، في حين كانت نسبة 24% من المبحوثات تتعلق بالنساء اللواتي يتراوح سنهن ما بين 25 سنة وأقل من 28 سنة، أما الفئة الأخيرة فقد كانت من نصيب النساء اللواتي يتراوح سنهن أكثر من 34 سنة بنسبة 4%.

نستنتج من القراءة الاحصائية للجدول رقم1 أن أعلى نسبة كانت من نصيب النساء العاملات اللواتي يتراوح سنهن ما بين 28 و 31 سنة وهذا قد يعود لمحاولة العمل لدى الخواص مهما كانت الظروف، ولأنهن قد عانين من البطالة، وقد كانت نسبة 24% من المبحوثات سنهن يتراوح بين 25 و 28 سنة وهو سن حديث بالفئات السابقة وقد يرجع ذلك لأنهن لم يجدن أي وظائف لدى القطاع العام وبالتالي توجهن نحو القطاع الخاص، في حين كانت نسبة ضئيلة تقدر ب 4% وهي للفئة اكبر من 34 سنة فنعتقد أنهن واجهن ظروفا مزرية دفعت بهن إلى العمل لدى القطاع الخاص.

الجدول رقم 02: يمثل توزيع المبحوثات حسب سنوات العمل لدى المؤسسة الخاصة.

سنوات العمل	التكرارات	النسبة %
سـنة	06	% 12
سنتين	15	% 30
ثلاث سنوات	19	% 38
أربع سنوات فأكثر	10	% 20
المجموع	50	% 100

من خلال الأرقام المسجلة في الجدول رقم 02، يتضح لنا بأن نسبة **38 %** من العاملات اللواتي سنوات إقامتهن ثلاث سنوات، ونسبة **30 %** من العاملات اللواتي سنوات إقامتهن سنتين، تليها في ذلك نسبة**20 %** من العاملات اللواتي سنوات إقامتهن أكثر من أربع سنوات، ونسبة **12 %** من العاملات اللواتي سنوات إقامتهن سنة واحدة فقط.

نستنتج أن النساء اللواتي يعملن في المؤسسة الخاصة من سنة إلى 3 سنوات يشكلن الغالبية العظمى بنسبة تقدر 80% وهذا قد يرجع بالدرجة الأولى إلى استراتيجية التوظيف في هذه المؤسسة أما نسبة 20 % من المبحوثات فهن يعملن منذ أكثر من 4 سنوات وهي منذ بداية انشاء هذه المؤسسة الخاصة.

ولقد أفادتنا الخبرة المهنية لدى النساء العاملات، بحيث سمحت بمنحنا صورة عامة حول موضوع الدراسة، من خلال الاستمارات التي تم جمعها، وبعض المقابلات التي دارت معهن في المؤسسة أثناء الدراسة.

الجدول رقم 03: يمثل نظرة النساء العاملات للعنف اللفظي داخل المؤسسة حسب سنوات العمل:

سنوات العمل / النظرة للعنف داخل المؤسسة	سنة		سنتين		ثلاث سنوات		أربع سنوات فأكثر		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
سلوك غير أخلاقي	2	33,33	1	6,67	5	26,31	/	/	8	% 16
سلوك يؤثر على نفسية العاملات بالسلب	/	/	8	53.33	6	31,58	9	90	23	% 46
يعطي نظرة احتقار للعاملة	4	66,67	6	40	8	42,11	1	10	19	38 %
المجموع	**6**	**100%**	**15**	**100 %**	**19**	**100 %**	**10**	**100 %**	**50**	**100 %**

من خلال البيانات المسجلة في الجدول رقم 03 أعلاه، يتضح لنا أن نسبة46%من المبحوثات اللواتي صرحن بأن العنف يؤثر على نفسيتهن بالسلب، تدعمها في ذلك نسبة90% من المبحوثات اللواتي سنوات عملهن في المؤسسة أكثر من أربع سنوات ونسبة 53,33%من المبحوثات اللواتي سنوات عملهن سنتين، وفي مقابل هذا نجد بأن نسبة 38% من العاملات اللواتي يرين أن العنف يعطي نظرة سلبية للشخص الذي يمارس العنف اللفظي وتدعمها في ذلك نسبة 66,67%من العاملات اللواتي سنوات عملهن في المؤسسة سنة واحدة، ونسبة 42,11%من اللواتي سنوات عملهن في المؤسسة ثلاث سنوات، وفي مقابل كل هذا نجد نسبة 16% من المبحوثات اللواتي صرحن بأن العنف داخل المؤسسة يعتبر سلوك غير أخلاقي، تدعمها في ذلك نسبة 33.33% من المبحوثات اللواتي عدد سنوات عملهن بالمؤسسة سنة واحدة.

يتبين لنا من خلال المعطيات الإحصائية أن نسبة العاملات اللواتي يؤثر العنف اللفظي المتداول بالمؤسسة الخاصة بالسلب مرتفعة، ويرجع ذلك لكون أن مجمل الألفاظ المتداولة ألفاظ غير أخلاقية ومنبوذة.

الجدول رقم 04: يمثل موقف المرأة العاملة من الألفاظ غير الملائمة

نوع المعاملة / موقف الطالبة من الألفاظ العنيفة	حسنة		جيدة		سيئة		المجموع	
	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة%	التكرار	النسبة%	التكرار	النسبة%
الرفض	6	% 24	3	27,27 %	2	%14,28	11	% 22
التوبيخ	2	% 8	/	/	11	%78,58	13	% 26
سلوك عادي	6	% 24	/	/	1	%7,14	7	% 14
اللامبالاة	11	% 44	8	72,73 %	/	/	19	%38
المجموع	25	% 100	11	%100	14	%100	50	%100

من خلال المعطيات المسجلة في الجدول رقم04، يتضح لنا أن نسبة **38 %** من المبحوثات اللواتي صرحن بأن الإدارة لا تبالي بألفاظهن العنيفة، تدعمها في ذلك نسبة **72.73%** من العاملات المبحوثات اللواتي صرحن بأن معاملة الإدارة معهن جيدة، ونسبة 44 % من المبحوثات اللواتي صرحن بأن معاملة الإدارة لهن حسنة، وفي مقابل هذا نجد أن نسبة 26 % من العاملات اللواتي صرحن بأن الإدارة تقوم بتوبيخهن جراء الألفاظ العنيفة التي تصدر منهن، تدعمها في ذلك نسبة 78.58 % من النساء اللواتي صرحن بأن معاملة الإدارة لهن معاملة سيئة ونسبة 8 %من المبحوثات اللواتي صرحن بأن معاملة الإدارة معهن حسنة، وفي مقابل هذا نجد نسبة 22% من المبحوثات اللواتي صرحن بأنهن يتلقين الرفض من طرف الإدارة جراء الألفاظ العنيفة التي تصدر منهن، تدعمها في ذلك نسبة 27.27 % من العاملات المبحوثات اللواتي علاقتهن مع الإدارة علاقة جيدة، وفي مقابل كل هذا نجد نسبة 14%من المبحوثات اللواتي صرحن بأن الإدارة تعتبر الألفاظ العنيفة الصادرة عنهن سلوكيات عادية تدعمها في ذلك نسبة 24% من العاملات اللواتي علاقتهن مع الإدارة علاقة حسنة .

نستخلص من المعطيات المسجلة في الجدول أن النساء العاملات اللواتي صرحن بأن إدارة المؤسسة لا تبالي بالألفاظ العنيفة الصادرة عنهن مرتفعة، وهذا راجع إلى سوء التسيير الإداري للأمور الخاصة بالعاملات، إضافة إلى نقص الضبط الداخلي مما ينتج لدى العاملة نوع من الحرية واللامبالاة للقوانين الإدارية وخاصة العاملين الإداريين، وذلك نظراً لأنهم يخافون من رب العمل كون أن تدخل هذه الأخير يؤثر بنسبة كبيرة، ويخلق جو من التوتر والاضطراب بينهم.

الجدول رقم 05: يمثل تعرض العاملات للعف من قبل عمال الإدارة حسب طبيعة العلاقة بينهم .

طبيعة العلاقة / التعرض للعنف اللفظي	حسنة		مضطربة		سيئة		المجموع	
	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة%	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %
نعم	7	% 30,43	9	%81,82	13	81,25 %	29	%52
لا	16	% 69,57	2	%18,18	3	18,75 %	21	%42
المجموع	23	% 100	11	%100	16	%100	50	100 %

من خلال الأرقام الإحصائية المدونة في الجدول رقم05، يتبين لنا أن نسبة 58% من العاملات اللواتي صرحن بأنهن تعرضن للعنف داخل المؤسسة من طرف عمال إدارتها ، تدعمها في ذلك نسبة 81.22 **%** من المبحوثات اللواتي صرحن بأن علاقتهن مع عمال إدارة المؤسسة علاقة مضطربة، ونسبة 81.25% من المبحوثات اللواتي صرحن بأن علاقتهن مع عمال إدارة المؤسسة هي علاقة سيئة، وفي مقابل هذا نجد نسبة 42 **%** من المبحوثات اللواتي صرحن بأنهن لم يتعرضن للعنف اللفظي من طرف عمال الإدارة، تدعمها في ذلك نسبة 69.75 % من اللواتي صرحن بأن علاقتهن مع عمال الإدارة هي علاقة حسنة، ونسبة 18.75 **%** من النساء العاملات اللواتي صرحن بأن علاقتهن مع عمال الإدارة في علاقة سيئة.

نستنتج من خلال المعطيات في الجدول أن نسبة النساء العاملات اللواتي صرحن بأنهن تعرضن للعنف داخل المؤسسة من طرف عمال الإدارة مرتفعة، ويظهر هذا من خلال سوء العلاقة التي تربط إدارة

المؤسسة بالعاملات، مما ينتج نوع من العداء والإهمال بين الطرفين ويجعل النساء العاملات يحملن تصور سلبي اتجاه إدارة المؤسسة، ويخلق نوع من التوتر بينهما، وقد يكسب العاملات سلوكيات منحرفة في مقدمتها اكتساب العديد من أنواع الألفاظ المنبوذة اجتماعيا.

الجدول رقم 06: يمثل أنواع العنف اللفظي الممارس من طرف العاملات حسب عدد سنوات العمل.

سنوات العمل / أنواع العنف ممارسة	سنة		سنتين		ثلاث سنوات		أربع سنوات فأكثر		المجموع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
السب والشتم	3	50	/	/	11	57,89	4	40	18	36
التنابز بالألقاب	/	/	8	53,33	2	10,53	1	10	11	22
نكت بذيئة	2	33,33	1	6,67	/	/	/	/	3	6
السخرية	/	/	/	/	4	21,05	1	10	5	10
التهديد	1	16,67	6	40	2	10,53	4	40	13	26
المجموع	6	100%	15	%100	19	100%	10	100 %	50	100 %

يتضح من خلال البيانات المدونة في الجدول رقم06 ، أن نسبة 36 % من العاملات اللواتي صرحن بأن العنف الممارس داخل المؤسسة يتمثل في السب والشتم، تدعمها في ذلك نسبة 57.89 %من المبحوثات اللواتي عدد سنوات عملهن بالمؤسسة ثلاث سنوات، ونسبة 50% من العاملات اللواتي عدد سنوات عملهن سنة واحدة، وفي مقابل هذا نجد أن نسبة 26% من المبحوثات اللواتي صرحن بأن العنف اللفظي الممارس داخل المؤسسة يتمثل في التهديد، تدعمها في ذلك نسبة 40 % من المبحوثات اللواتي عدد سنوات عملهن في المؤسسة يتراوح بين سنتين إلى أربع سنوات فأكثر، وفي مقابل هذا نجد ان نسبة 22% من المبحوثات اللواتي صرحن بأن العنف اللفظي الممارس داخل المؤسسة يتمثل في التنابز بالألقاب ،تدعمها في ذلك نسبة 53.33 % من اللواتي عدد سنوات عملهن سنتين، وفي مقابل هذا نجد أن نسبة 10% من العاملات

اللواتي صرحن بأن العنف اللفظي الممارس في المؤسسة يتجسد في السخرية، تدعمها في ذلك نسبة 21.05 % من المبحوثات اللواتي عدد سنوات عملهن بالمؤسسة ثلاث سنوات .

نستخلص لنا من خلال المعطيات المدونة في الجدول أعلاه أن نسبة النساء العاملات اللواتي صرحن بأن العنف الممارس داخل المؤسسة الجامعية يتمثل أغلبيته في السب والشتم ونسبته مرتفعة، ويظهر ذلك من خلال تصريح أغلب المبحوثات بأنهن يتلقين ألفاظ السب والشتم من طرف العاملات اللواتي يعملن معهن، وهذا ما أكدت عليه أغلب المبحوثات خاصة اللواتي لديهن أكثر من ثلاث سنوات عمل في المؤسسة.

جدول رقم 07: يمثل تعرض العاملات للعنف من طرف عمال الإدارة حسب جنس العمال.

العمال الأكثر عنفاً / تعرض العاملات للعنف	عمال الإدارة		عاملات الإدارة		المجمـــوع	
	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة%	التكرار	النسبة%
نـــــعم	13	%29,55	4	%66,67	17	% 34
لا	31	% 70,45	2	% 33,33	33	% 66
المجموع	44	% 100	6	%100	50	% 100

يتبين من خلال البيانات المسجلة في الجدول رقم 07، أن نسبة 66% من المبحوثات اللواتي صرحن بأنهن لم يتعرضن للعنف من طرف عمال إدارة المؤسسة، تدعمها في ذلك نسبة 70.45% من المبحوثات اللواتي صرحن بأن عمال الإدارة هم الأكثر ممارسة للعنف عليهن، ونسبة 33.33 % من اللواتي صرحن بأن عاملات المؤسسة هن من يمارسن عليهن العنف، وفي مقابل هذا نجد أن نسبة 34 % من المبحوثات اللواتي صرحن بأنهن تعرضن للعنف، تدعمها في ذلك نسبة 66.67 % من العاملات اللواتي أكدن أن عاملات الإدارة هن الأكثر ممارسة للعنف عليهن، ونسبة 29.55 % من المبحوثات اللواتي صرحن بأن عمال الإدارة هم الأكثر ممارسة للعنف عليهن.

يتضح لنا من خلال البيانات المسجلة في الجدول أعلاه أن المبحوثات اللواتي صرحن بأنهن يتعرضن للعنف من طرف عمال الإدارة مرتفعة، وذلك راجع لكون أن عمال إدارة المؤسسة يحرصون على محاولة الحفاظ على العلاقة الطبيعية بينهم وبين النساء العاملات، ومحاولة بنائها بشكل حسن وصحيح، خصوصاً مع عمال وعاملات الإدارة في الإقامة الجامعية، التي تحث غالباً بينهم وبين الطالبات مناوشات وصراعات

في أغلب الأحيان وذلك بحكم الجنس كونهن إناث، وخاصة إذا كانوا متقاربين في السن، الأمر الذي يجعل بينهم نوع من الشحنات السلبية والتبادل والتراشق بالألفاظ العنيفة داخل الإقامة في اعتبارهن أنها وسيلة لحل وفك مختلف النزاعات التي تحدث بينهن .

كما أننا نشير في هذا الصدد إلى احجام العاملات اللواتي يتعرضن للعنف اللفظي من التبليغ بصفة قاطعة عن الشخص المتسبب في هذا النوع من العنف، وهذا لسبب واحد وهو محاولة الحفاظ على منصب العمل، والخروج بأقل الأضرار، حيث ينعدم في المؤسسة الخاصة نقابة أو من ينوب عن العاملات للدفاع عنهم والمطالبة بتحسين ظروف عملهن، بل وحتى محاولة الاحتجاج ممنوعة في المؤسسة الخاصة وأن كل من تقوم بهذا الفعل أو تحرض ليه فعقوبتها هي الطرد المباشر وبدون أي تعويض.

12- الاستنتاج العام للدراسة

بعد عرض ومناقشة البيانات التي تحصلنا عليها في الدراسة الميدانية، ومن خلال الاستمارة التي أجريت في مؤسسة انتاج الحلوى "صوفيا" الكائن مقرها في دائرة حمادي بولاية بومرداس على جميع العاملات، توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي سمحت لنا بالإجابة على الفرضيات المطروحة وهي:

استنتجنا أن الفرضية المتمثلة في: للعنف اللفظي الممارس من طرف إدارة المؤسسة علاقة بسلوك العاملات، قد تحققت ويظهر ذلك من خلال حصولنا على النتائج التالية:

إن العاملات بالمؤسسة الخاصة أغلبهن أكدن على وجود ألفاظ متداولة في داخل المؤسسة سواء بينهن وبين العاملات الأخريات، أو بينهن وبين عمال إدارة المؤسسة، مما يفسر أن للإدارة دور في توليد الألفاظ العنيفة لديهن، ويظهر ذلك من خلال نظرتهن للسلوكيات اللفظية العنيفة نظرة سلبية باعتبارها عامل مؤثر على سلوكياتهن، ويؤدي بهن إلى عدم التفاني في العمل أو حتى اكتساب سلوكيات منحرفة، ويظهر تدخل الإدارة في إكسابهن هذا الأخير من خلال غياب علاقات الاحترام والتعاون والتفاعل الإيجابي بين الطرفين، وقد أكدن على أن علاقتهن مع عمال إدارة المؤسسة عموماً تتراوح بين الحسنة أحياناً، والمضطربة أحياناً أخرى، ولأن الإداريين كثيراً ما يهملون وظائفهم ومسؤولياتهم اتجاه العاملات كعدم السرعة في الاستجابة لمتطلباتهم، يقومون بردود أفعال اتجاه هذه المعاملة بشكل غير مقبول اجتماعيا، أو أخلاقياً كالسب والشتم، أو توجيه بعض الألقاب غير المرغوبة والتي تقلل من قيمتهن، وتصل أحياناً إلى السخرية أو التهديد، كما يلجأ البعض الأخر إلى استخدام القوة أو اللجوء إلى مدير المؤسسة كرد فعل للامبالاتهم، لذا نجد أن أغلب المبحوثات قد عنفن من طرف عمال إدارة المؤسسة خاصة العاملات الإداريات، ويتجسد هذا العنف في مجمل الألفاظ المتداولة في المؤسسة، كون أن هذه الأخيرة تلجأ إلى استخدام مختلف أنواع

العنف اللفظي بغرض فرض السلطة والسيطرة، وكذا إثبات المكانة أكثر منهما دفاعاً عن النفس، وهذا ما يفسر وجود علاقة بين العنف اللفظي الممارس من طرف إدارة المؤسسة وسلوك العاملات المنحرف .

كما استنتجنا أن الفرضية القائلة بأن التبليغ عن العنف اللفظي لدى السلطات المختصة قد يؤدي إلى حماية حقوقهن غير محققة تماما وهو لسبب بسيط الخوف من فقدان منصب العمل، وبالتالي الخروج الحتمي نحو البطالة، والمرأة قد كافحت من أجل أن تجد منصب تؤمن من خلاله متطلبات الأسرة التي تنتمي إليها، وبالتالي مهما تعرضت المرأة العاملة للعنف اللفظي داخل المؤسسة الخاصة فإنها لا تستطيع أن تبلغ عنه لدى السلطات المختصة نتيجة خشية فقدان المورد المادي لها ولأسرتها

كما استنتجنا أن الفرضية القائلة" يمكن حماية المرأة العاملة في القطاع الخاص عن طريق التوعية وكسر حاجز الخوف " قد تحققت ويظهر ذلك من خلال النتائج التي توصلنا إليها:

لقد تبين من خلال ما تم عرضه أن النساء العاملات ابدين تجاوبا كبيرا نحو معرفة القوانين التي تحميهن من العنف اللفظي الذي قد يمارس عليهن، خاصة في محيط العمل، ومعرفة الطرق الكفيلة بضمان حقوقهن، كما أن للألفاظ التي تتداولها العاملات فيما بينهن بالمؤسسة علاقة واضحة بسلوكهن الإنحرافي، ويظهر ذلك من خلال مختلف عمليات التفاعل بين العاملات التي تحدث نوع من التأثير والتأثر ببعضهن البعض، فأغلبهن صرحن بوجود علاقـة حسنة مـع زميلاتهن العاملات معهن، كما يظهر في تصريحاتهن المتمثلة في قضاء معظم أوقات تناول الغداء مع الزميلات، ونظراً للجو السائد في المؤسسة فإنهن يرين بأن العنف اللفظي هو وسيلة حوار، لذلك يلجأن إلى استخدامه دفاعاً عن النفس بالدرجة الأولى، بينما يعتبرنه أخريات كوسيلة لإثبات مكانتهن، أو استخدامه كوسيلة انتقامية اتجاه مختلف أنواع العنف التي يتعرضن لها، كما يبرز تداول الألفاظ بينهن من خلال اعتباره في نظرهن إستراتيجية تؤهلهم لحل مشاكلهم التي تعترضهن كبديل للجوء إلى الإدارة، أو رب العمل، وما يعزز هذا الاعتراف هو تصريحات العاملات خاصة اللواتي لديهن سنوات عمل ثلاث سنوات بتدخلهن في حل مختلف الصراعات التي تحدث بين زميلاتهن العاملات، ورأيهن في سلبية هذه الألفاظ، كما أكدن في هذا السياق أن معظمهن يمارسن مختلف السلوكيات العنيفة اللفظية ضد إهمال إدارة المؤسسة وعمالها من جهة أولى وضد صديقاتهن والعاملات الأخريات من جهة ثانية، وهذا ما يفسر وجود علاقة بين الألفاظ المتداولة بين الطالبات داخل المؤسسة وسلوكهن غير المقبول اجتماعيا.

خاتمة:

تعتبر ظاهر العنف اللفظي من الظواهر التي قد أخذت ابعاد كبيرة خاصة العنف اللفظي الممارس ضد النساء العاملات لدى مؤسسات القطاع الخاص التي لاتزال بعيدة عن التقيد بالقوانين التي أقرتها النصوص القانونية، حيث أن ضع ف المراقبة من طرف الأعوان المكلفين بذلك يؤدي إلى استفحال هذه الظاهرة، وبالتالي المزيد من العنف ضد النساء العاملات، اللواتي يخشين على أنفسهن من فقدان الوظيفة إذا تم تقديم شكوى للسلطات خاصة إذا لم يكن لديهن خبرة في التعامل مع مثل هذه القضايا، كما أنه يجب على السلطات المعنية أن تقوم بزيارات فجائية لهذه المؤسسات الخاصة، ومعرفة كافة العاملين والعاملات بدون استثناء، وبناء قاعدة معلوماتية يمكن الرجوع إليها إذا اقتضى الأمر، ومطلوب بشكل كبير توعية النساء العاملات لدى القطاع الخاص بحقوقهن المكفولة قانونيا مثل الحق في تكوين نقابة، والحق في المطالبة بتحسين ظروف العمل وغيرها من المطالب المشروعة.

إنَّ محاربة العنف– كحالة إنسانية وظاهرة اجتماعية – عملية متكاملة تتآزر فيها أنظمة التشريع القانوني والحماية القضائية والثقافة الاجتماعية النوعية والنمو الاقتصادي والاستقرار السياسي الديمقراطي، فعلى أجهزة الدولة والمجتمع المدني بمؤسساته الفاعلة العمل المتكامل لاستئصال العنف من خلال المشاريع التحديثية الفكرية والتربوية السياسية والاقتصادية، وهنا يجب إيجاد وحدة تصور موضوعي متقدم لوضع المرأة الإنساني والوطني، والعمل لضمان سيادة الاختيارات الإيجابية للمرأة في أدوارها الحياتية، وتنمية المكتسبات النوعية التي تكتسبها المرأة في ميادين الحياة وبالذات التعليمية والتربوية.

كما لابد من اعتماد سياسة التنمية البشرية الشاملة لصياغة إنسان نوعي قادر على الوعي والإنتاج والتناغم والتعايش والتطور المستمر، وهي مهمة مجتمعية وطنية تتطلب إبداع البرامج والمشاريع الشاملة التي تلحظ كافة عوامل التنمية على تنوع أشكالها السياسية والاقتصادية والحضارية، إنَّ أي تطوّر تنموي سيُساعد في تخطي العقبات التي تواجه المرأة في مسيرتها الإنسانية والوطنية.

كما أنَّ للتوعية النّسوية دور جوهري في التصدي للعنف، إذ لابد من معرفة المرأة لحقوقها الإنسانية والوطنية وكيفية الدفاع عنها وعدم التسامح والتهاون والسكوت على سلب هذه الحقوق، وصناعة كيان واع ومستقل لوجودها الإنساني وشخصيتها المعنوية، وعلى فاعليات المجتمع النّسوي مسؤولية إبداع مؤسسات مدنية جادة وهادفة للدفاع عن المرأة وصيانة وجودها وحقوقها.

قائمة المراجع:

1- جمال محمد أبو شنب، **قواعد البحث العلمي والإجتماعي(1) المناهج والطرق والأدوات)**، دار المعرفة الجامعية، مصر، د.ط، 2009.

2- حسين درويش العادلي، **العنف ضد المرأة**، مجلة النبأ الالكترونية، العدد 78، أوت 2005.

3- علي أسعد وصفة، **الطاقة الاستقلابية للعنف الرمزي**، مركز الشرق العربي للدراسات، لندن، 2012.

4- محمد الغريب عبد الكريم، **البحث العلمي**، مكتبة نهضة الشروق، د.ب، ط3، 1996.

5- مروان عبد المجيد إبراهيم، **أسس البحث العلمي لإعداد الرسائل الجامعية**، مؤسسة الورق، عمان،الأردن، ط1، 2000.

6- منظمة الصحة العالمية، **العنف الممارس ضد المرأة**، 29-11-2017، https://www.who.int/ar/news-room/fact-sheets/detail/violence-against-women

7- نسيمة عيساوي، **العنف اللفظي الأسري من المنظور السوسيولوجي**، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم علم الإجتماع، جامعة الجزائر2، 2011/2010.

8- نوال. "**العنف ضد المرأة في الجزائر ...إلى أين؟**". موقع جزايرس. نشر في موقع الأيام الجزائرية يوم 28-11-2009، أطلع عليه يوم 24-11-2019

ديناميات الجماعة وإعادة بناء مفهوم العائلة.

ـ دراسة ميدانية على عينة من المواطنين الذين كانوا عالقين بمطار اسطنبول الدولي 2020 ـ

أ/ كزيز آمال.

جامعة قاصدي مرباح ـ ورقلة ـ الجزائر.

ملخص:

هدفت هذه الورقة البحثية إلى تحديد مفهوم ديناميات الجماعة في معناها السوسيولوجي وربطه بإعادة مفهوم العائلة التي غالبا ما ارتبطت بعلاقات قرابية ودموية، ولهذا قد تكون المواقف الاجتماعية أحدد مبررات إنتاج نمط عائلي يأخذ طابعا تضامنيا وتسانديا ليس منتوج المجال المكاني أو الزمني بل يمتد إلى مجالات اجتماعية أخرى، ومن هنا تنحصر هذه الدراسة في تحديد معاني تشكل العائلة في ظل أحد الأزمات العالمية (انتشار فايروس كورونا **covid 19**) وما صحابها من غلق المجالات الجوية وظهور فئة العالقين بمطار اسطنبول الدولي الذين جمعتهم علاقات اجتماعية وتساند وتضامن اجتماعي لتجاوز مثل هذه الأزمات .

الكلمات المفتاحية : ديناميات الجماعة، التضامن الاجتماعي، العائلة، العلاقات الاجتماعية، الأزمات .

Abstract :

This research paper aimed at defining the concept of group dynamics in its sociological meaning and linking it to the restoration of the concept of the family, which was often associated with relations of blood and relations, as social attitudes may be the most justifiable to produce a family pattern that takes a solidarity and supportive nature that is not a product of the spatial or temporal field but extends to other social areas Hence, this study is limited to identifying the meanings of family formation in light of one of the global crises (the spread of covid 19 virus) and the companions of airspace closures and the emergence of the category of stranded people at Istanbul International Airport who were brought together by social relations, support and social solidarity. Weighi such crises.

Key words: group dynamics, social solidarity, family, social relations, crises.

تقديم للموضوع :

يختلف مفهوم الأسرة عن مفهوم العائلة اختلافا دقيقا بحيث تعبر الأولى عن رابطة الزواج والإنجاب غالبا في حين لا تقتصر الثانية عن هذا المبدأ فهي تتجه لروابط دموية وأخرى قرابية. تشكل هذه الأخيرة مفهوما للعائلة لكنه قد يتعدى ذلك إلى إنشاء روابط اجتماعية أخرى، ومن هنا تهدف هذه الدراسة إلى تحديد شكل العائلة من خلال الاستناد إلى مؤشرات جديدة يربطها الموقف الاجتماعي .

لا يتأسس غالبا هذا المفهوم إلا من خلال مفهوم آخر وهو التضامن أو التكافل الاجتماعي خاصة وقت الأزمات أو بعض الظروف القاهرة التي تعبر عن ديناميات الجماعة، ومن هنا كان لهذا البحث زاوية تبحث عن أبعاد ديناميات الجماعة و إعادة بناء مفهوم العائلة من منظور العلاقات الاجتماعية التي تعتبر بدورها أحد أبرز مؤشرات تشكل هذا المفهوم، ومن هنا كان التركيز على عينة من المواطنين الذين كانوا عالقين بمطار إسطنبول لأكثر من ستة أيام بسبب فيروس كورونا covid 19 الذي أدى لحدوث غلق المطارات والرحلات الجوية في بلدان عديدة .

إن هذا الحدث أثر على المستوى النفسي والاجتماعي للفرد والذي انساق أحيانا إلى الذاتية وأحيانا أخرى إلى التضامن والتساند فيما بينهم ومن هنا نود في هذه الدراسة التركيز على كيفية تأثير مثل هذه الأزمات على مستوى العلاقات الإنسانية الاجتماعية وكيف يؤدي التضامن والتكافل الاجتماعي إلى إنتاج مفهوم جديد حول العائلة لا يعطي بعدا قرابيا أو دمويا بقدر ما يشكل بعدا آخر للعائلة .

ومن هنا يكمن تساؤل الدراسة في البحث عن :

- **كيف يساهم التضامن الاجتماعي كأحد أبعاد ديناميات الجماعة في بناء معان ورموز تساعد على بناء مفهوم العائلة في ظل الأزمات الاجتماعية ؟**

- **أهمية وهدف الدراسة**

تكمن أهمية الدراسة في التعريف بأحد المواضيع البارز في مجال ديناميات الجماعة وكيف تسهم في بناء مفهوم جديد للعائلة يأخذ بدوره مؤشرات وأبعاد اجتماعية من خلال التعرف على المعاني والرموز التي تؤطر أفعال وتفاعلات أفراد الجماعة في ظل أحد الأزمات الاجتماعية التي يجد فيها الفرد نفسه تحت وطئتها .

بالنسبة لهدف الدراسة فيتمحور في التعرف على أبعاد ديناميات الجماعة والتضامن الاجتماعي، إضافة إلى تحديد المفهوم الجديد للعائلة وكيف يساهم في بناء واستمرار العلاقات الاجتماعية على أرض الواقع .

أولا : البعد النظري للدراسة

1. المفاهيم الأساسية للدراسة

أ. العائلة :

هي شكل من أشكال التنظيم الاجتماعي يتميز بسيادة القيم العائلية التي تؤكد تبعية المصالح الفردية لمصالح ورفاهية العائلة ككل ويتميز هذا التنظيم بإحساس أعضائه القوى بالتوحد والولاء العائلي والعون المتبادل والاهتمام باستمرار وحدة العائلة . (القصاص، 2008، ص17)

ب. الأسرة :

يعرفها " برغسون ولوك" بأنها: جماعة من الأفراد تربطهم علاقة وروابط ناتجة من صلات الزواج، و الدم و التبني، وهذه الجماعة تعيش في دار واحدة ويرتبط أعضائها بعلاقات اجتماعية متماسكة أساسها المصالح والأهداف المشتركة. (منصور، 1998، ص16)

يعرفها "جمال العيفة" بأنها الجماعة المكونة من الزوج والزوجة وأولادهما غير المتزوجين الذين يقيمون معا في مسكن واحد. (العيفة، 2010، ص194)

ج. ديناميات الجماعة في مجال علم الاجتماع :

تعرف ديناميات الجماعة على أنها تهتم بالجماعة والجماعة مكونة من أفراد ولكل فرد سلوكه ومن مجموع سلوك الفرد يأتي في النهاية مجمل سلوك الجماعة ومن ناحية أخرى فإن سلوك الجماعة ليس فحسب هو مجرد حاصل جميع سلوك أفرادها، حيث أن الجماعة كجماعة هي متميزة عن الأفراد . (مارقن، 1997، ص 07)

2. نظرية الشخصية العامة للجماعة

صيغت هذه النظرية على يدل "كاتل" وسمي هذا المنحى بالمنحى الإمبريقي الإحصائي لدى "كارت رايت وزاندر" وبالمنحى "العبر توجيهي" لدى "مارقن شو" و"كوستانزو" رجوعا لنظرية "كاتل" التي تتمحور في جزئين يتصلان ببعضهما البعض يتعامل احدهما بأبعاد الجماعة ويتعامل الآخر مع ديناميات الشخصية العامة للجماعة، وتتكون أبعاد الجماعة لديه من ثلاث فئات رئيسية بحيث أطلق عليها : سمات الجمهور، سمات الشخصية، سمات البناء الداخل .

وعلى هذا فإن كل فئة من هذه الفئات هي في الحقيقة مجموعة من المتغيرات أو الخصائص التي تصنف جانبا ما من جوانب الجماعة، وسمات الجمهور هي مجرد خصال الأعضاء الفرادى الذي يكونون الجامعة وهذه الخصال الشخصية إنما توجد مستقلة عن الجماعة وتصير إليها عندما يصبح الفرد عضوا فيها .

أما البناء الداخلي فهو يشير إلى العلاقات بين أعضاء الجماعة كما يصف الخصائص البنائية والأنماط التنظيمية داخل الجماعة .(مارقن، 1997، ص40)

ثانيا: الجانب التطبيقي للدراسة

1. منهج الدراسة

تتجه البحوث الاجتماعية الحالية إلى الدراسات الكيفية التي تساعد الباحث على فهم التوجه البحثي ورصد المعاني والمعلومات الرئيسية التي تساعده على تطوير مجاله السوسيولوجي ليأخذ أبعادا علمية ترقى بالتحليل العلمي، ومن هنا اعتمد الباحث على المنهج الكيفي لرصد الحقائق والوقائع الاجتماعية ووضعها في سياق بحثي دقيق .

2. دراسة حالة

إذا الغرض من إتباع أسلوب دراسة حالة جمع البيانات والمعلومات اللازمة بشكل أكثر دقة وملائمة للدراسة من خلال تحديد حالة الدراسة والإحاطة بمجموع العناصر اللازمة لتفسير الظاهرة أو البحث المدروس .

تعتبر دراسة الحالة أحد الأساليب المندرجة تحت إطار المنهج الكيفي والتي" تقوم أساسا على الاهتمام بدراسة الوحدات الاجتماعية بصفتها الكلية ثم النظر إلى الجزئيات من حيث علاقتها بالكل الذي يحتويها أي أن منهج دراسة الحالة نوع من البحث المتعمق في فردية وحدة اجتماعية سواء كانت هذه الوحدة فردا أو أسرة أو قبيلة . (فاطمة عوض، 2002، ص95)

تم الاعتماد في هذه الدراسة على اختيار المعاينة غير الاحتمالية لأنها تساعد الباحث على ضبط مفرداته بشكل يتناسب مع طبيعة البحوث النوعية خاصة وفي اختيار حالات الدراسة والتي تتطلب شروطا أساسية منها :

- ✓ توفر الشروط المناسبة في الحالة .
- ✓ أن يكون عدد المفردات كافي للإحاطة بالدراسة .

*** الحالات التي تم الاعتماد عليها**

- مفردات ممن كانوا عالقين بمطار اسطنبول مارس 2020.
- مفردات ممن طبقت عليهم أداة الملاحظة بالمشاركة والمقابلة .
- تتكون عينة الدراسة من 10 مفردات .

3. أدوات الدراسة

1.3.الملاحظة Observation .

- الملاحظة العلمية البسيطة Simple scientific observation

يعتمد كل باحث على الملاحظة أداة أولية يسعى من خلالها إلى جمع الحقائق والبيانات والمعلومات اللازمة حول الظاهرة والتي تساعده على وضع مؤشرات واقعية والكشف عن مؤشرات التضامن الاجتماعية بين أفراد عينة الدراسة .

وعليه تعرف الملاحظة حسب "**وجيه محجوب**" بأنها: نشاط يقوم به الباحث خلال المراحل المتعددة التي يمر بها في بحثه" . (وجيه محجوب،2005، ص175)

- الملاحظة بالمشاركة Participatory observation

إن التزام الموضوعية في الأبحاث الاجتماعية لاسيما تلك المتعلقة بالدراسات السوسيولوجية تتطلب الاهتمام بالسياق العام للظاهرة الاجتماعية (موضوع الدراسة) حتى يتسنى للباحث الإلمام بملابسات الظاهرة المدروسة وتفادي الأحكام المسبقة، بالنسبة لموضوع الدراسة فقد تم استنتاج ما يلي من خلال الملاحظة بالمشاركة :

- تقديم المساعدات بطرائق كثيرة سواء كانت مادية أو معنوية .
- الاهتمام بكبار السن وتبجيلهم في كل شيء .
- رفع المعنويات حتى لا يسود بينهم جو من اليأس والتعب والقلق .
- الاحترام المتبادل والمحبة والأخوة والتعاطف بين أفراد المجموعة .

2.3. تقنية المقابلة the interview

المقابلة في هذه الدراسة من بين أهم أدوات البحث كونها أداة أساسية تم الاعتماد عليها وتعرف أداة المقابلة حسب "**ربحي مصطفى عليان**" بأنها:

" استبانه شفوية يقوم من خلالها الباحث بجمع المعلومات بطريقة شفوية مباشرة من المفحوص" (ربحي عليان، دس، ص110)

إن استخدام المقابلة كأداة رئيسة كان الهدف منه جمع قدر كاف من المعلومات من حالات الدراسة للوصول المعاني والرموز المشكلة لمفهوم العائلة وعلاقتها بالتضامن الاجتماعي بين مفردات الدراسة .

4 . حالات الدراسة

- الحالة رقم 01 :

مفردة الدراسة من جنس ذكر، السن 37، المستوى الدراسي أساسي، الغرض من الذهاب إلى تركيا مقيم ويعمل، مدة بقاءه عالقا في مطار اسطنبول سبعة أيام.

أجاب المبحوث إلى أنه لا يعرف أفراد المجموعة التي قضى معها هذه المدة ولا تربطها معه أي علاقة قرابية أو دموية، كما أجاب حول اختياره لهذه المجموعة **قائلا:** بصراحة أنا شعرت أنهم هادئين ومتضامنين مع بعض ويساندون بعضهم البعض وكل ناضجين في عقولهم رغم وجود من يصغرنا سنا، كما رد المبحوث حول بماذا شعر وهو داخل هذه المجموعة **قائلا:** صحيح لا أعرفهم لكنني شعرت بأنني أخ لهم وأنهم كعائلة لي عشنا أياما ونحن مع بعض كأننا نعرف بعض من قبل.

بالنسبة لطبيعة العلاقة فأجاب: أحسست نفسي فردا منهم كأخ أو ابن لهم وهذا ما جعلني أصبر عن الأوضاع داخل المطار، أجاب أيضا حول كيفية مساعدة أفراد المجموعة **رد:** إذ اشتريت أي شيء أتقاسم معهم كما أن خدمة الإنترنت لم تكن موجودة فقد شاركتهم الانترنت للاتصال بأهلهم أراقب إذ أحضرت بعض الجمعيات الأكل وأخبرهم أو أحضر لهم، بالنسبة للمعاني المتبادلة مع هذه المجموعة أجاب: المحبة والتساند والتضامن في أي شيء، أما حول كيف يمر يومه داخل مطار اسطنبول **رد قائلا:** بصراحة عندما كنت وحدي شعرت بطول المدة لكن وأنا معهم أحسست بأنها قصيرة كنا نتكلم كثيرا ونذهب للسؤال حول الطيران معا.

أجابت مفردة الدراسة حول كيف يرى أن هذا الوباء وهذه الأزمة أدت إلى تضامن مع المواطنين **رد قائلا:** نعم لها جانب ايجابي علمتنا الكثير من بين ما تعلمنا كيف نساند بعضنا البعض وكيف نستطيع أن نتجاوز هذه الظروف الصعبة، بالنسبة للنصائح التي يقدمها **أجاب:** (ميتقلقوش ويصبروا)، بالنسبة لتبادل أرقام الهواتف **أجاب:** نعم معرفة الناس كنوز وهم كنز جميل بقاء التواصل معهم .

- الحالة رقم 02:

مفردة الدراسة من جنس إناث، السن 28، المستوى الدراسي جامعي، الغرض من الذهاب إلى تركيا سياحة مع زوجها، مدة بقاءه عالقا في مطار اسطنبول 05 أيام.

تجيب حالة الدراسة إلى أنها لا تعرف أفراد المجموعة التي قضت معها هذه المدة ولا تربطها معهم أي علاقة قرابية أو دموية فقط زوجها، كما أجابت حول اختيارها لهذه المجموعة **قائلة:** قبل ذهاب لهذه المجموعة ذهب للسؤال في مجوعة أخرى لكنهم كانوا فوضويين ولا يحترمون بعضهم البعض فقال لي زوجي لن نبقا هنا وعندما كنا ذاهبين للخطوط الجوية للسؤال في المطار صادفناهم وعندما سألناهم شعنا بالراحة من طريقة إجابتهم فبقينا معهم، كما رد المبحوث حول بماذا شعر وهو داخل هذه المجموعة **قائلة:** لا أعرفهم لكنني شعرت أنني أخت وابنة لهم هناء نساء كبار ومن في سني تقريبا .

بالنسبة لطبيعة العلاقة معهم **فأجابت:** كأننا نعرف بعض من مدة طويلة كنا نذهب مع بعض لجلب الطعام أو الصلاة، أجاب أيضا حول كيفية مساعدة أفراد المجموعة **قائلة:** شاركتهم ما لدي من أكبر أو شاي، بالنسبة للمعاني المتبادلة مع هذه المجموعة **أجابت:** نحب بعضنا ونتضامن هناك من أحضر لنا حصيرة ننام عليها وأعطونا معاطفهم لنتغطى بها، أما حول كيف يمر يومه داخل مطار اسطنبول **ردت قائلة:** نتلكم ونضحك ونتعلم من بعضنا البعض حتى أنه لم نشعر بالوقت كثيرا .

أجابت مفردة الدراسة حول كيف ترى أن هذا الوباء وهذه الأزمة أدت إلى تضامن مع المواطنين **ردت قائلا:** نعم علمتنا الكثير من بين ما تعلمنا كيف نساند بعضنا البعض وكيف نستطيع أن نتجاوز هذه الأزمة الصعبة، بالنسبة للنصائح التي يقدمها **رد قائلا:** (الصبر وأن نبقى مع بعض)، بالنسبة لتبادل أرقام الهواتف **أجاب:** نعم تبادلنا الأرقام والفيسبوك .

- الحالة رقم 03:

مفردة الدراسة من جنس إناث، السن 29، المستوى الدراسي جامعي، الغرض من الذهاب إلى تركيا منحة علمية قصيرة المدى، مدة بقاءه عالقا في مطار اسطنبول 06 أيام.

تجيب حالة الدراسة إلى أنها لا تعرف كل أفراد المجموعة التي قضت معها هذه المدة ولا تربطها معهم أي علاقة قرابية أو دموية فقط شقيقتها، كما أجابت حول اختيارها لهذه المجموعة **قائلة:** بقينا مع هذه المجموعة لأننا تعرف على بعض أفرادها في الفندق وبدو أكثر معرفة بأمور السفر، كما رد المبحوث حول بماذا شعر وهو داخل هذه المجموعة **قائلة:** شعرت أنني مع عائلتي بصراحة .

بالنسبة لطبيعة العلاقة معهم **فأجابت:** كن نجلس مع بعض وننام ونأكل مع بعض ونذهب للصلاة في المطار مع بعض أيضا، أجابت أيضا حول كيفية مساعدة أفراد المجموعة **قائلة:** مشاركتهم أي أخبار قد أسمعها أو توزيع بعض الأكل، بالنسبة للمعاني المتبادلة مع هذه المجموعة **أجابت:** الاحترام والمحبة والتضامن والتكافل مع بعضنا بعض، أما حول كيف يمر يومه داخل مطار اسطنبول **ردت قائلة:** كانت معنا امرأة كبيرة السن وأخرى أيضا كنا نستفيد من نصائحهم في مجالات عديدة .

أجابت مفردة الدراسة حول كيف ترى أن هذا الوباء وهذه الأزمة أدت إلى تضامن مع المواطنين **ردت قائلا:** أحيانا يشكل علاقات تمتاز بالأنانية وحب الذات لكن نحن تشكلت لنا عائلة وأناس يخافون علينا، بالنسبة للنصائح التي يقدمها **رد قائلا:** (البقاء في المجموعة وبعض النصائح حول الطبخ الزواج ...)، بالنسبة لتبادل أرقام الهواتف **أجاب:** نعم تبادلنا الأرقام والفيسبوك .

- الحالة رقم 04 :

مفردة الدراسة من جنس ذكور، السن 30، المستوى الدراسي جامعي، الغرض من الذهاب إلى تركيا سياحة، مدة بقاءه عالقا في مطار اسطنبول 07 أيام.

أجاب المبحوث إلى انه لا يعرف أفراد المجموعة التي قضى معها هذه المدة ولا تربطها معه أي علاقة قرابية أو دموية بحيث تكونت علاقات صداقة وإخوة بينهم، كما أجاب حول اختياره لهذه المجموعة **صرح قائلا:** وجدتهم أناسا كبارا ويساعدون أي شخص ومحترمون، كما رد المبحوث حول بماذا شعر وهو داخل هذه المجموعة **قائلا:** بالراحة وتوجد في المجموعة نساء لا يجب تركهم لوحدهم فنحن بمثابة إخوة لهم .

بالنسبة لطبيعة العلاقة معهم **أجاب:** شكلنا علاقات قوية سواء مع الرجال أو النساء كنا كالعائلة، أجاب أيضا حول كيفية مساعدة أفراد المجموعة **قائلا:** نشارك بعض أي شيء أكل غطاء أفرشة نبجل بها النساء أولا، بالنسبة للمعاني المتبادلة مع هذه المجموعة **أجاب:** المحبة الاحترام العطف والخوف خاصة على النساء الذين كانوا معنا، أما حول كيف يمر يومه داخل مطار اسطنبول **رد قائلا:** التكلم مع بعض في مواضيع عديدة .

أجاب المبحوث حول كيف ترى أن هذا الوباء وهذه الأزمة أدت إلى تضامن مع المواطنين **رد:** تعلمنا خاصة الصبر والتعاون وكيف نتعامل مع مواقف مثل هذه، بالنسبة للنصائح التي يقدمها **رد قائلا:** (مهما طالت المدة سنعود لأرض القلق لهذا لا يجب الخوف أو القلق)، بالنسبة لتبادل أرقام الهواتف **أجاب:** نعم تبادلنا الأرقام.

- الحالة رقم 05:

مفردة الدراسة من جنس إناث، السن 50 سنة، المستوى الدراسي ثانوي، الغرض من الذهاب إلى تركيا زيارة الطبيب، مدة بقاءه عالقا في مطار اسطنبول 06 أيام.

تجيب حالة الدراسة إلى أنها لا تعرف أفراد المجموعة التي قضت معها هذه المدة ولا تربطها معهم أي علاقة قرابية أو دموية، كما أجابت حول اختيارها لهذه المجموعة **قائلة:** جلسنا في مكان فيه كراسي ووجدناهم هناك فتعارفنا على بعض، كما رد المبحوث حول بماذا شعر وهو داخل هذه المجموعة **قائلة:** كانوا مثل أولادي ويبجلونني في كل شي بحكم أني كبيرة عليهم .

بالنسبة لطبيعة العلاقة معهم **فأجابت:** كأولاد لي كلهم، أجاب أيضا حول كيفية مساعدة أفراد المجموعة **قائلة:** نصحهم، بالنسبة للمعاني المتبادلة مع هذه المجموعة **أجابت:** الوحدة كنا مع بعض في كل شيء في الحلو والمر، أما حول كيف يمر يومه داخل مطار اسطنبول **ردت قائلة:** بطريقة عادية نبقى مع بعضنا. **أجابت** مفردة الدراسة حول كيف ترى أن هذا الوباء وهذه الأزمة أدت إلى تضامن مع المواطنين **ردت قائلا:** علمنا أهمية الوحدة والمحبة والتعاطف، بالنسبة للنصائح التي يقدمها **رد قائلا:** (عدم التحرك كثيرا في المطار وعدم مخالطة الناس)، اللنسبة لتبادل أرقام الهواتف **أجاب:** نعم تبادلنا الأرقام .

- الحالة رقم 06:

مفردة الدراسة من جنس إناث، السن 38، المستوى الدراسي جامعي، الغرض من الذهاب إلى تركيا زيارة علمية، مدة بقاءه عالقا في مطار اسطنبول 06 أيام.

تجيب حالة الدراسة إلى أنها لا تعرف كل أفراد المجموعة التي قضت معها هذه المدة ولا تربطها معهم أي علاقة قرابية أو دموية فقط صديقة لها، كما أجابت حول اختيارها لهذه المجموعة **قائلة:** أغلب أفراد المجموعة كبار (ناس فاهمة وكبيرة في عقولها تلقى راحتك معاهم)، كما رد المبحوث حول بماذا شعر وهو داخل هذه المجموعة **قائلا:** بصراحة كونا عائلة كبيرة وكنا متعاونين ونساعد بعضنا البعض دائما .

بالنسبة لطبيعة العلاقة معهم **فأجابت:** ربطتنا علاقات إخوة وأسرة كنا نذهب مع بعض لأي مكان نحن الإناث أما الرجال كانوا دائما يسألون عن أي أخبار جديدة ويخبروننا وأحيانا البحث عن مكان لننام فيه، أجاب أيضا حول كيفية مساعدة أفراد المجموعة **قائلة:** أحاول رفع معنوياتهم، بالنسبة للمعاني المتبادلة مع هذه المجموعة **أجابت:** الحب الاحترام لا يوجد أناني يفكر في نفسه بيننا نفكر في بعضنا البعض، أما حول كيف يمر يومه داخل مطار اسطنبول **ردت قائلة:** أحيانا لا نشعر بالوقت ونحن مع بعضنا نتعلم من بعض أمورا كثيرة سواء في الحياة أو المطبخ أو الخياطة .

أجابت مفردة الدراسة حول كيف ترى أن هذا الوباء وهذه الأزمة أدت إلى تضامن مع المواطنين **ردت قائلا:** هو فرصة علمتنا الكثير من الأشياء زادت في شخصيتنا وقوتها، بالنسبة للنصائح التي يقدمها **رد قائلا:** (الصبر والدعاء والبقاء مجتمعين)، بالنسبة لتبادل أرقام الهواتف **أجاب:** نعم الوتس اب .

- الحالة رقم 07:

مفردة الدراسة من جنس ذكور، السن 49، المستوى الدراسي ثانوي، الغرض من الذهاب إلى تركيا تجارة وعمل، مدة بقاءه عالقا في مطار اسطنبول 06 أيام.

أجاب المبحوث إلى أنه لا يعرف أفراد المجموعة التي قضى معها هذه المدة ولا تربطها معه أي علاقة قرابية أو دموية فقط اثنان من المجموعة تعرف عليهم في الفندق، كما أجاب حول اختياره لهذه المجموعة **رد:** كلهم محترمين ويمتازون بالصبر والمحبة ويساعدون بعضهم، كما رد المبحوث حول بماذا شعر وهو داخل هذه المجموعة **رد:** كعائلة إخوة لنا .

بالنسبة لطبيعة العلاقة **رد:** علاقتنا أخوية، أجاب أيضا حول كيفية مساعدة أفراد المجموعة **رد المبحوث:** أشاركهم كل ما لدي أو أي أخبار قد أسمعها عن الطيران أو البحث لهم عن مكان للنوم فيه كالمسجد، بالنسبة للمعاني المتبادلة مع هذه المجموعة **رد قائلا:** الاحترام والتقدير، أما حول كيف يمر يومه داخل مطار اسطنبول **رد المبحوث قائلا:** نتكلم ونتحاور في أمور ثقافية عديدة .

أجاب المبحوث حول كيف ترى أن هذا الوباء وهذه الأزمة أدت إلى تضامن مع المواطنين **رد:** نعم علمتنا الكثير من بين ما تعلمنا كيفية التعامل مع الأزمات، بالنسبة للنصائح التي يقدمها **رد قائلا:** (البقاء مع بعض تحسبا لأي شيء طارئ)، بالنسبة لتبادل أرقام الهواتف **أجاب:** نعم .

- الحالة رقم 08:

مفردة الدراسة من جنس إناث، السن 32، المستوى الدراسي جامعي، الغرض من الذهاب إلى تركيا سياحة، مدة بقاءه عالقا في مطار اسطنبول 06 أيام.

تجيب حالة الدراسة إلى أنها لا تعرف كل أفراد المجموعة التي قضت معها هذه المدة ولا تربطها معهم أي علاقة قرابية أو دموية فقط البعض منهم، كما أجابت حول اختيارها لهذه المجموعة **قائلة:** أعرف أغلبهم وهناك منهم في نفس مدينتي، كما رد المبحوث حول بماذا شعر وهو داخل هذه المجموعة **قائلة:** كنا كالعائلة ونشكل جو مرح ينسينا القلق والتوتر .

بالنسبة لطبيعة العلاقة معهم **فأجابت:** كنا مع بعض أغلب الأوقات، أجاب أيضا حول كيفية مساعدة أفراد المجموعة **قائلة:** أي شيء أستطيع المساعدة به أكل أو شرب، بالنسبة للمعاني المتبادلة مع هذه

المجموعة **أجابت**:الوقار والتقدير والاحترام والتعاون والتساند، أما حول كيف يمر يومه داخل مطار اسطنبول **ردت قائلة:** الاتصال بالإنترنت أو الحديث عن أي موضوع مهم .

أجابت مفردة الدراسة حول كيف ترى أن هذا الوباء وهذه الأزمة أدت إلى تضامن مع المواطنين **ردت:** نعم خاصة كيفية تجاوز الصعوبات، بالنسبة للنصائح التي يقدمها **رد قائلا:** (عدم التوتر)، بالنسبة لتبادل أرقام الهواتف **أجاب:** نعم.

- الحالة رقم 09 :

مفردة الدراسة من جنس ذكر، السن 30، المستوى الدراسي جامعي، الغرض من الذهاب إلى تركيا عمل، مدة بقاءه عالقا في مطار اسطنبول 07 أيام.

أجاب المبحوث إلى أنه لا يعرف أفراد المجموعة التي قضى معها هذه المدة ولا تربطها معه أي علاقة قرابية أو دموية، كما أجاب حول اختيارها لهذه المجموعة **قائلا:** (النساء محترمين ونحن الرجال تقريبا نفس التفكير)، كما رد المبحوث حول بماذا شعر وهو داخل هذه المجموعة **قائلا:** مجموعة مساندة لبعضها البعض .

بالنسبة لطبيعة العلاقة معهم **فأجاب:** أخوية عائلية مبنية على الاحترام، أجاب أيضا حول كيفية مساعدة أفراد المجموعة **رد:** أي شيء أملكه قد يحتاجونه، بالنسبة للمعاني المتبادلة مع هذه المجموعة **أجاب:** الاحترام والتضامن والتساند، أما حول كيف يمر يومه داخل مطار اسطنبول **رد:** نسأل عن الطيران أو الذهاب للصلاة أو المشي في المطار .

أجاب المبحوث حول كيف يرى أن هذا الوباء وهذه الأزمة أدت إلى تضامن مع المواطنين **رد:** نعم لكن ليس الأغلبية بصراحة، بالنسبة للنصائح التي يقدمها **رد قائلا:** (عدم مخالطة أي شخص في ظل هذا الوباء)، بالنسبة لتبادل أرقام الهواتف **أجاب:** نعم.

- الحالة رقم 10 :

مفردة الدراسة من جنس ذكر، السن 38، المستوى الدراسي ثانوي، الغرض من الذهاب إلى تركيا سياحة ودراسة، مدة بقاءه عالقا في مطار اسطنبول 06 أيام.

أجاب المبحوث إلى أنه لا يعرف أفراد المجموعة التي قضى معها هذه المدة ولا تربطها معه أي علاقة قرابية أو دموية، كما أجاب حول اختياره لهذه المجموعة **قائلا:** وجدتهم جالسين فجلست معهم تحدثنا وتعارفنا فبقيت معهم، كما رد المبحوث حول بماذا شعر وهو داخل هذه المجموعة **رد:** كونا جو جميل مع بعض .

بالنسبة لطبيعة العلاقة معهم **رد:** كأسرة كبيرة مع بعض، أجاب أيضا حول كيفية مساعدة أفراد المجموعة **رد:** أحيانا أراقب حقائبهم عند ذهابهم للصلاة أو أي مكان معين أخبرهم بأي جديد حول الطيران، بالنسبة للمعاني المتبادلة مع هذه المجموعة **أجاب:** العطف على بعضنا سواء نساء أو رجال، أما حول كيف يمر يومه داخل مطار اسطنبول **رد:** يمر أحيانا بسرعة ولا نشعر به لأننا مع بعض نمضي الوقت . **أجاب** المبحوث حول كيف ترى أن هذا الوباء وهذه الأزمة أدت إلى تضامن مع المواطنين **رد:** نعم تعلمنا قيمة الأشخاص، بالنسبة للنصائح التي يقدمها **رد:** (الصبر)، بالنسبة لتبادل أرقام الهواتف **أجاب:** نعم .

ثالثا: نتائج الدراسة

نستنتج من خلال تحليل البيانات والمعلومات التي تم جمعها على مستوى أفعال وتفاعلات أفراد الجماعة أنه هناك مجموعة من الأفعال والتفاعلات التي تنحصر غالبا في مجموعة من القيم مثل التعاون والتكافل والتضامن الاجتماعي بين مفردات الدراسة، بحيث تعكس هذه الأفعال والتفاعلات طبيعة العلاقة الاجتماعية التي تربطهم ببعض والتي تنسحب بدورها لبناء مفهوم العائلة الجديدة التي تستند على معايير رئيسية تجع من الأفراد في وحدة اجتماعية تحكمها مصلحة واحدة كما أشار لها المفكر "كاتل" .

بالنسبة لمستوى القيم الأخلاقية، تعتبر القيم من بين أهم المعايير الاجتماعية التي تسهم في بناء المجتمع من خلال المحافظة عليه أي إنتاجها وإعادة إنتاجها لدى مفردات الدراسة وتتمثل هذه القيم في التعاون والتكافل والمحبة والاحترام المتبادل بينهم، وهو الأمر الذي ساعدهم على الحفاظ عن الاستقرار النفسي والاجتماعي في ظل هذا الموقف الصعب .

أيضا نجد على مستوى العلاقات الاجتماعية، أن العلاقات الاجتماعية أساس بناء المجتمع فإذ امتازت بالوعي في التفكير والتنشئة السليمة والتربية الذاتية أدى ذلك إلى المحافظة على قيم المجتمع والجماعة، وإعادة إنتاجها بما يوافق الاستقرار والتوازن الاجتماعي، فالعلاقات الاجتماعية المبنية على الاحترام المتبادل والوعي تساعد على تشكيل مفهوم للعائلة يرتقي في طبيعة العلاقة الاجتماعية بحيث لا تحكمها روابط قرابية أو دموية بل المحبة والاحترام والتقدير والتعاون والتضامن المتبادل بحيث تستمر مثل هذه العلاقات عند تجاوز الأزمات أو المواقف الصعبة .

أما بعد هوية الجماعة، فنجد أنها تمثل مبدأ أساسيا في تحقيق ما سبق من أفعال وتفاعلات وقيم اجتماعية حيث يجب أن تتشكل الهوية من مبادئ فعلية ملموسة تعبر عن مبادئ التربية والتنشئة الاجتماعية الفعالة والوعي كذلك فمن خلال هذه الدراسة تم التوصل إلى أن بعض المواقف والأزمات لا تأثر سلبا دوما

على هوية الفرد بقدر ما تساعد على تشكيل هوية فاعلة تعكس طبيعة القيم الاجتماعية والتربوية للفرد مثل التعاون والتكافل والتساند والمحبة والتقدير والاحترام والنخوة .

إن تشكل هوية الجماعة هنا تأخذ طابعا ايجابيا نحو الأزمات بحيث تقوي الروابط الاجتماعية وتزيد من قدرة التفكير والتأمل وهو الأمر الذي يجعل منها هوية فاعلة في مواقف عديدة .

إن مفهوم العائلة إذا يأخذ مجموعة من المحددات التي تشكلها دينامية الجماعة من خلال مجموع القيم التربوية والاجتماعية التي يحملها كل فرد ويتفاعل بها والتي تعكس وحدة الجماعة في مواقف وأزمات اجتماعية، وهذا ما تم التوصل إليه من خلال هذه الدراسة على عينة من المفردات الذين كانوا عالقين في مطار اسطنبول الدولي covid19 بحيث كونت جماعة تفاعلت بقيم ومعان عائلية أسرية .

كمستخلص للدراسة يمكن القول أن تشكيل مفهوم جديد للعائلة ليس بالأمر الجديد بل هو وليد طبيعة التنشئة الاجتماعية الإسلامية التي غالبا ما حثت على التعاون والتكافل الاجتماعي، فقط تظهر بصورة جلية في الأزمات أو المواقف الصعبة فمن الجدير بالذكر أنها ساعدت بصورة كبيرة على توعية الفرد حول طبيعة التفاعل الاجتماعي.

وعليه إن مفهوم العائلة لا يرتبط بالعلاقات الدموية أو القرابية بل بوحدة الجماعة والمحافظة عليها وبالأخص التكافل والتضامن والتساند الاجتماعي الذي يسهم في عملية الاستقرار النفسي والاجتماعي لدى الأفراد .

قائمة المراجع :

1. جمال العيفة (2010)، **مؤسسات الإعلام والاتصال**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
2. ربحي مصطفى عليان (د س)، **البحث العلمي (أسسه، مناهجه و أساليبه، اجراءاته)**، بيت الأفكار الدولية، الأردن.
3. عبد المجيد سيد منصور و زكرياء أحمد الشربيني (1998)، **علم نفس الطفولة الأسس النفسية والاجتماعية والهدى الإسلامي**، دار الفكر العربي، القاهرة.
4. فاطمة عوض صابر. مرفت علي حقاجة، **أسس البحث العلمي**، مطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، مصر.
5. القصاص وجيه (2008)، **علم اجتماع العائلي**، منشورات جامعة المنصورة، مصر
6. وجيه محجوب (د س)، **أصول البحث العلمي و مناهجه**، دار المناهج للنشر و التوزيع، ط2، الأردن.
7. مارقن شو (1997)، **ديناميات الجماعة**، دار المعارف، القاهرة، مصر .

طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي لدى موظفي الإدارة المحلية.

ـ دراسة ميدانية ببلدية (سيدي خويلد) ولاية ورقلة ـ

د/ سليمان خويلدي ـ جامعة محمد خيضر ـ بسكرة ـ الجزائر.

الباحث/ صلاح الدين شيخاوي ـ جامعة محمد خيضر ـ بسكرة ـ الجزائر.

ملخص الدراسة :

هدفت الدراسة الحالية للبحث في طبيعة الاستجابة لصراع التنظيمي لدى موظفي الإدارة المحلية بلدية سيدي خويلد ورقلة (2019) ، وقد اعتمد الباحثان على المنهج الوصفي المناسب لمثل هذه الدراسات كما استخدم استبيان معد من طرفهما لمعرفة طبيعة الاستجابة لدى عينة مكونة من (122) موظف وموظفة توصلت الدراسة إلى أن طبيعة الاستجابة لدى عينة الدراسة ايجابية في أغلب الأحيان ،كما توصلت إلى أنه لا توجد فروق بين الجنس والحالة العائلية في طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي .

الكلمات المفتاحية : الصراع التنظيمي –موظفو الإدارة المحلية –طبيعة الاستجابة.

Abstract :

The current study aimed at researching the nature of the response to the organizational conflict with the employees of the local administration of the municipality of Sidi Khouiled Ouargla (2019), and the researchers adopted the appropriate descriptive approach to such studies, and a questionnaire prepared by them was used to find out the nature of the response among a sample of (122) employees The study indicates that the nature of the response in the study sample is positive in most cases, and also concluded that there are no differences between sex and family status in the nature of the response to organizational conflict.

Keywords: Organizational conflict- Local administration staff- The nature of the response.

مقدمة :

إن الغاية الرئيسية لوجود جماعات العمل هي تسهيل عملية تحقيق أهداف الفرد والجماعة معا، وكثيرا ما يتطلب تحقيق هذه الغاية أن يعمل الناس سويا وأن ينسقوا بين نشاطاتهم، وأن يتعاونوا مع بعضهم البعض وفي بعض الأحيان من الضروري أن يساعد الواحد منهم الأخر، ومع ذلك فإن جماعات العمل حافلة بمختلف الصراعات إذ يحاول كل عامل التفوق على زملائه، للحصول على ترقية أو علاوة، أو

زيادة في الأجر وقد يتم تشجيع الصراع بين العمال عندما تجري مقارنة بين أداء كل منهم بأداء الآخرين، حيث أن الصراع يتواجد في مختلف المستويات والتنظيمات الإدارية والاجتماعية وغيرها والصراع أمر حتمي الوقوع حتى داخل الفرد نفسه وذلك لتعدد المؤثرات النفسية الداخلية والخارجية عليه من ناحية ولكون الفرد يؤدي عدة أدوار في آن واحد ومن ناحية أخرى يؤدي وجود الصراع بين العمال داخل المنظمات إلى عدم الاستقرار بالنسبة لهذه المنظمات ،وخاصة أن هذه المنظمات تتألف في عضويتها من أفراد المجتمع، كما أنها تتعامل مع فئات المجتمع في ذات الوقت، مما يؤدي إلى تنافر أو تعارض هؤلاء الأفراد في بعض الأحيان لأسباب مختلفة وبالتالي ينعكس ذلك على أداء المنظمات الإدارية.

ويمكن القول وبشكل أكثر تحديدا أن التناقضات تعتبر صفة مميزة للسلوك الإداري في كثير من المنظمات ومن الأمثلة على ذلك موظفي البلديات والجماعات المحلية ،وقد تكون له عواقب سلبية مدمرة، وقد تكون له في المقابل نتائج إيجابية وبناءة .

1- إشكالية الدراسة: إن تحقيق أعمال وأهداف أي منظمة على اختلاف أنواعها سواء كانت سياسية اقتصادية أو اجتماعية يعتمد بالأساس على الموارد البشري ،وبطبيعة الفرد الاجتماعية فهي بالضرورة تضطره إلى التفاعل مع غيره من العاملين، أو المسئولين داخل التنظيم أو خارجه مع أسرته ومجتمعه، وأين ما وجد هناك تفاعل بين الأفراد داخل المنظمة قد يظهر الصراع المهني كنتيجة حتمية ،وفي هذا الصدد يقول (الفريجات، 2009)، أن الصراع ظاهرة سلوكية إنسانية تأتي نتيجة العلاقات التي تسود أو تجمع الجماعات في العمل ،أو الأسرة أو في النادي أو المدرسة وينتج كصدى لاختلاف وجهات النظر أو صراع الأدوار والحاجات والرغبات أو البحث عن السلطة أو السيطرة أو الكسب المادي أو المعنوي (الفريجات، 2009، ص 312) وقد تباينت أسباب الصراع في دراسة (العبيدي، 1999)، حيث يقول أن هناك أسباب للصراع التنظيمي في المنظمات العمومية منها ضعف المشاركة في العمل ، البحث عن السلطة والنفوذ تعرض المصالح ،سوء البناء التنظيمي ضعف التعاون والتنسيق ،المعاملة غير العادلة، تداخل الاختصاصات وغموضها، اختلاف في الاتجاهات قلة الموارد والإمكانيات ضعف الالتزام التنظيمي (طارق، 2006، ص 22) ،والصراع التنظيمي شائع داخل المنظمات بمثل شيوع جميع السلوكيات الايجابية والسلبية ويمكن أن تؤدي هذه الصراعات إلى نتائج عديدة بإمكانها أن تؤثر على قدرة الفرد على تغيير عاداته واتجاهاته عندما يواجه مواقف صعبة ولهذا فإن لتلك الاستجابات التي يقوم بها الموظفين نتائج إيجابية كما أنها لها نتائج سلبية ،وهذا كذلك ما أكدته دراسة (صالح جميلة وآخرون، 2015)، ولا ينبغي أن ينظر للصراع أنه أمر غير مرغوب فيه أو سلوك يجب القضاء عليه، حيث يرى (فروانة وعباس، 2018) أنه

من أسباب المنافسة واستمرار العمل داخل التنظيمات ،وإذا سلمنا بأن المنظمة تحرص على تحقيق أهدافها من خلال المورد البشري، وأن لهذا الصراع نتائج وأثار تظهر في مدى توافق الفرد مع مهنته، وعليه يمكن طرح الإشكال التالي:

✓ – **ما هي طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي لدى موظفي بلدية سيدي خويلد (ورقلة)؟**

2– فرضيات الدراسة:

– توجد فروق في طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي باختلاف الحالة العائلية (أعزب، متزوج)؛

– توجد فروق في طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي باختلاف الجنس (ذكر، أنثى)

3– أهمية الدراسة: إن لكل موضوع أو دراسة أهمية توضح سبب التطرق لها بالبحث والدراسة وتستمد هذه الدراسة أهميتها من خلال:

- غموض موضوع الصراع التنظيمي وإبراز أهمية دراسته.
- إبراز أهمية عينة الدراسة (موظفي القطاع العمومي البلديات نموذجا) من حيث أنهم يتفاعلون كثيرا مع المواطنين الأمر الذي يستدعي منهم صحة نفسية وتوافقا من أجل سير العمل وهل يمكن أن يخلق الصراع التنظيمي لديهم سوء استجابة.

4– أهداف الدراسة: لأي بحث لابد من وجود هدف يسعى به إلى تزويد المجتمع بالمعرفة والمساهمة الايجابية في تقديم الحلول لمشكلاته ونتطلع من خلال هذه الدراسة إلى :

– التعرف على طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي لدى موظفي بلدية سيدي خويلد – إبراز أثر العوامل الوسطية (الحالة العائلية، الجنس) على طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي .

5– التعاريف الإجرائية:

***طبيعة الاستجابة للصراع:** هي ردة الفعل الايجابية أو السلبية الناتجة عن الصراع الذي قد يحدث عند التفاعل بين الموظفين العاملين ببلدية سيدي خويلد ورقلة (2019)، والناتج عن الاختلاف في الآراء والذي يقاس بالدرجة التي يحصل عليها الموظف من خلال تدرج إجابته (نعم)، (أحيانا) ،(لا) ،حيال فقرات البعدين المكونين للأداة المصممة لقياس هذا المتغير وهما: بعد الاستجابة الايجابية وبعد الاستجابة السلبية في

المجالات التالية، العلاقة مع الزملاء، العلاقة مع الرئيس، العلاقة مع بيئة العمل، العلاقة مع المحيط الخارجي .

***الاستجابة الايجابية:** هي ردة الفعل التي تبدي سلوك أو تصرف مرغوب فيه ويؤدي إلى حسن العلاقة بين الفرد وذاته، أو الزملاء أو الرؤساء أو بيئة عمله.

***الاستجابة السلبية:** هي ردة الفعل التي تبدي سلوك أو تصرف غير مرغوب فيه ،ويؤدي سوء العلاقة بين الفرد وذاته أو الزملاء أو الرؤساء أو بيئة عمله.

***موظفي الإدارة العمومية:** يعتبر الموظفين العموميين هم الأشخاص المعينون في وظيفة دائمة، والذين رسموا في درجة من درجات التدرج الوظيفي في الإدارات المركزية واللامركزية التابعة للدولة، وفي المصالح الخارجية التابعة لهذه الإدارات المركزية، وفي الجماعات المحلية، و كذلك في المؤسسات والهيآت العامة حسب كيفيات تحدد بمرسوم.

6- الجانب النظري:

6-1- مفهوم الصراع التنظيمي: يعتبر الصراع التنظيمي من الظواهر الطبيعية في حياة الناس ،وهو من الأمور المتغيرة الأمر الذي يفسر وجود الصراع بين الأفراد داخل المنظمات .

- **الصراع لغة** : "هو النزاع والخصام أو الخلاف والشقاق وهو يدل على عدم الاتفاق" (بنت الشريف، نجلاء، 1999)
- **الصراع اصطلاحا** : لم يتفق العلماء على تعريف موحد للصراع التنظيمي ،حيث عرفه (حلمي فارس، 1999، ص 376) على أنه عملية طبيعية تحدث في جميع مؤسسات العمل وجماعاته ،وقد تكون له عواقب سلبية مدمرة وقد تكون له في المقابل عواقب ايجابية وبناءة ،كم عرفه (الفريجات، 2009، ص 312) أنه ظاهرة سلوكية إنسانية تأتي نتيجة العلاقات التي تسود أو تجمع الجماعات في العمل أو الأسرة أو النادي أو في المدرسة ،وينتج كصدى لاختلاف وجهات النظر أو الصراع الأدوار والحاجات والرغبات أو البحث عن السلطة أو السيطرة أو الكسب المادي أو المعنوي.

كما عرفه "بولدينغ" الصراع التنظيمي بأنه "وضع تنافسي يكون فيه أطراف الصراع مدركين للتعارض في إمكانية الحصول على المراكز المستقبلية، ويرغب كل طرف في الحصول المركز الذي يتعارض مع رغبة الطرف الأخر" (العميان، 2008، ص 363) ،كما عرفه أيضا "كوزر" بأنه "كفاح حول القيم والسعي

من أجل المكانة والقوة والموارد ،حيث يهدف المتصارعون إلى تحييد خصومهم أو القضاء عليهم" (العميان، 2008، ص 364).

تبين التعاريف السابقة اختلاف النظرة للصراع التنظيمي إلا أنها تتفق على أن الصراع هو موقف تنافسي بين فريقين أو تنظمين أهدافهما متعارضة يكون فيه أطراف الصراع مدركين للتعارض فيما بينهم في الوقت الذي يرغب فيه كل طرف الحصول على المركز أو الصلاحية أو القوة بما يتعارض مع رغبة الطرف الأخر كما يكن أن يكون الصراع التنظيمي بناءا أو مدمرا ويمكن أن يكون ذو هدف وظيفي وقد يؤدي إلى الاختلال الوظيفي

6-2- الآثار السلبية والايجابية للصراع التنظيمي : اختلفت وجهات النظر والآراء حول تحديد مفهوم الصراع التنظيمي عبر مراحل تاريخ الفكر الإداري فالفكر الإداري التقليدي "يرى أن تجنب الصراع في المنظمات أمر ضروري ،بينما يرى أصحاب ورواد الفكر السلوكي "أن الصراع في المنظمات أمر طبيعي في حياة الأفراد والمنظمات وليس بالضرورة أن يتضمن جوانب سلبية بل على العكس قد يكون مصدر قوة ايجابية للقيام بما هو مطلوب ،أما أصحاب المدرسة التفاعلية فيرون" أن الصراع ضروري ومهم لإنجاز الأعمال بفاعلية.

ولهذا يمكن القول أن هناك مفهومين للصراع التنظيمي :صراع سلبي ،وصراع ايجابي ويترتب على كل مفهوم أثار معينة حيث تتمثل أثار المفهوم الإيجابي فيما يلي:

*مشاركة بناءة من الأفراد في العمليات التنظيمية

*يساعد على تنمية المهارات والأفكار وكذلك الإبداع

*يساعد على اختيار الأفضل للمنظمة وكذلك الأفراد العاملين

أما أثار المفهوم السلبي فتتمثل فيما يلي:

*إن عدم رغبة الإدارة في معرفة وسماع وجهات نظر الأفراد العاملين ستنعكس بآثار سلبية على عملهم وإبداعاتهم .

*يقلل من عامل الانتماء للمنظمة ومن ثم يسعى كل فرد إلى تحقيق الأهداف الخاصة به.

*في حالة ظهور بوادر الصراع يجب على الإدارة الإسراع لإيجاد الحلول له خوفا من انتشاره إلى مستويات التنظيم كافة. (فريجات وآخرون،2009، ص 315/314)

6-3- إدارة الصراع التنظيمي : يرى الفكر الإداري الحديث "أن الصراع شيء محتوم ويتعذر اجتنابه وإن انعدامه أو وجوده بمستوى منخفض في المنظمة يسبب الركود ويؤدي مع الزمن إلى انهيارها كما أن وجود

الصراع بدرجة مرتفعة ضار لأنه يصيب التعاون بخلل كبير أما القدر المعتدل من الصراع في المنظمة فهو مطلوب" (العميان، 2008، ص 381) ،وإدارة الصراع تتطلب بدء تشخيص الصراع بهدف تحديد حجمه ليتم على ضوء ذلك عملية التدخل فيه بإيجاده أن كان منعدما وزيادته أن كان اقل من الحجم المناسب وتقليله إن كان اكبر من اللازم ،وحتى يدار الصراع بشكل فعال وايجابي يجب مراعاة النقاط التالية:

أ- **تحديد أسباب الصراع ومعرفة مشاعر أطرافه** : "من الأهداف التي يجب أن تسعى الإدارة عند إدارتها للصراع التنظيمي التعرف غلى أسباب الصراع الحقيقية وذلك من اجل معالجتها بشكل جذري ومن الخطأ أن تحاول الإدارة أن تهدئ الصراع دون معالجة للأسباب لأنه سينشأ من جديد .

ب- **التوصل إلى التكامل في أفكار الأطراف المتنازعة** : وذلك بجمع الأفكار وإحداث تكامل بينها بدلا من محاولة المساومة والتوصل إلى حل وسط لأن الحل الوسط لا يمثل الحل المقنع للصراع وبدلا من ذلك فإن الصراع يجب أن يعالج بتدخل وتكامل أفكار أطرافه بحيث يمكن استخدام أفضل الأفكار التي تخدم هذه الأطراف والمنظمة.

ج- **التوصل إلى حلول حقيقية يمكن أن تدعم من قبل أطراف الصراع** : إن الحلول المؤقتة لن تحترم من قبل أطراف الصراع لأنها لا تعالج أسباب الصراع.

د- **محاولة إعادة توجيه توترات الأفراد:** يجب أن تبقى عند الأفراد العاملين مقدارا صحيحا من التوتر والتوترات هنا تقنن بشكل ايجابي يخدم المنظمة. (العميان، 2008، ص 381)

6-4- استراتيجيات إدارة الصراع التنظيمي : جاء في تقرير (العزب ،سلوى، 2009) أنه من الاستراتيجيات التي تساعد في وضع الحلول :

- التفاوض أي محاولة معرفة أسباب الصراع والعمل على تخفيفه.
- استخدام أسلوب الإدارة في العلاقات الإنسانية بدلا من استخدام المنهج البيروقراطي.
- محاولة تعديل وتغيير السياسات الداخلية.
- تشكيل فرق تعمل على تشجيع روح العمل الجماعي.
- استخدام أنظمة اتصالات فعالة وباتجاهات مختلفة.
- تدخل رئيس المنظمة بصورة مباشرة.
- تصميم برامج تدريبية تعتمد على المنهج العلمي.

تعتبر مهارة إدارة الصراع من أهم المهارات التي يجب تنميتها عند المديرين والأفراد وذلك لتحقيق مايلي:

- للحصول على التغيير البناء وإدارته.
- للمساعدة في معرفة وتفهم الاختلافات في قيم وثقافة الأفراد والمنظمات.
- لتنمية إدارة فريق العمل

وهناك خمس نماذج لإدارة الصراع التنظيمي تتراوح بين التعاون والتشدد وهي:

1- **التنافس** : يحاول طرف أن يحقق مصلحته على حساب الطرف الأخر -متشدد غير متعاون- ربح خسارة- وذلك :

- عند الرغبة في اتخاذ قرار سريع لأمر مهم.
- في حالة إحداث تغييرات
- في حالة فشل النماذج الأخرى
- عند تدني مستوى الثقة التنظيمية

2- **التساهل** : يحاول كل طرف تحقيق مصلحة الطرف الأخر حتى وإن كان على حساب مصلحته – غير متشدد متعاون- خسارة وربح- وذلك

- إذا توفرت لدى الإدارة الرغبة الأكيدة في المحافظة على العلاقات داخل المنظمة.
- في حالة رغبة المنظمة في حل الصراع
- في حالة الرغبة في تنمية مهارات الأفراد العاملين
- عند الرغبة في معرفة أراء العاملين.

3- **التجنب** : بتجاهل طرف ما مصلحة الطرف الأخر -غير متشدد غير متعاون- خسارة وخسارة- وذلك:

- إذا توصل أطراف الصراع إلى أن الصراع ليس ذو أهمية.
- إذا كان الصراع يحتاج إلى وقت طويل
- إذا رغب كل طرف في تهدئة الوضع

4- **التضامن** : يحاول الطرف تحقيق مصلحته ومصلحة الطرف الأخر -معاون معاون- ربح ،ربح- وذلك:

- لإيجاد حلول للمشكلات المزمنة.

- للحصول على الاجتهادات في حل المشكلات
- لتبادل الخبرات والمشاعر

5- التسوية: وتكون التسوية هي الحل الوسط أي التعاون والحزم من كلا الطرفين وكل منهما يحقق جزء من الربح والخسارة –ربح خسارة ربح خسارة –وذلك :

- إذا كانت النتيجة التوصل إلى اتفاق في حالة تمتع كل طرف بموقف قوي.
- لإيجاد حلول مرضية للطرفين مؤقتة

كما توصل الباحثون إلى وضع تصنيف أخر للاستراتيجيات الصراع بهدف التخفيف منه وإيجاد حلول جيدة تؤدي الى تجنب أثاره السلبية في :

- تجنب موضوع الصراع باستخدام أنماط الإهمال والفصل بين الطرفين.
- التهدئة لمحاولة التقليل من نقاط الاختلاف والتركيز على وجود مصالح مشتركة.
- المواجهة إي محاولة التعرف على المصلحة المشتركة بين الأطراف والتركيز عليها ومن ثم التركيز على الأهداف العليا للمنظمة.

إن استخدام كل هذه الأساليب يساعد على تجنب المشكلات وبالتالي التطور والبقاء وهنا لابد للإدارة من الاستعانة بالإشارات التالية في عملية الصراع.

أ- **الرؤية:** أي سعي المدير لإقناع جميع العاملين بوجود هدف يسعى الجميع لتحقيقه

ب- **الأهداف** : أن تكون واضحة ومحددة وقابلة للتطبيق.

ج- **الاتصال** : تطوير قنوات الاتصال بين جميع الأطراف داخل المنظمة الإدارية بشكل يترتب عليه الشعور بالراحة من قبل الموظفين.

د- **القيادة** : وهذا يتضمن الأسلوب والمنهج الإداري الذي يجب ممارسته بشكل يترتب عليه تأثير المدير الايجابي على الأفراد.

و- **التعلم** : ويتم بصورة مستمرة في محاولة لتنمية وصقل مهارات العاملين وقدراتهم ومستوياتهم الثقافية. (العزب مصيلحي، 2009)

6-5- موظفو الإدارة المحلية: إن الإدارة المحلية في الجزائر لا تختلف عن الإدارات المحلية في سائر الدول الأخرى، وذلك من حيث كونها أداة بواسطتها يتم تحقيق السياسة العامة للدولة بغية تحقيق الرفاهية العامة لكل أفراد المجتمع (شلابي ، 2017، ص 97) . ويمكن تناول مفهوم الإدارة المحلية وفق الرؤية القانونية التي تعتمد على فهم نظرية اللامركزية الإدارية وعليه فالإدارة اللامركزية الإقليمية في الجزائر أو

ما يسمى أيضا الإدارة المحلية التي تقوم على وحدتين إدارتين هما البلدية والولاية، وترتكز سياسة اللامركزية على توزيع الصلاحيات والمهام حسب تقسيم منطقي للمسؤولية داخل إطار وحدة الدولة .(بعلي،2004 ، ص 7/6)

6-6- تعريف مصطلح البلدية وفق قانون البلدية : نصت المادة 13 من القانون البلدي على أن هيئات البلدية هما " المجلس الشعبي البلدي ورئيس المجلس الشعبي البلدي " وتقوم إدارة البلدية على أجهزة إدارية بها موظفون عموميين وعمال وتتمثل أساسا في وجود أمانة عامة ،الحالة المدنية ، المصالح التقنية ، المالية ... (بعلي ،2004 ،ص 42)

7- الدراسات السابقة : تناولت عدة دراسات موضوع الصراع التنظيمي وقد تعددت مناهج الدراسة وكذلك عينات الدراسة من بينها دراسة (صالح جميلة ،وأخرون 2015) الصراع التنظيمي وأثره في تحقيق الرضا الوظيفي على العاملين في مستشفى الخرطوم التعليمي ،حيث هدفت الدراسة إلى تحديد أهم العوامل المؤثرة على نشؤ الصراع التنظيمي ،ومدى تأثيره على رضا العاملين تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي وتوصلت الدراسة إلى أن مستوى الصراع بين العاملين مرتفع وأن المديرون والرؤساء يستخدمون أساليب التهدئة ،التوفيق ،التجنب ،المواجهة ،القوة ،حل الصراع متوسطة بلغت (306) ،وكذلك دراسة (الفقعاوي ميسون ، 2017) إستراتيجيات إدارة الصراع التنظيمي وأثرها على الأداء الوظيفي لدى العاملين في المنظمات الأهلية الفلسطينية ،حيث هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر إستراتيجيات إدارة الصراع التنظيمي على الأداء الوظيفي ،اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي ،وتوصلت إلى أن هناك تنوعا واضحا في استخدام إستراتيجيات إدارة الصراع التنظيمي من قبل المنظمة مثل إستراتيجية التعاون وبدرجة مرتفعة بلغت (76.97%) تليها التسوية ،الحل الوسط ،التنازل ،المجاملة ،السيطرة ،والتجنب ،وفي نفس السياق جاءت دراسة (لارقو خامسة ،بن جيمة عمر، 2018) ،دور إدارة الصراع في تحسين الأداء الوظيفي للعاملين دراسة حالة مستشفى ترابي بوجمة بولاية بشار ،حيث هدفت الدراسة إلى الكشف عن دور إدارة الصراع التنظيمي في تحسين أداء ،ومن بين نتائج التي تم التوصل إليها حدة الصراع متوسطة بالإضافة إلى وجود علاقة بين إدارة الصراع وأداء العاملين ،وكذلك توصلت إلى أن جنس العامل لا يؤثر في كفاءته ،كما توصلت دراسة (حامد محمد ،وآخرون ، 2019) ،إلى وجود علاقة بين القيادة التحويلية ،وبإدارة الصراع التنظيمي.

8- الإجراءات المنهجية للدراسة:

8-1- الدراسة الاستطلاعية: تهدف الدراسة الاستطلاعية إلى التعرف على أهم الفروض التي يمكن وضعها وإخضاعها للبحث العلمي، وكذا التأكد من الخصائص السيكومترية لأدوات الدراسة.(عبد المجيد، 2000، ص 38)، وتمت الدراسة الاستطلاعية في **فرع الحالة المدنية** ببلدية سيدي خويلد ورقلة (2019) وهو المهتم بإصدار وثائق ومعاملات وأنشطة أفراد المجتمع عن طريق رصد العمليات اليومية، وتقديم الخدمات للأفراد التي ينتمي إليهما مجتمع الدراسة وقد شملت الدراسة الاستطلاعية على (30) موظف ،وقد تمّ تطبيق المقياس على العينة حيث تمت قراءة تعليمات المقياس وشرح طريقة الإجابة على بنود كل وكان الهدف من هذه الدراسة، التعرف على الظروف التي سيتم فيها إجراء البحث والصعوبات التي ربما تواجهنا في تطبيق أدوات البحث، والدراسة الأولية لأدوات البحث للتحقق من صحة أدوات جمع البيانات التي تمّ اختيارها، وقد تمت الدراسة الاستطلاعية في الفترة الممتدة بين 2019/10/23 و2019/11/08 .

جدول رقم(01): يوضح توزيع العينة الاستطلاعية حسب: الجنس، الاقدمية، الحالة العائلية

خصائص العينة	الفئة	العدد	النسبة المئوية	الفئة	العدد	النسبة المئوية	المجموع
الجنس	الذكور	10	%33.34	الإناث	20	%66.66	30
الحالة العائلية	أعزب	18	%60.00	متزوج	12	%40.00	30

8-2- استبيان طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي وصف الأداة وكيفية بنائها: قام الباحثان بالاطلاع على مقاييس متعددة في موضوع الصراع التنظيمي مثل مقياس(فروانة حازم ،عباس عبد الحفيظ) لأسباب المنافسة والصراع (2018)، ومقياس (ميسون إسماعيل ،محمود الفقعاوي) لإستراتيجيات إدارة الصراع التنظيمي (2017) ،ومقياس (جميلة صالح ،الطاهر أحمد) للصراع التنظيمي وأثره في تحقيق الرضا الوظيفي (2015) ،وذلك بغرض الاستفادة منها في إعداد أداة الدراسة، وقد صاغ الباحثان فقرات الاستبيان في صورته الأولية حيث تكونت من (31)، وبعد حساب الخصائص السيكومترية لاستبيان تم حذف بعض

العبارات التي لم تكن تقيس حسب رأي المحكمين ليصبح عدد بنود (22 بندا)، وتم توزيع الفقرات على(02) بعدين تم اشتقاقهما من الإطار النظري لمفاهيم الدراسة، وهي كالتالي:

جدول رقم (02): يوضح توزيع البنود على البعدين المكونين لمقياس الصراع التنظيمي

أبعاد الاستبيان	فقرات البعد	المجموع
الاستجابة الايجابية	1-3-5-7-9-11-13- 15-17-19-21	11
الاستجابة السلبية	2-4- 6- 8-10-12-14- 16-18-20-22	11
المجوع الكلي لبنود المقياس		22

8-3- طريقة تصحيح المقياس: يتم تقدير الدرجات الخام في استبيان طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي عن طريق إجابة ذي المستوى الثلاثي وفق نظام: (نعم)،(أحيانا)، (لا) في حالة الفقرات الايجابية يكون التصحيح كالتالي:

*نعم: بدرجة :(02) ،*لا: بدرجة (0) *أحيانا:(01)

وفي حالة الفقرات السلبية يكون التصحيح كالتالي :

*نعم: بدرجة (0)، *لا: بدرجة (02) *أحيانا:(01)

8-4- خصائصه السيكومترية لمقياس طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي:

أ- **الثبات:** لقد تم التحقق من ثبات الاستبيان باستخدام معامل الثبات التالي:

معامل ألفا- كرونباخ: يُمّثل معامل ألفا متوسط المعاملات الناتجة عن تجزئة الاختبار إلى أجزاء بطرق مختلفة، وبذلك فإنه يمّثل معامل الارتباط بين أي جزأين من أجزاء الاختبار، ويستخدم هذا المعامل في صورته العامة عندما تكون احتمالات الإجابة على الأسئلة ليست ثنائية (0، 1)، (عبد الرحمن سعد، 1998، ص 173).

جدول رقم (03): يوضح معاملات ثبات أبعاد مقياس طبيعة الصراع بطريقة ألفا لكرونباخ

أبعاد المقياس	معامل الفا لكرونباخ
بعد الاستجابة الايجابية	0.87
بعد الاستجابة السلبية	0.81

نستنتج من الجدول السابق أن معاملات الثبات بطريقة ألفا – كرونباخ بين أبعاد استبيان طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي تراوحت بين (0.87 و 0.81) وهي معاملات ثبات مرتفعة، في حين بلغ معامل الثبات الكلي للمقياس (0.89) وهو معامل ثبات مرتفع، وهذا يعني أن الاستبيان يتمتع بدرجة مرتفعة من الثبات يمكن على أساسها الوثوق في نتائجه.

ب- صدق مقياس طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي:

صدق الظاهري: "وهو المظهر العام للاختبار أو الصورة الخارجية له من حيث نوع المفردات وكيفية صياغتها ومدى وضوحها، ويشير هذا النوع من الصدق أيضا إلى كيف يبدو الاختبار مناسباً للغرض الذي وضع من أجله" (الغريب، 1981، ص 680)، حيث عرض الاستبيان على مجموعة من أساتذة علم النفس للحكم على مدى انتماء الفقرات للأبعاد الواردة، وقد بلغ عدد المحكمين (05) محكمين وبناءاً على آرائهم تم تعديل صياغة بعض الفقرات، وأصبح الاستبيان في صورته النهائية، وبعد حساب صدق المحكمين بتطبيق معادلة "كوبر" بلغت نسبة الاتفاق بين المحكمين (95,22)، وهذه نسبة اتفاق مرتفعة يمكن الاعتماد عليها في اعتبار المقياس صادقا ويمكن استخدامه في الدراسة الحالية.

8-5- حدود الدراسة المكانية والزمنية: أجري هذا البحث في مصالح بلدية سيدي خويلد ورقلة في الموسم 2020/2019.

8-6- خطوات تطبيق أدوات الدراسة: تمّ تطبيق المقياسين في صورة مطبوعة تمّ توزيعها على عينة الدراسة بإتباع الخطوات التالية: تحسيس العينة بأهمية الدراسة، وضرورة تقديم استجابات صادقة وصريحة على العبارات الواردة في أدوات البحث، لأن ذلك له أهمية في صدق الإحصائيات والعمل بعد ذلك، توزيع المقياس والشروع في تقديم التعليمات الخاصة بكيفية الإجابة على الفقرات حيث يُطلب من كل شخص قبل الإجابة أن يكتب معلوماته الشخصية أولا، ثم تم توزيع 166 استبانه لكل مقياس على أفراد الدراسة من

الذكور والإناث، بمساعدة بعض المشرفين على الموظفين بعد جمع الاستبيانات وفرزها على أساس استيفائها كل الشروط المطلوبة، ثم تمّ تفريغ البيانات وفق مقاييس التصحيح المبينة سابقا، ثم حُسب درجات كل فرد على كل مقياس منها، وتمّ معالجة البيانات إحصائيا

9- الدراسة الأساسية :

9-1- المنهج المعتمد في الدراسة: لقد اتبعنا في هذه الدراسة المنهج الوصفي الذي يعنى بتحديد الظروف والعلاقات التي توجد بين الوقائع كما يهتم بتحديد الممارسات الشائعة والاتجاهات عند الأفراد (فان دالين، 1997، ص 231) ،مع الاعتماد على الإجراءات الإحصائية من الوصف والاستدلال الذي يدرس الوحدات ويهدف إلى إجابات كمية عن أسئلة مشاكل البحوث والتحقق من الفرضيات المطروحة (بوعلاق، 2009، ص 19).

9-2- مجتمع وعينة الدراسة: نظرا لطبيعة موضوع الدراسة فقد تم اختيار العينة بطريقة عشوائية وهذا لتوقع أن العينة المختارة لها خصوصية خاصة موظفي الإدارة المحلية البلدية بالخصوص الذي يتميز بكثرة الأعباء الملقاة على عاتق الموظف وهذا لطبيعة الاختصاص وطبيعة المنطقة، أما بالنسبة للعينات التي يمكن استخدامها في المنهج الوصفي، فيجب أن تكون ممثلة لمجتمع الدراسة سواء كانت هذه العينات عشوائية احتمالية أو غير عشوائية تساعد في المحصلة النهائية الباحثين على الحصول على نتائج واستنتاجات لها درجة معقولة من المصداقية حتى يمكن تعميمها (عبيدات محمد وآخرون، 1999، ص 47)، اشتملت هذه الدراسة على عينة قوامها (166) من الموظفين الذين يعملون ببلدية سيدي خويلد ورقلة ومن كلا الجنسين في الموسم 2020/2019، وقد بلغ عدد الاستبيانات الموزعة (166) استبيان، استرجع منها (155) وعند القيام بالتفريغ والتصحيح لدراسة النهائية وتحليل البيانات وجد (122) استبيان صالحة للدراسة وهم العينة محل الدراسة، ولتحديد استجاباتهم تم ذلك عن طريق اختبار تكرارات أفراد العينة، والجدول رقم (04) يوضح خصائص عينة الدراسة من حيث الجنس والحالة العائلية.

جدول رقم (04): يوضح توزيع عينة الدراسة حسب الجنس والحالة العائلية

المتغير	التصنيف	العدد	النسبة المئوية
الجنس	الذكور	52	%42.62
	الإناث	70	57.38%
الحالة العائلية	أعزب	75	61.47%
	متزوج	47	38.53%
المجموع		122	100%

يمثل الجدول رقم :(04) توزيع وتصنيف أفراد العينة حسب المتغيرات الوسطية التالية حسب: (الجنس، الحالة العائلية)، ولقد قدرت عينة الذكور ب (52) أي ما نسبته (42.62%) وكانت عينة الإناث (70) بنسبة قدرت ب (57.38%)، وقدرت عينة المتزوجين ب (47) أي بنسبة (38.53%) وعينة العزاب (75) أي بنسبة قدرت (61.47%).

10- عرض نتائج الدراسة مناقشتها وتفسيرها:

1- عرض وتحليل ومناقشة نتائج الفرضية الأولى: طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي لدى موظفي بلدية سيدي خويلد (ورقلة) سلبية.

بعد تفريغ البيانات ثم تحليلها إحصائيا من خلال حساب التكرارات والنسب المئوية والحصول على النتائج كما يوضحها الجدول التالي:

جدول رقم (05): يوضح درجات عينة الدراسة على مقياس الصراع التنظيمي

الاستجابات	لا	النسبة مئوية	أحيانا	النسبة مئوية	نعم	النسبة المئوية	المجموع
الايجابية	348	%28.52	295	%24.18	577	%47.30	1220
السلبية	754	%51.50	367	%25.07	343	%23.83	1474

من خلال الجدول رقم (05) أن النتائج المحصل عليها جاءت معارضة للفرضية التي مفادها أن: طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي لدى موظفي بلدية سيدي خويلد (ورقلة) سلبية إذ كشفت نتائج المعالجة الإحصائية عن طريق حساب التكرارات لاستجابات أفراد العينة على فقرات الاستبيان أن موظفي البلدية عينة الدراسة محل الدراسة في حالة دخولهم في صراع العمل يلجئون إلى اتخاذ وتبني استجابات ايجابية حيث كانت تكرارات الاستجابة في البديل (نعم) كانت (47.30%) وهي الأكبر مقارنة بالبدلين (لا) كانت (28.52%) و أحيانا كانت (24.18%) وكذلك تكرارات الاستجابة السلبية في البديل (لا) كانت (51.50%) ،وهي الأكبر مقارنة بالبدلين (نعم) كانت (23.43%) وأحيانا كانت (25.07%) ،وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (ميسون 2017، ص، 05) حيث توصلت إلى وجود تنوعا واضحا في استراتيجيات إدارة الصراع ومنه يمكن القول : أن عينة الدراسة يستجبون بطريقة إيجابية إذ هم دوما في سعي لتحقيق أكبر قدر من التوافق ،ومحاولة تبني طريقة ايجابية لحل نزاعات العمل ومواقفه المجهدة ،وذلك من خلال العمل على تكوين علاقات جيدة مع من يحيطون بهم من الزملاء والرؤساء في العمل ومن هنا يتضح أن موظفي البلدية يمتلكون الخبرة وليس بالضرورة الاقدمية والمهارة اللازمة التي تؤهلهم إلى حسن التعامل مع ما يلاقونه من صراعات ونزاعات داخل العمل ،وهذا يعني أن الموظفين رغم أنهم يؤدون عدد من الأدوار (موظف ،أب ،أخ ،صديق ...إلخ) ،إلا أنهم يقومون بالتكيف مع الأوضاع الراهنة ،أما عن الموظفين، والذين يقومون بالاستجابات السلبية ،قد يعود ذلك إلى ضغوط المهنية والنفسية حيث نجد الكثير منهم يعملون في إطار عقود ما قبل التشغيل أو الإدماج المنهي أو عقود محددة المدة رغم أن أغلبيتهم لديهم شهادات وإجازات تمكنهم أن يكونوا مثبتين في مناصب عمل دائمة ،ورغم العمل المتميز الذي يقدمونه للمجتمع ،ولكن الضغوط التي يمارسها عليهم المواطنون وكذلك رؤساء العمل خاصة موظفي الحالة المدنية .

ويجدر بالذكر كذلك مدى تأثير قلة وسائل العمل ،فمازالت معظم المكاتب بدائية تفتقر إلى الوسائل التي تساعد على العامل على أداء مهامه ،وكذلك لتدني شبكة الأجور وتأخرها في أغلب الأحيان ،وقلة فرص الترقية والتكوين وإذا ما رجعنا إلى الواقع المعاش فنجد أن هذه الأجور لا تكفي إلى أقل ضروريات الحياة ،فهذه العوامل مجتمعة ،قد تضطر بعض الموظفون إلى اللجوء للاستجابات السلبية ويمكن القول إن معظم المشكلات التي تسبب الاستجابة السلبية داخل المنظمة تعود إلى سوء الفهم أو انعدام وضوح المهام الموكلة للموظفين والغموض في المسؤوليات وتظهر من خلال سلوكيات وتصرفات العمال كممارسات لسلوك مضاد يعكس وجود الصراع ويتم التعبير إما لفظيا أو كتابيا أو حتى بالاعتداء الجسدي لأن معظم الخلافات التي يقع فيها الكثير من الموظفين والمسئولين في ممارساتهم اليومية بسبب عدم إتباعهم المبادئ المتعارف عليها في الإدارة والتنظيم وبسبب الكثير من الضغوط وفقدان السيطرة والرقابة ،وكذلك سوء الفهم أو عدم وضوح خطوط الاتصال وقنواته فيترتب عن ذلك ضعف الروح المعنوية للموظفين وشعورهم بالانعزالية ،كما قد تتسبب الاتصالات غير الرسمية في إحداث شقاق وسوء فهم للرسالة خاصة إذا كانت المعلومات المنقولة معممة وليست من مصدر رسمي ،ويمكن إرجاعها لعدم مشاركة الموظفين في اتخاذ القرارات لإدارية وضعف الاستشارات والاتصالات وهذا ما ينعكس على نفسية الموظفين مما قد يؤدي لعدم الرضا عن العمل والزملاء والرؤساء وشعور بعدم الانتماء لجماعات العمل.

وهذا ما تؤكده مدرسة العلاقات الإنسانية حيث تنظر "بأن الصراع حالة طبيعية لا يمكن التخلص منه ولا يمكن تجنبه فهو وليد ظروف وأوضاع في المنظمة ويعتبر عنصر فعال في التغيير وعليه فالصراع يفيد المنظمة على أنه أساس التقدم والإبداع لتشجيعه على مبادرة الخلاقة وتطويره للأفكار الجيدة التي من شأنها أن تجعل المنظمة متطورة ومتكيفة مع المتغيرات من حولها"(الفريجات ،2009،ص، 315) ،ويشير معظم الباحثين والكتاب الذين تناولوا موضوع الصراع التنظيمي منهم "غياث بوفلجة ،وسلمان العميان" أن الصراعات ليست كلها في مستوى واحد من الخطورة فالمستويات المرتفعة من الصراع التنظيمي ضارة، لأنها تصيب التعاون وتعيق المنظمة على تحقيق أهدافها أما المستويات المنخفضة من الصراع التنظيمي هي المطلوبة لأنها في صالح المنظمة وتساهم في خلق جو من المنافسة والتقدم والإبداع بينما يؤدي انعدامه بالمنظمة إلى الجمود والخمول (العميان ،2008 ،ص، 363)

وتتفق نتائج هذه الفرضية في أن الموظفين يفضلون استعمال الاستجابات الايجابية مع دراسة "بيانشي 2004" التي قام بها على ممرضي في وحدة العناية القلبية الوعائية حيث أوضحت نتائج الدراسة أن عينة

الدراسة تستخدم استجابات إيجابية متعددة لمواجهة صراعات العمل من بينها أسلوب حل المشكلة وكذلك أسلوب التجنب وهي من بين الاستجابات التي يستخدمها موظفو بلدية سيدي خويلد ورقلة (2019) كما تتفق هذه النتائج مع دراسة "لازروس وفولكمان "بأن الفرد يميل إلى استعمال مختلف الأساليب وفقا لسياق المشكل الذي يواجهه وخصائصه ووفقا لشخصيته" (بوظريفة وآخرون ،2008) ،كما اختلفت نتيجة هذه الدراسة مع ما توصلت إليه دراسة (صالح جميلة وآخرون ،2015،ص، 112) أن مستوى الصراع التنظيمي مرتفع وأن أسلوب المواجهة وقوة حل الصراع قد بلغت (3.06) والنتائج التي تم التوصل إليها تشير إلى أنه يوجد صراع تنظيمي بنسبة منخفضة وهذا ما ينعكس إيجابيا على المنظمة.

2- عرض وتحليل ومناقشة نتائج الفرضية الثانية: توجد فروق في طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي باختلاف الحالة العائلية (أعزب، متزوج)

بعد تفريغ البيانات ثم تحليلها إحصائيا والحصول على النتائج كما توضحها الجدول التالي:

جدول رقم (06) يوضح قيمة "ت" بين المتزوجين والعزاب

المؤشر الإحصائي	متزوج (ن=47)		أعزب (ن=75)		درجة الحرية	ت المحسوبة	ت المجدولة	مستوى الدلالة	القرار
فرق الاستجابة باختلاف الحالة العائلية	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	120	0.20	1.96	0.05	غير دالة
	50.25	3.69	48.52	4.22					

من خلال الجدول (06) يتبين عدم وجود فروق في طبيعة الاستجابة للموظفين المتزوجين والعزاب، حيث كانت قيمة "ت" المحسوبة (0.20) وهي أقل من قيمة "ت" المجدولة والمقدرة ب (1.96) عند درجة الحرية (120) عند مستوى الدلالة (0.05) ومنه تم رفض الفرضية.

ويمكن تفسير هذه النتيجة بأن الموظفين في البلدية عينة الدراسة وإن اختلفت حالتهم الاجتماعية سواء كانوا متزوجين أو عزاب فهم يقومون بنفس المهام والأعمال ما جعل الفروق لا تظهر بشكل واضح فالعامل في كل الأحوال هو من يقوم بالأعمال لضمان سير العمل والتحلي بروح المسؤولية وإتقان العمل ،ويمكن إرجاع ذلك إلى العلاقات الاجتماعية الجيدة في العمل بين جميع الموظفين وكذلك وجود فترات راحة طويلة نسبيا مابين الفترة الصباحية والمسائية والتي (02) ساعة تجعل كل من العزاب والمتزوجين يأخذون قسط من الراحة واسترجاع إمكانياتهم المهنية وكذلك قيام المتزوجين بأداء المهام الأخرى مثل الاعتناء بمتطلبات الأسرة ففترات العمل ليست كثيرة مقارنة بأعمال أخرى تقلل من ظهور اختلاف في طبيعة الاستجابة بين العزاب والمتزوجين وكذلك صعوبة الحصول على منصب عمل في ظل انتشار البطالة وقلة عروض العمل وعليه يجد الموظفين أنفسهم مرغمين على تفهم الظروف المهنية ومحاولة التكيف والتعامل معها بإيجابية.

وتتفق نتائج هذه الفرضية مع ما توصلت له دراسة (فروانة وعباس ،2018 ،ص، 38) ،أنه لا توجد فروق بين الصراع الوظيفي والمنافسة وعلاقته بسير العمل تعزى للمتغيرات الشخصية ،كما يمكن أن تفسر هذه النتيجة بوجود السند الاجتماعي حيث تتفق هذه الدراسة مع نتائج دراسة كل من "فيشير و ليبور (1994) و"فايد" (2000) إلى أن السند الاجتماعي مصدر مهم لمواجهة صراعات العمل حيث يتزود الفرد بالدعم الاجتماعي من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية التي تضم في الغالب كل من الأسرة والأصدقاء وزملاء العمل وان السند الاجتماعي يلعب دورا في تخفيف من صراعات العمل عن طريق التواصل الاجتماعي الجيد والعلاقات الاجتماعية المرنة.

3- عرض وتحليل ومناقشة نتائج الفرضية الثالثة: توجد فروق في طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي باختلاف الجنس (ذكر، أنثى)

بعد تفريغ البيانات ثم تحليلها إحصائيا والحصول على النتائج كما توضحها الجدول التالي:

جدول رقم (07) يوضح قيمة "ت" بين الموظفون الذكور والموظفات الإناث

المؤشر الإحصائي	ذكور (ن=52)		إناث (ن=70)		درجة الحرية	ت المحسوبة	ت المجدولة	مستوى الدلالة	القرار
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري					
فرق الاستجابة باختلاف الجنس	50.64	3.86	47.64	3.98	120	0.35	1.96	0.05	غير دالة

من خلال الجدول رقم (07) يتبين عدم وجود فروق في طبيعة الاستجابة للموظفين الذكور، والموظفات الإناث حيث كانت قيمة "ت" المحسوبة (0.35) وهي أقل من قيمة "ت" المجدولة والمقدرة ب (1.96) عند درجة الحرية (120) عند مستوى الدلالة (0.05) ومنه تم رفض الفرضية.

يتضح من نتيجة هذه الفرضية أن متغير الجنس لم يكن له تأثير على طبيعة الاستجابة لصراع التنظيمي ،وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه دراسة (لاقور خامسة وأخرون ،2019،ص، 38) إلى أن جنس العامل لا يؤثر في كفاءته في إدارة الصراع التنظيمي ،وكذلك دراسة (فروانة وعباس ،2018،ص، 38) ،حيث توصلت إلى وجود درجة متوسطة من الصراع الوظيفي والمنافسة على سير العمل وأنه لا توجد فروق بين الصراع التنظيمي والمنافسة وعلاقته بسير العمل تعزى للمتغيرات الشخصية ،حيث كان يتوقع هناك فروق في طبيعة الاستجابة وذلك من خلال الخصائص الفيزيولوجية، وطبيعة الموظفين الذكور ،حيث أنهم في أغلب الأحيان قد تكون لدبهم استجابة سلبية ،خاصة من حيث عدم رضاهم عن الأجر بدرجة أكبر من الموظفات الإناث ،ويمكن تفسير هذه النتيجة أن البلدية محل الدراسة تخضع عمالها لقوانين وسلوكيات مهنية يتقيد بها الجميع دون تمييز ،وعليه تمكن المرأة من تكتسب الشخصية المهنية ،وأصبحت لها القدرة على تحمل نزاعات وصراعات وضغوط العمل.

ويمكن ارجع الأمر كذلك إلى أن نفس مواقف الصراع التي يتعرض لها الذكور نفسها تتعرض لها الإناث ويقومون بنفس المهام والأعمال والترقيات توزع على المصالح والأفراد بحسب نوع الوظيفة لا نوع الجنس، وهذا ما أقرته دراسة (سارة مقراب ،2019،ص:1) ،كما عارضت هذه النتائج النظرة التقليدية التي ترى بأن

الإناث يتميزن بالحساسية الشديدة ،ولا يصلحن لمناصب قيادية لكثرة الصراعات التي تكون بينهم وبين غيرهم من الموظفين الذكور

وإن الفروق الطفيفة الملاحظة بين الجنسين في الدراسة الحالية موظفو بلدية سيدي خويلد ورقلة إنما تدل على تشابه الظروف النفسية والاجتماعية والمهنية لهم في كثير من الأحيان وما لوحظ من اختلاف لدى عينة الدراسة قد يعود إلى أن الإناث يكثرن من التجمعات أثناء العمل ،وكثرة النقاشات والخلافات الواقعة فالعلاقات التي تسود جماعة العمل ما هي إلا صدى لاختلاف وجهات النظر بين صراع الدور والمسؤوليات، وكذلك غموض في المهام الموكلة إليهن .

توصيات واقتراحات الدراسة:

إن النتائج التي تم التوصل إليها في هذه الدراسة تبقى غير كافية، وشاملة لموضوع طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي الذي يعتبر موضوعا متشعبا ومتفرعا كثيرا، وكذلك لانتشاره في المنظمات، وعلى جميع مستوياتها لذلك توصي هذه الدراسة بما يلي:

– فتح المجال للبحث في هذا الموضوع وكذلك بعدم نفي وجوده على مستوى الفئة المستهدفة بالدراسة لأن ذلك ما يلجا إليه العديد من العمال والموظفين، المدراء والمسيرين؛

– الفهم الجيد لموضوع الصراع التنظيمي ودرجة تأثيره على المنظمة، والأفراد العاملين فيها؛

– ضرورة الاعتماد على الصراع التنظيمي في شقه المفيد لخلق جو من المنافسة مما يؤدي بالعمال إلى التطوير والإبداع ولكن في درجاته المعقولة؛

– الاهتمام بالسلوك الإنساني داخل منظمات العمل وذلك عن طريق إدارة الموارد البشرية.

قائمة المراجع:

– الفريجات ،خضير كاظم حمود وآخرون. (2009) .**السلوك التنظيمي** . عمان الأردن. دار الإثراء للنشر والتوزيع : ط1. – العميان ، سلمان . (2008) . **السلوك التنظيمي في المنظمات الأعمال** . عمان الأردن . دار وائل للنشر : ط4.
– الفقعاوي ، ميسون إسماعيل محمود . (2017) . **استراتيجيات إدارة الصراع التنظيمي وأثرها على الأداء الوظيفي** . مصر رسالة ماجستير إدارة أعمال جامعة الأزهر .

- بنت علي الشريف ، نجلاء . (1997) ،**الصراع التنظيمي في المؤسسات الأكاديمية السعودية دراسة تطبيقية** . السعودية ،رسالة ماجستير جامعة الملك عبد العزيز

- بعلي، محمد الصغير . (2004) ،**قانون الادارة المحلية الجزائرية** . الجزائر . دار العلوم للنشر والتوزيع .

- بوعلاق ،محمد. (2009). **الموجه في الإحصاء الوصفي والاستدلال في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية**. الجزائر: دار الأمل لطباعة والنشر والتوزيع.

- بوفلجة، غياث . (1984م) . **مقدمة في علم النفس التنظيمي** . الجزائر . ديوان المطبوعات الجامعية: ط1.

- بوظريفة ، حمو وآخرون ،(2008م) . **المجلة النفسية والاجتماعية والصحية** . جامعة الجزائر . مخبر الوقاية والأرغونوميا.

- بن موسى، طارق . (2006) . **الصراعات التنظيمية وأساليب التعامل معها دراسة لوجهات نظر ضباط المديرية العامة للجوازات** . السعودية ، رسالة ماجستير ،جامعة نايف للعلوم الأمنية.

- حلمي ، فارس . (1999م) . **المدخل إلى علم النفس الصناعي والتنظيمي** . القاهرة مصر . دار الفكر العربي : ط1.

- عبيدات ، محمد، وآخرون.(1999). **منهجية البحث العلمي والقواعد والمراحل والتطبيقات**. عمان. دار وائل للطباعة والنشر: ط 2.

- حامد ، محمد وآخرون . (2019) . **علاقة القيادة التحويلية بإدارة الصراع التنظيمي** ،مجلة العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية ، المجلد 12 العدد 01

- عبد المجيد ، مروان إبراهيم.(2000). **أسس البحث العلمي للإعداد الرسائل الجامعية**. عمان. مؤسسة الوراق.

- سعد، عبد الرحمن. (1998). **القياس النفسي بين النظرية والتطبيق**. الأردن .دار الفكر العربي: ط3.

- شلابي ، وليد. (2017). **دور الولاء التنظيمي في تنمية سلوك المواطنة**. مصر: دار التعليم الجامعي.

- صالح ، جميلة وآخرون . (2015) . **الصراع التنظيمي وأثره في تحقيق الرضا الوظيفي** . مجلة العلوم الاقتصادية المجلد 16 ،العدد 01

- فان دالين ديوبولد. ب، فان دالين، ترجمة محمد نبيل نوفل وآخرون.(2003). مناهج **البحث في التربية وعلم النفس**.القاهرة : مكتبة أنجلو مصرية.

- فراونة وعباس . (2018) . **أسباب المنافسة والصراع الوظيفي بمستشفيات وزارة الصحة في غزة واستراتيجيات الحد منها** . مجلة النماء للاقتصاد والتجارة العدد 03

- لاقور خامسة ،بن جيمة عمر . (2018) . **إدارة الصراع في تحسين الأداء الوظيفي للعاملين** . مجلة البشائر الاقتصادية ،مجلد 04 العدد 3

- مصيلحي العزب ، سلوى سعيد السيد . (2009) . **إدارة الصراع** . مصر . كلية التجارة و إدارة الأعمال : جامعة حلوان

- مقراب ، سارة . (2019) . **أنماط إدارة الصراع التنظيمي وأثرها في تحقيق الرضا الوظيفي** . مجلة الاقتصاد الجديد المجلد 10، العدد 02

- الملاحق :

استبيان طبيعة الاستجابة للصراع التنظيمي لدى موظفي الإدارة المحلية

1- البيانات العامة

- الجنس : ذكر أنثى
- الحالة العائلية : أعزب متزوج

الرقم	الفقرات	نعم	أحيانا	لا
01	أدخل في ملسنات مع كل من تدخل في عملي من الزملاء			
02	أبادر بالتعدي الجسدي إذا استفزني أحد الزملاء في العمل			
03	أتعصب لرأي عند الاختلاف في الآراء مع الزملاء وإن أدى ذلك لقطع العلاقة معهم			
04	أدعو من كنت على خلاف معه لتناول القهوة معا وقد نسيت ما حدث			
05	تراودني فكرة الاستقالة كلما علق رئيسي على الأعمال التي أقوم بها			
06	أدخل في شجار مع رئيسي في العمل دون أن أهتم بالنتائج			
07	أمارس الرياضة لأنسى خلافات العمل			
08	تبقى أثار خلافات العمل بادية علي حتى بعد خروجي منه			
09	أتفهم مع زملائي العمل قبل البدء في حلها			
10	يتجنبني زملائي في العمل أني كثير الخلافات معهم			
11	أسارع لتقديم المساعدة لزميلي وإن كنت لست على وفاق معه			
12	أخالف القانون الداخلي للمؤسسة كلما دخلت في خلاف			
13	يصعب علي البقاء ساكنا كلما اختلفت مع زملاء العمل			
14	تجعلني المضايقات التي أتعرض لها في العمل أتقن عملي لأثبت مهارتي			
15	أنسى خلافات العمل مباشرة بعد الخروج منه			
16	أفضل عدم مغادرة مكان العمل حتى في وجود خلاف مع أحد الزملاء			
17	أتصرف بعقلانية في حالة نشوب شجار مع الزملاء			
18	أعمل مع زملاء لست على وفاق معهم إذا طلب مني رئيسي ذلك			
19	أتمنى مرور الوقت بسرعة كلما دخلت في خلاف لمغادرة مكان العمل			
20	اضطر لتسامح مع الزملاء حفاظا على علاقتي معهم			
21	أسيئ التصرف مع أسرتي عند تعرضي لنرفزة في العمل			
22	أتعامل مع من دخلت معه في خلاف بجفاء حتى خارج العمل			

فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري.

د/ بوعموشة نعيم.

جامعة محمد الصديق بن يحي – جيجل – الجزائر.

ملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على تصورات فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري، من خلال دراسة عينة من المواطنين ببعض الولايات الجزائرية. ولتحقيق هذا الهدف تمت الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما هي تصورات المواطن الجزائري نحو فيروس كورونا (كوفيد 19)؟
- ما هي أسباب انتشار فيروس كورنا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري؟
- ما هي الإجراءات المتخذة للوقاية من فيروس كورونا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري؟

وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي، وأداة الاستبيان لجمع البيانات من المبحوثين الذين قدر عددهم بـ 130 مواطن (ة). وقد توصلت الدراسة إلى أن هناك اختلاف لتصورات فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري، ويظهر ذلك أساسا في: اختلاف تصورات المواطن الجزائري نحو فيروس كورونا (كوفيد 19)، تعدد أسباب انتشار فيروس كورنا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري، تعدد الإجراءات المتخذة للوقاية من فيروس كورونا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري.

الكلمات المفتاحية: فيروس كورونا، كوفيد 19، الأوبئة، التصورات، المواطن الجزائري.

Abstract:

This study aimed to identify the perceptions of the Corona virus (Covid 19) in the social imagination of the Algerian citizen, by studying a sample of citizens in some Algerian states. To achieve this goal, the following questions were answered:

- What are the perceptions of the Algerian citizen towards the Corona virus (Covid 19)?
- What are the causes of the spread of Corna virus (Covid 19) from the point of view of the Algerian citizen?
- What are the measures taken to prevent Corona virus (Covid 19) from the point of view of the Algerian citizen?

The researcher used the descriptive method and the questionnaire tool to collect data from the respondents, who numbered 130 citizens. The study concluded that there is a difference in the perceptions of the Corona virus (Covid 19) in the social imagination of the Algerian citizen, and this appears mainly in: The different perceptions of the Algerian citizen towards the Corona virus (Covid 19), the multiple causes of the spread of the Corona virus (Covid 19) from the

citizen's point of view Algerian, there are multiple measures taken to prevent Corona virus (Covid 19) from the perspective of the Algerian citizen.
Key words: Corona virus, Covid 19, Epidemics, Perceptions, Algerian citizen.

1. مقدمة:

تعد الأوبئة والأمراض واحدة من المشاكل الصحية التي بات العالم يواجهها اليوم، كونها تعتبر من بين الأسباب الرئيسية للوفيات في العالم، ويبدو أن معدل الإصابة بها خلال السنوات الأخيرة في تسارع مستمر. فمشكلة معاودة ظهور الأمراض الوبائية بعد اختفائها مدة طويلة من الزمن، وظهور أنواع جديدة من الأمراض يثير العديد من التساؤلات. فبعد فيروس سارس في سنة 2002 وانفلونزا الخنازير في سنة 2009 وفيروس ميرس في 2012 وفيروس إيبولا في 2014، هاهو فيروس جديد يكتسح العالم بشكل سريع مند ظهوره في مدينة ووهان الصينية في شهر ديسمبر 2019 والمسمى بفيروس كورونا (كوفيد 19). وقد صنفته منظمة الصحة العالمية في 11 مارس 2020 كجائحة، حيث ينتقل هذا الفيروس بين البشر من الشخص المصاب بالعدوى إلى شخص آخر عن طريق المخالطة القريبة دون حماية، وقد ارتفع معدل انتقاله مند منتصف شهر جانفي 2020 حيث اجتاح العديد من دول العالم بما فيها الجزائر التي سجلت أول إصابة به في 25 فيفري 2020 واستمر عدد الإصابات والوفيات بهذا الفيروس في الارتفاع تدريجيا يوما بعد يوم. وعليه فإن جائحة فيروس كورونا (كوفيد 19) تعد من أخطر الأمراض في تاريخ البشرية، نظرا لعجز المخابر والهيئات الطبية عن إيجاد علاج أو مصل له في مختلف دول العالم، ما جعله يحصد أرواح الآلاف من البشر يوميا.

ومن هذا المنطلق فإن التصورات حول هذا الفيروس تشكل أحد المواضيع الهامة والجديرة بالدراسة، فالتصورات هي ذلك الانطباع الذي يحمله الفرد أو يعطيه لمختلف الظواهر التي يعيشها ويعمل على تفسيرها وفق المعرفة العامية التي اكتسبها عبر مراحل حياته وتستمر مع وجوده. فالملاحظ أن الأفراد يختلفون في تصوراتهم حول فيروس كورونا المستجد ومسبباته وردود أفعالهم نحوه والتي تظهر في سلوكاتهم وتصرفاتهم الوقائية. حيث نجد أن هناك نوعا من القصور الغموض لدى المواطن الجزائري حول هذا الفيروس نظرا لقلة المعلومات وتضارب الآراء حول مسبباته وطرق انتقاله وكيفية الوقاية منه. لدا ارتأى الباحث في هذه الدراسة محاولة تقصي تصورات فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري.

2. الإطار العام للدراسة:

1.2. إشكالية الدراسة:

إن تحقيق الصحة يعتبر أمر صعب المنال لأنها ترتبط بأمور كثيرة خارجة عن نطاق الفرد، بدءا من الظروف المحيطة بالإنسان وصولا إلى الأمور الغيبية المتعلقة بالابتلاء والجزاء، أو القضاء والقدر. إلا أن هذا لا ينفي محاولات الانسان مند وجوده للحفاظ على صحته، ولعل خير دليل على ذلك تطوير الأدوية واللقاحات والتجهيزات الطبية في سبيل ضمان الرعاية والسلامة الصحية الأمثل للأفراد، رغم ذلك لا تزال هناك العديد من الأمراض التي يقف العلم حائرا أمامها وعاجزا عن اكتشاف علاج لها، وتبقى في أغلب الأحيان الوقاية هي السبيل الوحيد للحد منها ومنع انتشارها.

ومن بين أخطر الأمراض التي عرفتها البشرية وأشدها فتكا، والتي ظهرت خلال العشرين سنة الماضية فيروس سارس أو ما يعرف بالمتلازمة التنفسية الحادة الذي ظهر بين سنتي 2002 و2003 وتسبب في مقتل أكثر من 774 شخص، وإنفلونزا الخنازير التي ظهرت بين عامي 2009 و2010 في الولايات المتحدة والمكسيك ثم انتقلت للعديد من دول العالم وأودت بحياة نحو 200 ألف شخص، وفيروس ميرس سنة 2012 الذي أدى إلى مقتل 828 شخصا، وإيبولا بين عامي 2014 و2016 الذي انتشر في العديد من البلدان الافريقية وبعض دول العالم مخلفا أكثر من 11 ألف ضحية. وصولا إلى فيروس كورونا المستجد (كوفيد 19) الذي ظهر في مدينة ووهان الصينية شهر ديسمبر 2019 والذي انتقل بشكل سريع للعديد من دول العالم، حيث وقف الخبراء والأطباء عاجزين أمامه ولا يزالون إلى حد الآن يحاولون فهم طريقة تطوره وانتقاله وتأثيره على المصاب، ولم يستطيعوا إيجاد علاج أو لقاح فعال ضده. وقد وصل عدد المصابين بهذا الفيروس في العالم إلى أكثر من مليونين و200 شخص، ووفاة ما يزيد عن 150 ألف شخص مند بدأ تفشي الوباء إلى غاية منتصف شهر أفريل 2020[1]. أما في الجزائر فقد تم تسجيل 3256 حالة مصابة بفيروس كورونا خلال شهرين؛ أي مند تسجيل أول حالة في 25 فيفري 2020 إلى غاية 25 أفريل 2020، ووصل العدد الإجمالي للوفيات إلى 419 وفاة، في حين تماثل 1479 شخصا مصابا بالفيروس إلى الشفاء، بينما تخضع 5644 حالة للعلاج أغلبها تخضع للبروتوكول العلاجي بالكلوروكين الذي أقرته وزارة الصحة مند 23 مارس 2020 وأظهر نتائج مشجعة إلى حد ما.[2]

فمند ظهور أول حالة بفيروس كورونا (كوفيد 19) في الجزائر وبدأ تفشي هذه الجائحة تدريجيا عكفت الدولة الجزائرية على اتخاذ العديد من الإجراءات التي من شأنها منع انتشار هذا الوباء، وذلك بحث

[1] https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/3/23/وباء-كورونا-التطورات-على-مدار-الساعة , 17/04/2020, 10:10h.
[2] https://ar.wikipedia.org/wiki/2020_جائحة_فيروس_كورونا_في_الجزائر, 25/04/2020, 23:20h.

المواطنين على إتباع قواعد السلامة والنظافة والتباعد الاجتماعي وصولا للحجر الصحي، وذلك بناء على التجارب الماضية في التعامل مع الأوبئة وعملا بتوصيات منظمة الصحة العالمية. وبطبيعة الحال تبقى هذه الإجراءات متباينة التطبيق بين منطقة وأخرى، خاصة وأن هذا الفيروس المستجد يبقى مجهول في ذهن المواطن الجزائري ولا يعلم عنه الكثير وعن كيفية انتشاره والوقاية منه، في ظل المستوى الثقافي المحدود لدى بعض المواطنين والتعصب الفكري لدى البعض الآخر الذين يتعاملون مع هذه الجائحة انطلاقا من مبدأ القضاء والقدر. وعلى هذا الأساس تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة على التساؤل الرئيسي التالي: ما هي تصورات فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري؟.

ويندرج تحت هذا التساؤل التساؤلات الفرعية التالية:

- ما هي تصورات المواطن الجزائري نحو فيروس كورونا (كوفيد 19)؟
- ما هي أسباب انتشار فيروس كورنا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري؟
- ما هي الإجراءات المتخذة للوقاية من فيروس كورونا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري؟

2.2. فرضيات الدراسة:

1.2.2. الفرضية الرئيسية:

- تختلف تصورات فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري.

2.2.2. الفرضيات الفرعية:

- تختلف تصورات المواطن الجزائري نحو فيروس كورونا (كوفيد 19).
- تتعدد أسباب انتشار فيروس كورنا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري.
- تتعدد الإجراءات المتخذة للوقاية من فيروس كورونا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري.

3.2. أهمية الدراسة:

تنبثق أهمية الدراسة من أهمية موضوعها، إذ يعد موضوع تصورات فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري من الموضوعات الهامة والجديرة بالدراسة والبحث، وخاصة أنه يعد موضوع الساعة وأخذ اهتماما واسعا منذ ظهوره لأول مرة في الصين شهر ديسمبر 2019 وانتقاله للعديد من دول العالم من بينها الجزائر نهاية شهر فيفري 2020، وذلك أن نظرة المواطن الجزائري نحو فيروس كورونا (كوفيد 19) لا تزال محل تعارض وتناقض، ومن ثم فإن الاطلاع على التصورات التي يحملها المواطن نحو هذا الفيروس وأسباب انتشاره وطرق الوقاية منه يفيدنا في رسم إستراتيجية شاملة من أجل

نشر الثقافة الصحية في وسط المجتمع الجزائري، واستبدال السلوكيات غير الصحية المؤدية إلى الإصابة بالفيروس بسلوكيات صحية إيجابية.

4.2. أهداف الدراسة:

يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة إلى التعرف على صورة فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري كهدف رئيسي، كما تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- التعرف على تصورات المواطن الجزائري نحو فيروس كورونا (كوفيد 19).
- التعرف على أسباب انتشار فيروس كورنا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري.
- التعرف على الإجراءات المتخذة للوقاية من فيروس كورونا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري.

5.2. مفاهيم الدراسة:

1.5.2. التصورات:

يعرف التصور بأنه "إدراك الأمور إدراكا مجملا، ولامساك بناصية الأمور بصورة عامة".[1]

كما يعني التصور "الصورة العقلية المنتجة بواسطة بعض الوحدات اللفظية".[2]

فالتصور هو "حصول صورة الشيء في العقل، أو إدراك ماهية الشيء من غير أن يحكم عليه بنفي ثبات، فهو يعني الأفكار المجردة العامة أو الكلية، فالتصور فكرة بمعنى أن وجوده ذهني وهو فكرة مجردة من مقابل الدرك الحسي أو الصورة الحسية، وفكرة كلية بمعنى أنها تنطبق على عدد من الأفراد من ناحية الصفات التي تدل عليها".[3]

التعريف الإجرائي: يقصد بالتصورات في هذه الدراسة مجموعة استجابات المبحوثين للعبارات التي يتضمنها الاستبيان والتي توضح تصوراتهم حول فيروس كورونا (كوفيد 19) وأسباب انتشاره والإجراءات المتخذة للوقاية منه.

---

[1] حسن شحاتة وزينب النجار، **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2003، ص106.

[2] مجدي عزيز إبراهيم، **معجم مصطلحات ومفاهيم التعليم والتعلم**، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2009، ص324.

[3] سامية بورنان، **التصورات الاجتماعية للمرض العقلي لدى عينة من الطلبة الجامعيين دراسة ميدانية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة**، مذكرة ماجستير في علم النفس تخصص علم النفس المرضي الاجتماعي (غير منشورة)، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2007/2006، ص10.

2.5.2. فيروس كورونا (كوفيد 19):

لا يوجد تعريف دقيق لمصطلح فيروس كورونا (كوفيد 19) باعتبار الاصطلاح جديد تم تداوله لأول مرة في مدينة ووهان الصينية مند شهر ديسمبر 2019. وسيتم هنا عرض بعض التعريفات المقدمة لهذا المصطلح:

"يعد فيروس كورونا Coronavirus أحد الفيروسات الشائعة التي تسبب عدوى الجهاز التنفسي العلوي، والجيوب الأنفية، والتهابات الحلق. وفي معظم الحالات لا تكون الإصابة به خطيرة باستثناء الإصابة بنوعَيه المعروفين بمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية (MERS) الذي ظهر في 2012 والمتلازمة التنفسية الحادّة الوخيمة (SARS) الذي ظهر في 2003 بالإضافة إلى النوع المستجد الذي ظهر في الصين في نهاية 2019."[1]

"ويشتق اسم "coronavirus" (عربيا: فيروس كورونا. اختصارا CoV) من (باللاتينية: corona) وتعني التاج أو الهالة، حيث يشير الاسم إلى المظهر المميز لجزيئات الفيروس (الفريونات) والذي يظهر عبر المجهر الإلكتروني، حيث تمتلك خُملًا من البروزات السطحية، مما يُظهرها على شكل تاج الملك أو الهالة الشمسية".[2]

وحسب منظمة الصحة العالمية فيروسات كورونا هي "فصيلة فيروسات واسعة الانتشار يعرف أنها تسبب أمراضا تتراوح من نزلات البرد الشائعة إلى الأمراض الأشد حدة، مثل متلازمة الشرق الأوسط التنفسية (MERS) ومتلازمة الالتهاب الرئوي الحاد الوخيم (السارس). وفيروس كورونا المستجد (nCoV) هو سلالة جديدة من الفيروس لم يسبق اكتشافها لدى البشر. وفيروسات كورونا حيوانية المنشأ، أي أنها تنتقل بين الحيوانات والبشر. وقد خلصت التحريات المفصلة إلى أن فيروس كورونا المسبب لمرض سارس (SARS-CoV) قد انتقل من قطط الزباد إلى البشر وأن فيروس كورونا المسبب لمتلازمة الشرق الأوسط التنفسية (MERS-CoV) قد انتقل من الإبل إلى البشر. وتشمل علامات العدوى الشائعة: الأعراض التنفسية والحمى والسعال وضيق النفس وصعوبات التنفس. وفي الحالات الأشد وطأة قد تسبب العدوى الالتهاب الرئوي والمتلازمة التنفسية الحادة الوخيمة والفشل الكلوي وحتى الوفاة".[3]

---

[1] https://www.moh.gov.sa/awarenessplateform/VariousTopics/Pages/COIVD-19.aspx, 18/04/2020, 13:20h.
[2] https://ar.wikipedia.org/wiki/فيروس_كورونا, 18/04/2020, 13:05h.
[3] https://www.who.int/ar/health-topics/coronavirus, 18/04/2020, 13:15h.

3.5.2. المرض:

يمثل المرض كما وصفته الموسوعة البريطانية "انحرافا ضارا ومؤديا عن البناء الطبيعي أو الحالة الوظيفية للكائن الحي، حيث تظهر عليه عادة علامات وأعراض تدل على أن حالته غير طبيعية، ولذلك يجب فهم الحالة الطبيعية للكائن الحي لكي يمكن التعرف على السمات المميزة لحالة المرض".[1]

كما عرف المرض بأنه "قصور عضو أو أكثر من أعضاء الجسم عن القيام بوظيفته على خير وجه أو اختلال وانعدام التوافق بين عضوين أو أكثر من أعضاء الجسم في أداء وظائفهم".[2]

وعرف المرض أيضا بأنه "خلل أو اضطراب أو إعاقة أو شعور بأعراض غير طبيعية من شأنها تغيير أو إعاقة وظيفة معينة في الجسم من جميع النواحي الجسدية والعقلية والنفسية والاجتماعية بحيث يكون المرض جزءا أساسيا من تغير الوظيفة أو عدم القدرة على أداء المهمات من جميع الجوانب وأدائه لأبسط الحاجات والمستلزمات أو أنه عدم شعور الانسان وحصوله على الراحة الطبيعية التي يحتاجها لأداء مهماته".[3]

انطلاقا من التعاريف السابقة يمكن تعريف المرض بأنه الانحراف عن الحالة الطبيعية للفرد من كافة الجوانب الجسمية والنفسية والعقلية، وقد يؤدي ذلك إلى فقدان الدور الاجتماعي أو إعاقته عن انجاز وظائفه اليومية.

4.5.2. الصحة:

عرفت منظمة الصحة العالمية الصحة بأنها "لا تعني فقط خلو الفرد من الأمراض وإنما هي حالة من التوازن الجسمي والعقلي والنفسي والاجتماعي تمكن الفرد من العيش حياة منتجة اقتصاديا واجتماعيا".[4]

وقد جاء في تعريف بركنز Perkins للصحة أنها "حالة من التوازن النسبي لوظائف الجسم والتي تنتج من تكيف الجسم مع العوامل الضارة التي يتعرض لها للمحافظة على توازنه".[5]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك مجموعة من المفاهيم ذات ارتباط بمصطلح الصحة وهي الوعي الصحي، والتربية الصحية، والتثقيف الصحي والثقافة الصحية. وفيما يلي تعريف لهذه المصطلحات:

---

[1] نجلاء عاطف خليل، **في علم الاجتماع الطبي ثقافة الصحة والمرض**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2006، ص30.

[2] طلعت مصطفى السروجي، ماهر أبو المعاطي، **ميادين ممارسة الخدمة الاجتماعية**، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة، 2008، ص187.

[3] قدري الشيخ علي وآخرون، **علم الاجتماع الطبي**، مكتبة المجتمع العربي، عمان، ط1، 2008، ص99.

[4] سمير أحمد أبو العيون: **الثقافة الصحية**، دار المسيرة، عمان، ط1، 2013، ص19.

[5] نجلاء عاطف خليل، مرجع سابق، ص27.

الوعي الصحي "يقصد به إلمام أفراد المجتمع بالمعلومات والحقائق الصحية، وإحساسهم بالمسؤولية نحو صحتهم وصحة غيرهم من خلال تحويل الحقائق الصحية السليمة إلى عادات سلوكية تمارس بتلقائية دون أدنى تفكير".[1] أما التربية الصحية فهي "عملية تعليم المجتمع كيفية حماية نفسه من الأمراض والمشكلات الصحية من خلال تزويد المواطنين بالخبرات التي تؤثر في أفكارهم وسلوكهم فيما يتعلق بصحتهم تأثيرا ايجابيا".[2] بينما الثقافة الصحية فتعني "ترجمة الحقائق الصحية المعروفة إلى أنماط سلوكية صحية سليمة على مستوى الفرد والمجتمع بهدف تغيير العادات السلوكية غير السليمة ومساعدة الفرد على اكتساب العادات الصحية السليمة والابتعاد عن العادات الصحية الخاطئة".[3] في حين أن التثقيف الصحي هو "عملية توجيه المجتمع لحماية نفسه من الأوبئة والأمراض المعدية ومشاكل البيئة المحيطة به بغرض تحسين صحة الفرد والمجتمع".[4]

3. الإجراءات المنهجية للدراسة:

1.3. مجالات الدراسة:

1.1.3. المجال المكاني: تم إجراء الدراسة الميدانية ببعض الولايات الجزائرية وهي ولاية البليدة، ولاية الجزائر، ولاية جيجل، ولاية قسنطينة، ولاية سطيف.

2.1.3. المجال البشري: ويتمثل في عينة من المواطنين ببعض الولايات الجزائرية، حيث تم تطبيق أداة الدراسة على 130 مواطن (ة)، وقد تم التواصل معهم عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي (الفايسبوك).

3.1.3. المجال الزمني: تم إجراء هذه الدراسة خلال شهر أفريل 2020.

2.3. منهج الدراسة:

يعتبر المنهج الوصفي هو المنهج الأنسب والأكثر ملائمة لهذه الدراسة التي تتناول تصورات فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري. والمنهج الوصفي هو "مجموعة الإجراءات البحثية التي تتكامل لوصف الظاهرة أو الموضوع اعتمادا على جمع الحقائق والبيانات وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها تحليلا كافيا ودقيقا، لاستخلاص دلالتها والوصول إلى نتائج أو تعميمات عن الظاهرة أو الموضوع محل البحث".[5]

---

[1] سمير أحمد أبو العيون، المرجع نفسه، ص23.

[2] طلعت مصطفى السروجي، ماهر أبو المعاطي، مرجع سابق، ص212.

[3] سمير أحمد أبو العيون، المرجع نفسه، ص.ص 22.21

[4] المرجع نفسه، ص22.

[5] سعد سلمان المشهداني، **منهجية البحث العلمي**، دار أسامة، عمان، ط1، 2019، ص126.

3.3. عينة الدراسة وطريقة اختيارها:

قام الباحث في هذه الدراسة باختيار عينة متكونة من 130 مواطن (ة) من مجتمع الدراسة بطريقة قصدية. وقد جاء اختيار هذه العينة حرا من قبل الباحث وحسب طبيعة البحث بحيث يحقق هذا الاختيار هدف الدراسة. وتعرف العينة القصدية بأنها "هي العينة التي يستخدم فيها الباحث الحكم الشخصي على أساس أنها هي الأفضل لتحقيق أهداف الدراسة".[1]

4.3. أداة الدراسة:

قام الباحث في هذه الدراسة باستخدام الاستبيان كأداة لجمع البيانات الميدانية، ويعرف الاستبيان بأنه "أداة تتضمن مجموعة من الأسئلة أو الجمل الخبرية التي يتطلب من المفحوص الإجابة عنها بطريقة يحددها الباحث حسب أغراض البحث"[2]. ولإخراج أداة الدراسة بصورة تجيب عن أسئلة الدراسة قسمها كما يلي:

* الجزء الأول: وتضمن البيانات الشخصية الخاصة بوصف مجتمع الدراسة، والتي يتم من خلالها تحديد هوية وخصائص المبحوثين، وقد تضمن 04 أسئلة.

* الجزء الثاني: وقد تضمن 28 عبارة تمثل تصورات فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري، وقد جاءت موزعة كالتالي:

الجدول رقم (01): يبين توزيع محاور وعبارات الاستبيان

المحور		عدد العبارات	أرقام العبارات كما وردت في الاستبيان
الأول	تصورات المواطن الجزائري نحو فيروس كورونا (كوفيد 19)	09	من 1 إلى 09
الثاني	أسباب انتشار فيروس كورنا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري	07	من 10 إلى 16
الثالث	الإجراءات المتخذة للوقاية من فيروس كورونا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري	12	من 17 إلى 28

[1] محمد خليل عباس وآخرون، **مدخل إلى مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، دار المسيرة، عمان، ط5، 2014، ص229.

[2] عصام حسن الدليمي، علي عبد الرحيم صالح، **البحث العلمي أسسه ومناهجه**، دار الرضوان، ط1، 2014، ص91.

وقد استخدم الباحث لمعرفة تصورات فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري مقياس ليكرت الثلاثي لقياس درجة إجابة المبحوثين على عبارات الاستبيان، كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول رقم (02): يبين البدائل المحتملة للإجابة على عبارات الاستبيان

الاستجابة	غير موافق	محايد	موافق
الدرجة	1	2	3

صدق أداة الدراسة وثباتها:

أ- **صدق أداة الدراسة:** قام الباحث بحساب الصدق الظاهري أو صدق المحكمين، من خلال عرضها بصورتها الأولية على عدة محكمين عددهم 06 أساتذة برتبة أستاذ محاضر قسم أ وأستاذ حيث طلب من كل محكم إبداء رأيه بخصوص مدى وضوح الصياغة، ومدى مناسبة وشمولية وانتماء كل عبارة لمحورها. وفي ضوء ملاحظات المحكمين تم إجراء التعديلات المطلوبة التي اتفق عليها أغلب المحكمين، وقد تركزت ملاحظاتهم في تعديل الصياغة لبعض العبارات وحذف أخرى، وتغيير موضع بعض العبارات في المحور.

ب- **ثبات أداة الدراسة:** تم التأكد من ثبات أداة الدراسة من خلال حساب معامل الثبات ألفا كرونباخ، وقد جاءت النتائج كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول رقم (03): قيم ألفا لمعاملات ثبات الأداة

المحور	**عدد العبارات**	**قيمة ألفا كرونباخ**
الأول	09	0.881
الثاني	07	0.876
الثالث	12	0.889
الاستبيان ككل	28	0.883

يلاحظ من الجدول أن أداة الدراسة تتمتع بدرجة ثبات عالية حيث تراوحت قيم ألفا بين (0.889) في حدها الأعلى للمحور الثالث و(0.876) في حدها الأدنى للمحور الثاني، في حين بلغت قيمة ألفا العام للأداة (0.883) وهي قيم مرتفعة جدا، مما يعني أن معامل الثبات للمحاور مرتفع.

5.3. أساليب المعالجة الإحصائية:

استخدم الباحث في هذه الدراسة برنامج التحليل الإحصائي SPSS لمعالجة البيانات، حيث تم حساب التكرارات والنسب المئوية، وحساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمحاور الاستبيان وعباراته. كما تم حساب معامل ألفا كرونباخ لقياس ثبات أداة الدراسة.

4. تحليل ومناقشة نتائج الدراسة الميدانية:

لقد حددت بدائل الاستجابة أمام كل فقرة ثلاثة مستويات لمعرفة تصورات فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري، بحسب تقديرات فئات العينة وهي: (موافق، محايد، غير موافق). وأعطيت التقديرات الوصفية تقديرات كمية كما يلي: (غير موافق = 1)، (محايد = 2)، (موافق = 3).

كما تم تحويل التكرارات من بيانات تقع بمستوى القياس الاسمي على المقياس الثلاثي، إلى درجات تقع بمستوى القياس الفئوي لتسهيل عملية تصنيفها إلى ثلاثة مستويات بحسب مدى متوسط التكرارات، كما هو موضح في الجدول التالي:

الجدول رقم (04): درجة اتجاه تصورات فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري

مدى الدرجات	1 – 1.66	1.67– 2.33	2.34 – 3
مستويات الاتجاه	غير موافق	محايد	موافق

وسيتم عرض النتائج على مستوى كل فئة على حدة على النحو التالي:

1.4. مناقشة وتفسير نتائج الدراسة المتعلقة بالفرضية الأولى: تختلف تصورات المواطن الجزائري نحو فيروس كورونا (كوفيد 19)

سيتم عرض نتائج استجابات عينة الدراسة حول تصوراتهم نحو فيروس كورونا (كوفيد 19)، على النحو التالي:

الجدول رقم (05): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات فئات عينة الدراسة حول تصوراتهم نحو فيروس كورونا (كوفيد 19)

الترتيب بحسب الاستبيان	تصورات المواطن الجزائري نحو فيروس كورونا (كوفيد 19)	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الإجابة
1	تؤمن بأن الإصابة بفيروس كورونا قضاء وقدر	2.86	0.819	1	موافق
6	المصاب بفيروس كورونا يشكل خطرا داخل المجتمع	2.81	0.862	2	موافق
4	فيروس كورونا يصيب الجهاز المناعي للانسان ويضعفه	2.77	0.884	3	موافق
9	فيروس كورونا هو مرض معد	2.72	0.891	4	موافق
3	حامل فيروس كورونا يستطيع نقل الفيروس للآخرين	2.64	0.963	5	موافق
2	تطلع بشكل مستمر على المستجدات المتعلقة بفيروس كورونا	2.58	0.970	6	موافق
8	حامل فيروس كورونا قد لا تظهر عليه أعراض مرضية	2.45	0.997	7	موافق
5	فيروس كورونا قابل للشفاء	2.30	1.015	8	محايد
7	بمجرد الإصابة بفيروس كورونا يفقد المصاب حياته بسرعة	1.59	1.037	9	غير موافق

يلاحظ من الجدول رقم (05) أن هذا المحور شمل 09 عبارات خاصة بتصورات المواطن الجزائري نحو فيروس كورونا (كوفيد 19)، حيث جاءت تقديرات عينة الدراسة بين (2.86-1.59) وانحراف معياري بين (0.819-1.037). وموزعة على ثلاثة مستويات للتقدير هي:

المستوى الأول: تقديرات ضمن مدى المتوسطات (2.86-2.45)، ومدى انحراف معياري بين (0.819-0.997) وهي تقع ضمن متوسطات التقدير (موافق)، وتشمل (7) عبارات وتشكل 77.78% من عبارات

المحور. حيث احتلت العبارة 1 (تؤمن بأن الإصابة بفيروس كورونا قضاء وقدر) المرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (2.86) وانحراف معياري قدر بـ (0.819)، تليها العبارة 6 (المصاب بفيروس كورونا يشكل خطرا داخل المجتمع) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي بلغ (2.81) وانحراف معياري قدر بـ (0.862)، بعدها العبارة 4 (فيروس كورونا يصيب الجهاز المناعي للانسان ويضعفه) في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي بلغ (2.77) وانحراف معياري قدره (0.884)، ثم العبارة 9 (فيروس كورونا هو مرض معد) في المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي بلغ (2.72) وانحراف معياري قدر بـ (0.891)، تليها العبارة 3 (حامل فيروس كورونا يستطيع نقل الفيروس للآخرين) في المرتبة الخامسة بمتوسط حسابي بلغ (2.64) وانحراف معياري قدر بـ (0.963)، بعدها العبارة 2 (تطلع بشكل مستمر على المستجدات المتعلقة بفيروس كورونا) في المرتبة السادسة بمتوسط حسابي بلغ (2.58) وانحراف معياري قدر بـ (0.970)، ثم العبارة 8 (حامل فيروس كورونا قد لا تظهر عليه أعراض مرضية) في المرتبة السابعة بمتوسط حسابي بلغ (2.45) وانحراف معياري قدر بـ (0.997).

المستوى الثاني: وشمل عبارة واحدة تقع ضمن متوسط التقدير (محايد)، وهي العبارة 5 (فيروس كورونا قابل للشفاء) في المرتبة الثامنة بمتوسط حسابي بلغ (2.30) وانحراف معياري قدره (1.015)، وتشكل 11.11% من عبارات المحور.

المستوى الثالث: وشمل عبارة واحدة تقع ضمن متوسط التقدير (غير موافق)، وهي العبارة 7 (بمجرد الإصابة بفيروس كورونا يفقد المصاب حياته بسرعة) في المرتبة التاسعة والأخيرة بمتوسط حسابي بلغ (1.59) وانحراف معياري قدره (1.037)، وتشكل 11.11% من عبارات المحور.

وحسب هذه النتائج يتضح بأن هناك اختلاف في تصورات المواطن الجزائري نحو فيروس كورونا (كوفيد 19)، ويظهر ذلك من خلال إدراكهم لما يلي: الإيمان بأن الإصابة بفيروس كورونا قضاء وقدر، المصاب بفيروس كورونا يشكل خطرا داخل المجتمع، فيروس كورونا يصيب الجهاز المناعي للانسان ويضعفه، فيروس كورونا هو مرض معد، حامل فيروس كورونا يستطيع نقل الفيروس للآخرين، الاطلاع بشكل مستمر على المستجدات المتعلقة بفيروس كورونا، حامل فيروس كورونا قد لا تظهر عليه أعراض مرضية.

2.4. مناقشة وتفسير نتائج الدراسة المتعلقة بالفرضية الثانية: تتعدد أسباب انتشار فيروس كورنا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري

سيتم عرض نتائج استجابات عينة الدراسة حول أسباب انتشار فيروس كورنا (كوفيد 19)، على النحو التالي:

الجدول رقم (06): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات فئات عينة الدراسة لأسباب انتشار فيروس كورنا (كوفيد 19) من وجهة نظرهم

الترتيب بحسب الاستبيان	أسباب انتشار فيروس كورنا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الإجابة
10	ينتقل فيروس كورونا عن طريق اللمس والمصافحة	2.83	0.854	1	موافق
12	ينتقل فيروس كورونا عن طريق الهواء	2.78	0.876	2	موافق
15	ينتقل فيروس كورونا عن طريق ملامسة الأسطح الملوثة بالفيروس	2.69	0.881	3	موافق
11	ينتقل فيروس كورونا عند الاقتراب من شخص مصاب بالفيروس	2.56	0.936	4	موافق
13	ينتقل فيروس كورونا عن طريق العطاس	2.45	0.978	5	موافق
16	ينتقل فيروس كورونا عند استخدام أغراض شخص مصاب بالفيروس	2.40	0.985	6	موافق
14	المرأة الحامل المصابة بفيروس كورونا تنقل الفيروس لجنينها	2.27	0.992	7	محايد

يلاحظ من الجدول رقم (06) أن هذا المحور شمل 07 عبارات خاصة بأسباب انتشار فيروس كورنا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري، حيث جاءت تقديرات عينة الدراسة بين (2.83-2.27) وانحراف معياري بين (0.854-0.992). وموزعة على مستويين للتقدير هما:

المستوى الأول: تقديرات ضمن مدى المتوسطات (2.83-2.40)، ومدى انحراف معياري بين (0.819-0.997) وهي تقع ضمن متوسطات التقدير (موافق)، وتشمل (6) عبارات وتشكل 85.71% من عبارات

المحور. حيث احتلت العبارة 10 (ينتقل فيروس كورونا عن طريق اللمس والمصافحة) المرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (2.83) وانحراف معياري قدر بـ (0.854)، تليها العبارة 12 (ينتقل فيروس كورونا عن طريق الهواء) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي بلغ (2.78) وانحراف معياري قدر بـ (0.876)، بعدها العبارة 15 (ينتقل فيروس كورونا عن طريق ملامسة الأسطح الملوثة بالفيروس) في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي بلغ (2.69) وانحراف معياري قدره (0.881)، ثم العبارة 11 (ينتقل فيروس كورونا عند الاقتراب من شخص مصاب بالفيروس) في المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي بلغ (2.56) وانحراف معياري قدر بـ (0.936)، تليها العبارة 13 (ينتقل فيروس كورونا عن طريق العطاس) في المرتبة الخامسة بمتوسط حسابي بلغ (2.45) وانحراف معياري قدر بـ (0.978)، بعدها العبارة 16 (ينتقل فيروس كورونا عند استخدام أغراض شخص مصاب بالفيروس) في المرتبة السادسة بمتوسط حسابي بلغ (2.40) وانحراف معياري قدر بـ (0.985).

المستوى الثاني: وشمل عبارة واحدة تقع ضمن متوسط التقدير (محايد)، وهي العبارة 14 (المرأة الحامل المصابة بفيروس كورونا تنقل الفيروس لجنينها) في المرتبة السابعة بمتوسط حسابي بلغ (2.27) وانحراف معياري قدره (0.992)، وتشكل 14.29% من عبارات المحور.

وحسب هذه النتائج يتضح بأن أسباب انتشار فيروس كورنا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري، تتمثل فيما يلي: ينتقل فيروس كورونا عن طريق اللمس والمصافحة، ينتقل فيروس كورونا عن طريق الهواء، ينتقل فيروس كورونا عن طريق ملامسة الأسطح الملوثة بالفيروس، ينتقل فيروس كورونا عند الاقتراب من شخص مصاب بالفيروس، ينتقل فيروس كورونا عن طريق العطاس، ينتقل فيروس كورونا عند استخدام أغراض شخص مصاب بالفيروس.

3.4. مناقشة وتفسير نتائج الدراسة المتعلقة بالفرضية الثالثة: تتعدد الإجراءات المتخذة للوقاية من فيروس كورونا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري

سيتم عرض نتائج استجابات عينة الدراسة حول الإجراءات المتخذة للوقاية من فيروس كورونا (كوفيد 19)، على النحو التالي:

الجدول رقم (07): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات فئات عينة الدراسة للإجراءات المتخذة للوقاية من فيروس كورونا (كوفيد 19) من وجهة نظرهم

الترتيب بحسب الاستبيان	الإجراءات المتخذة للوقاية من فيروس كورونا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتبة	درجة الإجابة
19	استخدم المعقم الكحولي قبل الخروج من البيت وعند العودة إليه	2.80	0.716	1	موافق
21	غسل اليدين بالصابون عدة مرات في اليوم	2.76	0.744	2	موافق
20	الحجر المنزلي من شأنه محاصرة فيروس كورونا والتقليل من سرعة انتشاره	2.72	0.798	3	موافق
25	تجنب المصافحة والتقبيل	2.66	0.834	4	موافق
23	ترك مسافة كافية بينك وبين الآخرين لتفادي انتقال العدوى بفيروس كورونا	2.63	0.870	5	موافق
17	استخدام الكمامات يقلل من احتمال الإصابة بفيروس كورونا	2.54	0.892	6	موافق
22	الالتزام بالبقاء بالبيت وعدم الخروج إلا للضرورة القصوى	2.48	0.921	7	موافق
26	تجنب لمس العينين والأنف والفم إلا بعد غسل اليدين بالماء والصابون جيدا	2.41	0.978	8	موافق
27	الالتزام بقواعد النظافة الصحية	2.37	0.985	9	موافق
28	تغطية الفم عند السعال أو العطس بمنديل ورقي ورميه مباشرة في سلة المهملات	2.32	1.003	10	محايد
24	تجنب التجمع في وسط الحشود والتجمعات	2.23	1.014	11	محايد
18	استخدام القفازات يقلل من احتمال الإصابة بفيروس كورونا	1.98	1.052	12	محايد

يلاحظ من الجدول رقم (07) أن هذا المحور شمل 12 عبارة خاصة بالإجراءات المتخذة للوقاية من فيروس كورونا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري، حيث جاءت تقديرات عينة الدراسة بين (2.80-1.98) وانحراف معياري بين (0.716-1.052). وموزعة على مستويين للتقدير هما:

المستوى الأول: تقديرات ضمن مدى المتوسطات (2.80-2.37)، ومدى انحراف معياري بين (0.716-0.985) وهي تقع ضمن متوسطات التقدير (موافق)، وتشمل (9) عبارات وتشكل 75% من عبارات المحور. حيث احتلت العبارة 19 (استخدم المعقم الكحولي قبل الخروج من البيت وعند العودة إليه) المرتبة الأولى بمتوسط حسابي بلغ (2.80) وانحراف معياري قدر بـ (0.716)، تليها العبارة 21 (غسل اليدين بالصابون عدة مرات في اليوم) في المرتبة الثانية بمتوسط حسابي بلغ (2.76) وانحراف معياري قدر بـ (0.744)، بعدها العبارة 20 (الحجر المنزلي من شأنه محاصرة فيروس كورونا والتقليل من سرعة انتشاره) في المرتبة الثالثة بمتوسط حسابي بلغ (2.72) وانحراف معياري قدره (0.798)، ثم العبارة 25 (تجنب المصافحة والتقبيل) في المرتبة الرابعة بمتوسط حسابي بلغ (2.66) وانحراف معياري قدر بـ (0.834)، تليها العبارة 23 (ترك مسافة كافية بينك وبين الآخرين لتفادي انتقال العدوى بفيروس كورونا) في المرتبة الخامسة بمتوسط حسابي بلغ (2.63) وانحراف معياري قدر بـ (0.870)، بعدها العبارة 17 (استخدام الكمامات يقلل من احتمال الإصابة بفيروس كورونا) في المرتبة السادسة بمتوسط حسابي بلغ (2.54) وانحراف معياري قدر بـ (0.921)، ثم العبارة 22 (الالتزام بالبقاء بالبيت وعدم الخروج إلا للضرورة القصوى) في المرتبة السابعة بمتوسط حسابي بلغ (2.48) وانحراف معياري قدر بـ (0.921)، بعد دلك العبارة 26 (تجنب لمس العينين والأنف والفم إلا بعد غسل اليدين بالماء والصابون جيدا) في المرتبة الثامنة بمتوسط حسابي بلغ (2.41) وانحراف معياري قدره (0.978)، تليها العبارة 27 (الالتزام بقواعد النظافة الصحية) في المرتبة التاسعة بمتوسط حسابي بلغ (2.37) وانحراف معياري قدر بـ (0.985).

المستوى الثاني: تقديرات ضمن مدى المتوسطات (2.32-1.98)، ومدى انحراف معياري بين (1.003-1.052) وهي تقع ضمن متوسطات التقدير (محايد)، وتشمل (3) عبارات وتشكل 25% من عبارات المحور. حيث احتلت العبارة 28 (تغطية الفم عند السعال أو العطس بمنديل ورقي ورميه مباشرة في سلة المهملات) المرتبة العاشرة بمتوسط حسابي بلغ (2.32) وانحراف معياري قدر بـ (1.003)، تليها العبارة 24 (تجنب التجمع في وسط الحشود والتجمعات) في المرتبة الحادية عشر بمتوسط حسابي بلغ (2.23) وانحراف معياري قدر بـ (1.014)، بعدها العبارة 18 (استخدام القفازات يقلل من احتمال الإصابة بفيروس كورونا) في المرتبة الثانية عشر بمتوسط حسابي بلغ (1.98) وانحراف معياري قدره (1.052).

وحسب هذه النتائج يتضح بأن الإجراءات المتخذة للوقاية من فيروس كورونا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري، تتمثل فيما يلي: استخدم المعقم الكحولي قبل الخروج من البيت وعند العودة إليه، غسل اليدين بالصابون عدة مرات في اليوم، الحجر المنزلي من شأنه محاصرة فيروس كورونا والتقليل من سرعة انتشاره، تجنب المصافحة والتقبيل، ترك مسافة كافية بينك وبين الآخرين لتفادي انتقال العدوى بفيروس كورونا، استخدام الكمامات يقلل من احتمال الإصابة بفيروس كورونا، الالتزام بالبقاء بالبيت وعدم الخروج إلا للضرورة القصوى، تجنب لمس العينين والأنف والفم إلا بعد غسل اليدين بالماء والصابون جيدا، الالتزام بقواعد النظافة الصحية.

4.4. مناقشة وتفسير نتائج الدراسة المتعلقة بالفرضية الرئيسية: تختلف تصورات فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري.

سيتم عرض نتائج استجابات عينة الدراسة حول تصوراتهم لفيروس كورونا (كوفيد 19) في مخيالهم الاجتماعي، على النحو التالي:

الجدول رقم (08): المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات فئات عينة الدراسة حول تصوراتهم لفيروس كورونا (كوفيد 19) في مخيالهم الاجتماعي

ترتيب المحور حسب الاستبيان	عنوان المحور	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجة الإجابة
المحور الأول	تختلف تصورات المواطن الجزائري نحو فيروس كورونا (كوفيد 19)	2.71	0.986	موافق
المحور الثاني	تتعدد أسباب انتشار فيروس كورنا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري	2.63	0.975	موافق
المحور الثالث	تتعدد الإجراءات المتخذة للوقاية من فيروس كورونا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري	2.76	1.012	موافق
الاستبيان ككل	تختلف تصورات فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري	2.74	0.992	موافق

يلاحظ من الجدول رقم (08) المتعلق بالمتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لمحاور أداة الدراسة الآتي:

بلغت متوسطات تقديرات العينة حول تصوراتهم نحو فيروس كورونا (كوفيد 19) (2.71) بانحراف معياري (0.986)، أي أنها تقع ضمن متوسطات التقدير (موافق). أما متوسطات تقديرات العينة نحو أسباب انتشار فيروس كورنا (كوفيد 19) من وجهة نظرهم (2.63) بانحراف معياري (0.975)، أي أنها تقع ضمن متوسطات التقدير (موافق). بينما بلغت متوسطات تقديرات العينة نحو الإجراءات المتخذة للوقاية من فيروس كورونا (كوفيد 19) من وجهة نظرهم (2.76) بانحراف معياري (1.012)، والتي تقع ضمن متوسطات التقدير (موافق). في حين بلغت متوسطات عينة الدراسة نحو تصوراتهم لفيروس كورونا (كوفيد 19) في مخيالهم الاجتماعي (2.74) بانحراف معياري (0.992)، والتي تقع ضمن متوسطات التقدير (موافق).

وحسب هذه النتائج يتضح بأن هناك اختلاف لتصورات فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري، ويظهر ذلك أساسا في: اختلاف تصورات المواطن الجزائري نحو فيروس كورونا (كوفيد 19)، تعدد أسباب انتشار فيروس كورنا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري، تعدد الإجراءات المتخذة للوقاية من فيروس كورونا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري.

5. توصيات ومقترحات:

بناءا على النتائج التي توصلت إليها الدراسة، يوصي الباحث بما يلي:

- إقامة حملات تحسيسة بشكل دوري ومستمر حول فيروس كورونا من خلال التعريف بالفيروس بشكل مفصل وتحديد طرق انتقاله وكيفية الوقاية منه. وذلك بتوفير معلومات دقيقة ومبسطة لجميع المواطنين تتماشى ومستواهم الثقافي لإزالة الغموض المرتبط بفيروس كورونا.
- تكثيف البرامج الصحية والومضات التوعية في وسائل الإعلام المختلفة حول كيفية التعامل مع مختلف الأمراض والأوبئة لأنه رغم التطور العلمي تبقى معرفة طبيعة الأوبئة وأسبابها الحقيقية غامضة لدى الكثير من أفراد المجتمع.
- تنمية الوعي الوقائي والثقافة الصحية لدى مختلف شرائح المجتمع، للتخلص من العادات والسلوكيات غير الصحية والالتزام بالسلوكيات الصحية الايجابية.
- إدراج مواضيع الثقافة الصحية في المقررات والمناهج الدراسية في مختلف الأطوار التعليمية لتأصيل الحس الوقائي ونشر الثقافة الصحية.

- إجراء دراسات أخرى يتم من خلالها استطلاع آراء عينات أخرى أكبر، للاقتراب أكثر من فهم تصورات فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري. كون الدراسة الحالية اعتمدت على استطلاع آراء مجموعة من المواطنين ببعض الولايات حول تصورهم لفيروس كورونا وأسباب انتشاره والتدابير الوقائية منه، كما أنه توجد مؤشرات أخرى لم تتعرض لها الدراسة الحالية.

6. قائمة المراجع:

1- حسن شحاتة وزينب النجار، **معجم المصطلحات التربوية والنفسية**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2003.

2- سامية بورنان، **التصورات الاجتماعية للمرض العقلي لدى عينة من الطلبة الجامعيين دراسة ميدانية بجامعة محمد بوضياف بالمسيلة**، مذكرة ماجستير في علم النفس تخصص علم النفس المرضي الاجتماعي (غير منشورة)، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية والانسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، 2007/2006.

3- سعد سلمان المشهداني، **منهجية البحث العلمي**، دار أسامة، عمان، ط1، 2019.

4- سمير أحمد أبو العيون: **الثقافة الصحية**، دار المسيرة، عمان، ط1، 2013.

5- طلعت مصطفى السروجي، ماهر أبو المعاطي، **ميادين ممارسة الخدمة الاجتماعية**، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة، 2008.

6- عصام حسن الدليمي، علي عبد الرحيم صالح، **البحث العلمي أسسه ومناهجه**، دار الرضوان، ط1، 2014.

7- قدري الشيخ علي وآخرون، **علم الاجتماع الطبي**، مكتبة المجتمع العربي، عمان، ط1، 2008.

8- مجدي عزيز إبراهيم، **معجم مصطلحات ومفاهيم التعليم والتعلم**، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2009.

9- محمد خليل عباس وآخرون، **مدخل إلى مناهج البحث في التربية وعلم النفس**، دار المسيرة، عمان، ط5، 2014.

10- نجلاء عاطف خليل، **في علم الاجتماع الطبي ثقافة الصحة والمرض**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2006.

11- https://ar.wikipedia.org/wiki/2020_جائحة_فيروس_كورونا_في_الجزائر

12- https://ar.wikipedia.org/wiki/فيروس_كورونا

13- https://www.aljazeera.net/news/politics/2020/3/23/وباء-كورونا-التطورات-على-مدار-الساعة

14- https://www.moh.gov.sa/awarenessplateform/VariousTopics/Pages/COIVD-19.aspx

15- https://www.who.int/ar/health-topics/coronavirus.

7. الملاحق:

أخي (أختي) الفاضل (ة) أرجو تعاونك معي في هذا البحث الذي يهدف لمعرفة صورة فيروس كورونا (كوفيد 19) في المخيال الاجتماعي للمواطن الجزائري، وذلك بملء هذا الاستبيان بوضع علامة (X) أمام العبارة المناسبة والتي تتوافق ورأيك بكل مصداقية حتى يتسنى لنا الوصول إلى نتائج دقيقة، وأحيطكم علما أن الإجابات الواردة في هذا الاستبيان سرية ولن تستخدم إلا في خدمة أغراض البحث العلمي.

البيانات الشخصية:

1- الجنس: ذكر ( ) أنثى ( )

2- السن: أقل من 30 سنة ( ) من 30 إلى 50 سنة ( ) أكثر من 50 سنة ( )

3- المستوى التعليمي: ابتدائي ( ) متوسط ( ) ثانوي ( ) جامعي ( )

4- ولاية الإقامة: .....

أولا: تصورات المواطن الجزائري نحو فيروس كورونا (كوفيد 19)

العبارة	غير موافق	محايد	موافق
1- تؤمن بأن الإصابة بفيروس كورونا قضاء وقدر			
2- تطلع بشكل مستمر على المستجدات المتعلقة بفيروس كورونا			
3- حامل فيروس كورونا يستطيع نقل الفيروس للآخرين			
4- فيروس كورونا يصيب الجهاز المناعي للانسان ويضعفه			
5- فيروس كورونا قابل للشفاء			
6- المصاب بفيروس كورونا يشكل خطرا داخل المجتمع			
7- بمجرد الإصابة بفيروس كورونا يفقد المصاب حياته بسرعة			
8- حامل فيروس كورونا قد لا تظهر عليه أعراض مرضية			
9- فيروس كورونا هو مرض معد			

ثانيا: أسباب انتشار فيروس كورنا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري

العبارة	غير موافق	محايد	موافق
10- ينتقل فيروس كورونا عن طريق اللمس والمصافحة			
11- ينتقل فيروس كورونا عند الاقتراب من شخص مصاب بالفيروس			
12- ينتقل فيروس كورونا عن طريق الهواء			
13- ينتقل فيروس كورونا عن طريق العطاس			
14- المرأة الحامل المصابة بفيروس كورونا تنقل الفيروس لجنينها			

15- ينتقل فيروس كورونا عن طريق ملامسة الأسطح الملوثة بالفيروس			
16- ينتقل فيروس كورونا عند استخدام أغراض شخص مصاب بالفيروس			

ثالثا: الإجراءات المتخذة للوقاية من فيروس كورونا (كوفيد 19) من وجهة نظر المواطن الجزائري

العبارة	غير موافق	محايد	موافق
17- استخدام الكمامات يقلل من احتمال الإصابة بفيروس كورونا			
18- استخدام القفازات يقلل من احتمال الإصابة بفيروس كورونا			
19- استخدم المعقم الكحولي قبل الخروج من البيت وعند العودة إليه			
20- الحجر المنزلي من شأنه محاصرة فيروس كورونا والتقليل من سرعة انتشاره			
21- غسل اليدين بالصابون عدة مرات في اليوم			
22- الالتزام بالبقاء بالبيت وعدم الخروج إلا للضرورة القصوى			
23- ترك مسافة كافية بينك وبين الآخرين لتفادي انتقال العدوى بفيروس كورونا			
24- تجنب التجمع في وسط الحشود والتجمعات			
25- تجنب المصافحة والتقبيل			
26- تجنب لمس العينين والأنف والفم إلا بعد غسل اليدين بالماء والصابون جيدا			
27- الالتزام بقواعد النظافة الصحية			
28- تغطية الفم عند السعال أو العطس بمنديل ورقي ورميه مباشرة في سلة المهملات			

واقع إنتاج المعرفة العلمية في الحقل السوسيولوجي- الجامعة الجزائرية أنموذجا-

د/ إيمان حمري. د/ حنان بن ضياف.

جامعة أكلي محند أولحاج ـ البويرة ـ الجزائر. جامعة محمد بوضياف ـ مسيلة ـ الجزائر.

ملخص الدراسة:

يمثل علم الاجتماع أحد أهم العلوم في بناء المجتمعات الحديثة بحيث لا يمكن لأي دولة متطورة أن تخطو خطوة ببرنامج ناجح إن لم تعتمد على رؤى علم الاجتماع، فهو من أبرز العلوم الحيوية التي تلعب دورا هامّا في مواجهة متطلبات التكيف والتعامل، إلا أن هذا العلم في العالم العربي بصورة عامة والجزائري بصورة خاصة ظل علما مهمشا ومقهورا هو ودارسه في أوساط التعليم الجامعي نظرا للتوزيع العشوائي للطلبة على التخصصات وهذا ما يؤدي بالضرورة إلى توازن مختل في خرائط الوظائف والمهن حيث يتم ترشيح قلة قليلة من الطلبة المتفوقين إلى التخصصات الصلبة كالطب والهندسة في حين يوجّه البقية إلى سلة علم الاجتماع ، هذا لأن الجامعة نسق اجتماعي تتأثر بالمجتمع الذي تتواجد به قبل أن تكون فضاء تعليميا عاليا تلقى شهرتها الأكاديمية فيما تنتجه من معارف علمية، ومن هنا يبدأ صراع الإنتاج السوسيولوجي وتحديات نقل المعرفة السوسيولوجية في الجامعات المغاربية والجزائرية الذي يميزه الواقع، ففي كل سنة تعرف الجامعات تخرج عدد من الطلبة في مستوى الليسانس والماجستير وكذا تقديم أطروحات للمناقشة تكون فيها تلك الأطروحة ان كانت في المستوى المطلوب العمل النهائي للطالب الذي ليس بعده عطاء في الحقل الأكاديمي بصورة عامة والسوسيولوجي بصفة خاصة.

الكلمات المفتاحية : السوسيولوجيا، المعرفة العلمية، الجامعة الجزائرية

Abstract:

Sociology represents one of the most important sciences in building modern societies so that no developed country can take a step with a successful program if it does not depend on the visions of sociology, it is one of the most important biological sciences that plays an important role in facing the requirements of adaptation and dealing, but this science in the world The Arab in general, and the Algerian in particular, remained a marginal and oppressed science, and he and his student in the university education circles given the random distribution of students to the majors, and this necessarily leads to a dysfunctional balance in the maps of jobs and professions, where a few few outstanding students are nominated to solid disciplines such as medicine and engineering while directing The rest is to the

basket of sociology, this is because the university is a social system influenced by the society in which it exists before it is a highly educational space that receives its academic reputation for its scientific knowledge, and from here begins the struggle of sociological production and the challenges of transferring sociological knowledge in the Maghreb and Algerian universities that are characterized by reality. Every year universities know a number of students graduating at the bachelor's and master's level as well as presenting theses for discussion in which that thesis is if it is at the required level the final work of the student who is not yet a tender in the academic field in general and sociology in particular,

Key words: sociology, scientific knowledge, Algerian University

مقدمة:

يعتبر علم الاجتماع أحد أهم مجالات المعرفة الإنسانية التي أصبحت تدرس بالجامعات الجزائرية، وأخذ مكانته ضمن مجموعة التخصصات المتوفرة بالجامعة، وهذا ما نلاحظه من خلال زيادة أعداد الطلبة المسجلين بهذا الفرع، وكذلك من خلال ارتفاع نسبة المتخرجين في هذه التخصصات مقارنة مع السنوات الماضية. فمن خلال عملية التدريس يتم نشر وتعليم المعرفة السوسيولوجية وتعميمها، هذه المعرفة التي يكون أساسها البعد الابستمولوجي من خلال البحث العلمي الاجتماعي في كل تخصصاته المتاحة (علم الاجتماع السياسي، الثقافي، الاتصال، الحضري/الريفي، العائلي، التربوي، وغيرها من التخصصات الأخرى)، والقائمة على أصول المعرفة وعلى الموضوعية، ثم توظيف هذه المعارف خدمة للعلم ولقضايا المجتمع.

ويهتم علم الاجتماع بدراسة طبيعة العلاقات الاجتماعية داخل الأنساق الاجتماعية من خلال تقديم فهم موضوعي للمجتمع وللأنساق والأنظمة المكونة له، والكشف عن الأسباب والمتغيرات المؤدية إلى ظهور الظاهرة، والفهم الموضوعي للنسق الجامعي يكون بدراسة وتحليل مكونات النسق، وظائفه وأدواره، ودراسة العلاقات بين الفاعلين في النسق وتفاعلاتهم مع بعضهم البعض، وسلوكاتهم، وتصوراتهم ومواقفهم، ودراسة العلاقة بين النسق الجزئي (الجامعة) والنسق الكلي (المجتمع).

في سياق هذا الطرح لابد على المشتغلين بحقل العلوم الاجتماعية إعطاء الأهمية لقضايا القطاع والتركيز على الوظائف والأدوار المناطة به والمنتظرة من الجامعة، وطرح إشكالية المعرفة، وأزمتها، والوقوف على التحديات التي تواجه المنظومة الجامعية في ظل التحولات المتسارعة، والتحديات التي أفرزتها ثورة

المعلومات والاتصالات في عالمنا المعاصر بفعل العولمة، والبحث في أسباب وعوامل عجز المنظومة الجامعية من مواجهة هذه التحديات والاستجابة لها، والبحث عن طرق تطوير القطاع وتجديده بما يتماشى ومتطلبات العصر لتحقيق التنمية. وتعتبر قضية الجامعة من القضايا المهمة التي ينبغي دراستها وإجراء بحوث عليها في كل التخصصات، وتناولها من كل الجوانب والأبعاد لما لها من تأثير وتداعيات على مختلف القطاعات الاقتصادية التنموية، والعمل على إيجاد حلول لمشكلاتها.

أولا- الإسهاب المفاهيمي لمفاهيم الدراسة:

المعرفة العلمية:

أشار علماء الاجتماع إلى المعرفة بأنّها: العملية التي يدرك بمقتضاها الفرد ويفسر ما يحيط به، ويشم الإدراك مجموعة المعاني والمعتقدات والأحكام والمفاهيم والتصورات الفكرية التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر المحيطة به(badawi zaki:1985)

أمّا بخصوص المعرفة العلمية فقد أشار باشلار إلى أنّ العلم لا يخرج من الجهل كما يخرج النور من الظلام لأن الجهل ليس له بنية بل يخرج من التصحيحات المستمرة للبناء المعرفي السابق، حتى أن بنية العلم هي إدراك أخطائه والحقيقة العلمية هي تصحيح تاريخي لخطأ طويل، والاختبار هو تصحيح الوهم الأولي المشترك(غاستن باشلار:1969، ص93).

فالمعرفة العلمية تتعلق بادراك الطالب أو الباحث لمختلف الأمور التي تحيط به وذلك من اجل تحليل وتفسير مختلف الظاهر والحقائق المرتبطة به.

السوسيولوجيا:

ارتبط ظهور علم الاجتماع بالعالم أوغست كونت حيث اطلق عليه اسم الفيزياء الاجتماعية تيمنا بالعلوم الطبيعية ، ولقد استعان كونت هذه التسمية من كتابات أستاذه سان سيمون، ثم أطلق عليه سنة 1838 اسم علم الاجتماع (عبد الله بن محمد عبد الرحمن: 2007، ص 44)

وأول من استخدم مصطلح السوسيولوجيا هو أوغست كونت إلا أن الفيلسوف الانجليزي جون ستيوارت مل استعمل هذا المصطلح في انجلترا خلال الفترة التي عاش فيها كونت ، و ظهر استعمال هذا المصطلح في كتابه علم المنطق الذي نشره عام 1843. (جمال معتوق: 2006، ص 11)، أما علماء الاجتماع فيحددون أنواع مميزة لتعريف علم الاجتماع و ندرجها كما يلي : (محمد إبراهيم عبد المجيد: 2007، ص 18)

أوغست كونت : لم يضع كونت تعريفا محددا لعلم الاجتماع بقدر ما أكد عل أهمية وجود هذا العلم ليدرس كل الظواهر التي تدرسها العلوم التي سبقت على ظهور علم الاجتماع .

هربرت سبنسر: يتصور أن تحديد علم الاجتماع بأنه العلم الذي يصف ويفسر نشأة وتطوير النظم الاجتماعية مثل الأسرة و الضبط الاجتماعي والعلاقات بين النظم .

اميل دركايم : يؤكد على أن الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع هو دراسة الظواهر الاجتماعية .

ماكس فيبر: انه العلم الذي يحاول الوصول إلى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي وذلك من اجل الوصول إلى تفسير سيئ لمجراه ونتائجه .

الجامعة*:

ولقد تعددت مفاهيم الجامعة من قبل المؤلفين و الباحثين و يقصد بالجامعة كل نمط للتكوين يقدم على مستوى ما بعد الثانوية من طرف مؤسسات التعليم العالي و يمكن أن يقدم تكوين تقني على مستوى عال من قبل مؤسسات معتمدة من طرف الدولة (الجريدة الرسمية : 1999 ، ص 05)

وتعرف أيضا أنها قمة الهرم التعليمي وأعلى المستويات تتوج المراحل السابقة، المختلفة من اجل إعداد مختلف إطارات أزمة التنمية، لها فلسفته، أهدافها ومتطلباتها (زرقان ليلى: ص 3) ولقد جاء مصطلح التعليم العالي كمرادف لمصطلح التعليم الجامعي فالجامعة تختص بكل ما يتعلق بالتعليم الجامعي و البحث العلمي و تمثل مجامع علميا يهتم بالبحث عن الحقيقة من أجل خدمة المجتمع و تستمد نشاطها من العنصر البشري الذي يملك كفاءات عالية للأداء الجيد من أجل تقديم الخدمات المتنوعة باستعمال العلوم و التكنولوجيا (أحمد زرزور: 2006، ص 13) فنستعمل في كثير من الأحيان مصطلح الجامعة للتعبير عن التعليم العالي

*الجامعة لغة تعني التجميع والتجمع، وتشير إلى التجمع، والقراءة معا، وقد استخدمت في القرن الثالث عشر من قبل الرومان لتدل على مجموعة حرفيين، تجار.، ثم استخدمت في القرن الثامن عشر بمعنى كلية في أكسفورد بانجلترا لتدل على مكان تجمع المجتمع المحلي للطلاب متضمنا مكان الإقامة العينة والتعليم (مرسي : 1977 ، 10)

تعني كلمة جامعة وهي بالأصل كلمة لاتينية universitas، الجمعية التي تتولى ممارسة التعليم و لم تأخذ معناها الجامعي الحديث الا بعد وقت ، و ظهر مفهوم الجامعة حينما تم الاعتراف بجامع بولونا bologne بايطاليا و بعدها جامعات أخرى من قبل البابا و إمبراطور روما (هادي : 2010 ، ص14)

وهي أكثر الأنماط انتشارا، وتضم مجموعة من المعاهد و الكليات والتي تضم بدورها مجموعة من الأقسام تمتد مدة الدراسة فيها عموما 4 سنوات (ليسانس) إضافة إلى الدراسات فيما بعد التدرج وهذا في البرنامج الكلاسيكي أما البرنامج الحديث فعمر الدراسة 3 سنوات (ليسانس) سنتين ماستر و3 سنوات دكتوراه هذا في مجمل التخصصان ماعدا تخصص الطب والعلوم الهندسية التي تتجاوز الدراسة فيها هذه المدة .

ثانيا: علم الاجتماع والطالب الدارس له؟:

لم يظهر علم الاجتماع بالمغرب العربي تلبية لحاجة مجتمعية، أو كاستجابة لدراسة مشاكل اجتماعية عانى منها المجتمع بل وجد في كليات الجامعات كتقليد لما هو موجود في المعاهد الأكاديمية الأوروبية والأمريكية، وبواسطة هذا التقليد نقلت جميع ميادين ومواضيع، نظريات ومناهج علم الاجتماع الغربي إلى المجتمع الجامعي العربي والمغاربي(وكان ذلك بداية الخمسينات من هذا القرن). وهذا يعني أساتذة وطلبة هذا التخصص المجتمعي تسلموا قوالب جاهزة للفكر والنظرية والمنهج والدراسات الاجتماعية، ولم يبذلون أي جهد في دراسة مجتمعهم سواء كانت لظواهره أو مشاكله بل انكبوا على ترجمة ما درس في الغرب وهذه تبعية علمية(معن خليل العمر: 1991، ص319). ومن العوامل التي زادت من تأزم علم الاجتماع العربي بالمغرب نذكر ما يلي:

1) من يوجه إلى علم الاجتماع: إن الوفدين على تخصص علم الاجتماع والموجهين على مصلحة التوجيه ليسوا من الطلبة المتفوقين أو ذو المستوى العالي، ولا حتى المقبول (الضعفاء)، والذين لم يسمح لهم بالتسجيل في التخصصات الأخرى، إضافة إلى العدد الهائل الذين يطلبون التحويل إلى قسم علم الاجتماع بعد فشلهم في الشعب الأخرى، وما هو مشاهد في القادمين إلى قسم علم الاجتماع والمحولين هم في الأصل من كل التخصصات ودون أية دراسة معمقة أو مستفيضة تقبل، وهذا لضمان الكم على حساب النوعية. كذلك نجد أن أغلبية الطلبة الوافدين على علم الاجتماع هم من الطبقات الدنيا حيث التوجيه الجامعي توجيه قهري يعمل المسؤولون من وراءه على إنتاج التقسيم الطبقي وتكريس مبدأ الفوارق الاجتماعية والثقافية. (الفضيل رتيمي:2014)

في سياق ما تم طرحه يمكن القول بأن نوعية الطلبة الوافدين على أقسام علم الاجتماع دخل في الوضعية الراهنة لهذا العلم. كما أنه لا يمكن فهم هذه الوضعية دون التعامل مع قضية

توجيه الطلبة إلى علم الاجتماع ووضع سياسة الكم على حساب النوعية، والتمييز ما بين التخصصات. (جمال معتوق: 2015، ص02)

2) ***المادة العلمية:*** إن أزمة علم الاجتماع ترتبط أساسا بما يقدمه العلم ذاته ويجعلهم يتميزون به عن غيرهم من أصحاب التخصصات الأخرى. كما وترتبط بوضعية التي تجعله مرفأ أخيرا يلجأ إليه الطلبة حينما تعجزهم الحيل عن اختيار تخصص مرموق. وهو ما جعل أعداد الملتحقين بأقسام علم الاجتماع تصل لمستويات هائلة لا تمد بصلة لحاجة سوق العمل. ومدى الاحتياج المجتمعي لهذا التخصص وهو الأمر الذي جعل بعض القائمين على هذا العلم يتوهمون أهمية غير حقيقية لتخصصهم لا ترتبط بالواقع المعيشي بصلة، وهو الذي أفضى في الوقت نفسه إلى أن تتحول أقسام علم الاجتماع إلى أقسام كمية على حساب الكيف. (صالح سليمان عبد العظيم: 2010، ص 05)

وانعكس المحتوى الذي يتلقاه الطلبة على نوعية الأبحاث التي تم إنجازها سواء في إطار إعداد مذكرة الليسانس أو ديبلوم الدراسات المعمقة وغيرها من الشهادات الأكاديمية التي كانت صورة طبق الأصل لما تلقوه من تكوين ما عدا الإستثناءات التي حاولت كسر هذه القاعدة. في ثنايا هذا الطرح يمكن القول أن التكوين الذي كان يقدم والذي يقدم حاليا وكما هو معلوم لخدمة اتجاه سياسي وإيديولوجي معين له أهداف خاصة تتمثل في نظام اقتصادي واجتماعي منسجم مع الأهداف المتوخاة منه.(أحمد عماد الدين خواني:2015، 16ص)

وفي الأخير يمكن القول وعلى حد تعبير الدكتور " **فضيل رتيمي** " أن من التحديات التي تنتظر علم الاجتماع LMD ومع فتح تخصصات ذات علاقة بعالم الشغل. ومنه يصبح لنا أن نتساءل أين تكمن آفاق هذا العلم في ظل التناقضات التي يحملها كل من المسؤولين والمشتغلين بهذا العلم من جهة والطلبة من جهة ثانية؟

ثالثا- الممارسة السوسيولوجية بالبيئة الجامعية الجزائرية:

ابتدأ مسار الجامعة الجزائرية بجامعة الجزائر وهي أول مدرسة أنشأت في العهد الاستعماري بالجزائر بدأت ناطها منذ سنة 1833 وكان يشرف على التدريس أساتذة عسكريون، في البداية كانت توجه هذه الدروس إلى الطلبة الأروبيون فحسب غير أنه وبموجب مذكرة لوزير الحربية تم إصدارها في 1833/06/10 ، تم قبول الطلبة الجزائريون ، وكانت هذه الدروس في هذه المرحلة مقتصرة على علم التشريح و الفيزيولوجيا الوصفية إلا انه تم توقيف هذه الدراسة سنة 1835 م بقرار من الجنيرال كلوزيل وتم اقتراح إعادة فتحها عام

1854 بقرار من المجلس البلدي للجزائر وتم فتحها رسميا بمرسوم مؤرخ في 04 أوت 1857 ولم تبدأ نشطها إلا ابتداء من عام 1859 ، وقد وضعت هذه المدرسة تحت إشراف كلية الطب بمون بوليه و بموجب القانون المؤرخ في 20 ديسمبر 1879 المنشئ للمدارس العليا بالجزائر، تحولت المدرسة إلى المدرسة العليا للطب والصيدلة وبموجب القانون المؤرخ في 30 ديسمبر 1909 حولت المدرسة إلى كلية الطب و الصيدلة بالجزائر، ومن بين طلبة هذه الكلية الذين برزوا في تاريخ الجزائر بن يوسف بن خدة الذي تحمل اسمه هذه الجامعة، التحق بها في سنة 1943 بعد التحاقه بحزب الشعب الجزائري سنة 1942 وتحصل على شهادة صيدلي سنة 1951 (ابراهيم ابن داود، ب س، 05) .

ولم تعرف الجزائر نظاما جامعيا خاصا بالجزائريين إلا بعد الاستقلال المعلن عنه في 1962. سيتطور النسيج الجماعي تطورا هائلا. بفعل ديموقراطية التعليم والانفجار الديموغرافي وكذا بفعل تكوين الدولة وعديد من المؤسسات العمومية عددا كبيرا من الكوادر والمؤهلين (بين الستينات وأواسط الثمانينات. حاليا، تنيف المدن ذات الجامعات أو المدارس العليا على العشرين، تستقبل أكثر من 300000 طالب. كان هذا التصور بوتيرة سريعة جدا إذ علمنا أنه، عشية الاستقلال ، لم يكن الطلبة الجزائريون سوى خمسمائة نفر يتابعون الدراسة بالجزائر أو بالخارج . (حسن رمعون: 1996، ص)

منذ 1962 ومع ميلاد الدولة الجزائرية المستقلة عرف التدريس في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية تقلبات عديدة، فإذا حصل الاتفاق على أنّ الوظيفة الأولى والأساسية للجامعة هي نشر وإنتاج المعرفة، غير أنّ هذه الوظيفة قد اصطدمت بالواقع الاجتماعي، وعرفت في مجال العلوم الاجتماعية ضغطا اجتماعيا وسياسيا، من خلال تدخل النسق السياسي الّذي حال غالبا دون احترام المقاييس العلمية في إنتاج المعرفة، إذ تمثل في البداية كل الاهتمام إلى تحقيق مبادئ عادة ما كانت توصف بالسمو والقداسة تمثلت أساسا في الجزائر، والتعريب وديموقراطية التعليم، دون احترام قواعدها أو الآثار التي يمكن أن تنتج عنها:

- لم يعد النشاط البحثي الخاص بكل أستاذ قاعدة للتقييم والاعتراف بالكفاءة سواء داخل النسق الجامعي أو خارجه، ومنها التخلي عن الكفاءة الخارجية لتترك فراغا ملحوظا لتجسيد ما يسمى بالسوسيولوجيا الوطنية (نورة قنينة: 2004، ص199).

- وتجلت انعكاسات التعريب أساسا على بعدين:

- **الأول:** اعتبار علم الاجتماع علما رياديا أوكلت له مهمة استرجاع عناصر الهوية الوطنية، والثقافية الإسلامية، وهذا ما أطر دور عالم الاجتماع باعتباره على هذا الأساس؟ مناضلا قياديا يشرف على توظيف معرفته لخدمة مشاريع التنمية التي يتطلع إليها المجتمع، من أجل بناء مشروعه الحضاري.

- **الثاني:** تجلى في ترجمة الأبحاث من لغتها الأصلية سواء الفرنسية أو الانجليزية، دون التحري بالحذر بالتعامل مع المفاهيم وارتباطاتها النظرية، ومن قمة انعكاساتها على الممارسة العلمية والابداع الفكري خصوصا أنّ أغلب الطلبة الملتحقين بعلم الاجتماع هم من المعربين الّذين يجدون صعوبة في التعامل مع المراجع الأصلية المكتوبة باللغات الأجنبية، ومنه يمكن أن نفهم أنّ الممارسة السوسيولوجية ركّزت على مبدأ الأصالة من خلال فرض الذات العربية على ماهو معرفة غربية منقولة أدّت إلى محدودية فعالية المعرفة السوسيولوجية، وإلى ما يسمى بمعرفة خاصة، بلغة خاصة و بثقافة خاصّة، وهي في الواقع ليست معرفة منتجة (نورة قنينة: 2004،ص200).

- نشر مؤسسات التعليم العالي عبر كامل التراب الوطني مع عدم توفر الإمكانيات المادية للجامعات– خاصة في المرحلة الأولى –لتتحمل تبعات ديمقراطية التعليم ومجانيته على حساب نوعيته وجودته، مما انعكس على علم الاجتماع من خلال : ضعف الاحتكاك بين الطلبة، أشكال تكوين طلبة علم الاجتماع وما يتطلبه سوق العمل، إذ نجد مخرجات قسم علم الاجتماع غير مطلوبة من طرف سوق العمل، خاصة في الوقت الراهن(عنصر العياشي: 1994، ص64).

ويلمس صاحب النظرة النقدية الفاحصة والممحصة، للممارسة السوسيولوجية في الجزائر وجود نوع من السطحية في التفكير السوسيولوجي، حيث بدأت مع بعض المدارس وظهر علم الاجتماع كعلم قائم بذاته، ثم سرعان ما وقع علم الاجتماع في حيرة أمام الظواهر الاجتماعية المتهاطلة التي أفرزها الواقع الاجتماعي، وتزعزعت المعرفة السوسيولوجية مع انهيار الاشتراكية وظهرت البرجوازية على أنقاض انتكاسة علم الاجتماع، لتعود الممارسة السوسيولوجية إلى التساؤل الذي انطلقت منه في البداية حول :ما هو علم الاجتماع؟ .وماذا يدرس؟...الخ (نورة قنينة: 2004، ص202).

وظهرت مدارس جديدة لتعيد النظر حتى في تعريف علم الاجتماع، وماذا يدرس هذا العلم؟، وحصل الخلاف حول موضوع هذا العلم، ولم يحصل الاتفاق حتى على المنهج، لذلك يقال أن علم الاجتماع" كثير المناهج قليل النتائج"، وجسدت الممارسة السوسيولوجية من خلال المدارس التي ظهرت مع الرأسمالية الجديدة خدمة النظام القائم، فاعتقدت الوظيفية أن كل ما هو موجود في المجتمع لديه وظيفة ضرورية .بينها اعتبرت الماركسية أكثر مصداقية لأنها ثارت ضد النظام القائم واعتبرته من خلال تحليلاتها وممارساتها السوسيولوجية متنبأة له بأنه يحمل بذور فنائه، واقترحت النظام الاشتراكي كبديل لا مفر منه(عبد الرحمن بوزيدة: 2010، ص12).

وجاءت الممارسة السوسيولوجية في الأبحاث على مستوى الجامعة الجزائرية أكثر تشوها من المنحى العالمي لمسار السوسيولوجيا، حيث اتجهت الدراسات والأبحاث غالبا إلى تبرير الأوضاع القائمة وعقلنتها على حساب تقهقر الفكر النقدي الذي يعتبر كفيل بكشف الرهانات والمصالح المعلنة والخفية داخل الأنساق الاجتماعية، وفي علاقاتها التفاعلية بالمجموعات الاجتماعية المسيطرة(عنصر العياشي: مرجع سابق،ص25)

ويحدد " **جمال معتوق** " في دراسته عن الممارسة السوسيولوجية بمعهد علم الاجتماع بالعاصمة عن تجربة الممارسة السوسيولوجية بالجزائر في كون التجربة الجزائرية هي التجربة الأولى التي أقحمت في مجال السوسيولوجية الفرنسية...والجزائر ظلت البلد الوحيد الذي لم يهتم بالتأريخ لأهم المراحل التي مر بها علم الاجتماع فيها. هذا ما نعكس سلبا على الدراسات المستقبلية حول الممارسة السوسيولوجية بالجزائر...للإهمال وتقصير المسؤولين والمشتغلين بعلم الاجتماع. (أحمد عماد الدين خوافي : 2015، ص13)

وتاريخيا فقد عرفت الممارسة السوسيولوجية بالجزائر مرحلة تبعية البحث العلمي في إطار خطاب إيديولوجي قائم على تكفل الدولة بانجاز مشروع وطني، ثم انتقل البحث السوسيولوجي إلى مرحلة الممارسة القائمة على التفكير حول الشروط الابستمولوجية لوضع أسس تقاليد سوسيولوجية في بلادنا. (أحمد عماد الدين خوافي: 2015، ص10)

وكما يقر" **معن خليل العمر** "في كتابه " نحو علم اجتماع عربي" أن هناك تقليد نقدي من طرف علماء الاجتماع المغاربة، فمنهم من تبنى النظرية الماركسية وأقحمها على دراسة جميع ظواهر ومشاكل المجتمع المغاربي ناقدا أنظمه وأنساقه وأنماطه، إلا أن هذا التبني لم

يكن صادقا أو مؤمنا بل جاء كتقليد للمتخصصين في علم الاجتماع في أوروبا، وكذلك كمصدر سريع للتكسب المادي والشهرة السريعة، فهؤلاء ينقدون الواقع والظواهر الاجتماعية من أجل النقد فقط وفي تلك الفترة الزمنية كان مفهوم النقد يحتل مكانا طليعيا بين الكتاب والمفكرين ولا يعطون البديل المناسب للمجتمع العربي، بل يقدمون طروحات جاهزة ومصطلحات منحوته، ومفاهيم محدودة مسبقا في بيئات مجتمعية غير عربية ولا تمثل مرحلته التطورية التي يمر بها. (معن خليل العمر: 1991، 320) وعلى حد تعبير علماء سوسيولوجيا المعرفة أن لفهم الفكر لايكون إلا بالحفر في الأعماق بحثا عن النشأة والتكوين والشروط الوجودية في التاريخ، وإكتشاف أطر المعرفة وأيضا اكتشاف المسكوت عنه والمنفي الفعال الذي أخفاه الخطاب أو النص. وكما حد تعبير " كارل مانهايم" إن الفهم الأعمق للانسان أو المجتمع يكون من خلال فهم ومعرفة تاريخية النشأة والتكوين، تطوره، صراعاته، مكاناته، ومواقفه. (عنصر العياشي: 1999، ص73)

في ثنايا هذا الطرح يمكن القول بأن التنظير، والتحليل وطرح مفاهيم ومصطلحات غربية بعيدة كل البعد عن واقع الأحداث الاجتماعية التي تتبلور في ضوء خصوصية عربية مغاربية أكثر. وهناك فئة ثانية تبنت النظرية الماركسية إلا أن هاتين الفئتين من علماء الاجتماع بجامعات الدول المغاربية لم تستطيع أن تجتاح الحاجز الذي وضعوه بينهم وبين واقعهم الحي ويدرسوه كما هو لا كما يجب أن يكون. (معن خليل العمر:1991، ص320)

لقد حاول "**لوي ورث**" في كتابة "الايدولوجيا و اليوتوبيا "الذي ألفه "**كارل مانهايم**" توضيح أهم أسباب ركود المعرفة البيولوجية وهو تفسير ينطبق على علم الاجتماعي بدول المغرب العربي وذلك حين ميز بين مجموعتين من العوامل:

الأولى وتتمثل في المحددات التي تفرض على العلم فرضا إكراهيا قسريا من خارجه. وإذا كانت المجموعة الأولى تشير إلى علاقة علم الاجتماعي بالنظام الاجتماعي الذي هو جزء منه يتأثر به، ويفترض انه يجب أن يؤثر فيه، فإن هذا النظام يحوي جملة الأبعاد الاجتماعية والاقتصادية، وما يترتب عليها من عناصر ثقافية وسياسية تؤثر في النشاط العلمي ومنتجه والمشتغلين به، الذي عليهم أن يأخذوا موقفا، فكرا وسلوكا، إقرارا أو إنكار أو حتى مواقف وسطية.

الثانيـة وتشـمل العقبـات، والصـعوبات الناتجـة مـن داخـل العلـم النفسـية، وإذا كانـت المجموعـة الثانيـة تشـير إلـى حالـة العلـم نظريـة ومنهجـا ،وموقـف مـن المجتمـع متمـثلا فـي الوظـائف التـي علـى العلـم أن يقـوم بهـا فـان كلتـا المجمـوعتين متفـاعلتين، أثرتـا فـي النشـاط العلمـي وتوجهاتـه، وأفضـتا فيـه فـي الـوطن المغـاربي إلـى النظـرة إليـه نظـرة لامبـالاة وإهمـال ،فانحصـر بـذلك فـي التلقين داخـل قاعـات التـدريب غيـر متجـاوز أسـوار الجامعـات فـي الكثيـر مـن الأحيـان. (عبد الباسط عبد المعطي: 1990، ص6)

إن فهـم أوضـاع علـم الاجتمـاع فـي الـوطن المغـاربي بحاجـة إلـى تحليـل تـاريخي ومعاصـر للأوضـاع وضـرورة ربطهـا بالإطـار المرجعـي الـذي أحـاط بهـا وأنـه لابـد مـن منطلقـات أساسـية تقـود عمليـات التحليـل والفهـم ،و إلا فقـد الباحـث طريقـه وأحـاط بـه عـدم الرؤيـة ويضـاف إلـى هـذا ضـرورة تحديـد مهـام علـم الاجتمـاع فـي كـل مرحلـة تاريخيـة يمـر بهـا المجتمـع المغـاربي. (عبد الباسط عبد المعطي: 1990، ص162)

إن الممارسـة السوسـيولوجية كثيـرا مـا كانـت محـدودة جـدا ولا تـزال فـي العديـد مـن المواقـع المعرفيـة المتعـددة لأن فاعليهـا تميـزوا بتـوقفهم الأكيـد عنـد حـدود الطـرح الكلاسـيكي القـديم إن كـان الماركسـي أو الـوظيفي، ليتحـول الانتـاج المعرفـي ودون الاقتـراب مـن الواقـع الحقيقـي. كمـا ويمكـن أن نلـتمس واقـع انتـاج المعرفـة السوسـيولوجية مـن خـلال الممارسـات السياسـية التعسـفية بـدءا بادماجـه مـع العلـوم الاجتماعيـة الأخـرى حيـث أفقدتـه خصوصـيته المعرفيـة ووجـوده الجـامعي كعلـم قـائم بذاتـه ليتحـول إلـى تـابع غيـر مرغـوب فيـه وفـي ذيـل الترتيـب، وربمـا أيضـا تغيـب لهـذا العلـم بـدولنا إرتـبط بفاعليـه والمنشـغلين بالحقـل المعرفـي الـذين تعايشـو مـع الوضـع لدرجـة الانسـياق أمـام العجز عن تغيير وضع سياسوي معرفي بامتياز. (نورة قنيضة :1016، ص137)

رابعا: الصعوبات أو العوائق التي تواجه الباحث السوسيولوجي العربي:

إن تهمـيش البحـث العلمـي فـي ميـدان علـم الاجتمـاع يعـود لعوامـل كثيـر موضـوعية وذاتيـة، ماديـة ومعنويـة وفـي كـل الحـالات فـان ذلـك يعبـر بصـدق عـن طبيعـة الرهانـات المرتبطـة بإنتـاج واسـتعمال المعرفـة الاجتماعيـة ويتجسـد ذلـك فـي وضـعية علـم الاجتمـاع فـي بلـدان المغـرب العربـي المتميـزة بسـيطرة نزعـة تقنويـة قويـة تمثلهـا وتـدافع عنهـا مجموعـة مـن الامتثـاليين الـذين لا يسـتطيعون إنتـاج معرفـة نقديـة حـول المجتمـع فيقومـون بـدلا مـن ذلـك بإنتـاج خطـاب عقيـدي حـول

المعرفة لا يتجاوز الحدود التي ترسمها السلطة والقوى الاجتماعية المسيطرة في كل تجلياتها. وقد حرم ذلك المجتمع من النظر إلى نفسه نظرة نقدية متخصصة والتساؤل حول مساره، ما أتاح له الاستمرار في دوامة من الزيف الذي لم يعمل سوى على زيادة حدة التناقضات والصراعات إلى درجة أضحت تهدد المجتمع في كيانه. (العياشي عنصر: 1999، ص7-8)

لقد تميز مجال البحث العلمي عموما وفي علم الاجتماع خصوصا بتبعية واضحة ومؤكدة للتصورات والانشغالات المعبر عنها من قبل السلطة السياسية، وقد تحققت تلك التبعية من خلال آليات عديدة لعل أهمها التوجه الإيديولوجي وعملية التمويل. ونقصد بالتوجه الإيديولوجي أن معظم الأبحاث التي جرت في علم الاجتماع سواء كانت لتلبية طلب اجتماعي مباشر وصريح صادر من قبل مؤسسة رسمية أو اندرجت في إطار دراسات جامعية ذات طابع أكاديمي موجهة نحو تحضير شهادات ودرجات علمية، هذه البحوث في معظمها خضعت لتصورات الإيديولوجية المسيطرة.(عنصر العياشي: 1999، ص161)

هذه التبعية في مجال البحث العلمي علم الاجتماع لا يفسرها الانقياد والخضوع للتوجهات الإيديولوجية المرحلية التي تفرض نفسها على الباحثين من خلال آليات الانتقاء والتصفية القبلية (اقتراح محاور البحث من قبل الهياكل الوطنية لجان دراسة وتقويم مشروعات البحث). والتبعية تفسر أيضا من خلال التمويل المباشر وغير المباشر لتلك البحوث.(عنصر العياشي: 1999، ص162)

كما وتوجد العديد من الأسباب التي ساهمت ولا تزال في تعمل على إضعاف الواقع الاجتماعي للسوسيولوجيا بوطننا المغاربي والتي تعتبر الأهم لأنها تتعلق بثقافة أفراد المجتمع، حيث نجد في الغالب أن هناك انفصال بين الفكر والفعل الاجتماعي في حياتنا حيث إرادة ولا منهج، ولا وعي نقدي بالوسيلة والهدف، قطيعة بين الفكر ومقتضيات الواقع ومنهجية الانجاز، أو فن وتقنية العمل التي تعتبر خبرة وممارسة وثقافة اجتماعية وتاريخية في تلاحم مع الفكر المنهجي وهذا ما يعكس وجود قطيعة بين واقعنا الاجتماعي وبين تفكيرنا الذي غالبا ما يكون مستمد من جهات غربية. (شوقي جلال: ب س، ص83)

وفي هذا السياق يرى الدكتور الجزائري " **يوسف سعدون**" أن اهتمامات علماء الاجتماع العرب بصفة عامة مازالت تصب في نفس اهتمامات رجال الفكر السوسيولوجي الغربي، ويكفي أن نراجع وقائع الندوات والمؤتمرات التي نوقشت فيها اشكالية " علم الاجتماع العربي" لنرى إلى

أي مدى يعاني هذا العلم من التدهور والاغتراب. حيث نلاحظ الانفصال الكامل بين الفكر والعمل، أو بين التراث النظري والواقع الامبريقي وانحياز علماء الاجتماع للتراث النظري الغربي. (يوسف سعدون: 2015) ويمكن حصر هذه العوائق في الترسيمة الآتية:

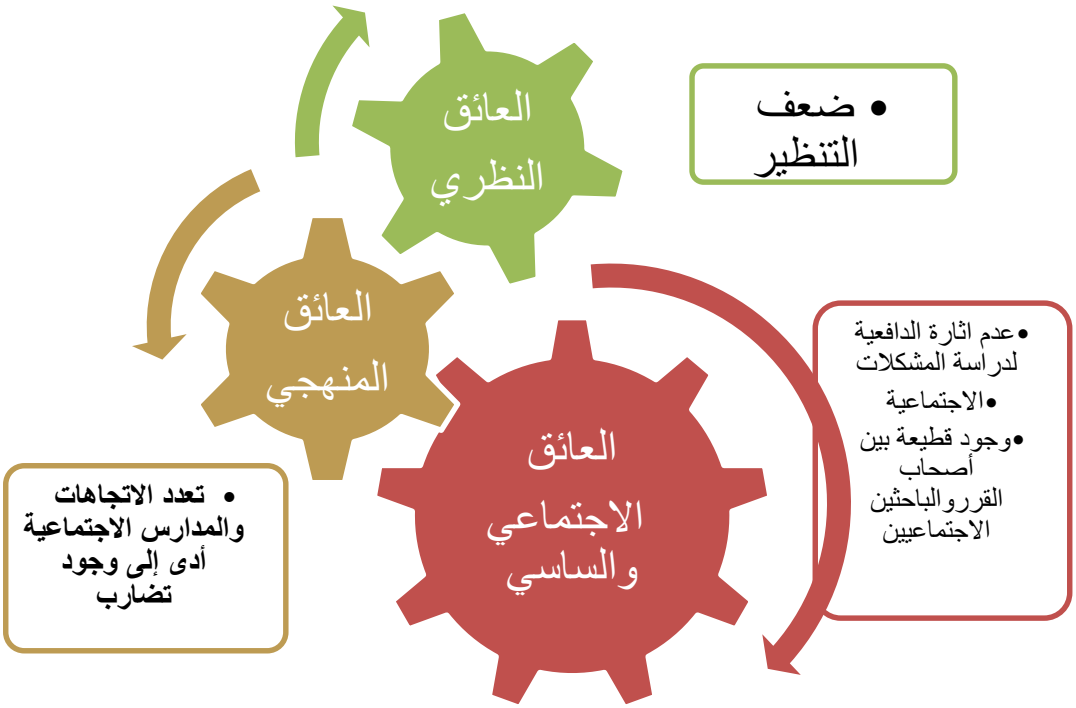

المصدر: الباحثتين

العائق النظري :

يتمثل في الضعف النظري لدى الاجتماعيين العرب، حيث أنّ غالبيتهم لا يطلعون إلا على النصوص الأساسية للنظريات المطروحة، لذلك يواجهون صعوبات حقيقية في الحكم الموضوعي على الآراء والتيارات والاتجاهات.

العائق المنهجي:

يلعب هذا العائق دورا كبيرا في عرقلة تطور العلوم الاجتماعية في الوطن العربي، ويمكن الموافقة هنا جزئيا على الرأي القائل إن دراساتنا الاجتماعية تعود اما إلى الاتجاه المادي الجدلي والتركيز على الصراعات، أو إلى الاتجاه البنيوي والوظيفية، أو إلى الاتجاه الذي لا يتقيد باتجاه ولا يلتزم بنظرية أو منهج، فالخاصية الكبرى لعلم الاجتماع العربي أنه لا ينتمي إلى اتجاه وحيد، أو إلى منهج معين أو

مدرسة اجتماعية بعينها، أي أنه علم بدون هوية محلية خاصة بها نابعة من مشكلات وممارسات المجتمعات العربية.

العائق الاجتماعي والسياسي:

بحيث يشكو الاجتماعيون العرب من أن المؤسسات التي يعملون في إطارها لا تشجعهم على إثارة المشكلات الجديدة و الموضوعات الخلافية، فالباحث في البلدان العربية يصنف ضمنا أو عرفا الموضوعات إلى حسّاسة أو غير حسّاسة وهو نهج فعّال على صعيد الإنتاج السوسيولوجي في البلدان العربية.

أما فيما يتعلق بالجانب السياسي يرى عدد كبير من الباحثين العرب إن المؤسسات الرسمية، خصوصا صاحبة القرار بحذر بالغ إلى ما يقوم به الباحثون الاجتماعيون من دراسات وغوص في أعماق المجتمع وأنساقه المختلفة، وهناك قطيعة واضحة بين أصحاب القرار والذين يمتلكون ناصية المعارف العلمية الاجتماعية ، إن عملية اتخاذ القرار محتكرة في يد نخبة سياسية لا تؤمن بالمنهج العلمي الإيمان الكافي، كما أنّها لا تسعى لبرمجته والأخذ بيد العلوم وخاصة الاجتماعية منها إلى طريق النور لأنّها ترى أنّها ستمثل لها فيما بعد أكبر عائق، وهذا أحد أسباب عدم فاعلية العلوم الاجتماعية في الوطن العربي ككل .(جميلة شلغوم : 2012/2013، ص 93)

خاتمة:

خلاصة للورقة البحثية يمكن أن نرجع أهم الأسباب المساهمة وبشكل كبير في أزمة علم الاجتماع بالإضافة إلى المحددات السابقة من واقع الممارسة السوسيولوجية بالجامعة المغربية و ازمة انتاج المعرفة السوسيولوجية بالمجتمع المغاربي نجد كذلك سبب آخر يتمثل في غياب الوعي الكافي بأهمية هذا العلم في تحليل المجتمع والعلاقات بين أنساقه، حيث يركز على ضرورة التفكير النقدي للمجتمع وممارسته خلال مراحل تحوله حيث تسعى المعرفة السوسيولوجية إلى تأطير المجتمع في إطار نسق من العلاقات والتفاعلات والتمثلات قصد المساهمة في تطوير طرق التفكير وتغيير نوع العلاقات الاجتماعية القائمة لمسايرة التحولات السوسيو ثقافية التي يشهدها المجتمع ككل.

ولإحداث التغير والتقدم في المجتمعات لا بد وأن تكون الجامعة هي المساهم الأوّل في تنميته في جميع جوانبه ، من خلال ما تنتجه من معارف و ابتكارات في الميدان العلمي فهو الأســـاس الأوّل لكل الدول ، ولكن من المؤسـف أنّ هذه الابتكارات العلمية قد غابت عن الجامعة الجزائرية خاصــة في الحقل السـوسـيولوجي رغم التزايد الكبير للمنتمين لهذا العلم كعلم أكاديمي يدرس لا غير فأصـبح الأسـتاذ مقدما للمحاضــرات فحســب و الطالب مســتهلكا لا ناتجا ولا مجددا، ومن هنا فنحن نعيش أزمة انتاج المعرفة السوسيولوجية وفقدان هويتها في المؤسسات الجامعية الجزائرية.

قائمة المراجع :

الكتب :

1 – الطيب جيد، محمد بودرمين، **علم الاجتماع الانتروبولوجي**، مركز البحث في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، الجزائر، 1977

2 – حسن عزوزي، **إسهام الجامعات الإسلامية في الحضارة الاسلامية**، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم الثقافية، ايسيسكو، المملكة المغربية ، 2010

3 – عبد الغني مغربي ، **الفكر السوسيولوجي عند ابن خلدون** ، دار القصبة ، الجزائر ، 2006

4 – محمد ابراهيم عبد المجيد، **علم الاجتماع النشأة والتطور**، المشكلات الاجتماعية، ط1، مؤسسة رؤية للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية، 2007 .

5 – محمد منير مرسي، **التعليم الجامعي المعاصر، قضاياه واتجاهاته**، دار النهضة العربية، مصر، 1977

6–عنصر العياشي، **أي غد لعلم الاجتماع" نحو علم الاجتماع نقدي**"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994

7–*عنصر العياشي: سوسيولوجيا التمرد والديمقراطية بالجزائر،دار أمين للطباعة والنشر، ط1،القاهرة، 1999.*

8– غاستن باشلار، الفكر العلمي الجديد، ترجمة عادل العوا وآخرون، منشورات وزارة الثقافة والسياحة والارشاد القومي، دمشق،1969

الرسائل والمذكرات :

1 – أحسن زروق ، **العلوم الاجتماعية و الانسانية في الجامعة الجزائرية** ، مذكرة ماجستير ، معهد العلوم الاجتماعية و الانسانية ، جامعة الجزائرية ، 2006

2 – أحمد زرزور ، **تقييم تطبيق الاصلاح الجامعي الجديد نظام ليسانس – ماستر – دكتوراه في ضوء تحضير الطاية الى عالم الشغل** ، مذكرة ماجستير ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، قسم علم النفس و علوم التربية و الأرطوفونيا ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2005 / 2006

3 – الويزة سي محمد ، **دور نموذج التحليل و علاقته بالمعرفة السوسيولوجية** ، مذكرة ماجستير ، علم الاجتماع المنهجية ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، جامعة الجزائر ، 2008 / 2009

4 – جلال عبد الحليم ، **الرضا الوظيفي لدى الاساتذة الباحثين في الجامعة الجزائرية** ، رسالة دكتوراه علوم ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية ، قسم علم اجتماع تخصص ادارة الموارد البشرية ، 2015 / 2016

5 – جميلة شلغوم ، **واقع السسيولوجيا في الجزائر في ظل الحداثة و ما بعد الحداثة** ، مذكرة ماجستير ، علم اجتماع تنظيم و عمل ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية ، 2012 / 2013

المنشورات:

1 – ابراهيم بن داود، **الوسطية والاعتدال ودور الجامعة الجزائرية في تكريسها** ، جامعة الجلفة ، الجزائر .

2 – حسن رمعون ، **الجامعة نتاجا للتاريخ و رهانا مؤسساتيا : حالة الجزائر و العالم العربي** ' مداخلة قدّمت في الملتقى الوطني الذي نظمته في 3 و4 جوان 1996 ، جامعة قسنطينة حول موضوع "أي جامعة لاقتصاد السوق ؟

3 – رياض عزيز هادي ، **الجامعات (النشأة و التطور – الحريّة الأكاديمية – الاستقلالية)** ، مجلة سلسلة ثقافة جامعية ، مجلد 02 ، عدد 02 ، جامعة بغداد ، العراق ، 2010

4 – سعيد عيادي ، **التجربة السوسيولوجية في الجزائر** ، مجلة افاق لعلم الاجتماع ، العدد 1 ، جامعة سعد دحلب ، البليدة ، 2007

5 – ليلى زرقان ، **إصلاح التعليم العالي الراهن lmd و مشكلات الجامعة الجزائرية** ، دراسة ميدانية بجامعة فرحات عباس ، سطيف 2 .

6– نورة قنينة، **الممارسة السوسيولوجية وتمثلاتها لدى أساتذة علم الاجتماع**، أعمال الملتقى الوطني حول– :علم الاجتماع والمجتمع الجزائري أية علاقات، وهران: 04–05–06–ماي–2002، دار القصبة للنشر، الجزائر،2004

7–*يوسف سعدون: قراءة نقدية حول علم الاجتماع العربي، 2015/07/08.*

8–*صالح سليمان عبد العظيم، أزمة علم الاجتماع في العالم العربي، 28 ديسمبر 2007.*

9– *الفضيل رتيمي: واقع علم الاجتماع، 26 مارس 2014*

Les ouvrages étranger

1- Badawi Zaki, **Dictionnaire of sociology science**. Beyrouth ; Library of lobnane, 1985.

أسباب تدني التحصيل الدراسي في اللغة الثانية لتلاميذ المرحلة الثانوية

– من وجهة نظر الأساتذة –

الباحث/ حساني مصطفى.

المركز الجامعي أفلو ـ الجزائر.

ملخص بالعربية :

هدف البحث إلى معرفة مجمل الاسباب التي تجعل التلاميذ يتحصلون على نتائج متدنية في مادة اللغة الفرنسية وذلك من وجهة نظر أساتذة التعليم الثانوي .

وقد استخدم المنهج الوصفي ، والإستعانة بإستبيان أعد كأداة للدراسة ، وزع على **51** أستاذ يشكلون العدد الأصلي للأساتذة الذين يدرسون في المرحلة الثانوية بالجهة الشمالية الغربية بولاية الأغواط . وكانت نتائج الدراسة كالآتي :

– وافق الأساتذة بنسب كبيرة على أسباب من التلاميذ ذاتهم : كعدم وجود دافعية ورغبة ، و عدم شعور وإدراك التلاميذ بأهمية دراسة اللغة الفرنسية.

– وبنسب كبيرة كانت إجاباتهم تدور حول المنهاج : كقلة التطبيقات المتنوعة للدروس ، و عدم ملاءمة المنهاج لمستوى التلاميذ.

وقد قام الاساتذة عينة الدراسة بترتيب الاسباب التي تحول بين التلميذ وتعلمه اللغة الفرنسية بـ : اولا التلاميذ انفسهم ثم الاساتذة والمناهج .

الكلمات المفتاحية : اللغة الفرنسية ، تدني التحصيل الدراسي ، إتجاه أساتذة التعليم الثانوي، تلاميذ احادي اللغة.

Summary :

The aim of the research was to find out all the reasons why students get low results in French language ,This is from the viewpoint of secondary education teachers .

Descriptive method was used , And the use of a questionnaire prepared as a tool for study , Distribute to **51** professors ; They make up the original number of teachers studying at the secondary level , In the northwestern region of Laghouat .

The results of the study were as follows :

-The teachers agreed in large proportions to the reasons from the students themselves , As the lack of motivation and desire, and the lack of feeling and awareness among students of the importance of studying the French language .

- In large proportions, their answers revolve around the curriculum ; As few diverse applications of lessons, and the curriculum is not appropriate to the level of students.

- The teachers of the study sample arranged the reasons That turns between the student and his learning the French language through: First students themselves, then professors and curricula .

Key words: French language, poor academic achievement, secondary education teachers , Monolingual students

مقدمة :

مع دخول عصر العولمة بدأ الكثير من المثقفين يبدون قلقهم من ضعف المستوى العام لدى طلابنا في اللغة الأجنبية لأن مثل هذا الضعف قد يؤدي إلى تخلفنا العلمي. فالعصر الذي نعيشه هو عصر الإنفجار المعلوماتي والتقدم التقني الهائل في سهولة وسرعة الحصول على المعلومات, وحيث أن هذه المعلومات قد صيغت في الغالب بلغة أجنبية فسيصعب على ناشئتنا اللحاق بركب العلم والثقافة ويتخلفون عن بقية الأمم. والحقيقة أن العولمة ليست مجرد ركب علمي علينا اللحاق به بل هي سياسة إستعمار جديدة قال عنها البعض أنها أخطر أنواع الاستعمار، فالمعلومات الكثيرة التي تغزونا سواءً شئنا أم أبينا عبر القنوات العديدة وعبر شبكات المعلومات العالمية منها الغث والسمين, وكلها يحمل ثقافة مؤلفيها, لذا فنحن في هذه (القرية الكونية) كما يسمونها علينا واجبين أساسيين تجاه ناشئتنا: الأول: الحفاظ على الهوية الإسلامية للناشئة ومحاولة استغلال آلية العولمة لعرضها على الآخر. الثاني: تزويد الناشئة بالوسائل التي يستطيعون من خلالها فهم الآخر و الأخذ من علومه دون سمومه. وبصفتي مستشار توجيه وإرشاد مدرسي وحسب الإطلاع المعمق للإحصائيات الخاصة بمقارنة وتحليل نتائج التلاميذ وكذا تحليل نتائج البكالوريا لاحظت ذلك النقص الكارثي في تحصيل مادة اللغات وخاصة اللغة الفرنسية على مستوى المنطقة إن لم نقل على المستوى الوطني وهناك بعض التصنيفات على أن هناك مناطق أحادية اللغة تمتاز بهذه الصفة وهي الضعف اللغوي بإعتبار أن تلاميذها ينشئون على لغة واحدة وهي اللغة الأم (العربية) ، وأثناء دخولهم المدرسة يصطدمون بلغة ثانية وهي في منهاجنا التربوي الفرنسية التي وحسب بعض الدراسات وجد لدى هذه الفئة نقص كبير في إكتساب مفرداتها (حسب نيوبورت وجونسون سنة 1991) وعلى هذا المنوال أردنا أن لا نقع في التكرار وأن لا نغوص في أسباب تدني التحصيل في اللغة الفرنسية نظريا التي دائما نرجعها

إلى المنهاج وإلى المعلم أو إلى الرصيد اللغوي القاعدي للتلميذ ، لكن في هذا البحث أردنا أن نستكشف ونبحث في أهم الأسباب الواقعية التي تعيق التلميذ وخاصة أحادي اللغة لكي يتعلم اللغة الثانية والتي عادة ما تكون سببا في تدني تحصيله وتؤثر على مساره الدراسي ، وعلى هذه الشاكلة جاء بحثنا والذي يدرس " **أسباب تدني التحصيل الدراسي في اللغة الثانية لتلاميذ المرحلة الثانوية– من وجهة نظر الأساتذة –**

1- الإشكالية :

أفرزت عدة عوامل (جغرافية وتاريخية وثقافية وتربوية) فئتين مختلفتين في تعلم وإكتساب اللغة الثانية ،فئة ذات تحصيل لغوي مرتفع وفئة أخرى ذات تحصيل متدني ،فجرى البحث منذ سنوات عدة في إيجاد عوامل تساعد على إكتساب اللغة الثانية وتطوير تعليمها وتعلمها لأجل معالجة الضعف الحاصل لدى بعض الأشخاص وخاصة التلاميذ في المدارس لكي يرفعوا من تحصيلهم في هذه المادة أو اللغة الأجنبية والتي هي في منهاجنا التربوي الجزائري تدعى اللغة الفرنسية ،والملاحظ أن لا المناهج ولا الطرق التعليمية ولا المعلمين إستطاعوا أن يحلوا مشكلة ضعف تحصيل وإكتساب اللغة الثانية . فـ :

– ما هي مجمل الأسباب التي يراها الأساتذة و تكون هي العامل الأقرب والأهم في تدني تحصيل التلاميذ في مرحلة التعليم الثانوي في الجهة الشمالية لولاية الاغواط ؟:

أ– ما هي الأسباب التي تعود على المعلم ؟

ب– ما هي الأسباب التي تعود على المتعلمين أنفسهم ؟

ج– ما هي الأسباب التي تعود إلى المنهاج الدراسي ؟

د– ما هي الأسباب التي تعود للطرق المستخدمة في التدريس ؟

هـ – ما هي الأسباب التي تعود إلى أساليب تقويم التلاميذ ؟

– ما هو العامل من العوامل السابقة يمكن أن يراه الاستاذ الأكثر تأثيرا على إعاقة تعلم التلميذ للغة الفرنسية ؟

– ما هو رأي اساتذة التعليم الثانوي لمعالجة إشكالية ضعف وتدني تحصيل التلاميذ في مادة اللغة الفرنسية ؟

2- الفرضيات:

- هناك عدة اسباب وعوامل تجعل التلميذ يخفق في إكتساب وتعلم اللغة الفرنسية و جني تحصيل دراسي في هذه المادة .

- دائما ما يكون التلميذ هو العامل والسبب الرئيسي في تدني التحصيل في اللغة الفرنسية .

3- الهدف من الدراسة :

- عمل مسح عام لمجمل الأسباب التي يمكن أن تكون عائقا لعدم تحصيل التلاميذ للغة الفرنسية.

- أخذ رأي الاساتذة لإبداء رأيهم في معظم المشاكل والصعوبات التي يواجهها التلاميذ لتعلم اللغة الفرنسية.

- حصر اهم أسباب ظاهرة إنخفاض التحصيل الدراسي في اللغة الفرنسية من وجهة نظر اساتذة التعليم الثانوي .

- إبراز الحلول التي يمكن ان تخفف من ظاهرة إنخفاض التحصيل الدراسي في اللغة الفرنسية من عمق الواقع ومن خلال وجهة نظر الأساتذة.

- لفت الإنتباه إلى ظاهرة خطيرة على المجال التربوي الجزائري من خلال دراستها وتحليلها .

-الإهتمام بفئة عانت كثيرا من تقهقر النتائج في اللغة الفرنسية وهي فئة تصنف في علم النفس اللغوي بأحادية اللغة .

الجانب النظري :

1- تعلم وإكتساب اللغة الثانية :

يعرف كينيث بايك (kenneth pike, 1967) اللغة بقوله :

اللغة سلوك، وهي وجه من وجوه النشاط البشري والذي يجب ألاَّ يعامل في جوهره منفصلاً عن النشاط البشري غير الشفوي.

ويعرفها بلوتنك(Plotnik ,1999) فيقول:

اللغة شكل من أشكال التواصل، نتعلم منه استعمال قوانين معقدة تشكّلُ رموزاً (كلماتٍ أو إشاراتٍ)، تولّد بدورها عدداً غير محدود من جمل ذات معنى.

أمّا باي(Pie, 1966) فيعرّفها بقوله:

اللغة طريقة اتصال بين أعضاء مجموعة من الناس عن طريق الأصوات، تعمل من خلال عضوي النطق، وذلك باستعمال رموز صوتية تحمل معاني معنية. (موسى رشيد حتاملة) .

2- اللغة الأجنبية seconde Langue :

وتسمى عند البعض الباحثين اللغة الثانية seconde Langue ، وهي كل لغة أجنبية يتعلمها الفرد بعد لغته الأصلية (اللغة الأم)، وتتميز بأن لها مقاما ثانويا في تخطيط السياسة اللغوية، يلجأ إليها لتنمية التفاهم الدولي واكتساب المصطلحات الفنية والعلمية والمهنية، كما تحضى اللغات الأجنبية بوضع متميز على المستوى الديداكتيكي، وبوضع خاص تعليميا كونها تستقي مادتها من مصادر متعددة، وتعلم لغة ثانية ليس بالأمر الهين بل لا يستطيع أحد أن يخبرك كيف تتعلم لغة أجنبية دون أن تحاول أنت محاولة حقيقية، فتعلم لغة ثانية عملية مركبة تتضمن عددا لاحد له من المتغيرات.(د. عبد الحفيظ تحريشي 2017 ، ص 13).

3- إكتساب اللغة:

" يقصد بالاكتساب تلك العملية التي تتم عن غير قصد ولاوعي من الإنسان كما تتم بشكل عفوي".
(رشدي أحمد طعيمة ومحمد السيد مناع، 2000 ،ص35).

وتسمى هذه العملية أيضا بالتعلم الطبيعي، التعلم الضمني والتعلم بشكل لا إرادي. وكلها مفاهيم ومصطلحات تشير إلى أن عملية الاكتساب تتم بطريقة غير واعية ولا منظمة حيث تكون لعملية التقليد والمحاكاة دورا أساسيا فيها . من خلال تعرض الفرد إلى فرص الاتصال بشكل مستمر ودائم في مختلف المواقف الحياتية من خلال اللغة بشكل عفوي حسب ما تقتضيه الحاجة الاتصالية الاجتماعي. كما أن عملية الاكتساب خاصة باللغة الأولى التي يكتسبها الطفل من محيطه مثل اكتساب اللغة العربية العامية. و فيها لا يشغل هذا الأخير نفسه في فهم القواعد النحوية ولا يتوقف برهة ليحفظ بعض الكلمات ثم يرتبها في تراكيب وجمل. بل لديه حساسية اكتسبها من محيطه تجعله يرفض بعض التعبيرات ويقبل البعض الآخر، ويؤثر كلمة على أخرى في ضوء ما ألفته أذنه. وما يجري على ألسنة الآخرين في محيطه" .(نفس المرجع السابق ، ص36).

4- و **إكتساب اللغة** هي إستطاعة الأفراد اكتساب وامتلاك لغة أو عدة لغات أخرى بالإضافة إلى اللغة الأم أو الطبيعية ليستطيع التعامل بها داخل قاعات التدريس أو خارجها وتدخل في ذلك عدة عوامل تؤثر على عملية الإكتساب منها الثقافية والإجتماعية . (Rod Ellis, P3)

يتعلق اكتساب اللّغة الثَّانية بدراسة الطريقة التّي يصبح فيها الفرد قادرا على تعلِّم لغة أوأكثر، غير لغته الأولى، سواء أكان ذلك في فصول تعليم اللّغة، أ وعن طريق التَّعلم الطَّبيعي للغة من خلال التَّفاعل مع الناطق الأصلي باللّغة. ومصطلح اللّغة الثَّانية يطلق على أية لغة يتعلّمها الإنسان بعد أن يتقن لغتُه الأولى. ويشمل تعلّم أي لغة من اللّغات – وبأي قدر كان– شريطة أن يأتي تعلّم اللّغة الثّانية في وقت متأخر عن تعلم اللّغة الأولى.(معزوزن سمير).

5– **العوامل المؤثرة في اكتساب اللغة الثانية :**

1 - طبيعة اللغة المتعلمة ومنطقية أنظمتها اللغوية: الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والتركيبية والأسلوبية. فالمعرفة بها وبمستوياتها وعناصرها تسهل عملية الاكتساب، وذلك عبر تقديم السهل قبل الصعب، والبسيط قبل المعقد، والقريب قبل البعيد ... إلخ.

2 - البيئة التي يتعلّم فيها الدارس اللغة الهدف، وكمية التعرض للغة الهدف. فكلما كانت البيئة قريبة من اكتساب اللغة الأولى كلما تطورت الكفاءة سريعاً، فكثرة التعرض تؤدي إلى سرعة الاكتساب.

3- الدخل اللغوي والمحتوى أو المضمون الذي يتعرض له متعلم اللغة ودارسها. إن المحتوى أو الدخل اللغوي المبني على أسس لغوية ونفسية واجتماعية أدعى إلى عملية اكتساب منتظمة تلبي حاجات الدارس تدريجياً.

4- طرائق وأساليب تدريس اللغة الهدف. ظهرت طرائق تدريس مختلفة ومتعددة ولكل منها إيجابيات وسلبيات، يجب على معلّم اللغة تخير ما يحقق عملية الاكتساب وييسرها بما يتوافق مع طبيعة الدارسين وأنماط وعادات تعلمهم.

5- اللغة الأم للدارس ودرجة قربها في أنظمتها اللغوية من اللغة الهدف. كلما زاد وعي المدرس بأنظمة اللغتين الأم والهدف كان الاكتساب ممنهجاً في توقع التشابة والاختلاف وتوظيف التقابل وتحليل الأخطاء في الخطوات التدريسية وإعداد المواد اللغوية.

6 - سن الدّارس فمن المعلوم أن تعلّم اللغة الأجنبية قبل ما يسمى بالمرحلة الحرجة أيسر من تعلّمها فيما بعد. قدم لنا علم اللغة النفسي مبادئ متعددة في كيفية الاكتساب ومراحله ومستوياته، فزيادة الوعي بذلك تسهل عملية الاكتساب.

7- الاستعداد الفطري والدافعية التي يملكها متعلّم اللغة الهدف، فكلما كانت الدوافع داخلية كان الاكتساب أفضل وأسرع.

8 - الشخصية، فالأشخاص المنفتحون على الآخرين أسرع تعلّماً ممن يعتريهم القلق من كل ما هو جديد.

9- التغذية الراجعة التي يحصل عليها المتعلم من مدرسه وبرنامجه والبيئة المحيطة به التي تمثل التعزيز وفق المدرسة السلوكية.

10- دور المعلّم: اتجاهاته ولغته ووعيه بمنظومة تعليم اللغة الأجنبية يساعده في إكساب الدارسين لديه اللغة الهدف.

11- دور المتعلم، يتوقع من الدارس أن يقوم بخطوات عملية وواقعية في الاستماع والتدرب والممارسة وتكوين عادات تعلّم إيجابية تساعده في تعلم اللغة واكتسابها ولعل من أبرزها الاندماج في المجتمع الهدف.

12 - التكيف الثقافي والإقبال على مجتمع اللغة الهدف والرغبة في الاندماج فيه. يكتسب الدارس الذي يملك تصورات إيجابية نحو اللغة الهدف ومجتمعها وثقافتها اللغة أسرع وأفضل من غيره.

13 – الذكاء والقدرات المعرفية.

14- المنهج الدراسي/ المحتوى التعليمي، المناهج مختلفة ومتعددة وتعكس تصورات المؤلفين وخبراتهم، ولكن المنهج الجيد هو الذي يستطيع تلبية حاجات المتعلمين.

وبعضهم يقسم هذه العوامل إلى عوامل داخليّة كالسن والدافعية والخبرة والذكاء والاستعداد الفطري، وعوامل خارجية، كالمنهج وطرائق التدريس والثقافة والدافعية الخارجية والتغذية الراجعة. (خالد أبو عمشة 2016).

5- **صعوبات تعلم اللغة الثانية :**

-أ- صعوبات التعلم:

1 تعريف مايكل بست : وتحدث في أي سن وتنتج عن انحرافات في هي اضطرابات نفسية عصبية في التعلم الجهاز العصبي المركزي وقد يكون السبب راجعا إلى الإصابة بأمراض أو التعرض للحوادث أولأسباب إنمائية .(عمر محمد عبد الخطاب : ،ص26)

تعريف اللجنة الوطنية الأمريكية الاستثمارية للأطفال المعاقين:

إن الأطفال ذوي صعوبات التعلم هم أولئك الذين تظهر عليهم اضطرابات في واحدة أو أكثر من العمليات النفسية الأساسية والتي تتضمن فهم واستعمال اللغة المنطوقة أو المكتوبة وتظهر في اضطرابات السمع والتفكير والكلام والقراءة والتهجئة والحساب، تعود إلى إصابة في الدماغ وليس لها علاقة بأية إعاقة من الإعاقات سواء كانت عقلية سمعية أو بصرية .....الخ. (نفس المرجع السابق).

وحسب القانون العام (94/142) الصادر عن الحكومة الاتحادية الأمريكية:

إن الأطفال ذوي صعوبات التعلم هم الذين يعانون من قصور في واحدة أو أكثر من العمليات النفسية الأساسية التي تتطلب فهم أو استخدام اللغة المكتوبة المنطوقة ويظهر هذا القصور في نقص القدرة على الاستماع أو التفكير أو الكلام أو القراءة أو الكتابة أو التهجئة أو في أداء العمليات ويرجع هذا القصور إلى إعاقة في الإدراك أو إلى إصابة في المخ أو إلى خلل وظيفي أو إلى عسر القراءة أو حبسة الكلام **dysphaisie**، ولا يجوز أن تكون صعوبات التعلم هذه ناتجة عن إعاقة بصرية أو سمعية أو حركية أو عن تخلف عقلي أو عن اضطراب انفعالي أو حرمان بيئي أو ثقافي أو اقتصادي. (محمد عبد الرحيم عدس 1998، ص 15).

ب-صعوبات التعلم في الكلام واللغة:

تعد مشكلات الكلام واللغة من المؤشرات الأولية لصعوبات التعلم، فالأشخاص الذين يعانون من اضطرابات نمائية في الكلام واللغة لديهم صعوبة في إنتاج أصوات الكلامً على فهم واستخدام اللغة الشفهية في التواصل الكلامي أوفي فهم ما يقوله الآخرون وبناءا المشكلة يمكن تحديد تشخيصات محددة قد تكون:

1) اضطرابات نمائية في انتقال اللغة reception languge .

2) اضطرابات نمائية في النطق- articulation ّ.

3) اضطرابات نمائية في اللغة المعبرة expressive langue . (منى إبراهيم اللبودي 2005: ص19).

إن صعوبات التعلم وكتابة اللغة في المدرسة عقبة من عقبات النجاح فإذا كانت تسمى مباشرة القراءة وقواعد الكتابة في السنوات الأولى فإن نتائجها تتسع في المستقبل لتشمل كل النشاطات التي تتألف منها اللغة إذ تصبح لغة الطفل خرقاء maladroite. فهناك من الباحثين من يرجع مفهوم صعوبات تعلم القراءة والكتابة إلى عدة عوامل مثل **جليفريه galifrel** الذي يؤكد على وجود صعوبة تتصل بالعجز في استعمال الرموز الكتابية إلى جانب هذا تعتقد **جادول jadoule** أن المشكلة متصلة بعجز في تنظيم التصور الجسدي **corporel scéma** والإدراك المكاني و الزماني بالإضافة إلى عدم تكوين الوظيفة الرمزية المتصلة باللغة خاصة المكتوبة. (Andréa Jadoule. 1962 : p48).

6- تعلم وتعليم اللغة الثانية في الجزائر :

حسب ما أشارت إليه (Tagliante2006) فان اللغة الأجنبية هي اللغة المتعلمة لهؤلاء الأشخاص الذين لا يمتلكون هذه اللغة كلغة أم. وقد أكد (Defays2003) ذلك بإشارته إلى أن تدريس اللغة الفرنسية باعتبارها لغة أجنبية يعني تدريس اللغة الفرنسية للأجانب أو لغير الناطقين بها .وقد أوضح انه في البداية كانت الأساليب المتبعة في تدريس اللغة الأجنبية هي نفس الأساليب المتبعة في تدريس اللغة الأم، إلا أنه بعد ذلك تم التمييز بين تدريس اللغة الأم وتدريس اللغة الأجنبية. هذا وقد اتفق مع (Tagliante2006) بأن تطور تدريس اللغة الفرنسية باعتبارها لغة أجنبية قد بدأ في النصف الثاني من القرن العشرين، حينما بدأ الفرنسيون بالشعور بالخوف من وضع اللغة الفرنسية في العالم مقارنة بالإنجليزية، وأدركوا أنهم بحاجة إلى سياسات ومناهج تعليمية خاصة باللغة الفرنسية كلغة أجنبية، وبالتالي فقد تضاعفت جهودهم في هذا المجال.(منار عبد المنعم فوزي العكر 2011، ص10).

أ- اللغة الفرنسية:

هي إحدى اللغات الرسمية التي يتكلم بها نحو (80 مليون)شخص في جميع أنحاء العالم كلغة رسمية أساسية ، وحوالي (190 مليون) شخص كلغة رسمية ثانية، و(200 مليون) شخص آخرين كلغة مكتسبة ، وهي اللغة الوحيدة الموجودة في القارات الخمسة بجانب اللغة الانجليزية.

تنحدر اللغة الفرنسية من اللغة اللاتينية ، مثل اللغات العادية الأخرى ، كما أنها تأثرت في تطورها باللغات **السلتية** وهي فرع من عائلة اللغات الهندية الأوروبية .اللغة الفرنسية تحتوي على (26حرف)، وتكتب من اليسار إلى اليمُين، تختلف الأبجدية الفرنسية عن الانجليزية لبعض الحروف المضافة" accent" مثل حرف eوتلك الإضافات تغَير نطق الحروف . تشمل اللغة الفرنسية بعض الأحرف التي ليس لها مقابل في اللغة العربية مثل u أو e . تحتوي الفرنسية الكثَير من الحروف الساكنة فإذا أتت في أخر الكلمة لا تنطق مثل .. z , p , s, t , w ..... (بن سعد فتحي2017).

وقد أشار **(Abdou diof 1997)** إلى إن اللغة الفرنسية تحتل الرتبة الثانية من اللغات المعلمة عالميا وإنها اللغة المستعملة بعد الانجليزية في المنظمات الدولية ، كذلك هي لغة عمل في منظمة الأمم المتحدة واللغة الرسمية لها مع خمس لغات أخرى ، كذلك هي لغة عمل في الإتحاد الأوروبي ، واللغة الفرنسية بالإضافة إلى كونها لغة تواصل هي لغة ذات قيمة لأنها مرتبطة بالدفاع عن حقوق الإنسان والتسامح والإنسانية ، فهي لغة المؤسسات الغير الحكومية كالصليب الأحمر ، أطباء بلا حدود ، أطباء العالم محامون بلا حدود ، وهي اللغة الوحيدة المستعملة في محكمة العدل الدولية. وهي اللغة الثانية بالنسبة **للمنظومة التربوية الجزائرية** إذا لم نقل المجتمع عامة، بعد اللغة العربية وقد أجريت وأدرجت عدة إصلاحات شملت هذه المادة منذ الاستقلال حتى الإصلاح التربوي 2005/2004 ، من أجل تحسين مستوى التلاميذ لتعلم هذه المادة دون تأثيرها على الهوية الوطنية وذلك بتخصيص مناهج ومواقيت وطرق جديدة وحديثة. (دليلة أبليلة 2008).

_ولأن **تعليم اللغة الفرنسية في الجزائر** ربما كان يرمي إلى تخريج متعلمين مزدوجي اللغة يتقنون بالدرجة نفسها اللغة الأولى واللغة الأجنبية، وقد عمدت وزارة التربية الوطنية في هذا الإطار إلى إدراج تعليم اللغة الفرنسية في سن مبكرة حيث تقرر تدريسها في السنة الثانية من التعليم الابتدائي ابتداء من السنة الدراسية 2004–2005 ثم أعيد النظر في سنة تدريسها، فاتخذ قرار تعليمها ابتداء من السنة الثالثة، وكان ذلك في العام الدراسي 2006– 2007 علما أنها تدرس في النظام التعليمي السابق ابتداء من السنة الرابعة ، وفي هذا لا يمكن أن نتكلم عن كفاءة مماثلة في اللّغتين لأنه لا يجب علينا أن نتجاهل أن تعليم اللغة الأولى وتعليم اللغة الأجنبية يتطلبان نموذجين تربويين تعليميين مختلفين كل الإختلاف، وبما أن هذه الحقيقة لم نأخذها بعين بصيرة انعكست نتائجها سلبيا على المدرسة الجزائرية التي أصبحت تنتج ما سمتهم الباحثة **خولة طالب الإبراهيمي** أنصاف اللّغويين . Semi- langues الذين لا يملكون أية لغة، وإنما كلامهم عبارة عن هجين لغوي وهم بذلك لا يتقنون أي لغة من تلك اللغات المستعملة. (معزوزن سمير، نفس المرجع السابق).

7- تدني التحصيل الدراسي في الجانب اللغوي :

مشكلة تدني التحصيل من المشاكل الهامة التي تواجه القائمين على العملية التعليمية من معلمين و موجهين و إداريين و قيادات تعليمية, بالإضافة إلى أولياء أمور التلاميذ. و لهذا أدركت الأمم المتحضرة أهمية و خطورة تلك المشكلة و بذل كل الجهود لمواجهتها , بوضع الإستراتيجيات الكفيلة لحل تلك المشكلة لما لها إنعكاسات سلبية على شخصية التلميذ حاضرا و مستقبلا ولعل ما يزيد في حدة المشكلة أن مشاعر الإحباط التي تلازم كثيرا من الطالب ذوي التحصيل المتدني قد تعبر عن نفسها في صورة خروج على النظام و ازعاج للمدرس و المدرسة وقد يصل لحد الإنحراف والجنوح .

و قد يحدث التدني في التحصيل في أي مادة دراسية أو مجموعة من المواد الدراسية و الشك في أن أخطر أنواع التدني في التحصيل هو الذي يحدث في اللغة (لغويا) إذ أن أثره يمتد إلى معظم المواد الأخرى مما قد يهدد العملية التربوية كلها بالإنهيار..(طرجمان فاطيمة، مغربي نورالهدى 2016).

اللغة الفرنسية كغيرها من اللغات التي يمكن تعلمها إن توفرت العوامل المساعدة على نجاح هذا المسعى، ومن خلال المعايشة والوقوف على نتائج التلاميذ يمكن أن نسجل بعض الصعوبات التي تعترض التحصيل والتمكن من اللغة الفرنسية وهي :

- قلة الإطار الكفؤ المساعد على التدريس بحكم غلق العديد من المعاهد التربوية المساعدة على تأهيل المدرسين لهذه اللغة .

-عدم تدريس هذه اللغة في بعض المدارس بحكم رفض بعض المعلمين الإلتحاق بالمدارس النائية .
-عدم تعيين مدرسين لتدريس المادة ويعود ذلك إلى مصالح المديرية والضوابط المتبعة في مثل هذه الحالات كقلة التلاميذ في المدارس النائية والتي غالبا ما تكون أقسامها مدمجة أو موحدة . -
غيابات التلاميذ التي لا يمكن أن تتخذ بشأنها إجراءات غير الخفيفة منها.

- البيئة غير مساعدة على نمو اللغة الفرنسية نظرا لعدم التعامل بها في الشارع والمحيط ما يكرس إبعادها.

- عدم اهتمام السواد الأعظم بمدى تحصيل "اللغة الفرنسية" إلى بعد فوات الأوان وهو التعليم القاعدي الذي يولي الإهتمام الكافي .

– ليس بإستطاعة الأهل المساعدة بحكم تفشي الأمية وعدم تمكنهم من اللغة الفرنسية ، كما أن الدروس الخصوصية غير متوفرة وعلى قلتها فهي مكلفة لبيئة ترتفع فيها نسبة البطالة والدخل المحدود وتعداد أفراد الاسرة.

– طرق التدريس اللغة الفرنسية تكاد تكون بدائية ما يتطلب التفكير في طرق وسبل أخرى وهو ما عمدت إليه وزارة التربية الوطنية مؤخرا من خلال تحسين مستوى اللغات الاجنبية لدى المتمدرسين. (زيقم الصادق2013).

الجانب الميداني :

1– المنهج المستخدم :

لأن موضوع دراستنا يحاول الكشف والبحث و دراسة العلاقة بين استخدام استراتيجيات تعلم اللغة وتحصيل الدراسي في مادة اللغة الفرنسية فالمنهج الملائم له هو **المنهج الوصفي** " الذي "يعتبر استقصاء ينصب على ظاهرة نفسية كما هي قائمة بقصد تشخيصها وكشف جوانبها وتحديد العلاقات بين عناصرها او بينها وبين ظواهر نفسية اخرى" . (الداهري حسن صالح، 1999)

2– الحدود الزمانية والمكانية للدراسة :

أ– **الحدود المكانية:** تم إجراء الدراسة في مدينة افلو وضواحيها بالأغواط (الجزائر) وعلى مستوى خمس13 ثانوية نذكرهم في الجدول رقم (01)

ب– **الحدود الزمنية:** تم تطبيق الدراسة في الفترة الممتدة بين شهر جانفي وشهر مارس من عام 2016 أي أثناء الفترة الثانية من العام الدراسي 2016/2015.

ج– **الحدود البشرية:** تشمل الحدود البشرية جميع أساتذة التعليم الثانوي لغة فرنسية بالجهة الشمالية الغربية لولاية الاغواط (الجزائر) .

3– وصف مجتمع الدراسة : حيث بلغ مجتمع الدراسة **471 أستاذ وأستاذة** يمثلون العدد الإجمالي لأساتذة الثانويات الموجودة في الجهة الشمالية الغربية لولاية الاغواط .

4–عينة الدراسة : و أخذنا 51 **أستاذ وأستاذة** كعينة للدراسة ، من مجموع **227 أستاذ** من الثانويات المقصودة والتي تم اختيارها بالطريقة القصدية أو العمدية بغرض حصر أساتذة التعليم الثانوي مادة الفرنسية

ويكون هذا التعمد لاعتبارات علمية... ، تؤكد أن هذه العينة تمثل المجتمع... وتكون نتائج الدراسة مقبولة وهي الطريقة المعتمدة في الدراسة الحالية . والجدول التالي يفصل في عينة الدراسة :

جدول رقم (01) يمثل عدد وكيفية إختيار عينة الدراسة

الرقم	الثانويات	الذكور	الإناث	المجموع	عدد أساتذة الفرنسية	النسبة
01	أبو القاسم الزهراوي	31	34	65	07	%10,77
02	محمد بوضياف	30	28	58	06	%10,34
03	هواري بومدين	25	27	52	06	%11,54
04	بركاتي رابح	29	28	57	06	%10,53
05	مالك بن نبي	10	17	27	03	%11.89
06	غزاوي بلقاسم	14	21	35	04	%15.42
07	العربي بن ذهيبة (القلتة)	26	16	42	05	%18,50
08	خامد عامر (بريدة)	22	17	39	04	%10,26
09	بوشوشة إبراهيم (الغيشة)	14	10	24	02	%08,33
10	عطية أحمد(واد مرة)	14	8	22	02	%09,09
11	شرفي الحاج (عين سيدي علي)	12	9	21	02	%09,52
12	الثانوية الجديدة (سيدي بوزيد)	9	8	17	02	%11,76
13	أحمد بن بلة (البيضاء)	9	9	18	02	%11,11
المجموع				227	51	%22,47

– شملت الدراسة على**51** أستاذ وأستاذة كعينة من **227** أستاذ وأستاذة من مجتمع الدراسة الذي يشمل جميع أساتذة الجهة الشمالية بولاية الاغواط وبالتالي نستطيع القول أننا قمنا بحصر **لجميع أساتذة المادة في الجهة الشمالية لولاية الأغواط .**

– وقد تميزت عينة دراستنا بعدة مميزات نلخصها في الجداول التالية :

جدول رقم (02) يمثل عينة الدراسة حسب الجنس

الجنس	العدد	النسبة	المجموع
ذكور	26	%50,98	51
إناث	25	%49,02	

جدول رقم (03) يمثل عينة الدراسة حسب المؤهل العلمي

المؤهل	العدد	النسبة	المجموع
مدرسة عليا	6	% 11,76	51
ليسانس	4	% 7,84	
ماستر	35	% 68,63	
ماجيستير	3	% 5,88	
أخرى	3	% 5,88	

" **أخرى** " تمثل (خريجي المعاهد التكنولوجية ، مهندسو دولة ، وتخصصات لا تنتمي لتخصص اللغة الفرنسية) .

جدول رقم **(04) يمثل عينة الدراسة حسب الخبرة المهنية بالسنوات**

الخبرة	العدد	النسبة	المجموع
أقل من 5	25	% 49,02	51
5-10	8	%15,69	
10-15	11	% 21,57	
أكثر من 15	7	%13,72	

6- أدوات الدراسة :

_**الإستبانة** أو الإستبيان " أداة لجمع البيانات من أفراد أو جماعات كبيرة الحجم ذات كثافة سكانية عالية وعن طريق عمل استمارة تضم مجموعة من الأسئلة أو العبارات بغية الوصول إلى معلومات كيفية أو كمية، وقد تستخدم بمفردها أو قد تستخدم مع غيرها من أدوات البحث العلمي الأخرى" . (رشوان ، 1998، ص77).

وبعد الإطلاع على أدبيات الموضوع وعمل مسح لمجمل الدراسات والمواضيع التي تناولت أسباب تدني التحصيل في اللغة الفرنسية وفي اللغات و مجمل المواد عامة، قمنا ببناء الإستبيان الموضح في الملحق ، وتم عرضه على بعض الاساتذة المختصين والمشرفين المفتشين في المجال للتحكيم.

7-عرض وتحليل نتائج الدراسة الميدانية :

أ- الأسباب التي تعود على المعلم : كانت نتائج الدراسة من وجهة نظر الاساتذة كالآتي :

جدول رقم (05) يوضح وجهة رأي الأساتذة نحو مختلف أسباب تدني التحصيل في الفرنسية التي تعود للمعلم

الرقم	فقرة الإستبيان	أوافق بشدة %	أوافق %	محايد%	أعارض %	أعارض بشدة %
01	عدم تحضير الأستاذ لدرس اللغة الفرنسية بطريقة جيدة	37,5	18,75	18,75	12,5	12,5
02	عدم تمكن الأستاذ من مادة الفرنسية	50	12,5	6,25	18,75	12,5
03	عدم قدرة الأستاذ من إدارة وتسيير القسم	25	18,75	18,75	25	12,5
04	عدم إهتمام الأستاذ بتصحيح أخطاء التلاميذ	12,5	50	12,5	12,5	12,5
05	عدم تقيد الأستاذ بمفردات المقرر الدراسي	0	31,25	6,25	43,75	18,75
06	عدم تمكن الأستاذ من التحدث باللغة الفرنسية بطلاقة.	12,5	37,5	0	25	25
07	يعاني الأستاذ من طريقة عرض المعلومات في الكتاب المدرسي	12,5	56,25	12,5	6,25	6,25
08	يستخدم الأستاذ بصعوبة الوسائل التعليمية المتنوعة أثناء تدريس اللغة الفرنسية	12,5	31,25	25	12,5	18,75
09	عدم قدرة الأستاذ على إستثارة التلاميذ وقلة إلمامه بطرق خاصة لتدريس اللغة الفرنسية	25	31,25	18,75	6,25	18,75
10	يعاني الأستاذ من أن أساليب التقويم تهتم بالجانب النظري فقط.	25	62,5	6,25	0	6,25

نلاحظ : أن الأساتذة جاوبوا بنسبة تفوق 56% مابين موافق وموافق جدا بأن عدم تحضير درس اللغة الفرنسية من طرف الأستاذ يكون سببا في تدني تحصيل التلاميذ ، وأن ما يتجاوز" 52% "من إجابات الأساتذة رأت بدرجات متفاوتة أن عدم تمكن الأستاذ من هذه اللغة يجعله يخفق في إيصال التلميذ إلى درجات عليا ومرتفعة من التحصيل في مادة اللغة الفرنسية . وان ما يفوق "50%" من إجابات الاساتذة رجحت عدم إهتمام الأستاذ بتصحيح أخطاء التلاميذ أثناء الدرس ، وعدم تمكن الأستاذ من التحدث باللغة الفرنسية بطلاقة وعدم قدرته على إستثارة التلاميذ وقلة إلمامه بطرق خاصة للتدريس ،كأن تكون اسباب هامة ورئيسية في تدهور نتائج التلاميذ في اللغة الفرنسية . كما حازت عوامل معاناة الأستاذ من طريقة عرض المعلومات في الكتاب المدرسي ،ومعاناته من أن أساليب التقويم تهتم بالجانب النظري فقط على الغالبية الكبيرة من إجابات الأساتذة . وفي العموم لم يلق الأساتذة على عاتقهم مسؤولية تدني التحصيل الدراسي إلا في بعض جوانب عدم فهم طرق عرض المعلومات في المحتوى والتقويم .

ب - الأسباب التي تعود على المتعلمين أنفسهم: كانت نتائج الدراسة من وجهة نظر الاساتذة كالآتي:

جدول رقم (06) يوضح وجهة رأي الأساتذة نحو مختلف أسباب تدني التحصيل في الفرنسية التي تعود للتلاميذ

الرقم	فقرة الإستبيان	أوافق بشدة %	أوافق%	محايد%	أعارض %	أعارض بشدة %
01	عدم وجود دافعية ورغبة لدى غالبية التلاميذ لتعلم اللغة الفرنسية	81,25	12,5	0		0
02	عدم شعور وإدراك التلاميذ بأهمية دراسة اللغة الفرنسية	62,5	37,5	0	0	0
03	ضعف مستوى التلاميذ العام في قواعد اللغة الفرنسية	87,5	12,5	0	0	0
04	ضعف قدرة التلاميذ على الانتباه و المشاركة داخل القسم	37,5	50	12,5	0	0
05	كثرة غيابات التلاميذ عن حصص اللغة الفرنسية	0	37,5	25	31,25	62,5
06	عدم قيام التلاميذ بتحضير الدرس وحل الواجبات الخاصة بالفرنسية	31,25	50	12,5	62,5	0
07	قلة وجود فرص ممارسة اللغة الفرنسية في محيط التلاميذ	87,5	12,5	0	0	0
08	وجود صعوبات في فهم والتعامل مع مصطلحات ونصوص اللغة الفرنسية	56,25	31,25	62,5	62,5	0
09	عدم إمتلاك مهارات لغوية وكذا الخاصة بالقراءة الجهرية للنصوص الفرنسية	43,75	56,25	0	0	0
10	الإتجاه السلبي (الثقافي والتاريخي والاجتماعي ...) نحو المادة من طرف التلاميذ	37,5	50	12,5	0	0

نستنتج من : الجدول رقم (06) أن الاساتذة أعطوا موافقة مطلقة لأسباب تدني التلاميذ في اللغة الفرنسية ومنها : – عدم وجود دافعية ورغبة لدى غالبية التلاميذ لتعلم اللغة الفرنسية ، و عدم شعور وإدراك التلاميذ بأهمية دراسة اللغة الفرنسية ، و ضعف مستوى التلاميذ العام والقاعدي في قواعد اللغة الفرنسية و قلة وجود فرص ممارسة اللغة الفرنسية في محيط التلاميذ . وقد ‘تبروها أسباب مهمة ورئيسية تجعلهم يجدون صعوبات في تعليمهم للغة الفرنسية لتلاميذ المرحلة الثانوية. كما حازت أسباب أخرى على نسبة إجابات معتبرة ومقبولة تفوق 80% مثل : – وجود صعوبات في فهم والتعامل مع مصطلحات ونصوص اللغة الفرنسية،– عدم إمتلاك مهارات لغوية وكذا الخاصة بالقراءة الجهرية للنصوص الفرنسية وضعف قدرة التلاميذ على الانتباه و المشاركة داخل القسم ، عدم قيام التلاميذ بتحضير الدرس وحل الواجبات الخاصة بالفرنسية وكذا الإتجاه السلبي (الثقافي والتاريخي والاجتماعي ...) نحو المادة من طرف التلاميذ.

ج–الأسباب التي تعود إلى المنهاج الدراسي : كانت نتائج الدراسة من وجهة نظر الاساتذة كالآتي:

جدول رقم (07) يوضح وجهة رأي الأساتذة نحو مختلف أسباب تدني التحصيل في الفرنسية التي تعود للمنهاج

الرقم	فقرة الإستبيان	أوافق بشدة %	أوافق %	محايد%	أعارض %	أعارض بشدة %
01	طريقة تنظيم المحتوى في المنهاج غير مناسبة وغير واضحة	18,75	43,75	6,25	31,25	0
02	قلة التطبيقات المتنوعة في كل درس في اللغة الفرنسية	62,5	56,25	18,75	12,5	6,25
03	عدم ملاءمة محتوى وموضوعات المنهاج لمستوى التلاميذ	56,25	25	0	12,5	6,25
04	تداخل المواضيع وصعوبة المحتوى في المقرر الخاص بمادة الفرنسية	31,25	37,5	6,25	18,75	6,25
05	المقرر والمنهاج الدراسي الخاص بمادة الفرنسية لا يراعي الفروق الفردية	31,25	43,75	12,5	12,5	0
06	كثافة الدروس والكم المعرفي في المنهاج وقلة المدة الزمنية المخصصة للفرنسية	18,75	31,25	12,5	25	12,5
07	عدم إنسجام النصوص والموضوعات المقررة مع ميول وحاجيات التلاميذ	18,75	56,25	6,25	12,5	6,25
08	عدم ملاءمة المنهاج او المقرر الدراسي للثقافة والبيئة الإجتماعية المحلية	43,75	37,5	12,5	6,25	0
09	لا تحقق النصوص المقررة البناء الفكري واللغوي للتلميذ	12,5	37,5	25	25	0
10	إزدحام النص في اللغة الفرنسية بمفردات صعبة يجعل فهمه عسيرا على التلاميذ	37,5	56,25	0	6,25	0

من خلال الجدول رقم (07) نفهم أن إجابات الأساتذة كانت بصفة مطلة وبنسب ساحقة ترجع سبب تدني تحصيل التلاميذ إلى :

– قلة التطبيقات المتنوعة للدروس في اللغة الفرنسية، و عدم ملاءمة محتوى وموضوعات المنهاج لمستوى التلاميذ ، كما أن عدم ملاءمة المنهاج أو المقرر الدراسي للثقافة والبيئة الإجتماعية المحلية. بالإضافة إلى طريقة تنظيم المحتوى في المنهاج غير مناسبة وغير واضحة. كما وفقوا وبنسب أقل : أن تداخل المواضيع وصعوبة المحتوى في المقرر الخاص بمادة الفرنسية سبب وعامل مهم في وجود صعوبة إستيعاب الدروس ، وزد على ذلك إتفق معظم الاساتذة عينة الدراسة على ان المقرر والمنهاج الدراسي الخاص بمادة الفرنسية لا يراعي الفروق الفردية ، وأن كثافة الدروس والكم المعرفي في المنهاج وقلة المدة الزمنية المخصصة للفرنسية وعدم إنسجام النصوص والموضوعات المقررة مع ميول وحاجيات التلاميذ ،وسبب إزدحام النص في اللغة الفرنسية بمفردات صعبة يجعل فهمه عسيرا على التلاميذ.

د- الأسباب التي تعود للطرق المستخدمة في التدريس: كانت النتائج من وجهة نظر الاساتذة كالآتي:

جدول رقم (08) يوضح وجهة رأي الأساتذة نحو مختلف أسباب تدني التحصيل في الفرنسية التي تعود لطرق التدريس

الرقم	فقرة الإستبيان	أوافق بشدة %	أوافق %	محايد%	أعارض %	أعارض بشدة %
01	عدم تنويع طرق التدريس حسب الفروق الفردية	43,75	31,25	12,5	12,5	0
02	عدم إستخدام الوسائل التعليمية المتنوعة	25	37,5	18,75	18,75	0
03	عدم إختيار طرق التدريس في ضوء الأهداف والمقاربات المراد تحقيقها	18,75	62,5	12,5	6,25	0
04	عدم إستخدام التقنيات الحديثة في التدريس	37,5	37,5	12,5	12,5	0
05	كثرة إستخدام اللغة العربية من قبل الأستاذ	25	50	12,5	0	6,25
06	عدم إختيار الأساليب التدريسية التي تناسب قدرات التلاميذ	18,75	75	6,25	0	0

نقرا من خلال النتائج المسجلة في الجدول رقم (08) : أن طرق التدريس يمكن أن تكون عاملا مؤثرا في نتائج التلاميذ : كعدم تنويع طرق التدريس حسب الفروق الفردية ، و عدم إستخدام التقنيات الحديثة في التدريس ، و كثرة إستخدام اللغة العربية من قبل الأستاذ ، بالإضافة لعدم إختيار الأساليب التدريسية التي تناسب قدرات التلاميذ وهي عوامل تجاوزت نسب القبول من حيث إتفاق الأساتذة .

هـ- الأسباب التي تعود إلى أساليب تقويم التلاميذ : كانت إجابات الأساتذة محصورة كالآتي:

جدول رقم (09) يوضح وجهة رأي الأساتذة نحو مختلف أسباب تدني التحصيل في الفرنسية التي تعود لأساليب التقويم

الرقم	فقرة الإستبيان	أوافق بشدة %	أوافق %	محايد%	أعارض %	أعارض بشدة %
01	عدم مناسبة أسئلة الإختبارات لمحتوى الدروس	6,25	37,5	6,25	25	25
02	عدم مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ	6,25	50	18,75	25	0
03	عدم مناسبة أسئلة الإختبار لمستوى التلاميذ	12,5	18,75	6,25	37,5	25
04	عدم إستمرارية عملية التقويم	18,75	31,25	18,75	25	6,25
05	عدم شمولية عملية التقويم	6,25	37,5	12,5	31,25	18,75
06	عدم متابعة الواجبات المنزلية	6,25	50	12,5	12,5	18,75

نلاحظ أن : نسب إجابات ووجهات نظر الأساتذة من ناحية دور أساليب التقويم في تحصيل التلاميذ في اللغة الفرنسية قد تفاوتت ولم تحصل على النسب المعتبرة التي تحصلت عليها الأسباب الأخرى :وقد نسجل بعض الاسباب من ناحية اساليب التقويم التي قد تكون مقبولة مثل :

- عدم مراعاة الفروق الفردية بين التلاميذ وعدم متابعة الواجبات المنزلية.

و- ترتيب الأسباب الرئيسية حسب أهميتها : من وجهة نظر الأساتذة كانت الأسباب التي تجعل هناك تدني في مستوى التحصيل في اللغة الفرنسي وفق النتائج الاتية :

جدول رقم (10) يمثل الاسباب وراء تدني تحصيل التلاميذ في الفرنسية حسب أهميتها

الرقم	الاسباب وراء تدني تحصيل التلاميذ في الفرنسية	الترتيب حسب نسبة الإجابات				
		1	2	3	4	5
01	أستاذ مادة الفرنسية	%25	%12,5	%12,5	%18,75	%31,25
02	التلاميذ أنفسهم	%31,25	%6,25	%25	%18,75	%12,5
03	الطرق المستخدمة في التدريس	%18,75	31,25 %	18,75 %	%18,75	%12,5
04	المنهاج الدراسي	%25	%37,5	%12,5	%12,5	%12,5
05	أساليب تقويم التلاميذ	0	%12,5	%37,5	%25	%25

نلاحظ أن الاساتذة قد صنفوا السبب الرئيسي والمسؤولية الكبرى لتدني تحصيل اللغة الفرنسية " **للتلميذ**" كعامل ذاتي يتسبب في عدم تمكنه وعدم تعلمه للغة الفرنسية وهذا التفسير يرجع لعدة عوامل منها أن : – التلاميذ لديهم ضعف قاعدي وينتمون لفئة أحادي اللغة التي تنشأ على لغة واحدة هي اللغة الأم و يصطدمون أثناء دخولهم التعليم بلغة ثانية ليس لديهم أي رصيد لغوي ويشكلون لها إتجاه سلبي خاصة انها لغة المستعمر، كما أنها لغة غير متداولة وغير مطبقة في المحيط ولا يرون أنها تهمهم على المدى القصير والمتوسط فيتكاسلون عنها ويفقدون الرغبة والدافعية (Motivation) في دراستها ، مما يؤثرعلى تحضيرهم للدروس ومتابعتها لهم وعدم قيامهم للتطبيقات الخاصة بالمادة فيجدون صعوبة في فهم المحتوى والنصوص والمصطلحات وهذا كنتيجة وعرض وليس سببا. وصنف الاساتذة انفسهم والمنهاج كسبب ثان في تدهور وتقهقر نتائج التلاميذ وهذا يرجع لان الاساتذة يرون في انفسهم انهم قادرين على تعليم وتمكين الفرنسية للتلاميذ لولا تداخل العوامل الاخرى خاصة المتعلقة بالمتعلمين أنفسهم ،وأن بعض الاخطاء العامة التي يرتكبها بعض الأساتذة منها عدم متابعة التلاميذ وتصحيح اخطائهم وصعوبة فهم المحتوى والمنهاج وعرض المعلومات وقلة التكوين يمكن أن تزيد الطين بلة في مسألة صعوبة تعلم التلاميذ للغة الفرنسية في الثانويات.

ي– **معالجة مشكلة تدني تعلم وإكتساب اللغة الفرنسية لدى تلاميذ المرحلة الثانوية :** من وجهة نظر الاساتذة عينة الدراسة :

1– تحسيس التلاميذ وتوعيتهم بأهمية تعلم اللغة الفرنسية .

2– تحفيز التلاميذ على الإنتباه والمشاركة داخل القسم مع القيام بتصحيح الاخطاء.

3– التجديد والتغيير في طرق إيصال المعلومات وتنويع أساليب التدريس من طرف الاستاذ

4– توفير جو دراسي ومحيط خارجي ومادي ومعنوي ملائم من طرف المسؤولين لتعليم هذه اللغة وغيرها من اللغات لضرورتها في تعلم كل العلوم .

5- الإعتماد على طرق تدريس حديثة و تكثيف الدورات التكوينية للأساتذة من خلال ذلك خاصة الأساتذة خريجي الجامعات والإهتمام وإعطاء الاولوية لخريجي المدارس العليا والمعاهد .

6- مراجعة المقررات الدراسية والبرامج وكذا الكتاب المدرسي .

7- ضبط التلاميذ وتعويدهم على تقبل وتعلم اللغة الفرنسية ودعمهم من خلال ذلك ومراعاة الفروق الفردية بينهم.

8- إستعمال مفاهيم بسيطة لتعلم هذه اللغة تكون في متناول التلاميذ .

9- الإهتمام بتعليم هذه اللغة في المرحلة الإبتدائية وكذا المتوسط لمواجهة صعوبة القراءة والكتابة.

10- تغيير الأستاذ لنمط تفكيره حول تدريس هذه اللغة كلغة وليس كمادة للحفظ فقط ، وتصحيح رؤيته لها وللتلميذ فهي لغة صعبة وتحتاج لوقت وجهد نوعي للوصول للهدف .

11- يجب ان تكون النصوص مطابقة للبيئة المحلية ، وأن تكون البرامج ملائمة لمستوى والعمر المعرفي للتلميذ .

12- تكوين الاستاذ لنفسه وتطوير ذاته ليتمكن من هذه اللغة ويعرف ويطور اسلوب لينقلها للأجيال.

13- إستغلال التطور الحاصل في الوسائل التكنولوجية لتعليم وتوصيل هذه اللغة للتلاميذ.

14- النظر في الطرق الكلاسيكية والحجم الساعي القليل وغير كاف الذي يجعل من الاستاذ التخلي عن عدة مفاهيم ضرورية .

15- دعوة المشرفين والقائمين لإعطاء الأولوية لجانب التطبيق في تدريس هذه المادة .

16- التنسيق بين اساتذة المادة في نفس المرحلة وبين مختلف الأطوار .

17- دمج هذه المادة ضمن كل التخصصات لإثارة الدافعية والإهتمام بها .

18-الجدية في العمل التدريسي والإهتمام بدروس الدعم

19- إدخال الاسلوب اللعبي الممتع " Les activité ludiques" في تدريس هذه المادة .

20 - توفير جو اسري وعائلي ملائم وداعم لتعلم التلاميذ والأطفال بالتحفيز من طرف الاولياء أو ما يسمى Un bain linguistique.

21- إعادة النظر في مقاربات التقييم مع الحفاظ على إستقرار البرامج.

22- الإعتماد على الطريقة الحوارية الإتصالية في تدريس اللغة الفرنسية La communication .

خاتمة :

هدفت هذه الدراسة إلى تبيان مجمل الأسباب التي يراها الأساتذة أنها تكون عاملا معيقا لتعلم وإكتساب التلاميذ للغة الفرنسية في المرحلة الثانوية والتي إنحصرت حسب الدراسة الميدانية في :

– وافق الأساتذة بدرجة مهمة بأنه يمكن أن يكونوا سببا في ذلك كعدم تحضير الأستاذ لدرس اللغة الفرنسية من طرف الأستاذ يكون سببا في تدني تحصيل التلاميذ ، و عدم تمكنه الأستاذ من هذه اللغة يجعله يخفق في إيصال التلميذ إلى درجات عليا ومرتفعة من التحصيل في مادة اللغة الفرنسية . وعدد من إجابات الاساتذة رجحت عدم اهتمام الأستاذ بتصحيح أخطاء التلاميذ أثناء الدرس ، وعدم تمكن الأستاذ من التحدث باللغة الفرنسية بطلاقة وعدم قدرته على إستثارة التلاميذ وقلة إلمامه بطرق خاصة للتدريس ... تكون أسباب أيضا مدرجة .

– ووافق الاساتذة بنسب كبيرة على أسباب من التلاميذ ذاتهم : كعدم وجود دافعية ورغبة ، و عدم شعور وإدراك التلاميذ بأهمية دراسة اللغة الفرنسية ، و ضعف مستوى التلاميذ العام والقاعدي و قلة وجود فرص ممارستها في محيط التلاميذ .

– وبنسب ساحقة ترجع إجاباتهم سبب تدني تحصيل التلاميذ إلى المنهاج : كقلة التطبيقات المتنوعة للدروس ، و عدم ملاءمة المنهاج لمستوى التلاميذ وللثقافة والبيئة الإجتماعية المحلية. بالإضافة إلى طريقة تنظيم المحتوى في المنهاج غير مناسبة وغير واضحة.

وقد قام الاساتذة عينة الدراسة بترتيب الأسباب التي تحول بين التلميذ وتعلمه اللغة الفرنسية بـ : اولا التلاميذ انفسهم ثم الاساتذة والمناهج

ولم تحصل نسب إجابات الاساتذة على نسب إتفاق مطلقة عندما سئلوا حول الأسباب التي تعود للطرق المستخدمة في التدريس والأسباب التي تعود إلى أساليب تقويم التلاميذ، وحتى انهم لم يرتبوها كعناصر مهمة يمكن أن تسبب تدنيا في تحصيل اللغة الثانية في المنظومة التربوية الجزائرية (اللغة الفرنسية). وفي الأخير لا يمكن ان يكون هذا البحث إلا مجرد محاولة في الغوص في الأسباب التي تجعل تلاميذتنا يتعثرون في إكتساب تحصيل اكاديمي في اللغة الفرنسية مما يؤثر عليهم على مستوى مستقبلهم الدراسي، ويبقى البحث المتواضع مرتبط ومحدود بعناصره المكانية والزمانية والموضوعية ولا يمكن الجزم وتعميم نتائجه .

قائمة المراجع:

العربية :

- الداهري حسن صالح (1999) علم النفس العام، دار الكندي للنشر، عمان، الأردن.

- بن سعد فتحي (2017) ، صعوبات تعلم اللغة الفرنسية من وجهة نظر أساتذة التعليم الابتدائي، رسالة ماستر في علم النفس، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية ،جامعة عبد الحميد بن باديس . مستغانم .

- خالد أبو عمشة ، العوامل المؤثرة في اكتساب اللغة الثانية، منتدى مجمع اللغة العربية .

www.m-a-arabia.com ، 12-11-2016-07:42

- دليلة ابليلة (2008) صعوبة تعلم واكتساب اللغة الثانية عند أحادي اللغة، رسالة ماجستير علم النفس اللغوي غير منشورة، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة الجزائر2.

- رشدي أحمد طعيمة ،محمد السيد مناع 2000، تدريس اللغة العربية في التعليم العام. نظريات وتجارب دار الفكر العربي الطبعة 1 مصر.

- رشوان، حسين أحمد (1998)،العلم والبحث العلمي في مناهج العلوم، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

- زيقم الصادق(2013)، إنشغالات مشرف تربوي ، بحث ميداني يستشرف الواقع لإشكالية وصعوبة تعلم اللغة الفرنسية وأثرها على المتمدرسين ونتائجهم في المرحلة الإبتدائية، مفتشية التربية والتعليم ،مديرية التربية المسيلة .

- طرجمان فاطيمة. و مغربي نورالهدى(2016) ،أسباب تدني التحصيل في مادة اللغة الفرنسية، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر ،سعيدة.

- عبد الحفيظ تحريشي (2017)، صعوبات تعليم اللغة الأجنبية و تعلمها في الجامعات الجزائرية ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ، قسم الآداب و الفلسفة العدد 18 .

- عمر محمد عبد الخطاب (ب.ت) مقاييس صعوبات التعلم ، مكتبة المجتمع العربي للطباعة والنشر والتوزيع عمان ، طبعة أولى.

- محمد عبد الرحيم عدس(1998)، صعوبات التعلم دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، طبعة أولى.

- منار عبد المنعم فوزي العكر(2011)، صعوبات تعلم اللغة الفرنسية في مدارس الضفة الغربية من وجهة نظر المعلمين، ماجستير في المناهج وطرق التدريس، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس، فلسطين. معزوزن سمير، اكتساب اللّغة الثانية وأثره على اللّغة الأولى، جامعة بجاية –الجزائر.

- منى إبراهيم اللبودي (2005)صعوبات القراءة والكتابة تشخيصها وإستراتيجية علاجها ،مكتبة الزهراء الشرق، القاهرة ،ط1.

- موسى رشيد حتاملة (2007)، نظريات اكتساب اللغة الثانية وتطبيقاتها التربوية ، كلية الدراسات العربية والإسلامية-

https://www.gulfkids.com/vb/showthread.php?t=2377

الأجنبية :

-Andréa Jadoulle1962, Apprentissage de la lecture et dyslexie. Paris,. P.U.F.

-Ellis, R. (1998). Second Language Acquisition.. London: Oxford University Press.

-Obdou diof (1997) life spam human development sixthled , new York : Harcourt brace college publishers .

استعراض نظري لمفهومي الصدمة العائلية و الإرجاعية العائلية.

د/ لمية بن أمسيلي.

جامعة عبر الرحمان ميرة ـ بجاية ـ الجزائر.

ملخص:

يهدف هذا المقال الموجه للطلبة والباحثون في مجال علم النفس الصدمي إلى عرض نظري لمفهومي الصدمة العائلية والإرجاعية العائلية. سنحاول التطرق إلى التعاريف الخاصة بهما وتقديم موجز القراءات التي قمنا بها والمتعلقة بأهم المؤلفين و أهم الكتابات عن هذا الموضوع الهام.

الكلمات المفتاحية: الصدمة العائلية، الإرجاعية العائلية، موجز القراءات.

Résumé :

Cet article a pour objectif une présentation théorique des concepts du traumatisme familial et de la résilience familiale. Nous allons essayer d'aborder les définitions propres à eux et offrir une revue de la littérature effectuée et qui est en relation avec les principaux auteurs et les écrits essentiels relatifs à ce sujet.

Mots-clés : traumatisme familial, résilience familial, revue de la littérature.

مقدمة :

إن البيئة التي يعيش فيها الإنسان مليئة بالأخطار و التهديدات و هو عرضة للكثير منها، و قد تشكل هذه الوضعيات الأخيرة صدمات تعمل على اختلال بالتوازن النفسي للفرد، و لكن ليس فحسب، بحيث بينت الدراسات الأخيرة (نعرضها فيما بعد) التي أقيمت على مجتمعات عاشت أحداث عنف سياسي (أرمينيا، الهولوكست، أميركا اللاتينية، رواندا، لبنان، الجزائر، الخ) ، أن الجماعة بكاملها تعاني من جراء هذا العنف. يمكن للعائلة أن تعاني بفعل كارثة أو صدمة مست أحد أعضائها، و يمكن لها كمجموعة أشخاص تربطها العلاقات الوجدانية أن تساعد هذه الضحية.

لا بد أن تؤخذ «الصدمة النفسية مهما كانت من وجهة نظر فردية و جماعية، فتخص وجهة النظر الفردية ما يسميه التحليل النفسي الاختراق النفسي مع عناصر ذات صدى علائقي، بينما تخص وجهة النظر الجماعية الروابط ما بين الأشخاص و لما يظهر ذلك الجرح العلائقي ضمن العائلة فيمكننا التكلم عن الصدمة العائلية و تدمر بذلك تلك الروابط التي من شأنها أن تجمع أعضاء العائلة » (Delage, 2008, p.29)

تعتبر «الحالات الصدمية الجماعية (الحروب الأهلية، الزلازل، الفيضانات، الثوران البركاني، الإبادة) مآسي معاشة جماعيا و هذه الوضعيات الجماعية الصدمية تؤدي كلها إلى انقطاعات، ليس فقط في تنظيم المجتمع و لكن أيضا في الخلية العائلية. فلا يعود شيء يعمل كالسابق، و هذه الكوارث لديها بدون شك أثار صدمية. » (Godard, 2003, p.17)

إن التناول العائلي للصدمة النفسية الفردية « كان مهمشا لمدة طويلة على الرغم من أن الانعكاسات العائلية للصدمة النفسية لعضو من أعضاء العائلة معروفة و تم وصفها بصفة واسعة في المراجع الأدبية.» (Dubois, 2003, p.35)

في هذا النطاق، يكتب إيڤر (Eiguer) (2010) أن دراسة أثار الصدمة في العائلة « أمر مستعجل لأن العلاقات ما بين–الشخصية أساسية لشفاء أعضائها. و أن هذه الدراسة تبرر أيضا لأننا نتحدث عادة على صدمة الفرد المعزول في حين أنه يمكن إصابة أعضاء عديدة من العائلة و في كل الحالات الجرح جماعي». (Eiguer, 2010, p.61) و بالتالي لما يقع حدث صدمي، فإن « العائلة بأكملها هي التي تصاب. إن بعض الحالات تعاش بصفة جماعية مثل حادث المرور الذي يقع في سفر للعطلة. و البعض الآخر على العكس يصيب مباشرة عضو واحد فقط من العائلة، و لكنهم مسؤولون عن معاناة كبيرة عند الآخرين، مثل الاعتداء الجنسي ضد طفل. و أخيرا يحدث الاعتداء داخل العائلة بحد ذاتها، زنا، عنف زوجي، سوء المعاملة. ففي كل الحالات، فأعضاء العائلة يمكنهم أن تكون لديهم استجابات نفسية متنوعة ».

(Sadlier, Jeremic & Zuber, 2013, p.337)

1- تعريف الصدمة العائلية

إن الصدمة العائلية هي « نتيجة إصابة كرامة الجماعة العائلية و التي تفهم كحق هذه الجماعة في التواجد بالنظر إلى العائلة الكبيرة و بالعموم في نظر المجتمع أين يعيش فيه هذه الجماعة. » (Neuburger, 2005, p.25) و يكمن سبب الصدمة العائلية في إصابات جزئية أو كاملة، لما كان يكون هوية الجماعة، لما كان يحافظ عليها حيا، و ماذا يبرر وجوده ». (Neuburger, 2005, p.45)

في حين يرى دولاج (Delage) (2010) أن الصدمة في العائلة و الصدمة العائلية تعرفان « بإصابة الروابط بقدر ما يعرف بإصابة أو إصابات فردية. فالضغط يمكنه أن يضع الروابط في توتر لكن الصدمة تمثل هجوم الروابط إلى حد الانقطاع و خلل في الاحتواء ». (Delage, 2010, p.20)

و يضيف دولاج (Delage) (2007) أنه « إذا كانت الصدمة من وجهة نظر فردية يمكن تعريفها كـ"اختراق النفس"، إنما من وجهة نظر جماعية و بالخصوص عائلية يمكن تعريفها كـ"هدم الروابط". فكل صدمة فردية،

عبر الانعاكاسات التي يسببها عند الأقارب يتضمن الخطر المحتمل في هدم الروابط. فكل كارثة جماعية تهاجم الروابط و هذا الاحتمال المدمر الذي يرخص بتطوير مفهوم الصدمة العائلية ». (Delage, 2007, p.155) و أن الصدمة « تؤدي دائما إلى أضرار علائقية و تغيير دائم في العائلة، فيتغير توظيف و وجود العائلة بلا رجعة » (Delage, 2008, p.21)

إن الصدمة العائلية إذن هي نتيجة « مساس بكرامة جماعة عائلية تخص حق هذه الجماعة في التواجد في أعين المجتمع الذي تعيش فيه الجماعة. و نفس الحدث الذي يسبب صدمة في عائلة يمكنه في عائلة أخرى انتاج أثر معاكس يتمثل في تقوية الوحدة العائلية. فالصدمات العائلية تنتج من إصابات جزئية أو كلية لما يكون هوية الجماعة. إن الصدمات العائلية عادة ما لديها هذا الأثر في خلق عزلة لكل عضو من العائلة ». (Neurburger, 2015, pp.9-.17) و بصفة عامة فـ « الصدمة لديها دائما أثر على العائلة ». (Laub & Auerhahn, 2015, p.48) بحيث عادة ما تقوم العائلة « بإعادة تنظيم حياتها على أساس ماذا حدث ». (Vila, 2011, p.108).

عموما نشير بمصطلح الصدمة العائلية إلى العواقب النفسية المرضية على العائلة لصدمة من أصل خارجي مست أحد أعضاء العائلة. و بالتحديد لما يجتاح و يدخل الظرف التاريخي بعنف في الحياة العائلية و النفسية للفرد. كما أن الصدمة العائلية تتمثل في إصابة الرابط و العلاقات البين–ذاتية التي تخص العلاقة و التفاعلات بين الأفراد ذات صلة و قرابة دموية و انفعالية. نذكر الأعراض و التظاهرات التالية : تناذر نفسي صدمي، تشويه الحدود بين الألفة (الحميمية) و التفرقة أي التشابك، الجسدنة للمعاناة النفسية، حدود عائلية صلبة بسبب التسلط على العائلة للذعر و عدم الثقة بالعالم الخارجي، حماية مفرطة للضحية، تناول مفرط للمخدرات و الكحول، الحاجة العميقة للسند الاجتماعي، تواجد الندم، سلوكات هدم ذاتية، عجز العائلة في آداء أدوارها المختلفة (الحماية، السند، الخ) استجابة مفرطة لأحداث حياتية مختلفة، تواجد أحاسيس اكتئابية، تبعية قوية للعلاقات داخل العائلة، تبادلات قليلة و محددة أو حتى غائبة بين أعضاء العائلة، الإحساس بالذنب، الإذلال أو العار، تواجد الأسرار العائلية، صمت، غضب، حدود داخلية و خارجية عائلية غير واضحة،... إلخ.

2– موجز الأدبيات حول موضوع الصدمة العائلية

سوف نعمد في هذه النقطة على عرض ملخص قراءتنا حول موضوع الصدمة العائلية مع محاولة إدراج أهم العياديين الذين تناولوا هذا الموضوع لاسيما الذين يتبنون الخلفية النظرية النفسية التحليلية، و

الذين يتخذون العامل الخارجي الإنساني للعائلة كعاملا رئيسيا في ظهور الصدمة العائلية. و لكن سوف ندرج أيضا في هذه النقطة بعض الباحثون و العياديون المعروفين بتخصصهم في العلاج العائلي النسقي و نخص بالذكر دولاج (Delage). هذا الفعل هو قصدي من قبلنا و ذلك راجع إلى كون هؤلاء أكبر الأخصائيين المعروفين حاليا بإنجازاتهم ذات قيمة علمية معترف بها عالميا. و حتى إن كانت الخلفية النظرية لمؤلفاتهم تتمثل النظرية النسقية أو تختلف عن خلفيتنا، في حين أننا نسجل نفسنا في المرجع النظري التحليل النفسي، إلا أننا لا ننكر و لا نتحاشى التقرب من إسهاماتهم التي يمكنها إغناء تفكيرنا حول مسألة صعبة تتمثل في صدمة خارجية نابعة من التاريخ السياسي و تجتاح التاريخ العائلي. و من جهة أخرى و للتأكيد على قيمة البحث حول الصدمة العائلية نذكر إدخال في المعايير التشخيصية لاضطراب الضغط ما بعد الصدمة في الطبعة الخامسة من الدليل الأمريكي النقطة الثالثة من المعيار الأول (A) و التي تؤكد على معرفة أن عضو من العائلة عايش حدث صدمي هو أمر صدمي.

إن كانت العائلات تمثل « مكان أمن و حماية فإنها أحيانا تمثل أرضية معاناة و هي انفعالية و جسدية النوع. ففي كل مرة محيط الشخص في معاناة يستجيب لما يحس بذلك إما بمحاولة التخفيف عليها أو بالعكس يساهم في الحفاظ على سوء كونه أو حتى الزيادة منه. و يمكن أن تحس العائلة بالعجز و لا يمكنها إلا الحضور كشاهد لجروح أحد أعضائها و تحس بالذنب أو على العكس تكون نشيطة في المساعدة العلاج و العلاقات مع الطاقم الطبي ». (Goldbeter-Merinfeld, 2006, p.5).

إن المعاناة في العائلة يمكنها « أن تنبع من أسباب خارجية، مثلما هو الحال في حادث، في كارثة طبيعية، في اعتداء. و لكن يمكنها أن تأتي من داخل العائلة نفسها، مثلما هو الحال في حالات الاعتداء. إن الحالة الأولى تقابلنا مع الانعكاسات العلائقية للأضرار التي تعاني منها العائلة التي تؤخذ كوحدة وظيفية قادرة على تشكيل و تكوين ظرف تفاقم و زيادة خطورة أو تخفيف المعاناة الفردية ». (Delage, 2005, p.92).

فتظهر المعاناة العائلية « خاصة في مرضية الرابط و هذا ما يشير إلى معاناة نرجسية و تظهر عن طريق فك الرابط و انقطاعه إضافة إلى اختراق الأغلفة العائلية و الفردية و فقدان تناسق الجماعة العائلية و كل هذه المظاهرات تعبر عن حالات صدمية ». (Granjon, 2004, p.87). و كما أن « الخضوع إلى صدمة يمكن تصور ذلك في الجهاز النفسي عن طريق ثقب في الأنا–الجلدي ». (Nathan, 2000, p.254).

كما أن الصدمات الجماعية يمكنها أن « تكون مولدة للأسرار و غالبا الذين عاشوا هذه الحالات لا يتحدثون عن ماضيهم ». (Tisseron, 2011, p.81). و نجد نوعين من الأحداث التي تؤدي « إلى السر و هما الأحداث الفردية و الجماعية ». (Tisseron, 1992, p.108).

فأثناء الحدث الصدمي يمكن للعائلة أن تكون:

– «"**ضحية غير مباشرة**" **أو** "**عائلة مع ضحية**" و نعني هنا العائلة مع عضو مصدوم و هنا لابد الاهتمام بالانعكاسات العائلية لضرر خطير مس أحد أفرادها. و هنا نجد سلوكين عند العائلة :التركيز على الضحية أو رفض الضحية.

– **الصدمة العائلية** يمكن اعتبار العائلة بأكملها كضحية لأنها تجد نفسها مغمورة بسبب الشدة الانفعالية الذي يظهر بداخلها أو لأنها معنية بكاملها في حادث كارثة و حداد صدمي. » (Zeltner, 2011, p.2)

و توافق تماما أنوت (Anaut) (2010) هذه الفكرة بحيث تؤكد أنه « لما تواجه العائلة ظرفا صدميا أو أحداث معاكسة فإن الصدمة تخص إما عضو من العائلة أو أنها (الصدمة) تورط كل الجماعة ». (Anaut, 2010, p.43). و في هذا الصدد يتحدث فيشر (Fischer) (2003) عن الصدمة « كقوة معدية قادرة على الانتشار على الرغم من مرور الزمن ». (Fischer, 2003, p.51)

و تعتقد سادليي (Sadlier) (2013) أن الأحداث من « النوع العمدي مثل التعذيب و الاعتداءات الجنسية تربط مع معدل مرتفع من اضطرابات الضغط ما بعد الصدمة المزمنة ». (Sadlier, 2013, p.251)

في حين يرى إيقر (Eiguer) (2010) أنه لما « يصاب فرد بصدمة فإن عائلته تعاني كثيرا، فالإحساس بالمسؤولية المشتركة يكون مستدعى فكل واحد يشعر بما حدث عن طريق التقمص، و أيضا لأن العائلة جماعة. فكل واحد يحمل فيه أثر نفسي للجماعي ». (Eiguer, 2010, p.66).

بينما يشير دوكليرك (De Clerq) (1995) في حالة العائلة مع ضحية لابد التفكير في العوامل العائلية التي من الممكن أن تنقص أو بالعكس الزيادة في خطورة أعراض ما بعد الصدمة عند الضحية. كما يؤكد دولاج (Delage) (2000) أنه « لما العائلة تعتبر ضحية بأكملها فيمكن الموازاة بين التناذر بعد الحدث الصدمي العائلي مع ما يوصف على المستوى الفردي. بحيث كما هو الحال عند الفرد فيمكن للحدث الصدمي أن يحدث حالات انهيار كارثي للعائلة، يناسب اختراق حقيقي للنسق العائلي الذي يعتبر كوحدة لديها هويتها الخاصة. فيمكن ل"القاعدة العائلية للأمن « أن تعجز عن تأدية وظيفتها على مستوى دورة الحياة التي تقطع بفجأة على مستوى وظيفية العائلة، التي تضطرب فجأة و تترك المكان للاضطراب مع

أثار تخريب اتصالي و انقطاع في الأماكن، الأدوار والقوانين. فيمكن الفرق بين هاتين الحالتين للعائلة بالرجوع إلى الأهمية الذاتية للأثر الصدمي على مستوى كل فرد وعلى العائلة بكاملها، كما يلعب دور هام في ذلك المستوى الوظيفي السابق و تاريخ كل فرد، إضافة إلى النسق الذي يكونونه ». (Delage, 2000, pp.275-280)

كما ينص دولاج (Delage) (2002) أنه في وقتنا الحالي، يجد « النفساني نفسه أمام مطالب عديدة من طرف عائلات في حالة يأس بسبب حدث خطير و وضعية صدمية، وفي مثل هذه الحالات يمكن أن تكون العائلة في معاناة كبيرة وتواجه خطر التفكك ». (Delage, 2002, p.285).

يتحدث دولاج (Delage) (2007) عن «الانعكاسات العائلية للصدمة الفردية و الصدمة العائلية و يهتم بماذا يحدث في العائلات على المدى المتوسط و الطويل بعد كارثة. فالصدمة التي تمس عائلة تدشن أزمة خطيرة، و يميز ثلاث مخارج:

– المخرج الأسوأ يخص موت العائلة، و ذلك إما بالانفجار لأن العلاقات تصبح غير محتملة أو عن طريق الانهيار، وذلك بتجميد العلاقات في صلابة سلوكية مقولبة حيث لا يمكن قول شيء عن الحدث و الوقت يبدو متوقف.

– مخرج أخر يسمح استعادة الحياة في العائلة، و ذلك بدفع ثمن اضطرابات مستمرة و استراتيجيات علائقية ما هي إلا استراتيجيات نجاة. فتظهر دفاعات فردية وجماعية معيقة و لكنها تسمح للعائلة بالمحافظة على نوع من التنظيم.

– عن طريق الضحية الثانوية (victimisation secondaire) بحيث يتنشط بالإفراط الحاجات و السلوكات التعلق ما بين الشركاء، مثلما هو الحال في الزيادة في الاحتواء الذي يسمح للعائلة على تحمل المعاناة بالتركيز على معاناة أحد الأعضاء، الضحية.

– عن طريق التصديم الثانوي (traumatisation secondaire) و هي عاكسة للحالة السابقة. فيحدث تجميد للحاجات و سلوكات التعلق ما بين الشركاء. و الاستراتيجية تتمثل في وضع مسافة عن الانفعالات السلبية، المعاناة المتعلقة بالكارثة، أحيانا حتى باللجوء إلى الانشطار. فنظن أن التحدث في العائلة عما يؤلم يزيد من الألم. و نظن أننا نحمي الضحية بتجنب التكلم عن ماذا حدث. فنحن هنا في احتواء أدنى. و الضحايا تحس بأنها تم التخلي عنها، غير مفهومة، وحيدة في العالم، و ضحية مرة ثانية بسبب المسافة بينها و بين الآخرين. و هاتان الحالتان توافقان ما يسمى "الفخ الصدمي".(Delage, 2007, pp.156-157).

– المخرج الأخير يوجه إلى الإرجاعية. و هنا يتم فتح الفخ الصدمي بعد الوقت اللازم من الانعزال و الانطواء. فتطور العائلة استراتيجيات الاحتواء الجيد، التضامن الكافي لسند و مساعدة الضحية. » (Delage, 2007, p.159).

و يضيف دولاج (Delage) (2010) أنه لما « يجرح نفسيا شخص ما فإنه تنتشر موجة الصدمة الانفعالية إلى المحيط بعد الحدث وخاصة ما بين الأقارب الذين هم في علاقة وجدانية مع ذلك الشخص. » (Delage, 2010, p.20) ، و يواصل أنه « لا بد بأخذ بعين الاعتبار ثلاثة محاور متداخلين في الصدمة العائلية. هنالك الذي يخص معاناة كل واحد. هنالك الذي يخص العلاقات في معاناة ما بين بعضهم البعض. ثم هنالك ما يخص العائلة ككل مصاب بالصدمة وهذا ما يؤدي إلى معاناة في الروابط النفسية ». (Delage, 2010, p.22)

و هكذا نجد من بين الانعكاسات للصدمة نذكر « معاناة عائلية غير متجاوزة تؤدي إلى هدم الوحدة العائلية و تطوير تناذر نفسي صدمي عائلي ». (Anaut, 2010, p.44)

إن « ظروف الحرب و العنف الجماعي يعني أن ما بعد الفرد، تصاب حتى العائلات بالحداد، نزوح السكان، الفراق، فتجد نفسها ضعيفة غير قادرة على ضمان دورها الحامي و الحاوي. » (Rezzoug, Baubet & Moro, 2009, p.207)

فالفقدان الصدمي لأحد أو عدة أعضاء يجعل العائلة « تواجه خطر هدم الروابط. فبالفعل الصدمة على مستوى العائلة يمكنها أن تعاش كمزق حقيقي للغلاف الجماعي (نرجع هنا إلى مفاهيم الأنا الجلدي و الأنا– الجماعي ل Anzieu) أي كشك في تناسق و في هوية العائلة. فهذا الغلاف العائلي يسمح للعائلة بإعطاء لكل عضو فيها ظروف حياة ثابتة إلى حد كاف و أمنة إلى حد كاف أيضا. فبالتالي تجد العائلة نفسها مضطربة في توظيفها للأماكن و الأدوار تجد نفسها منهزة و مضطربة. فعادة نجد العائلة منطوية على نفسها أو متفتحة على عائلات ذات مصير واحد و هذا ما يؤدي إلى تجميد الحداد. » (Clervoy et al, 2003, p.39).

من جهتها تشير بوجيت (Puget) (2000) أنه « لما تصاب جماعة عائلية أو مجموعة اجتماعية بحدث صدمي تصبح مجمدة و مضطربة ». (Féres-Carneiro & Ribeiro Net Da Silva, 2010, p.94).و من جهته يرى سيريلنيك (Cyrulnik) (2010) أنه « في بعض الحالات الصدمة في العائلة تصدم العائلة و الكل ينهار لأن هناك عضو مجروح ». (Cyrulnik, 2010, p.10).

فتواجد اضطراب ما بعد الصدمة يمكنه إذن « إصابة ديناميات الاتصال، السند، والتناسق العائلي. و لكن هذه الديناميات بحد ذاتها يمكنها أن تكون عوامل عائلية للحماية، أو على العكس للضعف و الهشاشة، و ذلك فيما يخص تفاقم و تطور اضطراب ما بعد الصدمة. من جهة أخرى، حتى في الحالات أين لم يتم معايشة الحدث من قبلهم إلا أنه بإمكانهم عرض من جهتهم أيضا أعراض اكتئابية–حصرية هامة، يمكنها أن تصل إلى اضطرابات من نوع الصدمة الثانوية ». (Sadlier, Jeremic & Zuber, 2013, p.338)

بالفعل الأحداث الصدمية لديها انعكاسات هامة على "الوظائف القاعدية" للعائلة. إن منظرين الجماعة العائلية يركزون على المهام التطورية الذي يميز كل العائلة، التنشئة الاجتماعية، السند، و الاعتناء بأعضائها، و لكن كما يبينه فيقلي (Figley) (1989) هذه المهام تصاب بفعل الحدث الصدمي و عواقبه النفسية. فـ« قدرة العائلة على الاتصال في داخلها، على سند ومساعدة كل من أعضائها، على التطور، يتعرض إلى خطر الإصابة و الاضطراب. فالحدث الصدمي يمكنه إحداث إعادة تنظيم العلاقات حول عرضية الضحية التي تصبح القطب المركزي في الدينامية العائلية ويعرقل التطور على المستوى العائلي و الفردي. في حالات أخرى، اضطرابات ما بعد الصدمة يمكنها أن تتجمد بتفاقم المصالح الثانوية عند الضحية أو عضو آخر من العائلة و ذلك بعد تغيير في الدينامية العائلية. نذكر حالة أخرى نلتقي بها كثيرا ألا و هي الخاصة بالغضب، الإحساس بالظلم، المطالبة بالاعتراف بالاعتداء و الإصلاح (رمزي أو قانوني) الذي تحمله العائلة أكثر من الضحية ». (Sadlier, Jeremic & Zuber, 2013, p.339)

و لمواجهة الحدث الصدمي تقوم العائلة ب « تجنيد مجموعة من الاستراتيجيات من بينها التنشيط المفرط للتعلق، كف التعلق، الوقوف معا، التشبث بوضعية الضحية، تبني موقف الاحتجاج، الانسداد، الطمر، التشفير و فصل المعلومات، الصمت » (Delage, 2008, pp.43-45)

و هكذا يمكن للعائلة أن « تشكل موردا بدون ثمن للفرد و كما يمكنها أن تعاني أو تصبح ناقل معاناة. فالقول أن الصدمة هي تجربة فردية لا يعني أن المحيط لا يمكنه أن يصاب و لا يعني أن المعاناة النفسية الصدمية لا يمكنها من تغيير الأدوار و التصورات ضمن العائلة ». (Vermeiren, 2011, p.245) و منها يمكن التعرف على « مخرجين الأول، يتمثل في ظهور صعوبات أنماط التوظيف غير متكيفة، أليات دفاعية غير لائقة تسمح نجاة العائلة لكن بمقابل تمن انتقال عبر الأجيال كارتي و مخرج تاني تتمكن العائلة كمجموعة منظمة من ايجاد الموارد لمعالجة الأعضاء الذين يعانون و التخفيف من الأعراض الصدمية لضحاياها » . (Delage, 2008, p.22)

و في هذا الصدد بينت لنا العيادة أن انعكاسات نفس الحدث الصدمي يختلف على حسب العائلة. فبالنسبة للبعض يقع الانهيار و للبعض الأخر يعد ذلك انطلاق جديد (Benghozi, 2010) و تتمكن من تخطي الوضع الصدمي و تجاوزه. هذا ما نسميه بالإرجاعية و سوف نتطرق في النقطة الموالية من هذا الفصل إلى مفهوم الإرجاعية العائلية. و نرى من خلاله أن «استجابة الإرجاعية لا تخص فقط الفرد و لكن يمكن تطبيقها على جماعة إنسانية عائلية أو لا. » (Anaut, 2003, p.34) و سوف نرى أيضا أن « تجند الجماعة العائلية يمثل عامل ذات قيمة عالية و يسمح تنظيمها و بنيتها بتصفية تجربة أعضاء العائلة. » (Vermeiren, 2013, p.3)

و هكذا و بعض عرض الجانب الأول المحتمل الخاص بمصير عائلة عرفت صدمة نفسية من أصل خارجي، سوف ننتقل إلى عرض الاحتمال الثاني ألا و هو الإرجاعية العائلية.

3- تعريف الإرجاعية العائلية

سوف نتناول في هذه النقطة التعريف بالإرجاعية العائلية من وجهة النظر التحليلية- النفسية كما نهتم بالشروط و بالموارد العائلية التي تسمح بحدوثها. لكن هذا لا يعني أننا نتحاشى بعض التناولات الأخرى و نخص بالذكر التناول النسقي لاسيما المختص دولاج (Delage) لأنه و كما دعى إليه ايونسكو(Ionescu) (2006) في نص له بعنوان « *Pour une approche intégrative de la résilience* » لا بد من تعزيز الرؤية الادماجية في متل هذه المفاهيم من جهة و من جهة أخرى أن مفهوم الإرجاعية ليس مفهوم تحليلي نفسي (Houzel, 2006).

نعرف الإرجاعية العائلية كـ « القدرة على تشبيك الروابط النفسية. أي بمعنى القدرة على فك وإعادة التشبيك. و يقصد بهذا الأخير الرابط النفسي الخاص بالنسب و القرابة. فالأول يربطنا بالمستوى النسبي بأصولنا اللاحقة و سلالاتنا السابقة. أما الثاني فيعرفنا أفقيا كأفراد بانتماءاتنا. كما تشير أيضا إلى القدرة النفسية التحويلية الخالقة لجماعة عائلية البديلة للذعر ». (Benghozi, 2005, p.118) .

و تعرف الإرجاعية العائلية إذن من خلال « تصور الشبكة النسبية في تناسق مع تناول تحليلي نفسي للروابط التي تجد نفسها مدمرة و متلفة بسبب العنف الذي يرمز إليه العار و الإهانة (الإذلال) » (Benghozi, 2010, p.87).

و يعتبر بن غوزي (Benghozi) (2010) أن الإرجاعية هي « القدرة الأخلاقية على تجاوز الإحساس بالعار و الإهانة. و لا بد من تفكير عمل الإرجاعية كشكل من إعادة بناء كرامة الإنسان الذي عاش الإذلال. و الإرجاعية العائلية هي القدرة على إنشاء حاوي عائلي جديد آمن ». (Benghozi, 2010, pp.95-

(98 و تدل على « قدرة العائلة على تجاوز العدوانية و الخروج أقوي و بموارد أغنى ». (Madariaga, Novella & Arribillaga, 2014, p.106)

و من هذه الجهة نعني بـ"الإرجاعية العائلية" « القدرة التي تتطور في وسط عائلة تكون بحد ذاتها مصابة على سند و مساعدة عضو أو عدة أعضائها ضحايا ظروف صعبة، أو على بناء حياة غنية و مزدهرة لكل واحد من أعضائها على الرغم من محيط صعب الذي يخضع إليه الكل. » (Delage, 2002, p.273)

إن تناول إشكالية العنف السياسي في علاقته مع الإرجاعية، تؤدي بنا إلى نظرة جديدة حول هذه المسألة. فالأفراد و الجماعات المعنية لا ينظر إليها كأنها حاملة لمشاكل و أثار سلبية معوقة فقط، و لكن أيضا كأفراد لديهم موارد و قدرات تسمح لهم بتجاوز تجارب أليمة وصدمية. تمثل الإرجاعية حسب نظرية التحليل النفسي القدرة على مقاومة الصدمة لمحاولة إرصانها. بحيث يمكن للعائلة أن تعاني بفعل كارثة أو صدمة مست أحد أعضائها و يمكن لها كمجموعة أشخاص تربطها العلاقات الوجدانية أن تساعد هذه الضحية.

يمكننا التكلم عن إرجاعية عائلية لما بعد التمزق الصدمي تسترجع العائلة توظيف هادئ، تتحرر من المعاناة و تصبح قادرة على تحويل الصدمة إلى تاريخ ماض و نشاط متقاسم. و يمكننا تقييم إرجاعية العائلة لما هذه الأخيرة تستمر في تلبية وظائفها الأساسية على الرغم من أنها خضعت إلى خطورة ذات دلالة كما تستوجب الإرجاعية في العائلة إمكانية إحساسها بالرابط بينها و بين المجتمع و البحث عن موارد خارجية في المحيط. فالإرجاعية العائلية هي القدرة الأخلاقية على تجاوز الإحساس بالعار و الإهانة و هي القدرة على إنشاء حاوي عائلي آمن و قدرة العائلة على تجاوز العدوانية و الخروج القوي و بموارد أغنى و تجاوز الحدث الصدمي و الرجوع إلى الحياة. فتظهر العائلة هنا قادرة على معالجة و تعديل الحالات الانفعالية للذي خضع و عاش حدث صدمي و ذلك بإعادة إحياء النشاط التصوري و بتكوين مورد هام للإرجاعية. فكل واحد يمكنه العثور على المساعدة و العناية عند أقاربه وذلك بفضل النشاط الكافي لجهازه التعلقي. فتظهر هنا العائلة كفضاء الأمان، البناء، الابتكار، اللعب و التضامن. كما أنها تؤدي وظيفة المحافظة و الاحتواء. فالحياة الانفعالية الأليمة و المضطربة للشخص ضحية حدث خطير تجد عند الجماعة العائلية فضاء يستقبلها، يحتويها، يفكرها، و يساندها.

4- موجز الأدبيات حول موضوع الإرجاعية العائلية

إن للصدمة النفسية «أثار على التوظيف الفردي و البين- علائقي لكل واحد. » (Silvestre, 2010, p.113) فلابد بذلك من النظر إلى « ضحية الصدمة دائما في ظرف علائقي. لهذا السبب تبدو الإرجاعية

مصطلح بين- ذاتي. فلا وجود للإرجاعية الفردية بدون تفاعل مع مجالات مرتكزة حول الفرد التي بإمكانها تسارع في سيرورة الإرجاعية، أو بالعكس زيادة خطورة انعكاسات الصدمة. فالدائرة الثانية مباشرة بعد الذي يخص الفرد و مميزاته هو العائلة ». (Villani, 2014, p.21)

و يؤكد بذلك دولاج (Delage) (2005) أن عمله كمحلل عائلي أدى به منذ مدة إلى « طرح سؤال السند الجماعي، العائلي في الإرجاعية. » (Delage, 2005, p.91) و بالتالي و « بنفس الطريقة التي تناول فيها الباحثتين الأوائل الإرجاعية على المستوى الفردي، فالبعض الأخر اهتموا بالإرجاعية العائلية (Walsh, 2006 ; Goldenberg, 2000 ; Delage, 2008). » (Goldbeter-Merinfeld, 2010, p.141) ، و ذلك حتى إن كان لابد من الاعتراف بأنه « لم يتم دراسة الإرجاعية على المستوى العائلي بصفة جيدة و الأمور تعرف بدايتها. » (Delage, 2008, p.25)

فيمكن للعائلة أن « تكون مدمرة بفعل كارثة. فحتى إذا كانت الصدمة النفسية لا تخص إلا شخص لجماعة عائلية فإنها تنشر كموجة الصدمة بالهجوم و حتى تدمير الروابط. » (Delage, 2001, p.203) و في هذا النطاق، فإن العديد من الأعمال « تتركز على الصدمة و انعكاساتها على الحياة النفسية الوجدانية و الاجتماعية. » (Benghozi, 2005, p.117) ، بحيث تقوم الصدمة « بهجوم على الروابط و تحدت تمزق و اختراق للحاويات النفسية الجماعية و العائلية و المساس بالنرجسية الجماعية. » (Benghozi, 2005, p.119)، فإذا كانت تعرف على « المستوى الفردي الصدمة كـ "اختراق نفسي" فإنها من وجهة نظر جماعية وب الخصوص عائلية فالصدمة هي "هدم للروابط".» (Delage, 2007, p.155)، و لكنه يمكن « للأزمة التي تسببها الكارثة أن تصبح فرصة تغيير يثري العائلة تفاقم امكانيات كامنة موارد جماعية ». (Delage, 2005, p.93)، فانعكاسات نفس الحدث الصدمي « مختلفة من عائلة إلى أخرى، فالبعض هو الانهيار و البعض الأخر هو انطلاقة جديدة. » (Benghozi, 2010, p.87)

فبعد أن « درست العائلة كعامل خطورة نفسية-اجتماعية أصبحت في السنوات الأخيرة ينظر إليها أكثر فأكثر كمورد. إن الإرجاعية هي سيرورة دينامية تنشأ من العلاقة في العائلة ». (Pourtois & Desmet, 2000, p.12).

فنستخلص من هنا أن للعائلة دورا مهما جدا في نشأة و ظهور الإرجاعية عند الفرد و أن الجانب العلائقي ضروري لحدوث و فهم الإرجاعية. فعندما نتحدث عن الإرجاعية المجتمعية و العائلية في بحثنا هذا، فإنه يعني لا محالة أن هناك تواجد لصدمة مجتمعية و عائلية. و لكن ما المقصود بالصدمة المجتمعية التي على إثرها يمكن أن تظهر الإرجاعية المجتمعية ؟ يجيب انيسكو (Ionescu) (2016) و يقول:« لما

الصدمة تصيب عدد كبير من الأشخاص (مدينة، مجتمع، بلد)، تم وصف على إثرها اضطرابات عيادية خاصة: اضطراب الضغط ما بعد الصدمة المجتمعي (Elliot, Bischop, et Strakes, 2004) ، تناذر الصدمة التاريخية (Kirmayer, Gone et Moses, 2014) و تناذر المجتمع المضطرب (Dura, Duran et Brave Heart, 1998). فلما شدة العدوانية و الإصابة الاجتماعية مهمة جدا، يمكن للاضطرابات الوصول إلى انهيار المجتمع ». (Ionescu , 2016, p.20)

ففي « ظروف عدوانية أو صدمة جماعية، السيرورات المعقدة المؤدية إلى الإرجاعية يمكنها أن تظهر وتم وصف حينئذ عدة أشكال من الإرجاعية في هذه الحالات: إرجاعية جماعية، طائفية، مدنية، اجتماعية، وطنية، عمومية، و حتى المجتمعية. تدل الإرجاعية المجتمعية على سيرورة إرجاعية تظهر لما مجتمع بكامله يصاب بصدمة جماعية كبيرة (حرب، إبادة، الدكتاتورية، تمييز عنصري) أو يواجه أشكال جماعية للعدوانية المزمنة. فمثل هذه الظروف يمكنها أن تكون لديها انعكاسات خطيرة، و إصابة توظيف الأفراد، العائلات، الطائفات و المجتمع كله ». (Ionescu, 2016, p.21)

كما تخص الإرجاعية العائلية « عائلة تواجه صدمة. فيمكن أن يكون هناك جريح في العائلة، و هذه الأخيرة تقدم له وصي الإرجاعية، ولكنه يمكن أيضا للعائلة أن تكون في مجملها ضحية الصدمة. حينئذ هناك آلية شاملة تعمل على جذب كامل العائلة في سيرورة الإرجاعية ». (Cyrulnik, 2004, p.15)، فلكي تطلق العائلة سيرورة الإرجاعية، فلابد أن يكون « توزيع القوى و الاستثمارات الوجدانية متناغما. » (Cyrulnik, 2010, p.11)

يمكننا التكلم عن إرجاعية عائلية « لما بعد تمزق صدمي تسترجع العائلة توظيف هادئ، تتحرر من المعاناة و تصبح قادرة على تحويل الصدمة إلى تاريخ ماض و نشاط متقاسم. إن العائلات المغلقة، الصلبة، تنكمش على معاناتها و تجعل من المستحيل تغيير و تصحيح الصدمة. فينشئ في العائلة اللا-حياة حيث يسكت كل واحد لتفادي الانفجار. في حين أن العائلات المفتوحة على الحياة الاجتماعية و الودية تتوصل إلى تطوير الروابط الممزقة بسبب الويل و المحنة. » (Cyrulnik, 2014, p.16)

و من جهته يرى فيلاني (Villani) أننا يمكننا تقييم « إرجاعية العائلة لما هذه الأخيرة تستمر في تلبية وظائفها الأساسية على الرغم من أنها خضعت إلى خطورة ذات دلالة. » (Villani, 2014, p.24) ، كما تستوجب الإرجاعية في العائلة «إمكانية إحساسها بالرابط بينها و بين المجتمع و البحث عن موارد خارجية في المحيط. » (Delage, 2010, p.35) ، فعلينا أن لا ننسى أن الصدمة هي « تمزق للرابط. » (Cyrulnik, 2007, p.305)

و تشير من جهة أخرى الإرجاعية العائلية إلى «الأشكال الدفاعية و الحامية للظرف العائلي حول فرد خضع إلى صدمة. فتساهم العائلة في الإرجاعية عبر امكانيات السند التي تقدمها للفرد المجروح و التي تحفز ارصان معاناتها تطورها و إعادة بنائها النفسي.» (Anaut, 2010, p.41). إن تفكير الإرجاعية العائلية أو المجتمعية يستوجب النظر إلى العائلة «كمجموعة نفسية تتركب من الروابط العائلية و المجتمعية. » (Benghozi, 2010, p.88)

فتظهر العائلة كـ « الحاوي الطبيعي لليأس صاد–المثيرات القادر على السماح بالتهدئة الانفعالية التي نحن بحاجة إليها، في نفس الوقت هذه التهدئة تسمح بتطوير القدرات على التفكير. فإن القرابة الجسدية تؤمن العلاقة و تسمح بالقرابة النفسية. من هذه الوجهة قدرة الشخص المصدوم على التفكير من الاحتمال أن تتطور في اتصال مع القدرة على التفكير للأشخاص المحيطة بها. فعبر السند العلائقي، التبادل، الاتكاء على المواقف و إجابات الآخرين تطور قدرات الارصان، العقلنة للتجربة المعاشة ». (Delage, 2008, pp.88-89)

يمكن التمييز بين تناولين للإرجاعية المطبقة على العائلة. من جهة يمكننا الاهتمام « بالخصوصيات العائلية التي يمكن أن تساهم في إرجاعية الفرد. من جهة أخرى، يمكن استكشاف عن التظاهرات الإرجاعية الشاملة فيما يخص العائلة. في الحالة الأولى تشارك الجماعة العائلية في إرجاعية أحد أعضائها بتقديم لها دعم نفسي– وجداني، سند و ركائز حاوية بمساعدته على حماية نفسه على المستوى النفسي، استدخال التجربة الصعبة و إعادة بناء نفسه. في الحالة الثانية نتحدث عن ارصان الصدمة لما تصل الجماعة العائلية إلى الحفاظ على تناسقها و نوع من السعادة و عافية أعضائها و تستمر في تطورها العائلي، و يمكن هنا التحدث عن سيرورة إرجاعية عائلية ». (Anaut, 2010, p42)

فالتحدث عن الإرجاعية في العائلية أو العائلة المرتجعة هو « محاولة تحديد ما يمكن للعائلة فعله للخروج من العواقب الجماعية للصدمة الفردية أو الصدمة الجماعية. و فيما يخص العائلة، تظهر الإرجاعية لما تستعيد هذه الأخيرة دورة الحياة ». (Delage, 2007, pp.153-154)

و بالطبع، فإن الإرجاعية تتضمن دائما تشابك محورين: "الحياكة" (tricotage) و"النسج.(tissage) إنهما لفظان غاليان بالنسبة لسيغولنيك (Cyrulnik)، و يعنيان « تشابك دائم و مستمر ما بين ماذا يجري على المستوى الفردي، استعداداته، قدراته، تصوراته، و ماذا يحدث على مستوى العلاقات، الروابط التي تقام بين الأقارب، الجماعة، بطريقة أن كل محور من هذين المحورين الذي يخص الحياة النفسية الشخصية و الخاص بالرابط مع المحيط يتغذى كل واحد من بعضهما البعض ». (Delage, 2005, p.91)

و هكذا ننص إن الإرجاعية تتطور دائما على حسب محورين:

– محور ضمن نفسي (هو الذي عرضناه في بداية الفصل و الذي يمكن تلخيصه هنا في القدرة على التصور، القدرة على تسيير الانفعالات و الأحاسيس الناجمة عن الصدمة، إضافة إلى القدرة المعرفية و القدرة على التسامي، الابداع، إلخ)

– محور علائقي، تفاعلي: فمن جهة نركز على الخصوصيات الفردية وعوامل الشخصية. من جهة أخرى لا يمكننا التكلم عن الإرجاعية بدون تواجد علاقات سندية محيط مورد ويقر كل الباحثون على أهمية الروابط فرد–محيط. وعندما نتحدث عن المحيط من الشرعي إعطاء مكانة مركزية للعائلة قادرة على تطوير موارد و قدرات جماعية لمواجهة الحدث.

كما يلخص دولاج (Delage) (2004) شروط الإرجاعية العائلية في:

أ– من جهة الوظيفية نذكر : اتصالات واضحة و مفتوحة، تعبير صريح للأحاسيس و الانفعالات، مستوى جيد من التضامن في حل المشاكل، الحفاظ على تنظيم كاف في العائلة على الرغم من التغيرات التي يفرضها الحدث الكارثي و عواقبه، انفتاح كاف على العالم الخارجي.

ب–من جهة الحياة النفسية الجماعية: نذكر أن النشاط السرد يسمح عمل الارتباط (liaison) التصور إعطاء معنى التأريخ الضروري لكل واحد منا و التمسك بالجدار الحامل لهذه الاعتقادات التي تمثل سند للجماعة. الايمان بمخرج ممكن للتجربة المعاشة (العدالة التضامن الايمان الديني). » (Delage, 2004, p.343)

كما يتحدث Delage (2007) عن ثلاثة أبعاد ذات دلالة فيما يخص الإرجاعية العائلية:

– يخص "البعد الأول" مجال الاعتقادات و الروحانية. أي القدرة على الحفاظ عن الآمال، الممارسات الدينية، الإيمان في العدالة و القدرة على السماح للمعتدي.

– يخص "البعد الثاني" وظيفية العائلة. أي قدرة العائلة على ايجاد نوع من الكفاءات، الموارد و القدرات في تسيير الحياة اليومية. إضافة إلى التحلي بالمرونة الكافية لحدوث تغيير في الأماكن و الأدوار الذي فرضته الظروف.

– يخص "البعد الثالث" عمل العقلنة، أي القدرة على ترجمة التجربة المعاشة بأفكار، إعطاء معنى، إنجاز عمل ارصان و تصوير. » (Delage, 2007, pp.160-163)

كما نجد من بين مميزات العائلة المرتجعة « استقرار و تماسك عائلي، مرونة اتجاه التغيير، مقاومة للضغط، اتصال، ممارسة الطقوس، تقاسم التجربة، إقامة روابط مع المجتمع و مميزات عرقية. » (Anaut, 2003, p.97)

و نضيف لهذه الأبعاد المذكورة « السرد الذي يسمح بإيجاد معنى لما حدث ». (Delage, 2010, p.34). كما يتحدث سيغولنيك (Cyrulnik) (2010) عن العائلات ذات «تأثير قاعدة مؤمنة و دينامية، في حين هناك البعض الذي يتميز بغلاف غير أمن، مثبط و ضعيف. » (Cyrulnik, 2010, p.7)

و تتحدث أنوت (Anaut) (2010) عن إلزامية خاصة بالعائلة تتمثل في « تنشيط امكانيات و موارد لمساعدة أحد أعضائها لإعادة بناء نفسه و هذا بالحفاظ على الجماعة العائلية في كاملها عن الآثار المؤذية الغير المباشرة للصدمة و التصدي لتهديدات الاضطراب النفسي لكل واحد. فلابد عليها ايجاد أسوار لاحتواء الاضطراب و عرقلة الخطر المدمر للجماعة وكل هذا بتوفير شروط مرافقة مناسبة للضحية لا يكون مفرط في الاحتواء أو النبذ» (Anaut, 2010, p.45)

تظهر العائلة قادرة على « استقبال خطاب و كلام عضوها المجروح بدون أن تكون هي بحد ذاتها ممزقة و توفر له تعاطف الإنسانية العائلية ». (Heim & Vasselier-Novelli, 2010, p.198) و بالتالي نجد أن « ما لا يمكنه للفرد احتوائه في حياته النفسية لابد معالجته في محيطه بفضل جودة و نوعية حياته العلائقية. فتظهر العائلة هنا قادرة على معالجة و تعديل الحالات الانفعالية للذي خضع و عاش حدث صدمي وذلك بإعادة إحياء النشاط التصوري و بتكوين مورد هام للإرجاعية. فكل واحد يمكنه العثور على المساعدة و العناية عند أقاربه و ذلك بفضل النشاط الكافي لجهازه التعلقي. فتظهر هنا العائلة كفضاء الأمان، البناء، الابتكار، اللعب والتضامن. كما أنها تؤدي وظيفة المحافظة والاحتواء. فالحياة الانفعالية الأليمة والمضطربة للشخص ضحية حدث خطير تجد عند الجماعة العائلية فضاء يستقبلها، يحتويها، يفكرها، و يساندها. ففي الأخير القدرات الفردية والعائلية الخاصة بالإرجاعية يرتكز بدون شك على جودة الروابط والتغليفات النفسية، قدرة الجماعة العائلية على احتواء الفيضان الانفعالي وتسجيل الحدث الصدمي في سيناريو و إعطاء معنى في ظل نشاط تصوري فكري. تتمثل الإرجاعية العائلية أيضا في قدرة الجماعية على بناء، تنظيم، إعادة تنظيم حكاية أين يمكن للصدمة أن تأخذ معنى، والاندماج في الأساطير العائلية المتواجدة من قبل و قادرة على الحفاظ على التناسق الجماعي. و ترسيخ هذه الخطابات و الحكايات في نظام المعتقدات الخاصة بالعائلة، إضافة إلى مفهوم العدالة، فالاعتراف الاجتماعي للضرر، المساعدات المالية المتحصل عليها، المتابعة القضائية للمذنب يمكنها المساهمة في الإرجاعية العائلية. فالإرجاعية تقاس في القدرة على الاحتفاظ

على قوانين التوظيف، الأدوار و الأماكن المحددة بصفة جيدة، العثور على توازن جيد ما بين انفتاح و انغلاق العائلة أو ما يسمى بالمرونة، كما تلعب الطقوس دور هام في التناسق العائلي و الإرجاعية العائلية ». (Delage, 2002, pp.273-284)، كما تقاس الإرجاعية أيضا بالنظر إلى « عمل الرابط أو الاحتواء الذي يبدو ضروري لمواجهة اضطرابات في العائلة» . (Delion, 2015, p.IX)

و في هذا الصدد يركز دولاج (Delage) (2002) على نقاط مرجعية نظرية مفسرة للإرجاعية العائلية ألا و هي نظرية التعلق، مفهوم الغلاف النفسي و الأنا الجلدي، مفهوم الاحتواء، مفهوم صاد المثيرات، أنظمة المعتقدات و المستوى الأسطوري للتفاعلات العائلية، و غيرها من المميزات و الخصوصيات التابعة للتوظيف العائلي.

نستخلص مما سبق ذكره أن الإرجاعية ترتكز على ثلاثة أبعاد أساسية: « عوامل ضمن- شخصية (قدرات فردية، دفاعية، الخ) ، عوامل عائلية (بنية وجودة العلاقات العائلية، ظرف نفسي- وجداني، إلخ)، عوامل اجتماعية-محيطية (سند ودي، اجتماعي، موارد المجتمع، موارد دينية و ايديولوجيا، الخ) ». (Anaut, 2010, p.40)

و لمحاولة الربط مع موضوع بحثنا نجد من جهته بين بولزمان (Bolzman) (2006) أنه في « حالة معاناة ناجمة عن صدمات تنبع من العنف السياسي، فالموارد الاجتماعية و أيضا الموارد الثقافية تلعب دور هام في عمل الإرجاعية ». (Bolzman, 2006, p.162). كما أشار الباحث إلى أنه في « حالة صدمات ناجمة عن القمع، التعذيب، المنفى، فإن الموارد تكمن في التاريخ المشترك الذي يتمسك به الفاعلين كجماعة (موارد جماعية) و في المسار الاجتماعي للأفراد الذين يشكلون الجماعة (موارد فردية) ». (Bolzman, 2006, p.167) ، و لما الفرد يتذكر حدث بطريقة منسجمة مع الجماعة التي ينتمي إليها فإنه « يربط نفسه مع معنى جماعي و يستفيد بسنده ». (Tousignant & Ehrensaft, 2003, p.200)

نخلص من هذه النقطة أن الظرف مهم جدا لتناول مسألة الإرجاعية، فنأخذ الإرجاعية من وجهة نظر علائقية و تفاعلية و خاصة فيما يخص موضوع مثل موضوع بحثنا. كما نخلص الى أن السند العائلي و سند المجتمع ظهرا ذات أهمية بالغة فيما يخص التخفيف من الأثار السلبية للتجارب العنيفة. فالإرجاعية في مثل هذه الظروف والحالات تتميز بالنسبية نوع ما. في هذا النطاق ينص دولاج (Delage) (2010) أنه « لا يمكن وضع في نفس المستوى استجابات شخصية و بين-شخصية لصعوبات وجودية مبتذلة نجدها في الحياة اليومية، وماذا يخص الكوارث الكبيرة، مثل حادث خطير، كارثة طبيعية، اعتداء مخيف، فقدان صدمي. ففي الحالات الأخيرة تخص الإرجاعية عمل نفسي طويل المدى ». (Delage, 2010, p.19) و

حتى إن كانت هنالك إرجاعية عائلية إلا أن الأشياء لا تعود أبدا إلى حالها السابق و يتحدث هنا بن غوزي (Benghozi) (2010) عن مفاهيم « الندوب العائلية، الأثار و البصمات العائلية التي بإمكانها أن تنتقل من جيل إلى آخر ». (Benghozi, 2010, p.89)

خاتمة :

إن كان هناك اهتمام كبير في الثمانينات والتسعينات، ببحوث اضطراب الصدمة عند الفرد، لكن تلك الخاصة بالصدمة و العائلة حديثة. إذ نجد أن معظم الدراسات اهتمت بالفرد الذي عاش الحدث الصدمي لوحده في حين أنه في الآونة الأخيرة هناك تركيز واضح على فكرة أن هناك أثار جماعية و عائلية للصدمة و أنه عندما يكون عضو من العائلة في معاناة، سيكون لديه انعكاسات على جل العائلة. في حين تتميز بعض العائلات بقدرتها على تجاوز العنف العمدي و عواقبه و هذا بالتصدي و المقاومة و بالتالي تسجيل نفسها في سيرورة الإرجاعية. هذا ما يمكن العائلة من استرجاع توظيف هادئ و تحرر نفسها من المعاناة و تحول الصدمة.

قائمة المراجع :

1. Anaut, M. (2010). Les processus de résiliences familiales. Pistes de réflexions et axes de travail avec les familles. In M. Delage., & B. Cyrulnik (Eds.), *Famille et résilience* (pp.39-59). Paris: Odile Jacob.
2. Benghozi, P. (2005). La résilience familiale : Ethique remaillage généalogique. In B. Cyrulnik (Eds.), *Vivre devant soi : être résilient et après ?* (pp.91-116). Paris: Le Journal des Psychologues.
3. Benghozi, P. (2010). Résilience familiale et communautaire de la honte et de l'humiliation. In B. Cyrulnik (Eds.), *Vivre devant soi : être résilient et après ?* (pp.87-110). Paris : Le Journal des Psychologues.
4. Bolzman, C. (2006). Violence politique, exil et formes de résilience. In L. Toscani., & J. Boesch (Eds.), *Chemins de résilience. Un éclairage multidisciplinaire à partir des récits de vie* (pp.162-173). Genève: Médecine et hygiène.
5. Clervoy, P. (2003). Deuil et guerre. *Etudes sur la mort*, 1 (123), 35- 44.
6. Cyrulnik, B. (2007). Conclusions et perspectives. In J. Ain (Eds.), *Résiliences. Réparation, élaboration ou création?* (pp.305-325).Toulouse: Erés.
7. Cyrulnik, B. (2010). Préface. In M. Delage., & B. Cyrulnik (Eds.), *Famille et résilience* (pp.7-13). Paris: Odile Jacob.
8. Cyrulnik, B. (2014). Pourquoi la résilience ? . In M. Anaut., B. Cyrulnik (Eds.), *résilience. De la recherché à la pratique* (pp.7-21). Paris: Odile Jacob.
9. De Clerq M. (1995): Les répercussions du syndrome de stress post-traumatique sur les familles. *Thérapie familiale*, 16-2,185-195.
10. Delage M. (2000): Traitement familial du traumatisme psychique. *Thérapie familiale*, 21 (3), 273-287.
11. Delage, M. (2002). Aide à la résilience familiale dans les situations traumatiques. *Thérapie Familiale*, 23 (3), 269-287. Doi : 10.3917/tf.023.0269.

12. Delage, M. (2007). Résilience dans la famille et famille résilience. In J. Ain (Eds.), *Résiliences. Réparation, élaboration ou création* (pp.153-172). Paris: Eres.
13. Delage, M. (2008). *La résilience familiale*. Paris : Odile Jacob.
14. Delage, M. (2010). La famille confrontée au traumatisme. Déchirure des liens et résilience. In M. Delage., & B. Cyrulnik (Eds.), *Famille et résilience* (pp.17-38). Paris: Odile Jacob.
15. Delion, P. (2015). Préface. In D. Mellier (Eds.), *Le bébé et sa famille (*pp. VII – X). Paris: Dunod.
16. Dubois, V. (2003). Approche familiale du psychotraumatisme individuel, recommandations. *Revue francophone du stress et du trauma,* 3 (1), 35- 38.
17. Eiguer, A. (2010). Blessures de la parenté et de la filiation et leur évolution. In M. Delage., & B. Cyrulnik (Eds.), *Famille et résilience* (pp.61-80). Paris : Odile Jacob.
18. Ferés-Carneiro, T., & Ribeiro Neto da Silva, M. (2010). Transmission, honte et mémoire dans l'histoire familiale des disparus du régime militaire brésilien. *Dialogue*, 4 (190), 93-106. Doi : 10.3917/dia.190.0093.
19. Fischer, G-N. (2003). *Les blessures psychiques. La force de revivre*. Paris : Odile Jacob.
20. Godard, M-O. (2003). *Rêves et traumatismes*. Paris: Eres.
21. Goldbeter- Merinfeld. E. (2006). Familles et corps souffrants. *Cahiers critiques de thérapies familiales et de pratiques de réseaux,* 1 (36), 5- 11. Doi: 10.3917/ctf.036.05.
22. Goldbeter-Merinfeld, E. (2010). Deuil, tiers pesant et tuteur de résilience. Réflexions sur le processus therapeutique. In B. Cyrulnik (Eds.), *Vivre devant soi : être résilient et après ?*. (pp.127-150). Paris: Le Journal des Psychologues.
23. Granjon, E. (2004). Perspective psychanalytique, souffrance familiale et thérapie familiale psychanalytique. In A. Angel & P. Mazet (Eds.), *Guérir les souffrances familiales* (pp.79-93). Paris: PUF
24. Hein, Ch., & Vasselier-Novelli, C. (2010). Groupes professionnels, familles et résilience. In B. Cyrulnik (Eds.), *Vivre devant soi : être résilient et après ?* (pp.181-198). Paris: Le Journal des Psychologues.
25. Houzel, D. (2006). Résilience et psychanalyse. In B. Cyrulnik., & Ph. Duval (Eds.), *La psychanalyse et résilience* (pp.247-261). Paris : Odile Jacob.
26. Ionescu, S. (2006). Pour une approche intégrative de la résilience. In B. Cyrulnik., & Ph. Duval (Eds.), *La psychanalyse et résilience* (pp.27-44). Paris: Odile Jacob.
27. Ionescu, S. (2016). *Résiliences : Ressemblances dans la diversité*. Paris: Odile Jacob.
28. Laub, D., & Auerhahn, N-C. (2015). Savoir et non savoir dans le trauma psychique massif. *Le Coq-Heron*, 1 (220), 48-66.
29. Madriaga, J-M., Novella, I., Arribillaga, A. (2014). Résilience et fonctionnalité familiale. In B. Cyrulnik., M.Anaut (Eds.), *Résilience. De la recherche à la pratique* (pp.103-114). Paris : Odile Jacob.
30. Nathan, T. (2000). Deux représentations oniriques du moi-peau. In D. Anzieu (Eds.), *Les enveloppes psychiques*. Paris: Dunod
31. Neubruger, R. (2005). *Les familles qui ont la tête à l'envers*. Paris: Odile Jacob.
32. Pourtois, J-P., & Desmet, H. (2000). *Relation familiale et résilience*. Paris : L'Harmattan.
33. Puget, J. (2000). Un parcours avec Didier Anzieu. In R. Kaes (Eds.), *Les voies de la psyché* (pp. 341-356). Paris: Dunod.
34. Rezzoug, D., Baubet, T., & M-R, Moro. (2009). Enfance: entre vulnérabilité et creativité. In T. Baubet., & M-R. Moro (Eds,). *Psychopathologie transculturelle* (pp.190-216). Paris: Masson.
35. Sadlier, K. (2013). Résilience. In M. Kédia., & A. Sabouraud-Seguin (Eds.), *L'aide-mémoire de psycho-traumatologie* (pp.249-257). Paris: Dunod.

36. Sadlier, K., Jeremic, V., & Zuber, A. (2013). Thérapie familiale. In M. Kédia., & A. Sabouraud-Seguin (Eds.), *L'aide-mémoire de psycho-traumatologie* (pp.337-341). Paris: Dunod.
37. Silvestre, M. (2010). La résilience : une histoire de l'intégration des regards inter-et intrapersonnels. In B. Cyrulnik (Eds.), *Vivre devant soi : être résilient et après ?* (pp.111-126). Paris: Le Journal des Psychologues.
38. Tisseron, S. (1992). *Tintin et les secrets de famille*. Paris : Aubier
39. Tisseron, S. (2011). *Les secrets de famille*. Paris : PUF
40. Tousignant, M., & Ehrensaft, E. (2003). La résilience par la reconstruction du sens : l'expérience des traumas individuels et collectifs. In M-P. Poilpot (Eds.), *La résilience : le réalisme de l'espérance* (2 é èd). Toulouse: Erés.
41. Vermeiren, E. (2011). Thérapie familiale. In C. Damiani., & F. Lebigot (Eds.), *Les mots du trauma. Vocabulaire de psychotraumatologie* (p.245). Paris: Philippe Duval.
42. Vila, G. (2011). Famille et trauma de l'enfant. In C. Damiani., & F. Lebigot (Eds.), *Les mots du trauma. Vocabulaire de psychotraumatologie* (pp.108-110). Paris: Philippe Duval.
43. Villani, M. (2014). *Résilience familiale et maladies chroniques rares de l'enfant. Etude exploratoire auprès de 39 familles françaises*. Thèse de doctorat en psychologie clinique, Université Paris V, Paris. Repéré à http : //www.theses.fr/2014PA05H110.pdf.
44. Zelter, L. (2011). *Traumatisme et famille*. Repéré à http : //chameaupsy.com. pdf.

الإطار المفاهيمي للأسباب وأثار العنف الزوجي في الجزائر.

الباحثة/ معنصر مسعودة.

جامعة وهران 02 ـ الجزائر.

الملخص:

إن العنف الزوجي ظاهرة عالمية ، يستوي في ذلك البلدان المتقدمة والبلدان النامية، كما أنه ظاهرة يومية في حياة كثير من النساء وطوال فترة حياتهن، فهو العنف الذي يوجّهه الشريك إلى شريكته، حيث يستأثر الرجل بالسلطة داخل المنزل في إطار علاقة قوة غير متكافئة مع زوجته وعدم الإعتراف بالمساواة بينه وبينها ومحاولة تطويعها بحسب صورته بهدف إلغائها. وهذا العنف يهدّد كيان الزوجة ويلحق بها أضراراً مادية أو معنوية أو نفسية.

الكلمات المفتاحية: العنف الزوجي – ظاهرة –النساء–الزوجة – أضرار نفسية .

Abstract:

Marital violence is a global phenomenon، in which developed and developing countries are equal، as it is a daily phenomenon in the lives of many women and throughout their lives، as it is the violence that the partner directs to his partner، whereby a man takes power in the home within the framework of an unequal power relationship with his wife and the lack of Acknowledging equality between him and her and trying to adapt it according to his image with the aim of abolishing it. This violence threatens the entity of the wife and causes material، moral or psychological damage to her.

Key words: marital violence - phenomenon - women - wife - psychological damage.

مقدمة:

تحتفل الجمعية العامة للأمم المتحدة سنويا وبتاريخ 25 نوفمبر، باليوم العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة، وتوصي المنظمة الدولية جميع المنظمات الرسمية والغير حكومية ووسائل الإعلام حول العالم بالترويج لثقافة القضاء على العنف تجاه المرأة، فالتاريخ المذكور مرتبط بقصة مهمة تعود إلى عام 1960 متلازمة بحادثة وقعت بالدومينكان(Dominique) تلك الجمهورية الواقعة بالكاريبي (caribes) على مشارف

كوبا وهايتي، حيث قتلت الأخوات "ميرابال"، لتصبح تلك الحادثة لاحقا إلهام للعالم فيما يتعلق بقضايا مناهضة العنف ضد المرأة[1].

لقد تأخر علماء النفس والاجتماع في دراسة العنف الزوجي الذي لاحظه باحثوا الخدمة الاجتماعية في القرن19، حيث لم يحظ العنف الموجه للمرأة خصوصا الزوجة بالاهتمام الكافي حتى عام 1970، لأن الموضوع يعد مشكلة أسرية تحاط بكثير من السرية والكتمان، وأن العنف ضد المرأة حسب تعريف منظمة الصحة العالمية هو أي فعل عدواني على المرأة يتسبب في أذى نفسي أو جنسي أو جسدي يتسبب في معاناة المرأة، ويتضمن تهديدا أو الحرمان من الحرية بشكل إجباري أو تعسفي سواء في الحياة العامة أو الخاصة، وللعنف أشكال متعددة منها العنف الجسدي مثل الضرب والحرق، العنف الاجتماعي كالحرمان من المشاركة في الحياة العامة، والعنف النفسي وهو الأصعب في التأثير على المرأة مثل التحقير والإهانة والحط من كرامتها، والعنف الجنسي وهو الزام الطرف الأخر بالقيام بممارسات جنسية دون إرادة، والعنف الاقتصادي كالاستيلاء على راتب الزوجة وبيع مسوغاتها والإهمال في الإنفاق عليها[2].

كما يثير موضوع العنف ضد النساء قدرا كبيرا من الحساسية عند التطرق إليه، وبشكل خاص عندما يخرج الحديث من حيز الدراسات والأبحاث إلى مجال الدعوة للمساندة والمناصرة لتفعيل المجتمع والمؤسسات للتشريعات التي تدعم المرأة والعمل على تغيير التشريعات التي تعيق حصول المرأة على حقوقها كإنسان، وبدأ مصطلح العنف الأسري في الظهور خلال الثمانينات والتسعينات مصاحبا لنشاط الحركة النسوية وحركات التحرر للمرأة المعاصرة، ويعتبر العنف الأسري من أكبر الأنشطة التي لا يمكن حصرها بصورة دقيقة، لأن الغالبية العظمى من ضحايا العنف الأسري غير مسجلة.

يظل العنف ضد المرأة عموما أو الزوجة خصوصا، من أكثر انتهاكات حقوق الإنسان اختفاء في الجزائر، وان كانت مؤسسات الدولة قد بدأت في الاعتراف بهذه القضية والتصدي لها، بوضع استراتيجية وطنية لمكافحة العنف ضد المرأة، حيث تعتبر الجزائر من بين الدول العربية القليلة جدا التي تولي اهتماما لمسألة العنف ضد المرأة، والتي تعتبر ظاهرة عالمية لا تقتصر على بلد دون أخر، هذا ما دفع الحكومة إلى مصادقة الجزائر على أهم الاتفاقيات الدولية في هذا الميدان، إلا أن العنف الزوجي مازال موجودا وسط المجتمع الجزائري وخاصة في الأسرة، وبالتالي لا تبلغ السلطات إلا بقسط صغير من جميع حالات العنف

[1]- إسماعيل حلمي جلال،1999، العنف الأسري، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص 10.

[2]- أسماء جميل، 2007، العنف الاجتماعي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط1 ، ص301.

المرتكبة ضد المرأة في الأسرة، وفي الجزائر العنف داخل نطاق الأسرة لا يظهر البتة إذا ما اعتمدنا على الإعلام الذي يتعرض للأسرة باحترام متناه، ويعتبرها وحدة مقدسة، مع ذلك يسود نوع من العمل الاجتماعي تجاه العنف الزوجي الذي يعتبر مسألة عادية وبديهية وموضوعا لا يمكن التطرق إليه، وينظر المجتمع العربي عامة، والجزائري خاصة للأنثى بخلاف الذكر، لأنها في المرتبة الثانية الخاضعة والتابعة للسلطة الذكرية المتوارثة بين الأجيال التي تضطهد النساء، فالمرأة كانت ولا تزال مصدر العار بالنسبة للرجل، ولهذا يكرس وجوده لمراقبتها وخنقها بالعادات والتقاليد، وكأنه بهذه المراقبة يسعى إلى حفظها والحرص على سلوكها وشرفها، كما أن الجميع يحرص على تزوجيها ، وبكل تأكيد شكلت المرأة في العقلية الذكرية المهيمنة الكائن المستضعف الذي لا يستطيع حماية نفسه، ولا تمثيلها إلا بالانطواء تحت رحمة الأخر، الذي ينظر إليها على أنها شيء من الأشياء الخاصة.

وتواجه الزوجة في مجتمعنا عنفا اجتماعيا، في علاقاتها مع الرجل بأساليب مختلفة تبدأ من الطاعة والاحترام وتنتهي بالمناقشة والرفض، أو عدم الاحترام، وهذه الأساليب تتأثر بطبيعتها بعوامل اجتماعية، والعنف الذي تتعرض له الزوجة ما هو إلا مظهر من مظاهر علاقات اجتماعية غير متوازنة، إلا أن هذه العلاقات مستمرة، لأن الزوجة هي من تتحمل تكاليف العلاقة فتخفي ما يقع عليها من عنف إرضاء للمجتمع الذي يحملها المسؤولية وكأنها هي المقصرة في حق الرجل، وهي بذلك تخدم رغبة المجتمع في التستر على هذه الظاهرة، وتؤثر أسرة النشوء التي ينشأ فيها الفرد على الأفكار والاتجاهات والسلوكيات التي يحملها تجاه العنف الأسري(دورة حياة العنف الأسري)، فمن يشاهد قهرا من والديه يميل إلى صب عدائه لوالديه تجاه شريك أو شريكة زواجه، ومن يشاهد عنف أمه اتجاه والده، لا بد أن ينضج وهو يحمل اتجاها عدائيا ضد المرأة، وكذلك تكره الطفلة التي ترى عذاب أمها من جراء والدها الرجل، وبعد زواجها ترى في زوجها شخصية والدها الذي كان يضرب أمها، وقد ينشأ العنف من البيئة المحيطة بالزوجين وخاصة من خلال تدخل أهل الزوج أو أهل الزوجة، وهذا أمر شائع، وقد يرجع الزوج أو الزوجة من يوم عمل متعب بالهموم والمشاكل، ولا يجد أي منهما الراحة عند العودة إلى المنزل، فيقوم بأعمال عنيفة، وتحدث المشاكل الزوجية في أشكال مختلفة، وقد تتعدد صور العنف التي يمارسها الزوج داخل الأسرة في مواجهة الزوجة، بدءا من الاستخفاف من أرائها أمام الأخرين، والسب والشتم لها ولوالديها، وخدش حيائها لفظيا، ومنعها من الخروج من المنزل، التضييق عليها ماديا، منعها من زيارة أهلها، تهديدها بالإيذاء، معاملته بقسوة لها، خيانته

الزوجية لها مع نساء أخريات، تبديد لأموالها إذا كانت عاملة أو لديها أموال أو بيع مسوغتها الذهبية في أشياء تافهة كتناول المخدرات.[1]

فالعنف الزوجي يعتبر مسألة اجتماعية مقلقة في المجتمعات الشرقية والغربية على السواء، حيث أنها أصبحت تهدد الأمن والسلام الاجتماعيين للأسرة والمجتمع على السواء، وكذلك هو أحد أنماط السلوك العدواني الذي ينتج عن وجود علاقات قوة غير متكافئة في اطار نظام تقسيم العمل بين المرأة والرجل داخل الأسرة، وما يترتب عن ذلك من تحديد لأدوار ومكانة كل فرد من أفراد الأسرة وفقا لما يمليه النظام الاقتصادي والاجتماعي السائد في المجتمع، وان العنف الزوجي يشير الى اعتداء جسدي على الزوجة من جانب طرف أخر وهو الزوج.

1-مفهوم العنف الزوجي:

العنف لغة: عنف به وعليه يعنف عنفاً وعنافة: لم يرفق به فهو عنيف وعنف فلاناً: لامه وشده وعتب عليه وأعنفه: عنف عليه واعتنف الأمر: أخذه بعنف. والعنف بضم النون ضد الرفق والتعنيف بمعنى التعبير باللوم .

والعنف هو الاستخدام غير المشروع للقوة المادية وبأساليب متعددة لإلحاق الأذى بالأشخاص والإضرار بالممتلكات ،ويتضمن معاني العقاب والاغتصاب والتدخل في حريات الآخرين كما عده بعضهم بأنه فعل ينطوي على إنكار للكرامة الإنسانية واحترام الذات، ويتراوح ما بين الاهانة بالكلام وبين القتل والإيذاء بدنياً أو نفسياً .

ويقصد بالعنف أيضاً هو الممارسة المفرطة للقوة بشكل يفوق ما هو معتاد عليه ومقبول اجتماعيا وهو يتضمن لغة التداول في الأوساط والجماعات سواء كانت إجرامية أو مسلحة، وقد يكون العنف على شكل كلام أو أفعال.

ويعرف العنف من الناحية القانونية بأنه الاستعمال غير القانوني لوسائل الإكراه المادية من اجل تحقيق أغراض شخصية أو جماعية .[2]

---

[1]- بن حدوش عيسى،2008، التغيرات الوظيفية في الأسرة، مطبوعات الكتاب والحكمة، باتنة، الجزائر،ص 25.

[2]- بن حدوش عيسى، نفس المرجع السابق، ص 30.

ويقصد به سوء معاملة الزوج لزوجته التي تربطه علاقة وثيقة بها ، وتقع أعمال العنف غالبا من الأزواج ضد زوجاتهم وان كان من غير المستبعد أن تمارس بعض الزوجات أعمال عنف ضد أزواجهن، وقد تحول العنف الأسري الى طريقة حياة وأداة من أدوات الضغط الاجتماعي التي يستعين بها أفراد الأسرة في سلوكهم اليومي وفي حياتهم الاجتماعية المشتركة.

ويقصد بالعنف الزوجي أيضا بالعنف الذي يحدث في مجال الأسرة، وكان يعتبر العنف الزوجي من الأمور الخاصة أو الشخصية، أما الأن فان العنف الزوجي ينظر على أنه سلوك اجرامي وخطر يهدد سلامة المجتمع وأمنه، فالعنف الزوجي ينشأ الأطفال الصغار على قبول مقولة أن العنف يعتبر طريقة مقبولة لحل المشكلات، والأطفال الذين يتعلمون هذا السلوك يزيد احتمال ارتكابهم أعمال العنف عن غيرهم .

والعنف الزوجي هو سلوك عنيف مُتعمَّد موجّه نحو المرأة، ويأخذ عدة أشكال سواء كانت معنويّة أو جسدية، وحسب تعريف الأمم المتحدة في إطار الإعلان المتعلق بالقضاء على العنف ضد المرأة لعام 1993، فإن هذا الأخير هو السلوك المُمارس ضد المرأة والمدفوع بالعصبيّة الجنسية، مما يؤدّي إلى معاناة وأذى يلحق المرأة في الجوانب الجسديّة والنفسيّة والجنسيّة، ويُعدّ التهديد بأي شكل من الأشكال والحرمان والحد من حرية المرأة في حياتها الخاصة أو العامة من ممارسات العنف ضد المرأة.[1]

أذا العنف الزوجي هو أي فعل عدواني على الزوجة من قبل الزوج ، يتسبب في أذى نفسي أو جنسي أو جسدي يتسبب في معاناة المرأة، ويتضمن تهديدا أو الحرمان من الحرية بشكل إجباري أو تعسفي سواء في الحياة العامة أو الخاصة، بأشكال متعددة منها العنف الجسدي مثل الضرب والحرق، العنف الاجتماعي كالحرمان من المشاركة في الحياة العامة، والعنف النفسي وهو الأصعب في التأثير على المرأة مثل التحقير والإهانة والحط من كرامتها، والعنف الجنسي وهو الزام الطرف الأخر بالقيام بممارسات جنسية دون إرادة، والعنف الاقتصادي كالاستيلاء على راتب الزوجة وبيع مسوغاتها والإهمال في الإنفاق عليها. يتجلى العنف الزوجي تجاه المرأة في إجبارها على الخضوع جنسياً واجتماعياً واقتصادياً، وإلحاق الأذى الجسدي أو المعنوي بها.

[1]– أبو غزالة هيفاء،2008، واقع العنف ضد المرأة في الأردن، المجلس الوطني لشؤون الأسرة، عمان، الأردن، ص ص 52–54.

2-مدى انتشار ظاهرة العنف الزوجي (العنف بين الزوجين):

ظهر أوائل الأبحاث حول العنف الزوجي في ستينيات هذا القرن 19، تحت تأثير الحركات النسائية ومنشوراتها (التي ركزت كذلك على العنف الموجه ضد الطفل). لكن الوعي الاجتماعي بخطورة هذه المسألة لم يتشكل إلا في وقت متأخر بالمقارنة مع قضية العنف ضد الأطفال، لأن النساء كن يدرَكن كبالغات ومشاركات في المسؤولية عما يجري لهن ومسؤولات عن تصرفاتهن. وبالإضافة إلى ذلك فقد كان من المقبول عموماً أن للرجل الحق في أن يضبط سلوك زوجته حتى عن طريق القوة الجسدية.

ولقد بينت أبحاث قام بها (ابلتون W. Appleton) في عام 1980 باستخدام استطلاع عام على النساء الأمريكيات المتزوجات، أنه من أصل 620 مفحوصة فإن 219 امرأة أي 35% قد تعرضت للضرب مرة على الأقل من قبل أزواجهن .وفي عام 1984 تم نشر نتائج بحث يدل على مدى انتشار الخبرات العدوانية التي تتعرض لها النساء الأمريكيات، فقد تبين أن 41% من النساء كن في طفولتهن ضحايا للعنف الجسدي من جهة أمهاتهن، و 44% من جهة آبائهن، وكان حوالي 20% منهن شهوداً لعنف الأهل جسدياً حيال إخوتهن، و 44% شهوداً للعنف الجسدي لآبائهن حيال أمهاتهن، 29% شهود عنف أمهاتهن تجاه آبائهن. وعدا عن ذلك فقد أفاد 15% من المفحوصات أنهن استخدمن العنف دفاعاً عن أنفسهن أو للانتقام من أزواجهن، في حين أفاد 5% منهن بأنهن يستخدمن العنف ضد أزواجهن حتى حين يتصرفون تجاههن تصرفاً عادياً ، ويعني هذا أن الخبرات العدوانية للأمريكيات كانت متنوعة، فهن قد اختبرن العنف كضحايا، وكفاعلين وكشهود عليه. وفي أبحاث (Gelles & Straus & Steinmetz) التي تم إجراؤها على نطاق واسع في السبعينات، تبين أن ما يقرب من 56% من العلاقات الزوجية في أمريكا كانت قد انطوت على شكل من أشكال العنف الجسدي، وأن ثلث هذه الحالات هم نساء تعرضن لهذه الخبرة أكثر من خمس مرات في العام الواحد، وأنه في معظم حالات هؤلاء أدى عدوان أحد الأطراف إلى عدوان مضاد من الطرف الآخر. ومن نتائج البحث نفسه نجد أن 4% من النساء الأمريكيات (أي حوالي 1.8 مليون امرأة) يواجهن خطر التعرض لأذى جسدي بليغ على إثر ضرب أزواجهن لهن بأدوات متنوعة، أو دفعهم لهن بقوة، أو الانهيال عليهن باللكمات، أو تهديدهن باستخدام السكين أو المسدس. وقد قام الباحثون أنفسهم بتكرار هذا البحث بعد عشر سنوات، فتبين بالمقارنة أن عنف الأزواج قد انخفض بوضوح، فقد انخفض معدل الضرب بالأدوات والدفع باليد بما يزيد على 9%، في حين انخفضت حالات الركل والضرب بالقبضة والتهديد باستخدام السلاح بما يزيد على 21%. ورغم هذا الانخفاض فإن 1.3 مليون زوجة أمريكية ما زالت تتعرض للضرب

مرة واحدة على الأقل خلال العام الواحد. وفيما يتعلق بالعنف النفسي فقد أفاد 50-60% من المتزوجات الأمريكيات بأنهن يتعرضن له بانتظام، وقد وصف خُمس هؤلاء معدل التعرض له بأنه "غالباً جداً"، وقد وصفت واحدة من كل 15 من هؤلاء النسوة هذا الشكل من أشكال العنف بأنه "القتل النفسي ".

إن ظاهرة الاضطهاد الجسدي والنفسي تجاه الأزواج موجودة كذلك، وإن كانت توجد بنسب أقل بكثير بالمقارنة مع عدد النساء المضطهدات. لقد أقر 30% من أصل 600 مفحوص من الرجال بأنهم كانوا أو ما يزالون يتعرضون للضرب من قبل زوجاتهم. وتشير النتائج الآتية من بلدان مختلفة في العالم إلى أن هذه النسبة بالمقارنة مع عدد الزوجات المضطهَدات هي نسبة تقارب 13/1.[1]

ومع تسارع التطورات العصرية في كافة المجالات، تفاقمت المشكلات الأسرية، بالرغم من وجود القوانين والتشريعات التي تخص شؤون الأسرة والمجتمع، وتهتم الكثير من المنظمات العالمية بتفعيل هذه القوانين لتحسين الوضع الأسري وضمان تطوير الحياة المجتمعية، إلا أن واقعنا الأسري في معظم المجتمعات العربية أصبح أكثر غموضا من خلال حجم المشكلات الاجتماعية المتزايدة والمتمثلة في العنف الزوجي بكل ما يتركه من أثار سلبية أصبحت واضحة رغم السعي لحجبها بمختلف الوسائل، فقد نشرت منظمة هيومن رايتش واتش (Human Rights Watch) ضمن تقرير "مصيرك البقاء معه"، تعامل الدولة مع العنف الأسري في الجزائر لعام 2017 "أن ضحايا العنف الزوجي في الجزائر غالبا ما يجدن أنفسهن عرضة لسوء المعاملة، رغم صدور قانون جديد يجرم الإساءة الزوجية وذلك بسبب تقاعس الشرطة وعدم كفاية أماكن الإيواء وعدم إجراء تحقيقات وملاحقات فعالة"[2]، لذا من منطلق ما ورد في تقرير العنف الأسري الممارس اتجاه المرأة الجزائرية والذي أكيد يؤثر على الصحة النفسية لأفراد الأسرة بصفة عامة وعلى الطفل الذي يتربى في جو أسري تتعرض والدته أمامه للعنف؛ مما يوثر على الاستقرار الزوجي وعلى الجانب الاجتماعي لبناء فرد سوي، بل أن تلك الممارسات ستؤثر بالسلب على بناء فرد متوازن.

يتجلى العنف الزوجي تجاه المرأة في إجبارها على الخضوع جنسياً واجتماعياً واقتصادياً، وإلحاق الأذى الجسدي أو المعنوي بها

[1]- عبد الله عبد الغني غانم ، 2004، جرائم العنف وسبل المواجهة ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، ط 1 ، ص ص 19 - 22.

[2]-بوعلاق كمال، 2017،العنف الأسري وأثره على الأسرة والمجتمع الجزائر، دراسة ميدانية بمصلحة الطب الشرعي بمعسكر،رسالة دكتوراه في علم الإجتماع العائلي ، جامعة وهران ، 2017، ص 11.

3-النظريات المفسرة للعنف الزوجي :

لقد تعددت واختلفت النظريات التي فسرت العنف الزوجي ضد المرأة وهذا راجع الى اختلاف نظرة الباحثين حول هذه الظاهرة، ومن هذه النظريات ما يلي :

3-1-نظرية التعلم الاجتماعي :

تؤكد على أن العنف سلوك متعلم من خلال الخبرة المباشرة، أو من ملاحظة سلوك الأخرين، فالإنسان يتعلم الكثير من أنماط سلوكه من خلال ملاحظة وتقليد سلوك الأخرين، بالتالي فسلوك العنف مكتسب ومتعلم ظف الى ذلك أن سلوك العنف يتم تعلمه من خلال الملاحظة، كما يتعلمه من خلال عملية الثواب والعقاب، وأن العنف سلوك متعلم من ثلاثة مصادر أساسية: الأسرة، الثقافة، والثقافة الفرعية والإعلام ، ووسائل الاعلام وسيلة فعالة في تعلم العنف من خلال ملاحظة مشاهد العنف المتكررة. ويشير (bandira) أن سلوك الدور الجنسي يتم اكتسابه من خلال ملاحظة الأخرين ومطابقة سلوكنا على سلوكهم، وقد حدد (bandira) ثلاثة مصادر للسلوك لعنيف في المجتمع الحديث وتتمثل هذه المصادر في تأثير الأسرة والثقافة الفرعية والاقتداء بالنموذج الرمزي ووفقا لنظرية التعلم الاجتماعي، فان ملاحظة الطفل للنموذج المقتدى به (الأب والأم)، ورؤية الطفل لهذا النموذج العدواني خاصة الأب، فإن الطفل يتعلم أن العنف ضد الأخرين ومنهم الزوجة فيما بعد هو وسيلة فعالة للحصول على مكاسب وفرض السيطرة والشعور بالقوة، ويشعر الطفل أن العنف يكون أحيانا أسلوب ضروري وفعال، ويرى(Simon linqgurzin) أن العنف ضد المرأة يعود الى المراحل المبكرة من الطفولة، حيث يشاهد الطفل خلال سنواته المبكرة من الطفولة أن العلاقة الزوجية بين والديه تتسم بالقوة والاساءة والعقاب البدني والاهانة، يبدأ الطفل في تقبل فكرة العدوان والعنف وهو نمط مقبول للتعامل مع الأخرين، ومع الزوجة، فوجود الطفل في مناخ تتسم العلاقة فيه بالعنف تجعله أكثر احتمالية لأن يكون عنيفا في علاقاته فيما بعد.

وأن الفرد يكتسب العنف بالتعلم والملاحظة والتقليد من البيئة المحيطة سواء في الأسرة أو المدرسة، أو من خلال وسائل الاعلام، وأن الفرد في تعلمه للسلوكيات العنيفة عن طريق تقليد الاخرين وما يترتب عليها من مكافئة وعقاب، وأن الأسرة قد تظهر السلوكات العنيفة على أنها سلوكات تستحق المكافأة لا العقاب.

3-2-نظرية الأصول البيولوجية :

تركز هذه النظرية في تفسيريها للعنف على الجوانب الوراثية للسلوك، كما تركز على التغيرات التي تحدث في وظائف المخ، واصابات الدماغ وعلى الاضطرابات والخلل الذي يحدث في افراز الهرمونات لدى الفرد وهذا ما يدل على أن العنف خطرا حسب أنصار هذه النظرية، فحسب(Rosenbaum)، فقد توصل من خلال دراسته الى وجود علاقة بين العنف الزوجي واصابة الدماغ، كما كشفت دراسته أن العديد من الرجال الذين لديهم تاريخ من الصدمات والاصابات بالمخ يكونون عنيفين، فالاختلال الوظيفي للمخ والاعاقات الفيزيولوجية تؤدي الى خفض التكتم في الانفعالات، كما تؤدي الى صعوبات في التواصل وتخلق نشاط زائد لدى الفرد، وأن الهرمونات هي السبب المباشر لوقوع العنف بدرجة أكبر لدى الذكور منه لدى الاناث، ورغم ما جاءت به هذه النظرية فإن البعض يرى أن التفسير البيولوجي ليس له قدرة تنبؤيه ولا تفسيرية لظاهرة العنف، اذ لا يوجد أي عنصر بيولوجي أو فيزيولوجي مسؤول بشكل خاص عن السلوك العنيف، فاذا كان السلوك العنيف ينبع من غريزة الإنسان وله صفة وراثية، فكيف نفسر وجود أفراد عنيفين وأفراد متسامحين في أسرة واحدة، لذلك فان التفسير البيولوجي الذي هو غير قادر على تفسير ظاهرة العنف .

3-3-نظرية المعرفة الاجتماعية والثقافية :

يقول(valkommen) أن الأسلوب المعرفي الذي يقدر به الرجل مواقف الصراع مع زوجته يكون حاسما في امكانية ظهور السلوك العنيف بمعنى أن التقدير المعرفي السلبي من الرجل المسيء لسلوك زوجته، وأن العنف من وجهة نظر المرأة يمكن تعريفه على أنه مقدار ما تدركه المرأة من اساءة موجهة لها سواء أكانت اساءة جسمية أو نفسية أو جنسية، فالمنظور المعرفي يشير الى أن تأثر المرأة بالإساءة سواء اساءة جسمية أو نفسية يتوقف على كيفية ادراكها وتقديريها وتفسيريها وتخيلها وتذكرها لهذه الاساءة، فالمرأة قد لا تتأثر بالإساءة في حد ذاتها ولكن بكيفية رؤيتها وتقديريها وتفسيريها لها.

وتضع النظرية الاجتماعية اعتبارات خاصة للفروق في السلوكيات العدوانية والعنيفة التي قد تشيع في مجتمع ما دون الأخر ويرى (Chic maloth)، أن ادراكات المرأة للعنف ضدها قد تتأثر بالأساطير والمعتقدات الخاطئة، وتأثير وسائل الاعلام والمخاوف الخاصة، وبثقافة المجتمع، ويرى (Lilja) أن ادراك المرأة للعنف ضدها، قد يرجع الى نقص التدعيم الاجتماعي لديها، كما يتأثر ادراك المرأة للعنف ضدها بطبيعة النمط الثقافي السائد في المجتمع الذي تعيش فيه، وكذلك ترجع هذه النظرية العنف ضد المرأة لعوامل أخر تمثل الطبقة الاجتماعية، فالنساء اللاتي تعرضن للعنف يكن من طبقة اجتماعية أقل مما من لا يتعرضن له

ولعامل السن أيضا تأثيره، فالفتاة الصغيرة اكثر استهدافا للعنف والاثارة عن الكبيرة في السن بالإضافة الى عامل المكانة التعليمية والمكانة الوظيفية فحصول المرأة على وظيفة أعلى من الرجل أو مستوى تعلم أكبر من الرجل قد يدفعه للإساءة لها[1].

3-4-النظرية النفسية الاجتماعية:

تشمل على نظرية العدوان والاحباط حيث تركز على التداخل بين الفرد والبيئة الاجتماعية التي يعيش فيها ومنها :

3-4-1-نظرية العدوان والاحباط:

الاحباط سلوك عنيف لدى الفرد ينتج عندما يوجد عائق للوصول للهدف المرغوب، فالفرد يميل للعدوان نحو الاشياء التي تعوقه عن تحقيق الاهداف الهامة لديه أو التعبير عن رغباته وانفعالاته، وأن الانسان ليس عنيفا بطبعه وانما العنف نتيجة للإحباط الذي تعرض اليه وأن الاحباط هو الدافع الأولي وراء العدوان وخصوصا العدوان الأسري، فالزوج الذي يتعرض للصراعات في مجال عمله ويشعر بالضعف في التحكم في عمله، فإنه عندما يعود الى منزله يمارس القوة على زوجته أو أبنائه، اذ أنه يحاول تحويل الاحباط الى قوة داخل أسرته، وأن الاحباط دائما يؤدي الى العدوان مباشرة، وأنه يولد دافعا للسلوك العدواني، ويؤدي الى العديد من أنماط السلوك، وأن العدوان واحد منها فقط لذا فالإحباط هو الدافع الأول وراء العدوان، وأن المرأة التي تتعرض للعدوان والايذاء تحاول أن تتجنب بنفسها عن مصدر التوتر وذلك للحفاظ على مشاعرها ولا تظهرها، وبالتالي لا تفهم مشكلة العنف الزوجي بعيدا عن الظروف الحياتية المحيطة بها.

3-4-2-نظرية التحليل النفسي :

لقد ركز علماء النفس على أهمية العلاقات التي تربط أفراد الأسرة وأثرها في سلوك وشخصية الطفل حيث ان السلوك العدواني هو نتيجة التصدع الأسري والتربية القاصرة والجو الأسري التعيس والشقاق العائلي وخبرات الطفولة المبكرة المتمثلة في الصد الأمومي أي رفض الأم ابنها وعدم تقبله، والانفصال عن الأم خلال السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل والحرمان العاطفي المبكر، والعنف الممارس ضده بالنسبة الى التحليل النفسي فان علم النفس وحده لا يستطيع أن يعمم ظاهرة العنف فالعوامل السيكولوجية تظهر في

[1]- شيماء مصطفى المليجي، 1425، العنف داخل الأسرة، ظاهرة تهدد استقرار المجتمع وأمنه، مجلة الأمن والحياة، العدد281، ذو الحجة 1425، ص58-61.

ظروف اجتماعية واقتصادية وثقافية، فلا يمكن للتفسير السيكولوجي مثلا أن يذهب الى أن المجتمع كله قد أصيب بحالة إحباط أو نوع من النرجسية تدفعه الى القيام بأفعال العنف.[1]

3-5-بعض نظريات علم النفس الاجتماعي:

هناك أربعة نظريات حاولت تحليل العنف المنزلي وتحديدا اساءة معاملة النساء من حيث هو ظاهرة اجتماعية.

3-5-1-النظرية النسوية :

تفسر سوء معاملة الأزواج لزوجاتهم، حيث حظيت باهتمام الباحثين، وكانت الأكثر استخداما وانتشارا في بحوثهم، وهي ترمي الى تحليل سوء معاملة الزوجة عن طريق التعمق في البنية الاجتماعية والقيود الثقافية التي تمتد جذورها بعمق منذ تربية الأنثى وهي طفلة، ولذلك تركز هذه النظرية على عدد من المسائل مثل ضرورة التأكيد على الخبرات التي يكتسبها أفراد المجتمع وفق هويتهم الجنسية ذكورا واناثا، والاقرار بأن المرأة يتعين عليها الخضوع في المجتمع والتأكيد على الالتزام بتخليص المرأة من هذا الخضوع، كما تركز على الطرق التي تستخدم لصياغة أساليب التمييز بين الرجال والنساء وعلى الاساليب التي تضمن استمرار علاقات القوة لمصلحة الرجال ومن هنا تبين أن القوة التي يتمتع بها الرجل تسمح له بفرض سيطرته على العلاقة بينه وبين زوجته، وبإخضاع الزوجة للأساليب مختلفة بدنية ومادية ونفسية ومعنوية، وتركز النظرية على السياق التاريخي الذي حصل في تغاضي المجتمع عن سوء معاملة الزوجات وتنظر الى هذه الممارسة على أنها أمر طبيعي أو بديهي، وبالتالي تنشأ المرأة قاصرة عن رد العنف ومستسلمة له ومتخلية عن مقومات الدفاع عن النفس والتصدي لسوء معاملتها بكلام أخر، ان طريقة التنشئة الاجتماعية التي تمنح للرجل القوة والحق في اساءة معاملة زوجته هي من أهم الأسباب الجوهرية للعنف الزوجي.

3-5-2-نظرية ثقافة العنف :

يؤكد أصحاب هذه النظرية أن سوء معاملة الأزواج لزوجاتهم يمكن في شيوع ثقافة العنف وقبولها في المجتمع، وهذا القبول يخفي الشرعية على استخدام العنف في الحياة الأسرية و يدعم اللجوء اليه، لهذا بعض الازواج لا يتورعون عن صفع زوجاتهم أو غير ذلك من أفعال قاسية، ويذهب (george wissel)

[1]- حسن إبراهيم أحمد، 2010، المرأة في دوائر العنف، دار بترا للنشر والتوزيع، سوريا ،ص 103-115.

إلى أن وسائل الاعلام والقانون تشجع أو على الاقل تسمح بالعنف ضد الزوجين وهكذا في ضوء التوقعات القضائية، فالمجتمع يتوقع أن يظهر الأطفال الذكور مزيدا من العداوة أكثر مما يتوقع من الاناث.

3-6-نظرية تناقل الخبرات بين الأجيال :

فالأولاد الذين كان أباءهم يسيؤون معاملة أمهاتهم وكانوا يتعرضون هم أنفسهم للمعاملة السيئة من أباءهم غالبا ما يلجؤون الى العنف مع زوجاتهم وأولادهم، وقد أكد دعاة هذه النظرية أن هنا كعلاقة وثيقة بين درجة حب الأهل لأولادهم، واستخدام العنف فالقسوة أو العنف مع الطفل محبة له وخوف عليه، وبكلام أخر ان الأب الأكثر عنفا لأطفاله هو الأكثر حبا وهكذا فان الطفل يتماثل مع أبيه، ويتقبل هذه القيمة الثقافية لينقلها ويمارسها عندما يصبح أبا مع أطفاله.

3-7-نظرية ارتباط الدور بالجنس والدور المتوقع في الحياة الأسرية :

ان التنشئة الاجتماعية التقليدية للأطفال واعدادهم بأدوار اجتماعية معينة وفق هويتهم الجنسية ذكورا كانوا أو اناثا من الأمور التي تعزز سوء معاملة المرأة، ويرى بعض العلماء أن تنشئة الذكور من الناحية الجنسية مع زوجاتهم في المستقبل، فالفتاة تم تنشئتها على الخجل والكتمان لكل ما يتعلق بحياتها الجنسية، في حين أن المجتمع يكون أكثر تسامحا مع الفتى، ولهذا تكون الزوجة أكثر خضوعا للزوج، وربما تعرضت لسوء معاملة في ما يتعلق بتفاعلها في شأن اشباع الرغبة الجنسية، وأن الأدوار التي يقوم بها الرجال والنساء تضع الرجال في وضع أفضل من النساء وتسمح لهم بإساءة معاملتهن.[1]

4-الإعلان العالمي للقضاء على العنف ضد المرأة لعام 1993:

تبنت هيئة الأمم المتحدة في 20 ديسمبر 1993 الإعلان العالمي بشأن القضاء على العنف ضد المرأة، وذلك لسد الثغرة الكبيرة في اتفاقية "سيداو" التي لم تعالج قضيه العنف ضد المرأة، على الرغم من أنها من بين القضايا التي أقرتها مؤتمرات المرأة وحقوق الإنسان باعتباره تشكل إنتهاكا لحقوق الإنسان، لذلك سارعت لجنة القضاء على التمييز المنبثقة عن الإتفاقية لاتخاذ خطوات هامه فيما يتعلق بالتمييز على أساس الجنس وجعلته يشمل العنف القائم على أساس الجنس، وأكدت اللجنة أن العنف الممارس ضد المرأة يشكل إنتهاكا لحقوقها الإنسانية والمعترف بها دوليا.

[1]- حسن إبراهيم أحمد، 2009، العنف من الطبيعة إلى الثقافة، دراسة أفقية، النايا للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، ط1، ص ص 131-134.

إن هذا الإعلان يعكس اتجاها ايجابيا نسبيا وإلزاما سياسيا لتمكين المرأة من حقوقها وتحقيق المساواة، ولذا نص في ديباجته على أن الجمعية العامة إذ تدرك أن تنفيذ إتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة بشكل فعال من شأنه أن يسهم في القضاء على العنف ضد المرأة ويضيف في فقره أخرى :"إذ يقلقها أن العنف ضد المرأة يمثل عقبه أمام تحقيق المساواة والتنمية والسلم على النحو المسلم به في إستراتيجية نيروبي التطلعية للنهوض بالمرأة التي أوصي فيها بمجموعة من التدابير لمكافحة العنف ضد المرأة، وإذ تؤكد أن العنف ضد المرأة يشكل إنتهاكا لحقوق الإنسان والحريات الأساسية أو يعوق أو يلغي تمتعها بها، وإذ يقلقها الإخفاق منذ أمد بعيد في حماية وتعزيز تلك الحقوق والحريات في حالات العنف ضد المرأة".

كذلك تظهر ديباجة إعلان القضاء على العنف ضد المرأة أن العنف يحول ويقف في وجه النهوض بالمرأة ويوثر بذلك بالسلب على حياتها، ولذا جاء فيه: " وإذ تدرك أن العنف ضد المرأة هو مظهر لعلاقات قوى غير متكافئة بين الرجل والمرأة عبر التاريخ أدت إلى هيمنة الرجل على المرأة وممارسة التمييز ضدها والحيلولة دون نهوضها الكامل".

وجاء في الفقرة 23 من قرار المجلس الاقتصادي والاجتماعي 90/ 15المورخ في 24 ماي 1990 بأن العنف ضد المرأة سواء في الأسرة أو في المجتمع ظاهرة منتشرة تتخطى حدود الدخل والطبقة والثقافة، ويجب أن يقابل بخطوات عاجله وفعاله لمنع حدوثه.

ونشير أيضا إلى قرار المجلس الاقتصادي والاجتماعي رقم 91 /81 المؤرخ في 20 ماي 1991 الذي يوصي فيه المجلس بوضع إطار لصك دولي يتناول قضيه العنف ضد المرأة، وترحب الجمعية العامة للأمم المتحدة بالدور الذي تقوم به الحركات النسائية في وجوب إيلاء المزيد من الاهتمام إلى طبيعة وصعوبة وضخامة مشكله العنف ضد المرأة .[1]

ولارتباط ظاهرة العنف بالشأن العام والخاص في نفس الوقت، عرف الإعلان العنف على انه:" أي فعل عنيف تدفع إليه عصبيه الجنس ويترتب عليه أو يرجح أن يترتب عليه أذى أو معاناة للمرأة سواء من الناحية الجسمية أو الجنسية أو النفسية بما في ذلك التهديد بأفعال من هذا القبيل أو القسر أو الحرمان التعسفي من الحرية سواء حدث ذلك في الحياة العامة والخاصة".

[1]– بوسقيعة أحسن،2008، قانون العقوبات في ضوء الممارسة القضائية، منشورات بيرتي الجزائر، ط، 2007 / 2008، ص 32-33.

باستقراء ما جاء في التعريف يتضح لدينا، أن أي حرمان للمرأة يعتبر من قبيل العنف، أي بمعنى أخر لا يقف العنف عند حد الاعتداء المادي، وإنما يمتد إلى أي نوع من أنواع الحرمان سواء كان حرمان جنسي أو ضرر نفسي.

هذا التعريف يعكس اتساع نطاق القضايا التي تنطوي على العنف ضد المرأة، وأيضا حسب نوع الجنس وهذا أمر هام ذلك أن واضعي السياسات والخطط التنموية قد أدركوا المسائل المعنية في مجال العنف ضد المرأة، وإلا فإن القوانين والسياسات التي يتم وضعها من المحتمل أن تكون غير فعالة لأن العنف القائم على نوع الجنس هو جزء من مصفوفه معقده من الممارسات الاجتماعية التي تقلل من قيمه المرأة وعدم المساواة والهيمنة والتمييز ضد المرأة من قبل الرجل.

ولقد حدد الإعلان في المادة الثانية منه حالات العنف ضد المرأة، والتي جاءت على سبيل المثال لا الحصر، فيما يلي:

1-العنف البدني والجنسي والنفسي الذي يحدث في إطار الأسرة بما في ذلك الضرب والتعدي الجنسي على الأطفال الأسرة الإناث والعنف المتصل بالمهر. واغتصاب الزوجة وختان الإناث وغيره من الممارسات التقليدية المؤذية للمرأة والعنف غير الزوجي والعنف المرتبط بالاستغلال.

2- العنف البدني والجنسي والنفسي والذي يحدث في إطار المجتمع العام بما في ذلك الاغتصاب والمضايقة الجنسية والتخويف في مكان العمل وفي المؤسسة التعليمية وأي مكان أخر، والإتجار بالنساء وإجبارهن على البغاء.

3- العنف البدني والجنسي والنفسي والعنف الذي ترتكبه الدولة أو تتغاضى عنه أينما وقع.[1]

5-العنف الزوجي في الجزائر :

تحول العنف في الجزائر الى ظاهرة شديدة الخطورة، تربك المجتمع بكامله وخاصة في ظل فشل الحل الأمني، ولذا فمن الضروري التفكير وبجدية من قبل المسؤولين والباحثين في ميدان العلوم الاجتماعية، ويشكل مدى انتشار ظاهرة العنف الأسري الممارس ضد المرأة محل اهتمام معظم المختصين على اعتبار

[1]-بن حدوش عيسى ، نفس المرجع السابق ، ص 35.

أنه من الصعوبة امكانية تحديد احصائيات دقيقة حول حالات العنف ضد المرأة لأن هذه القضية حساسة والتي بدأ الحديث عنها في الجزائر منذ اكثر من عقد فقط ترتبط بالكثير من الطابوهات.

ولا تبلغ السلطات الا بقسط صغير من جميع حالات العنف المرتكبة ضد المرأة في الأسرة، فقد كشفت معدلات الانتشار في المسح الوطني لعام 2006 أن حوالي نصف مليون امرأة في الجزائر تتعرض للاعتداء البدني بانتظام بل حتى يوميا، ويتنافى هذا الرقم بشكل صارخ مع العدد المتدني نسبيا للحالات المسجلة لدى السلطات القضائية، فحسب المعلومات التي وردت من الحكومة وصلت 18373 حالة اعتداء بدني على النساء الى علم السلطات في2006.

وتعتبر هذه الظاهرة في جميع أشكالها بمثابة عملية تتسم في أثناءها التصرفات بطابع عدواني وعنيف، بل ومدمر من جانب الرجل في معظم الحالات ضد المرأة، ان الضحايا ينتمين الى جميع شرائح المجتمع، فمن بينهن النساء العاملات والنساء في البيوت سواء في الأوساط الحضرية أو الريفية، في الأماكن العمومية أو في الأماكن الخاصة، وفيما يتعلق بالعنف المنزلي فهي أفعال ينص عليها القانون الجزائري ويقمعها بدون أي شرط مسبق، وتعتبر أعمال العنف المنزلي حين ترتكب داخل المنزل بالمعنى الواسع التي تربط بين أفرادها أواصر القرابة أو المصاهرة، ويمكن أن تكون مساسا بالسلامة الجسدية أو ايذاءا جنسيا أو نفسيا.

وأنّ النساء المعتدي عليهن هن في الغالب نساء يتراوح سنهن من18 سنة إلى34 سنة، وأن العازبات يتعرضن لهذا العنف الجسدي بدرجة أقل عن النساء المتزوجات، وأن السبب الأكثر شيوعا للعنف يرجع لمناوشات مع والدة الزوج أو أخته ومن بين النساء اللواتي تعرضن للعنف هناك تقريبا نفس عدد النساء في الريف وفي المحيط الحضري، وأكثر من النصف بقليل 57% منهن لهن مستوى التعليم المتوسط والثانوي.

وأن النساء الجزائريات يتعرضن إلى العنف الجسدي الممارس في أغلب الأحيان من قبل الأزواج، وتعتبر النساء المطلقات والأرامل من بين النساء الأكثر عرضة للعنف في الأسرة.

وتطبق الشرطة معايير مختلفة على قضايا العنف المنزلي، رغم أن القانون الجزائري ينص على ملاحقة جميع أشكال الجريمة العنيفة بصرف النظر عما اذا كانت الضحية قد قدمت شكوى من جانبها جنائية أم لا، وقد حاولت السلطات الجزائرية تحسين ذلك بتوظيف لأعوان وضابطات شرطة في جميع مراكز الشرطة لتسجيل الجرائم التي ترتكب ضد المرأة، وعندما تسعى المرأة للحصول على مساعدة الدولة في حالات

العنف المنزلي، فإن من المرجح أن تتوجه الى السلطات الطبية بدلا من السلطات القضائية، وهذا من أجل الحصول على شهادة طبية تثبت الاعتداء مما يتيح للمرأة حظوظا أوفر للحصول على الطلاق والنفقة .

والعنف ضد النساء يشكل انتهاكا لحقوق الأنسان وشكلا من أشكال التمييز ضدهن، وقد كشفت التحقيقات أن المنزل هو أول مكان تمارس فيه كل أشكال العنف، حيث أن أغلبية الاعتداءات المصرح بها تمت في الوسط العائلي، والجزائر بانضمامها في 1996/01/22 للمعاهدة الدولية للقضاء على كافة أشكال التمييز ضد المرأة، بادرت الى تكييف تشريعاتها واقامة المؤسسات المختصة في هذا المجال التكفل بالعنف، وذلك بمشاركة القطاعات الوزارية المعنية والحركة الجمعوية المختصة، وقد شرعت الوزارة المنتدبة لدى رئيس الحكومة المكلفة بالأسرة وقضايا المرأة في نوفمبر 2005، حملة تحسيسية حول العنف ضد النساء للمساهمة في تحسين التكفل بالنساء ضحايا العنف، وكذلك تغيير الصورة الذهنية أو النمطية للعنف، خاصة العنف ضد النساء بالتركيز على التوعية والوقاية من العنف ضد المرأة.[1]

6-أسباب العنف الزوجي :

تعددت اسباب العنف الزوجي بناءا لعديد من النظريات العلمية التي حاولت أن تجد تفسيرا لظاهرة العنف وسط الأسرة، وقد يرى البعض على وجه العموم أن معظم النظم الاجتماعية المختلفة تعطي الزوج الحق في التصرف في مختلف شؤون الأسرة، وأن ذلك الحق يخول له استعمال كل الأساليب بما فيها العنف داخل الأسرة، ولقد ظلت الثقافات في كثير من الدول العربية تشير الى ذلك الحق، ولا يتم استعماله إلا بالنسبة للأزواج الذين لديهم ميول للاعتداء واستعمال العنف.

وتتداخل الأسباب المؤدية الى العنف الأسري بالدوافع المحركة نحوه، وبالعوامل المساعدة على تأجيجه، وبالتالي تفاقمه الى درجة حادة ومؤذية، وترتبط الأسباب في طبيعتها بمجموعة من العناصر وهي جزء منها ايضا وأهمها :

أ.المكونات الشخصية: حيث يرجع الكثيرين هذا العنف الى غريزة فطرية في الطبيعة البشرية، والتي تجعل من البشر أكثر ميلا الى العنف، وتفاعلها مع مجموعة المكونات الأخلاقية والروحية والثقافية التي توجه الفرد.

[1]-وعلي راضية ، نفس المرجع السابق ، ص ص 12-19.

ب-طبيعة المنظومة الأسرية ومكوناتها: البيئة الأسرية تعتبر بيئة خصبة لنمو العنف الزوجي والسلوك العدواني لأفرادها، اذا كانت الأسرة تعاني من القهر المادي والمعنوي وعدم التناغم بين أفرادها، وغياب لغة التواصل والحوار والتفاهم بيت أفراد الأسرة والتنشئة الغير سليمة للأبناء.

ج-المشكلات الاقتصادية: ترتبط المشكلات الأسرية المؤدية الى المشاجرات والنزاعات بأسباب اقتصادية، بعضها مرتبط بالوضع العام للمجتمع، وبعضها مرتبط بالأسرة وأفرادها، وتأخذ المشكلات الاقتصادية صورا مختلفة تؤدي الى العنف الزوجي ومنها البطالة وزيادة الأعباء الأسرية وتراكم الديون، والظروف المعيشية الصعبة، والخلافات الأسرية بين أفراد الأسرة حول كيفية ادارة موارد الأسرة المالية.

ومن أسباب ممارسة العنف من طرف الزوج ضد الزوجة وهي أن الزوج يتناول المخدرات والمشروبات الكحولية، وأيضا المشاجرة الكلامية بين غالبية الأزواج، وأيضا عند مطالبة الزوجات شراء حاجيات البيت والأطفال، وهناك بعض الحالات يأخذ الزوج مالهن ومصوغاتهن، وهناك من يرى ان السبب الرئيسي هو وجود أم الزوج أي " العجوز "فهي التي تحرض ابنها على الكنة وهناك بعض الحالات من تطالب زوجها بالعمل، وهذا ما يدفعه لدخول معها في عراك وشجار، وبعضهن تعرضن للعنف وهن صامتات لأن ليس لهن أحد الأبوين.

كما ان الزوج الذي يفتقد للموارد المادية التي تحقق التوقعات المعيارية، ومسؤولياته اتجاه أفراد أسرته عادة ما يلجأ الى هذا السلوك، فاذا كان الزوج غير قادر على مواجهة توقعات الدور بسبب انخفاض مستوى تعليميه ومكانته المهنية ودخله، أو لأنه ذو مكانة اجتماعية منخفضة عن زوجته، فإن الضغوط والإحباطات قد تدفعه الى استخدام العنف مع أفراد أسرته خصوصا مع وجود معايير تسمح بأن تكون الزوجة هدفا مشروعا يصب عليه جام غضبه وينفس فيه احباطاته.

وكذلك من الدوافع التي تدفع الى العنف ضد المرأة، الأسباب الاقتصادية الدافعة لرب الأسرة لممارسة العنف مع زوجته، أو أبناءه كسبب لتفريغ شحنات فاشلة في توفير أدنى ضروريات الحياة الأساسية التي تحتاجها الأسرة، وفي بعض الأحيان عندما يعجز رب الأسرة عن تلبية مطالب اقتصادية ومادية يلجأ الى طرق أخرى توفر له النواحي المادية وتشكل في ذات الوقت صورة من صور العنف كالاستيلاء على ممتلكات الزوجة بالقوة.

وقد يمارس العنف ضد المرأة خلال كافة المراحل الخاصة ببناء الأسرة، وكذلك هناك عنف مالي أو اقتصادي يقوم به الزوج للإيذاء زوجته ماليا، وقد يجبر زوجته على بيع أشيائها الثمينة كالحلي الذهبية، أو أن تعطيه أموالا نقدية خاصة اذا كانت عاملة وهو عاطل، أو أن يجبرها على طلب المساعدة المالية من عائلتها.

وكذلك من أسباب العنف ودوافعه حسب رأي المختصين في القانون ، هو أن العنف الزوجي في نظرهم يرجع الى الجهل التام للحقوق الزوجية، وكذلك عدم وجود قوانين ردعية، وفي بعض الحالات راجع الى انسداد الحوار بين الزوجين وتشبث كل واحد برأيه، وانعدام الاحترام بينهما، وأيضا الظروف المعيشية السيئة للزوج لا سيما الجانب المادي وكثرة المشاكل العائلية التي تولد الغضب ولنرفزة وسوء التصرف، وعدم احترام حرمة الأسرة والروابط العائلية والتسامح بين الزوجين، وهناك أيضا في بعض الأحيان والحالات يريد طرف التسلط على الطرف الآخر، وهذا راجع الى تدخل طرف خارجي يحرض الزوج على الاعتداء على زوجته، وبعض الحالات راجعة الى شخصية الزوج العنيفة ، هناك أيضا حالات أخرى يرجع فيها العنف الزوجي الى لامبالاة الزوجة اتجاه زوجها وحرمانه من حقوقه المشروعة، وعدم قيام الزوجة بواجباتها المنزلية وانشغالها بالأمور التافهة، كالهاتف النقال والتلفاز وعدم الاهتمام بعائلة الزوج والترحيب بهم، بالإضافة الى كل هذا، فالعنف ينتج عندما ينعدم الحوار والمناقشة الحضرية على أمور البيت، وعندما لا يصغي أي طرف للآخر، وبالتالي يحدث شجار دائم ينتج عنه عنف.

إنّ عدم المساواة من أبرز السمات المتكررة في تراث العنف في المجتمعات، وتتشكل عدم المساواة في صور متعددة منها، عدم المساواة الاقتصادية والتعليمية والجنسية والدينية، وعدم المساواة في الحصول على الخدمات الصحية والاجتماعية، وكل هذه الأشكال ترتبط ببعضها البعض، وتشترك الثقافة الذكورية في اعطاء الأولوية وتكاد تكون مطلقة الرجل (الذكر) مع تهميش دور المرأة وعدم الاعتداد به، أو على الأقل التهوين من شأنه وفاعليته في المجتمع، لذلك يتم تنشئة أعضاء المجتمع منذ الميلاد وسنوات الطفولة المبكرة على تقبل هذه التفرقة والعمل بمقتضاها، فمشكلة المرأة هي جزء من المشكلة الاجتماعية.[1]

إنّ العنف ضد الزوجة مظهر من مظاهر علاقات غير المتكافئة على مدى التاريخ بين الرجل والمرأة، وتميزه ضدها والحيلولة دون نهوض المرأة بالكامل، والعنف ضد المرأة طوال أطوار حياتها نابع أساسا من الأنماط الثقافية وبخاصة الأثار الضارة المترتبة على عادات وتقاليد معينة وجميع أعمال التطرف، وان

[1] -,Medhar Slimane,1997,la violence sociale en Algérie,édition thala,alger ,p p 66-133.

اضطراب الشخصية للزوج وفشله في التعامل مع الأخرين، وأسباب اجتماعية أخرى كالبطالة وعدم التجانس في المستوى الاجتماعي والاقتصادي بين الأزواج، فقد وجد أن الأسباب الاقتصادية أو الفقر هي من أهم أسباب العنف في المجتمع ثم تليه الأسباب الاجتماعية المتمثلة في الخلافات الزوجية ومستويات التفاعل بين الزوجين والكبر والترفع عن الاعتذار عن الخطأ، إضافة الى انخفاض المستويات التعليمية لدى الزوجين، الا أن الأسباب الأساسية تكمن في تربية الزوج (العنف المتوارث)، وربما كان هو ضحيته وقد تعود بالتالي عليه .

7-الأثار المترتبة على العنف الزوجي:

وللعنف الزوجي حسب ما تبينه الدراسات الوطنية والعالمية آثار صحية جسدية ونفسية، وكذلك اقتصادية وخيمة على النساء ضحايا العنف وعلى أطفالهن حيث تشكو معظم النساء المعنفات من اضطرابات نفسية وأرق وحالات فقدان مؤقت للذاكرة وفقدان الشهية، كما أن النساء ضحايا العنف الجسدي أكثر عرضة للاكتئاب النفسي والإجهاض والبرودة الجنسية، وفي حالات العنف القصوى يمكن أن يصل الضرر الى الاعاقة أو الموت، أما الأثار السلبية على أطفال المرأة المعنفة فتتمثل في اضطرابات نفسية متفاوتة الخطورة وفي الاخفاق المدرسي أو الانقطاع عن الدراسة وفي العدوانية والانحراف، وتفيد دراسات المنظمة العالمية للصحة واليونيسيف أن 50 % من الأطفال الذين شاهدوا الاعتداء بالعنف على الأم من طرف الأب يصبحون بدورهم أما معتدين عنيفين أو ضحايا للعنف.

وعلى الرغم من بعض أشكال العنف الزوجي الموجه ضد المرأة قد يترتب عليه أثار مادية جسدية على المرأة، الا أن الأثار النفسية والاجتماعية لجميع أشكال العنف سواء كانت مادية أو معنوية أعمق وأشد من الأثار المادية، فإحداث تشويه في جسد المرأة نتيجة عنف مادي يؤدي الى أثار نفسية وأثار اجتماعية أهمها :

1-الأثار النفسية : تكوين صورة ذات سلبية، وتتكون منها شخصية مستكينة خانعة، ضعيفة، مقارنة بشخصية الطفل الذكر، وتصبح غير قادرة على المطالبة بحقوقها، ويتسبب العنف في نشوء العقد النفسية التي قد تتطور وتتفاقم الى حالات مرضية أو سلوكيات عدائية أو اجرامية، وتفكك الروابط الأسرية وانعدام الثقة وتلاشي الاحساس بالأمان، وربما نصل الى درجة تلاشي الأسرة، ومن المشكلات النفسية التي يتعرض لها النساء والأطفال، الاكتئاب والقلق والانطوائية وكره الحياة من أكثر الأمراض النفسية التي تصيب كل

من النساء والأطفال الذين يتعرضون للعنف داخل الأسرة حيث أنها تهان كرامتها بالضرب، ومن جانب أخر تذوق المرارة نتيجة تعرض أطفالها للعنف الذي لا حيلة لها على حمايتهم منه.

2-الأثار الاجتماعية والثقافية: اعادة انتاج علاقات النوع الاجتماعي يترتب على هذا الأسلوب في التنشئة الاجتماعية على المدى الطويل تبني المرأة لهذه القيم والمعايير والتوجهات، وتنظر اليها باعتبارها توجهات صحيحة وبالتالي تمارسها وتطبقها في تنشئتها وتربيتها لأطفالها الاناث وأخواتها الأصغر سنا وبالتالي تساهم في اعادة انتاج علاقات النوع الاجتماعي التقليدية، بل وتربي أطفالها الذكور بنفس الأسلوب، وتغرس فيهم قيم التفوق والسيطرة على أخواتهم الاناث.

3-الأثار الصحية: إن للعنف ضد المرأة تأثيرات سلبية على الصحة العامة للمرأة مثل الاصابات والكسور، ويعد العنف عامل خطورة صحية ويشمل الآثار الصحية والاصابات الجنسية المعدية، الاجهاض غير الآمن وسوء استخدام المخدرات والكحول والاكتئاب والتدخين والسلوك الجنسي غير الآمن والقتل والانتحار.

ويؤدي العنف الزوجي الى تفكك الأسرة وانعدام الثقة والاحترام المتبادل بين أعضائها، كما أنه يعيد انتاج العنف، فالأولاد الذين يرون الأب وهو يعنف الأم قد يعنفهم هم أيضا، كما قد يعنفون بناتهم وزوجاتهم في المستقبل، ويؤدي العنف الى انفصال الزوجين أو الهجر أو طرد الزوجة من المنزل أو حرمانها من حضانة أولادها أو رؤيتهم أو الطلاق، كما قد يؤدي الى ترك الأولاد للمدرسة أو انحرافهم وجنوحهم وزواج الفتيات بسن صغيرة.

ويترتب على العنف الزوجي آثار اقتصادية سيئة على المرأة المعنفة أو على المجتمع وعملية التنمية، وقد ينعكس سلبا على تطوير المرأة لذاتها ولقدرتها ولمهنتها اذا كانت عاملة، وهدر طاقتها الانتاجية في الاعمال الهامشية أو عدم اتمامها لتعليميها وحصولها على حقها للفرص الممنوحة لها في حال زواجها وهي صغيرة، أو منعها من متابعة التعلم من قبل الذكور في العائلة[1].

وحين يحدث العنف لا ينجوا منه أي عضو في الأسرة عادة من آثاره، بحيث أن الجميع يصبحون ضحايا له بصور ودرجات متباينة، فالعنف يعوق حركة الأسرة ويجعل من الصعب عليها القيام بوظائفها حيث أن الأطفال من أكثر أفراد الأسرة تضررا بالعنف الذي يشاهدونه بين والديهم أو يتعرضون له و الذي يؤثر عليهم بصورة مباشرة وغير مباشرة.

[1]-بوعلاق كمال ، نفس المرجع السابق ، ص ص 121-124.

ومن الأثار التي يتركها العنف على المرأة والأسرة والمجتمع، فضرره لا يقتصر على المرأة المعنفة وانما يمتد ليشمل أسرتها ومجتمعها ، ومن أبرز أثاره ارتفاع نسبة الطلاق وزيادة التفكك الأسري الذي يظهر في عدم القدرة على ضبط وتربية الأبناء وتنشئتهم تنشئة نفسية واجتماعية متوازنة، مما ينعكس سلبا على الأبناء فيميلون الى العنف والعدوانية ناهيك عن اضطراب العلاقات الاجتماعية.

8-أساليب وطرق المواجهة التي يمكن أن تستخدمها المرأة في مجتمعنا:

أ- المواجهة السلبية:

أن تنكر المرأة أنها تتعرض للعنف أو حتى وجود العنف في مجتمعنا، ورفضها لإيجاد حلول للعنف التي تتعرض له . وذلك نابع من منطلق مخاوفها من زيادة العنف الواقع عليها ، كذلك من رؤيا المرأة التي تظن أن المجتمع سوف يذنبها إن تحدثت أو اشتكت لأي شخص كان ، وهذا يعكس المعضلات التي نعيشها حيث أن المجتمع يهتم بضمان كرامة وإنسانية الإنسان ، وبنفس الوقت يسمح في انتهاك كرامة وإنسانية المرأة.

ب – مواجهة المشكلة من داخل الأسرة:

اللجوء لأفراد من الأسرة لمساعدتها في حل المشكلة ، مثل أهل الزوج أو أهلها وإخوانها.

اللجوء إلى شخص خارج نطاق العائلة صديق أو جار أو أي شخص (يؤثر) على الزوج وقد (يؤثر) صديق الزوج أو صديق للأسرة.

ج – لجوء المرأة لحلول غير تقليدية:

في أقل الأحيان تلجأ المرأة لحلول غير تقليدية كأن تلجأ لمؤسسات اجتماعية أو مراكز يمكن أن تقدم لها الدعم والحماية ، وأحيانا تتوجه المرأة للشرطة لتقديم شكوى.

د – اللجوء لحلول خيالية غير أرضية:

مثل استدعاء الجن والعفاريت ... بالتعاون مع مشعوذين لحل مشكلة المرأة التي تعاني من العنف الزوجي. وهو حل موجود عند بعضهن ويدل بقوة عن عجز المرأة وقلة حيلتها وضعفها تجاه الرجل وبنفس الوقت جهلها[1]...

ونجد أن أسلوب المواجهة الذي تستخدمه المرأة يعتمد على درجة وعيها للعنف الذي تتعرض له ، وعلى الدور الذي تقوم به في المجتمع فالمرأة الماكثة في البيت تختلف عن المرأة التي تعمل خارج البيت من حيث وعيها للمشكلة وحجمها ، وأسلوب مواجهة المشكلة يختلف.

وظاهرة العنف عامة هي من هذا النوع الذي يحمل هذا الطابع ، إذ إنها تهدد المنجزات التي حققها الإنسان خلال السنوات الماضية ، والأسوأ من ذلك كله عندما يتعدى ويمتد هذا العنف إلى الفئات الضعيفة في المجتمع كالمرأة مثلا.

خاتمة:

ظاهرة العنف ضد الزوجة ظاهرة عالمية لا تقتصر على منطقة معينة من مناطق العالم، ويشكل العنف ضد النساء أكثر انتهاكات حقوق الانسان انتشارا، وهو موجود في جميع المجتمعات والجماعات الاجتماعية والاقتصادية، كما يمثل ظاهرة يومية في حياة كثير من النساء وطوال فترة حياتهن.

ولا يوجد دولة أو ثقافة تستطيع أن تزعم أنها خالية من ظاهرة العنف الزوجي، والاختلاف الوحيد يكون في أنماط واتجاهات هذه الظاهرة، وعلى الرغم من أن بعض المجتمعات تحرم العنف ضد المرأة، الا أن هذا العنف متأصل في صميم ثقافتها من حيث الممارسة غالبا ما يقع العنف تحت ستار الممارسات الثقافية والعادات والتقاليد والتفسير الخاطىء للدين خصوصا اذا كان ضمن حدود الأسرة.

قائمة المراجع:

–أبوغزالة ،هيفاء.(2008). واقع العنف ضد المرأة في الأردن. المجلس الوطني لشؤون الأسرة. عمان. الأردن.

–أسماء، جميل.(2007).العنف الاجتماعي . بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة . ط1.

–إسماعيل حلمي ،جلال.(1999). العنف الأسري. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

[1]–أبو غزالة هيفاء ، نفس المرجع السابق، ص 233–234.

-بن حدوش، عيسى.(2008). التغيرات الوظيفية في الأسرة. الجزائر: مطبوعات الكتاب والحكمة.

-بوعلاق ،كمال.(2017). العنف الأسري وأثره على الأسرة والمجتمع الجزائر. دراسة ميدانية بمصلحة الطب الشرعي بمعسكر.رسالة دكتوراه غير منشورة في علم الإجتماع العائلي . جامعة وهران .

-بوسقيعة، أحسن(2008). قانون العقوبات في ضوء الممارسة القضائية.الجزائر: منشورات بيرتي .ط، 2007 / 2008.

-حسن إبراهيم، أحمد.(2009). العنف من الطبيعة إلى الثقافة. دراسة أفقية.دمشق: النايا للدراسات والنشر. ط1.

-حسن إبراهيم، أحمد.(2010). المرأة في دوائر العنف. دمشق: دار بترا للنشر والتوزيع.

-عبد الله عبد الغني، غانم .(2004). جرائم العنف وسبل المواجهة .الرياض: أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية .ط 1.

-علي ،نجادات.(2007). تغطية الصحف الأردنية اليومية لموضوعات العنف الأسري. سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية. الأردن:أبحاث اليرموك، المجلد 23، العدد01.مارس2007.

-شيماء ،مصطفى المليجي.(1425هـ). العنف داخل الأسرة. ظاهرة تهدد استقرار المجتمع وأمنه. مجلة الأمن والحياة. العدد281. ص58-61.

- وعلي ،راضية.(2011). خلفيات العنف في المجتمع الجزائري. موقع أونثروبوس. الموقع العربي الأول للأنثروبولوجيا والسوسيو أنثروبولوجيا. فيفري 2011.

- Medhar، Slimane.(1997).la violence sociale en Algérie.édition thala.alger.

القيم السائدة في قصة متى تتجاوز الغرائز؟ للشيخ إبراهيم أبي حميدة.

د/ خالدي مزاتي .

جامعة أدرار ـ الجزائر.

الملخص:

نحاول في هذا المقال أن نرصد أهم القيم الدينية والاجتماعية والنفسية السائدة في قصة **متى تتجاوز الغرائز** ؟ للكاتب الجزائري الشـيخ إبراهيم أبي حميدة ، وذلك من خلال قراءة النص – موضـوع الدرس – قراءة نفسـية نسـتحضـر فيها المقولات والآليات التحليلية– النفسـية التي طرحها كارل غوسـتاف يونج كمقومات أساسية لمذهبه في علم النفس.

الكلمات المفتاحية : الإبداع الفني/ اللاشعور الجمعي/ الإسقاط/ الأنماط الأولية/ التسامي.

Abstract :

In this article, we attempt to spot the most important religious, social and psychological values prevailing in the story, written by the Algerian writer ‘Ibrahim Abi Hamida’, “When do you transcend instincts?” by skimming psychologically through the text - the theme- in which we focus on the qoutes and the analytical mechanisms that Carl Gustav Jung put forward as basic elements of his doctrine in psychology

Key words : Artistic Creativity / Collective Subconscious / Projection / Initial -patterns / Sublimation

مقدمة:

تعتبر قصة متى تتجاوز الغرائز؟[1] للمغفور له الشيخ إبراهيم أبي حميدة ، أحد أشهر أعلام منطقة غرداية بالجنوب الجزائري، من الآثار الإبداعية الجديرة بالاهتمام، وذلك بالنظر إلى طبيعة القيم الروحية والسلوكية التي حاول الكاتب ترسيخها والدفاع عنها بعدما أصبحت مهددة بالتحولات الاجتماعية المتسارعة التي فرضها منطق الحداثة. من هذا المنطلق جاء اهتمامنا بهذا النص الإبداعي فأخضعناه لدراسة تحليلية –نفسية– تجاوزنا فيها مؤسس التحليل النفسي إلى تلميذه كارل جوستاف يونج الذي انفصل عنه بسبب تركيزه (أي فرويد) على الدوافع الجنسية في تفسير الآثار الإبداعية، مقدماً (أي يونج) بديلاً منهجيا بدا لنا

[1]- إبراهيم أبي حميدة،**متى تتجاوز الغرائز ؟ - قصة اجتماعية**،الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب،1986م.

مناسبا وأكثر إجرائية في قراءة القصة موضوع الدرس. وفي هذه الورقة البحثية نسعى إلى إثبات أن الآثار الإبداعية في مجالات الفن و الأدب، تمنحنا معرفة واسعة بنفسية المبدع، مما يعني أن كل تجارب حياة الكاتب وطريقة تفكيره، وجملة القيم التي يؤمن بها ويدعو إلى تكريسها، مكتوبة على نطاق واسع جدا على صفحات أعماله الإبداعية.. يجسدها على وجه الخصوص –في حالة موضوعنا– مصطفى بطل قصة **متى تتجاوز الغرائز؟**. والإشكال الذي نطرحه هو التالي: هل هذه القصة –**متى تتجاوز الغرائز؟**– هي نتاج فردي خالص نابع عن وجد صوفي وخيال خلاق لا علاقة له بالمحيط الاجتماعي كما ذهب إلى ذلك أنصار نظرية الإلهام و العبقرية –أفلاطون، جوته، نيتشه نماذج– في تفسيرهم لظاهرة الإبداع الفني إجمالا، أم أن هذا الأثر نابع عن لاشعور جمعي في المقام الأول؟ وإذا صح هذا الفرض الأخير فما هي المنظومة القيمية المكونة لهذا العقل الجمعي الذي حرك الشيخ إبراهيم أبي حميدة ليجسد شعوريا–أو لاشعوريا– تلك القيم ويدافع عنها في القصة التي كتبها؟

العرض:

مما لا شك فيه أن الفلسفة ومختلف علوم الإنسان والمجتمع لهي الينبوع الذي يستمد منه النقد الأدبي مصطلحاته الفنية ومناهجه النقدية التي من شأنها أن توفر المعايير الضرورية والمفاهيم الإجرائية المناسبة التي يستخدمها النقاد في دراسة الآثار الإبداعية المختلفة، الفنية منها والأدبية، والحكم عليها وتحليلها وتفسيرها. على هذا الأساس إذن نستطيع القول إنه ليس من المستغرب أن نجد نقاد الفن والأدب مَنْ يُكثر في ممارساته النقدية من استخدام المصطلح الفلسفي الخالص، كمصطلح الجزء والكل، والفكر، والحقيقة، والقلق، والمصير، والحرية، والضرورة...الخ؛ أو يتوجه باهتمامه إلى البحث عن المصطلح السوسيولوجي إذا كان هذا الناقد من المؤمنين بنظرية أن الأدب في جوهره مجرد انعكاس للحياة الاجتماعية، فتجده يكثر من استخدام مصطلحات يستعيرها من الدراسات الاجتماعية، كمصطلح المحيط، والبيئة الاجتماعية، والأعراف الاجتماعية، والإكراه الاجتماعي، والتفاعل الاجتماعي...الخ. إلى جانب هذا قد يتجه النقاد إلى استخدام المصطلح النفسي في قراءاتهم للآثار الأدبية والفنية، فيسيرون على خطى فرويد وتلامذته الذين أثروا تأثيرا بالغا في الدراسات الأدبية والنقدية خلال العصر الحديث وما تلاه؛ وما دراسة مؤسس التحليل النفسي عن « ليوناردو دافينشي: دراسة في السيكولوجية الجنسية »، و« دستويفسكي وجريمة قتل الأب » إلا أكبر شاهد على ما نقول.

والواقع أن الإبداع في مجالات الأدب والفن على نحو خاص لهو من أصعب المشكلات الفلسفية والنقدية وأكثرها تعقيدا وإبهاما؛ ولذلك فقد كان من الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى اختلاف النظريات الفلسفية وتباين المواقف النقدية التي حاولت تفسير تلك المشكلة التي بلغت من الغموض منتهاه. ولذلك فنحن نجد من الفلاسفة والنقاد القدامى والمحدثين على السواء من فسرها تفسيرا غيبيا، فتحدث عن الوحي والإلهام والعبقرية واعتبر الفنان كائنا موهوبا يقف فوق البشر جميعا، ويستمد إبداعه من قوة إلهية عليا –ربات الشعر عند هوميروس مثالا– . يقول جيته في هذا الصدد:

««إن كل أثر ينتجه [=الفنان] فن رفيع، وكل نظرة نفاذة ذات دلالة، بل كل فكرة خصبة تنطوي على جدة وثراء؛ هذه كلها لابد من أن تفلت بالضرورة من كل سيطرة بشرية، كما أنها لابد أيضا من أن تعلو على شتى القوى الأرضية. فالإنسان أسير لشيطان يتملكه ويرين عليه حتى ولو وقع في ظنه أنه حر مستقل يملك بحق زمام نفسه. وبعبارة أخرى يمكننا أن نقول إن الإنسان لا يخرج عن كونه أداة في يد قوة عليا، أو هو بالأحرى ملتقى ممتاز لاستقبال شتى التأثيرات الإلهية»»[1].

إلى جانب هذا فقد فسر بعض الفلاسفة والنقاد عملية الإبداع الفني والأدبي تفسيرا عقلانيا، فاعتبروها ثمرة لجهد إرادي بشري وتنظيم عقلاني واع لا مجال فيه لتدخل قوى غيبية مفارقة. ويتبنى هذا الموقف فلاسفة كثر لعل أشهرهم الفيلسوف الألماني هيغل الذي اعتبر الفن تجسيدا للروح المطلق مأخوذا بدلالته المثالية المطلقة. يقول أحد الكتاب في هذا السياق:

« روح العمل الفني، أو مضمونه الروحي، هو باستمرار: المطلق، أعني الفكر أو الكلي، فلا مكان على الإطلاق في العمل الفني [=عند هيغل] لما هو جزئي تماما أو حادث أو عرضي أو طائش بطريقة مطلقة، وبالتالي فحيثما صورت الحياة البشرية فسوف يكون جوهرها: المصالح الأساسية، والكلية، والعقلية للجنس البشري [...] وتظهر هذه الموضوعات، بالطبع، في الفن في صورة كليات مجردة لأن الفن لا يدرس الموجودات لكنه يتحرك باستمرار في دائرة العيني والفردي، ومن ثم فسوف تظهر في صورة المباشرة بوصفها انفعالات ضرورية عقلية...»[2].

وكما ألمحنا من قبل، فإن بعض المفكرين اعتبروا الأدب –والفن بصورة عامة– عملا اجتماعيا ناتجا عن عمليات التفاعل بين الفرد والمجتمع في المقام الأول، ومن ثم راحوا يعالجون مشكلة الإبداع الفني

[1] - أورده: زكريا إبراهيم ،في: **مشكلة الفن**، سلسلة مشكلات فلسفية – 03،(القاهرة : مكتبة مصر بالاشتراك مع دار مصر للطباعة ،[د – ت])،ص 118.

[2] - ولتر ستيس،**فلسفة الروح : المجلد الثاني من فلسفة هيغل**،ترجمة إمام عبد الفتاح إمام،ط 3 (بيروت : دار التنوير،2005م)،ص 137.

من منظور سوسيولوجي حرصوا فيه على بيان دور المؤسسات الاجتماعية في صناعة الفنان، الأمر الذي يعني، في نهاية التحليل، أن الإبداعات الفنية –والأدبية– لا تصدر عن ذات الفنان بوصفه كائنا منعزلا عن الجماعة، وإنما هي إبداعات لها وظيفة اجتماعية، وهي نتاج اجتماعي، وهي مشروطة بمعطيات حضارية وثقافية يضعها المجتمع ليؤثر بها في حياة الفنان وأعماله الأدبية والفنية، الشيء الذي يعبر أصدق تعبير عن الرسالة الاجتماعية التي تحملها تلك الآثار الناتجة عن عملية التفاعل بين الفرد والمجتمع. في هذا الصدد نقرأ لأحد ممثلي هذا الاتجاه من الغربيين قوله: « ولطالما قيل وتردد أن الفن مطالب، لا بالنسبة للفرد، بل بالنسبة إلى مراحل واسعة من تاريخ البشرية، أن يستجيب لمقتضى بعض الأسئلة والمستلزمات، وبعض الحاجات التي تتغير بتغير الملابسات والظروف المحيطة. وإنه ليمكننا القول سلفا منذ الآن بأن الحاجات الجمالية لمختلف المجتمعات وفي مختلف الأوقات قد تكون عديدة ومتنوعة كما هي الحال بالنسبة إلى الفرد تماما. فلربما توجهت الجماعات إلى الفن باحثة فيه عن مشاعر الشجاعة والحماسة والأحاسيس القومية والوطنية [...] ولربما كان الفن بالنسبة إليها أحيانا مجال اتصال حميم بحقيقة الواقع اليومي المعاش، كما أنه قد يكون أيضا في بعض الأحايين طريقا إلى إدراك ظواهر الجديد وجوهره في عصر كامل وفي حقبة زمنية برمتها [...]. وإذًا فأنتم ترون أن تاريخ الذي ينبغي أن نتتبعه ليس تاريخ تحولات الذائقة وتعرجاتها، وإنما هو تاريخ وظائفية الفن في صلته بحياة البشر الروحية، ومنظورا إليه من زاوية حاجاتهم الأكثر أهمية، والأكثر نبلا. [...] وإذا نحن لم نغفل أن هذه الحاجة هي في الواقع وراء جميع التماثيل والمنحوتات، ووراء تشييد جميع الهياكل والمعابد والقصور، ووراء جميع لوحات المتاحف ورسومها، ووراء جميع المقطوعات الموسيقية، وجميع دواوين الشعر، وإذا لم نغفل أيضا أن كل ذلك قد كان ولا يزال هو الجواب الأبدي الخالد الذي تبدعه العبقرية الفنية ردا على نداء عظيم، فإن هذا النداء هو الذي سنجتهد في دراسته في الفصول التالية من هذا الكتاب»[1].

وعلاوة على ذلك، فإن الصلة المفترضة بين العبقرية الأدبية وسيكولوجية الأديب قد أتاحت لنقاد الأدب إمكانية النظر إلى الآثار الأدبية من منظور سيكولوجي اعتقدوا أنه يقود الباحث إلى تحديد الدوافع الشعورية واللاشعورية التي تقف وراء تلك الآثار، وذلك انطلاقا من قناعة مفادها أن سيكولوجية الأديب تنعكس –في قليل أو كثير– على أعماله الأدبية. والحق أن فرويد هو الذي يعود إليه الفضل في أنه أول من عُنيّ بدراسة مشكلة الإبداع الفني على أسس نفسية مفترضا إمكان تفسير الآثار الإبداعية وتحليلها وتقويمها على النحو الذي يتيح سبر أغوار سيكولوجية مبدعيها ورصد مظاهر الكبت عندهم. والرجل بهذا

[1] - إتيان سوريو، **الجمالية عبر العصور**، ترجمة ميشال عاصي ، ط2 (بيروت – باريس : منشورات عويدات ، 182م)، صص 26 – 28.

يعد أيضا أول من طرح إمكانية تطبيق نتائج التحليل النفسي وامتحان كفاءتها التفسيرية خارج ميدان العيادات الطبية. ولأن الأدب ، والفن بصورة عامة، هو في صميمه تعبير عن شخصية الفنان وانفجار لا شعوري للطاقة الليبيدية عند هذا الأخير ، فقد كان على فرويد أن يحدد لنا الآلية النفسية التي تتم بموجبها عملية الإبداع الفني، فتحدث عن عما اصطلح عليه باسم « التسامي » –la sublimation– أو « التصعيد » الذي يؤدي إلى خفض التوتر وضمان التوازن لدى المبدعين عندما يتمكنون من استبدال هدف مقبول اجتماعيا بهدف بيولوجي مبتذل. يقول أحد الباحثين: « يرى فرويد أن التسامي هو الأساس الذي تعتمد عليه العمليات المشتركة في الإبداع الفني [...]. ولكي نفهم عملية التسامي لابد لنا من الحديث عن الدافع الشبقي، لأنه هو الموضوع الذي تجري عليه هذه العملية، بمعنى أنه إذا استطاع [=الفنان] أن يستبدل بأهدافه القريبة أهدافا أخرى تمتاز أولا بأنها أرفع قيمة من الناحية الاجتماعية، وثانيا بأنها غير جنسية، فقد قام بعملية التسامي. كيف يحدث ذلك؟ يرى فرويد أن النشاط النفسي موزع بين قوى ثلاث، الأنا والأنا الأعلى والهو ، والصراع دائم بين هذه القوى، ومحصلة الصراع تتجلي في سلوك الشخص في أي موقف. ولهذا الصراع وسائل معينة يصل بها إلى تكوين المحصلة، يطلق فرويد عليها اسم « الآليات »، منها القمع والكبت والتسامي والتبرير والقلب والتقهقر...الخ»، علما أن التسامي هو « الذي يؤدي إلى إظهار عبقرية وامتياز في الفن أو في العلم أو ...الخ»[1]. ثم يعلق الكاتب على هذه النظرية ويقول إذا كان « التسامي هو العملية المؤدية مباشرة إلى الإبداع الفني »، وأنه « يرجع إلى استعداد عضوي خاص، يشبه الملكة » فإن « فرويد لا يعرف عنه أكثر من ذلك، فهو لا يحدثنا عن خطواته، بل يقتصر على تسميته بحيث يمكن أن يقال بحق إن التعليل بالتسامي ضرب من التعليل اللفظي لا أكثر »[2].

على أن الأمر الذي يجذب الانتباه هو أنه في مقابل تمسك فرويد بآلية التصعيد وفرضية اللاشعور بمضامينه الليبيدية، واقتناعه بكفايتهما لتفسير ظاهرة الإبداع الفني، فإن تلميذه كارل جوستاف يونج رفض هذه الأطروحة، وقدم حلا بديلا آخر تمثل في نظريته القائلة بـ « اللاشعور الجمعي » الذي يدفع الأدباء والفنانين إلى إبداع ما يبدعون؛ علما أن مادة الإبداع التي تشكل مضمون اللاشعور الجمعي عندهم ليست، في نظر يونج، شيئا أكثر من « أنماط أولية » أو « صور أسطورية »، أي أنها، في نهاية التحليل، خبرات أو نماذج ثقافية وفكرية تضرب بجذورها في أعماق الماضي السحيق للإنسانية، وقد ورثناه مع أولئك

[1] - مصطفى سويف،**الأسس النفسية للإبداع الفني : في الشعر خاصة** ،ط 4 مزيدة ومنقحة – (القاهرة : دار المعارف ، [د-ت])،ص ص 19 – 300.

[2] - المرجع نفسه ، ص82.

المبدعين عن أسلافنا البدائيين تماما كما ورثنا عنهم صفاتنا الفيزيولوجية والجسدية. في هذا السياق نقرأ لأحد الكتاب قوله:

« على أن نظرية «يونج» عن « اللاشعور الجمعي » و « الأنماط الأولية » قد فتحت مجالات جديدة للبحث في شخصية الأديب. والمعروف أن « اللاشعور الجمعي » أحد السمات المميزة لنظرية « يونج » في الشخصية بوجه عام، لكنه يكتسب أهمية خاصة في نظر أولئك الذين يؤمنون بأن للشعراء والأدباء قدرة خاصة على استحضار ماهو مستكن في منطقتي اللاشعور الشخصي والجمعي [...]. والأنماط الأولية هي الاسم الذي أطلقه « يونج » على المكونات البنائية للشعور الجمعي، وقد أطلق على هذه الأنماط أسماء أخرى مثل « الصور الأولية البدائية » و « الصور الأسطورية » و « أنماط السلوك ». وهذه الأنماط الأولية، أو ما هو ورائي من هذه الأنماط يرجع تاريخه إلى النشأة الأولى للإنسان، فهي مصدر كثير من الخيالات والصور المتعلقة بالخوارق والجن والأرواح. وهذه الخيالات والصور تظهر في مستواها الرمزي من خلال الكلمات والأحلام والفن. والرمز في حالة الفن عموما يمثل المستويات الطموحة للفنان »[1].

وعلى هذا نستطيع القول إن اللاشعور الجمعي عند يونج هو بالدرجة الأولى لا شعور ثقافي يستعين فيه المبدعون بخصوبة الخيال وقوة الحدس عندهم فيحولونه –عن طريق الرمز– إلى روائع أدبية وفنية. من هنا نفهم حديث يونج عن « انسحاب اللبيدو» و « الإسقاط » و « قوة الحدس ». يقول أحد الكتاب:

« أعطى يونج اللاشعور الجمعي أهمية قصوى باعتباره منبع وجوهر الإبداع الفني، والأعمال العبقرية العظيمة، واستدل على وجود هذا اللاشعور الجمعي من وجود مظاهر له في الأحلام وعند الذهانيين وفي بعض الأعمال الفنية [...]. كما تحدث يونج عن الإسقاط باعتباره السبيل إلى الإبداع، فذكر أن الإسقاط هو العملية النفسية التي يحول بها الفنان تلك المشاهد الغريبة التي تطلع عليه من أعماقه اللاشعورية، يحولها إلى موضوعات خارجية يمكن أن يتأملها غيره، كما ذكر أن الفنان يحتاج إلى قوة يحدس بها لا شعوره هي قوة الحدس، فبالحدس يصل الفنان إلى الوتر المشترك مباشرة دون وسيط، وبالإسقاط يحدد الفنان مشهده، ويخرجه من نفسه واضعا إياه في شيء خارجي هو الرمز»[2].

[1] - عبد المنعم إسماعيل،**نظرية الأدب ومناهج الدراسات الأدبية**، ط 1 (الكويت : مكتبة الفلاح، 1981م)، الجزء الأول ، ص ص 124-125.
[2] - علي عبد المعطي محمد ، **فلسفة الفن : رؤية جديدة** ،(بيروت : دار النهضة العربية ، 1935م)، ص 174.

من المعلوم أن يونج اتخذ موقفا أكثر ايجابية من الفنان المبدع، وهو يميز بين نوعين من الإبداع الفني هما: «الإبداع النفسي» و «الإبداع الكشفي»[1]. وقد أدرج يونج ضمن الصنف الأول من الإبداع ««الروايات التي تتناول الحب ومحيط الأسرة والجريمة والمجتمع، إلى جانب الشعر التعليمي ومعظم الشعر الغنائي والدراما بنوعيها وهما المأساة والملهاة. ومهما تنوع الشكل الفني لهذه الأعمال، فإن مضامينها مستمدة دائما من مجال التجربة الإنسانية الواعية، أو إذا شئنا من الواقع النفسي الماثل للحياة»»[2]. والشكل الثاني من الإبداع اصطلح عليه يونج بـ «الإبداع الكشفي» وهو لا يستمد مادته من الحياة الشخصية المألوفة للفنان، وإنما هو يستمدها من مخزون العقل الجمعي لأنها عبارة عن موروث غريب، ثقافي ديني، أو حتى أسطوري، ينحدر إلينا من أسلافنا البدائيين نتيجة لما تركته خبرات الحياة في نفوسهم من أثر. ومن المبدعين أصحاب الرؤى الكشفية يذكر يونج أسماء قليلة مثل نيتشه و جوته وفاجنر[3]. في ضوء هذا التمييز إذن نستطيع أن نصنف قصة **متى تتجاوز الغرائز؟** ضمن النمط الأول من الإبداع الفني، أي ذاك الذي يستمد فيه الفنان مادته الإبداعية من حياته الشخصية الخاصة المتفاعلة مع محيطها الاجتماعي.

وإذا نحن اعتمدنا منهجا في التحليل و الوصف أساسه قراءة النص –موضوع البحث– في ضوء المعطيات والمفاهيم الأساسية لنظرية يونج في اللاشعور الجمعي، فإن ذلك لا يعني إقرارا منا بكفايتها المنهجية في تفسير كل الآثار الأدبية. إن اختيارنا يعني فقط أن هذه النظرية أكثر ملائمة لقراءة النص الذي بين أيدينا، وقد لا تصلح لقراءة نص آخر سواه. وفي كل الأحوال فإننا نستطيع، بتطبيق هذه النظرية–المنهج، أن نحلل النتائج ضمن سياق رصد القيم واستكشاف الدلالات المختلفة للتجارب النفسية التي تقدمها القصة مجسدة في شخوصها. وعلى هذا يسهل علينا أن نسجل مايلي:

1– على الرغم من أن يونج لم يربط بين الفنانين –من الفئة الأولى– والإصابة بمرض العصاب، إلا أنه يعتقد بأن هؤلاء هم جميعا «نرجسيون»: وإذا طبقنا هذه القاعدة على قصة **متى تتجاوز الغرائز؟** وجدنا نرجسية الكاتب ظاهرة للعيان. فهو يصف نفسه –من خلال شخصية البطل– بأنه جميل، ذكي، مؤثر، فعال، فاضل، عظيم. لنقرأ المقطع التالي: « فبفضل هذه الأفكار العالية، قويت إرادة مصطفى

[1] - ننبه القارئ بأننا في هذه الفقرة نستلهم مقالتي نيل كسل و أنطوني ستور الواردتين في : بينولوبي مري،**العبقرية :تاريخ الفكرة**، ترجمة محمد عبد الواحد محمد، مراجعة عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة،(208 الكويت: المجلس الوطن للثقافة والفنون و الآداب ، 1999م)، ص 277-323.

[2]- أورده أنطوني ستور في : « العبقرية و التحليل النفسي فرويد و يونج ومفهوم الشخصية »،وذلك ضمن المرجع نفسه ، ص 302.

[3] - المرجع نفسه، ص 303 ومايليها.

واشتدت عزيمته فلم يعد للعوارض النفسانية سلطان عليه... وبفضل هذه الطاقة الفعالة يعرف عظماء الرجال»[1].

2- يعتقد يونج بأن الغالب هو أن يدفع الفنان ثمن شعلة الإبداع تعاسة وشقاء، وحياة البطل مصطفى –فيما يبدو– تعد مثالا حيا على ذلك.

3 - الصراع النفسي –حسب يونج– خاصية ملازمة للفنان، وهذا ما نجد له أمثلة في بعض المحطات من حياة مصطفى، كصراعه مثلا بين أن ينتصر لأمه أو لزوجته بعد أن تخاصمتا، أو بين أن يتزوج ويضحي بمصلحة صغاره اليتامى أو أن يمتنع عن الزواج فيضحي بمصلحته الشخصية. (أنظر النص).

وعلاوة على ذلك نستطيع من جانبنا أن نسجل الملاحظات التالية التي تخص القيم السائدة في القصة ونقول:

1- انسجام الكاتب مع القيم الإسلامية: لاحظ علاقته الحميمية مع القرآن الكريم: «وكلام الله خير شيء يمّن به إذا قدر حق قدره وأعطي من الإجلال والتقديس ما يستحق...»[2].

2- رغم النزعة المحافظة البادية على الكاتب إلا أنه في غاية التوازن والاعتدال في تدينه ومواقفه العامة: (الموقف الإيجابي من المرأة مثالاً).

3- رغم حياة النكد والتعاسة التي عاشها مع زوجاته الثلاث، فإن بطل القصة تميز بالإنصاف ورجحان العقل في حكمه على النساء. يقول:« النساء كالرجال تماما، لا يمكن أبدا أن يكنّ كلهنّ على وصف واحد أو تفكير واحد »[3].

4- انسجام الكاتب مع القيم الأخلاقية والأعراف الاجتماعية السائدة في مجتمعه: تقديره لـ: الصدق، الشرف، العفة، الطهارة (حالة زينب مثالا)، إكرام البشير: «من عادة القوم أن يكرموا البشير ويبجلونه، وعلى قدر البشارة تكون المكافأة. تلك شيمتهم من أغناهم إلى أفقر رجل عندهم»[4].

---

[1] - إبراهيم أبي حميدة، **متى تتجاوز الغرائز؟**، ص31.
[2] - إبراهيم أبي حميدة، مصدر سبق ذكره، ص19.
[3] - المصدر نفسه، ص ص58 - 59.
[4] - المصدر نفسه، ص 16.

5- توقير الوالدين وبالأخص الأم: «ووفاء بوصية أبيه كان مصطفى لأمه الحنون خادما أمينا وحارسا مخلصا، يعمل كل شيء تطلبه ولا يخالف لها أمرا»[1].

6- نسجل إصرار الكاتب على تكوين أسرة مستقرة رغم كل الشدائد التي مر بها، وهذا على أمل بلوغ التكامل و الوحدة كي يتهيأ له السلام والانسجام مع النفس والمجتمع معا؛ وهذا إن دل على شيء إنما يدل على حالة السواء والتوازن النفسي عنده.

7- ومما يدل أيضا على سواء وتوازن الكاتب أنه لم يقف موقفا سلبيا من العادات السيئة السائدة في مجتمعه، وإنما مارس ضربا من النقد الاجتماعي الناعم الموجه إلى تلك العادات والتقاليد المشينة المنتشرة في محيطه العربي، كغلاء المهور أو الإسراف في الإنفاق على حفلات الزفاف مثلا. يقول في معرض حديثه عن حفلة زفافه الثاني المتواضعة:

« وأقيمت حفلة الزفاف بأحسن ما تقام به الحفلات النزيهة المتواضعة. ولعل هذا النوع من الحفلات لا يرضي بعض مدعي الحضارة والتقدم، لخلوها مما ندعوه فنا وطربا عندنا. ولو فكروا قليلا ووزنوا هذا الطرب بميزان الحدس والذوق لأعرضوا عنه وألحقوه بركام التوافه... أفلا يجمل بهم أن يستعينوا بالثمن المطلوب على قوتهم وما يحتاجونه من ثياب وأدوات لمنازلهم؟ ولكنهم قوم لا يعلمون. وإن سموا القصد شحا والنزاهة جمودا والتعقل تأخرا فإنهم قوم لا يعقلون».

8- على المستوى اللغوي نلاحظ توظيف المعجم القرآني في نص القصة بقدر كبير (لاحظ الشاهد الأخير).

خاتمة:

الشيء الذي يجب التأكيد عليه في نهاية هذا العرض الوجيز هو أن الشيخ إبراهيم بوحميدة هو، بلا شك، من صنف عظماء الرجال الذين انتدبوا أنفسهم طوال حياتهم لخدمة الأمة التي ينتمون إليها؛ ولذلك كان من حق هذا الرجل علينا، نحن أبناء الأمة الجزائرية، أن نحيي سيرته، ونجدد ذكره، ونعرف بأفكاره الإصلاحية في مجال التربية والتعليم وخدمة اللغة العربية، وبقيم الحق والخير والجمال والحرية والجهاد التي كان يدعو إليها في أعماله الإبداعية المختلفة، وأن نقدر كل ذلك حق قدره حتى لا يطويه النسيان جراء حملات التشويه والمسخ التي تعرض لها الشعب الجزائري على امتداد أزيد من قرن من الزمان، ولا يزال

[1] - المصدر نفسه، ص 33.

إلى اليوم يتعرض لها بطرق وأساليب مختلفة مصاحبة للتحولات العنيفة والمنظمة التي تستهدف سحق العقيدة، وسحق اللغة، وسحق انسجام النسيج الاجتماعي في العالم العربي الإسلامي برمته. ومع هذا فإن الأمر الذي لا ريب فيه هو أن الجزائر الواحدة الموحدة، العربية المسلمة، لن تموت طالما أنها لازلت قادرة على أن تبعث من جديد برجال عظماء من طراز الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ إبراهيم بوحميدة، ومفدي زكريا، وأحمد بن نعمان، وعثمان سعدي، وعبد الرزاق قسوم، وعمار الطالبي...الخ.

قائمة المراجع:

1) إبراهيم، زكريا. **مشكلة الفن**. سلسلة مشكلات فلسفية، 03. القاهرة: مكتبة مصر بالاشتراك مع دار مصر للطباعة، [د–ت].

2) أبو حميدة، إبراهيم. **خواطر**. [د–م]: مؤسسة الضحى، 1999م.

3) ———. **متى تتجاوز الغرائز؟– قصة اجتماعية**. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م.

4) إسماعيل، عبد المنعم. **نظرية الأدب ومناهج الدراسات الأدبية**. ط1 . الكويت: مكتبة الفلاح، 1981م. الجزء الأول.

5) ستيس، ولتر. **فلسفة الروح: المجلد الثاني من فلسفة هيغل**. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. ط3 . بيروت: دار التنوير، 2005م.

6) سُوريُو، إتيان. **الجمالية عبر العصور**. ترجمة ميشال عاصي. ط2 . بيروت– باريس: منشورات عويدات، 1982م.

7) سويف، مصطفى. **الأسس النفسية للإبداع الفني: في الشعر خاصة**. ط4– مزيدة ومنقحة. القاهرة: دار المعارف، [د–ت].

8) محمد، علي عبد المعطي. **فلسفة الفن: رؤية جديدة**. بيروت: دار النهضة العربية، 1985م.

9) مرَّي، بينولوبي. **العبقرية: تاريخ الفكرة**. ترجمة محمد عبد الواحد محمد. مراجعة عبد الغفار مكاوي. عالم المعرفة، 208. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1996م.

توجهات حديثة في الصحة النفسية.

أ.م.د/ حنان فوزي أبو العلا .

جامعة المنيا ـ جمهورية مصر العربية.

الملخص باللغة العربية :

في ظل ما قد طرأ على العالم من متغيرات ومستجدات فإن علم الصحة النفسية يعد من أوائل العلوم الإنسانية التي سعت إلى مواكبة تلك التغيرات ليقوم بدوره على أكمل وجه نحو الأفراد والجماعات سعياً منه نحو تحقيق التوازنات النفسية داخل المجتمعات المختلفة وتحسين مستويات الصحة النفسية لدى الأفراد؛ لذا فإن هذا البحث يسعى إلى الكشف عن تلك التوجهات لهذا المجال الأصيل وبعض التخصصات المرتبطة به.

الكلمات المفتاحية : الصحة النفسية – التربية الخاصة

Abstract:

In light of the changes and developments that have occurred in the world, mental health science is one of the first human sciences that sought to keep pace with these changes in order to fully play its role towards individuals and groups in an effort to achieve psychological balances within different societies and improve levels of mental health among individuals; therefore, This research seeks to reveal those trends in this authentic field and some related disciplines.

Keywords: Mental health – Special education.

مقدمة:

في ظل عصر الثورة المعلوماتية التي يشهدها عالمنا المعاصر ظهرت العديد من التحولات والتغيرات التي مست مختلف مناحي الحياة (الاقتصادية، السياسية، الاجتماعية، الثقافية، الدينية....الخ).والحديث عن التغير ليس بالأمر الجديد بل أن حقيقة الوجود كلها مبنية على فكرة التغير والتجدد؛ لكن المستجد في الموضوع إنما يتعلق بطبيعة هذه التغيرات من حيث خصائصها، مميزاتها ومظاهرها، وكذا الآثار والنتائج التي خلفتها وتخلفها على حياتنا بشكل عام. وفي هذا المجال يظهر جلياً مدى تسارع هذه التغيرات وتشابكها فيما بينها؛ إضافة إلى عمق آثارها وإحاطتها بجميع جوانب الحياة الاجتماعية المعاصرة، وأبعد من ذلك

أنها أصبحت سمة أقل ما يقال عنها عالمية, بمعنى أنها لم تعد رهينة بمجتمع دون آخر، بل أصبحت كل مجتمعات العالم تشترك فيها بشكل أو بآخر. ولذلك تفرض مستحدثات العصر على مجتمعاتنا تحديات ذات طبيعة خاصة يغلب عليها تسارع معدلات التطور بشكل فائق ،فالمتأمل للمتغيرات العالمية المعاصرة التي تحدث في حياتنا يجد أننا نعيش عصر جديد يختلف فكراً ومفهوماً وتطبيقاً عما سبقه من عصور.

فبعد أن عايشنا عصر الثورة الصناعية التي اهتمت بإنتاج المواد جاء عصر الثورة المعلوماتية مركزاً على إنتاج الأفكار، وأصبحت الدول التي تمتلك معلومات أكثر هي الأكثر سيطرة على مجريات الأمور في العالم. ولما كانت العلوم الطبيعية هي سبيل المجتمعات نحو التقدم التكنولوجي فقد غدت العلوم الإنسانية أداة لتخطيط عمليات التنمية البشرية ووسيلة لتكيف الأفراد مع واقع متغير، ذلك الواقع الذي استلزم معه سرعة التحرك للتعامل معه وإدخال تعديلات جوهرية مختلفة تمكن من إعداد شخصية باحثة عصرية رقمية تتواكب مع

متغيرات ومستجدات العصر الحالي حيث أحدثت تلك التغيرات لدى بعض الأفراد عجزاً عن التكيف معها وجعلهم عرضة للآثار النفسية والاجتماعية الضارة حيث تتولد لديهم مشاعر فقدان الثقة في المحيط المادي والاجتماعي (بشير الرشيدي،2006 ، ص2).

ويحاول الأفراد في مواجهتهم للتغيرات والأحداث الضاغطة الاستجابة بأساليب متعددة ترتبط بخصائصهم النفسية وطبيعة ونوعية الأحداث التي يتعرضون لها.فمنهم من يتعامل مع الحدث على نحو متصلب وسلبي ،ويدركه على أنه خطر وتهديد لحياته ؛مما يؤدي إلى زيادة حدة شعورهم بالضغط النفسي .بينما نجد آخرين يتعاملون مع الحدث بمرونة ورويّة ويتحملون الضغط ويتكيفون معه ويحسنون إدارته إلى حد ما .فهم مستندون في ذلك إلى ما يمتلكون من خصائص شخصية ودلالات خاصة يضيفها هؤلاء على أساليب تعاملهم مع الأحداث ؛هل هي مؤذية ومهددة أم مثيرة للتحدي (رجاء مريم ،2006 ، ص4)

وفي ظل ما سبق يمكن القول بأن هنالك ثمة توجهات جديدة معاصرة تسعى إليها العلوم الإنسانية وعلى رأسها علم الصحة النفسية للوقوف على أبرز الظواهر النفسية المستجدة والسمات الشخصية المستحدثة للوقوف على أبعادها وأسباب ظهورها في ظل ما قد طرأ على السمات الشخصية من تغيرات ناجمة عما نعيشه من ثورة تكنولوجية وعالم يتصف بالرقمية .

أولاً : الصحة النفسية ومستجدات العصر الحالي :

لقد تأثرت توجهات علم " الصحة النفسية" كثيراً بمتغيرات العصر الحالي إلى حد اقتران تسمية الكثير من المتغيرات النفسية بمصطلحات تشير إلى المستجدات الحديثة مثل ظهور متغيرات الذات الافتراضية ، الإستقواء الإلكتروني ، التدفق النفسي، الهوية الافتراضية، وإدمان الإنترنت؛ فجميعها متغيرات لم تكن لتقترن منذ فترة قريبة بتلك المصطلحات التي تشير إلى انتشار عصر التكنولوجيا وتدفق المعلومات والعوالم الافتراضية .وفي هذا إشارة واضحة لمدى تأثر الأفراد والمجتمعات بالانفتاح الناجم عن عصر العولمة وثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات فجميع هذه المستجدات قد أنتجت لنا مؤخراً أحدثها وهو ما يعرف بـ " العالم الافتراضي " Virtual World " ذلك العالم الذي يركز على التواصل الفكري وليس على المظهر الفيزيائي المباشر (صابرين زغلول، 2018 ، ص269).فالواقع والعالم الحقيقي لم يعد كما كان عليه من قبل حيث أثرت وسائل التكنولوجيا في تشكيل هوية وذوات الأفراد وحتى وعيهم الاجتماعي بشكل جديد في العصر الحاضر مع تطور وسائل الاتصال والثورة المعرفية والتكنولوجية. وقد ترتب على ذلك أن تحولت الكلمات التي يعبر بها الإنسان إلى إشارات ورموز تنتقل بفعلها الدلالات عبر فضاءات لتصبح كلمات ورموز للخطاب لذلك تحول الواقع إلى دلالات. وهذا قد أثر بشكل غير مباشر على خصال وسمات الأفراد ومدى قناعتهم ببعض الأمور فأصبح الجدل في الحديث بشكل أكبر كما أصبحت لغة الحوار والتواصل عبر منصات التواصل الاجتماعي تتصف بالاختصار لضيق الوقت وتفضيل استخدام الرموز عن كتابة الكلمات بشكل واضح بين الأفراد.

وقد استلزم هذا وجود دور جديد يضاف للأدوار المنوط بها هذا العلم المرتبط بمعظم نواحي الحياة فبعد أن كان الهدف الأساسي مساعدة الفرد للوصول لأفضل مستوى للسعادة والتكيف؛ أصبح هنالك سعياً نحو المساعدة في تجنب الآثار الضارة لبعض المستجدات والمتغيرات النفسية الجديدة. بل أنه يسعى مؤخراً لدراسة المحددات والأبعاد الكامنة والمرتبطة بعدد من الظواهر المستجدة أملاً في معرفة أسبابها وتجنب آثارها.

ومن أجل التحقق من ذلك وإيضاحه للقارئ قامت الباحثة بمراجعة الأدبيات والدراسات والبحوث في مجال الصحة النفسية وكذلك التخصصات الفرعية المرتبطة بها مثل الإرشاد النفسي والتربية الخاصة لاسيما بالمؤسسات التعليمية في محركات بحث بنك المعرفة ، دار المنظومة ، Eric، Science direct، Elsevier، Proquest) وذلك خلال الخمس أعوام الأخيرة(من2013 حتى2018).

ثانياً : متغيرات نفسية معاصرة في مجال الصحة النفسية:

1- النوموفوبيا Nomo phobia

تمثل النوموفوبيا اختصاراً للمصطلح No Mobile phone Phobia ليشير إلى نوع من الإدمان السلوكي المعبر عن رهاب الهواتف الذكية ، وهي حالة من القلق الغير طبيعي لدى الفرد والشعور بالتهديد والانشغال المستمر بالعواقب السلبية بسبب فقده للهاتف الذكي. وقد أظهر التحليل العاملي في دراسة السعيد دردرة(2016) أربعة عوامل للنوموفوبيا هي الخوف المعمم، استجابة القلق لفقدان التواصل ، والانشغال بالتهديدات المتوقعة ، والاستخدام القهري للهاتف الذكي . وقد وجدت فروق ذات دلالة لصالح الذكور في النوموفوبيا لصالح الذكور. كما وجد كون (Kwon,2013) ستة عوامل للنوموفوبيا هي اضطراب الحياة اليومية ، التوقعات الإيجابية ، الانسحابية ،التوجه نحو العلاقات الافتراضية ، فرط الاستخدام ،والتحمل.

وبرغم رصد هذه الظاهرة كاضطراب في الدليل التشخيصي الخامس DSM-5 إلا أن له عدد من المظاهر السلوكية رصدتها عدد من الدراسات ويوضحها كلا من براجزي وبيونت (Bragazzi & Puente,2014) كما يلي :

-الاستخدام المفرط للهاتف الذكي مع فقد الشعور بالزمن أو تجاهل الأنشطة اليومية الأساسية.

-الاحتفاظ بأكثر من هاتف ذكي أو أكثر من شاحن للهاتف والشغف بكل ما هو جديد في تكنولوجيا الهواتف الذكية.

-تفضيل التواصل الاجتماعي الافتراضي عبر شبكة الانترنت باستخدام الهاتف الذكي بدلاً عن التواصل الواقعي.

-قلق النغمة أي القلق المترقب والمتكرر عند سماع رنة أو نغمة مشابهة للهاتف الذكي الشخصي وتخص شخص آخر.

-الحرص على أن يكون الهاتف الذكي مفتوحاً طوال اليوم بل وأثناء النوم.

-تزايد الإنفاق على الهاتف الذكي والانترنت.

-ظهور أعراض إنسحابية كمشاعر القلق والعصبية والاكتئاب عند فقد الهاتف الذكي أو فقدان الاتصال.

2-الاستقواء الالكتروني cyber bullying

أفرز تفاعل النشاط البشري مع عامل ثورة الاتصالات علاقة كونت ظاهرة إنسانية حققت ظواهر اجتماعية غير مسبوقة في خرقها لعامل الزمن وإزالتها لكل الحدود الزمنية والحواجز المكانية وكان من البديهي أن

يتوازى ظهور أنماط معينة من الجرائم الإلكترونية مع التطور التكنولوجي تلك التي تتعرض بسرية المعلومات والاعتداء على الحق في الخصوصية وحماية المستهلكين وتداول البيانات الخاصة وغيرها.

وكان ينظر فيما مضى إلى التعدي على أنه تعرض الشخص للضرب أو القصف أو السب من قبل الآخرين بشكل مادي أو ملموس أما الآن فقد ظهر نوع من التعدي يصاحبه أيضاً سب وقذف وخداع وتحايل ولكن بصورة إلكترونية وهو ما يعبر عنه بالإستقواء الإلكتروني Cyber bullying (التعدي الإلكتروني) الذي قد يحدث أثناء استخدام الإنترنت. (نجلاء محمد ، 2013، 233). ويختلف مفهوم الإستقواء عن مفهوم العدوان حيث أشار جورديلو(Gordillo,2011) في دراسة عاملية فارقة له توصل من خلالها إلى وجود ثلاثة خصائص تميز التنمر عن العدوان تمثلت في اختلاف ميزان القوى بين المتنمر والضحية، توافر نية إلحاق الضرر بالضحية، والميل لإضفاء الشرعية على كل وسائل التسلط كشكل من أشكال التفاعل مع الأقران.

فالإستقواء الالكتروني يُعرف على أنه الإستقواء عبر وسائل الاتصال الالكترونية (Li, 2006,p. 157)؛كما يعرف على أنه الاستخدام المتعمد للإنترنت كوسيلة تكنولوجية ليتم من خلالها إلحاق الأذى أو الإزعاج عن قصد وبشكل متكرر واستهداف شخص معين أو مجموعة من الأشخاص (Ang & Goh,. 2010,p. 388). ويشير إليه اكبيلير وايريستي(Akbulur & Eristi,2011) بأنه الاستخدام المتعمد لأدوات الاتصال الإلكتروني لإلحاق الضرر وبشكل متكرر بفرد أومجموعة من الأفراد. أما نجلاء محمد (2013، ص241) فقد عرفت الإستقواء الإلكتروني بأنه التعدي الذي يتعرض له الفرد أثناء العمل على الإنترنت من عمليات التخويف والتهديد وبعض التصرفات التي تنتهك حرية وخصوصية الآخرين بشكل مستمر. وتتنوع طرق الاعتداء الإلكتروني فقد ورد بهذا الصدد ما ذكره ويلارد (Willard, 2005,p.1) حيث أشار إلى أن التنمر الالكتروني له أشكال يتمثل فيها مثله مثل التنمر التقليدي، حيث توجد ثمانية أشكال معروفة للإستقواء الالكتروني وهي:

- الملتهب: معارك على الانترنت باستخدام الرسائل الإلكترونية مع لغة غاضبة ومبتذلة.
- التحرش: إرسال رسائل سيئة، ووضيعة، ومهينة مرارا وتكرارا.
- تشويه السمعة: "تحقير" شخص ما على الانترنت؛ وإرسال أو نشر القيل والقال أو الشائعات عن شخص ما لإلحاق الضرر به أو بسمعته أو صداقاته.
- انتحال الهوية: يتظاهر المتنمر بأنه شخص آخر بإرسال أو نشر مواد معينة للإيقاع بهذا الشخص في ورطة أو خطر أو لتشويه سمعة هذا الشخص أو صداقاته.
- الإفشاء: مشاركة أسرار شخص ما أو معلومات محرجة عنه أو صور على الانترنت.

- الخداع: استدراج شخص ما للكشف عن أسراره أو معلومات محرجة عنه، ثم مشاركتها على الانترنت.
- الإقصاء: إقصاء شخص ما بتعمد وقسوة من مجموعة ما على الانترنت.
- مطاردة إلكترونية: التحرش الشديد والتشويه المتكرر الذي يتضمن تهديدات أو خلق خوف شديد.

3-الصحة النفسية عبر شبكات التواصل الاجتماعي Mental Health throw social media

باتت مواقع التواصل الاجتماعي الالكتروني في الآونة الأخيرة تسيطر على أوقات وأفكار الشباب فهي تعمل على ربطهم في مجتمع إلكتروني افتراضي فهذه المواقع تعمل على ملئ أوقات الشباب وتسهل إنشاء الصداقات بأنواعها ،وتساعد على بقاء تواصل الأصدقاء بعضهم مع بعض والتواصل مع الأقارب وباقي مجموعات المجتمع ،ويوفر لهم خدمات ترفيهية وتعليمية . وقد ساعدت شبكات التواصل بفلسطين على إشباع عدد من الحاجات النفسية طلاب الجامعات هي : الحاجة إلى المعرفة والثقافة والتذوق الجمالي والإنجاز والأمن النفسي (إسلام جميل،2015،ص27) .وتنقسم تلك الشبكات حسب الغرض منها إلى شبكات تجمع أصدقاء العمل وشبكات التدوينات المصغرة وأخرى تجمع أصدقاء العمل ، ومن أشهر شبكات التواصل الاجتماعي الموجودة حالياً Facebook،My space،Twitter،Hi 5،Life boon. وتوفر هذه الشبكات عدة مميزات منها العالمية والتفاعلية والتنوع وتعدد الاستعمالات وسهولة الاستخدام والتوفير والاقتصادية وتستخدم في التعارف والصداقة وإنشاء شبكات للجهات المختلفة والمؤسسات وإنشاء صفحات خاصة بالأفراد والدعاية والإعلان.

وقد أشار جارح العتيبي (2008) إلى أن استخدام الفيس بوك بين الطلاب وصل إلى ساعات لا تقل عن خمس ساعات يومياً كحد أدني للاستخدام كموقع للاتصال والتواصل. ومن آثاره الايجابية على مستخدميه رفع المستوى الثقافي، وزيادة التحصيل العلمي وصقل المواهب وتغذية الترابط الاجتماعي وإيجاد مساحة من حرية التعبير عن الرأي. أما آثره السلبية فتتمثل في تفكك العادات والتقاليد الاجتماعية وإضاعة الوقت وانحلال العلاقات الأسرية.

4-الإدراك البصري Visual Perception

يعرف سشنك (Schunk , 2000) الإدراك بأنه " إعطاء معنى للمدخلات البيانية التي تستقبلها الحواس حيث تخزن لحين يتم مقارنتها بمعرفة الفرد المخزنة في الذاكرة طويلة المدى. أما الإدراك البصري فيعرف بأنه قدرة معرفية متعددة الجوانب تتأثر بعوامل مختلفة مثل الخبرات السابقة والوعي والحالة الإنفعالية والصحة وسلامة الحواس . وهو يتكون من عدد من المهارات تشتمل على : المطابقة وهي تحليل مكونات

المجال الإدراكي وتقييمه ، والتمييز البصري والثبات الإدراكي وصعوبة التمييز بين الشكل والأرضية والتآزر البصري الحركي (شرفية مونيه ،2010،ص31-38).

وتتمثل مشكلات الإدراك البصري في حدوث خلل في إحدى مهاراته السابقة وقد تحدث مشكلات الإدراك البصري بعد تسجيل المعلومات الحسية المنتجة لها حيث تتم عملية دمج

المعلومات المرئية داخل خبرة إدراكية ، فإذا لم تحدث المعالجة هذه فتعرف بحالة خلل التعرف البصري Visual agnosia أو الخلل البصري الاستبطاني Aperspective أو الخلل الترابطي Associative.

وينقسم الإدراك البصري إلى مرحلة مبكرة لمعالجة المعلومات المرئية يتم فيها استخلاص الأشكال و الأشياء من المنظر المرئي (مشكلات مرضى الخلل البصري الاستنباطي)، ثم في مرحلة تالية يتم فيها التعرف على الأطر Pattern recognition ؛التي يتم فيها التعرف على كل من الأشكال و الأشياء حيث ترمز المعلومات في الخلايا البصرية ، ثم يتم عمليات إدراك العمق والسطح بتحديد الأشكال ثم يتم إدراك الأشياء ثم يتم التعرف على النمط البصري .فكلما زاد العبء الإدراكي (خصائص الموقف الإدراكي) انتقل الفرد من الاعتماد على الانتباه الانتقائي المبكر إلى المتأخر.

5-العدالة الأكاديمية Academic Justice

تُعرف إحسان عطية (2014، ص292) العدالة الأكاديمية بأنها شعور التلميذ بأنه يُعامل نفس المعاملة وعلى نفس القدر كما يعامل باقي زملائه في المدرسة.

والعدالة المدرسية لها بعدان أولهما يخص علاقة التلميذ بالمعلم ،والآخر متعلق بعلاقة التلميذ بإدارة المدرسة .وتتحقق عدالة المعلم مع التلاميذ في عدالة كل من : عدالة الثواب والعقاب ،وعدالة تقبل الأسئلة من التلاميذ ،وعدالة حل المشكلات ،وعدالة استخدام أساليب التقييم ،وعدالة انتظار إجابة التلاميذ على الأسئلة التي يطرحها المعلم ،ومراعاة مبدأ الفروق الفردية .أما بالنسبة لعدالة إدارة المدرسة مع التلاميذ فتتضح في عدالة توزيع التلاميذ على الفصول ،وعدالة توزيع الجدول المدرسي ،ومعاملة التلاميذ بصورة محترمة وعدالة تطبيق القواعد المدرسية ،ونظام التأديب في المدرسة ،وعدالة توزيع المدرسين على الفصول المختلفة (إحسان عطية،2014،ص295-297). وترجع كثير من المشكلات الأكاديمية التي تؤدي إلى مشكلات تربوية متراكمة مثل التسرب، والهدر التربوي؛ إلى غياب الإحساس بالعدالة من قبل التلاميذ. وتقتضي العدالة المحافظة على النسبة والتناسب بين المدخلات والمخرجات. حيث تمثل المدخلات ما يبذله الطالب من جهد تجاه المقرر، وفيما يخصصه من وقت في حضور المحاضرات والدروس العملية واستذكار الدروس والقيام بالواجبات والأنشطة الخاصة بالمقرر وتقييم المعلم لقدراته ومهاراته فيما يتعلق بمحتوى المقرر وطريقة

تعامل الأستاذ نع الطالب وشفافية الإجراءات والتقييم، وخبراته السابقة ومعدله الأكاديمي السابق، وغير ذلك من العوامل التي يقيمها الطالب ذاتياً ويقارنها بمدخلات زميل أو زملاء يمثلون الجماعة المرجعية. أما المخرجات فتمثل ما يحصل عليه الطالب من تقديرات أو درجات بالمقارنة بزميل أو زملاء آخرون يمثلون الجماعة المرجعية . ويدرك الطالب العدالة الأكاديمية عندما يشعر بأنه نسبياً حصل على مخرجات وعمليات تتناسب مع ما قدمه من مدخلات ،وبمقارنة ذلك بمدخلات أخرى. وهناك مكونات للعدالة الأكاديمية هي العدالة التوزيعية والعدالة الإجرائية والعدالة التعاملية والعدالة المعلوماتية. (هشام جاد الرب، عثمان الخضر،2016،ص 16-22)

6-أمنيات الأطفال المستقبلية Children hopes for the future

إن علاقة الطالب بالمجتمع تجعله يتشبع بالأفكار السائدة فيه ويحاول ألا يخالفها تاركاً هامشاً صغيراً من الحرية الفردية التي تبرز خصوصيته والتي تبرز تصوره الخاص بمستقبله سعياً إلى استقطاب اهتمام الآخر وتقديره ونيل مكانة اجتماعية مقبولة أو مرموقة . وما يخالف هذه الأحاسيس والتصورات سيجعل الطالب يعيش في خيبة أمل وقلق من المستقبل، وتهتز قيمته مع نفسه ويفقد صلته بالمحيطين وبمجتمعه (منى عتيق ،2013،ص410). فتصورات الطالب المستقلة تعكس معايير النجاح الاجتماعي الي يتبناها الفرد. ويتصور المراهقون المهنة بوصفها وسيلة للعيش الكريم ووسيلة لتحقيق الذات، ويملكون مواقف متناقضة تجاه الثقة في المستقبل نتيجة انتشار البطالة(لطيفة زوالي،2011،ص176).

كما أن تصورات الطالب نحو المستقبل ترتبط بهويته الاجتماعية ويؤثر كلاهما على الآخر حسب منطق الطلبة لمستقبلهم كلما اهتزت هويتهم الفردية والاجتماعية والعكس صحيح . فتصورات المستقبل تشير إلى مختلف القيم والآراء والمواقف تجاه المشروع المستقبلي الدراسي والمهني .وتؤدي التجربة المدرسية الطويلة إلى قراءة الواقع الاجتماعي والمهني وتسلسلها على ضوء فئة القدرات العقلية التي تتطلبها ؛ فالنظام المدرسي هو نظام لترتيب التخصصات المدرسية التي تتماشى بالتوازن مع نظام توزيع الأفراد. وينجم عن ذلك أن بعض التخصصات تتميز عن تخصصات أخرى ومهما كان السبب فالنموذج المهني الوحيد الذي يقترح بصفة دائمة للطلاب ويعاني من أحكام مسبقة سلبية هو نموذج مهنة المعلم (لطيفة زوالي ،2011، ص164). وقد كانت الأمنيات الواقعية النفعية والأمنيات المرتكزة حول الذات فإن النسبة الأكبر من الأمنيات الشائعة لدى الأطفال فالأمنيات تعبر عن أنماط التفكير الخيالي لدى الأفراد أو انعكاساً لنمط التفكير بالتمني المرتبط مما يراود الأفراد من تسجيلات مع محاولة استشفاف وظيفتها النفسية في البناء

الكلي للشخصية أو أن الأمنيات لدى الأطفال تعبر عن توجيهات الفرد نحو المستقبل ورغبته بتوقعاته وخططه المستقبلية (أيمن عامر ، 2010).

7-الذات الافتراضية Virtual Self

يعيش الإنسان اليوم عصر الموجة الثالثة كما أسماها ألفين توفلر ؛ عصر الكوخ الالكتروني القائم على تكنولوجيا الانترنت ؛ عصر أصبح الإنسان فيه لا يسعى إلى الاقتراب من البعيد إلا ابتعاداً عن القريب ، إنه لا يدنو من الغائب إلا فراراً من الحاضر ولا يتواصل مع البعيد إلا هروباً من القريب ؛إنه يعيش في مجتمع افتراضي (غمشي الزهرة ، 2017، ص 37).

وقد جعل هذا البعض ينسج لنفسه عدداً من السمات والخصال التي ربما يفتقدها كلية في ذاته الواقعية ليعرف بما يطلق عليه الذات الإفتراضية؛ تلك الذات التي يشكلها الفرد بنفسه دون قيود أو تأثيرات محيطة. وترجع بارة سمير (2018) ذلك إلى نجاح مجتمعات التواصل في غرس ما يؤثر على الهوية لتكون ما يسمى بالمواطنة الافتراضية الناجمة عن ذات إفتراضية لدى بعض الأفراد.

ومن أحدث الدراسات التي تناولت الذات الإفتراضية دراسة فيولا فارس الببلاوي (2018) والتي تناولت فيها معالجة نظرية للمفهوم واعتبرته بعداً رابعاً يضاف لمفهوم الذات التقليدي وفقاً لنظرية الذات عند روجرز هيجنز ليضاف إلى أبعاد الذات الواقعية والذات المثالية والذات الواجبة ؛كما ترى في دراستها أن الذات الافتراضية تتحدد داخل نسق مفهوم الذات على أنها حضور نفسي "على الخط" داخل عالم افتراضي رقمي كما يدركه الفرد تحكمه عمليات من التفاعل الدينامي اقترابا وبعداً مع الذات الواقعية والمثالية والواجبة ،وقد تعرف لذلك أحياناً ب " الذات الرقمية "

ثالثاً : توجهات حديثة في التربية الخاصة

إذا ما انتقلنا إلى مجال" التربية الخاصة " الذي هو أيضا ذا صلة وثيقة بتخصص الصحة النفسية إلى حد بلغ وجود نوع من الإرشاد النفسي يعرف بإرشاد ذوي الاحتياجات الخاصة؛ فسنجد له أيضاً توجهات تتصف بالحداثة إلى حد ما ومن أهم تلك التوجهات "**احترام الاختلاف بين العقول**" فليس من لا يملك قدرات عقلية متوسطة لا يملك قدرات غيرها، لقد تغيرت النظرة تماماً بحيث أصبح الاعتقاد بأنه لابد أن هؤلاء يمتلكون الكثير مثل المواهب الفنية باختلاف أشكالها وبذلك أصبحت الحاجة ملحة لتنوع أنماط التعلم المقدمة لهم ولذلك أصبح التوجه نحو اكتشاف ما لديهم من قدرات كامنة. أيضاً يعتبر" الدمج الشامل "Inclusion توجهاً جديداً في مجال التربية الخاصة حيث لوحظ في الفترة الأخيرة التوسع في تطبيقه داخل الأنظمة والمؤسسات ،وهو يختلف عن مفهوم الدمج Mainstreaming لذوي الإعاقات البسيطة في إتاحة

الفرص لذوي الإعاقات أياً كانت نوع إعاقتهم أو شدتها ليدرسون في فصول مناسبة لأعمارهم مع أقرانهم العاديين في مدرسة قريبة مع توفير الدعم الكامل لهم في جميع النواحي.

أما "نظرية العقل"Theory Of Mind فقد كانت توجهاً آخر لمع في سماء مجال التربية الخاصة في الآونة الأخيرة ،وعلى الرغم من توظيفها إرشادياً في خفض عدد من الاضطرابات لدى الأسوياء إلا أن ظهورها بشكل أكبر كان في مجال التربية الخاصة ولا سيما مع الأطفال المعاقين ذهنياً القابلين للتعلم، حيث تشير النظرية إلى الكيفية التي يتعامل بها الفرد مع أفكار ومعتقدات ومشاعر الآخرين من فهم وإدراك وتنبؤ(ريم عبدالله،2013 ،ص198) .ويشير كلا من يرميا وسيجمان (Yirmyia & Sigman,2003) إلى نظرية العقل باعتبارها القدرة على استنتاج وتقدير الحالات العقلية مثل الاعتقادات ،والرغبات والنوايا والانفعالات حيث أنها تشير إلى أن الأطفال المعاقين عقلياً يواجهون صعوبات في القدرة على الاستنتاج كما يجدون صعوبة في تصور أو تخيل الإحساس والشعور لدى الآخرين أو ما قد يدور بذهن الآخرين من تفكير وهذا بدوره يقود إلى ضعف مهارات التقمص العاطفي وصعوبة التكهن بما قد يفعله الآخرين.

فنيات إرشادية حديثة في مجال التربية الخاصة:

***فنيات الإرشاد المختصر المتمركز حول الحل Solution-focused brief Counseling**

يهدف إلى تحقيق التوافق النفسي والاجتماعي للفرد عن طريق مساعدته في اكتشاف نقاط القوة الموجودة لديه والتركيز على تجارب النجاح لديه بدلاً من تجارب الفشل ومساعدته في وضع حلول لمشكلاته حيث يركز المرشد من خلال تعونه مع العملاء في كيفية إيجاد طرق فعالة يمكن من خلالها حل المشكلة بدلاً من استغراق الوقت في التعرف على الأسباب الجذرية التي أدت إلى حدوث المشكلة. ويستخدم في هذا الأسلوب عدد من الفنيات من أهمها(شادي محمد،2015):

ـ السؤال المعجزة Miracle Question

حيث يستخدم المرشد سؤال يتعرف من خلاله على وجهة نظر عملاؤه حول أنفسهم إذا ما تخلصوا من مشكلتهم وهو يقصد به غرس الثقة لديهم والاعتقاد بأنهم قادرون على حل مشكلتهم.

ـ حديث الحل Solution Talk

ينخرط هنا المرشد في حوار مع العميل محاولاً معه البحث عن حلول مقترحة والاشتراك في تفنيدها واختيار أفضلها.

ـ التشجيع Encouragement حيث يكون التحفيز بصورة مستمرة وذلك بالمجاملة طلباً لإحراز المزيد من التقدم.

***فنيات بإستخدام الفن Art**

هي طريقة تقوم على تناول واستخدام وسائل التعبير الفني وتوظيفها بأسلوب منظم ومخطط لتحقيق أغراض علاجية وتنموية في أنشطة فردية أو جماعية حرة أو مقيدة وذلك وفقاً لأهداف العملية الإرشادية .كما يعد الإرشاد بالفن تهذيب وتعبير مرئي للتخيل الذي يظهر تلقائياً عند الاستجابة لخبرات الحياة المتنوعة حيث تتحول هذه الخبرات إلى صور أو ناتج بصري مثل الرسم ،التصوير، النحت، التلوين أو أي شكل آخر للتعبير والتي يتم فحصها من المرشد ليس لقيمتها الجمالية وإنما للمشاعر الشخصية والأفكار والخبرات التي تعكسها. والعلاج بالفن يجمع مابين أكثر من اتجاه في الإرشاد النفسي مثل التحليل النفسي والعلاج الجشطلتي والطريقة الوجودية وبالرغم من أهميته إلا أن هناك صعوبة في ممارسته حيث يتطلب مرشداً مٌعد فنياً ومهنياً قبل أن يمارس فعلياً الإرشاد النفسي ولذلك فهو قاصر على فئة قليلة تتوفر فيها تلك السمات .وقد وصف العلاج بالفن بأنه طريقة شمولية لا تستخدم فقط من اجل التنفيس الانفعالي ولكنه يستخدم من أجل تحسين النمو الصحي والاجتماعي للأفراد وتقليل درجة الاكتئاب والقلق خصوصاً في المراحل العمرية المتأخرة كما يستخدم العلاج بالفن مع الأفراد الذين لديهم خبرات سلبية وصعبة ولا يستطيعون التعبير عتها بشكل مباشر إذ يكسبهم العلاج بالفن فهماً أفضل للقضايا المرتبطة بمشكلاتهم(Pretorius & Pfeifer,2010). وتتعدد فنيات العلاج بالفن مع مختلف الأعمار وتعتبر الفنيات التالية هي الأكثر استخداماً به (Buchalter,2011):

ـ الرسم Drawing :يزود الرسم الأفراد بالحرية للتعبير عن عالمهم الداخلي والخارجي بالطريقة التي يختارونها حيث تتميز هذه الطريقة بعدم وجود الأحكام.

ـ الموسيقى/الحركة Music/Movement : بالاستناد للجمعية الأمريكية للعلاج بالموسيقى أو الرقص /الحركة فإن الإرشاد بالموسيقى يعرف بأنه طريقة تستخدم الحركة كعملية تعزز التكامل الجسدي المعرفي والانفعالي الاجتماعي للفرد بحيث تحسن لديه الناحية الاجتماعية والاتصال بالآخرين.

ـ التعبير الإبداعي Creative Expression: ويقصد بها الكتابة اليومية بشكل إبداعي وتتضمن كتابة القصائد أحياناً، ويعمل التعبير الإبداعي على تزويد أفراد المجموعة بالفرصة لمشاركة مشاعرهم وخبراتهم بطريقة شخصية وفنية.

ـ الكولاج Collage : وتعطي هذه الطريقة للأفراد الفرصة بالتعبير عن أنفسهم بحرية باستخدام مصادر متنوعة مثل: أدوات النسيج، الأوراق، الصور، صور المجلات، أشكال من المعجون، قطع الخشب، وغيرها من الأدوات بحيث يقوم الفرد من خلالها بتصميم شكل خاص به ولهم الحرية في استخدام الرموز.

ـ الجداريات Murals: يعمل هذا الأسلوب على تعزيز العمل الجماعي للأفراد وتعزيز العمل الاجتماعي بينهم .فأمر الجدارية بينهم شورى يتناقشون فيما بينهم ويتخذون القرار بشأنها.

ـ السيكودراما psycho Drama: يهدف هذا التكنيك الى مساعدة الأفراد على استكشاف أوضاعهم الحالية التي يعيشونها في الوقت الحالي وأيضاً في الماضي وفي المستقبل .حيث تقوم فكرة السيكودراما على تمثيل الأوضاع التي قد تشتمل على أحداث محددة في حياة الفرد.

وقد ثبت فعالية الإرشاد بالفن في دراسات عربية وأجنبية حديثة مثل دراسة(فاتن محمد،2017) ودراسة (سها عبدالرزاق،2018) حيث ثبتت فعاليته في دراستها مع الأطفال ذوي صعوبات التعلم.

***فنية بمساعدة الحيوان Animal-assisted**

يعتبر أحدث توجه في عالم الإرشاد النفسي حالياً والمعلومات عنه إلى حد ما محدودة لقلة الدراسات في هذا الشأن.

يعتمد الإرشاد بفنية مساعدة الحيوان على العلاقة بين الحيوانات والبشر من أجل المساعدة في تحسين وظيفة الفرد والحفاظ عليها كما يستخدم مع المسنين لتحسين نوعية الحياة لديهم .ويهدف هذا الأسلوب إلى تحسين أداء المريض اجتماعيا وانفعالياً ومعرفياً. ويشمل هذا النوع من الإرشاد إرشاد بمساعدة الكلاب وإرشاد بمساعدة الخيول وإرشاد بمساعدة الدلافين(Florence,2018) .

تقوم فكرة هذا الأسلوب على فرضية أن بقاء الإنسان تعتمد جزئياً على إشارات من الحيوانات في البيئة تشير إلى السلامة أو التهديد فإذا رأينا الحيوان في حالة راحة أو في حالة سلمية فقد يشير هذا إلى سلامة وأمن ومشاعر الرفاهية التي تؤدي بدورها إلى حالة يمكن فيها التغيير والشفاء بشكل شخصي. ويستخدم هذا الأسلوب مع كبار السن والأطفال ونزلاء السجون حيث يمكن استخدامه كأسلوب مستقل أو بمشاركة طرق تقليدية في الإرشاد النفسي. فمثلاً بالنسبة لاستخدامه مع الأطفال، يذكر بيوفيلا Biophilla مؤسس هذا الاتجاه أنه يتم الاعتماد على تقنيات مثل مراقبة سلوك الطفل في تعامله مع الحيوان من أجل الحصول على معلومات قد لا يجيد الطفل التعبير عنها. كما أنه يستخدم أحياناً كأسلوب للإلهاء عندما يتعلق الأمر بمواقف مختلفة كالألم ، كما يمكن أن يجلب ذلك السعادة والترفيه له فالحيوانات تساعد في تحسين الحالة المزاجية للطفل وتعزيز السلوك الإيجابي مع المساعدة في ذات الوقت على تقليل السلوك السلبي. وعلى مستوى مجال التربية الخاصة فإن هذا الأسلوب يستخدم مع اضطراب فرط الحركة واضطراب طيف التوحد (Bashi & Parish,2017).

***فنية التعقل Mindfulness**

إن التعقل هو ذلك التدريب الذي يؤهلنا لأن ندرب أنفسنا بشكل منتظم على الثقة في مواجهة أياً ما يظهر من أحداث في حياتنا وما تتضمنه من خبرات وصعوبات وتحديات دون أن نتجنبها أو نتهرب منها .ويعتمد التعقل على عدد من الفنيات التي تعمل على تنمية الوعي ،يسمى بعضها بالممارسات المنهجية حيث يقوم فيها المرشد بهدف توجيه الانتباه وهي مثل التنفس المتعقل والمشي التأملي ؛والبعض الآخر هو ممارسات غير منهجية تستمر لفترة أقصر وتهدف إلى تطبيق تدريبات التعقل في حياة الفرد اليومية ومن أمثلتها التفكر .

وقد استخدم التعقل مندمجاً مع أنواع من الإرشادات المختلفة مثل العلاج المعرفي المعتمد على التعقل والعلاج السلوكي الجدلي القائم على التعقل (Nelson,2009).وقد استخدمتها مؤخراً ميسرة حمدي(2017) في تحسين الخلل النوعي للمدخلات الحسية لدى الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد.

رابعاً: توصيـات

في ضوء ما تم عرضه من توجهات ظهرت في نتائج البحوث والدراسات المعاصرة مؤخراً ؛ تقدم الباحثة عدداً من التوصيات لتفعيل تلك التوجهات على مستوى الأسرة والمؤسسات التعليمية والمجتمع وفيما يلي تلك التوصيات :-

-توعية الأسر بالنماذج المثلى للتعامل مع أدوات العصر الحديثة كالهواتف الذكية وشبكات التواصل الاجتماعي.

-الاهتمام بتوعية الأسر بطرق إشباع الاحتياجات النفسية لأبنائهم بطرق سليمة.

-الاهتمام بتوفير العدالة الأكاديمية لتلاميذ المدارس وتدريب المعلمين ومديري المدارس على كيفية تحقيق ذلك بين التلاميذ.

-توفير المقاييس والأدوات التشخيصية اللازمة لقياس المتغيرات النفسية المستجدة لدى الشرائح المختلفة مثل النوموفوبيا ، العدالة الأكاديمية ، والأمنيات المستقبلية للأطفال.

-نشر الوعي بين شباب الباحثين بأهمية استخدام الفنيات الحديثة لإرشاد ذوي الاحتياجات الخاصة مثل فنية التعقل ، وفنيات الفن.

-توفير قدر من التواصل الأكبر بين وسائل الإعلام المختلفة والباحثين في مجال الصحة النفسية لإطلاع المجتمع أولاً بأول بالظواهر المستجدة في المجتمع.

-السعي إلى عقد مؤتمرات تبرز إيجابيات الثورة الرقمية والتكنولوجية وكيفية الاستفادة منها في عمليات الإرشاد النفسي بالمؤسسات التعليمية.

-تطوير رؤية ورسالة المراكز البحثية بالجامعات الحكومية والخاصة بما يتلاءم مع مستجدات العصر الحالي.

ـ قائمة المراجع :

المراجع العربية :

-إحسان شكري عطية (2014) . العدالة المدرسية وعلاقتها بالإنتماء المدرسي لدى تلاميذ الصف الثاني الإعدادي . *مجلة كلية التربية* ، *جامعة بورسعيد* ، 16(2) : 288-325 .

-إسلام جميل الطهراوي (2015) . الحاجات النفسية المشبعة لدى مستخدمي التواصل الاجتماعي "الفيس بوك " من طلبة الجامعات. *رسالة ماجستير*، قسم الصحة النفسية المجتمعية ، كلية التربية ، الجامعة الإسلامية بغزة.

-بارة سمير (2018) . تأثير المواطنة الافتراضية في ظل شبكات التواصل الاجتماعي على الهوية العربية :مقاربة لفهم العلاقة بين البناء والترهل . *مجلة مقاربات العلوم الإنسانية* ،المغرب ، (30) : 45-68 .

-بشير صالح الرشيدي .(2006).*الاضطرابات التالية للصدمة "دراسة إبيدمولوجية "* .ط1، الكويت، مكتب الإنماء الاجتماعي.

-جارح العتيبي (2008) . تأثير الفيس بوك على طلبة الجامعات السعودية. *رسالة ماجستير* ،جامعة الملك سعود، الرياض ، السعودية.

-رجاء مريم.(2006).فاعلية برنامج تدريبي لتنمية مهارات إدارة الضغوط النفسية المهنية لدى العاملات في مهنة التمريض. *رسالة دكتوراه* ، كلية التربية ،جامعة دمشق.

-ريم عبدالله محمد الكناني (2013).برنامج إرشادي قائم على نظرية العقل في تنمية التمييز الانفعالي لدى الأطفال المعاقين عقلياً القابلين للتعلم. *مجلة الإرشاد النفسي* ،مصر، العدد(35): 188-278.

-سها عبدالرزاق بدر(2018). فاعلية برنامج تدريبي قائم على العلاج بالفن لخفض اضطرابات الأداء الوظيفي للطلبة ذوي صعوبات التعلم .*مجلة دراسات العلوم التربوية* ،الأردن،45(1):123-138.

-شادي محمد السيد (2015). فعالية برنامج قائم على العلاج المختصر المتمركز حول الحل في تحسين مستوى تقدير الذات لدى التلاميذ ذوي صعوبات التعلم. *مجلة التربية الخاصة* ،مركز المعلومات التربوية والنفسية والبيئية بكلية التربية ،جامعة الزقازيق ،(1) :11-55.

-شرفية مونية (2010) .تأثير العبء الإدراكي على الانتباه الانتقائي البصري "دراسة تجريبية على المراقبين البحريين بالمؤسسة الميناائية بسكيكدة". *رسالة ماجستير*. كلية العلوم الانسانية والاجتماعية. جامعة الأخوة منتوري. الجزائر.

-صابرين زغلول السيد (2018).العالم الافتراضي وأثره في المجتمع المدني. *مجلة الاستغراب*. المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية ،مكتب بيروت لبنان، (11) : 267-282.

-غمشي الزهرة (2017) . الهوية الافتراضية بين الذات الأصلية والذات الزائفة : قراءة في الاغتراب الذاتي للمتلاعبين بالهوية عبر الفضاءات الافتراضية .*المجلة المغربية للعلوم الاجتماعية والانسانية* . المغرب ، (1) : 37-52.

-لطيفة زوالي (2011) . التصورات المستقبلية لدى المراهق المتمدرس . *مجلة دراسات نفسية وتربوية* ، مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية ، 7 : 156-185 .

-فاتن محمد المومني (2017).أثر برنامج إرشاد جمعي يستند إلى العلاج بالفن في خفض الاكتئاب والقلق وزيادة الرضا عن الحياة لدى كبار السن في دور الرعاية. *مجلة دراسات العلوم التربوية* ،الأردن،44(2):139-157.

-فيولا فارس الببلاوي (2018) . "الذات الافتراضية" دراسة في بناء المفهوم وتضميناته في الصحة النفسية والإرشاد النفسي .*المؤتمر السنوي الثاني والعشرون "بناء الشخصية الوطنية"* . مركز الإرشاد النفسي ،جامعة عين شمس،11-13 أبريل.

-منى عتيق (2013) . الطلبة الجامعيون بين تصور المستقبل وتأسيس الهوية الاجتماعية . *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية* . عدد خاص : الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري،(1) : 397-416.

-ميسرة حمدي شاكر (2017).فاعلية بعض فنيات مهام نظرية العقل في تحسين الخلل النوعي للمدخلات الحسية لدى الأطفال ذوي اضطراب طيف التوحد .*مجلة كلية تربية أسيوط*،33(1): 459-500.

-نجلاء محمد فارس (2013). فاعلية التعلم الإلكتروني الموجه ذاتياً في تنمية مفاهيم الحماية من التعدي الإلكتروني والقدرة على التنظيم الذاتي لدى طلاب كلية التربية النوعية بجامعة جنوب الوادي، *مجلة كلية التربية بأسيوط*- مصر، 29(2): 232-279.

-هشام فتحي جادالرب، و عثمان محمود خضر (2016) . إدراك العدالة الأكاديمية لدى طلبة علم النفس قبل وبعد معرفة نتائج المقرر. *المجلة التربوية* ، الكويت ، 30(12) : 15-60.

المراجع الأجنبية:

-Akbulur,Y.,&Eristi,B.(2011).Cyber bullying and victimization among Turkish university students. *Australasian Journal of Educational Technology*,27(7):1155-1170.

-Ang, R. P., &Goh, D. H. (2010). Cyber bullying among adolescents: The role of affective and cognitive empathy, and gender. *Child Psychiatry & Human Development*, 41(4): 387-397.

-Bashi,K., and Parish-Plass.N.(2017).Animal assisted psychotherapy :A unique relational therapy for children and adolescents. *Clinical Child Psychology and Psychiatry*.22 (1):3-8, https://dio.org/10.1177/1359104516672549.

-Buchalter,I.S.(2011).*Art therapy and creative coping techniques for older adults*.Jessica Kingsely Publishers .London.UK.

-Bragazzi,N.&Puente,G.(2014). A proposal for including monophobia in the new DSM-V. psychology research and behavior management ,7:155-160.

-Chiari,G.(2017).*George A. Kelly and his personal Construct Theory*. IBook store. Available at kellysociety.org

-Florence E.Ho.(2018).The use of animal –assisted therapy in the hospital setting by child life specialists. *Master of Arts in education* .Mills College, USA .available at Proquest LLc n.10811408.

-Gander,F;Proyer,R T.;Rush,W;Wyss,T.(2013). Strength based positive interventions: Further Evidence for their potential in enhancing well-being and alleviating depression. *Journal Of happiness Studies*, 14(4):1241-1259.

-Kwon,M.,Lee,J-Y,Won,W-Y,Park et al.,(2013). Development and validation of smartphone addiction scale (SAS),8(2).Retrived at : www.plos.one.org

-Li, Q. (2006). Cyber bullying in schools a research of gender differences. *School psychology international*, 27(2): 157-170.

-Mallen, M. J., Jenkins, I. M., Vogel, D. L., & Day, S. X. (2011). Online counselling: an initial examination of the process in a synchronous chat environment. *Counseling and Psychotherapy Research*, 11 (3): 220-227.

-Nelson,E.(2009).Contextual effects and early theory of mind skill development .*master dissertation*, the graduate school at the university of North Carolina .available on line at http://Proquest .umi.com/login.

-Pretorius,G.,&Pfeifer,N.(2010).Group art therapy with sexually abused girls. *South African Journal Of Psychology*,40(1):63-73.

-Proyer,R.T.,Rush,W.,& Bushor,C.(2013).Testing strengths based interventions: A preliminary study on the effectiveness of a program targeting curiosity ,gratitude, hope, humor ,and zest for enhancing lifesatisfaction.*Jornal of Happiness Studies*.14(1):275-292.

-Schunk,D.,(2000*). Learning Theories: An educational perspective*.3rd.Ohio, Prentice Hall Columbus.

-Woodworth R J,O'Brien-Malone A, Mark R.D,Schuz B.(2016). Happy days: Positive psychology interventions effects on affect in a an N-of-1 trial. *International Journal of clinical and health psychology*, 16:210-229.

-Willard, N. (2005). *Educator's guide to cyber bullying, cyber threats, & sexting*. Center for Safe and Responsible Internet.

-Yirmyia N.&Sigman C.(2003).seration conservation and theory of mind abilities in individuals with Autism individuals with mental retardation and normally developing children .*Child development* , (67):2045-2059.

مساهمة الثقافة المرورية في التقليل من ظاهرة حوادث المرور.

د/ لحبيب بن عربية.

جامعة تلمسان ـ الجزائر.

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة دور ومساهمة الثقافة المرورية في الحد من ظاهرة حوادث المرور وقد استخدم المنهج الوصفي في هذه الدراسة ، معتمدا على مجموعة من الأدوات في جمع المادة العلمية ومن أهمها الاستبيان ، وقد بلغ حجم العينة 56 سائقا تم اختيارهم وفق أسلوب العينة القصدية وقد توصلت الدراسة إلى نتائج عديدة من أهمها أن السائقين لا يقومون بفحص المركبة بشكل منتظم ، كما أن نسبة عالية يشغلون أنفسهم بأشياء مختلفة أثناء القيادة كالتدخين أو استخدام الهاتف النقال وغيره ، كما وجدت الدراسة أن من لا يستخدم حزام الأمن أثناء القيادة تمثل شريحة ليست قليلة.

الكلمات المفتاحية: الثقافة المرورية – السائقين – حوادث المرور – السيارات – نظام المرور.

Abstract :

This study aims to recognize the meaning of the contribution of traffic Culture and it is importance in supporting the traffic system and it is relation to the traffic accidents, this study used descriptive method which depended on group of tools in collecting the Scientific Subject the importance one is the statistic, where the Sample Size amount (56) Nine Hundred drivers Chased according to Column sample. The study gets to number of results, that the drivers can not examine the Cars in organized form and most of them not care while they one driving, most of them performs various things such as smocking, using mobile, also the study found that few of them not use the safety belt where various rates of the sample not understands the traffic signs.

Keywords: traffic Culture – drivers - traffic accidents - cars - traffic system.

1.مقدمة:

تعتبر ظاهرة حوادث المرور من أكبر المشكلات التي تعاني منها المجتمعات المعاصرة، حيث أصبحت الوضعية كارثية، فهي تخلف حسب دراسة قامت بها الهيئة الدولية للوقاية من حوادث المرور مليون ومائتي قتيل (1.200.000) و خمسين (50) مليون جريح وخمسة ملايين وخمسمائة ألف (5.500.000) معاق إعاقة كاملة.

وتشير بعض الدراسات إلى أن حوادث المرور سوف تكون السبب الثالث للوفيات في العالم بعد الكوارث والحروب. (ربيعة صولحي،2000 ص52).

فالجزائر كغيرها من البلدان عرفت وضعية المرور توسعا سريعا وتطورا كبيرا طبعته سلسلة من الاختلالات تجلت من خلال عدم التوازن بين معدلات النمو في القطاع والاحتياجات الضرورية لذلك، الأمر الذي نجم عنه تزايد مفرط في عدد حوادث المرور والأخطار المترتبة عليها.

فالمجتمع الجزائري يعاني اليوم آفة اجتماعية خطيرة ألا وهي ظاهرة حوادث المرور، التي هي في تزايد مستمر حيث تحوز الجزائر الرقم القياسي في نسبة حوادث المرور على الطرق، فهي تتصدر أعلى نسب حوادث المرور في العالم، حيث فاقت ايطاليا باثنتي عشرة مرة، والولايات المتحدة الأمريكية بثلاث عشرة مرة، وفرنسا بعشر مرات، وبلدان أوروبا الشمالية بخمس وعشرين مرة، ومنه فإن حوادث المرور تشكل لا محالة خطرا حقيقيا يمس المجموعة الوطنية ككل دون تمييز في السن أو الشرائح الاجتماعية أو المهنية.

إن الموضوع يكتسي أهمية بالغة في حياة الجزائر التي تعرف قفزة اقتصادية متزايدة، وتملك حظيرة معتبرة من السيارات في ظل انعدام أمن الطرق وتدهورها في كثير من الأحيان وعدم صيانتها .مما يصعد من حوادث المرور التي كثيرا ما ذهب ضحيتها أناس.

فعلى سبيل المثال يتجاوز عدد سيارات الحظيرة الايطالية مثيلتها في الجزائر باثنتي عشرة (12) مرة ، لكن عدد حوادث المرور في الجزائر يتجاوز ما تسجله ايطاليا من حوادث بتسع (9) مرات، فالأهمية التي يكتسيها موضوع أمن الطرق وسلامة المرور هي أهمية تستمد من ارتباط هذه المسالة بحياة المواطن وانسجام الأسرة والمجتمع، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ترتبط هذه المسالة أيضا بالتزامات الدولة في التكفل بالضحايا والمنشآت المتضررة من حوادث المرور(ربيعة صولحي،2000 ص56).

وتؤكد بعض الدراسات أن الإنسان المتمثل في قائد المركبة له الدور الأكبر في وقوع الحوادث المرورية بنسبة 83 ٪ بينما العوامل الأخرى من طريق ومركبة تشكل النسبة الباقية أي حوالي 17٪ ، كما يؤكد بعض الباحثين أن المسبب الرئيسي للحوادث المرورية هو الإنسان وأن الأسباب الأخرى لا تمثل أسباب رئيسية لهذه الحوادث (السيف وآخرون ،1990ص25).

وقد رأينا أن ندرس مساهمة الثقافة المرورية لدى الإنسان وربطها بالعوامل المسببة لحوادث المرور كالمعرفة بالسرعة القانونية داخل المدينة وخارجها وعوامل تشتت الذهن أثناء القيادة وبعض مدلولات إشارات المرور.

2.أهداف الدراسة:

يمكن تلخيص أهداف هذه الدراسة في النقاط التالية :

1.دور الثقافة المرورية وأهميتها في دعم نظام المرور وعلاقتها بحوادث المرور.

2.معرفة الفروق الثقافية لدى العنصر الإنساني المستفيد من هذا النظام أو القائم على تنفيذه والمتمثل في شرطة المرور، ودور هذه الفروق في دعم نظام المرور أو الإخلال به.

3.إعطاء بعض الاقتراحات والتوصيات التي تساعد في حل كثير من المشكلات المرورية في مدينة تلمسان.

3.مشكلة الدراسة:

حيث أن الهدف الرئيسي من الدراسة الحالية معرفة الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث المرور، فقد وضعنا بعض التساؤلات التي سوف تكون الإجابة عليها ذات علاقة مباشرة بأهداف الدراسة. وهذه التساؤلات هي:

1 . هل الثقافة المرورية مرتبطة بالتحصيل العلمي للسائق ؟

2 . هل الثقافة المرورية مرتبطة بالمهنة التي يشغلها قائد المركبة ؟

3 . هل الثقافة المرورية مرتبطة بسن قائد المركبة ؟

4.منهج الدراسة:

كما هو معلوم فإن الدراسة العلمية لا بد أن تعتمد علي منهج علمي يتحقق من خلاله ما تهدف إليه الدراسة، ويترتب عليه نجاح البحث أو إخفاقه باعتباره الطريق الذي يستخدمه الباحث للإجابة علي الأسئلة التي تثيرها المشكلة موضوع الدراسة (يحي جمال، 1962ص85).

ونظراً لتعدد المناهج في الدراسات الاجتماعية فإن هذه الدراسة قد اعتمدت علي المنهج الوصفي التحليلي باعتباره يقوم بدراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بطبيعة الظاهرة ويعتمد علي جمع الحقائق وتحليلها وتفسيرها واستخلاص دلالتها ونتائجها (أحمد، 1986ص56).

اعتمدت هذه الدراسة علي مجموعة من الأدوات في جمع المادة العلمية سواء عن طريق الكتب ذات الصلة أو المقالات العلمية بهذا الخصوص، وكذلك الإحصاءات الرسمية حول حوادث المرور في منطقة الدراسة. أما الأداة الرئيسية التي اعتمدت عليها هذه الدراسة ولا سيما فيما يتعلق بالجانب الميداني فهي الاستبيان وهي وسيلة علمية يمكن بواسطتها الحصول علي معلومات من مجموعة من الأفراد حول ظاهرة أو مشكلة معينة (محمد علي،1985ص67).

5.عينة الدراسة:

بلغ حجم العينة (56) فرد ممن يقود سـيارة وقد اعتزم الباحث أن يتم اختيار عينة الدراسـة بطريقة عشوائية ولكن نظراً لعدم وجود معلومات وإحصائيات دقيقة عن مجتمع الدراسة ، فقد تم اختيار أفراد عينة الدراسة وفقاً لأسلوب العينة العمدية شملت اختيار شرائح المجتمع المختلفة.

6.الدراسات السابقة:

لا شك أن المجتمع المتحضر هو الذي يتمتع أفراده ووحداته ومؤسساته الاجتماعية بقدر كبير من أنماط السـلوك الحضـاري. ونعني به عدم التناقض بين الفعل والقول. فكلنا يعرف أن هناك فرقاً بين الحضـرية والتحضر(غيث ، 1980 ص22). ونرى وفق هذا المفهوم أن العلاقة وطيدة بين ثقافة الفرد في المجتمع الحضـري وبين سـلوكه وبالتالي بين الثقافة والمخالفات المرورية . ذلك لأن الثقافة تشـكل ضـابطاً لسـلوك الفرد دون الحاجة إلى وجود الرقيب (الغامدي ، 1993ص76).

1.6.الدراسـة الأولى: دراسـة بعنوان " وزارة المواصـلات دورها في تحسـين السـلامة المرورية " (المقبل 1998ص127) أظهرت المعلومات التالية :

عدد المركبات في العام 1969 في المملكة لم يتجاوز مائة ألف سيارة. وفى العام 1998 زاد عن خمسـة مليون سـيارة ، الأمر الذي أدى إلى ظهور تحديات كبيرة منها كثافة حجم حركة المرور ، وزيادة العبء على العاملين في قطاع المرور ، والحاجة إلى المزيد من الطرق وأن ذلك أثر بشكل مباشر على السكان في المملكة ، وادخل عناصـر سـلوكية جديدة ، واحتاج الأمر إلى وجود برامج لتدريب السـائقين ، وقد اعتبرت هذه الدراسة أن السائق يشكل العنصر الرئيسي في مشكلة المرور.

2.6.الدراسة الثانية: تشير دراسة أخرى بأن سلوك السائق والذي يستمد من ثقافته لها علاقة وطيدة بنمط قيادته للمركبة (Lauer, 1972) ، كما نجد أيضـا أن بعض الدراسـات تؤكد أن البيئة الثقافية المحيطة بالسـائق تؤثر في سـلوكه وفي أنماط قيادته سـلباً وإيجابا (Zaidi, 1992) كما وجد بعض الباحثين أن انخفاض المستوى التعليمي لدى السائقين والذي بدوره يؤثر في الوعي الاجتماعي والثقافي لدى الأفراد كان من أهم الأسباب وراء حوادث المرور. (Jinadu, 1984)

3.6.الدراسـة الثالثة: كما كشفت هذه الدراسـة عن حوادث المرور في مدينة الطائف عن التزايد المستمر عام بعد عام وان من أهم أسـباب تلك الحوادث هو السـرعة الزائدة داخل المدينة وخارجها وهذا يرجع إلى عدم وعي وثقافة قائد المركبة(الغامدي ، 1997ص17). كما أشـارت أيضـا بعض الدراسـات إلى أن عدم

التفكير الجدي والوعي الكامل ولا سيما لدى المراهقين هو السبب في ارتفاع نسبة الحوادث بين تلك الفئة من فئات المجتمع (Beamish and Maefetti,1996).

7- مفهوم الثقافة:

يتفق علماء الأنثروبولوجيا الثقافية على أن الثقافة هي موضـــوع دراســـتهم ولكنهم يختلفون في تعريفها ، عرفها البعض بأنها " السلوك المكتسب " وعند البعض الأخر الثقافة ليست السلوك وإنما هي " تجريدات مأخوذة من الســـلوك ، وبينما يعتبر البعض الأشـــياء المادية مثل الأدوات والآلات والملابس والمنازل داخله في نطاق الثقافة يرفض ذلك آخرون ، ويقررون أن الثقافة تقتصـــر على الأفكار وأنماط الســـلوك وفيما يتعلق بالعلماء الذين يعرفون الثقافة بأنها مجموعة من الأفكار نراهم يختلفون في تحديد مركز أو مكان تلك الأفكار قال بعضهم أن مكانها هو " عقول الأفراد موضوع الدراسة " وقال البعض أن مركزها هو " عقول علماء الأنثروبولوجيا " ويرفض البعض ذلك التعريف من أســاســه ويقررون أن الثقافة ليست الأفكار وإنما الأشياء الخارجية التي يمكن ملاحظتها حسياً.

ويجب ملاحظة أن تلك الاختلافات وغيرها لم تظهر إلا في العقود القليلة السابقة. ففي نهاية القرن التاسع عشـر وأوائل القرن العشـرين كان هناك شـبه اتفاق عام بين العلماء على الأخذ بالتعريف الشـهير الذي وضـــعه العلامة " تايلور" وافتتح به كتابه " الثقافة البدائية " وفيه يقول : " الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يشـــتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع " .

ويعود " تايلور " في موضـع آخر من الكتاب ذاته إلى تأكيد أن الثقافة تشـتمل على الأشـياء المحسـوسـة مثل الفأس والقوس والرمح وما إلى ذلك ، وكذلك على الفنون العملية مثل صـيد السـمك وإشـعال النار وصيد الحيوانات البرية

وصـــناعة الحراب ...الخ. ســيطر هذا التعريف على عقول علماء الأنثروبولوجيا لعقود عدة ، ولم تظهر الاختلافات المتناقضة إلا منذ ربع قرن من الزمان ، وأوضح تلك الاختلافات التعريف الذي توصل إليه العالمان الأمريكيان " كروبر وكلاكهون " وهو : " الثقافة تجريد " . ووافقهم على هذا التعريف بعض علماء الأنثروبولوجيا الثقافية في أمريكا حيث يرون أن الثقافة : تجريد مأخوذ من الســـلوك الإنســـاني الملاحظ حســـياً ولكنها ليســـت ذلك الســـلوك (Beals & Hoijer 1953) ، ويقولون : " لا يســـتطيع الأنثروبولوجي أن يلاحظ الثقافة مباشـــرة " ويقول " كوبر " في المعنى نفســـه بأنه يمكن للعالم أن يرى الأشياء والأشخاص وأفعالهم وتفاعلاتهم، ولكن لا يمكن لأحد أن يرى الثقافة .

8- خصائص الثقافة:

ينفرد الإنسان عن جميع المخلوقات بقدرته على صنع الثقافة والحفاظ عليها، ولكنه يشارك عدداً كبيراً من الحيوانات في المعيشة داخل مجتمع، بدأ صغيرا وأخذ ينمو ويتسع بمرور الزمن. وكل مجتمع بشري له ثقافة خاصة به تميزه عن باقي المجتمعات، وقد يحدث أن يوجد تشابه قوى بين مجتمعين لقوة الاتصال بينهما وتشابه المراحل التاريخية والبيئة الجغرافية. وبالرغم من وجود مثل هذا التشابه فإنه لا يصل أبدا إلى حد التطابق ، وذلك لأن كل مجتمع تتميز ثقافته بطابع خاص . وإذا صدق المبدأ القائل بعدم تطابق شخصين ، فبالأولى أن نقبل مبدأ عدم تطابق الثقافات . لأن الثقافة الواحدة يشترك في صنعها عدد كبير من الشخصيات بالإضافة إلى عناصر أخري غير إنسانية . واليوم إذ بحثنا في القرى العربية أو حتى في قرى دولة عربية واحدة نجد تميز ثقافة كل قرية بطابع خاص يميزها عن القرى الأخرى وقد تتمثل تلك الاختلافات في اللهجة أو في نظم الزواج أو في الرقصات الشعبية أو النظم الاقتصادية وما إلى ذلك ، وبالرغم من تلك الاختلافات الفرعية فإننا ندخل جميع القرى العربية في ثقافة كبرى ونطلق عليها ثقافة القرية العربية ، ويرى البعض أن جميع القرى في العالم تجمعها خصائص عامة بحيث يمكن أن نقول بوجود الثقافة القروية أو الزراعية ، وكذلك الحال بالنسبة للمجتمعات الحضرية وما إلى ذلك . وبرغم التباين الضخم بين ثقافات الإنسان سواء كانت تقليدية أو قروية أو تجارية أو صناعية فإنه يمكن التحدث عن خصائص عامة للثقافة تشترك فيها جميع الثقافات . وفيما يلي عرض موجز لتلك الخصائص (سعيد الغامدي،1993ص24).

8-1 . الثقافة إنسانية:

الإنسان هو الكائن الوحيد الذي منحه الخالق جهازاً عصبياً خاصاً وقدرات عقلية فريدة تتيح له إمكانية ابتكار أفكار وأعمال جديدة ، ويتميز ذلك الجهاز العصبى كذلك بقدرة فائقة على تغيير السلوك البشرى من وقت لآخر للتكيف مع الظروف البيئية والاجتماعية الجديدة دون الحاجة إلى ضرورة حدوث تغيرات عضوية ، فمثلاً انتقل الإنسان العاقل من المناطق الدافئة إلى مناطق باردة جداً وتكيف معها عن طريق اختراع الملابس المصنوعة من الصوف والفراء وكذلك عن طريق اختراع بناء السكن في داخل الثلوج واستخدام شحوم الحيوانات للتدفئة وما إلى ذلك ، وانتقل الإنسان كذلك من المناطق الدافئة إلى المناطق الاستوائية وتكيف معها باختراع أفكار وأعمال جديدة مثل عدم استخدام الملابس واختراع مساكن تخفف من الحرارة والرطوبة وما إلى ذلك . وانتقل الإنسان من طور جمع القوت إلى طور الصيد وأخيرا

إلى طور الرعي والزراعة دون ظهور تغيرات عضوية تذكر . وإنما الذي تغير هو ثقافته أي مجموع أفكاره وأعماله.

8-2 . الثقافة مكتسبة:

يكتسب الإنسان الثقافة من مجتمعه منذ مولده عن طريق الخبرة الشخصية، وبما أن كل مجتمع إنساني يتميز بثقافة معينة محددة بزمان ومكان معين ، فإن الإنسان يكتسب ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه منذ الصغر ، ولا تؤثر العوامل الفسيولوجية والسلالية في تلك العملية أي عملية التنشئة الثقافية والاجتماعية ، وهى عملية نقل ثقافة المجتمع ونظمه الاجتماعية إلى الطفل الذي يعيش فيه ، والمقصود بذلك أن أي طفل بشري مهما تكن السلالة التي يرجع إليها يستطيع أن يلتقط ثقافة أي مجتمع إذا عاش فيه فترة زمنية كافية ، فمثلاً إذا أخذنا طفلاً زنجياً من قبيلة الإيمو في نيجيريا ووضعناه في أسرة عربية منذ الصغر ، فإنه يتكلم العربية ولن يتكلم لغة الإيبو ، كذلك الحالة بالنسبة للنظم الثقافية الأخرى .

8-3 . الثقافة أفكار وأعمال:

يقوم الإنسان في كل مجتمع بإنشاء علاقات مع ثلاثة عوالم: العالم المادي والعالم الاجتماعي والعالم الفكري والرمزي. ولم يقف الإنسان مكتوف الأيدي أمام البيئة الجغرافية وعناصرها. وإنما أخذ يشكل فيها ويحولها إلى أدوات وآلات ومنازل ومدارس ومصانع . وهذه العناصر المادية تحولت إلى أعمال إنسانية بعد أن أثر فيها الإنسان. ويجب ملاحظة أن كل عمل إنساني لا يمكن أن يتم ما لم تسبقه فكرة وإرادة التنفيذ. وهكذا لا تخرج العناصر المادية للثقافة عن كونها أفكاراً مجسدة في أعمال. أما العالم الاجتماعي فيشتمل على النظم الاجتماعية التي تحدد علاقة الإنسان بأخيه الإنسان فتوجد النظم الاقتصادية من تعاون وملكية خاصة وملكية مشاعة وما إلى ذلك . وكذلك توجد النظم السياسية التي تحدد ظاهرة السلطة والقوة في المجتمع وعلاقة الحاكم بالمحكومين ، وهناك النظم العائلية والعادات والتقاليد ، إذا حللنا تلك العلاقات الاجتماعية نجد أنها ترجع في النهاية إلى تصرفات إنسانية وأفكار أي إلى أعمال وأفكار . وفى علاقة الإنسان بعالم الأفكار المجردة والرموز نجد نظما ثقافية تحدد تلك العلاقة بطابع معين في كل مجتمع إنساني . ومن أمثلة تلك النظم اللغة والدين والفن والقيم، وهذه النظم وإن كان يغلب فيها جانب الأفكار والعقائد والقيم إلا أنها لا تخلو من أعمال. يتضح مما سبق أن الثقافة إذا نظرنا إليها كعناصر أو مركبات ونظم أو حتى قطاعات لا تخرج في النهاية عن كونها أفكارا وأعمالا اخترعها الإنسان لسد حاجاته الأولية والثانوية (سعيد الغامدي،1993ص25).

8-4 . الثقافة اجتماعية:

تدرس الثقافة في الجماعات والمجتمعات ، وذلك لأنها عادات المجتمعات وليست عادات الأفراد ، وإذا درس الأنثروبولوجي سلوك الأفراد ليستنتج منها أنماط الثقافة ، فإنه يدرس هؤلاء الأفراد كأعضاء في جماعة معينة وليس بصفتهم الفردية . إن دراسة الفرد كشخصية متميزة هو موضوع علم النفس وليس موضوع الأنثروبولوجي ، وتختلف النظم الثقافية في مدى شمولها . فهناك نظم تطبق على جميع أفراد المجتمع الواحد ، وفى الغالب تتعلق تلك النظم بالمقومات الأساسية لوجود المجتمع واستمراره ومن أمثلة ذلك نظم الضبط الاجتماعي من عرف وقوانين . يتعرض المخالف لعقوبات متنوعة قد تصل إلى حد الإعدام. ولكن لا تتمتع كل النظم الثقافية بذلك الشمول في التطبيق، بل أن عددا كبيرا من النظم يطبق على جماعة معينة داخل المجتمع الواحد ولا يطبق على الجماعات الأخرى.

8-5.الثقافة المرورية:

يمكن النظر إلى الثقافة المرورية على أنها ضرورية في المجتمع أياً كان مستواه الحضاري طالما توجد به حركة سير للمركبات . كما لكل مجتمع ثقافة مرورية تدعم نظام المرور وتكون عاملاً هاماً سلباً أو إيجاباً في حركة السير وعدد الحوادث ونوعها . كما أنها ذات علاقة مباشرة في زيادة حجم الحوادث أو قلتها.

وإذا كانت الثقافة كما أسلفنا عبارة عن تجريدات من السلوك فإن الثقافة المرورية عبارة عن محصلة سلوك الكائن وليست تجريداً كما هي الثقافة بصفة عامة. فالسائق الذي يحافظ على نظام المرور ويتقيد به، ويسير وفق تعليماته يكون قليل المساهمة في حوادث المرور، إن لم يكن غير مساهم فيها بشكل مباشر. وهذا يعنى أن لديه ثقافة مرورية تضبط سلوكه وحركته في السير بالمركبة. وإذا كان للثقافة قطاعات تتشكل على هيئة عناصر ثقافية صغرى وتشكل عند اتحادها مع بعضها مركباً ثقافياً ومن ثم نماذج ثقافية. فإن ثقافة المرور ليست بعيدة عن ذلك. فإدراك السائق لمعاني إشارات المرور على اعتبار أنها صغرى في نظام المرور الأكبر. وتقيده بالتعليمات الخاصة بالسير في الاتجاهات المختلفة وتحديد السرعة داخل المدينة وخارجها، تشكل عناصر أخرى من نظام المرور.

أما الذوق العام للسائق وعدم إقدامه على مضايقة الآخرين أثناء القيادة، وتفهمه لظروف الآخرين وقيامه بمساعدتهم عند وقوع الحوادث، فهي عبارة عن سلوكيات تعلمها واكتسبها خلال حياته، وهى عناصر سلوكية خاصة بالسائق نفسه كما أنها عناصر صغرى في حركة السير التي هي جزء من نظام المرور. وكل ما تقدم يشكل المستوى الثقافي للسائق الذي نعتبره ثقافة مرورية لأنها تتعلق بنظام السير.

وقد أشرنا إلى أن للثقافة ثلاثة مواقع هي : أشخاص الإنسان ، والأشياء وعلاقات التفاعل، وهى عناصر هامة في مفهوم الثقافة . والأمر كذلك بالنسبة للثقافة المرورية فمن حيث:

1.أشخاص الإنسان والتي يقصد بها الأفكار والاتجاهات التي في عقول الأشخاص ، تكون ما يفهمه الأمر من أفكار مرورية تساعده على القيام بواجباته كسائق نحو الطريق ونحو نظام المرور، فهو يدرك أن حقه في الطريق لا يعنى تعديه على حقوق الآخرين وأن أفضلية المرور له لا تعنى غض النظر عن حاجة الآخرين الطارئة أو المفاجئة . وهذه بدورها تفسر على أنها اتجاهات السائقين.

2.أما الأشياء في الثقافة فهي كل شيء مادي محسوس يصنعه الإنسان ، وهذا ما هو بالفعل في نظام المرور الذي تتبلور حوله ثقافة المرور ، فالسائق يستخدم السيارة ويتعامل مع إشارة المرور ويحمل رخصة سياقة ولديه وثائق السيارة وهذه جميعها أشياء محسوسة.

3.أما الموقع الثالث وهو العلاقات وخطوط التفاعل في الثقافة المرورية فهي عبارة عن ملاحظة السائقين للسيارات التي تسير في الطرقات من الأمام والخلف واليمين واليسار ، لأن من شروط السائق الجيد قليل الحوادث والأخطاء ملاحظة حركة المرور والتفاعل معها باستمرار دون غفلة وشرود الذهن ، كما أنه في نفس الوقت يهتم كثيراً بإشارات المرور سواء ما كان على الطريق نفسه من إشارات أو على جانبي الطريق من تعليمات أو إشارات المرور المعروفة . فالسائق الجيد هو الذي يعرف ما رسم على طرق السير من علامات، وما تعنيه اللوحات الموجودة على جانبي الطريق، ولذا فإنه في عملية تفاعل مستمر مع كل ذلك.

الجانب التطبيقي (تحليل البيانات)

جدول رقم (1) توزيع أفراد العينة حسب السن

العمر	التكرار	النسبة
من 20 إلى من 40 سنة	11	19.64
من 40 إلى من 50 سنة	27	48.21
من 50 إلى من 60 سنة	13	23.21
60 سنة فأكثر	05	08.92
المجموع	**56**	**100**

يلاحظ من خلال الجدول رقم (1) أن هناك تفاوتاً في الفئات العمرية لأفراد العينة وتشكل الفئة العمرية من 40 إلى 50 سنة النسبة الأكثر شيوعا حيث تشكل نسبة 48.21٪ من إجمالي عدد أفراد الدراسة ، ثم

تأتي في المرتبة الثانية الفئة العمرية التي تقع بين 50 إلى أقل من 60 سنة حيث بلغت النسبة حوالي 23.21 ٪ من إجمالي عينة الدراسة بينما بلغت الفئة العمرية التي تقع أعمارهم ما بين من 20 سنة و 40 سنة 19.64 ٪ من إجمالي عدد أفراد العينة ، في حين تأتي الفئة العمرية الأخيرة وهم أصحاب الأعمار الأكثر من 60 سنة حيث بلغت نسبتهم حوالي 08.92٪ من إجمالي العينة وهذا التفاوت في الأعمار يعطي الدراسة بعداً ثقافياً قوياً حيث أن أفراد هذه العينة لديهم أنماط ثقافية متباينة حول موضوع الدراسة.

جدول رقم (2) توزيع أفراد العينة حسب المستوي التعليمي

المستوي التعليمي	التكرار	النسبة
ابتدائي	02	03.57
متوسط	14	25.00
ثانوي	25	44.64
جامعي	15	26.78
المجموع	**56**	**100**

يتضح من خلال بيانات الجدول رقم (2) أن نصف العينة تقريبا مستواهم التعليمي ثانوي حيث بلغت نسبتهم 44.64 ٪ ثم المستوى الجامعي بنسبة قدرت ب 26.78 ٪ تليها الفئة التي مستواها التعليم المتوسط بنسبة بلغت 25 ٪ . أما الحاصلين على الشهادة الابتدائية فقد بلغت نسبتهم 03.57 ٪.

فمن خلال ما سبق يتضح ارتفاع مستوى عدد الحاصلين على الشهادات الجامعية و الثانوية وهذا ما يعكس التطور في مجالات التعليم وهذه الدرجات المتفاوتة في مستويات التعليم لدى عينة الدراسة ، الأمر الذي سوف يؤثر بلا شك في تعاملهم مع قيادة السيارة وأنظمة المرور المختلفة.

جدول رقم (3) توزيع أفراد العينة حسب الفترة الزمنية التي يفحصون فيها مركباتهم

فترات الفحص	التكرار	النسبة
كل 6 أشهر	13	23.21
كل سنة	16	28.57
كل سنتين	18	32.14
إذا اقتضت الضرورة	09	16.07
المجموع	**56**	**100**

من خلال الجدول رقم (3) الذي يوضح توزيع العينة بحسب الفترة الزمنية التي يفحصون فيها مركباتهم التي يستعملونها اتضح أن النسبة الكبرى من أفراد العينة هي 32.14 ٪ أي الذين يقومون بفحص

مركباتهم كل سنتين ، ثم تأتي بعد ذلك فئة الذين يقومون بفحص مركباتهم كل سنة بنسبة 28.57 ٪ ، ثم تأتي بعد ذلك فئة الذين يقومون بفحص مركباتهم كل ستة أشهر بنسبة 23.21 ٪ ثم فئة الذين يقومون بفحص مركباتهم إذا اقتضت الضرورة بنسبة 16.07 ٪. نستنتج من هذا الجدول أن نسبة من يفحصون مركباتهم كل سنتين كبير، ولذا من المفترض أن يكون هناك فحصا دورياً للسيارات كل 6 أشهر وذلك من أجل السلامة والاطمئنان وبالتالي فإن صيانة المركبة بشكل دوري له دور كبير في تقليل حوادث المرور.

جدول رقم (4) توزيع أفراد العينة حسب أوقات تفقدهم للمركبة قبل القيادة

تفقد السيارة	التكرار	النسبة
دائما	18	32.14
أحيانا	32	57.14
لا تتفقدها	06	10.71
المجموع	**56**	**100**

يوضح لنا الجدول رقم (4) أن نسبة 57.14 ٪ من إجمالي العينة يقومون بتفقد سياراتهم قبل القيادة أحيانا، بينما نجد أن نسبة 32.14 ٪ يقومون بتفقد أوضاع وسلامة سياراتهم دائما وهذا مؤشر نوعا ما دون المتوسط، وأخيراً نجد أن نسبة 10.71 ٪ من أفراد عينة البحث لا يقومون بتفقد مركباتهم قبل القيادة.

جدول رقم (5) توزيع أفراد العينة حسب ما إذا كانوا يدخنون أثناء القيادة

النوع	التكرار	النسبة
نعم	17	30.35
لا	39	69.64
المجموع	**56**	**100**

من أبجديات السلامة المرورية هو التركيز التام أثناء قيادة المركبة وعدم الانشغال بأي أمر قد يسبب تشتت ذهن قائد المركبة . والجدول رقم (13) يكشف لنا أن نسبة 31.3 ٪ من أفراد عينة الدراسة يمارسون عادة التدخين أثناء القيادة وهذا قد يسبب انشغالهم أثناء القيادة مما قد يعرضهم أو يعرض الآخرين للأخطار بينما نجد أن نسبة 68.7 ٪ لا يمارسون تلك العادة أي عادة التدخين أثناء القيادة إما لأنهم لا يدخنون أصلاً أو أنهم برغم ممارستهم لعادة التدخين يمتنعون عن ممارسة تلك العادة أثناء القيادة

من أجل التركيز علي السير والقدرة علي مواجهة أي عارض قد يقع وهذا دليل علي وجود الوعي المروري لدي عينة الدراسة.

جدول رقم (6) توزيع أفراد العينة حسب استخدامهم للهاتف النقال أثناء القيادة

النوع	التكرار	النسبة
نعم	35	62.50
لا	21	37.50
المجموع	**56**	**100**

وباستطلاع بيانات الجدول رقم (6) يتضح لنا أن نسبة 62.50 ٪ من أفراد العينة يستخدمون الهاتف النقال أثناء القيادة بينما نجد أن نسبة 37.50 ٪ كانت إجاباتهم بأنهم لا يستخدمون الهاتف النقال أثناء القيادة وبالتالي فإن الناس يستخدمونه حتى أثناء القيادة على الرغم من خطره وأضراره التي قد تنتج عن استخدامه أثناء القيادة. وهذا بدوره يدل على ضعف في الوعي المروري.

جدول رقم (7) توزيع أفراد العينة حسب استماعهم للمذياع أو آلة التسجيل أثناء القيادة

الاستماع أثناء القيادة	التكرار	النسبة
نعم	53	94.64
لا	03	05.35
المجموع	**56**	**100**

من مطالعة الجدول رقم (7) تبين أن نسبة 94.64 ٪ من أفراد العينة يستمعون للمسجل أو المذياع أثناء قيادتهم للسيارة في حين تبين أن 05.35٪ من أفراد العينة لا يستمعون لذلك أثناء القيادة.

جدول رقم (8) توزيع أفراد العينة حسب فترات تغير عجلات السيارة

الفترة	التكرار	النسبة
سنة	03	05.35
سنتان	33	58.92
3 سنوات وأكثر	20	35.71
المجموع	**56**	**100**

من خلال نتائج الجدول رقم (8) يتبين أن نســـبة 58.92 ٪ من أفراد العينة يقومون بتغيير إطارات سيارتهم كل سنتين، ثم تليها الفئة التي تقوم بتغيير إطارات سيارتهم كل ثلاث سنوات بنسبة 35.71 ٪، في حين أن من يقوم بتغيير إطارات السيارة كل سنة شكلوا نسبة 05.35 ٪ من أفراد عينة الدراسة.

فمن خلال هذه الأرقام نلاحظ أن هناك تقصير في هذا الجانب ، فسلامة وجودة إطارات السيارة والعناية بإطارات السيارة سواء من حيث جودة اختيارها أو حسن استخدامها لها أثر كبير في السلامة المرورية ومرتبط بوعي قائد المركبة .

جدول رقم (9) توزيع أفراد العينة حسب ما إذا كانوا يعتقدون أن من الضروري استعمال حزام الآمن

ربط حزام الأمن	التكرار	النسبة
داخل المدينة	50	89.28
خارج المدينة	06	10.71
ليس له داعي أصلاً	00	00
المجموع	**56**	**100**

توضح بيانات الجدول رقم (9) أن النسبة الكبرى من أفراد العينة أي بنسبة 89.28 ٪ يعتقدون أنه من الضروري استعمال حزام الأمن سواء داخل المدينة أو في المسافات الطويلة، بينما ترى نسبة ضئيلة بواقع 10.71 ٪ من عينة الدراسة أن ربط حزام الأمن أثناء القيادة ليس له داعي أصلاً وهؤلاء لم يدركوا بعد أهمية ربط حزام الأمن.

ولهذا تشير بعض الدراسات إلى أن استخدام حزام الأمن له دور كبير في الوقاية من الإصابات عند وقوع حادث مرور، بل تعتبر مؤشر في خفض نسبة الوفيات الناجمة عن حوادث الطرق.

جدول رقم (10) توزيع أفراد العينة حسب تصرفهم عند وقوع حادث مروري

التصرف	التكرار	النسبة
تفسح المجال لسيارة الإسعاف	49	87.50
تسعف المصابين	04	07.14
تذهب دون تدخل	03	05.35
المجموع	**56**	**100**

يوضح الجدول رقم (10) تصرف أفراد العينة في حالة رؤيتهم لحادث مروري حيث اتضح أن نسبة 87.50 ٪ كانت إجاباتهم بأنهم يفسحون المجال لسيارة الإسعاف للوصول إلي موقع الحادث لإنقاذ

المصـــابين وهذا مؤشـــر إيجابي في تطور الثقافة المرورية لدي هذه الفئة ، في حين أن نســبة 07.14 ٪ من أفراد العينة ذكروا أنهم يقومون بإسعاف المصابين قبل وصول سيارات الإسعاف ولا سيما في الطرق الطويلة وهذه سمة من سمات الشخصية التي تحب مساعدة الآخرين في معظم الظروف. كما نجد أن نســـبة 05.35 ٪ من أفراد العينة كانت إجاباتهم بأنهم يذهبون ولا يقفون عند الحادث في حالة وقوعه. وعلي العموم نستطيع أن نؤكد من خلال البيانات السابقة أن سلوك أفراد العينة عند وقوع حادث مروري سلوكاً إيجابياً يساعد في إنقاذ مصاب إن وجد ولا يكون عائقاً في انسياب حركة المرور أو يكون سبباً في وقوع حادث آخر.

جدول رقم (11) توزيع أفراد العينة حسب ما إذا كانوا مؤمنين علي سياراتهم

التأمين	التكرار	النسبة
نعم	56	100
لا	00	00
المجموع	**56**	**100**

وعن سؤال أفراد العينة عما إذا كانوا مؤمنين على سيارتهم أم لا تبين من خلال بيانات الجدول رقم (11) كل أفراد العينة مؤمنين بنسبة 100 ٪ وربما السبب يعود لصرامة شرطة المرور ورجال الأمن في تطبيق القوانين وخاصة سحب رخصة السياقة في حالة عدم تامين السيارة.

جدول رقم (12) توزيع أفراد العينة حسب ما إذا كانوا قد ارتكبوا حادثاً مرورياً أم لا

النوع	التكرار	النسبة
نعم	51	91.07
لا	05	08.92
المجموع	**56**	**100**

يبين الجدول رقم (12) أن نسبة 91.07 ٪ من أفراد العينة قد ارتكبوا حادث مروري وهذا مؤشر على أن نســـبة الحوادث أياً كان نوعها مازالت مرتفعة وهي من القضـــايا المرتبطة بوعي وثقافة أفراد المجتمع. في حين نجد أن نسبة 08.92 ٪ من أفراد العينة كانت إجاباتهم أنهم لم يسبق لهم أن ارتكبوا حادثا مرورياً منذ بدء قيادتهم للسيارات.

جدول رقم (13) توزيع أفراد العينة حسب تصرفهم عند ارتكابهم حادثاً مرورياً

التصرف	التكرار	النسبة
توقفت	44	78.57
هربت	02	03.57
طلبت تدخل رجال الأمن	10	17.85
المجموع	**56**	**100**

أما عن تصـــرف أفراد العينة ممن ارتكبوا حوادث عند وقوعها فيوضـــح لنا الجدول رقم (13) أن الغالبية كانت تصرفاتهم وأفعالهم منطقية وتدل علي وجود وعي ومسؤولية عند أولئك ، فنجد أن نسبة 78.57 ٪ ذكروا أنهم توقفوا عند الحادث انتظاراً لوصول سيارة الإسعاف ، في حين أن نسبة 17.85 ٪ من طلب رجال المرور للحضـــور لتقويم الحادث وإجراء العمل اللازم وأخيراً نجد أن نســبة 03.57 ٪ قد تصـــرفوا وسلكوا سلوكاً مخالفاً للإجراءات النظامية ومخالفاً الأعراف وعادات وتقاليد وقيم المجتمع حينما ذكروا أنهم هربوا عند وقوع الحادث وهذا التصرف بلا شك له ضرر سواء على مرتكب الحادث أو على من وقع عليه الحادث.

جدول رقم (14) توزيع أفراد العينة حسب رأيهم في وسائل الإعلام تقوم بدورها المطلوب في توعية السائقين

الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	05	08.92
لا	51	91.07
المجموع	**56**	**100**

وعن دور وسائل الإعلام المختلفة عن ما إذا كانت تقوم بدورها تجاه توعية السائقين أم لا نجد أن بيانات الجدول رقم (14) يوضح أن نسبة 91.07 ٪ من عينة الدراسة ذكروا أن وسائل الإعلام لا تؤدي الدور المطلوب من خلال تثقيف وتوجيه سائقي السيارات نحو السلامة المرورية وإتباع أنظمة المرور من أجل تفادي كثيراً من المشـــكلات الناتجة عن ذلك ، في حين نجد أن نســـبة 08.92 ٪ من أفراد العينة كانت إجاباتهم أن وسائل الإعلام المختلفة لم تقم بالدور المطلوب منها تجاه السلامة المرورية والأمر يحتاج إلي مزيد من الجهد لبث الوعي حيال كثير من القضايا المتصلة بالمرور .

جدول رقم (15) توزيع أفراد العينة حسب متابعتهم لبرامج التوعية المرورية

الإجابة	التكرار	النسبة
نعم	22	39.28
لا	34	60.71
المجموع	**56**	**100**

بما أن قيادة السيارات سلوك إنساني فإنه بلا شك يتأثر ببرامج التوعية التي تقوم بها المؤسسات المختلفة ومن ضمن وأهم هذه المؤسسات وسائل الإعلام المختلفة التي أصبحت تلعب دوراً هاماً في توجيه سلوك الناس وبث قيم اجتماعية معينة.

وإيماناً بهذا الدور لوسائل الإعلام فقد قدمت الإدارة العامة للمرور نشاطات توعية مختلفة عبر وسائل الإعلام من أجل نشر الوعي المروري عبر أسبوع المرور على مستوى الوطن ، فإن برامج حملات التوعية هذه كانت عن طريق وسائل الإعلام باعتبارها أكثر فاعلية من غيرها في إيصال المعلومة وفي التأثير ، وبناء عليه فإن بيانات الجدول رقم (15) توضح أن نسبة 60.71 ٪ من أفراد العينة الدراسة لا يشاهدون برامج التوعية المرورية وعبر وسائل الإعلام المختلفة ، بينما نسبة 39.28 ٪ يشاهدوا تلك البرامج لانشغالهم بأمور عديدة.

جدول رقم (16) توزيع أفراد العينة حسب تقييمهم لتلك البرامج

الإجابة	التكرار	النسبة
مفيدة وتؤدي الغرض	13	23.21
غير مفيدة وليس لها تأثير	17	30.35
قلة برامج التوعية	26	46.42
المجموع	**56**	**100**

من خلال بيانات الجدول رقم (16) أن نسبة 23.21 ٪ من ممن يشاهدوا تلك البرامج يرون بأنها مفيدة وتؤدي الغرض في توعية قائد المركبات حول السلامة المرورية وأنظمة المرور التي يجب إتباعها ، بينما نجد أن نسبة 30.35 ٪ ذكروا أنها غير مفيدة وليس لها تأثير وتحتاج إلى مزيد من الإيضاح والتنويع والتشويق وأخيراً نجد أن نسبة 46.42 ٪ كانت إجاباتهم بان هذه البرامج الخاصة بالتوعية المرورية قليلة جدا إن لم تكن منعدمة.

مناقشة النتائج:

1. كشفت الدراسة أن نسبة 11.3٪ من مجموع السائقين لازالت دون المستوي المطلوب فعملية فحص السيارة بصفة دورية تدل علي الوعي بأهمية سلامة المركبة. وبالتالي سلامتها وسلامة السائقين والمركبات الأخرى. ونلاحظ أن نحو 32.14٪ منهم يقومون بالفحص من سنة إلى سنتين إلا عند الحاجة. وفى ذلك مخالفة للتعليمات التي تقضي بضرورة الفحص الدوري كل سنة.
2. كذلك نجد أن غالبية العينة لا يتفقدون مركباتهم قبل القيادة فإذا استثنينا نسبة 32.14٪ منهم الذين يفعلون ذلك دائماً فإن النسبة الباقية إما يفعلون ذلك أحياناً أو أنهم لا يفعلون . وهذا يؤكد أيضاً عدم الوصول إلى مرحلة النضج الثقافي عند أفراد العينة كما يوضح الجدول رقم(4).
3. كذلك أثبتت النتائج أن السائق يشغل نفسه أثناء القيادة بأشياء أخرى كالتدخين أثناء القيادة بنسبة 30.35٪ واستخدام الهاتف النقال أثناء القيادة بنسبة 62.50٪ كما يوضح الجدول رقم(5) والجدول رقم (6) كاستعمال المذياع وآلة التسجيل بنسبة 91.4٪. وفي هذا تأكيدات أخرى على عدم الوصول إلي مرحلة النضج وتدني المستوي الثقافي عامة. وثقافة المرور خاصة رغم أن المستوى التعليمي لدى أفراد العينة يعتبر مرتفعاً. فقد بلغت نسبة التعليم الثانوي وما فوق لديهم 44.64٪ والمرحلة الجامعية بنسبة 26.78٪ كما يبين الجدول(2) كما أنهم لا يهتمون بتغيير عجلات السيارات رغم ما تشكله العجلات القديمة من خطر. فنحو 35.71٪ من أفراد العينة لا يغيرون الإطارات إلا بعد مرور ثلاث سنوات سنتين فأكثر.
4. أما فيما يخص حزام الأمن الذي تركز عليه حملات المرور ويعتبر إجباريا في بلادنا فلا زال في نظر البعض غير ضروري ولا داعي له ولو فئة قليلة. إذ بلغت نسبة الذين يلتزمون بذلك 89.28٪ كما أن10.71٪ لا يربطون الحزام إلا داخل المدينة. وقد يكونوا علي غير قناعة بأهميته. ويستخدمونه فقط كي لا يحصلون على مخالفات بسبب عدم استخدامه.
5. الملف للنظر حسب إجابات أفراد العينة أن الكل مؤمن سيارته وهذا دليل على وعي أفراد العينة والقوانين الصارمة من طرف الدولة وشرطة المرور والنسبة توضح ذلك 100٪ في الجدول رقم (11).
6. كثرة ارتكاب أفراد العينة لحوادث المرور تدل على عدم ارتفاع مستوى الوعي لديهم فنسبة 91.07٪ سبق لهم أن ارتكبوا حادثا مروريا. وهي نسبة مرتفعة ومؤثرة، والجدول رقم (12) يبين ذلك. ومن بين هذه المخالفات منها السرعة المفرطة وعدم احترام إشارات المرور.
7. كما كشفت الدراسة أن أفراد العينة لا يشاهدون برامج التوعية المرورية وعبر وسائل الإعلام المختلفة ، بينما نسبة 39.28 ٪ يشاهدون تلك البرامج لانشغالهم بأمور أخرى والسبب في ذلك أن هذه البرامج الخاصة بالتوعية المرورية قليلة جدا إن لم تكن منعدمة.

خاتمة:

إن موضـوع الثقافة المرورية يكتسـي أهمية بالغة نظرا لتأثيره على حياة المواطن بصـفة خاصـة وعلى النشاطين الاقتصادي والاجتماعي للبلاد بصفة عامة .لهذا تتطلب دراسته عناية كبيرة كما أن أرقام الحوادث والقتلى والجرحى توضـح أن لهذا الموضـوع أهمية كبيرة يجب منحه عناية خاصـة. فمن خلال هذه الدراســة التي حاولت من خلالها التطرق بشــيء من الوصــف والتحليل، لواقع الثقافة المرورية ومسـاهمتها في التقليل من حوادث المرور من أجل الوصـول إلى سياسـة وقائية جادة قائمة على معايير قانونية وإعلامية مدروسة وموضوعية للقضاء على هذه الظاهرة التي حصدت معها المئات من الأبرياء . لأن دور وسـائل الإعلام والاتصـال في التوعية المرورية يعد من أهم الأدوار للتخفيف من حدة حوادث المرور، ولاسـيما إذا عملت وسـائل الإعلام مع كل الهيئات المختصـة لتسـطير برامج عملية إعلامية للتوعية والتحسيس ومعرفة درجة خطورة الوضع المتعلق بحوادث المرور. يمكن للإعلام معالجة المشاكل الاجتماعية المختلفة ومن بينها الظواهر المتعلقة باسـتعمال الطرق ويمكن للمؤسـسـات المهتمة بموضـوع الوقاية من حوادث المرور أن تعمل بالمشـاركة مع التلفزيون قصـد إعداد وبث حصـص تلفزيونية توعوية وتحسيسية تشارك فيها كل الهيئات المختصـة، دون أن ننسـى أهمية البحث العلمي .إن دور الإعلام في التوعية المرورية مرهون بمعلومات علمية قائمة على علاقة الفرد بقانون المرور وهذه المعلومات لا يمكن أن تتوفر إلا بعد بحوث علمية.

الاقتراحات:

يمكن إيجاز التوصيات والمقترحات في هذه الدراسة على النحو التالي:

1. تكثيف الحملات الإعلامية المرورية بصفة دائمة وتشديد العقوبات على من لا يحملون رخص القيادة، فتشديد العقوبة في مثل هذه الحالات سيؤدي دون شك إلى اختفاء هذه المخالفات بالتدريج ثم تزول في وقت قصير بما أن بعض السائقين لا يزالون يقودون سياراتهم بدون رخص القيادة وأن بعضهم لا يحترمون إشارات المرور، و يرتكبون المخالفات المرورية لأسباب متعددة.

2. تكثيف الدعاية المرورية والإرشادات التي تؤدي إلى تحسين العلاقة بين السائقين وشرطة المرور ، فالثقة بين الطرفين ليست على المستوى المطلوب، فالطرفان ينظران إلى بعضهما نظرة سلبية. فينبغي أن تركز الحملات الإرشادية علي كون شرطي المرور صديق للجميع وأنه عنصر هام في السلامة. وأن هدفه مساعدة الآخرين وليس إلحاق الأذى بهم. وعلى الجانب الآخر لا بد أن يتم توجيه شرطة المرور وإرشادهم

إلى ضرورة الشعور بأن هذا السائق أخ وصديق وقريب، وأن الغرض من وجود شرطي المرور هو مساعدته على تجنب الكوارث وتقديم المساعدات المطلوبة له.

3. دور وسائل الإعلام وخاصة القنوات الفضائية فهي مقصرة في أداء دورها في التوعية المرورية . حسب أراء بعض أفراد العينة. لأن وسائل الإعلام بمختلف أصنافها تعتبر من العوامل الرئيسية والمؤثرة في الثقافة بشكل عام. وفي ثقافة المرور بشكل خاص . متى ما كانت برامجها في المستوي المطلوب.

4. تنظيم دورات توعوية وإرشادية لشرطة المرور يتم من خلالها توجيههم إلى ضرورة ما يجب أن يقوموا به من مساعدات إنسانية لضحايا الحوادث.

5. تخصيص برامج التوعية المرورية لفئة الشباب سواء عن طريق وسائل الإعلام أو عن طريق المرور نفسه، بما أنهم الفئة الأكثر إزعاجا لشرطة المرور.

6. تضمين مناهج التدريب في مراكز التدريب على القيادة والتوعية على كيفية استخدام الهاتف النقال أثناء القيادة.

7. التركيز على متابعة مراكز تعليم قيادة المركبات والبرامج المتبعة فيها وعدم السماح بمنح إجازة القيادة إلا بعد اجتياز الاختبار.

8. مساهمة وسائل الأعلام بصورة دائمة في توعية المواطنين وسائقي المركبات بأهمية السلامة وكيفية التقيد بأنظمة وقوانين المرور.

قائمة المراجع:

1. السيف عبد الجليل وآخرون ،(1990) **دراسة أسباب ارتفاع نسبة إصابات حوادث المرور** في كل من منطقة مكة المكرمة والمنطقة الشرقية ووسائل تلافيها ، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية ، الرياض.
2. الصالح، ناصر عبد الله، (1997) **حوادث المرور بمدينة مكة المكرمة**، العلاقات المكانية والاتجاهات الزمنية، مركز بحوث العلوم الاجتماعية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
3. الغامدي ، خالد سعد ،(1999) ب**عض السلوك والممارسة لدي السائقين تجاه سلامة المرور بمدينة الجبيل** ، الندوة الوطنية لسلامة المرور.
4. الغامدي ، سعيد شباب ،(1998) **حوادث المرور في مدينة الطائف وضواحيها وعلي الطرق الخارجية الرئيسية لها** ، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة أم القرى.
5. الغامدي ، سعيد فالح ، (1993)**التشابه والاختلاف في بعض عناصر الثقافة غير المادية في الوطن العربي** : دراسة تحليلية مقارنة لدورة الحياة ، مجلة القاهرة للخدمة الاجتماعية ، مجلد 5 .
6. الغامدي ، علي سعيد ،(1997) **أسباب حوادث المرور في المملكة العربية السعودية**، المؤتمر الوطني الأول للسلامة المرورية ، الرياض.
7. غريب، سيد أحمد، (1986) **تصميم البحث الاجتماعي**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية.

8. غيث، محمد عاطف، (1989) **التغير الاجتماعي والتخطيط**، دار المعرفة الجامعية.
9. محمد، علي محمد، (1985)**البحث الاجتماعي**، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.
10. المقبل ، عبد الله بن عبد الرحمن ،(1999) **وزارة المواصلات ودورها في تحسين السلامة المرورية** ، ندوة النقل البري بين الماضي والحاضر ، جامعة الملك عبد العزيز.
11. النافع، عبد الله السيف خالد، (1997) **تحليل الخصائص النفسية والاجتماعية المتعلقة بسلوك قيادات السيارات في المملكة**، مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض.
12. محمد بن سعيد الغامدي وسعيد بن فالح الغامدي (1993)، **الثقافة المرورية وعلاقتها بحوادث السير**، دراسة استطلاعية بمحافظة جدة.
13. صوالحي ربيعة، (2000) **حوادث المرور في الجزائر** : مجازر رهيبة على الطرقات، الجزائر: المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق،
14. صوالحي ربيعة،(2000) **الطفل والمرور**، الجزائر :المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق.

15- Beamish, J. and Malfetti, " A psychological Comparison of Violator and non- violator automobile drivers in 16 to 19 years age group, Traffic research Review, 1962.
16 - Jinadu, M.K. Epidemiology Of Motor Vehicle accidents in a developing country, a case of Oyo state of Nigeria. J.R.S.H. vol 4.
17 - Lauer A.R. "The Psychology of driving" Chales C. Thomas publishing Co. U.S.A. 1972. 10
18 - Zaidi,D. "A Modeling, A accident analysis and prevention, oct. 1992, vol 24

دور التدريب المهني في تحسين الأداء الفعال لدى عمال مديرية الصيانة (سوناطراك) بالأغواط.

الباحث/ محمد زعيلق
جامعة وهران 02 ـ الجزائر.

الباحث/ الطيب بوقاية
د/ طاهر بوجمل.
جامعة عمار ثليجي ـ الأغواط ـ الجزائر.

ملخص:

إن الهدف العام للدراسة هو معرفة دور التدريب المهني في تحسين أدائهم من خلال إجابات العمال على الاستبيان، وذلك حسب المستوى التعليمي والأقدمية، وقد تم طرح الفرضيات التالية بداية بالفرض العام وهو يوجد دور للتدريب في تحقيق الأداء الفعال لدى عمال مديرية الصيانة (سوناطراك) بالأغواط ، و الفرضيات الجزئية التالية وذلك بوجود فروق في التدريب والأداء بين العمال باختلاف الخبرة و المؤهل التعليمي، وقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي وقد شملت هذه الدراسة على عينة من العمال، حيث يتكون عدد أفراد العينة 60 فرد، وقد تم اختيار العينة العشوائية الطبقية. إضافة إلى اعتمادنا استبيان كأداة بحث حيث احتوى هذه الاستبيان على 24 سؤال، وقد توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى أن للتدريب دور في تحقيق الأداء الفعال و بالنسبة للفرضيات الجزئية التي تحققت في الغالب، فخلصنا إلى أنه توجد فروق بين العمال في التدريب باختلاف (المستوى التعليمي، الخبرة.)

الكلمات المفتاحية: التدريب المهني، الأداء

Summary :

The general objective of the study is to know the role of vocational training in improving their performance through workers ’answers to the questionnaire, according to the level of education and seniority. The following hypotheses have been proposed beginning with the general assumption and there is a role for training in achieving effective performance among workers, through the opinions of a sample of workers The maintenance department in Laghouat, which is affiliated with Sonatrach. The following partial assumptions were presented in the presence of differences between workers according to different experience and educational qualification through the role of training in achieving effective performance among workers, and we relied on the descriptive analytical approach. This study included a sample of workers, At the number of sample consists of 60 individual, it has been selected stratified random sample. In addition to our reliance on the data collection tool, we have used a questionnaire as this questionnaire contained 24 questions that covered the basic aspects, and we have found through this study that training has a role in achieving effective performance among individuals within the organization through the results reached, as well as for partial assumptions Mostly achieved, we concluded that there are differences between workers in training according to different levels (educational level, experience(.

Keywords: vocational training, performance

مقدمـة :

التدريب هو من أهم المواضـع التي تلقى اهتمام من قبل العلماء والمفكرين والإحصـائيين في علم عمل وتنظيم بصـفة خاصـة، لأنّه يهدف إلى إكسـاب المتدربين معارف ومهارات واتجاهات تسـمح لهم بالبقاء والاستمرارية.

فقد أصبح التدريب في هذا العصر من الضروريات التي تسعى المؤسسات إلى تحقيقها وهذا عن طريق خلق توازن وتجانس في مقوماتها وانتهاجاتها مع مسايراتها المجالات التكنولوجية والإدارية والثقافية لهذا العصر، كما أنّ هذا الأمر ليس قاصرا على المؤسسات بل ينطبق على الأفراد أيضا حيث أصبح العامل الموظف مطالب بمعرفة السبل التي تسمح بمسايرته واندماجه مع العمل، وذلك عن طريق تحقيق الأداء الجيد.

ولأن اختلاف الطرق التدريبية سببها اختلاف الأساليب التسييرية في المؤسسات فإن هذا كله بسبب اختلاف أنشطتها ومهامها، فلكل مؤسسة أسلوب خاص ترى فيه نجاعة وفعالية إيصال المهارات.

ومن خلال ما سبق تحاول هذه الدراسة الكشف عن دور التدريب في تحقيق الأداء والأساليب التي يمتد من خلالها الكشف عن ذلك الدور ومن أجل ذلك تم تقسيم البحث إلى أربعة فصول، بحيث تناولنا في هذه الدراسة الإشكالية، وأهمية الموضوع مع تحديد الأهداف كما تم تعديل الفروض المراد التحقق من صحتها بالإضافة إلى تحديد بعض المفاهيم الخاصة بالمتغيرات الدراسة تم استعراض بعض الدراسات السابقة لموضوع الدراسة أما الجانب النظري تطرقنا إلى مدخل إلى مفهوم التدريب وتعريفه وأنواعه وأهميته والمراحل العملية التدريبية.

1. الإشكالية

إنّه من الأهمية بمكان أن تتحصل الدول النامية على تأشيرة التطور للعبور إلى مصاف الدول المتقدمة، لا سيما داخل المؤسسات الاقتصادية التي تعتبر عامل أساسي في تنمية الاقتصاد الوطني، والتي بدورها تسعى إلى تحقيق هذا المطلب الأساسي بالتركيز على أهم عنصر وهو المورد البشري من أجل رفع الإنتاجية كما ونوعا بأساليب متطورة وحديثة .

ولتحقيق هذه المعادلة وجب على المؤسسة تحليلها وبدقة، من جهة تحقيق كفاية إنتاجية ومن جهة أخرى تلبية حاجات أفرادها، فأوجدت الكثير من الوسائل كنظام الحوافز المادية والمعنوية والعلاوة الشهرية وكذلك العطل الموسمية، وهذا من أجل تحسين أداء الأفراد، ورفع عائد المؤسسة، إلا أن هذه الامتيازات لا توفر للفرد العامل حاجته الأساسية التي يريد أن يستثمرها في أداءه لأن هذا الأخير، يطمح إلى تطوير أداءه وتنمية خبراته من أجل رفع مستواه الخبراتي والتقني وهو أمر ضروري لأي عامل يرقى بتفكيره إلى إتقان عمله ومسايرة كل ما هو جديد في مجاله المتخصص فيه.

وللمواءمة بين المطلبين، والوصول إلى حل متوازن انتهجت أغلب المؤسسات إستراتيجية مدروسة تحدد فيها حاجات عامليها وترقيتهم إلى مستوى أعلى كونهم المورد الاقتصادي الوحيد الذي يرفع التحدي أمام المؤسسات الأجنبية، أداء وإنتاجا وهذا بوضع برامج تدريبية من طرف إدارة المؤسسة تتضمن خطة عملية بتخصيص نفقات معتبرة تصرف في مجال التدريب، لأنه من أكثر الوسائل استعمالا، ولأنه مسلمة لا يمكن الاستغناء عنها من طرف أي مؤسسة، وهذا لما يكتسبه من أهمية بالغة، كونه عملية استمرارية للأفراد ولأنه يلعب الدور الرئيسي في الإنتاج وزيادة المعارف وتنمية قدرات العاملين وهذا ما سنحدده في دراستنا وهو كيف نطور مهارات وقدرات العاملين وما مدى تأثير ذلك على أدائهم، وبداية مما سبق فإن إشكالية بحثنا تتمحور حول "دور التدريب في تحسين أداء العاملين داخل المؤسسة"

ومن خلال ما قد طرح من إشكالية وإحاطة بالموضوع نقدم جملة من التساؤلات:

1- هل للتدريب دور في تحقيق الأداء الفعال لدى عمال مديرية الصيانة (سوناطراك) بالأغواط
2- هل يختلف دور التدريب في تحقيق الأداء الفعال لدى العمال باختلاف الخبرة (الأقدمية في العمل)
3- هل يختلف دور التدريب في تحقيق الأداء الفعال لدى العمال باختلاف المستوى التعليمي.

2. الفرضيات:

2. 1. الفرضية العامة:

*للتدريب دور في تحقيق الأداء الفعال لدى عمال مديرية الصيانة (سوناطراك) بالأغواط.

1.2. الفرضيات الجزئية:

*لا يختلف دور التدريب في تحقيق الأداء الفعال لدى العمال باختلاف الخبرة (الأقدمية في العمل)

*لا يختلف دور التدريب في تحقيق الأداء الفعال لدى العمال باختلاف المستوى التعليمي

3 . أهمية الدراسة: إن تحديد أهمية الدراسة أمر أساسي من قبل الدخول إلى أي بحث ولذا وجب علينا تحديد هاته الأهداف والتي نجزؤها إلى جزأين أهمية علمية وأهمية عملية.

1.3 الأهمية العملية:

*التعريف على سياسة التدريب داخل المؤسسة الجزائرية

*محاولة فهم إستراتيجية تسير المؤسسات ومدى تطلعها للتطور

*التعرف على مدى فعالية التدريب داخل المؤسسة

*تحسين إدارة المؤسسات بأهمية العملية التدريبية في تحسين الأداء

* التركيز على الدور الأساسي لظاهرة التدريب في المؤسسة

2.3. الأهمية العلمية: تتجلى الأهمية العلمية للموضوع في :

*فهم المتطلبات والاحتياجات التدريبية للمؤسسة وكيفية برمجتها

*توضيح بعض المحاكم التي تساهم في تطوير المورد البشري ورفع كفاءته

*خصوصية الموضوع وأهميته كونه يمس التخصص

*الرغبة في الإطلاع والتعرف على العملية التدريبية داخل المؤسسة

رفع المستوى التكويني لدى العمال

تطوير قدرات ومهارات العمال وتحسين نوع الإنتاج

تحقيق الكفاية الإنتاجية داخل المؤسسة.

4. أهداف البحث: تهدف الدراسة إلى :

1 . تحديد أهمية التدريب في تحقيق الأداء الفعال

2 . تحديد الاختلاف الموجود بين العمال في أهمية التدريب لتحقيق الأداء الفعال حسب مستوى الخبرة

3. تحديد الاختلاف الموجود بين العمال في أهمية التدريب لتحقيق الأداء الفعال حسب المستوى التعليمي

تحسين أداء العمال من خلال الدورات التدريبية.

5-**المفاهيم الإجرائية:**

التعريف الإجرائي للتدريب: والذي يتماشى مع دراستنا هو "التدريب هو نشاط تكويني مدروس ومنظم مؤسس على معايير علمية، يهدف إلى تطوير القدرات والمعارف الأفراد العاملين بالمؤسسة، على حسب احتياجاتها من أجل رفع كفاءتهم وتحسين أدائهم.

التعريف الإجرائي للأداء: "هو ذلك العمل الفعلي والمطلوب من العامل في زمن معين"

6. الجانب النظري:

1.6 تعريف التدريب:

لغة: من فعل درّب أي كونّ وعلم

اصطلاحا: هو عملية تعلم تتضمن اكتساب مهارات ومفاهيم وقواعد، أو اتجاهات لزيادة وتحسين أداء الفرد. (رواية،2000 ص167).

إذا تتبعنا مفهوم التدريب في العديد من الكتب والمؤلفات فإننا نجد أن الدارسين والمهتمين في هذا المجال يقدمون تعريفات متعددة ومتنوعة، فقد عرف فيليبو (flippo) التدريب على أنه العملية التي من خلالها نزود العاملين بالمعرفة والمهارة لأداء وتنفيذ عمل معين، وأما من وجهة نظر (Daird king) دافيد كينغ فهو العملية التي من خلالها يحصل تكيف الأفراد بحيث يمكنهم التعلم بشكل فعال، كما قد يعرف التدريب على أنه "نشاك مخطط يهدف إلى إحداث تغيرات في الفرد والجماعة من ناحية المعلومات والخبرات والمهارات، ومعدلات الأداء وطرق العمل والسلوك والاتجاهات مما يجعل هذا الفرد أو تلك الجماعة لا نقين للقيام بأعمالهم كفاءة وإنتاجية عالية. (الصرفي 2007ص ص، 160،159)

وأما من الناحية العلمية فقد أصبح التدريب على العمل أو المهنية نشاطا معترفا به الآن في جميع المؤسسات الإنتاجية، والخدمية، حتى أصبح له رجاله ومريدوه إذا قورن بما سبق، ومما يبعث على الدهشة أن التدريب كعلم أصبح مبدأ مسلما به وحقيقة متعارف عليها رغم قلة البحوث المرتبطة به في مجتمعاتنا، ويرجع ذلك إلى مولد العديد من الحقائق العلمية المتراصة والمنتظمة في صورة علاقات تفاعلية أدت إلى تطور العملية التدريبية، وأما من الناحية المهنية فإن التدريب كمهنة يعني ما يقوم به الأشخاص من اتخاذ العملية التدريبية مهنة لهم فيكسبون عيشهم منه وذلك عن طريق مساعدة العملاء الراغبين التدريب لرفع قدراتهم وطاقاتهم الأدائية والإنتاجية سواء على مستوى الأفراد

والجماعات والمؤسسات والمدرب وهو يسعى هنا لتحقيق ذلك حيث يلجأ إلى الطرق التدريبية الفنية والأساليب والأدوات التي تقدمها العلوم الإنسانية، خاصة التي يقدمها علم النفس في ضوء النظريات النفسية والفروق

الفردية التي شملت نتائجها كمسلمات استخداما في الصناعة والإدارة والمجتمع العسكري والتعليم وبقية المهن الأخرى. (رأفت 2001،ص ص 8 –10).

وعلى ضوء المعطيات السابقة، يمكنا تعريف التدريب على أنه مساعدة الفرد على اكتساب المهارات المهنية التي يستطيع بها مواجهة المقتضيات المهنية للعمل حتى يستطيع التنافس مع الأفراد الآخرين. (القاضي 1991،ص17).

2.6 أنواع التدريب:

تتعدد أنواع التدريب وتصنيفاتها باختلاف الأساس الذي تتم عملية التصنيف بالاستناد إليه وأنه يمكن الإشارة إلى الأسس التالية:

2.6. 1 التدريب بحسب عدد الأفراد المتدربين المشتركين فيه

التدريب الفردي: ويكون ذلك عندما تركز العملية التدريبية على أفراد معينين، بحيث يتم تناول كل فرد على حدة، وقد يتم ذلك بعد التعيين مباشرة، وذلك لتوطين وتكييف الفرد مع المناخ العام للمنظمة ولتعريفه لمهام وظيفته ويعبر ذلك من الأساسيات وقد يتم أثناء العمل إذا ما أراد تطوير معارف ومهارات الموظفين.

التدريب الجماعي: ويكون ذلك بالنسبة لمجموعات العمل التي تشترك معا في انجاز مهام محددة، ويكون مطلوبا تدريب أفرادها على هذه المهام أو بالنسبة للعاملين الذين تبين دراسات الاحتياجات التدريبية وجود قواسم مشتركة بينهم من هذه الناحية فتعمل إدارات التدريب على تجميع هؤلاء في جماعات تدريبية وإخضاعهم معا لبرامج تنسجم مع هذه الاحتياجات أضف إلى ذلك أن مثل هذا النوع يعتبر من أهم الأنواع التي تتوافق مع فلسفة بعض النماذج الإدارية التي تقوم على فلسفة العمل الجماعي وروح الفريق أو فلسفة المشاركة، وتوعية العاملين بإبعادها ومستلزمات تطبيقها من جميع النواحي المعرفية والمهارية. (عساف، 2008،ص،ص،55، 56).

2.6. 2 التدريب بحسب المكان الذي يتم فيه التدريب: وشمل نوعان هما:

2.6. 3 التدريب في مواقع العمل: وتميز هذا النوع من التدريب لميزة أساسية وهي أن التدريب يتم وفق تخطيط الإدارة وتحت رقابتها، ومن هنا تصبح العملية التدريبية جزءا لا يتجزأ من الخطة العامة للمنظمة،

كما يمكن أن تقوم المنظمة بتوظيف الإمكانات البشرية والمادية المتوفرة لديها لتحقيق أهداف التدريب، ولا يترتب على التدريب نفقات إضافية مثل نفقات، واستئجار القاعات، ومكافآت المدربين.

(الطعاني ،2002، ص ص19،20)

4.2.6 التدريب خارج مواقع العمل: ينطبق هذا النوع من التدريب ما ينطبق على التدريب في مواقع العمل من حيث الأسلوب الذي يتم فيه، والطريقة التي تتيح في تنفيذه، إلا أنه يمتاز عنه بأنه يعطي فرصة أكبر للمتدرب كتنمية نفسه وتجريب المهارات والمعارف التي اكتسبها في واقعية مماثلة لبيئة العمل التي سيعمل بها، مع توفير الأمان والطمأنينة للمتدرب. (الطعاني 2002، ص 61)

3.6. الأسس السيكولوجية لعملية التدريب:

هناك قانون أساسي معروف يقول أنه لا يوجد سلوك إلا إذا كان وراءه واقع وعلى هذا لا ينجح التدريب إلا إذا كان لدى المتدرب دافع للتدريب يضاف إلى إمكانياته الشخصية، وبالمثل، لا ينجح الطالب في تحصيله الدراسة إلا إذا كان لديه دافع ذاتي للتحصيل، فبدون دافع نفسي لدى المتدرب يدفعه وسيحثه لمواصلة التدريب والاستفادة منه، فإنه لا يحقق الاستفادة المنشودة وهكذا نوصي علم النفس المسؤولين عن التدريب بضرورة رفع الدافع النفسي للتدريب، وذلك مثل اشتراط النجاح في التدريب للترقية إلى الوظائف الأحلى أو للاستمرار في الحل، أو تقديم جوائز مغرية للمتفوقين في النتائج النهائية للتدريب، أو معاقبة الفاشلين في التدريب بأنواع مختلفة من العقاب، أو كل ذلك معا أو غيره أيضا. (فرح2001 ص،ص371، 372)

4.6. تعريف الأداء:

يشير الأداء إلى درجة تحقيق وإتمام المهام المكونة لوظيفة الفرد ، وهو يعكس الكيفية التي يحقق أو يشبع الفرد متطلبات الوظيفة وغالبا ما يحدث تداخل بين الأداء والجهد فالجهد يشير إلى الطاقة المبذولة ، أما الأداء قياس على أساس النتائج التي حققها الفرد.(حسن، 2001 ص25)

ويعتبر مفهوم الأداء على المستوى الذي يحققه الفرد العامل عند قيامه بعمله من حيث كمية وجودة العمل المتقدم من طرف ، والأداء هو ما يبذله كل من يعمل بالمؤسسة من منظمين ومديرين ومهندسين.

(حمداوي، 2004 ص143)

5.6 مفهوم تقييم الأداء:

يعتبر الأداء على المستوى الذي يحققه الفرد العامل عند قيامه بعمله من حيث كمية وجودة العمل المقدم من طرفه والأداء هو المجهود الذي يبذله كل من يعمل بالمؤسسة من منظمين ومديرين ومهندسين. (عشوي ،1992، ص123)

وهو عبارة عن تقرير يبين مستوى أداء الفرد ونوع سلوكه مقارنة مع مهمات وواجبات الوظيفة المنوطة به فهو يساعد المسؤولين على معرفة جوانب الضعف والقوة في النشاط الذي يقوم به الفرد والهدف المرجو هو معالجة الضعف إن وجد وتدعيم جوانب القوة أيضا، ويركز هذا المفهوم على خطط وأنظمة سليمة وعادلة حتى لا يشعرون بالظلم والحرمان. (صالح 2004 ص137)

وإن ماهية تقييم الأداء هي عملية مستمرة نمارسها في مواقف كثيرة في حياتنا اليومية وتتبلور عملية التقييم في منظمات الأعمال فتصبح وظيفة متخصصة لها قواعد وأصول وتستعمل في مقاييس رسمية توضح على أساس علمي وموضوعي. (سلطان،1996،ص293).

ويعتبر مفهوم تقيم الأداء أنه عملية تقدير أداء كل فرد من العاملين خلال فترة زمنية معينة لتقدير مستوى نوعية أدائه، وتعتبر وظيفة منظمة ومستمرة وضرورية لتسيير الموارد البشرية تحقق فعالية أكبر إذا كانت مرتبطة بإستراتيجية العمل وبأسلوب تسير المنظمة. (عشوي،1992،ص18).

ومن أهم الاعتبارات التي تساعد على وضع نظام فعال للتقييم ما يلي:

*التركيز على تدعيم الإيجابيات يعني تشجيع وحث العمال وإظهار نتائجهم الإيجابية.

*تقديم معلومات مرتدة عن الأداء يجب أن تكون مرتبطة بالواقع الفعلي

*تشجيع وتدعيم الابتكار يعني فسح المجال للعمال لتحرير القدرات الخلاقة

*زيادة الاتجاه إلى الاعتماد على النظم الحديثة، لأن النظم التقليدية أثبتت عدم قدرتها على التقييم الفعال للأداء. (حمداوي،2001، ص123).

7. الجانب التطبيقي:

1.7. المنهج:

كما جرت العادة أنه عند إجراء أي بحث أو دراسة ميدانية لابد من تحديد المنهج المتتبع خلال هذه الدراسة من أجل التسهيل للباحث لإجراء مختلف خطوات البحث كما يجب أن يكون اختيار هذا المنهج مربوطا بطبيعة مشكلة الدراسة هذا لأنه بتحديد المنهج المستخدم يتبيّن للباحث الطريق الذي يسلكه من أجل الوصول للهدف أو الأهداف المرجوة من الدراسة، ونظرا لوجود مناهج عديدة، فإنه يجب على الباحث اختيار المنهج المناسب ويأتي هذا الاختيار تبعا لمشكلات الدراسة، والأهداف العامة المراد الوصول إليها، ولأنّ موضوعنا يندرج تحت عنوان التدريب المهني ودورة في تحقيق الأداء الفعال لدى الأفراد داخل المؤسسة، ونظرا لطبيعة هاته إرتأينا أن يكون أنسب منهج للدراسة هو المنهج الوصفي وذلك بالعمل على وصف الظاهرة، "موضوع الدراسة وتحليل جوانبها وأبعادها المختلفة وصفا كميا وكيفيا.

2.7.أدوات جمع البيانات:

تعتبر الاستمارة في دراستنا هي الأدوات الرئيسية التي اعتمدنا عليها في جميع البيانات والمعلومات وهذا لأن الاستمارة كأداة لجمع الهيئات يمكن استخدامها في كل من البحوث الاستطلاعية والوصفية والتجريبية إلاّ أنها الأكثر استعمالا للبحوث الوصفية كما تستخدم الاستمارة طبقا لطبيعة مشكلة موضوع الدراسة، كما أن الباحث قد يستخدم الاستمارة كأداة لجمع البيانات وقد يستخدمها كأداة مساعدة إلى جانب أدوات أخرى، ومن هنا يمكن تعريفها، "أنّها أداة لجمع المعلومات المتعلقة بموضوع بحث معين عن طريق الاستمارة التي تجري تعبئتها من قبل المستجيب وقد قمنا باستعمال الاستمارة في موضوعنا بشكل أساسي لأنها تسمح لنا بمعرفة واقع التدريب المهني داخل المؤسسة ومعرفة دوره في تحسين الأداء وفي تطوير القدرات، والرضا عن العمل ودوره في تعزيز الرغبة في زيادة العمل وتحمّل المسؤولية، وكل هذا من أجل معرفة دور التدريب في تحسين الأداء داخل المؤسسة.

ولقد وجهت الاستمارة إلى عينة الدراسة المتمثلة في 60 فرد أي بنسبة 20 % من المجتمع الدراسي الذي يمثل 320 عامل حيث احتوى هذه الاستمارة على 24 سؤال بحيث عطّت الجوانب الأساسية للموضوع العينة ومواصفاتها، تتوقف نتائج البحوث الاجتماعية على العينة وطريقة اختيارها ومدى تمثيلها الحقيقي للمجتمع المدروس ونظرا لطبيعة موضوعنا المتمثل في معرفة دور التدريب في تحقيق الأداء الفعال لدى

الأفراد، داخل المؤسسة، فكان مجتمع البحث على العمال بمختلف مستوياتهم ودرجاتهم الذين تلقوا التدريب أو سبق لهم ذلك.

3.7.العينـة ومواصفاتها:

فكانت العينة عشوائية بسيطة نظرا لكبر حجم المجتمع الأصلي للبحث والصعوبات التي واجهتنا في المديرية مكان الدراسة عشوائيا من مجموع العمال داخل المديرية دون تحديد ولكن شاملة لكل الفئات، أما في المرحلة كانت العينة طبقية حيث شملت مختلف المصالح، مست 60 فرد بنسبة 60 % من مجتمع البحث ويرجع سبب اختيارنا لهذه النسبة لصعوبة الاتصال بعدد أكبر من العمال ولاعتبارات أخرى وفيما يلي الجدول الذي يوضح كيفية توزيع أفراد العينة في المصالح الموجودة.

جدول رقم (01) كيفية توزيع أفراد العينة في مديرية الصيانة.

العينة	عدد الافراد	النسبة
المجتمع اللأصلي	320	%100
عينة الدراسة	60	% 18.75

المصدر: وثائق من مصلحة الموارد البشرية.

ومما يتضح جليا أن كيفية توزيع الأفراد على مصالح المديرية هو حسب الاختصاصات المطلوبة في كل مصلحة أو دائرة سواء كانت تقنية أو إدارية.

فالأخذ بـــ 60 فرد من مجموع 320 عامل يتوزع على مختلف المستويات أو الاختصاصات الموجودة داخل المديرية دون التركيز على مســـتوى معين أو خبرة معينة، لأن جميع العمال يخضـــعون للعملية التدريبية حسب المتطلبات والاحتياجات داخل المؤسسة.

ـ خصائص العينة:

جدول رقم (02) : نسب المستوى التعليمي للعاملين

عدد المجتمع الكلي	العينة	النسبة
إبتدائي	1	% 1.66
متوسط	8	% 13.33
ثانوي	20	% 33.33
جامعي	31	% 51.66
المجموع	60	% 100

يتضح جليا من خلال النسبة التي توصلنا إليها أن مؤسسة سوناطراك أصبحت تهتم بتوظيف الإطارات الحاملين للشهادات العليا كوننا نجد أن المستوى الابتدائي لا يتعدى فرداواحدا بينما المستوى الجامعي بلغ أكثر من 80 %

ب)حسب الخبرة (الأقدمية) من خلال الجدول التالي:

جدول رقم (03) : نسب الخبرة المتعلقة بالعاملين

مستوى الخبرة	عدد الأفراد	النسبة
أقل من 5 سنوات	20	% 33.33
من 5 س إلى 10 س	10	% 16.66
أكثر من 10 سنوات	30	% 50
المجموع	60	% 100

لدراسة إحصائية نجد أن مسيروا وإطارات هاته المؤسسة لديهم خبرة كبيرة، وأن أغلبهم يفوق العشر سنوات مما يدل على التحكم المضبوط في العملية التسييرية داخل المؤسسة على أن جلهم يعملون كمشرفين عن العملية التكوينية.

4.7.الخصائص السيكومترية:

1)-الثبات: ثبات الاستبيان:

تم حساب الثبات بمعامل الارتباط "برسون" ثم تم تصحيحه بطريقة جوتمان لأن عدد البنود الموجود في الاستبيان زوجي ويتناسب مع الطريقة حيث قمنا بتجزئة درجات الاستبيان إلى قسمين ثم قمنا بتطبيق معادلة جوتمان.

قانون معامل الارتباط:

$$R_T = \frac{N\Sigma XY - (\Sigma X)(\Sigma Y)\grave{u}}{\sqrt{\left[n\Sigma X^2 - (\Sigma X)^2\right]\left[h\Sigma Y)^2 - (\Sigma Y)^2\right]}}$$

جدول رقم (04) يوضح معامل الثبات

عدد البنود	عدد الأفراد	معامل الثبات قبل التصحيح	معامل الثبات بعد التصحيح
24	20	0.54	0.66

وعند المقارنة وبالرجوع إلى الجداول الإحصائية المتعلقة بمعامل الارتباط "بارسون" نلاحظ أن قيمة معامل الإرتباط"بارسون" المحسوبة بـ 0.66 أكبر من معال الارتباط المجدول عند مستوى الدلالة 0.01 حيث يساوي 0.54 وبالتالي نقول أن الاختبار ثابت.

2)-الصدق:

الصدق التمييزي: حيث تم ترتيب درجات عينة العاملين في المقياس من الأدنى إلى الأعلى وأخذ 27 % درجات أعلى التوزيع و 27 % من درجات أدنى التوزيع ما عدده 20 فرد ثم تم الحساب الإحصائي د.ت T .

-الصدق:

الصدق التمييزي: حيث تم ترتيب درجات عينة العاملين في المقياس من الأدنى إلى الأعلى وأخذ 27 % درجات أعلى التوزيع و 27 % من درجات أدنى التوزيع ما عدده 20 فرد ثم تم الحساب الإحصائي د.ت .T

$$T = \frac{X_1 - X_2}{\sqrt{\frac{S_2^1 + S_2^2}{N - 1}}}$$

جدول يمثل القيم المحسوبة و المجدولة لمتغير التدريب:

جدول رقم (05) : توضيح صدق المقياس

المتغير المقاس	مجموعات المقارنة	العدد	المتوسط الحسابي	التباين	ت المؤوية	ت المجدولة	درجة الحرية	مستوى الدلالة
التدريب	المجموعة الدنيا	5	51.4	12.18	10.32	2.896	8	0.01
	المجموعة العليا	5	70.6	1.66				

من خلال الجدول رقم (05) توضيح صدق المقياس نلاحظ أن قيمة "ت" دالة إحصائيا وبالتالي توجد فروق بين المجموعتين الطرفيتين مما يدل على صدق المقياس.

5.7.عرض وتفسير نتائج الفرضيات:

1.5.7.الفرضية العامة: للتدريب دور في تحقيق الأداء الفعال لدى الأفراد داخل المؤسسة.

لقد تبين من خلال هذه الدراسة الميدانية تحقيق الفرضية العامة حسب حساب القيمة الوسطية التي تحدد فئة الأفراد الذين يؤكدون على أن للتدريب دور في تحقيق الأداء الفعال حيث أننا وجدنا القيمة الوسطية 48 وهذا يجمع أعلى قيمة وفي أدنى قيمة وتقسيمها على اثنان.

ثم بعد ذلك قمنا بحساب عدد الأفراد الذين أجابوا بدرجات أكبر من 48 فوجدناهم 59 فرد وبإجراء العملية الحسابية لمعرفة النسبة المؤوية كانت النتيجة كالآتي 98.33 % يؤكدون بأن للتدريب دور في تحقيق الأداء الفعال.

وأما الذين أجابوا بدرجات أقل من 48 فهو فرد واحد فقط مما يشمل 1.66 % من العينة ككل ومنه نستخلص أن الفرضية صحيحة وحققت الغرض وتمثل القيمة الوسطى في الرسم التالي

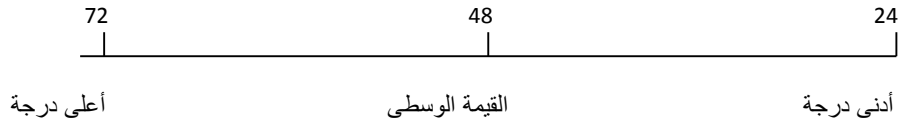

الشكل رقم (01) : النتائج المحسوبة للمستوى التعليمي

من خلال النتائج الموضحة أعلاه يتضح جليا بأن ما أكدته الدراسة السابقة التي اعتمدنا عليها كان صحيحا حيث أن الباحث الأستاذ أبو بكر نبق في رسالة الماجستير 2006 أقر بأنه لا يمكن تحقيق التوازن داخل المنظمة إلا بإعطاء أهمية استمرارية للتدريب، ولفت الانتباه لإجراء السياسة التطويرية للمؤسسة من أجل تحسين الأداء.

وهذا ما لمسناه في الميدان أثناء الدراسة الاستطلاعية التي قمنا بها بأن هذه المؤسسة تعتمد على التدريب بشكل كبير، خاصة للعمال الجدد وهذا من أجل تعريفهم بالمؤسسة وتطوير مهاراتهم في تخصصاتهم، المراد الالتحاق بها ويركز المشرفون على التدريب عند إدخال آلات جديدة إلى الورشات مما يتطلب معرفة تشغيلها والعمل عليها بسهولة أو إرسال بعثات للخارج وتطوير قدراتهم وتنميتها وهذا بتخصيص أموال معتبرة في هذا الجانب.

2.5.7.عرض وتفسير نتائج الفرضية الجزئية الأولى:

الفرضـــية الجزئية الأولى: يختلف دور التدريب في تحقيق الأداء الفعال لدى العامل باختلاف المســـتوى التعليمي.

لقد تبين من خلال الدراسة الاستطلاعية في مصالح المديرية أن للتدريب دور بالنسبة لجميع العمال لكن ما لاحظناه، أن كيفية التدريب يختلف مستواها حسب المستوى التعليمي وحسب الاختصاص، بحيث كلما كان المســـتوى التعليمي عال كلما كان التخصـــص أدق في العمل ضـــف إلى ذلك أن أغلب العمليات التدريبية التي تصـــرف عليها أموال طائلة والتي تكن خارج الوطن تكون من حظ ذوي التأهيل العالي (حاملي الشهادات الجامعية) وكلما كان المستوى أقل تكون الامتيازات أقل ومن أجل تحليل مدى اختلاف دور التدريب حسب المستوى التعليمي قمنا بتوضيحها في الجدول التالي:

جدول رقم (06) يوضح النتائج المحسوبة للمستوى التعليمي

المستوى	التكرار المتاحة	التكرار المتوقع	الفرق بينهما
ابتدائي	1	15	- 14.0
متوسط	8	15	- 7.0
ثانوي	20	15	5.0
جامعي	31	15	16.0

$$\text{كا}2 = \Sigma \frac{(X-Y)^2}{X}$$

حيث أن X هي تكرار المشـــاهد و Y تكرار الملاحظ وبالرجوع إلى الجداول الإحصـــائية نجد أن كا^2 المحسـوبة (35.06) أكبر من المجدولة (7.81) عند درجة الحرية 3 وعند مسـتوى الدلالة 0.05 ومنه نستنتج أنه يوجد اختلاف بين العمال حول دور التدريب في تحقيق الأداء الفعال لدى الأفراد.

عكس ما نجده عند المســـتوى الثانوي والجامعي من 33.33 % إلى 51.66 % وهذا يدل على أن المستوى يرفع من قيمة التدريب وأهميته في المؤسسة.

3.5.7.عرض وتفسير نتائج الفرضية الجزئية الثانية:

نصـــت الفرضـــية الجزئية الثانية: يختلف دور التدريب في تحقيق الأداء الفعال لدى العمال باختلاف الأقدمية.

وهو ما تجلي من خلال الدراســة الميدانية أن العمال الذين لديهم خبرة في المؤســســة يملكون خبرات تؤهلهم للإشراف على التدريب كونهم لديهم القدرة على التسيير والتأطير فهم يحبذون التركيز على التدريب لأنه قوة استثمارية للمؤسسة على عكس العمال الآخرون وهذا ما يوضحه الجدول الآتي:

جدول رقم (07): يمثل القيم المحسوبة لدرجة الأقدمية للعمال

درجة الأقدمية	التكرار الشاهد	التكرار المتوقع	الفرق بينهما
أكثر من 5 سنوات	30	20	10
من 5 ســنوات إلى 10 سنوات	10	20	10
أقل من 5 سنوات	20	20	0
المجموع	60	60	

بالرجوع إلى الجداول الإحصائية نجد أن كا^2 المحسوبة 10 اكبر من المجدولة (5.99) عند درجة الحرية 2 وعند مســتوى الدلالة 0.05 ومنه نســتنتج أنه يوجد اختلاف بين العمال حول دور التدريب في تحقيق الأداء العمال باختلاف الأقدمية.

ونلاحظ من خلال الجدول أن مديرية الصيانة لديها إستراتيجية معينة في سياسة التوظيف والمحافظة على العمال.

حيث نجد أن النسبة الأكبر المعبر عنها في الجدول 30 فرد من 60 هم الأكبر خبرة يعملون كمشرفين ومسيرين بحكم الخبرة أما الذين لديهم خبرة متوسطة من 5 إلى 10 سنوات فهم عمال تقنيين متمرسين نسبة متوسطة.

خلاصة :

ومن خلال الدراسة التي أجريناها قد تم التحقيق من الفرضية العامة حيث وجدنا أن للتدريب دور فعال في تحقيق الأداء داخل المؤسسة وهذا كنتيجة إحصائية محسوبة، أما بالنسبة للفرضية الجزئية الأولى والثانية فأولهما كانت قد أكدت بأن المستوى التعليمي لدى الأفراد له دور في استيعاب العملية التدريبية داخل المؤسسة بشكل كبير لأن هذا الأخير يمس هاته الشريحة أكثر من غيرها وهذا نتيجة للتطور التكنولوجي الذي فرض وجوده في هذا الميدان، حيث أصبح جل المتكونين ذو مستوى عالي و هذا ما جعلهم يميلون إلى تثمين دور التدريب.

أما فيما يخص الفرضية الجزئية الثانية و التي مفادها ما مدى نجاعة الخبرة (الأقدمية) في تجسيد دور التدريب، فلقد أكدت هذه الفرضية بأن العاملين في المؤسسة أكثر من خمس سنوات هم الذين يتلقون عملية التدريب بشكل ملموس بحكم تداولهم للجانب الخبراتي في الميدان و لأن أكثرهم مكلفون بعملية الإشراف أحياناً.

ومن خلال هاته النتائج التي توصلنا إليها كباحثين نفتح المجال أمام الباحثين في الاختصاص للاستزادة المعرفية والموضوعية لتحقيق غرض البحث العلمي والاستفادة منه.

قائمة المراجع :

1. **حمداوي وسيلة(2004) إدارة الموارد البشرية ، مديرية النشر الجامعية قائمة.**
2. **حمداوي وسيلة (2001) إدارة الموارد البشرية ط1 ، القاهرة.**
3. **رأفت عبد الفتاح (2001) سيكولوجية التدريب وتنمية الموارد البشرية، دار الفكر العربي، ط1، ،القاهرة.**
4. **رواية محمد حسن (2000) إدارة الموارد البشرية، الدار الجامعية، الإسكندرية.**
5. **رواية محمد حسن(2001) إدارة الموارد البشرية ، رؤية مستقبلية، الدار الجامعية، الإسكندرية.**
6. **سلطان محمد سعيد (د ت)إدارة الموارد البشرية ،ط1 ،الإسكندرية.**
7. **الصرفي محمد (2007)، إدارة الموارد البشرية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية.**
8. **الطعاني حسن أحمد(2002) التدريب مفهومه وفعاليته، دار الشروق ،ط1، عمان، الأردن.**
9. **عساف عبد المعطي (2008) التدريب وتنمية الموارد البشرية، دار زهران للنشر والتوزيع،،عمان.**

10.عشوي مصطفى (1992) أسس علم نفس الصناعي التنظيمي المؤسسة الوطنية للكتاب القاهرة.

11.فرح عبد القادر (2001) علم النفس الصناعي والإداري، (دار النشر لا توجد) ط1، القاهرة.

12.القاضي مشعل سعود (1991) دور التدريب المهني في إعداد القوى العاملة، (لا توجد دار النشر) ط1، عمان الأردن.

مهارة القراءة والعوامل المؤثرة في تعلمها.

د/ عيواج صونيا ـ جامعة باتنة1 ـ الجزائر.

د/ عمراني زهير ـ جامعة أم البواقي ـ الجزائر.

ملخص:

تعد مهارة القراءة احدى مقومات مرحلة التأسيس التي تقوم عليها جميع مراحل التعليم، وهي تمر بعدة مراحل نمائية في تعلمها اذ يمكن القول أن القراءة عملية تطورية في سلسلة من المراحل المترابطة، فامتلاك مهارة في مرحلة ما أساس البدء في المرحلة التالية، كما ينبغي ايضاح ان للقراءة عدة تقاسيم لاعتبارات مختلفة. إن الدراسة في موضوع مهارة القراءة لها أهمية علمية ونفسية وتربوية وأخلاقية.

وقد انتقل مفهوم القراءة من التصور التقليدي الذي اعتبرها على أنها إدراك بصري للرموز المكتوبة والتعرف عليها، إلى اعتبارها «عملية نفسية ادراكية فكرية" يستمتع القارئ بها وقد تعددت أهدافها واختلفت العوامل المؤثرة في تعلمها.

وتوصلنا الى أن رسوخ القراءة في سن مبكرة يضمن بقاء هذه المهارة مدى الحياة، بحيث تصبح ملازمة للتلميذ، ولكن هذا لن يتأتى إلا إذا وُجِد التلميذ داخل بيئة تعج بالكتب وبذلك يبدأ تعويد الطفل على القراءة قبل دخوله المدرسة فإن هذه البيئة هي السبيل إلى الوصول إلى مجالات أوسع للتنمية الذاتية التعليمية والتثقيفية.

الكلمات المفتاحية: القراءة –مراحل تطورها– أنواعها– أهدافها– العوامل المؤثرة فيها.

Abstract:

Reading skill is one of the foundations of the foundation stage on which all stages of education are based, and it passes through several developmental stages in its learning, as it can be said that reading is an evolutionary process in a series of interrelated stages, so having a skill at some stage is the basis for starting the next stage, and it should be made clear that reading Several divisions of different considerations.

The study on the subject of reading skill has scientific, psychological, educational and moral importance.

The concept of reading has moved from the traditional perception that it considered as a visual awareness of the written symbols and their identification, to being considered a "mental intellectual cognitive process" that the reader will enjoy, and its goals have varied and the factors affecting its learning differed.

We concluded that the firmness of reading at an early age ensures that this skill remains for life, so that it becomes inherent to the student, but this will only happen if the student is found in an environment teeming with books and in this way the child will become accustomed to reading before entering school, this environment is the way to reach areas Broader educational and educational self-development

Key words: Reading - the stages of its development - its types - its goals - the factors affecting it.

مقدمة:

ارتبط ظهور التربية في تاريخ البشرية بحاجة الإنسان إليها، وكانت الجهود الأولى مميزة، ولكنها في الحقيقة لم تكن شاملة، فإذا احتوت جانب فقدت آخر، فالبشرية بحاجة إلى أساليب تربوية تتميز بالشمول والكمال، وتتصف بالاستمرارية، وسنأخذ أسلوب القراءة كمثال فهي عملية يتعلمها الطفل خاصة في المدرسة حيث توفر هذه الأخيرة مجالا للتعلم والإحساس بالقدرة على العمل.

ويمثل اقحام الطفل بعالم الكتب مبكرا حدثا سيكولوجيا بالغ الأهمية في تاريخ حياته ويتجسد هدف تصفح اوراق الكتب والمجلات في بناء واستقرار وترسيخ مهارة القراءة وتعطيه شكلا جديدا للاتصال ومعنى آخر لتحقيق ذاته في معرفة ما يحيط به أي امتلاكه لمنظومة المعارف والقدرات.

وعلى هذا الأساس تظهر أهمية القراءة باعتبارها ضرورة أساسية لإعداد التلاميذ الإعداد السليم، فمن خلالها يكتسب ويتعرف على أصناف المعرفة التي نرغب في تعليمها له، أو التي ينبغي عليه أن يتعلمها.

وهذا ما يجعلها ذات مكانة تربوية وقيمة تهذيبية عظيمة، وللأسرة دور كبير في ذلك ، حيث تشارك الأم في إعطاء الطفل ضوابط معينة سلوكية وتعليمية تمنحه فرصة النمو لعدة مهارات منها القراءة.

1-مفهوم القراءة: يشير فعل قرأ إلى عدة معان، منها التعرف على الحروف ومعرفة تجميعها في كلمات، وأيضا تشير إلى نطق ما هو مطبوع أو مكتوب.

- وتطور مفهوم القراءة عبر التاريخ حسب المراحل التالية:

- فقد كان محصورا في دائرة ضيقة، حدودها الإدراك البصري للرموز المكتوبة، وتعريفها والنطق بها، وكان القارئ الجيد هو السليم الأداء، ومن التعريفات التي تحصر مفهوم القراءة في هذا المجال نذكر فيما ورد في معجم (فاليسون) حيث عرّف القراءة بأنها "عملية التعرف على الحروف وتجميعها، وهي عملية تلفظ نص مكتوب بصوت مسموع، وهي عملية تصفح سريع لنص مكتوب بواسطة العينين بغية الاطلاع على محتواه "(Galisson Goste, 312).

- تغير هذا المفهوم نتيجة للبحوث التربوية، وصارت القراءة عملية فكرية عقلية، ترمي إلى الفهم، أي ترجمة هذه الرموز إلى مدلولاتها من الأفكار.
- ثم تطور هذا المفهوم، حيث أضيف إليه عنصرا آخر، هو تفاعل القارئ مع النص المقروء تفاعلا يجعله يرضى، أو ينحط، أو يعجب، أو يشتاق، أو يُسَّرْ، أو نحو ذلك نتيجة نقد المقروء، والتفاعل معه.
- وأخيرا إنتقل مفهوم القراءة إلى استخدام ما يفهمه القارئ، وما يستخلص مما يقرأ في مواجهة المشكلات، والانتفاع به في المواقف الحيوية، فإذا لم يستخدمه في هذه الوجوه لا يعد قارئا. (عبد العليم إبراهيم ،1986، 57 -58).

- ويعرف بوزاي (bozay) القراءة: "أنها عملية عقلية تتكون من ستة مراحل وهي:

- **التمثل:** وهي تمثل البيانات البصرية عن طريق العينين.
- **التعرف:** التعرف على الأحرف والكلمات.
- **الفهم:** ربط المفردات المقروءة بالمعنى الكلي للنص.
- **الإستعاب:** ربط المعلومات المقروءة بالمخزون المعرفي للقارئ.
- **الاستبقاء:** تخزين المعلومات في الذاكرة بفعالية وكفاءة.
- **الاستدعاء:** ذكر المعلومات واستثمارها في التواصل الفعال مع الذات والآخرين ويكون التواصل مع الذات بالتفكير السليم الواضح (رياض بدري مصطفى،2005).

من هذه التعريفات يتبين لنا أن القراءة عملية بناءة تساهم فيها ذات القارئ بنشاط وفعالية، خصوصا إذا كان يحس بالمتعة فيما يقرأ، وكلما ازدادت هذه المتعة ازداد الانجذاب الى المزيد من القراءة، وبهذه الطريقة تترسخ عادة القراءة.

2- أهداف القراءة:

تختلف اتجاهات الأفراد القرائية، كما تختلف المواد التي يقرؤونها وعلى هذا الأساس تعددت الأهداف من القراءة والتي يمكن حصرها فيما يلي:

***أهداف ذاتية:** تتمثل في:

- جودة النطق وحسن الأداء وتمثل المعنى.

- تشبع حاجات الفرد للاستغلال والثقة بالنفس.

- تنمية ميول الفرد واهتماماته والاستفادة من أوقات الفراغ والاستمتاع بها.

* **أهداف اجتماعية:** تتمثل في:

- القدرة على العمل الإيجابي المثمر وتحقيق التكيف الاجتماعي.

- تؤدي دورا أساسيا في إعداد الفرد للحياة الاجتماعية.

- تساعد على تفهم سلوك الآخرين ومشاعرهم وتفهم النظام الاجتماعي من حوله.

- تساعد في إعداد الفرد وتؤهله للقيام بسائر أدواره الاجتماعية.

- تلعب دورا في تقارب الفكر داخل الجماعة من خلال انتشار الثقافة المشتركة. (رياض بدري مصطفى، 2005، 21-22).

***أهداف تحصيلية معرفية:** تتمثل في:

- إكساب مهارات القراءة كالسرعة مع فهم الأفكار الرئيسية والفرعية والقدرة على الاستنتاج وإدراك ما بين السطور من معاني.

- إثراء الثروة اللغوية باكتساب المفردات والألفاظ الجديدة.

- الميل إلى القراءة بحيث يقبل التلاميذ على القراءة الحرة والاستفادة منها.

- تدريب الطالب على التعبير الشفهي والكتابي بطريقة صحيحة.

- توسيع خبرات الطالب العامة عن طريق الكتب والمجلات والصحف والقصص والشعر.

ومن خلال هذا العرض، نستخلص أنه من أهم أهداف القراءة الحصول على المعلومات والمعارف، والتمكن من التحصيل العلمي، وتعلم بقية المواد الدراسية بنجاح وإتقان، ومن هنا تبرز أهمية القراءة والتي سنتناولها في العنصر الموالي.

3- أهمية القراءة:

إن القراءة من أهم المهارات التي يمكن أن يملكها الفرد في المجتمع الحديث الذي أصبحت القراءة فيه ضرورة ملحة لكي يحي حياة كريمة، وتظهر أهمية القراءة بالنسبة للفرد والمجتمع فيما يلي:

*** بالنسبة للفرد حيث:**

- تتركز مهارات القراءة والكتابة على قائمة مهارات الاتصال التي يجب أن يكتسبها الفرد على امتداد الزمان وتباعد المكان (سمير عبد الوهاب وآخرون، 2004،45).
- القراءة عملية دائمة للفرد يزاولها داخل المدرسة وخارجها، وهي عملية تتزامن مع العمر، لهذا ترتكز عليها سائر المواد الدراسية، ولعلها أعظم ما لدى الإنسان من مهارات.

*** بالنسبة للمجتمع حيث:**

- تعد أهم الوسائل التي تدعو إلى التفاهم والتقارب بين عناصر المجتمع.
- تحافظ على تراث الإنسان الثقافي والاجتماعي الذي ينتقل من جيل إلى جيل ومن فرد إلى فرد عن طريق ما يدون من سجلات ويخط وما يطبع من كتب يقرأها كل من يشاء.
- وهي من أهم وسائل التفاعل والاتصال في الناحيتين المادية والروحية.
- تعتبر وسيلة فذة للنهوض بالمجتمع، وارتباط بعضه ببعض، عن طريق الصحافة، والوسائل والمؤلفات، والنقد والتوجه ورسم المثل العليا، ونحو ذلك مما تقوم فيه الكلمات المكتوبة، مقام الألفاظ المنطوقة (حابس العواملة،2004، 22-23).

4- مراحل تطور مهارة القراءة:

-**المراحل النمائية لتعلم القراءة** : النمو في القراءة نمو مستمر، ونمائي يحدث في مراحل متعددة تتطلب كل مرحلة اكتساب مهارة للنجاح في المرحلة ذاتها، وتؤهل للانتقال إلى المرحلة التالية، فالقراءة عملية تطورية تمثل كل مرحلة مطلبا أساسيا للمرحلة التي تليها وتتمثل هذه المراحل في :

-**المرحلة العشوائية** : غالبا ما يبدأ اهتمام الطفل بتعلم القراءة بتأمل الصور والرسومات الموجودة في الصحف والمجلات والكتب التي يقلبها بأصابعه وقد يسأل الكبار عن معانيها و تفسيرها، وهو في أثناء هذا يقوم بعمل قرائي عشوائي غير منظم للجمل والكلمات والحروف.

- **مرحلة التمييز**: يبدأ الطفل بتمييز الجمل والكلمات والحروف ومعرفة أشكالها المتباينة مستعينا بمثيرين (السمعي والبصري). (نبيل عبد الفتاح حافظ، 2006، ص 91).

ويكون الطفل في هذه المرحلة قد انظم إلى المدرسة واتسعت الآفاق العقلية والمعرفية لديه، وتعلم المهارات الأكاديمية كالقراءة مثلا، ذلك مما يساعده على تمييز الحروف والكلمات، إلا أنه قد يتعرض نسبة

من الأطفال إلى صعوبات أو أخطاء قرائية، مثل بطء سرعة القراءة، صعوبة في التعرف على الكلمة أو الجملة أو الفقرة، فيحتاجون إلى نشاط إضافي بغرض تصحيح هذه الأخطاء، وهي تمثل شكلا من أشكال التعليم الفردي الذي يتبع في المدارس الخاصة أو في غرفة المصادر ضمن المدارس العادية التي يقوم بها المعلم المختص.(قحطان أحمد الظاهر، 2003 ص 95).

- **مرحلة التكامل:** ويتمكن الطفل في هذه المرحلة من قراءة الفقرة ككل، ومعرفة مضمونها. (نبيل عبد الفتاح حافظ، 2006، ص 91).

وبالتالي يتمكن الطفل من فهم الأفكار التي تتضمنها الوحدات القرائية، دون الالتفات إلى الحروف أو الكلمات. (تيسير مفلح كوافحة، 2003، ص 95).

ففي هذه المرحلة تكون قراءة الطفل قراءة صحيحة، وفهمه للوحدات القرائية صحيح، وبالتالي يتمكن من الممارسة القرائية الفعلية والصحيحة وتكون قراءته مفهومة وواضحة، إلا أن هناك بعض المشاكل الصعبة في تعلم القراءة لدرجة أن الكثيرين لا يستطيعون أن يقرؤوا حتى الكلمات أو الجمل التي تتضمنها النصوص المكتوبة، وهذا ما يسمى " بصعوبة تعلم القراءة ".

من **وجهة نظر علم النفس النمو**، تنمو كل ظاهرة سلوكية عبر الزمن، أي عبر مراحل متتابعة تسمى المراحل النمائية، وبما أن القراءة ظاهرة نمائية، أي يتم تعلمها واكتساب مهاراتها عبر الزمن فإن الأطفال لا يتعلمونها دفعة واحدة، بل يكتسبونها عبر مراحل.

فالقراءة مهارة تستغرق من الطفل وقتا وصبرا طويلا وتحتاج إلى نضج وتدريب وهي تبدأ قبيل المدرسة بما يسميه علماء التربية التهيؤ للقراءة، وتبدو في اهتمام الطفل بالصور والرسوم التي تنشرها المجلات والكتب المصورة ثم تتطور في بدء الدراسة إلى التعرف على الجمل وربط مدلولاتها بأشكالها.

ثم تتطور بعد ذلك إلى المرحلة الفعلية التي تبدأ بالجملة، فالكلمة فالحرف ثم يستطيع الطفل بعد ذلك أن يمضي في مهارته، ليجودها مستعينا على ذلك بالمهارات والعادات الضرورية لإتقان القراءة الجهرية والصامتة (فؤاد بهي السيد،1956، 157) وفيها يتمكن الطفل من إعادة قراءة الفقرة ككل ومعرفة مضمونها بعد أن ألم بأجزائها في المرحلة السابقة (نبيل عبد الفتاح،2006،91).

وتقوم مهارة القراءة في تطويرها على الفهم اللغوي والتدريب الحركي الحسي للمهارات المتصلة بالقراءة، فإدراك الطفل للتباين والاختلاف القائم بين الكلمات والحروف، وإدراكه للتماثل والتشابه اللغوي عوامل أساسية

في نمو مهارة القراءة وتدريب العين على الحركة السريعة أثناء القراءة مهارة حسية حركية ترتبط ارتباطا جوهريا لنمو القدرة على القراءة (فؤاد بهي السيد،1965، ص158).

في قراءتنا للعناصر السابقة نرى انه من الضروري أن نبدأ تعويد الطفل على القراءة قبل دخوله المدرسة، وذلك بتركه يتعرف على الكتب أو القصص المصورة في البيت ومشاركة اخوته اثناء انجاز واجباتهم بالتقليد بحمل بعض القصص والتصفح فيها كل هذا يكون في سن قبل سن التمدرس فإذا ما وضعت هذه الكتب بين يدي الطفل ليقلب صفحاتها ويتأمل صورها ويستمتع بألوانها فإنها تساعده على توسيع مجاله الإدراكي، فتصفح الأوراق وتقليبها ومشاهدة الصور لطفل ما قبل المدرسة تجربة هامة في حياته قبل أن يتعلم القراءة وهي بؤرة الانفتاح لباقي المجالات.

إن مهارة القراءة لم تعد محصورة في معرفة الرموز وصور الحروف وتركيب الكلمات فقط، فقد اصبحت وسيلة تعليمية عالية للتثقيف الذاتي وهي تساهم في التكوين المستمر والتعليم الدائم. فإقحام الطفل في عالم تصفح الكتب المصورة دعامة أساسية للبرامج الدراسية خاصة او هي بمثابة برامج تحضيرية للسنوات الاولى من المدرسة وقناة تساعدها على التطور السريع والفاعل. وهكذا لم تعد مهارة القراءة مجرد تقنية للتعلم بل عاملا رئيسيا من عوامل التربية والتعليم والتكوين الذاتي.

ويمكننا القول أن القراءة عملية تطورية في سلسلة من المراحل المترابطة، فامتلاك مهارة في مرحلة ما أساس البدء في المرحلة التالية، وان مهارة القراءة تعتمد على عددا من العمليات العقلية والنفسية والحسية اللازمة لظهورها ومن هذه العمليات الادراك السمعي والبصري، القدرة على التذكر والتفكير والانتباه والتآزر البصري الحركي، كما يمكن القول أن معدلات النمو في تعلم هذه المهارة تختلف من طفل لآخر وهذا تماشيا والفروق الفردية.

5- **أنواع القراءة:** للقراءة عدة تقاسيم لاعتبارات مختلفة منها: الشكل وطريقة الأداء، أغراض القارئ، التهيؤ الذهني للقارئ.

5-1-من حيث الشكل وطريقة الأداء: القراءة من هذه الناحية نوعان: القراءة الصامتة أو السرية، والقراءة الجهرية.

5-1-1-القراءة الصامتة: هي عملية فكرية لا دخل للصوت فيها، لأنها حل للرموز المكتوبة وفهم معانيها بسهولة ودقة، وليس رفع الصوت فيها بالكلمات إلا عملا إضافيا، وكما أن رؤية الكتب مثلا كافية لإدراكه دون حاجة إلى النطق باسمه، فكذلك رؤية الكلمة المكتوبة.

والقراءة الصامتة يظهر فيها انتقال العين فوق الكلمات، وإدراك القارئ لمدلولاتها، بحيث لو سألته في معنى ما قرأه لأجابك، إذا فهي قراءة سرية ليس فيها صوت ولا همس ولا تحريك. (عبد العليم إبراهيم،1986، ص 61).

***مزايا القراءة الصامتة:** تحظى القراءة الصامتة بمزايا كثيرة، ولذلك كانت موضع اهتمام كبير في التربية الحديثة ومن أهم هذه المزايا ما يلي:

-تكتسي أهمية خاصة في مجال التحصيل الدراسي وفي الحياة الدراسية، فإذا ما تدرب التلميذ تدريبا كافيا على القراءة الصامتة تمكن من السيطرة على ركنيها الرئيسين هما: السرعة والفهم، وأمكنهم من التقدم في سائر المواد الدراسية.

-تتناسب مع ما يستوجبه الذوق الاجتماعي، من احترام شعور الآخرين بعدم إزعاج أسماعهم بأصوات الغير، ويبدو هذا أكثر أهمية في قاعة الدرس والأندية.

-تسهم في تنمية قدرات التلاميذ ومهاراتهم فهي تعوضهم الاستقلال بها والسرعة فيها، كما تطبعهم على حب البحث والاطلاع ولاسيما في أوقات الفراغ، وهي طريقة فردية تحمل كل تلميذ على العمل وحده، والاعتماد على نفسه في القراءة والفهم (خالد بن عبد الله الراشد،2004، 21-22).

5-1-2-القراءة الجهرية: نعني بالقراءة الجهرية تلك العملية التي تتم فيها ترجمة الرموز الكتابية إلى ألفاظ منطوقة، وأصوات مسموعة متباينة الدلالة، حسب ما تحمل من معنى وبالتالي فهي تعتمد عل ثلاثة عناصر رئيسية هي:

-رؤية الرمز بالعين.

-نشاط الذهن في إدراك معنى الرمز.

-التلفظ بالصوت المعبر عما يدل عليه ذلك الرمز. (سامي محمد ملحم،2002، ص 294)

***مزايا القراءة الجهرية:**

هي أحسن وسيلة لإتقان النطق، وإجادة الأداء، وتمثيل المعنى، كما أنها وسيلة للكشف عن أخطاء التلاميذ في النطق، فيتسنى علاجها، وهي أيضا تساعد في الصفوف الراقية على تذوق الأدب، بتعرف نواحي الانسجام الصوتي والموسيقى اللفظية، وهي وسيلة لتشجيع التلاميذ الجبناء، وذوي الخوف والتهيب، ولا غنى عن القراءة الجهرية في المواقف التي تستدعي رفع الصوت، كما أنها تعد التلاميذ للمواقف الخطابية، ولمواجهة الجماهير، والحديث إلى الجماعة. (عبد العليم إبراهيم،1986، ص 69)

5-2-من حيث الغرض من القراءة:

5-2-1-القراءة التحصيلية: يشير هذا النوع إلى استظهار المعلومات وحفظها، وتتسم بالأداة وعقد الموازنات بين المعلومات المتشابهة والمتلفة.

5-2-2-قراءة جمع المعلومات: في هذا النوع من القراءة يقوم القارئ بالرجوع إلى مصادر متعددة من أجل جمع ما يحتاج إليه من معلومات، مما يتطلب من الدارس مهارة السرعة في تصفح المراجع وكذلك إلى مهارة التلخيص.

5-2-3-القراءة السريعة الخاطفة: يهدف هذا النوع من القراءة إلى معرفة شيء معين في فترة قصيرة، كقراءة فهرس كتاب مثلا.

5-2-4-قراءة التصفح السريع: تهدف قراءة التصفح السريع إلى تكوين فكرة عامة عن موضوع معين، مثل قراءة تقرير وتتميز هذه القراءة بالوقفات في أماكن خاصة من أجل استيعاب الحقائق وبالسرعة والفهم في الأماكن الأخرى.

5-2-5-قراءة الترفيه والمتعة الأدبية: وهي قراءة تخلو من التعمق والتفكير، ولهذا يراعى في اختيار مادتها الخفة، ويزاولها الفرد عادة في أوقات فراغه، وعلى فترات متقطعة.

5-2-6-القراءة النقدية التحليلية: وتهدف إلى الفحص والنقد، ولذلك فإن القارئ في هذه الحالة يحتاج إلى الكثير من التروي والمتابعة، ويتميز الأفراد الذين يستخدمونها بقدر كبير من الثقافة والموهبة والنضج والاطلاع والتحصيل والفهم.

5-2-7-قراءة التذوق والتفاعل مع المقروء: ويشبه قراءة الاستمتاع، والتي يتأثر فيها القارئ بشخصية الكاتب، ومحتوى ما يقرأ ويشاركه فيما يقرأه له مشاركة وجدانية.

5-2-8-القراءة التصحيحية: وهي قراءة استدراك الأخطاء اللغوية والإملائية والأسلوبية والصيغ اللفظية وتهدف إلى تصحيح الخطأ مثل قراءة المعلم لكراسات تلاميذه والطبعات التجريبية، مما يتطلب من القارئ جهدا كبير لكثرة التدقيق والإمعان.

5-2-9-القراءة الاجتماعية: وتشير إلى التعرف إلى ما يحدث لفئات المجتمع من مناسبات سارة أو أحزان، مثل قراءة الوفيات والدعوات، والهدف منها المشاركة وتقديم الواجب الديني والاجتماعي (سامي محمد ملحم،2002، 292- 293)

5-3-من حيث التهيؤ الذاتي:

5-3-1-القراءة للدرس: ترتبط هذه القراءة بمطالب المهنة، والواجبات المدنية، وغير ذلك من ألوان النشاط الحيوي، والغرض منها عملي، يتصل بكسب المعلومات والاحتفاظ بجملة من الحقائق، ولذلك يتهيأ لها الذهن تهيؤا خاصا، فنجد في القارئ يقظة وأملا وتفرغا، كما يبدو في ملامحه ملامح الجد والاهتمام وتستغرق قراءته وقتا أطول، وتقف العين فوق السطور وقفات متكررة طويلة أحيانا، ليتم التحصيل والإلمام، وقد تكون للعين حركات رجعية للاستذكار والربط.

5-3-2-قراءة الاستمتاع: ترتبط هذه القراءة بالرغبة في قضاء وقت الفراغ قضاء سارا ممتعا، وتمحى منها الأغراض العلمية، والدافع إليها أمران:

- إما حب الاستطلاع، وفي هذه الحالة يكون المقروء من الموضوعات الواقعية.

- وإما رغبة في الفرار من الواقع وأثقاله وجفافه، والتماس المتعة والسلوى، وفي هذه الحالة يكون المقروء من صنع الخيال، أو الخرافات (خالد بن عبد الله الراشد، 2001، ص 18)

6-العوامل المؤثرة في تعلم القراءة:

6-1-العوامل العقلية والنفسية:

- المقصود بالعوامل العقلية والنفسية تلك العوامل التي تتعلق بخصائص الطفل كالاستعداد اللفظي والجسمي للقراءة والميول القرائية والثروة اللغوية، وسوف نتناول هذه العوامل فيما يلي:

6-1-1-الاستعداد للقراءة: الاستعداد للقراءة هو حالة تهيؤ من الناحية الجسمية والعقلية والانفعالية لاكتساب المهارات الأساسية اللازمة لتعلم القراءة.

- إن البيئة الأسرية لها أثر فعال في تنمية الاستعداد للقراءة باعتبارها تؤثر في مدى اكتسابه للغة وثراء حصيلته اللغوية وتزويده بالخبرات الثقافية في أسرته، ولكي يصبح الطفل قادرا على القراءة لا بد من توافر ثلاث شروط وهي:

- النضج اللغوي.

- النضج الحركي.

- الشروط الاجتماعية والحوافز الوجدانية (بشير معمريه ،2007، ص 101)

كما تعد القدرة العقلية أهم عامل يرتبط في القراءة، وأثبتت دراسة رشوان (1983) أن هناك علاقة دالة موجبة بين القدرة العقلية، ومستوى أداء التلاميذ في القراءة الصامتة (سمير عبد الوهاب وآخرون، 2004، ص 100)

ويمكن إجمال العوامل الأسرية التي تساعد في تنمية الاستعداد للقراءة فيما يلي:

- توفير الخبرات القرائية والمشاركة فيها.
- الصبر على أسئلة الطفل والاستجابة لها.
- مساعدة الطفل على استعمال الكلمات ونطقها بدقة.
- رواية القصص وقراءتها له.
- تشجيعه على القراءة.
- القراءة من أجل المتعة ومن أجل اللعب (بشير معمرية، 2007، ص 102)

6-1-2-الميول القرائية: الميل مفهوم يعبر عن استجابات الفرد إزاء موضوع معين بالقبول أو بالرفض وتغلب عليه الصفة الذاتية، بحيث يجعل الفرد يختار موضوعا في البيئة فيهتم به ويرغب فيه ويمارسه.

ويعتبر الميل نحو القراءة من أهم العوامل المؤثرة في اكتساب مهاراتها فميول القراءة وعاداتها التي تتكون لدى الطفل قبل التحاقه بالمدرسة تحدد بشكل واضح طبيعة الأنشطة القرائية لدى الأطفال عند بلوغهم سن الرشد (بشير معمرية،2007، ص 200)

6 -1-3-المحصول اللغوي واللفظي: من المتوقع أن القارئ المبتدئ لا يقرأ كلمات بعيدة عن خبرته وعندما يحقق الطلاقة فإنه يستطيع استخدام هذه القدرة لتفسير، وفهم السياق بحيث يستطيع من خلال ذلك زيادة ثروته من المفردات (سمير عبد الوهاب وآخرون، 2004، ص 103)

ومن العوامل المرتبطة بالمادة المقروءة نذكر:

-**المفردات:** ينبغي أن تكون مألوفة المعنى لدى المتعلمين حتى يتمكنوا من الربط بين المفردة ومعناها.

-**تركيب الجمل:** ينبغي أن تركب الجمل المراد تعليم قراءتها للتلاميذ بطريقة تشبه إلى حد ما تلك الجمل التي اعتادوا استخدامها شفويا.

-**محتوى المادة:** ينبغي أن يدور محتوى النص حول موضوعات مرتبطة بالمتعلمين. (مسعد محمد إبراهيم حليبة، 2010، ص 53)

6-2-العوامل البيئية:

المقصود بالبيئة هي المؤثرات الاجتماعية والثقافية التي يعيش الطفل في وسطها ويتعامل معهما، والبيئة التي تحيط بالطفل بهذه الصورة أثر فعال في تعلم القراءة والتعلق بها والاستمرار فيها، والتأثير البيئي يجعل الطفل الذي يعيش في وسط يزخر بالمثيرات القرائية كالكتب والمجلات والجرائد، لا يساوي الطفل الذي يعيش في بيئة خالية من هذه المثيرات. (بشير معمرية، 2007، ص 108)

6-2-1-تأثيـر الأم: حيث يلعب تدني المستوى الاجتماعي والاقتصادي الثقافي للأسرة الذي قد يأخذ شكلا حادا في الحرمان الثقافي بالإضافة إلى ما يساويها من اضطراب في المناخ النفسي السائد فيها، وعدم متابعتها لأداء أبنائها في الفصل، كلها عوامل تساعد على صعوبة القراءة. (نبيل عبد الفتاح،2006،ص 95)

وتحديدا تمت دراسة العلاقة بين سلوك الأم القرائي مع طفلها ومستوى تحصيله في مادة القراءة خاصة، لأن التحصيل في القراءة لا يعتبر مؤشرا في نجاح دراسته الحالية فقط، بل يمثل كذلك أحسن منبئ بتحصيل الطفل فيما بعد (بشير معمرية، 2007، ص 107)

6-2 -2-مكتبة الطفل: إن وجود مكتبة من العوامل البيئية التي تساعد على تنمية حب القراءة، إن عرض الكتب باستمرار في الأسرة أو في المدرسة يكون بينها وبين الطفل ألفة ومودة مستمرة ومتزايدة.

- ولمكتبة الطفل أهداف عديدة تنبثق من تأكيد القراءة المتواصلة التي تعتبر الزاد العقلي لتنمية اتجاهات معينة ينتج عنها توازن وتكامل في شخصية الطفل.

- تسعى مكتبة الطفل إلى توفير الكتاب، لما يناسب نمو الأطفال وحاجاتهم وميولهم وقدراتهم، وتسعى إلى ترسيخ عادات القراءة والاطلاع والتعلم الذاتي، واكتشاف ما يمكن أن تقدمه الكتب من معلومات ومعارف.

- تحقيق مشاعر المتعة للقارئ والاستمتاع بما يقرأ.

- تساعد المكتبة والقراءة فيها على تثبيت المواد الدراسية وتحقيق التفوق الدراسي (بشير معمرية، 2007، ص 109)

7-تنمية مهارات القراءة:

تتعدد طرق تنمية مهارة القراءة، فيركز **مجاور** على: تعريف الكلمة كطريقة القواميس وربط الكلمة بما يوضحها ويفسرها من المحسسات التي تقع في محيط مشاهدات الطفل كطرق.

ويشير **جفري** إلى ضرورة دراسة المفردات والأضداد، وصيغ المذكر والمؤنث، والأشكال الاصطلاحية كأهم طرق تنمية الثروة اللغوية (سمير عبد الوهاب وآخرون، 2004، ص 97)

ويمكن أن يتكامل دور مؤسسات المجتمع في تنمية ونشر الوعي القرائي في وسط المجتمع عامة والأطفال خاصة، وهذه بعض الطرق التي يمكن أن نذكرها كمثال ليتكامل بها دور مؤسسات المجتمع للمساهمة في نشر وتنمية مهارة القراءة لدى التلاميذ، وبعض هذه الطرق والأساليب تقوم بها الأسرة والبعض الآخر يشترك فيه بقية مؤسسات المجتمع.

- إنشاء مكتبة منزلية وتخصيص قسم منها للأطفال وتزويدهم بالكتب والمجلات الخاصة بهم.

- إنشاء معارض الكتب الخاصة بكتب الطفل، ويمكن أن تخدمها المدارس بشكل مصغر.
- إنشاء مكتبات للأطفال في مختلف الأحياء السكنية في المدينة الواحدة.
- استثمار الأماكن العامة مثل الأسواق والمكتبات التجارية للتوعية بأهمية القراءة.
- تفعيل دور وسائل الإعلام الحديثة في توضيح دور الأسرة الحيوي والمهام في تعليم الأطفال القراءة وتنمية هذا الجانب لديهم. (www.dahcha.com).
- تنمية الألفة بين الطفل والكتب عن طريق قراءة الوالدين لأطفالهم بعض القصص المشوقة.
- ممارسة الآباء للقراءة والحديث عن أهمية القراءة في اكتساب المعلومات.
- إشراك التلاميذ في النوادي الخاصة بالقراءة والقصة بالمدرسة والهدف من النادي هو التعريف بفضل القراءة في حصول القارئ على المعلومات التي تمتعه من خلال القصص والحكايات والمغامرات. (بشير معمرية، 2007، ص 104)

خاتمة:

إن مهارة القراءة هي عملية يتعلمها الطفل في مراحله الاولى من الحياة سواء في المنزل او المدرسة او في دور الحضانات او مختلف الجمعيات التي اصبحت تعتمد برامج وزارية لتعليم الاطفال حيث توفر هذه الأخيرة مجالا للتعلم والإحساس بالقدرة على العمل.

ومن خلال عرضنا لمختلف عناصر مهارة القراءة فإن هذه الأخيرة هي بمثابة الدعامة الرئيسية للتكوين الذاتي للفرد في مختلف المجالات، خاصة إذا تم التركيز على دمج الطفل في سن مبكر في مكتبات منزلية " مكتبة الطفل" التي تضم مختلف الكتب أو القصص المصورة التي تستهوي الطفل، والتي تعمل على نمو رغبة التصفح للصور في سن مبكرة الى امكانات ومهارات وحب القراءة والاستمتاع بها. و هذا الاستمتاع يتحول من حب وألفة الى رؤى مستقبلية كفن الخطابة مثلا او التأليف أو .....

حيث يتغير الهدف من قراءة الدرس الى قراءة واستمتاع ونشوة وهذا ما يزيد في معدل حب القراءة والمطالعة الى درجة استعماله كميكانيزم دفاعي او وسيلة دفاعية نفسية للهروب من الواقع الاليم لبعض الأشخاص بقراءة قصص ترفيهية والتماس المتعة والطمأنينة فيها.

إن الزمن المخصص لتدريب التلميذ على مهارات القراءة له دوره البارز في تعليم القراءة، نتكلم طبعا هنا عن التلميذ الذي تتوفر فيه كل الاستعدادات والشروط لاكتساب هاته المهارة، فكلما أعطى التلميذ قدر أكبر

من الزمن لممارسة القراءة وكلما امتزج وجوده في بيئة تزخر بالكتب والمجلات، كانت فرصته في تعلم القراءة والاستمتاع بها أكبر وزادت ميوله النفسية القرائية والعكس يُعرض التلميذ لصعوبات تعلم القراءة،

ولعل من أهم وظائف المكتبة المنزلية غرس وتنمية عادة القراءة والاطلاع لدى المتعلم خصوصا في المرحلة الابتدائية وما قبل الابتدائية بحيث تصبح عادة القراءة والبحث ملازمة للفرد مدى الحياة، ولكن هذا لن يتأتى الا إذا كان هناك الى جوار المكتبة المتعة في القراءة.

ويختلف الاستمتاع بالقراءة بنوعيها فنجد القراءة الجهرية بمثابة عامل مشجع للتلميذ وعلاج فعال لفوبيا التجمهر والكلام امام الناس وعامل قوة لنمو الشخصية والقراءة الجهرية تشارك في اعداد التلميذ مستقبلا لمهن خطابية اما القراءة الصامتة فهي تطبع للتلميذ حب البحث والاطلاع في أي مكان وزمان بدون ازعاج المحيطين به وتعوده الاعتماد على النفس في فهم النص المقروء، حيث تعتبر خاصيتي الجهر والصمت عامل مشترك بين كل انواع القراءة الاخرى.

كما يمكن القول أن للفروق أو الاختلافات الثقافية للآباء ودعمهم للنشاط الذاتي للقراءة الحرة عند آباءهم له دور في تطوير المهارات القرائية لديهم خاصة دور الأم فالأم التي تواظب على القراءة امام اطفالها وتحثهم على انجاز الواجبات والمداومة على المراجعة تحز في نفس الطفل حب اكتساب هذه المهارة.

ان تعلم القراءة مبكرا يبلور فكر الطفل من خلال علاقات جديدة وتعطيه شكلا جديدا للاتصال ومعنى لتحقيق ذاته في معرفة ما يحيط به مستقبلا.

كما وصلنا الى أن طرق تنمية مهارة القراءة يختلف حسب العلماء فمنهم من يركز على تقنية شرح الكلمة من خلال تعريفها وربطها بما يوضحها ومنهم من يرى ضرورة ربط كل كلمة بضدها وتذكيرها أو تأنيثها.

وما نستخلصه عموما من هذه الورقة البحثية وحسب قراءتي الخاصة لموضوع مهارة القراءة أن تنمية الميول القرائية لدى الطفل يعد مطلبا تربويا وثقافيا، لا يمكن التغاضي عنه، وينبغي أن يساهم في تنمية هذه الميول القرائية الأسرة وفي سن مبكر.

قائمة المراجع:

توثيق الكتب:

- العواملة، حايس. (2004) مهارات تعليم القراءة والكتابة، عمان، دار وائل للطباعة والنشر.
- معمريه، بشير. (2007). بحوث ودراسات متخصصة في علم النفس، باتنة. منشورات الحبر.
- خالد، بن عبد الله الراشد. (2001). برنامج مفتوح لتنمية مهارات القراءة الصامتة وأثره في تحسين مستوى التحصيل الدراسي، رسالة ماجستير، المملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود.
- رياض، بدري مصطفى. (2005). مشكلات القراءة من الطفولة إلى المراهقة (التشخيص والعلاج). عمان ط1، دار الصفاء لنشر.
- ملحم، سامي محمد. (2002). صعوبات التعلم، عمان، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
- سمير، عبد الوهاب وآخرون(2004). تعليم القراءة والكتابة في المرحلة الابتدائية (رؤية تربوية)، ط2، كلية التربية جامعة المنظورة.
- عبد العليم، إبراهيم. (1986). الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، مصر، ط4، دار العارف.
- السيد، فؤاد البهي. (1956). الأسس النفسية للنمو، مصر، ط1، دار الفكر العربي.
- مسعد، محمد إبرا هيم حليبة. (2010) محاضرة حول العوامل المؤثرة في القراءة، مكة.
- مصطفى رجب. (2004). تنمية مهارات القراءة عند الأطفال، د ط، الجامعة الأردنية.
- نبيل، عبد الفتاح. (2006). صعوبات التعلم والتعليم العلاجي، مصر، ط3، مكتبة زهراء الشرق.
- كوافحة، تيسير مفلح. (2005). صعوبات التعلم والخطة العلاجية المقترحة، عمان ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- قحطان، أحمد الظاهر. (2004). صعوبات التعلم، عمان ط1، دار وائل للنشر والتوزيع.
- Galisson Goste. (2004).dictionnaire de didactique des langues Vincent Jouve(1993). la lecture, hachette, paris.

توثيق المواقع الالكترونية:

- فيصل حمدان الشمري، تنمية مهارات القراءة لدى الطلاب، www.dahcha.com

الحوار الديني والتعارف الإنساني بين الأديان الكتابية على أساس قاعدة العمل الاجتماعي.

د/ الحسن حما ـ جامعة محمد الخامس ـ الرباط ـ المملكة المغربية.

الملخص :

تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن بعض تجليات النزعة الدينية في السلوك الاجتماعي لأهل الأديان، وفهم مداخل اسهام العقائد ووظيفتها في البناء الاجتماعي (Social Structure)، أو العكس، النظر في خطورتها وأثارها السلبية في قيام وبناء المجتمعات المعاصرة، حيث تجتهد الأديان جميعاً في استخراج خلاصة تصوّراتها الماورائية واللاهوتية والأنتروبولوجية والاجتماعية والسياسية التشريعية. لهذا يعتقد كثير من أهل الأديان أن الإمساك بجوهر الدين يُتيح التفطن للفرادة التي ينعقد عليها التصور الديني الأشمل للكون وللوجود وللتاريخ.

وتبتغي هذه الدراسة ابراز جانبٍ من أسس الحوار الديني والتعارف الإنساني الممكنة بين الأديان الكتابية (اليهودية والمسيحية والإسلام)، من خلال البحث في علاقة الإيمان بالدين وتحليل وظيفتهما في السلوك الاجتماعي للإنسان المعاصر، مع التحليل النظري لأسس العلاقة بين الإيمان والدين.

الكلمات المفتاحية: الدين – البناء الاجتماعي – التعارف الإنساني.

Abstract :

The purpose of this study is to investigate some aspects of the religious tendency in the social behavior of the divine religions's followers, and to understand the approaches in the contribution of the beliefs and their function in social structure, or vice versa, to analyse its severity and negative effects in the rise and build of contemporary societies, where all religions endeavor to extract the synopsis of their metaphysical, theological, anthropological, social, political and legislative perceptions. This is why many people of divine religions believe that grasping the essence of religion allows the discernment of the uniqueness of the broader religious conception of the universe, existence and history.

The study seeks also to highlight a side of the foundations of religious dialogue and human acquaintance possible between divine religions (Judaism, Christianity and Islam), by examining the relationship between the faith and religion and analyzing their function in the social behavior of modern man, with theoretical analysis of the the relationship's foundations between faith and religion.

key words: Religion - social construction - human acquaintance

مقدمة :

تتجه المفاهيم الدينية المؤطرة لمفهوم "الإيمان" في الخطاب الديني للأديان الكتابية إلى بلورته في تعبيرات جماعية أو فردية عبر مفاهيم وشعائر وطقوس*، سواء الإسلامي القائم على "الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان"[1]، أو المسيحي الذي يُعتبر "الإيمان" "باباً يفتحه الله للبشر لكي يدخلوا في مسيرة تصميمه الخلاصيٌ"[2]. وحتى الإيمان اليهودي الذي يتأسس على جملة خصال وفضائل يحتل فيها الإيمان نقطة ارتكاز لعلاقة الإنسان مع الله. فكلها صيغ مفهومية يتحدد من خلالها الإيمان في الأديان الكتابية، وينتظم وفقها الجماعة المؤمنة لتعيش حياة تهدف من ورائها الأديان إلى ترشيد حركة الإنسان في الواقع الاجتماعي، وتوجيه سلوكه وفق غاية الله ومقاصده. التي أصبحت ملحة وضرورية نتيجة ما يشهده الواقع المعاصر من تحولات ومتغيرات أثرت على نسقه الثقافي والاجتماعي وفي نسيج العلاقات الإنسانية، وأصبح الإنسان يوم بعد يوم في حاجة إلى العودة إلى الدين والإيمان والبحث عن أطر مرجعية لفكره ومسلكياته النظرية والفلسفية القادرة على مواكبة تحديات وإفرازات الحضارة المعاصرة المثقلة بالأبعاد المادية وتراجع القيم الإنسانية.

إن النتيجة الحتمية التي يعبر عنها الواقع المعاصر؛ اتساع هوة الصراع والاختلاف بين أبناء المعتقد والدين الواحد –فما بالك إذا اتجهنا صوب أتباع ديانات مختلفة–؛ ولا يمكن لأحد من أهل الأديان أن يقرر هذا الوضع، أو يعتبره من أصول الأديان الكتابية؛ إنما هو من تبعات وإشكالات الواقع، من هنا تظهر الحاجة الملحة إلى العودة إلى الحوار الديني بين الأديان الكتابية (السماوية) والمشترك الإنساني، نظراً إلى اتساع دائرة المشترك بين هذه الأديان، وكذلك لأن هذه الأديان تحمل تصوراً ورؤية للعالم وللإنسان، قد تخرج الحضارة المعاصرة من أزمتها، والإسهام المعرفي والعلمي في تعزيز أسس الحوار الديني والارتباط بالأديان الكتابية والإيمان بأهميتها في حركة الواقع والفعل الإنساني. أي أننا بحاجة إلى استعادة الحوار بين اللاهوت والعلم[3] ومن جهة ثانية نحن بحاجة إلى تجاوز ما دأبت عليه أبحاث الانثروبولوجيا الدينية الكلاسيكية من اختزال الأديان في عناصر ثلاثة: طبيعة الإيمان، وأشكال الطقوس، ومضامين الأساطير. لأن تلك المقاربة تبدو قاصرة عن الإلمام بروح الديانات الإبراهيمية وغير الإبراهيمية، منذ أن تبين لعلم الاجتماع الديني المعاصر، ما للكنائس والجماعات الدينية من دور فاعل في الأنشطة الاجتماعية والخدمات

*الطقوس هي كل الاحتفالات المرتبطة بمعتقدات متصلة بالماورائي أكثر من دلالاتها على مجرد عادات اجتماعية وهي أنماط من العمل المتكرر في نوع من الثبات. Jean Cazeneuve, Sociologie du rite, p 13.

(1) الجرجاني، **"التعريفات"** تحقيق عبد المنعم الخفنى، دار الرشاد، - القاهرة-، ص 50

(2) **"موسوعة الأديان في العالم – المسيحية"** دار كريبس انترناشيونال 2001/2000م، ص 212.

(3) Thom Sicking S .j, "**Foi Chrétienne et inculturation au Proche-Orient**" , Université Saint-Joseph, Jeita,Beyrouth, 1992, pp 94 .

الطوعية والأعمال الخيرية، حيث تُمارس تلك الفعاليات باعتبارها ترجمة عملية للمفاهيم المفارقة، (...) لقد وجد علم الاجتماع نفسه مدفوعاً بالتنبه إلى آثار الاعتقادات والالتزامات الفردية، وكذلك التنبه إلى دور المؤسسات الدينية في مختلف قطاعات الحياة الاجتماعية الأخرى.[1]

من هنا نشأت الحاجة إلى الدراسة الاجتماعية للإيمان والدين، أي العمل على البحث عن بعض تجليات النزعة الدينية في السلوك الاجتماعي لأهل الأديان،[2] وفهم مداخل اسهام العقائد ووظيفتها في البناء الاجتماعي (Social Structure)[3]، أو العكس، النظر في خطورتها وأثارها السلبية في قيام وبناء المجتمعات المعاصرة. ففي "خضم التواجه الحضاري الناشط في أرجاء المسكونة، اليوم تجتهد الأديان جميعاً في استخراج خلاصة تصوّراتها الماورائية واللاهوتية والأنتروبولوجية والاجتماعية والسياسية التشريعة. لهذا يعتقد كثير من أهل الأديان أن الإمساك بجوهر الدين يُتيح التفطن للفرادة التي ينعقد عليها التصور الديني الأشمل للكون وللوجود وللتاريخ، ويعين الإنسان على التمييز بين الأنظومات الدينيّة، ويسهل مسرى الحوار الديني،"[4].

وتبتغي هذه الدراسة ابراز جانبٍ من أسس الحوار الديني والتعارف الإنساني الممكنة بين الأديان الكتابية (اليهودية والمسيحية والإسلام)، من خلال البحث في علاقة الإيمان بالدين وتحليل وظيفتهما في السلوك الاجتماعي للإنسان المعاصر، مع التحليل النظري لأسس العلاقة بين الإيمان والدين.

---

(1) عز الدين عناية، **"الأديان الإبراهيمية قضايا الراهن"**، دار توبقال، البيضاء – المغرب-، ط1 سنة 2014م، ص 101. وأنظر كذلك دارن شِرْكات وآخرون، **"السّوق الدينية في الغرب"**، ترجمة عزالدين عناية، دار صفحات، دمشق، 2012، ص 25.

(2) جزء من هذا العمل قام به عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر في كتابه **"الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية"**، ترجمة محمد مقلد، مركز الانماء القومي، لبنان –بيروت-،حيث بحث بعض تجليات الروح البروتستانتية القديمة وبين الحضارة الرأسمالية الحديثة، من خلال البحث عن هذه التجليات في السمات الدينية الصرفة، لا في "مناهج العيش"، أنظر ص 21.

(3) يأخذ مفهوم «البناء الاجتماعي» (Social Structure) معاني متعددة في مجال الدراسات الاجتماعية والانثربولوجيا، وتنوعت تحديداته بين الباحثين، ويوضح هذا التنوع ما يتمييز به المفهوم من عناية وأهمية في المجال الانثربولوجي والاجتماعي، وقد سبق «لعدد من المفكرين والعلماء أن تناولوا مفهوم «االبناء الاجتماعي» لكن تحت ألفاظ ومصطلحات متعددة، فقد ظهر المفهوم في كتابات (ماركس) تحت عنوان (التركيبات السفلى والتركيبات العليا). وعند (دوركايم) باسم (التركيبات الموروفولوجية). والواقع أن جذور الفكرة تمتد إلى منتصف القرن الثامن عشر وبخاصة في كتابات (موتسكيو) الذي يعد بحق مؤسس علم الاجتماع المقارن، وأن أفكاره مهدت لظهور النسق الاجتماعي الكلي الذي يتكلم عنه كثير من العلماء المحدثين. وقد اتضحت هذه الأفكار لدى (هربرت سبنسر) وخاصة في مجال تشبيه المجتمع بالكائن العضوي وهذا الموقف ساعد على ظهور فكرتي (البناء Structure) (والوظيفة Function) المستخدمتان في الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية من بعده ثم وصلت الفكرة إلى ذروتها في تفكير العالم الفرنسي (اميل دوركايم) في معالجة موضوع الحقائق الاجتماعية التي تمتاز بعموميتها وقدرتها على الانتقال من جيل إلى آخر.» أنظر ايمان محمد الطائي، وحسن حمود الفلاحي، مجلة البحوث التربوية والنفسية، مقال :**"التكوين الاجتماعي والثقافي ودورهما في التنمية المستدامة"**، مركز البحوث التربوية والنفسية، عدد 11 بدون سنة نسخة pdf ص 6.

ومن التعريفات التي يمكن الاستدلال بها في تعريف مفهوم «البناء الاجتماعي» تعريف رادكلف براون بأنه «شبكة العلاقات الاجتماعية الفعلية التي تقوم بين سائر الأشخاص في المجتمع الواحد» أنظر Radcliff G, B. 1952, Structure and Function in Primitive Society, London. 1950, P :106. وتعريف فرويد الذي يرى أنه «وحدة القيم والمعايير التي توجه سلوك كل فرد من أفراد الجماعة من خلال تفاعله مع الآخرين ومع البيئة» راجع (Frued, S: 1922, Group psychology and Analysis of the Ego. London, Hogarth. P. 229)

(4) مشير باسيل عون، **"محنة الإيمان"**، دار المشرق –بيروت-، ط1، 2005م، ص 155.

I. ما المقصود بالدين

يعتبر التديُّن و"الدين" ظاهرة اجتماعية واكبت البشرية وعرفتها حتى أشدها همجية وبدائية، فالإنسان دائم النزوع إلى ما وراء الطبيعة، حتى نعت الإنسان بالكائن المتدين l'homo religiosus ذلك ما قررته حركة التدين في التاريخ وما شهدت عليه الأماكن المقدسة والمعابد، والرموز والآثار ذات المنزع الديني للإنسان في تعامل مع الكون والطبيعية، فقد "نرى في السابق، أو الحاضر، مجتمعات إنسانية لا حظ لها من علم أو فن أو فلسفة، ولكنا لا نعرف قط مجتمعا لا دين له."[1]فالدين إذن ظاهرة إنسانية بامتياز. لهذا فالظاهرة الدينية ظاهرة معقدة تتداخل فيها جملة عناصر تختلف من دين إلى آخر، ودراستها تنطلق من الحقل الدلالي لكل ديانة من خلال مفاهيمها ومعتقداتها. وهذا التنوع والتشعب انعكس على التعريف الذي حاول مراعاة خصائص الأديان المشتركة، بالشكل الذي يجعل المفهوم أكثر استيعابا لقدر كبير من الأديان، ذلك ما عمل على إبرازه المؤرخون والفلاسفة وعلماء الاجتماع. فكلمة "الدين" في المعاجم اللغوية أصلها من "دين" فالدال والنون فيها «أصل واحد إليه يرجع فروعهُ كلُّها. وهو جنس من الانقياد والذُّل. فالدِّين: الطاعة، يقال دان له يَدِين له يَدِين دِيناً، إذا أصْحب وانقاد وطَاعَ. وقومٌ دِينٌ، مُطِيعون منقادون»[2]

وعند النظر في اشتقاق الكلمة ووجوه تصريفها نجد أنها تعود إلى ثلاثة معاني تتضمن ثلاثة أفعال بالتناوب، تؤخذ تارة من فعل متعد بنفسه: «دانه يدينه»، وتارة من فعل متعد باللام: «دان له» وتارة من فعل متعد بالباء: «دان به» وباختلاف الاشتقاق تختلف الصورة المعنوية التي تعطيها الصيغة."[3]

والمادة كلها تدور على معنى لزوم الانقياد فإن الاستعمال الأول، الدين هو إلزام الانقياد، وفي الاستعمال الثاني هو التزام الانقياد وفي الاستعمال الثالث هو المبدأ الذي يلتزم الانقياد له."[4] ومن أشهر التعريفات في الفكر الإسلامي تعريف الدين بكونه « وضع إلهيٌ سائق لذوي العقول باختيارهم إيّاه إلى الصلاح في الحال، والفلاح في المآل. وهذا يشتمل العقائد والأعمال ويطلق على كل ملّة نبي»[5] فـ«الدين يقال للطاعة والجزَاءِ واسْتُعير للشريعة، والدين كالملة لكنه يقالُ اعتباراً بالطاعة والانقياد للشريعة، قال تعالى ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾[6] وقال ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا**

---

(1) Henri Bergson, «**Les DEUX Sources de la Morale Et De La Religion**», Aout 1993, Paris, pp **99.**

(2) أحمد بن فارس "**معجم مقاييس اللغة**"، مادة [دان] ص **319.**

(3) عبد الله دراز "**الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**"، دار القلم، كويت، ط. 2، 1428هـ/2008م، ص 57.

(4) عبد الله دراز "**الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**"، م. س، ص 62.

(5) محمد التهانوي، "**كَشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**"، تحقيق علي دحروج، سلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م، بيروت لبنان، الجزء الأول، ص **814**

(6) ال عمران / **19**.

وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾[1] أي طاعة».[2]

ومن زاوية علم الاجتماع الديني يتم تعريف الدين على "أنه الإحساس الذي نشعر به حينما نغوص في بحر من الأسرار، كما يقول سبنسر (Spencer)(1820 –1903م)، أما ماكس موللر (Max Muller) (1823 –1900م) فيحدده بأنه إحساسنا باللامتناهي، ويذهب شيلرماخر (shleiermacher) (1768–1834م) إلى أنه خضوع الإنسان لموجود أسمى منه – وأخيراً يرى (Feuerbach) (1804 – 1872م) أن الدين هو الغريزة التي تدفعنا نحو السعادة."[3] وأشهر تعريف للمدرسة الاجتماعية هو ما قدمه إميل دوركايهم (Emile Durkheim) (1858 –1917م) بقوله «هو نظام متسق من المعتقدات والممارسات التي تدور حول موضوعات مقدسة يجري عزلها عن الوسط الدنيوي وتحاط بشتى أنواع التحريم، وهذه المعتقدات والممارسات تجمع كل المؤمنين والعاملين بها في جماعة معنوية واحدة تدعى كنسية.»[4] لكن بدوره هذا التعريف "لم يسلم من النقد فقد هاجمه لالاند في معجمه الفلسفي، إلا أنه ظل مأخوذا به في وجهة النظر الاجتماعية، وأخذ به كل تلامذة دوركايم من المدرسة الفرنسية."[5]في حين تتحدد ماهية الدين من زاوية النظر الانتربولوجية على أنه «عملية استرضاء وطلب عون قوى أعلى من الإنسان، يعتقد أنها تتحكم بالطبيعة والحياة الإنسانية، وهذه العملية تنضوي على عنصرين؛ واحد نظري والآخر تطبيقي عملي، فهناك أولاً الاعتقاد عليا، يتلوه محاولات لاسترضاء هذه القوى ولا يصلح الدين بغير توفر هذين العنصرين.»[6]

من خلال التعاريف السابقة لكلمة "دين" نخلص إلى أن الكلمة تطلق على كل ما اتخذه الإنسان لنفسه وارتضاه دينا، سواء أكان ذلك دينا من عند الله أو من وضع البشر، لأن القرآن – كما سبق– يطلق الكلمة على الدين الذي أنزله من عنده ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾ وأطلقها كذلك على دين اليهود والنصارى ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا**

---

(1) النساء / 124.

(2) الراغب الأصفهاني، "**المفردات في غريب القرآن الكريم**"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص 181

(3) علي سامي النشار، "**نشأة الدين النظريات التطورية والمؤلهة**"، دار السلام، -القاهرة -، سنة 2008م، ط1، 1430هـ/2009م، ص 24

(4)Emile Durkheim, **The Elementary Forms of Religous Life**, pp 50– 63، وأنظر أيضاً فراس السواح " **دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدفع الديني** " منشورات دار علاء الدين، ط.1 دمشق، ص 28.

(5) علي سامي النشار، "**نشأة الدين النظريات التطورية والمؤلهة**"، دار السلام، -القاهرة -، سنة 2008م، ط1، 1430هـ/2009م، ص 31

(6) فراس سواح "**دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدفع الديني** " م. س، ص25

اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾[1]فقد ووردت كلمة "الدين" في القرآن الكريم أكثر من تسعين مرة، وتعدد استعمالها بحسب معانيها في اللغة والسياق، فدلت تارة على يوم القيامة حيث الحساب والجزاء على أعمال الحياة الدنيا، وذلك في قوله تعالى (يوم الدين) في عدة آيات منها **(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)**[2]، وقوله **(وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ)**[3]، وقوله ﴿ **وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ**﴾[4]. فالدين هنا جزاء وحساب. والدين هنا أن يكون الأمر لله وحده في كل صغيرة وكبيرة ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ** ﴾[5].

كما استعملها القرآن بمعنى الإسلام الذي ارتضاه الله للبشرية وأنزله على رسله عبر مراحل وحقب تاريخية اكتملت مع محمد (ص) مثل قوله تعالى ﴿**وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾[6]، وقوله **(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ** ﴾[7]، وقوله ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾[8] ، وقوله **"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)**[9].

أما استعمال الكلمة في تاريخ الأديان "فلها معنيان لا غير. (أحدهما) هذه الحالة النفسية (etat subjectif) التي نسميها التدين (religiosite) (والآخر) تلك الحقيقة الخارجية التي يمكن الرجوع إليها في العادات الخارجية، (fait odjectif) أو الآثار الخالدة، أو الروايات المأثورة، ومعناها: جملة المبادئ التي تدين بها أمة من الأمم، اعتقادا أو عملا. (doctrine religieuse) وهذا المعنى أكثر وأغلب"[10] لهذا نجد أن التعريف الأكثر حضوراً في المجال التداولي للأديان الكتابية "يحصر مسمى الدين في نطاق الأديان الصحيحة، المستندة إلى الوحي السماوي، وهي التي تتخذ معبوداً واحداً، هو الخالق المهيمن على كل

---

(1)النساء الآية **170**

(2)الفاتحة / 4

(3)الصافات / 20

(4)الذاريات / 6

(5)الانفطار / 17

(6) البقرة / 131

(7) آل عمران / 19

(8)التوبة /33

(9)الروم / 29

(10)عبد الله دراز **"الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان"**، م. س، ص **62 – 63**.

شيء."[1]

إن تحديد مدلول كلمة دين؛ مدخل مركزي لبحث أسس العلاقة بين الإيمان والدين؛ لهذا نعتبر العلاقة بينهما علاقة متكاملة، فإذا كان "الإيمان" الإطار العام والحامل لمعتقد الإنسان، فالدين هو التجلي والمؤشر على درجة هذا الإيمان، لهذا يمكن وصف هذه العلاقة بينهما بالعلاقة التبادلية، الدين في اتجاه الإيمان والإيمان في تجاه الدين. وهو ما يوضحه الشكل أسفله، حيث تشير الدائرة الأولى إلى (الدين) وتشير الثانية إلى (الإيمان) وكل منهما يخترق الآخر إذا اجتمعتا ويلتقيان في دائرة الحياة اليومية للمتدين، التي يعصب فيها تحديد أين يبدأ الدين وأين ينتهي الإيمان. فتكون النتيجة دائرة كبرى تعطينا حياة الإنسان وأعماله اليومية المؤطرة بعقيدته متجسدة في تدينه.

II. علاقة الدين بالإيمان ودورهما في البناء الاجتماعي

إن تناول الدين من المنظور السوسيولوجي والانتربولوجي، يفتح آفاق النظر للعالم من زوايا مختلفة؛ العالم «المقدس» و«المدنس»[2] والأهم بالنسبة لنا اعتباره نظاما متسقا من المعتقدات، التي لا يمكن أن تتجلى في «دين» وتأخذ أشكالا من الطقوس والتعبيرات المختلفة، بدون وجود الإيمان الذي يشكل الروحي و النفسي للإنسان من أجل تصديقها وتمثيلها على الواقع. فهناك إذن علاقة جدلية وطيدة بين الدين والإيمان، فالدين تجل للإيمان، والبعض اعتبر "أن كل من «الدين» و«الإيمان» مرادفان، وأنه يمكن تعريف كل دين على أنه "إيمان" لكنه في الواقع ليس صحيحاً إلّا بمقدار محدود جدّاً. فغالبية الأديان تُعرَّف بطريقة أخرى، ولها مركز ثقل غير الإيمان. فالعهد القديم في مجمله، لا يُعرَّف بمعنى "الإيمان" بل بمعنى «الشريعة» وديانته هي قبل كل شيء، نظام حياة، مع أنها لا تنفي فعل الإيمان الذي ازدادت أهميّته مع الزمن. كذلك في بعض الأديان الوضعية كالتدين الروماني مثلاً هو أيضاً قد فهم الدين على أنه تَقَيُّد بطقوس وأعراف. فهذه الديانة لا تقتضي الإيمان بما يفوق الطبيعة كعنصر جوهريّ أي أنه يمكن المنتمي إلى هذه الديانة ألَّا يؤمن البتَّة بما يفوق الطبيعة، من دون أن يؤدي ذلك إلى اعتباره كافراً."[3]

ويمكن تحليل الدين في علاقته بالإيمان من خلال ثلاثة زوايا تحدد التعبيرات المختلفة للإيمان

---

(1) نفسه، ص 66.

(2) لفك التشابك بين "المقدس" و"المدنس" يرجى الرجوع إلى كتابات مرسيا الياد، "**أسطورة العود الأبدي**"، ترجمه عن الفرنسية نهاد خياط، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، - دمشق-، الطبعة الأولى 1987م، ص 15- 16. وكذلك مرسيا إليا، "**المقدس والعادي**"، ترجمة: عادل العوا، دار التنوير- بيروت-،سنة 2009م، ص 51 وما بعدها.

(3) راتسنجر، ج. "**مدخل إلى الإيمان المسيحي**"، ترجمة الدكتور، نبيل الخوري، سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم، منشورات المكتبة البولسية –بيروت-. سنة 1994م، ط. 1، ص 24

بواسطة «الدين»:

الأولى: من حيث أن الدين هو معتقدات، تفرّعت منه مفاهيم «العقيدة» و«الاعتقاد» و«الإيمان» و«الأمانة» و«التعليم» و«المذهب» و«النحلة». والدين هنا يقوم بدور المؤطر والموجه للعقيدة. أي خلاف المجتمعات التي لا تدين بأي دين وتجعل من السلوك المدني والفكري موجها لاعتقاد الأفراد.

الثانية: من حيث أن الدين هو مؤسسة اجتماعية، تفرعت منه، مفاهيم «الأمة» أو «جماعة المؤمنين» و«الكنيسة» و«الملّةّ وّالمذهب» و«النحلة» أو «الفرقة». وهذه العلاقة هي التي تمثل جوهر الاشكال الذي يهدف الكتاب إلى مقاربته، أي كيف تنبثق المفاهيم الاجتماعية من الدين والإيمان، وكيف تسطع الأديان تأطير الفعل الاجتماعي من خلال مفاهيم دينية، ويظهر من المفاهيم المستوحاة من علاقة الدين بالإيمان أنها تتمحور أساساً حول الجماعة.

الثالثة: من حيث الموقف الإيجابي، من الدين، لدينا مفاهيم «الإيمان» و«الاعتقاد» و«الاهتداء» و«العبادة» و«الطاعة» و«الإتباع».[1]

وكل قسم من الأقسام الثلاثة يحيل على تعبيرات مهمة، تبرز تجلياته الاجتماعية، وعلاقته بالفرد أو الجماعة؛ الأولى تجعل من الدين مؤسسة اجتماعية تتشكل عبر مفاهيم، سياسية (التعليم، النحلة، المعتقد، المذهب،) وهذه المفاهيم فيها إشارة إلى الجماعة. إذ من خلال مفهوم «الكنيسة» مثلاً يتمظهر الدين باعتباره مؤسسةً اجتماعية، فالكنسية تستوعب الإيمان المسيحي وتنظمه من خلالها إذ تعتبر الوسيط بين الإله وبين المؤمنين، وفي المنظور الإسلامي يوضح مفهومي «الملة» و«الأمة» عن انتماءات اجتماعية لجماعة المؤمنين مؤسسة على أساس عقدي لهذا أنكر يوسف ◆ انتماءه لملة قومه بسب اختلافها المرجعي معه في الإيمان بوحدانية الله ✠ وتبع ملة آبائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب ﴿**إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ**﴾[2] حتى إن الجرجاني اعتبر أن الدين و«الملة» متحدان بالذات، ومختلفان بالاعتبار، فإن الشريعة من حيث أنها تطاع تسمى ديناً، ومن حيث أنها تجمع تسمى ملة، ومن حيث أنها يرجع إليها تسمى مذهباً."[3]

أما التقسيم الثاني فهو نتاج الأول؛ الذي يفضي إلى جماعة المؤمنين، أو الكنسية، في حين يشكل

---

(1) الخوري بولس، "**مفهوم الدين: المفاهيم عند المسيحيين المفاهيم الفلسفية واللاهوتية في المجادلة بين المسيحيين والمسلمين من القرن الثامن حتى القرن الثاني عشر**"، المكتبة البولسية، جونية –لبنان ، 2004م، ط. 1، ص 13

(2) يوسف / 37 – 39.

(3) "**التعريفات**" م، سابق، ص 117

التقسيم الثالث الطريقة والغاية من الدين والعمل على الانخراط الايجابي وسط المجتمع والسهر على تعزيز القيم الإيجابية المشكلة للمجتمع الراعية لمقاصد الإنسان.

إن علاقة الدين بالإيمان تقدم الدين على أنه جملة معتقدات وغيبيات ونبوات يراعيها الدين وينظمها، وتجعل من الإيمان منطلقا لتشكيل الدين، له قدسيته عند الجماعة المؤمنة به وهذا ما يعني انصهارها الاجتماعي مع ما يقصده هذا الدين، فتجعل من أعرافها وتقاليدها ونظمها الاجتماعية والسياسية تراعي هذا الإيمان بالدين، ولهذا فالبحث عن التعبير الاجتماعي للإيمان تسمح للباحث الانتربولوجي ولمؤرخ الأديان في دراسة وفهم تطور الوعي الديني عند الشعوب، من خلال التراكم النوعي الحاصل في توظيف الانتربولوجية وعلم الاجتماع الديني في دراسة الدين على أنه معتقدات. ومنطلق ذلك الانطلاق من الوثائق والنصوص الدينية للأديان الكتابية، من خلال الانتظام في إطارها النظري الإبستمولوجي، ويشتغل هذا المنهج على النصوص بشكل لا يلغي خصوصياتها المعرفية، وتحليل معطيات الإنسان فيها من خلال المعطى الثقافي والاجتماعي للأحداث المدروسة، أي أن مقاربة الاشتغال؛ بقدر ما تمتحي من المفاهيم الانتربولوجية، تستند إلى «مقاربة الظاهرة الدينية على صعيد حقل مرجعيتها الخاص بها.»[1]

إن الدلالات السابقة تفتح أفاق النظر لجملة خصائص تساهم في تشكل وبلورة الوعي الاجتماعي بالظاهرة الدينية؛ ومن ثمة الإحاطة بكل أبعاد الواقع المحيط بالإنسان والمجتمع. كما أن بحث علاقة "الإيمان" "بالدين" تشكف مدى ارتباط معتقدات الإنسان بالوجود الاجتماعي كله في لحظة تاريخية معينة، وهذه الخصائص هي التي تحدد الأبعاد التي يشملها علاقة الإيمان والدين.

III. دور الدين وأبعاده الاجتماعية

اهتمت «سوسيولوجيا الأديان» بالدراسة الاجتماعية للأديان، و«الانتروبولوجيا» بدراسة المجتمعات وتحولاتها؛ الثقافية والدينية والاجتماعية والسياسية، ويشكل علم الاجتماع الديني حلقة مهمة في مسار دراسة الأوضاع الدينية للمجتمعات سعيا لتفسير تحولاتها وتطورها. إذ تحاول «سوسيولوجيا الأديان» أن «ترد الظاهرة الدينية إلى أسسها الاجتماعية. فالدين ظاهرة اجتماعية، والمؤسسات الدينية جزء من المجتمع، والدين ينبع من المجتمع والمجتمع يفرز الدين، ولا يعني هذا أن سوسيولوجيا الأديان تنكر المصدر الإلهي

[1] ميرتشيا إلياده، **"البحثُ عن التاريخ والمعنى في الدين"**، ترجمة سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت –لبنان-، ط. 1، كانون الأول (ديسمبر) 2007م، ص **21**.

للدين، أو تنكر الوحي والنبوة والكتب المقدسة، بل على العكس تماماً. إذ هي تعترف بكل ذلك، لكنها في نفس الوقت تهدف البحث في التأثير الذي يحدثه الدين في المجتمع، والمجتمع في الدين، والظروف التي تمكن ديناً من الانتشار في مجتمع ما، والتي تجعل ديناً آخر لا ينتشر. كما أنها تدرس الجماعة الدينية ذاتها باعتبارها جزءاً من المجتمع: كيفية تكوُّنها، والآليات التي تحكم تأسيسها وتطورها، وأنماط الفعل والسلوك التي تدعمها أو ترفضها»[1] في حين تهتم الدراسة الانثروبولوجية بالبحث "في بنية الأديان البدائية، الإحيائية (Animism) والأرواحية (Spiritualism)، من خلال التركيز على دراسة أنظمة الشعوب القديمة اجتماعيا وثقافيا، ويشير الباحث أشرف منصور في كتابه الرمز والوعي الجمعي دراسات في سوسيولوجيا الأديان"، إلى أن الرأي قد استقر «على أن الدراسة الانثروبولوجية تركز على الأديان البدائية، الإحيائية Animism والأرواحية Spiritualism، والدراسة السوسيولوجية تركز على الأديان الكتابية، اليهودية والمسيحية والإسلام.»[2]وتستند المقاربة الانثروبولوجيا في دراستها لـ«للإنسان» على منظور وضعي في أربعة مداخل: «الأول، وضع عدد من المفاهيم بدءاً بمفهوم الإنسان ذاته لا بقصر النظر إليه ذات عارفة بل موضوعا للمعرفة، الثاني، وضع معرفة لا تقتصر على التأمل بل تتعداه إلى الملاحظة وهذا نمط جديد لولوج الإنسان الذي ينظر إليه في حياته الواقعية على أساس أنه يخضع لتحديدات بنيته الجسمية وعلاقاته للإنتاج ولغته ومؤسساته وسلوكاته. وفق هذا المنهج نشأت تدريجياً معرفة وضعية تجريبية، تختص بالإنسان من حيث هو كائن حيّ (علم الأحياء)، عامل (الاقتصاد)، مفكر (علم النفس)، متكلم (الألسنية)... والثالث؛ إحداث إشكالية كبرى، إشكالية الاختلاف في قطيعة مع الاعتقاد بوجود شفافية مباشرة للكوجيتو الذي ساد في القرن 17، رابعا، اعتماد منهج الملاحظة والتحليل، المنهج الاستقرائي.»[3]

وقد مرت علاقة الدين بالمجتمع بتحولات فكرية عميقة، تأثرت بشكل خاص بتجربة النهضة الأروبية، ويمكن تقسيم الآراء حول الدين والمجتمع إلى ثلاثة أقسام[4]:

1) «فئة ترى دوراً أساسياً للدين في قيادة الوعي الاجتماعي، أو على الأقل في صياغة اللاشعور العام. داخل هذه الفئة هناك من يرى إلى تحويل الدين من مجرد وصايا وتعاليم،

---

(1) أشرف منصور، **"الرمز والوعي الجمعي دراسات في سوسيولوجيا الأديان"**، ط. الأولى 2010م، رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة- ، ص 8- 9.

(2) نفسه، ص 11.

(3) أنظر فرنسوا لابلانتين، **"مفاتيح الأنثربولوجيا"**، ترجمة حنفاوي عمايريّه، سلسلة علوم إنسانية، مركز النشر الجامعي، 2000م، تونس، بدون رقم ط. ص 45 – 46.

(4) عبد الحليم فضل الله، **"دور الدين في تكوين النظام المجتمعي"**، ضمن أعمال ندوة "الإسلام والمسيحية بحوث في نظام القيم المعاصر"، دار الهادي، بيروت –لبنان-، ط1، سنة 1424هـ/2003م، ص 218.

إلى منظومة أيديولوجية ذات فعالية فكرية ومؤسسة وسلطوية.

2) فئة تدعو إلى دين أخلاقي، حدوده تكريس مشروعية القيم، وسواء كان هذا الدين، إلهياً أو طبيعياً، ميتافيزيقيّاً أو إنسانياً، فإنه الأقدر على إنقاذ نظام القيم، وعلى ضبط السلوك البشري أثناء تلبية الحاجات والرغبات.

3) فئة ثالثة، تدين الدور الاجتماعي للدين، وتدعو إلى أن يحل محله العلم أو الفلسفة، أو قيم العلم»[1].

ويعكس هذا التوجه الصراع والتوتر الحاد، بين العلم والدين الذي وصل إلى حد «الخصومة بين المذهب المادي وبين الفلسفة المثالية والعقلية الكهنوتية. وقد بلغ التوتر مبلغ الأزمة، عندما أعلن كارل ماركس (Karl Marx) (1818م – 1883م) تفسيره المادي للتاريخ، وبيانه الشيوعي سنة 1848م. فهز صَرْحَ الكَهنوُتِ بجحده الأديان.»[2] وتعزز بإعلان تشالز داروين (Charles Robert Darwin) (1809–1882م) لنظريته في كتابه "أصل الأنواع" سنة 1859م، «فقدمت نظريتُه في نشوء الأنواع وتطورها بالانتخاب الطبيعي، تفسيراً بيولوجياً لما كان من اختصاص التأملات الفلسفية والغيبيات اللاهوتية.»[3]

إن العناية بأهمية الدين وبحث أدواره الاجتماعية كانت بدايته مع عدد من الفلاسفة الذين اعتبروا دراسة معتقدات الإنسان مدخلاً لدراسته؛ ذلك ما عبر عنه ول ديورانت «Will Durant» (1885 –1981م) بقوله «ليس في وسعنا أن ندرس الإنسان على الإطلاق إلا إذا درسنا آلهته»[4]. هذا يجعل من حضور الدين في حياة الإنسان معطى ضرورياً وأساسياً أثبت التاريخ قوة ارتباط الإنسان به، فقد «نرى في السابق، أو الحاضر، مجتمعات إنسانية لا حظ لها من علم أو فن أو فلسفة، ولكنا لا نعرف قط مجتمعا لا دين له»[5]. وحتى الذين عملوا على تغييب الدين واستبداله بفلسفات لم يسعفهم مجهودهم الفكري في إزالة الدين من حياة الإنسان، بسبب قوة الاعتقاد الديني، واستعصاء انتزاعه من أطر التفكير البشري، وكذا من أنساقه الثقافية، وبسبب حتمية فشل الفكر المادي ونهايته، وبقاء التدين علامة على ملازمته للإنسان، وقد عبر العلامة عبد الله دراز على ذلك بقوله: «إن من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه، وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان

---

(1) عبد الحليم فضل الله، **"دور الدين في تكوين النظام المجتمعي"**، مرجع سابق، ص 218.

(2) عائشة عبد الرحمن، **"القرآن وقضايا الإنسان"**، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان-، ط4، كانون الثاني1981م، ص **209**.

(3) عائشة عبد الرحمن، **"القرآن وقضايا الإنسان"**، المرجع السابق، ص **209**

(4) ديورانت ول، **"قصة الحضارة"** (ترجمة) محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر -القاهرة-، بدون رقم الطبعة ولا سنة النشر، ج.2، ص **156**

(5) Bergson Henri, «**Les DEUX Sources de la Morale Et De La Religion**», Aout 1993, Paris, pp **99**

المذهب المادي الذي يريد أن يحصر الإنسان في المضايق الدنية للحياة الأرضية»[1].

لقد تعزز الاهتمام المبكر لعدد من الفلاسفة والمفكرين بموضوع الدين والنظر إلى أهميته في حياة الإنسان بالاهتمام المتزايد للعلوم الإنسانية والاجتماعية في دراسة الدين وقضاياه، مع التقدم النوعي الذي أحرزته دراسة النصوص الدينية في علم الأديان المقارن[2] بشكل خاص، وهي نتيجة طبيعية لـ«عودة الدين» أو «القدسيّ» عموماً إلى الفضاء العام، من خلال بروز الصحوة الدينية العالمية.

إن هذا الإطار النظري والسوسيولوجي للظاهرة الدينية، تفسره حركية الدين في المجتمع والدينامية التي يخلقها، سواء في الديانة المسيحية واليهودية أو الإسلام، وهو ما تؤكده "دراسة مستفيضة أعدتها كنائس كلاسكو، أظهرت أن الكنائس في هذه المدينة في سنة 2006 وعددها 315 قد قامت بـ 2382 فعّاليّة على شكل مجموعات تعاونيّة وخدمات اجتماعية ومشورات عدليّة ومجموعات دعم فني ودروس تربية بدنية وصحيّة ودروس تثقيفيّة."[3] وغيره كثير من الأعمال الاجتماعية التي تقوم بها الكنائس على تنوعها وتعددها، نفس الشي في البلدان الإسلامية إذ نجد أن العمل الخيري الإسلامي الذي تقوم به المؤسسات الرسمية والحكومية، أو الجماعات الدينية والحركات الإسلامية، ودور العبادة أصبح يعرف اقبالاً ملحوظاً ويلقى قبولاً في أوساطه. ليشكل بذلك أرضية خصبة للدراسات الاجتماعية التي تنطلق من هذه الأعمال وتفاعلها مع المعطى لرصد حركية التدين مع مختلف الفاعلين الدينيين. وفق هذا يكون استحضارنا لبعض المؤشرات الدالة على مقاربة علم الاجتماع الديني من خلاله مفاهيمه ومنظوره للدين والتدين ولأن الكتاب أساساً يعنى بالبحث في الكتب الدينية المقدسة أي الانتماء إلى حقل المقارنة الدينية، فإن الإشكال الذي نتناوله بالبحث يفرض علينا استحضار جانبٍ من التقاطع والتشابك الذي يشهده حقل تاريخ الأديان، مع المجالات المعرفية الأخرى (الفلسفة، التاريخ، الانتربولوجيا وعلم الاجتماع الديني) سعيا لتقديم تفسير اجتماعي للدين وهو ما اختص به المبحث الأخير لهذا الفصل.

---

(1) دراز عبد الله، **"الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان"**، مر، س، ص 134

(2) يطلق عليه كذلك "تاريخ الأديان"، أو "الأديان المقارنة"، أو"علم فينومينولوجيا الأديان" أو "علم ظاهرة الأديان"، ويدور هذا العلم على اختلاف مسمياته حول وصف الأديان وصفاً علمياً موضوعياً يهتم بمسيرة الأديان في التاريخ من ناحية وبمقارنة ظواهرها الأساسية مع الاهتمام بكل العناصر المكونة للظاهرة الدينية والعوامل المكونة للتجربة الدينية عند الإنسان. ويهدف إلى تجاوز ما عرفته الدراسات الدينية التي تهتم بجانب واحد من هذه التجربة، فاهتم المؤرخ مثلا بالعنصر التاريخي في الظاهرة الدينية واهتم عالم النفس بالجانب النفسي فيها، واهتم عالم الاجتماع بالجانب الاجتماعي، وهكذا بالنسبة لبقية الاتجاهات العلمية. ونتيجة لهذا التفرع العلمي لجانب من الجوانب الظاهرة الدينية يهدف "علم تاريخ الأديان" إلى توحيد الدراسات المتعلقة بالظاهرة الدينية، والاستفادة من المنجزات العلمية التي حققتها العلوم المختلفة في مجال دراسة الدين، ومحاولة التوفيق بين الاتجاهات المتعددة لنحصل في النهاية على علم للظاهرة الدينية.

-راجع: حسن محمد خليفة، **"تاريخ الأديان دراسة وصفية مقارنة"**، مر، س، ص 21 - 22

(3) دافيد فيرجسون، **"حوار الإيمان ومنتقديه"**، ترجمة، منير العلي، دار الفارابي، بيروت –لبنان-، ط1، كانون الثاني 2014م، ص 120

IV. التعارف والحوار الديني من خلال قاعدة العمل الاجتماعي

كثيرا ما نعثر على إشارات لاقتران الإيمان بالإحسان والبر وفعل الخير في نصوص الأديان الكتابية، وهو ما يمكن جعله أرضية صلبة لإعادة الحوار الديني إلى مسعاه الخيري، الذي فشلت فيه الكثير من الحوارات والتي عادة ما يطبع عليها طابع المجاملة، إننا أقرب اليوم إلى الحاجة إلى ما يسميه عز الدين عناية «الحوار الاجتماعي»[1] أي البحث عن المداخل الاجتماعية للأديان لكي تشكل منطلقاً للحوار الديني والإنساني عوض لغة التنافر والتناظر اللاهوتي. لأن ما يعوز الأديان الثلاثة في حاضرنا "هو تفعيل ميثاق قيمي جامع بينها، يتعهد بمقتضاه رجالاتها بالالتزام بعمل الخير المشترك بينها، لتنبثق عن ذلك التكاتف هيئة دينية ساهرة تتولى تفعيل قيم العمل الصالح، وضبط الخلل الحاصل جراء التعايش الحضاري، مع تقديم المقترحات والحلول في الشأن".[2]وأيضاً لكون الإحسان والعمل الاجتماعي عموماً هو تجلّ عملي لمفهوم الإيمان، يخرج به من حيز المفارقة إلى التمظهر العيني.[3] لذلك تكاد تجتمع الأديان الثلاثة على أمر الإحسان وفعل الخير –وإن اختلفت فلسفتها التشريعية له–، إلا أن نصوصها تبدو على درجة من الاهتمام بالخير وأعمال البر.

وفق التحليل الظواهري، فإن مقصد الطقس يهدف إلى ترسيخ علاقة عمودية بين العابد ومعبوده، علاوة عما يتولد عن الممارسة الجماعية للطقوس من توطيد علاقة أفقية بين أفراد الجماعة المؤمنة، بما يساهم في تمتين عرى التماسك واللحمة بينها ويشعرها بالألفة والتضامن،[4] وهذا راجع إلى وازع إيماني الذي يشكل العنصر الفعال في فلسفة الأديان في أعمال الخير والبر فيها،

1. العمل الخيري والإحسان في النص التوراتي

رغم ما يكتنف النص التوراتي والعهد القديم عموماً من صعوبة في إبراز أبعاد العمل الخيري والاجتماعي فيه، بالنظر إلى سياقه التاريخي والثقافي والأدبي؛ إلى أن جزء من الكتابات التبشرية أساساً تحاول إبراز ملامح الزاوية الاجتماعية للعهد القديم[5] وترى أن الأخلاق واللاهوت لا ينفصلان في الكتاب المقدس

---

[1]عز الدين عناية، **"الأديان الإبراهيمية قضايا الراهن"**، مر، سابق، ص 107.

[2]نفسه، ص 107.

[3]نفسه، ص 102.

[4]عز الدين عناية، **"الأديان الإبراهيمية قضايا الراهن"**، مر، سابق، ص 102.

[5]كريستوفر ج. رايت، **"أخلاقيات العهد القديم لشعب الله"**، ترجمة فينيس نقولا، دار الثقافة –القاهرة-، ط1، 2011م، ص 43.

أما مرجعية أفعال الخير والأعمال الصالحة فتستمد مرجعيتها في اليهودية وحوافزهما من فريضة «الصدقة» المستوحاة من النص المقدس أساساً،[1] إذ لم يكن اختيار إبراهيم إلاَّ ❁**لأَنِّي عَرَفْتُهُ لِكَيْ يُوصِيَ بَنِيهِ وَبَيْتَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَنْ يَحْفَظُوا طَرِيقَ الرَّبِّ، لِيَعْمَلُوا بِرًّا وَعَدْلاً، لِكَيْ يَأْتِيَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ بِمَا تَكَلَّمَ بِهِ**"❁.[2] وكذلك ❁**لأَنَّهُ لاَ تُفْقَدُ الْفُقَرَاءُ مِنَ الأَرْضِ. لِذلِكَ أَنَا أُوصِيكَ قَائِلاً: افْتَحْ يَدَكَ لأَخِيكَ الْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ فِي أَرْضِكَ**❁.[3]

وتُعْرَفُ الصدقة في العهد القديم بأنها «بادرة صلاح من الإنسان نحو أخيه، وهي اقتداء بأثر الله الذي هو دليل الصلاح نحو الإنسان»[4] والمعنى المقصود بالصدقة في النص اليهودي هو «العدالة»، في أغلب الظن، وهو ما يشير إليه نص يحتوي على كلمة الإحسان في التوراة. وذلك في جزء من سفر دنيال المكتوب بالآرامية (4: 24) حيث جاء فيه ❁**لذلك أيها الملك لتحسُن مشورتي لديك وافتد خطاياك بالصدقة وآثامك بالرحمة للبائسين عسى أن تطول دعتك**❁ والنص العبري يعني أن الصدقة والإحسان يضمن توزيعاً عادلاً لعطايا الله إلى البشرية.[5]

وقد أخذت الصدقة مكانة سامية في تعاليم اليهود الدينية، وَرَدَ في التوراة:❁**طوبى للذي ينظر إلى المسكين**❁،[6] بل تُوجب تعاليم التوراة التَّصَدُّق على العدو: ❁**إن جاع عدوك فأطعمه خبزًا، وإن عطش فاسقه ماءً**❁.[7] لهذا ينظر اليهود إلى "أَنَّ صدقتهم تجعلهم أرفع شأنًا وأعظم قدرًا، فهي مقبولة منهم؛ لأنهم أبناء الله، وأحباؤه، وشعبه المختار، كما يَرَوْنَ –قَدِيمًا– أَنَّ مَنْ يَتَصَدَّقُ من غير اليهود لا يتصدَّق بنية خالصة لوجهه الكريم، وإنما يفعل ذلك كبرياء"[8]

إن النص اليهودي يفصح عن بعد إنساني ظل غائباً ومنسياً في الإرث التوراتي، ذلك هو المفهوم الخيري الشامل لكافة البشر، الذي جاء ذكره في سفر الخروج ❁**وَأَصْنَعُ إِحْسَانًا إِلَى أُلُوفٍ مِنْ مُحِبِّيَّ وَحَافِظِي وَصَايَايَ. لاَ تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلهِكَ بَاطِلاً، لأَنَّ الرَّبَّ لاَ يُبْرِئُ مَنْ نَطَقَ بِاسْمِهِ بَاطِلاً. اُذْكُرْ يَوْمَ**

---

(1) عز الدين عناية، "**الأديان الإبراهيمية قضايا الراهن**"، م، س، ص 104

(2) تكوين 18: 19

(3) التثنية 15: 11

(4) عبد الرزاق رحيم صلال، "**العبادات في الأديان السماويّة**"، دار الأوائل، دمشق، ط1، 2001م، ص 95.

(5) آ. كوهن، "**التلمود (الأخلاق، الآداب، الدّين، التقاليد، القضاء)**"، مرجع، سابق، ص 292

(6) مزمور 41: 1

(7) الأمثال 25: 21.

(8) عبد الرزاق رحيم صلال، "**العبادات في الأديان السماويّة**"، مر، سابق، ص 95.

السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ. سِتَّةَ أَيَّامٍ تَعْمَلُ وَتَصْنَعُ جَمِيعَ عَمَلِكَ،وَأَمَّا الْيَوْمُ السَّابِعُ فَفِيهِ سَبْتٌ لِلرَّبِّ إِلهِكَ. لاَ تَصْنَعْ عَمَلاً مَا أَنْتَ وَابْنُكَ وَابْنَتُكَ وَعَبْدُكَ وَأَمَتُكَ وَبَهِيمَتُكَ وَنَزِيلُكَ الَّذِي دَاخِلَ أَبْوَابِكَ. لأَنْ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ صَنَعَ الرَّبُّ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَكُلَّ مَا فِيهَا، وَاسْتَرَاحَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ. لِذلِكَ بَارَكَ الرَّبُّ يَوْمَ السَّبْتِ وَقَدَّسَهُ. أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِكَيْ تَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ. لاَ تَقْتُلْ. لاَ تَزْنِ. لاَ تَسْرِقْ. لاَ تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ. لاَ تَشْتَهِ بَيْتَ قَرِيبِكَ. لاَ تَشْتَهِ امْرَأَةَ قَرِيبِكَ، وَلاَ عَبْدَهُ، وَلاَ أَمَتَهُ، وَلاَ ثَوْرَهُ، وَلاَ حِمَارَهُ، وَلاَ شَيْئًا مِمَّا لِقَرِيبِكَ❁.[1]

إن الوصايا العشر التي وردت في الإصحاح 20 من سفر الخروج، سبقت بتمهيد تاريخي، يمكن أن تجمع في مجموعتين، عمودية وأفقية، أي علاقة الإنسان بالله، وعلاقة الإنسان بالجماعة،[2] والسهر على حماية المجتمع من الفساد الاخلاقي، حيث نصت على إكرام الوالدين،[3] وتحريم القتل،[4] وتحريم الزنا[5] والسرقة،[6] وشهادة الزور[7].

2, المنظور الإنجيلي لأعمال الخير والبر

يبدو العمل الصالح والفعل الخيري بمنظور أكثر شمولية في النص المسيحي، وهذا راجع أساساً إلى البعد الروحي الذي توصف بها الديانة المسيحية، لهذا تجد أعمال البر والإحسان مكانتها في النص الإنجيلي من ذلك ما جاء في رومية **❁أَمَّا الَّذِينَ بِصَبْرٍ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَطْلُبُونَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْبَقَاءَ، فَبِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ❁.**[8] ودعوته جباة الضرائب إلى المحبة والتسامح **❁لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ[9] أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ❁.**[10] أو

---

[1] الخروج 20: 6 - 16

[2] جون ماك آرثر، **"تفسير الكتاب المقدس"**، دار منهل الحياة، لبنان-، ط2، سنة 2012م، ص 182.

[3] خر 20: 12

[4] خر 20: 13.

[5] خر 20: 14.

[6] خر 20: 15.

[7] خر 20: 16.

[8] رومية 2: 7

[9] العشارون: هم جامعو الضرائب، وكانوا عادة من اليهود الذين يدفعون للرومان ليعطوهم حق جمع الضرائب. وكانوا مكروهين من باقي اليهود بسبب جشعهم. أنظر الكتاب المقدس

[10] متى 6: 46 – 48

لأن الإحسان وأعمال البر أصبح لدى الكنيسة استراتيجية لجذب الآخر وكسب ودّه، بغرض استمالته للدخول في الدائرة الإيمانية.[1]

وتتجلى الدعوة إلى أعمال الخير والبر بشكل كبير في العهد الجديد والمسيحية عموماً من خلال ما يعرف بـ «الخدمة الدينية» (diakonia) التي تعني ضمن السياق الإنجيلي خدمة الجماعة المسيحية تحديداً. حيث تتكرر في مواضع مختلفة لتصف عدة أصناف من الخدمة، كخدمة موائد المحبة،[2] كما في إنجيل لوقا ❁**وَأَمَّا مَرْثَا فَكَانَتْ مُرْتَبِكَةً فِي خِدْمَةٍ كَثِيرَةٍ. فَوَقَفَتْ وَقَالَتْ: "يَارَبُّ، أَمَا تُبَالِي بِأَنَّ أُخْتِي قَدْ تَرَكَتْنِي أَخْدُمُ وَحْدِي؟ فَقُلْ لَهَا أَنْ تُعِينَنِي!" فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَها:"مَرْثَا، مَرْثَا، أَنْتِ تَهْتَمِّينَ وَتَضْطَرِبِينَ لأَجْلِ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ،وَلكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ. فَاخْتَارَتْ مَرْيَمُ النَّصِيبَالصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا"**❁.[3] وجمع الصدقات إلى فقراء أورشليم، ❁**لِكَيْ أُنْقِذَ مِنَ الَّذِينَ هُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ فِي الْيَهُودِيَّةِ، وَلِكَيْ تَكُونَ خِدْمَتِي لأَجْلِ أُورُشَلِيمَ مَقْبُولَةً عِنْدَ الْقِدِّيسِينَ**❁.[4]

والكلمة لها دلالة كذلك على «الكرازة» في العهد الجديد وهي التي يوضحها إنجيل متى بشكل واضح بإعلانه أن المسيح جاء ليخدم الناس وليس لكي يخدموه❁**كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ**"❁.[5]

وكلمة كرازة تعني؛ ينادى، يبشر، يهتف، جاء منه الاسم أي كرازة. ويُقال: العمل الكرازي، ومن يكرز هو "كارِز" – والأمر: "اكرز" – والمُثنّى: كارِزان، الكارزان. والفعل كرز هو سرياني الأصل، يعنى وعظ ونادى ببشارة الإنجيل للخلاص. و"الكرازة" هي الوعظ والتبشير علانية بالحقائق الإنجيلية خصوصًا والمسيحية عمومًا. والكارز أو الكاروز هو الواعظ أو المنادى بهذه البشارة.[6]

كما تشير الكلمة في العهد الجديد إلى أعمال الكرازة المناط بعهدة الرسل وبمن تطوّع من الرهبان خدمة للكنيسة. **❁"كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ"**❁.[7] في هذا السياق نلمح وإن قامت الكرازة المسيحية على التّطوع **❁"اِشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصًا. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا**

---

[1] عز الدين عناية المرجع السابق، ص 106

[2] عز الدين عناية، **"الأديان الإبراهيمية قضايا الراهن"**، م. سابق، ص 104.

[3] لوقا 10: 40– 41.

[4] رومية 15: 31

[5] متى 20: 28

[6] قاموس المصطلحات الكنسية، كلمة، **"الكرازة"**، أنظر الرابط: http://st-takla.org/

[7] متى 20: 28

شَيَاطِينَ. مَجَّانًا أَخَذْتُمْ، مَجَّانًا أَعْطُوا﴾.[1] فإن العمل الصالح والخدمة ارتباطا دائما بالتبشير بالإنجيل، ولذا كان الحرص على فعل الخير يهدف إلى نشر كلمة الرب.[2] الأمر يظهر جلياً في قوله: **"فَأَجَابَ وَقَالَ:"مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ**﴾[3]

3, العمل الصالح والبر في القرآن الكريم أبعاد أخرى للإيمان

اقترن الإيمان "بالعمل الصالح" في القرآن الكريم حوالي (51) مرة، وتكرر ذلك أيضا في الحديث النبوي منه ما جاء في الأثر: الإيمان هو اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقصبالعصيان. والإيمان يشمل الأعمال الظاهرة والباطنة والدليل قوله صلى الله عليه وسلم «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَوْضَعُهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ».[4]وفي القرآن الكريم "يتواتر الحديث عن عمل الإنسان في القرآن، فقد ورد جذر (عمل) 360 مرة، كما تواتر الحديث عن الصلاح، فورد جذر (صلح) 180 مرة، واقترن جذر عمل (93) مرة، فيما اقترنت جذور الأفعال الثلاثة (آمن وعمل وصلح) (88) مرة، ما يحمل دلالة مؤكدة على ارتباط الإيمان بالعمل الموصوف بالصالح، وقد اقترن العمل الصالح في هذا التركيب (الذين آمنوا وعملوا الصالحات)51 مرة، وهي معظم ما اقترن به الإيمان مع العمل الصالح بصيغته الصريحة في صيغ أخرى والتي بلغ مجموعها 69 مرة".[5]

إن هذا التواجد والاقتران بين الإيمان والألفاظ الدالة على العمل الصالح بمشتقاته وصيغه، يحوي بذاته إلى أن الخطاب القرآني ينظر إلى موضوع الإيمان من زاوية المحرك والدافع إلى إنتاج سلوك وقيم اجتماعية وثقافية في حياة الإنسان، من أجل تصحيح الصورة النمطية التي ترسخت عند الإنسان العربي في الجاهلية، حيث كانت عبادة الأصنام وأديان تكرس الفوارق الاجتماعية وتجمع بين الرقي والظلم في أبشع مستوياته* وبين التقرب إلى الآلهة والسعي إليها، لهذا سعى القرآن من خلال اقترانه بين الإيمان والعمل

---

[1]متى 10: 8.

[2]عز الدين عناية، **"الأديان الإبراهيمية قضايا الراهن"**، م. سابق، ص 104.

[3] متى 4 : 4

[4]وفي رواية «بضْعٌ وستونَ، والحياءُ شُعْبَةٌ من الإيمان» زاد في رواية: «وأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق» . أخرجوه، إلا «الموطأ». وأسقط الترمذي من روايته «والحياءُ شُعْبَةٌ من الإيمان». وعنده في أخرى «الإيمان أربعة وستُّون بابًا». وعند النسائي في رواية أخرى «الحياءُ شعبة من الإيمان» مختصرًا. في **"السنن الصغرى"**، باب ذكر شعب الإيمان، رقم 5005،

[5]عبد الرحمن حللي، **"اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلاته الحضارية"**، مرجع، سابق، ص 450

*لم يكن الناس على دين واحد في الجاهلية إنما ملل مختلفة ومذاهب شتىء، يوضح الشهرستاني اختلاف العرب في الملة والدين: « ومن العرب من كان يميل إلى اليهودية، ومنهم من كان يميل إلى النصرانية، ومنهم من كان يصبو إلى الصابئة، ويعتقد في الأنواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم إلا بنوء من الأنواء، ويقول مطرنا بنوء كذا. ومنهم من

الصحيح إلى وضع أنموذج لمجتمع يحضر فيه البعد الإنساني.

إن هذا الاقتران القرآني بين الإيمان والعمل الصالح كان مثار إشكال عند المتكلمين في تعريف الإيمان، وإن كان نقاش هذا الجدل له أهميته في المبحث العقدي، فإنه في إطار الدرس الاجتماعي يصبح ثانوياً، فالبحث عن معالم النهضة القرآنية ومقوماتها لا تتوقف عند الحد الأدنى من الإيمان بل تتعداه إلى المطالب التامة للوجه الأمثل المطلوب، وتجلية هذا الوجه يمكن الكشف عنها من خلال ضمائم وسياقات الآيات التي اقترن فيها الإيمان بالعمل الصالح.[1]

لذلك نجد القرآن في تناوله لموضوع الإيمان في علاقته بالعمل الصالح يأخذ أربعة موضوعات رئيسية تعدُّ مقدمة تفسيرية لفهم رؤية القرآن للإيمان في أبعاده السلوكية والاجتماعية..

أ. الجماعة والإيمان

ما يلاحظ على اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم كثرة صيغ (الذين آمنوا) والغالب فيها جاء بصيغة الجمع، أي أن الخطاب متوجه إلى الجماعة المؤمنة، وهو ما يعني أن إصلاح المجتمع شأن تقوم به الجماعة وليس الفرد وحده.

والجماعة لغة مأخودة من الاجتماع، وهي ضد التفرقة، يقال: جَمَعَ الشيءَ عَنْ تَفْرِقة يَجْمَعُه جَمْعاً وجَمَّعَه وأَجْمَعَه فاجتَمع.، و جَمَعَ الشَّيْءَ الْمُتَفَرِّقَ فَاجْتَمَعَ.[2]

وفي الإصطلاح الشرعي فإن استعمالها يدور على عدة معاني؛

فشيخ الإسلام ابن تيمية يرى في "الجماعة" «هي الاجتماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين»[3]

وعموماً يمكن تلخيص دلالات مفهوم «الجماعة» في التداولي الشرعي الإسلامي في التحديدات الآتية:[4]

أحدها: أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام.

والثاني: جماعة أئمة العلماء والمجتهدين.

والثالث: الصحابة (رضوان الله عليهم) على وجه الخصوص.

كان يصبو إلى الملائكة فيعبدهم، بل كانوا يعبدون الجن، ويعتقدون فيهم أنهم بنات الله، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا». أنظر الشهرستاني، **"الملل والنحل"** تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان-، 1402هـ/1982م، ج2، ص 238.

[1]عبد الرحمن حللي، **"اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضارية"**، م. سابق، ص 451

[2]مختار الصحاح ج1/ 80 مادة (جمع) لسان العرب (جمع) 8 / 53 المعجم الوسيط (جمع) 1 /135

[3]ابن تيمية، **"مجموع الفتاوى"**،جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط، دار الرحمة، القاهرة ج.3 ص157.

[4]أبو اسحاق الشاطبي، **"الاعْتِصَام"**، تحقيق ودراسة، محمد الشقير، وسعد آل حميد، وهشام الصيني، الناشر، دار ابن الجوزي، - المملكة العربية السعودية-، ط.1، سنة، 1429هـ - 2008م، ج.3، ص 209 – 210 – 211.

والرابع: جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر.

والخامس: جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير.

فحضور مفهوم "الجماعة" إذن لها ما يقويه خاصة إذا استحضرنا الحديث المشهور والذي يستند عليه التفسير السياسي لمفهوم الجماعة ما رواه ابْنَ عَبَّاسٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»[1]

يفيد التحديد اللغوي والاصطلاح الشرعي لمفهوم «الجماعة»؛ مقابلة التفرق والتنازع، إلى الاجتماع والانتظام ضمن جماعة موحدة في أصولها ومعتقدها، ذلكما أكدته مجموع النصوص الشرعية من الآيات، والأحاديث الواردة في الحثّ على الاعتصام و ملازمة الجماعة، والنهي عن الفُرقة والاختلاف. الشيء الذي تؤكده الآيات التي اقترن فيها الإيمان بالعمل الصالح، و«الجماعة» التي تقصدها تلك النصوص «جماعة المؤمنين» عامة فيندرج ضمنها كل مؤمن، هذه المعنى يَكْشفُ عن مركزية «الجماعة» في الخطاب الإسلامي، ويبين من جهة ثانية أن الصلاح الذي يقصده القرآن شأن تقوم به الجماعة وليس الفرد لوحده، من هنا الترابط الوثيق بين «العمل الصالح» الذي دعت إليه الآيات ، و«جماعة المؤمنين»، التي تقوم بالصلاح بمقتضى «الإيمان» الذي يحملها على ذلك.

ب. الجزاء والثواب

كثيرة هي المواطن التي اقترن فيها العمل الصالح بموضوع الثواب والجزاء الذي ينتظر المؤمنين؛ منها قوله تعالى في سورة العنكبوت ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[2]وهذه الأعمال تدل على أنها داخلة فيما هو المقصود من الإيمان لِأَنَّ تَكْفِيرَ السيئات والجزاء بِالْأَحْسَنِ مُعَلَّقٌ عَلَيْهَا وَهِيَ ثَمَرَةُ الْإِيمَانِ، يوضح الرازي هذا في تفسير بمثال الشجرة الذي بقوله: وَمِثَالُ هَذَا شَجَرَةٌ مُثْمِرَةٌ لَا شَكَّ فِي أَنَّ عُرُوقَهَا وَأَغْصَانَهَا مِنْهَا، وَالْمَاءُ الَّذِي يَجْرِي عَلَيْهَا وَالتُّرَابُ الَّذِي حَوَالَيْهَا غَيْرُ دَاخِلٍ فِيهَا لَكِنَّ الثَّمَرَةَ لَا تَحْصُلُ إِلَّا بِذَلِكَ الْمَاءِ وَالتُّرَابِ الْخَارِجِ فَكَذَلِكَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ مَعَ الْإِيمَانِ وَأَيْضًا الشَّجَرَةُ لَوِ احْتَفَّتْ بِهَا الْحَشَائِشُ الْمُفْسِدَةُ وَالْأَشْوَاكُ الْمُضِرَّةُ يَنْقُصُ ثَمَرَةَ الشَّجَرَةِ وَإِنْ غَلَبَتْهَا عُدِمَتِ الثَّمَرَةُ بِالْكُلِّيَّةِ وَفَسَدَتْ فَكَذَلِكَ الذُّنُوبُ تَفْعَلُ بِالْإِيمَانِ."[3]

---

[1]صحيح البخاري، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَتَرَوْنَ بَعْدِي أُمُورًا تُنْكِرُونَهَا» رقم 7054

[2]العنكبوت الآية 6.

[3]الرازي، "**مفاتيح الغيب**"، 25/ 29

وهو نفس المعاني الواردة في قوله تعالى ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ**﴾.[1] وكذلك ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[2]

فيكون الارتباط بين الإيمان والجزاء والثواب نتيجة منطقية للإيمان، أي أن المؤمن ينتظر أجر إيمانه وهذا الأجر هو المحفز الذي يجعل الإنسان يقتنع اقتناعاً بحقيقة الإيمان. فيكون المقصود شدة ارتباط المؤمنين بالله ودوره في الحياة. بهذا يكون للمؤمن ما يجعله يسارع إلى العمل، وفيه إشارة إلى أن تحفيز أفراد المجتمع للقيام بأعمال مهم ضروري حتى تكون النتائج والأعمال جيدة.

ج. الاستخلاف في الأرض

ورد هذا في قوله تعالى ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾.[3] وجاءت إشارات أخرى لتدل على نفس المضمون من خلال نفي المساواة بين المفسدين والمؤمنين؛ ودلالة ذلك أن الإيمان يحمل الإنسان العامل والجاد لينظر ابتداء إلى مستقبل عمله ومصيره، لذلك حفلت معظم الآيات التي اقترن فيها الحديث عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالحديث عن النجاة في الآخرة والجزاء والثواب الذي يناله المؤمنون العاملون للصالحات، وهو جزاء مختلف عن الوعد الإلهي بالنجاة، إنما يزيد الله هذا الصنف طمأنينة إلى نوعية الأجر وأحوال الذين آمنوا وعملوا الصالحات يوم القيامة، فإضافة إلى ما اقترن من الحديث عن الجنة للذين آمنوا وعملوا الصالحات (تكرر في 23 آية) تكرر مع هذه الآيات الوعد بالخلود والبشارة[4] وتكفير الذنوب وتوفية الأجر[5] وعدم الخوف، ومضاعفة، الجزاء الذي وصف بأنه كبير وغير ممنون ومن فضل الله.[6]

---

[1]سورة العنكبوت / 7 – 14، تجد نفس المعنى في سورة آل عمران / 53 – 61 سورة النساء / 52 – 59 سورة النساء/ 122 – 127 سورة النساء / 171 – 175 سورة المائدة / 6 – 9 سورة يونس / 1 – 6 سورة هود / 6 – 12 سورة الرعد/ 29 – 34 سورة إبراهيم / 19 – 24 سورة الكهف / 28 – 34 سورة الكهف / 98 – 110 سورة مريم / 96 – 98، سورة طه / 1 – 12 سورة الحج / 6 – 15 سورة الحج / 16 – 23 سورة الحج / 47 – 55 سورة الحج / 56 – 64 سورة العنكبوت / 53 – 63 سورة الروم / 6 – 15 سورة لقمان/ 1 – 11 سورة السجدة / 12 – 20 سورة فاطر / 4 – 11 سورة فصلت / 1 – 11 سورة الشورى / 16 – 22 سورة الجاثية / 23 – 32 سورة الفتح / 29، سورة الحجرات / 1 – 4 سورة المطففين / 35 – 36

[2]البقرة /24 .

[3]النور / 53.

[4]البقرة الآية 25.

[5]سورة العنكبوت الآية 7.

[6]عبد الرحمن حللي، "**اقتران الإيمان بالعمل الصالح في القرآن الكريم ودلالاته الحضارية**"، م. سابق، ص 455.

د. القول والعمل

نجد إشارة قوية في سورة الشعراء توضح المقصد القرآني من الإيمان الذي يجمع بين القول والفعل، ذُكر ذلك في سياق الحديث عن فئة الشعراء؛ ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**﴾[1]

فيكون بذلك العمل الذي يقصده القرآن ويحفز المؤمن إليه العمل الذي ينتج أفعالاً وأعمالاً في الواقع، ويوافق سريرة الإنسان ويجمع بين الفعل والقول.

وهناك جملة إشارات أخرى لعلاقة الإيمان بالعمل الصالح؛ ففي سورة العصر ربط بين الفلاح والإيمان والعمل الصالح والصبر على أدائهما ﴿**وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾.[2] يقول الطبري في تفسيره لهذه السورة «إلَّا الذين صدّقوا الله ووحَّدوه، وأقرّوا له بالوحدانية والطاعة، وعملوا الصالحات، وأدّوا ما لزمهم من فرائضه، واجتنبوا ما نهاهم عنه من معاصيه، واستثنى الذين آمنوا من الإنسان، لأن الإنسان بمعنى الجمع، لا بمعنى الواحد.)[3]وعلق الطاهر بن عاشور (1393هـ)عليها موضحاً دخول الصبر بين الإيمان والعمل بقوله «وأنت إذا تأملت وجدت أصل التدين والإيمان من ضروب الصبر فإن فيه مخالفة النفس هواها ومألوفها في التصديق بما هو مغيب عن الحس الذي اعتادته، وبوجوب طاعتها واحدا من جنسها لا تراه يفوقها في الخلقة وفي مخالفة عادة آبائها وأقوامها من الديانات السابقة. فإذا صار الصبر خلقا لصاحبه هون عليه مخالفة ذلك كله لأجل الحق والبرهان فظهر وجه الأمر بالاستعانة على الإيمان وما يتفرع عنه بالصبر فإنه خلق يفتح أبواب النفوس لقبول ما أمروا به من ذلك.»[4] لهذا جاءت الدعوة إلى أداء الصلاة مقرونة بالصبر في مواطن من القرآن الكريم منها قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ.**﴾[5] وقوله ✞﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾.[6]

---

[1]الشعراء / 214 – 226.

[2]العصر / 1 – 3.

[3]الطبري، "**جامع البيان في تأويل القرآن**"، 24/ 590

[4]الطاهر بن عاشور "**تحرير والتنوير**"، الدار التونسية للنشر - تونس-، سنة 1984م، ج.1، ص 478.

[5]البقرة /152

[6]البقرة / 44 – 45.

خاتمة :

إن ما تقدمه الأديان الكتابية من نصوص، تحث على العمل الصالح والإيمان، يضعنا أمام جوهر الخطاب الديني للأديان الكتابية، المتمثل في إصلاح الواقع الاجتماعي للإنسان، وقد تبين أن اقتران الإيمان بالعمل الصالح في الخطاب القرآني يعطي جملة إشارات دالة على السلوك الذي ينبغي للمؤمنين أن يتصفوا به، وكل الدلالات التي جاءت بها صيغ (الذين أمنوا) و (عملوا الصالحات) تؤكد أن القرآن جاء إلى الإنسان من أجل إصلاح مجتمعه وفق منظور جديد يتصالح فيه الإنسان مع الإنسان، واقع يرسم منهجاً يجمع بين خطاب الآخرة (الجنة والنار، البعث والجزاء...) والإيمان بالعمل وضرورته لقيام حضارة إنسانية؛ هذه الثنائية غير حاضرة بنفس الكيفية في العهد القديم والنصوص اليهودية؛ وإنما تتجه إلى ... لأنها مثقلة بالمعطى الثقافي والسياق التاريخي الذي أنتج النص، هذا لا يلغي الاهتمام بالعمل الصالح في الخطاب اليهودي، فأعمال الصدقة التي تؤكد عليها النصوص التوراتية تكشف عن أصالة النص وسعيه إلى خلق مجتمع متضامن متساوٍ، والديانة المسيحية ليست بعيداً عن هذ المعطى، بل إن نصوصها تعطى مساحة أكبر لفعل الخير والإحسان في علاقته بالإيمان، من خلال «أعمال الكرازة» و«الخدمة الاجتماعية» اللتان عبرت عنهما أعمال الكنائس المسيحية بمختلف توجهاتها الكنسية، وبغض النظر عن النقاش العقدي الذي ينبثق عن النصوص في تناولها لموضوع الإيمان؛ فإنه من خلال مدارسة موضوع الإيمان واقترانه بالعمل الصالح والاحسان وأفعال الخير عموماً، يقدم لنا منهجاً في محاولة للنظر في النصوص بخلفية تاريخية تفصح عن حضور المعطى الثقافي والاجتماعي فيها، وتكشف كذلك تفاعل الديني والتاريخي.

قائمة المراجع:

أولا: العربية

- ابن تيمية، "**مجموع الفتاوى**"،جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، ط، دار الرحمة، القاهرة.
- أبو اسحاق الشاطبي، "**الاعْتِصَام**"، تحقيق ودراسة، محمد الشقير، وسعد آل حميد، وهشام الصيني، الناشر، دار ابن الجوزي، –المملكة العربية السعودية–، ط.1، سنة، 1429هـ – 2008م.
- أشرف منصور، "**الرمز والوعي الجمعي دراسات في سوسيولوجيا الأديان**"، ط. الأولى 2010م، رؤية للنشر والتوزيع – القاهرة–
- الجرجاني، "**التعريفات**" تحقيق عبد المنعم الخفنى، دار الرشاد، – القاهرة–
- الخوري بولس، "**مفهوم الدين: المفاهيم عند المسيحيين المفاهيم الفلسفية واللاهوتية في المجادلة بين المسيحيين والمسلمين من القرن الثامن حتى القرن الثاني عشر**"، المكتبة البولسية، جونية –لبنان ، 2004م، ط. 1
- دارن شِرْكات وآخرون، "**السّوق الدينية في الغرب**"، ترجمة عزالدين عناية، دار صفحات، دمشق، 2012،

- دافيد فيرجسون، "**حوار الإيمان ومنتقديه**"، ترجمة، منير العلي، دار الفارابي، بيروت –لبنان–، ط1، كانون الثاني 2014م
- ديورانت ول، "**قصة الحضارة**" (ترجمة) محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر –القاهرة–، بدون رقم الطبعة ولا سنة النشر
- راتسنجر، ج. "**مدخل إلى الإيمان المسيحي**"، ترجمة الدكتور، نبيل الخوري، سلسلة الفكر المسيحي بين الأمس واليوم، منشورات المكتبة البولسية –بيروت–. سنة 1994م، ط1
- الراغب الأصفهاني، "**المفردات في غريب القرآن الكريم**"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص **181**
- الشهرستاني، "**الملل والنحل**" تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان–، 1402هـ/1982م
- الطاهر بن عاشور "**تحرير والتنوير**"، الدار التونسية للنشر – تونس–، سنة 1984م.
- عائشة عبد الرحمن، "**القرآن وقضايا الإنسان**"، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان–، ط4، كانون الثاني1981م
- عبد الحليم فضل الله، "**دور الدين في تكوين النظام المجتمعي**"، ضمن أعمال ندوة "الإسلام والمسيحية بحوث في نظام القيم المعاصر"، دار الهادي، بيروت –لبنان–، ط1، سنة 1424هـ/2003م.
- عبد الله دراز "**الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان**"، دار القلم، كويت، ط. **2، 1428هـ/2008م**
- عز الدين عناية، "**الأديان الإبراهيمية قضايا الراهن**"، دار توبقال، البيضاء – المغرب–، ط1 سنة 2014م
- علي سامي النشار، "**نشأة الدين النظريات التطورية والمؤلهة**"، دار السلام، –القاهرة –، سنة 2008م، ط1، 1430هـ/2009م
- علي سامي النشار، "**نشأة الدين النظريات التطورية والمؤلهة**"، دار السلام، –القاهرة –، سنة 2008م، ط1، 1430هـ/2009م
- فراس السواح " **دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدفع الديني** " منشورات دار علاء الدين، ط.1 دمشق.
- فرنسوا لابلانتين، "**مفاتيح الأنثربولوجيا**"، ترجمة حنفاوي عمايريّه، سلسلة علوم إنسانية، مركز النشر الجامعي، 2000م، تونس، بدون رقم ط.
- كريستوفر ج. رايت، "**أخلاقيات العهد القديم لشعب الله**"، ترجمة فينيس نقولا، دار الثقافة –القاهرة–، ط1، 2011م
- ماكس فيبر في كتابه "**الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية**"، ترجمة محمد مقلد، مركز الانماء القومي، لبنان – بيروت–
- محمد التهانوي، "**كَشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**"، تحقيق علي دحروج، سلسلة موسوعات المصطلحات العربية والإسلامية، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 1996م، بيروت لبنان
- مرسيا إليا، "**المقدس والعادي**"، ترجمة: عادل العوا، دار التنوير– بيروت–،سنة 2009م.
- مرسيا الياد، "**أسطورة العود الأبدي**"، ترجمه عن الفرنسية نهاد خياط، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، – دمشق–، الطبعة الأولى 1987م،
- مشير باسيل عون، "**محنة الإيمان**"، دار المشرق –بيروت–، ط1، 2005م.
- **موسوعة الأديان في العالم – المسيحية**" دار كرييس انترناشيونال 2001/2000م.

- ميرتشيا إلياده، "**البحثُ عن التاريخ والمعنى في الدين**"، ترجمة سعود المولى، المنظمة العربية للترجمة، بيروت – لبنان–، ط. 1، كانون الأول (ديسمبر) 2007م

ثانيا :الأجنبية

- Bergson Henri, «**Les DEUX Sources de la Morale Et De La Religion**», Aout 1993, Paris
- Emile Durkheim, **The Elementary Forms of Religous Life**,
- Henri Bergson, «**Les DEUX Sources de la Morale Et De La Religion**», Aout 1993, Paris**.**
- Radcliff G, B. 1952, Structure and Function in Primitive Society, London. 1950, P :106 .Frued, S: 1922, Group psychology and Analysis of the Ego. London, Hogarth.
- Thom Sicking S .j, "**Foi Chrétienne et inculturation au Proche-Orient**" , Université Saint-Joseph, Jeita,Beyrouth, 1992

نقد جورج طرابيشي لفكر عبد الرحمان بدوي.

الباحث / عمار بوزيزه ـ جامعة الجزائر 2.

الملخص:

إن المفكر المصري "**عبد الرحمان بدوي**" من أهم المفكرين في الساحة الثقافية العربية المعاصرة؛ وإليه يعود الفضل في إدخال المذهب الوجودي في الفكر العربي المعاصر، ولقد اهتم الكثير من الباحثين بفكر "**بدوي**" وعرض أهم أفكاره وانجازاته العلمية ويُعَد "**جورج طرابيشي**" واحدا من أهم المشتغلين على فكر "**بدوي**"، وهو الذي يقر أن أفكار بدوي أسهمت في تكوينه الفكري، ومن خلال هذا البحث سنعرض قراءة "طرابيشي" لأهم المواقف السياسية والعلمية لـ"**بدوي**".

الكلمات المفتاحية: النازية، شتم المثقفين، الهجاء، الوجودية، النقد.

Summary:

The Egyptian thinker, "Abd al-Rahman Badawi" is one of the most important thinkers in the contemporary Arab cultural scene. To him is the credit for introducing existential doctrine into contemporary Arab thought. Many researchers have paid attention to "Badawi" thought and presented his most important ideas and scientific achievements. George Tarabishi is considered one of The most important of those working on the "Bedouin" thought, which determines that Badawi's ideas contributed to his intellectual formation, and through this research we will present a reading of "Tarabishi" for the most important political and scientific positions of "Badawi".

Keywords : Nazism , Cursing The intellectuals, Spelling, Existentialism, Criticism.

تمهيد:

إن الفكر العربي المعاصر يحوي عدة مذاهب فلسفية مثل المذاهب الفلسفية الموجودة في الفلسفة الغربية، ومن المعلوم أن العديد من المفكرين العرب تأثروا بالمذاهب الفلسفية الموجودة في الغرب، لذلك نجد في الفكر العربي المذهب الفينومينولوجي مع "**حسن حنفي**"، والجوانية مع "**عثمان أمين**"، والوضعية المنطقية مع "**زكي نجيب محمود**"، والوجودية مع عبد الرحمان بدوي، والجدير بالذكر أن النقد في الفكر الغربي ارتبط بـ: "**إيمانويل كانط**" الذي أعطى له بعدا مميزا من خلال نقد العقل، وفي الفكر العربي تم مبايعة "**محمد عابد الجابري**" كناقد للعقل العربي، ومن المعلوم أن مشروع "**الجابري**" تم إخضاعه للنقد خاصة من طرف ما يعرف بنقد النقد للمفكر السوري "**جورج طرابيشي**"، هذا الأخير الذي لم يهتم فقط بنقد

فكر الجابري فقط، إنما آلته النقدية جرى تطبيقها على أفكار مفكرين آخرين ومن بينهم المفكر المصري "**عبد الرحمان بدوي**" فكيف قرأ طرابيشي فكر "**بدوي**"؟ وما هو موقفه من المواقف السياسية والعلمية لـ"**بدوي**"؟

1/ مكانة عبد الرحمان بدوي في الفكر العربي

يؤكد "**جورج طرابيشي**" أن "**عبد الرحمان بدوي**"{1917/2002}م **{ واحد من كبار الصانعين الفكريين للجيل العربي المعاصر. وبدون أن يكون مالئ الدنيا وشاغل الناس، فإن الكتب المئة والعشرين التي أصدرها، والتي تعددت طبعات بعضها حتى بلغت السبع أو الثماني، قد تركت أثرا دائما لا في الثقافة العربية المعاصرة فحسب، بل كذلك في كيفية قراءة المثقفين العرب لماضي الثقافة العربية كما لحاضر الثقافة الغربية.}**[1]

وهو ما يوضح إسهامات "**بدوي**" القيِّمة في الفكر العربي المعاصر، وإنتاجه الفكري والفلسفي الضخم يشهد له بذلك.

ومن أبرز كتبه: الزمان الوجودي، دراسات في الفلسفة الوجودية، المثالية الألمانية، منطق أرسطو، مذاهب الإسلاميين، وكتبه كثيرة جدا إذ يمكن اعتباره حالة فريدة في الفكر العربي؛ فالرجل عاش عمرا مديدا انقطع فيه بالكامل في البحث والتأليف والتدريس، كما أنه يتقن الكثير من اللغات القديمة والحديثة، حتى لم يبق مجال في الفلسفة إلا وكتب فيه، هذا وشملت كتبه تاريخ الفلسفة بكامله.[2]

إن أهم مجال تميَّز فيه "**بدوي**" هو الفلسفة الوجودية، إذ اختار التيار الوجودي كمذهب خاص به في أعماله الفلسفية الأولى، وأراد تأسيس مرجعية تراثية له في أقوال الصوفية وإشاراتهم.[3]

إن "**طرابيشي**" وإن كان يقر بمكانة "**بدوي**" في الفكر العربي المعاصر إلا أنه يقول عنه **{ لابد أن نبادر حالا إلى القول إنه إذا كان عبد الرحمان بدوي قد ترك مثل ذلك الأثر القوي والدائم في مسار الثقافة العربية المعاصرة، فإنه لم يفعل ذلك من خلال تفكيره الشخصي، بل من خلال ما قدمه تأليفا وترجمة وتحقيقا وشرحا من تفكير الآخرين.}**[4]

---

[1] جورج طرابيشي، هرطقات 2 عن العلمانية كإشكالية إسلامية – إسلامية، رابطة العقلانيين العرب ودار الساقي، ج2، ط1، بيروت، 2008، ص 169.

[2] السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي المعاصر مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2010، ص 100.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وهنا نتساءل كيف ألف بدوي الكثير من الكتب من خلال تفكير الآخرين؟ ألا يعني هذا أنه لم يقدم بصمته الشخصية من خلال مواقف الآخرين؟

يرى "**طرابيشي**" أنه باستثناء مؤلفين أو ثلاث من مؤلفات "**بدوي**" تحمل بصمته الشخصية، مثل كتابه "**الزمان الوجودي**"، **{ فإن عبد الرحمان بدوي قد نطق دوما بأصوات الآخرين، سواء أكان هؤلاء الآخرون من أعلام الفكر الغربي الحديث "أنظر كتبه عن نيتشه واشبنجلر وشوبنهاور وكانط وهيجل"، أم من أعلام الفلسفة اليونانية القديمة "أفلاطون، أرسطو، أفلوطين، قرنيادس"، أم من أعلام الثقافة العربية الكلاسيكية من فلاسفة ومتكلمين ومتصوفة "الكندي، الفارابي، ابن سينا، ابن رشد، مسكويه، الأشعري، التوحيدي، ابن عربي، ابن سبعين، الخ" }**[1]

إن ما نفهمه من خلال هذا القول هو أن "**طرابيشي**" وإن كان يقر أن "**عبد الرحمان بدوي**" موسوعي المعارف، إلا أن معارفه أنتجها من خلال تفكير الآخرين، لأنه لم يقدم تفكيره الشخصي من القضايا الفكرية التي طرحها، إنما يعرض مواقف الآخرين.

إن "**عبد الرحمان بدوي**" يعرض سيرته الذاتية، ويرى "**طرابيشي**" أنه لأول مرة يحضر "**بدوي**" بشكل مكثف، حيث يقول عنه مفكرنا السوري **{ لأول مرة أخيرا نكتشف أن ذلك الدارس الكبير لأفكار الآخرين وذلك المحقق الكبير لنصوص القدامى وذلك المترجم الكبير لكتابات المستشرقين له تفكيره الشخصي، وأن هذا التفكير الشخصي شخصي للغاية إلى حد لا نجد له من وصف آخر سوى أنه "تفكير هرطوقي"}**[2]

ولعلنا نتساءل عن السبب الذي جعل صاحب مشروع نقد النقد يطلق على تفكير "**بدوي**" **صفة {التفكير الهرطوقي}**، ومن المعلوم أن كلمة الهرطقة مرتبطة بالكنيسة والدين المسيحي، **{والتعريف الكاثوليكي للهرطقة هو كالتالي: رأي ديني مدان كنسيا على أنه مناقض للإيمان الكاثوليكي، أو أيضا خطأ إرادي ومتشبَّث به، ومتعارض مع مبدأ إيماني موحى به وتعلِّمه الكنيسة بصفته هذه.}**[3]

وهنا نفهم أن "التفكير الهرطوقي" يقصد به "**طرابيشي**" أن "**بدوي**" يفكر بطريقة غير مقبولة ومخالفة تماما لطرق التفكير العلمي، وهو ما يبينه قوله هذا عن "**بدوي**" **{ فهو لا يسلك الطرق المطروقة في الخطاب العربي المعاصر، ولا يتقيد بأي بند من بنود الدستور الذي يمكن أن يقال إنَّ الأيديولوجية العربية**

[1] جورج طرابيشي، هرطقات2، مصدر سابق، الصفحة نفسها.

[2] المصدر نفسه، ص 170.

[3] ج ويلتر، الهرطقة في المسيحية، ت: جمال سالم، دار التنوير، دط، لبنان، 2007، ص 17.

السائدة قد استنّته لنفسها. بل يسدد ضربات قلمه دوما في الاتجاه اللامتوقع، وهذا إلى حد الشذوذ والخروج عن الشرعية ـ إن جاز القول ـ في مجال الثقافة كما في مجال السياسة.}[1]

من هنا نفهم أن السبب الذي جعل "**طرابيشي**" يطلق صفة "التفكير الهرطوقي" على تفكير "**بدوي**"؛ هو أن هذا الأخير له مواقف شاذة وغير شرعية من مثقفين عصره، وكذلك من رجال السياسة، وتلك المواقف سنعرضها في المحطات القادمة من هذا البحث.

2/ قراءة "طرابيشي لمواقف عبد الرحمان بدوي السياسية:

أ/ موقف عبد الرحمان بدوي من النازية:

يذهب "**طرابيشي**" إلى أن **{ بدوي ليس المثقف العربي الوحيد الذي أعجب في الثلاثينيات والأربعينيات بهتلر والنظام النازي، ولكنه الوحيد بين المثقفين العرب الذي ما زال يجهر بهذا الإعجاب، إذ لم نقل ما زال يقيم عليه}**[2]

ولعلنا نتساءل لماذا يقف "**بدوي**" في صف النازية، وما الذي يدعوه إلى الإيمان بالنازية؟

يرى "**طرابيشي**" أن السبب الذي يعود إلى إعجاب "**بدوي**" بالنازية هو **{ كونها تدعو إلى تحرير ألمانيا من قيود معاهدة فرساي وتريد أن تعيد إلى ألمانيا الذليلة قوتها، مما يؤهلها لأن تصير خصما قويا لإنجلترا التي كانت تستعمر مصر: "وإذا انتصرت ألمانيا على انجلترا وحلفائها فستكون القصة مؤاتية لتتخلص مصر من براثن الاحتلال البريطاني"}**[3]

ومن هنا نفهم أن الأمر سياسي بالدرجة الأولى؛ إذ يتعلق بألمانيا التي يريد لها "**بدوي**" كغيره من العرب الذين يريدون لها أن تنتصر على فرنسا وانجلترا اللتين استعمرتا العالم العربي، من أجل تخلص مصر من الاستعمار.

أما السبب الثاني الذي جعل "**بدوي**" ينتصر للنازية هو أنه حينما بعثه طه حسين إلى ألمانيا في صيف 1937 استمع لخطاب هتلر عن قرب حيث يقول: **{ ولأول مرة أشاهد "أدولف هتلر" وهو واقف يخطب ــ على مسافة لا تزيد عن خمسين مترا من المكان الذي كنت أقف فيه ــ وكانت خطبته حافلة طويلة وكان قوي الصمت، جليل الأداء يضغط بقوة على العبارات التي يريد توكيدها، وكان الموضوع**

---

[1] جورج طرابيشي، هرطقات2، مصدر سابق، ص 170.

[2] المصدر نفسه، ص 170.

[3] المصدر نفسه، ص 171.

الأصلي هو الدعوة إلى الفن الألماني الأصيل، والتخلص من الفن "المنحل" الذي ساد ألمانيا في العشرينات.}[1]

وهذا ما يؤكد على تأثر "**بدوي**" بزعيم النازية وخطبه ومواقفه. كما أنه قرأ كتاب "كفاحي" لـ: "**هتلر**"، وكذلك كتاب "**أسطورة القرن العشرين**" من تأليف "**الفريد روزنبرج**"، وحصل أيضا على النشرات الرئيسة للحزب النازي ليقرأها لما يعود إلى مصر، وغيرها من الكتب التي اعتمد عليها ليكتب فيما بعد عن النازية في مجلة "**مصر الفتاة**" في صيف 1938 وما تلاه.[2]

إن تلك القراءة الجيدة التي مارسها بدوي على مصادر النازية جعلته يؤسس موقفه الإيجابي من النازية، فالرجل لم يتخذ موقفا من النازية دون أن يطلع على مواقف النازية، وعلى شخصية "**هتلر**".

كل ذلك سمح لـ: "**بدوي**" كما يقول بالاتصال بالروح الألمانية حيث يقول: **{ اتصلت بالثقافة الألمانية، والطبيعة الألمانية، والروح الألمانية والسياسة الألمانية اتصالا حيا عميقا نديًّا جعلني أنفذ إلى الحضارة الألمانية من الباطن، وأتعاطف معها عن إدراك واع وأتفاعل مع تياراتها على طول تاريخها }**[3]

إن "**بدوي**" لم يتأثر فقط بالنازية إنما تأثر بكل ما هو ألماني، إذ سحرته الطبيعة الألمانية، وأبهرته الثقافة الألمانية، لذلك تأثر بكل الحضارة الألمانية وما تحمله من تيارات مختلفة.

يرى "**طرابيشي**" أن مجلة "مصر الفتاة" مجلة كانت ذات توجه فاشي وقادها "**أحمد حسين**" على خلفية من "**الوطنية المتطرفة والنزعة الدينية المتأصلة**"، ولكن إقامة "**بدوي**" في منظمة "**مصر الفتاة**" لم تدم طويلا، فـ"**أحمد حسين**" الذي كان يحسب نفسه هتلر مصريا، كان مستبد الرأي، فأطلق لحيته وغير اسم "مصر الفتاة" إلى "الحزب الوطني الإسلامي"، وكتب رسالة إلى كل من "**موسيليني**" و"**هتلر**" يدعوهما إلى اعتناق الإسلام، كما أن "**أحمد حسين**" اتصلت به المخابرات البريطانية ودعته إلى زيارة بريطانيا وقدمت له الأموال ليتعاون معها، وهو ما جعله ينتصر لبريطانيا على حساب ألمانيا وتخلى بدوي عن مصر الفتاة سنة 1940.[4]

---

[1] عبد الرحمان بدوي، سيرة حياتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج1، ط1، لبنان، 2000، ص 82.

[2] المرجع نفسه، ص ص 93، 94.

[3] المرجع نفسه، ص 94.

[4] جورج طرابيشي، هرطقات2، مصدر سابق، ص 173.

من هنا نفهم أن السبب الحقيقي الذي جعل بدوي يغادر "**مصر الفتاة**" هو طيش وحمق "أحمد حسين" حيث يقول: **{ فلم نستطع احتمال هذا التصرف الشائن المهين الصادر عن أحمد حسين، لقد أهدر بذلك كل نضالنا السابق، ففيم إذا كان هذا الضال، إن كان زعيمه "طفلا يحبو في السياسية" }**[1]

هذا وينبغي التأكيد على أنه ورغم أن "**بدوي**" قطع علاقته مع "**مصر الفتاة**" إلا أن الخوف من الشرطة ظل يلاحقه طوال حياتي حيث يقول: **{ من بلادة الشرطة في مصر أنها إذا سجلت لشخص أنه ينتسب لجماعة ما، في وقت ما، فإنها تتصور أنه مستمر معها أبدا ... "ولهذا لازمتني تهمة انتسابي إلى مصر الفتاة"، طوال حياتي وصار صاحب السلطة ينبش لي عن هذه "التهمة" كلما عنَّ له إيقاع الأذى بي، أو عند منعي من نيل حق من حقوقي.}**[2]

والذي يؤكد انفصال "**بدوي**" عن منظمة "**مصر الفتاة**" قوله: **{ وعبثا أقول لهم إن هذا كان منذ ثلاثين سنة ـ كما حدث لي في سنة 1965 ـ وإن مصر الفتاة قد زالت من الوجود منذ 23 عاما ـ لكنهم يصمون آذانهم ويستمرون في التهديد بها ! ـ وبسبب ذلك كان يطلب القبض علي كلما حدث حادث سياسي خطير، مثل مصرع أحمد ماهر 23 فبراير 1945، لولا تغير عنوان سكني لكانوا قبضوا عليَّ في تلك الليلة }**[3]

لكن السؤال الذي ينبغي أن نطرحه مع "**طرابيشي**" هل انفصال "**بدوي**" عن مصر الفتاة كفيل بالقول أن علاقة "**بدوي**" بالنازية انتهت؟ يُجيب صاحب مشروع نقد النقد بقوله أن الذي يؤكد استمرار علاقة "**بدوي**" بالنازية هو رغبته في انتصار ألمانيا في الحرب العالمية الثانية.

هذا ويؤكد "**طرابيشي**" أن "**بدوي**" كان يعتقد **{ أن ألمانيا لو انتصرت لكانت جميع مشكلات العربي قد حلت }**[4] وهو يقصد بذلك استقلال جميع الدول العربية، وطرد اليهود من أرض فلسطين.

لقد طرح "**طرابيشي**" سؤال هو ما مدى تأثير الهوى النازي لـ: "**عبد الرحمان بدوي**" على نتاجه الفلسفي؟ يُجيب مفكرنا بقوله: **{ يبدو أن كتاب "نيتشه" الذي أصدر ع. بدوي طبعته الأولى عام 1939 ـ أي في أوج مرحلته النازية ـــ قد لعب دورا كبيرا في التكوين العقلي للجيل المصري الجديد الثائر في حينه على الاحتلال الانجليزي وفساد القصر وانحلال الحياة الحزبية في مصر. وفي مقدمة هؤلاء طلاب**

---

[1] عبد الرحمان بدوي، سيرة حياتي1، مرجع سابق، ص 139.

[2] المرجع نفسه، ص 141.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] جورج طرابيشي، هرطقات2، مصدر سابق، ص 174.

المدرسة الحربية الذين كان في عدادهما جمال عبد الناصر وأنور السادات الذين سيصرحان لاحقا مرارا بمدى التأثير الكبير الذي مارسه كتاب "نيتشه" على تفكيرهما }[1]

هذا ويؤكد "**طربيشي**" أنه ورغم كراهية "**بدوي**" لثورة يوليو 1952م إلا أنه يبدي فخره بذلك التأثير، كما أنه يقر أن "**أنور السادات**" قام بأعمال عنيفة ضد الجنود الإنجليز. حيث يؤكد "**بدوي**" أن "**السادات**" ظل مؤمنا بفلسفة القوة التي دعا إليها "**نيتشه**" وعرفها من كتابه، إلى أن انتصر في حرب أكتوبر 1973م، قبل أن يختار "**السادات**" طريق السلام مع إسرائيل.[2]

إن التأثير النازي في "**بدوي**" جعله ينكر حقيقة تاريخية تتمثل في تعذيب النازية لليهود، فهو لا يجد حراجا في نفي أي أعمال عنيفة للنازيين ضد اليهود، ويصف أخبار تعذيب اليهود ومعاملتهم معالمة سيئة بأنها مجرد أكاذيب.[3]

إن هذا القول لزعيم النازية "**هتلر**" يشهد على حقد الألمان وتصفيتهم في ألمانيا **{ فاليهودي الذي يملك زمام الأمور في روسيا لن ينظر إلى ألمانيا كدولة حليفة يمكن التعاون معها ... إن المرض الخبيث الذي قضى على روسيا اليوم، هو نفس المرض الذي يهدد ألمانيا بالذات.}**[4] وهو ما يبين سبب إعدام هتلر لنصف اليهود لأنه يرى أنهم يهددون الدولة والشعب الألماني.

ب/ موقف عبد الرحمان بدوي من جمال عبد الناصر:

إن موقف "**بدوي**" من "**جمال عبد الناصر**" يخلصه في قوله: **{ في 28 سبتمبر سنة 1970 انزاح عن صدر مصر الكابوس الرهيب الذي أبهظ صدر مصر طوال ثمانية عشر عاما، سيم فيها الشعب المصري أسوا صنوف العذاب، وابتلي بأبشع الإهانات، وحاق به شر أنواع الهزائم، إذ توفي جمال عبد الناصر في الساعة الخامسة والنصف من ذلك اليوم.}**[5]

---

[1] عبد الرحمان بدوي، سيرة حياتي1، مرجع سابق، الصفحة نفسها.

[2] جورج طرابيشي، هرطقات2، مصدر سابق، ص ص 174، 175.

[3] محمد صلاح بوشتلة، في علاقة الفيلسوف بالمستبد: عن عبد الرحمان بدوي والنازية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، التاريخ: جانفي 2015، الموقع: في– علاقة – الفيلسوف– بالمستبد- -عن– عبد- الرحمن-بدوي-والنازية https://www.mouminoun.com/articles/2444-

[4] أدولف هتلر، مذكرات الزعيم النازي هتلر كفاحي، دار الموعظة، دط، دبلد، دس، ص ص 149، 150.

[5] عبد الرحمان بدوي، سيرة حياتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج2، ط1، لبنان، 2000، ص 237.

فهذا النص يوضح الحقد الدفين الذي يكنه "**بدوي**" للرئيس "**جمال عبد الناصر**" رغم أن هذا الأخير له شهرة وقاعدة جماهيرية كبيرة من محبيه ومؤيديه، فما سبب الذي جعل **بدوي** يحيد عن تلك القاعدة الجماهيرية الكبيرة التي خرجت لتشييع جثمان الرئيس الراحل؟

هذا ونجد "**بدوي**" يقول عن الجماهير التي شيعت جثمان "**عبد الناصر**" **{ ومن يعرف الشعب المصري لا يدهش لاحتشاد الجماهير الغفيرة في الجنازة: فقد تجمع حشد مشابه في تشييع جنازة سعد زغلول في أغسطس سنة 1927، وتجمع قرابة مليون شخص في تشييع جنازة مصطفى النحاس في أغسطس سنة 1965... إنه شعب مولع بالسير في الجنازات منذ فجر التاريخ... ولا أعرف شعبا تفنن في طقوس الحداد على الموتى مثل الشعب المصري.}**[1]

هذا ويرى "**طرابيشي**" أن كراهية "**بدوي**" لـ"**جمال عبد الناصر**" كراهيتان: كراهية شخصية بالذات، وكراهية بسبب ثورة يوليو التي كان قائدها، لأنه كان يرى فيه القائد الطائش. وثورة يونيو هي "أكبر كارثة عانتها مصر منذ الفتح العثماني سنة 1517"، كما أن "**بدوي**" قومي مطلق، إذ يرى أن أكبر الحقوق المصرية هي حق مصر في سودانها، وقيادة ثورة يوليو بتخليها عام 1955 عن السودان، ارتكبت "خيانة وطنية"[2]

يرى "**طرابيشي**" أن نقطة الخلاف الثانية بين "**عبد الرحمان بدوي**" وثورة يوليو، كان حول "**قانون الإصلاح الزراعي**"، حيث يؤكد "**بدوي**" أن شركة النيل الزراعية كانت تملك الأراضي الزراعية في شرباص 2000 فدان، ثم باعتها هذه الشركة للأهالي بعد ذلك حيث يقول: **{ وهكذا انتقلت ملكية هذه الألفي فدان، إلى المصريين بطريقة شرعية قانونية سلمية لم يظلم فيها أحدٌ أحدًا... وما أبعد هذا عن تصرفات "ثورة يوليو" التي نهبت واغتصبت الأراضي بالمصادرة والحراسة والظلم الفادح الذي ليس بعده ظلم}**[3]

ولعلنا نتساءل ما هو هذا الظلم الذي مارسته ثورة يونيو على أهالي شرباص؟

إن الذي جعل بدوي يكره ثورة يونيو هو أن والده اشترى من شركة النيل الزراعية 1500 فدان واشترى الأهالي 500 فدان، ولكن **{ بموجب قانون الإصلاح الزراعي الأول الصادر عام 1952، ثم قانون الإصلاح الزراعي الثاني الصادر عام 1961، وأخيرا قانون الإصلاح الزراعي الثالث1967... فقدت**

[1] عبد الرحمان بدوي، سيرة حياتي2، مرجع سابق، ص 238.

[2] جورج طرابيشي، هرطقات2، مصدر سابق، ص 176.

[3] عبد الرحمان بدوي، سيرة حياتي1، مرجع سابق، ص 8.

أسرة بدوي بموجب القانون الأول 300 فدان، وبموجب القانون الثاني 100 فدان أخرى، ولم يبق لها من الخمسمئة فدان بعد صدور القانون الثالث سوى 50 فدان}[1]

من هنا نفهم أن القانون الذي أصدرته ثورة يونيو لم تكن في صالح عائلة "**بدوي**" التي خسرت الكثير من الأراضي التي كانت تملكها وهذا هو السبب من الأسباب التي جعلت "**بدوي**" يحقد على "**جمال عبد الناصر**" ويهاجمه بشدة.

إن "**بدوي**" ضد الذي قادوا ثورة يونيو حيث يقول عنهم **{ ولكن المستأصلين والطفيليين والحاقدين ومن لف لفهم من المنافقين والدجالين جاءوا في سنة 1952 وما تلاها فصبوا سخائمهم المملوءة بالجحود والعقوق والتي ولَّدها الدخل الكظيم على هذه الصفوة من أعيان الريف، وحرروهم من ممتلكاتهم وحرموا البلاد من الانتفاع بتجاربهم. فماذا كانت النتيجة؟ انهار الإنتاج الزراعي، وتألب الناس بعضهم على بعض، وصارت للوشاية والوقيعة اليد العليا، وتحول الكل إلى فقراء معوزين، وكان ما أطلق عليه آنذاك: "تأميم=تعميم الفقر" }**[2]

إن "**بدوي**" يرى أن القوانين التي جاءت بها ثورة يونيو هي قوانين قاسية وضد الشعب، حيث يرى أن الفقر قد انتشر أكثر عند المصريين بعد سنة 1952.

هذا وفي معرض تنديده بالإصلاح الزراعي نجده يقول: **{ لقصد صرت مرتبطا كل الارتباط بالأرض الزراعية أكاد أمتد بجذوري فيها، وأحمل لها في نفسي قداسة وعبادة، وهو شعور لا يعرفه من نشأوا في المدن، وهذا هو مصدر البلاء فيما سمي "بالإصلاح الزراعي" ابتداء من سنة 1952 حتى اليوم: لقد أمر به وخطط له ونفذّه من لا تربطهم بالأرض الزراعية أية رابطة، فكان ما كان من عواقب من عواقب وخيمة حلّت بالأرض الزراعية ومحصولاتها وإنتاجها في مصر في ثلاثين عاما الأخيرة.}**[3]

لكن في هذه المسألة لن نوافق "**بدوي**" إذ هل الكفاءة في تسيير شؤون الزراعة تتطلب أن يكون المسير يعيش في الريف؟ إن الكفاءة والرغبة في العمل وحب الوطن ليست مرتبطة بجغرافية معينة، فالإصلاح الزراعي الحقيقي يجب أن يقوم على العدالة والكفاءة والإخلاص للوطن ولا علاقة له بالريف كما يقول "**بدوي**".

---

[1] جورج طرابيشي، هرطقات2، مصدر سابق، الصفحة نفسها.

[2] عبد الرحمان بدوي، سيرة حياتي1، مرجع سابق، ص 16.

[3] المرجع نفسه، ص 23.

هذا ويؤكد "**طرابيشي**" أن "**بدوي**" لا يتوقف عند هذا الحد إذ يحمِّل ثورة يونيو أفجع كارثتين عسكريتين ونعني بهما هزيمة 1956، وهزيمة 1967، وأهم ما يميز محاكمه هذه أن "**بدوي**" ينكر على ثورة يوليو تجليتها التاريخية في تأميم قناة السويس[1]

هذا ونجد "**بدوي**" يعلق عن تأميم قناة السويس بقوله: **{ فقد كانت السنة الأولى من عملي في سويسرة ــ عام 1956 ــ سنة حافلة بالأحداث السياسية الخطيرة التي هزت مصر هزا شديدا، وأبرزها تأميم قناة السويس في 26 يوليو 1956، وما ترتب عليه من حوادث جسيمة: سياسية واقتصادية، فمن الناحية الاقتصادية تدهور سعر صرف الجنيه المصري.}**[2]

أما من الناحية السياسية فيؤكد "**بدوي**" أن هدف "**جمال عبد الناصر**" هو نيل الشهرة حيث يقول: **{ لكن جمال عبد الناصر لم يكن يهمه من الأمر أية منافع اقتصادية، بل كان يريد عملا سياسيا مفاجئا مثيرا يكفل له الشهرة والدويّ، حتى لو جرَّ على مصر الخراب. وقد قام بعمله هذا دون أن يستشير أحدا من زملائه ووزرائه. ولم يعرض الأمر على هؤلاء إلا بعد إعلانه وتنفيذه للتأميم. وقد تبين فيما بعد أن عبد الحكيم عامر اعترض عليه في جلسة مجلس الوزراء التالية للإعلان بحجة ما سيؤدي إليه من عواقب عسكرية سياسية، كما اعترض فتحي رضوان بحجة أن هذا العمل يضعف حقنا في المطالبة بالتأميم، لأن هذا العمل خرق لاتفاق قانوني مسنود دوليا.}**[3]

ولا شك أن عدم استشارة "**جمال عبد الناصر**" لوزرائه بخصوص تأميم قناة السويس، أمر مثير للشك، إذ يؤكد على أن الرئيس يعلم مسبقا بأنه سيلقى بعض الأصوات المعارضة لهذا التصرف؛ ولكي يتفادى ذلك قام بذلك أولا ثم عرض ما قام به في مجلس الوزراء، وهو ما يؤكد على رغبته في تحقيق هدفه. بغض النظر عن ماذا سيترتب عن ذلك.

هذا ويؤكد "**طرابيشي**" أنه بعد أن يُعري "**بدوي**" أسطورة بطولة تأميم قناة السويس، ينتقل إلى تعرية أسطورة مقاومة العدوان الثلاثي على مصر؛ ففي أثناء العدوان على مصر؛ كان "**بدوي**" يشغل مدير البعثة التعليمية في سويسرا، ولقد اطلع على أخبار العدوان الثلاثي، من مصادر مختلفة لأنه يحسن اللغات الفرنسية والإيطالية والألمانية والإنجليزية، بينما كانت تبث وسائل الإعلام المصرية الأكاذيب وتقول أن مصر هي المنتصرة، لكن الواقع يؤكد انهزامها.[4]

---

[1] جورج طرابيشي، هرطقات2، مصدر سابق، ص 177.

[2] عبد الرحمان بدوي، سيرة حياتي1، مرجع سابق، ص 237.

[3] المرجع نفسه، ص 238.

[4] جورج طرابيشي، هرطقات2، مصدر سابق، ص ص 178، 179.

وهذا ما يدل على أن وسائل الإعلام المصرية كانت تطبل للنظام الحاكم، من أجل أن تنال مكاسب مادية وفقط. ونجد يقول عن هزيمة العدوان الثلاثي **{ كنت أيام العدوان الثلاثي أتجرع أشد الغُصص مرارة، وأنا شاهد أشاهد في السينما السويسرية نشرة أنباء القتال وكلها حافلة بمخازي القوات المسلحة: المطارات المصرية تدمر عن آخرها بما فيها من طائرات، والضباط والجنود وهم يهربون مجردين من الملابس العسكرية وأقدامهم حافية، وقائد حامية بورسعيد وهو يسلم المدينة بعد ثلاث ساعات فقط من الهجوم.}**[1]

إن شهادة "**بدوي**" عن العدوان الثلاثي على مصر هي شهادة حية من منطلق أنه اطلع على مصادر المعلومة من الغرب، ومن السينما الغربية وليس من المصادر المصرية الكاذبة.

هذا وينتقل "**بدوي**" إلى الحديث عن هزيمة 1967، حيث يقول عنها **{ فلا عجب أن ينهار الجيش من الضربة الأولى التي كالها له في يوم 5 يونيو 1967 جيش صغير لدولة من أصغر الدول في العالم ومن أحدثها، فكانت هزيمة من أنكر الهزائم التي عرفتها مصر في كل تاريخها }**[2]

يرى "**طرابيشي**" أن "**بدوي**" يؤكد على أن تبليغ الحكومة المصرية هزيمة مصر كان أمرا صعبا، فقد لجأ عبد الناصر إلى ما لا يتردد "**بدوي**" في أن يسميه "**مسرحية الاستقالة الرهيبة**"، ذلك أن ما سمي بحركة الجماهير 9 و 10 يونيو لم يكن إلا أكذوبة اخترعتها أبواق عبد الناصر، لأن الجماهير التي خرجت كانت مأجورة.[3]

وهنا يطرح "**طرابيشي**" التساؤل بقوله: **{ هل صحيح أن "الجماعات المأجورة" وليس جماهير الشعب المصري، هي وحدها التي نزلت إلى الشوارع ليلة 9 يونيو؟ إن بدوي يبدو هنا وكأنه ينسى "مفعول الحداد" الذي كان تحدث عنه بصدد حب الشعب المصري للجنائز، إن ع بدوي هو نفسه من يقول في موضع آخر إن "العامة التي فقدت عقلها بسبب الهزيمة النكراء" هي التي اندفعت في شوارع القاهرة "تطالب بعودة القائد الذي مُنيَ بأبشع هزيمة في تاريخ مصر كلها ! ولا يعرف التاريخ قائدا آخر هزم هذه الهزيمة ثم طالبت الجماهير بعودته !}**[4]

إن ما يريد "**طرابيشي**" قوله هنا هو أن "**بدوي**" وقع في مفارقة دون أن يشعر، فهو أكد في موضع آخر أن الجماهير المصرية لا تحمل أي وقع، فهي مثل القطيع تحب الجنائز وتخرج فيها وفقط، لذلك خرجت لتشييع جثمان عبد الناصر، لكن لما استقال "**جمال عبد الناصر**" قال أن الجماهير لم تخرج، بل

---

[1] عبد الرحمان بدوي، سيرة حياتي1، مرجع سابق، ص 237.

[2] عبد الرحمان بدوي، سيرة حياتي2، مرجع سابق، ص 5.

[3] المصدر نفسه، ص 180.

[4] جورج طرابيشي، هرطقات2، مصدر سابق، الصفحة نفسها.

خرجت جماعات مأجورة، فالمنطق يقول أنه ما دامت الجماهير لا وعي لها وتحب التجمعات، كان عليها أن تخرج لما استقال "**جمال عبد الناصر**" وهو ما لم يحدث حسب "**بدوي**" !

إن صاحب مشروع نقد النقد يرى أنه **{ إن لم يكن هناك من مسرحية فليست هي تلك التي دارت في شوارع القاهرة والإسكندرية وبيروت ومدن عربية أخرى، بل التي دارت في قاعة مجلس الأمة المصري. فالجماهير التي جرى "تطفيلها" على مدى خمسة عشر عاما، ما كان لها، وهي في ساعة الخطر الذي ما بعده خطر، أن تطيق "الفطام" الفجائي عن "الأب" الذي طالما تصورته ـ أو صُوِّر لها ـ أبدا حاميا كلي القدرة.}**[1]

ومن هنا نفهم أن "**طرابيشي**" يرى أن المشكلة ليست في "**جمال عبد الناصر**" إنما في الجماهير التي كانت تؤمن أن الرئيس المصري كلي القدرة، وتؤمن بالمواصفات الخارقة التي كانت وسائل الإعلام تصفه بها، وخاصة مجلس الأمة الذي كان يطبل للرئيس وليس له القدرة حتى على الاعتراض على قراراته.

إن رقصات أعضاء مجلس الأمة المصري بعودة "**جمال عبد الناصر**" وعدم استقالاته هي التي سمحت حسب "**طرابيشي**" لـ"**عبد الرحمان بدوي**" **{ لتصعيد أهجيته لثورة يوليو ولقائدها إلى مستوى غير مسبوق إليه من العنف اللفظي بقوله: "يا له من عار ليس أشنع من عار حين راح مجلس نواب الأمة في صباح يوم 10 يونيو في مجلس الأمة فرحين بعودة من؟ بعودة من جرّ على مصر أخس هزيمة ... وألّبَ هذه البلاد بعضها على بعض في مؤامرات دنيئة جعلت كل بلد عربي يتربص بالبلاد العربية الأخرى، فتمزق شمل العرب تمزقا لم يعرفوا مثله في كل تاريخهم.}**[2]

من هنا نفهم أن "**طرابيشي**" يرى أن المشكلة في أعضاء مجلس الأمة وليس في "**جمال عبد الناصر**" لأن هؤلاء بدلا من القيام بمهامهم قاموا برقصات بهلوانية سمحت لـ"**بدوي**" بالهجوم أكثر على عبد الناصر.

3/ قراءة "طرابيشي" لمواقف "عبد الرحمان بدوي" من الطبقة المثقفة في عصره.

يرى "**طرابيشي**" أن **{ أول ما يلفت النظر في علاقة المثقف الكبير الذي هو عبد الرحمان بدوي بمثقفي عصره ـــ من المصريين حصرا ـــ صدوره لا عن تفكير مضاد، بل عن موقف مضاد. فأحمد أمين وطه حسين وعباس محمود العقاد وزكي نجيب محمود ونجيب محفوظ ومحمود أمين العالم، لهم**

[1] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[2] المصدر نفسه، ص 181.

حضورهم الكثيف في السيرة الذاتية لعبد الرحمان بدوي، ولكنه محض حضور بالسلب، أو حتى بمحض الشتم }[1]

من المعلوم أن "**عبد الرحمان بدوي**" يستخدم عبارات قاسية وساخرة من بعض السياسيين المصريين خاصة وزراء "**جمال عبد الناصر**"، والجدير بالذكر أن الأمر لم يتوقف عند هذا الحد إنما تعداه إلى المثقفين الذين يشتمهم أو يقلل من شأنهم في أحسن الأحوال، ولعلنا نتساءل لماذا هذا الشتم والقدح الذي يمارسه بدوي ضد معاصريه من المثقفين؟ ذلك ما سنعرفه في قادم المحطات.

إن المثقف الحقيقي هو المثقف الذي يتقبل النقد، والذي يمارس النقد الحقيقي وليس الشتم، فالنقد البناء هو مناقشة الأفكار ونقدها بُغية تصحيحها وتطويرها؛ لكن مع حالة "**بدوي**" الأمر مختلف كما يؤكد "طرابيشي" **{ فعبد الرحمان بدوي لا يخوض في الثمانمئة صفحة التي يسرد فيها سيرة حياته، في أي نقاش، ولا حتى في أي نقد مع مثقفي جيله ومثقفي الجيل الذي يليه. فهو لا يناقش أفكارهم ولا يعلق على كتاباتهم ولا يتنازل حتى لمعارضة أطروحاتهم. إنما هو يكتفي بالردح وبالطعن في أشخاصهم وأخلاقهم }** [2]

إن النقد قيمة عظمى تحتاج إلى قراءة موضوعية لأفكار المثقف بُغية تصحيح الأخطاء وتطوير الأطروحات، أما السب والشتم فيمكن لأي إنسان أن يقوم بها، وهي ليست من صفات المثقف الحقيقي.

هذا ويذهب "**طرابيشي**" إلى أنه لا أحد من المثقفين سلم من سلاطة لسان "**بدوي**" **{ باستثناء الشيخ مصطفى عبد الرازق، أستاذه في علم المنطق والكلام والفلسفة الإسلامية في كلية الآداب في الجامعة المصرية بين عامي 1934 و 1938، فإن أحدا من أعلام مثقفي عصره من المصريين لا ينجو من** "سلاطة لسانه"، **وهذا تعبير نضطر هنا إلى استخدامه مكرهين لأنه الأكثر تعبيرا عن طبيعة الممارسة النقدية كما يفهمها ويطبقها ع بدوي في سيرته الذاتية }**[3]

ولعلنا نتساءل ما السبب الذي جعل "**بدوي**" لا يهاجم "**مصطفى عبد الرازق**" ويهاجم أساتذة له آخرين؟

إن "**طرابيشي**" يؤكد أن "**بدوي**" يشيد بـ"**مصطفى عبد الرازق**" من أجل أن يتخذ من منه وسيلة للهجوم على شيوخ الأزهر حيث يقول عنه **{ كان متحرر الفكر اجتماعيا، يدعو إلى تحرير المرأة، ومن هنا كان يكتب في مجلة "السفور" مقالات ذات نزعة تحريرية للحياة الاجتماعية، وقد أعيد طبع هذه المقالات في**

[1] جورج طرابيشي، هرطقات2، مصدر سابق، الصفحة نفسها.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] جورج طرابيشي، هرطقات2، مصدر سابق، ص 182.

الجزء الأول "والوحيد الذي ظهر" من كتاب "آثار مصطفى عبد الرازق" الذي أشرف على جمعه وإخراجه أخوه الأستاذ علي عبد الرازق. وهذا التحرر الاجتماعي هو الذي كان هدف هجمات الأزهريين عليه.}[1]

إن ما نفهمه من هذا الكلام هو أن "**بدوي**" مع تحرير المرأة ومع الفكر التحرري، وأنه كان يرى أن شيوخ الأزهر ضد التحرر.

إن "**بدوي**" لا يكتفي بالقول أن شيوخ الأزهر ضد تحرير المجتمع، إنما يؤكد على أن هجومهم على "**مصطفى عبد الرازق**" اشتد **{ خصوصا حين صار شيخا للأزهر في ديسمبر سنة 1945. ولم يكن الدافع الحقيقي لهذا الهجوم من جانب شيوخ الأزهر لوجه الدين أو غيرة على التقاليد الإسلامية، بل لأنهم كانوا يطمعون في تولي هذا المنصب، وشيوخ الأزهر طماعون حاقدون يأكل الحسد قلوبهم، وفي سبيل نيل أي منصب ذي شأن لا يتورعون عن استخدام أخس الوسائل: من وقيعة ودس ووشاية واختراع الأكاذيب.}**[2]

ومن هنا نفهم أن "**بدوي**" يهاجم شيوخ الأزهر ويصفهم بأبشع الصفات، وهذا الشتم من المفروض أن لا يصدر عن المثقف؛ لأنه يستحيل أن يكون كل شيوخ الأزهر طماعون ويسعون وراء المناصب حتى ولو استخدموا أخس الوسائل كما يقول، لأن من بينهم رجال صدقوا الله ما عاهدوه عليه وسعوا إلى خدمة الدين الإسلامي والدفاع عليه، كما أن هذا الشتم لا يفيد في شيء سوى تأجيج نار الخلاف والحقد بين شيوخ الأزهر و"**بدوي**" أو نقول المثقفين الآخرين الذي يسيرون في نفس مسير "**بدوي**".

وهذا ويؤكد "**طرابيشي**" أن "**محمد عبده**" لم يسلم من هجوم "**بدوي**" حيث يقول هذا الأخير **{ هذا هو ما فعله الشيخ محمد عبده، مفتي الديار المصرية، و"المصلح الديني المزعوم" ! فقد انعقدت بينه وبين لورد كرومر علاقة حميمة ــ إن صحَّ أن توصف بالحميمة علاقة التابع بالمتبوع، والذليل بالجبار، والمطيع الخاضع بالآمر المستكبر، بل كان محمد عبده هو نفسه ستفاخر ويتباهى بهذه العلاقة الوثيقة بينهما، وبينه وبين سلطة الاحتلال.}**[3]

إن هذا النص يُبين أن "**بدوي**" يتهم "**محمد عبده**" بالخيانة والتخابر مع الاحتلال الانجليزي، ولكن هذا الاتهام والشتم كقوله أن "**محمد عبده**" ذليل وخاضع للورد كرومر لا يطور من فكر "**عبده**" أي شيء.

---

[1] عبد الرحمان بدوي، سيرة حياتي1، مرجع سابق، ص 61.

[2] المرجع نفسه، ص ص 61، 62.

[3] عبد الرحمان بدوي، سيرة حياتي1، مرجع سابق، ص 51.

هذا ويؤكد "**بدوي**" أن "**محمد عبده**" اكتسب الشهرة عن طريق معجبين به أطلقوا عليه اسم "**المصلح الديني**"، ولو **{ نسألهم أي إصلاح ديني قام به؟ لم يستطيعوا أن يذكروا إلا تفاهات شكلية، مثل تحليل لبس القبعة ــ وكأن هذا أمر خطير جدا به يكون المرء "مصلحا دينيا" كبيرا !}**[1]

إن هذا تقزيم صريح من "**بدوي**" لـ"**محمد عبده**" ولو كان هذا الأخير مجرد إمام يهتم فقط بالشكليات لما حاز على تلك الشهرة، إذ أن سبب شهرة "**محمد عبده**" هي التي جعلت "**بدوي**" يهاجمه ويقلل من شأنه.

أما "**أحمد أمين**" فيصفه "**بدوي**" "**بالعميد الحقود**"[2] لا لشيء سوى لأنه قام بتأخير مناقشة رسالته للدكتوراه، لأمور شكلية حيث يؤكد أن "**أحمد أمين**" يتسلق إلى المجد على ظهور الآخرين. كما أنه يحسد متقني اللغات الأجنبية، حيث يسعى إلى التعويض عن عجزه بانتحال أعمال الآخرين.[3]

لكن إذا كان "**أحمد أمين**" منتحل لأعمال الآخرين فلماذا لم يتم الكشف عن انتحاله لتلك الأعمال؛ ما دام أن هناك لجان علمية متخصصة في ذلك، كما أن "**بدوي**" يؤكد أن "**أحمد أمين**" لم يكن متقنا للغات الأجنبية؛ والحال أن الرجل يحوز على قدر لابأس به من اللغة الانجليزية.

كما أن "**أحمد أمين**" زار بعض الدول الأوروبية ومن بينها انجلترا حيث يقول في كتابه "**حياتي**" **{ وأبرق إلى صديق لي يعد لي مسكنا في لندن ويستقبلني في محطتها ويصل القطار إلى كاليه، وأعبر بحر المانش إلى دوفر، وأركب القطار إلى لندن فيستقبلني صديقي ويريني مسكني فيها... وأتعرف في المنزل بفتاة إنجليزية من أصل ألماني }**[4]

إن الذي يؤكد أن "**أحمد أمين**" لم يسع إلى الجري وراء المناصب هو قوله عن تعيينه عميدا **{عينني المرحوم محمود فهمي النقراشي عميدا، وقد عجبت أنا نفسي من هذا الاختيار، فأنا رجل دخيل على الجامعة بحكم تربيتي الأزهرية الأولى، وتربيتي شبه الأزهرية في مدرسة القضاء، وأنا رجل لم أتعلم في جامعة مصرية ولا أجنبية، وأنا رجل لم يتعلم لغة أجنبية إلا ما تعلمته من اللغة الانجليزية بعناء ويقدر محدود، فكيف أختار لهذا المنصب وأرأس الأساتذة الأجانب والأساتذة المصريين ممن تعلموا في الجامعات الأوروبية ونحو ذلك؟ الحق أنني أكبرت ذلك وشعرت بالمسؤولية الملقاة على عاتقي.}**[5]

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] المرجع نفسه، ص 65.

[3] جورج طرابيشي، هرطقات2، مصدر سابق، ص 183.

[4] أحمد أمين، حياتي، دار تلانتيقيت، دط، الجزائر، 2015، ص 241.

[5] المرجع نفسه، ص 256

إن هذا الاعتراف يوضح أن "**أحمد أمين**" ليس من النوع الذي يجري وراء المناصب وتستعبده الوظائف، إنما هو يعترف بنقائصه، كما أنه شعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، وسعى إلى أن يقوم بدوره بكل جدّ وإخلاص.

هذا ويؤكد "**طرابيشي**" أن نقد "**بدوي**" على قساوته لـ "**أحمد أمين**" يبقى أحسن من نقده لـ "**عباس محمود**" العقاد الذي كان يكتب مقالات ناقدة لمصر الفتاة التي ينتمي إليها "**بدوي**"، حيث كتبوا في مصر الفتاة مقالا ضد عباس محمود العقاد بعنوان " **العقاد جهول يريد أن يعلم الناس ما لم يعلم**" فإذا بالعقاد لا يهتم بالمقالات التي تكتب ضده، لذلك اقترح "**بدوي**" استخدام العنف ضد "**العقاد**"، وأمر اثنان من أعضاء مصر الفتاة بضرب العقاد، حيث ضربوه في شارع سليم مصر الجديد، ولم يكتب بعدها مقالا ضد مصر الفتاة، لأن من ضربوه حذروه من نكال أشد لو أنه كتب مقالا آخر ضد مصر الفتاة.[1]

وهنا نتساءل هل المثقف الحقيقي هو الذي يسعى إلى استخدام العنف ضد مثقف آخر؟ فالمثقف الحقيقي هو الذي يقنع بواسطة تفكيره وحججه القوية، مع احترام أفكار الآخر وليس ضرب المثقف والتقليل من قيمته بالشتم والتقزيم.

إن "**بدوي**" حسب "**طرابيشي**" ينوع من طرق شتمه والتقليل من مثقفي عصره فتارة يستخدم الشتم الفردي؛ وتارة يستخدم الشتم الجماعي، إذ يجمع العديد من مثقفي عصره ليشتمهم ويقلل من شأنهم، وهكذا يندد بمحمد مندور وعثمان أمين، ونجيب بلدي، وعبد الهادي شعيرة، وزكي نجيب محمود، ومحمد عبد الهادي أبو ريدة لأنهم لم يتمكنوا ـ بخلافه ـ من تحصيل شهادة الدكتوراه في بعثتهم الجامعية إلى الخارج بسبب "قلة الذكاء المقرونة بالكسل وعدم الرغبة في العلم والتحصيل".[2]

إن هذا الشتم وهذا الإقصاء والتقزيم الذي يمارسه بدوي على هؤلاء المثقفين يؤكد على أنه يريد أن يكون هو النجم الأول في سماء الثقافة المصرية دون منازع، لذلك يسعى إلى التقليل من شأن هؤلاء ليوضح أنه الأكثر ذكاء والأكثر اجتهادا. ولا يتسع المقام هنا لذكر شتمه لمثقفين آخرين أمثال توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وغيرهم.

4/ مناقشة قراءة طرابيشي لبدوي

ـــ إن موقف "**طرابيشي**" من "**بدوي**" يلخصه بقوله: **{ لقد قلت في مقدمة هذه المطالعة للسيرة الذاتية لعبد الرحمان بدوي إن صاحبها هو بلا شك "واحدا من كبار الصانعين الفكريين للجيل العربي المعاصر" وبعد**

[1] جورج طرابيشي، هرطقات2، مصدر سابق، ص 183.

[2] جورج طرابيشي، هرطقات2، مصدر سابق، ص ص 185، 186.

هذه المقدمة فإن الخاتمة تفرض نفسها... تحملني على تصحيح المقدمة لأقول: "كنت أحسب عبد الرحمان بدوي واحدا من كبار الصانعين الفكريين للجيل العربي المعاصر، ولكن سيرة حياته كما خطها بقلمه تكشف عن قامة أصغر مما أحسب، وهذا كشف شديد الإيلام لي شخصيا لأن عبد الرحمان بدوي كان واحدا ممن صنعوا تفكيري وأسهموا بقدر واسع في بناء ثقافتي الفلسفية، الإسلامية والعربية معا.}[1]

إن هذا النص يوضح أن "**طرابيشي**" في تكوينه الفكري اعتمد كثيرا على "**بدوي**"، لكن ما لا يوافق "**طرابيشي**" "**بدوي**" عليه هو مواقفه السياسية خاصة من النازية، وكذلك مواقفه من مثقفي عصره حيث أنه قام بشتمهم والتقليل من شأنهم وهذه الصفات ليست من شيم المثقف الحقيقي.

إن ما لا نوافق "**طرابيشي**" عليه هنا هو أنه لا يمكن وصف بدوي بالقامة الفكرية الصغيرة، لأن الرجل نذر حياته للعلم، وقرأ وبحث كثيرا وألف إنتاجا فكريا واسعا، رغم أن له سلبيات سبق لصاحب مشروع نقد النقد في ذكرها.

إن "**عبد الرحمان بدوي**" يُعد بحق الرائد الأول للوجودية في الفكر العربي المعاصر، فهو كما قال عنه "**طه حسين**" **{ أول من أدخل في اللغة العربية هذا المذهب الفلسفي الجديد، وقد أدخله في اللغة العربية في نفس الوقت الذي كان بول سارتر يدخله في اللغة الفرنسية }**[2]

إذ لولا "**بدوي**" لما تمكن المثقف العربي من الإطلاع على المذهب الوجودي بالتزامن مع وجودية "جان بول سارتر".

إن المفكر "**علي حرب**" في تعليقه على كتاب "**مذبحة التراث**" **لـ: جورج طرابيشي**" ـ والذي عرض فيه التيارات القارئة للتراث ـ يقول: **{ قلت عند صدوره بأنه ما هكذا يكون النقد المنتج والفعال، وبأن مصطلح "المذبحة"، لا يصلح لقراءة الأعمال الفكرية والخطابات الفلسفية، ذلك أن النقد لم يعد مجرد نقض للأحكام بقدر ما أصبح بحثا عن شروط الإمكان...والأحرى القول إن النقد هو اجتراح ممكنات للتفكير، بتشكيل موضوعات جديدة أو افتتاح حقول جديدة تتغير معها علاقتنا بالمسائل المطروحة.}**[3]

ومن هنا نفهم أن "**طرابيشي**" وقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه "**بدوي**" وهو التقليل من قيمة المثقفين العرب الآخرين، فمن خلال عنوان الكتاب نفهم أن المفكر السوري ينظر إلى إسهامات المثقفين الذين ذكرهم

---

[1] المصدر نفسه، ص 187.

[2] نقلا عن: أحمد سليماني، عبد الرحمن بدوي {1917/2002} نحو فلسفة وجودية، موسوعة الأبحاث الفلسفية الفلسفة العربية المعاصرة تحولات الخطاب من الجمود التاريخي إلى مآزق الثقافة والأيديولوجيا، أشراف وتحرير: إسماعيل مهنانة، تصدير: فتحي المسكيني، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2014، ص 105.

[3] علي حرب، الماهية والعلاقة نحو منطق تحويلي، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب ولبنان، 1998، ص ص 179، 180.

في الكتاب بأنهم قاموا بمجازر ضد التراث، وهو بذلك يقلل من قيمتهم لأن هؤلاء المثقفين اجتهدوا وقدموا ما عليهم، ولا يمكن القدح في إسهاماتهم الفكرية في مجال الدراسات التراثية.

وحسبنا أن نشير إلى موقف "**طرابيشي**" من قراءة "**زكي نجيب محمود**" للتراث حتى نتأكد من أن "**طرابيشي**" يقلل نوعا ما من قيمة المثقفين القارئين للتراث حيث يقول أن عودة "**زكي نجيب محمود**" إلى قراءة التراث في أواخر حياته عودة كاذبة **{ كما سنرى بأن عودة "الابن الضال" هي نفسها عودة كاذبة ــ لابد أن نلاحظ بادئ ذي بدء أن مجدد الفكر العربي يضع نفسه هنا ...على مقاعد المدرسة النفعية، لا النفعية البنتامية التي تظل إلى حد ما نفعية ... النفعية العملية، النفعية الإجرائية والبراغماتية والتطبيقية البحتة الرافضة حتى لمبدأ "العلم النظري" }**[1]

إن هذا الوصف الذي يطلقه "**طرابيشي**" على "**زكي نجيب محمود**" ونعني "**الابن الضال**" وصف في غير محله، لأن "**زكي نجيب محمود**" لم يكن ضالا حينما اتجه إلى الحضارة الغربية؛ بل إليه يعود الفضل في إدخال المدرسة الوضعية المنطقية في الفكر العربي المعاصر.

خاتمة:

من خلال ما تقدم نستنتج أن:

ــ مشكلة الفكر العربي المعاصر أن الكثير من المثقفين العرب تتملكهم نزعة الإقصاء، وتنقصهم أخلاق الاعتراف، فكل مثقف يريد تأسيس مشروعه ينطلق من الصفر، ويسعى جاهدا ليبين أن مشروعه هو المميز وأن باقي المشاريع فاشلة ويطعن في أصحابها.

ــ إن قراءتنا لموقف "**طرابيشي**" من "**بدوي**" تفضي بنا إلى التأكيد على أن "**بدوي**" متعصب لمواقفه السياسية إذ يسعى التأكيد على النازية التي واصل في الإيمان بها، كما أنه هاجم "جمال عبد الناصر" ووصفه بأقذع الأوصاف لا لمواقفه السياسية؛ إنما لأن سياسة الإصلاح الزراعي جعلت عائلة بدوي تفقد الكثير من الأراضي الزراعية بسبب هذه السياسة؛ وربما لو أن هذا الإصلاح لم يمس عائلة "**بدوي**" لما هاجمه.

ــ إن موقف "**بدوي**" من مثقفي عصره هو موقف غير مشرف وغير أخلاقي، إذ من غير المعقول أن يقول مثقف بالأمر بضرب مثقف آخر لا لشيء؛ سوى لأن ذلك المثقف له أفكار تخالفه الرأي، وهو ما قام به "**بدوي**" مع "**عباس محمود العقاد**"

ــ إن ما نستنتجه من هجوم بدوي على مثقفي عصره إلا القلة القلية منهم ـ ربما لأنهم ساعدوه ذات يوم في مساره الثقافي ـ يؤكد على أنه مسكون بنرجسية نكرة، فهو يريد أن يثبت أنه نجم فريد ومميز في سماء

[1] جورج طرابيشي، مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة، دار الساقي، ط3، لبنان، 2012، ص 65.

الثقافة المصرية، لذلك لا يتوانى في التأكيد على إتقانه للعديد من اللغات بينما فشل غيره في ذلك، وأنه له إنتاج فكري أكثر من غيره، لكن يجب التأكيد أن إتقان المثقف للكثير من اللغات وإنتاجه الفكري الغزير لا يدل بتاتا على أن هذا المثقف صاحب مشروع ناجح، ونحن لا نقدح بهذا القول في فكر "**بدوي**" البتة.

ــ إن ما لا نوافق "**طرابيشي**" عليه هو أنه قال في خاتمة مقاله أنه بعد أن قرأ سيرة "**بدوي**" الذاتية اكتشف أن هذا الأخير صاحب قامة أصغر مما كان يحسب، لكن مع كل مواقف "**بدوي**" السياسية وموقفه من مثقفي عصره، يجب عدم التقليل من شأن الرجل، لكي لا نقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه "**بدوي**"، فالرجل اجتهد وخصص كل عمره في تطوير الفكر ولا يمكن إطلاقا التقليل من انجازاته، ويبقى لكل مثقف سلبياته التي يجب نقدها نقدا موضوعيا علميا من أجل بناء مثقف الغد الذي يكون أحسن من مثقف الماضي ومثقف اليوم.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أحمد أمين، حياتي، دار تلانتيقيت، دط، الجزائر، 2015.

2- أدولف هتلر، مذكرات الزعيم النازي هتلر كفاحي، دار الموعظة، دط، دبلد، دس.

3- إسماعيل مهنانة، موسوعة الأبحاث الفلسفية الفلسفة العربية المعاصرة تحولات الخطاب من الجمود التاريخي إلى مآزق الثقافة والأيديولوجيا، تصدير: فتحي المسكيني، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2014.

4- جورج طرابيشي، مذبحة التراث في الثقافة العربية المعاصرة، دار الساقي، ط3، لبنان، 2012.

5- جورج طرابيشي، هرطقات 2 عن العلمانية كإشكالية إسلامية – إسلامية، رابطة العقلانيين العرب ودار الساقي، ج2، ط1، بيروت، 2008.

6- ج ويلتر، الهرطقة في المسيحية، ت: جمال سالم، دار التنوير، دط، لبنان، 2007.

7- السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي المعاصر مدخل إلى خارطة الفكر العربي الراهنة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، ط1، بيروت، 2010.

8-عبد الرحمان بدوي، سيرة حياتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج1، ط1، لبنان، 2000.

9-عبد الرحمان بدوي، سيرة حياتي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج2، ط1، لبنان، 2000.

10-علي حرب، الماهية والعلاقة نحو منطق تحويلي، المركز الثقافي العربي، ط1، المغرب ولبنان، 1998.

مواقع إلكترونية:

1-محمد صلاح بوشتلة، في علاقة الفيلسوف بالمستبد: عن عبد الرحمان بدوي والنازية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، التاريخ: جانفي 2015، الموقع: في– علاقة – الفيلسوف – بالمستبد – عن – عبد – الرحمن - بدوي - والنازية

https://www.mouminoun.com/articles/2444-

المركز الجامعي آفلو

ص ب 306